

# تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السبكي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحمدي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وتقديمه

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

مشيخ عظم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المحققين بالأزهر الشريف

مَدَامُ الْوَلَدُ الْوَلَدُ الْوَلَدُ

رفع

عبد الرحمن المحمدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

تفسير الجلالين  
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع  
محفوظة

طبعة عام ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: [www.madaralwatan.com](http://www.madaralwatan.com)  
البريد الإلكتروني: [pop@madaralwatan.com](mailto:pop@madaralwatan.com)  
[madaralwatan@hotmail.com](mailto:madaralwatan@hotmail.com)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧



# تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي

(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم القارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



دار النشر  
المطبعة العلمية





## تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَنْزِيلُ لَكُمْ الْآيَاتِ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكمل ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [١] فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿[البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ      يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا  
كَالشَّمْسِ فِي كَبْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا      يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجلية، وأطاب ثمرة لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَنَ كَرِيمًا﴾ [٧٧] فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿[الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(١)</sup>، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)<sup>(١)</sup>. ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتمة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخرّيج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أَحْمَدُ عَيْسَى الْمَعْصَرَاوِي

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف  
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر









## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدده سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعد - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لب لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفاضل وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبيه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرا الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين».

وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين».

كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صدري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي مع حاشية الصاوي.
  - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
  - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦ هـ.
  - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
  - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
  - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، المسمى (قرة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

## التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: «بُغْيَةُ الوَعَاةِ فِي تَرَاجُمِ اللُّغَوِيْنَ وَالتُّحَاةِ» عند ترجمته للإمام مَوْفَى الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جَوَّدَ فِيهِ الإِعْرَابَ وَحَرَّرَ أَنْوَاعَ الْوُقُوفِ<sup>(١)</sup>، وَأَرْسَلَ مِنْهُ نَسْخَةً إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْقُدُسِ، قَلَّتْ<sup>(٢)</sup>: وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْحَلِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ أَنَا فِي تَكْمِلَتِهِ مَعَ الْوَجِيزِ<sup>(٣)</sup>، وَتَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمة ولا خاتمة للقسم الذي فسر، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسر، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد أُلِفَ هَذَا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:  
الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «المحلة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فُسِّرَ: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيُوطِي» - نسبة إلى «أُسيوط أو شُيُوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلّت» أي: الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام ٤٦٨هـ.

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلي.. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

### مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجلّ كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جمّ غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجّهت همهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّبِيرَيْنِ على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».



- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدّومي، المعروف بالدّوماني، ثم الصالحاني، المتوفّى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء الثّيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيلي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفّى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفّى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفّى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين الثّيرين في حلّ ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التّطواني الحائك، المتوفّى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد الثّراوي المصري، المتوفّى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الثّرمانيني - نسبة إلى «ثّرمانين» إحدى قرى حلب - المتوفّى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزّواك الحديدي الزّيدي، المتوفّى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفّى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرُة العَيْنين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفّى عام (١٣٠٥هـ)<sup>(١)</sup>.
- ١٩- «قَرّة العَيْنين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سمّيته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

\*\*\*

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهري، أو سقط، أعتمد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبع ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقف فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب مما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدي.
- كما استفدت كثيرًا مما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرتهم لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
- أ- «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبد الرحمن آل خميس.
- ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
- ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
- د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.
- إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعثر بها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقبت ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، مع بيان درجتها من الصحة والضعف.. إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيثمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً - فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند.
- واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علقت عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية.
- جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [ ] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بشنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يشر الله ﷻ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده الموحدين. اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرج به يوم القيامة كربتي، ويمن به يوم النشور صحتي، وثبت به على الصراط محنتي...

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة/ غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr\_hesham\_barghash@hotmail.com



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

تَفْسِيرُ الْجَلِيلِ  
وَمَعَهُ حَاشِيَةٌ هِدَايَةُ الْمُؤَحِّدِينَ

التفسير للإمامين

جَلال الدّین  
عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِي  
(۸۴۹ھ - ۹۱۱ھ)

جلال الدین  
محمد بن أحمد بن محمد المحلی  
(۷۹۱ھ - ۸۶۴ھ)

## وَالْحَاشِيَةُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُشَيْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ بْنِ عَشْرٍ

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

## سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنَعَ آيَاتُهَا بِالسَّمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» مَنَاسِبًا لَهُ بِكَوْنِهَا مِنْ مَقُولِ الْعِبَادِ] (\*) (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بمضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌّ لأنَّ يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود بِحَقِّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطْلَقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وَغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٢) العلم على غيرهم، وهو (٣) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٥) يَوْمُ الدِّينِ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهراً فيه أحد إلا لله - تعالى -: بـ دليل ﴿لِمَنِ الْأُمُورُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٍ﴾ فَمَعْنَاهُ: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَصَحَّ وَقَوُّهُ صِفَةٌ لِعَرْفَةٍ.

[٥] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخضع بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨):

[٧] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ «الَّذِينَ» بِصَلَاتِهِ (٩): «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وهم: اليهود «وَلَا» وغير «الضَّالِّينَ» (١٠) وهم: النصارى. وَنَكْتُهُ البَدَلُ إِفَادَةُ أَنَّ الْمُتَهْتِدِينَ لَيْسُوا يَهُودًا وَلَا نَصَارَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا، وَحَسْبُنَا اللَّهُ

ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن المحلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير الشاذلي متصفاً ببعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لاغتب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب أَثَرَاءَ مَنْ أَشْعَرِيَّ ومعتزلة وغيرهما، ومذهب لسلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخائهُ، ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام بن رحمه.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عمر وحزمة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٍ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣. (٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدته التوكيد وانتصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة على أكّد وجه وأبغ.

(٩) أي: إن «غَيْرِ» بدل من «الَّذِينَ»، وقيل: هي نعت للذين.

(١٠) فائدة: خبر الفاتحة قوله - تعالى -: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وأما لفظ «آمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، بل هو شقّة، وهو اسمٌ بقلبي بمعنى: «اللهم استجب».

بذكر أفعال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمه وكرمه.

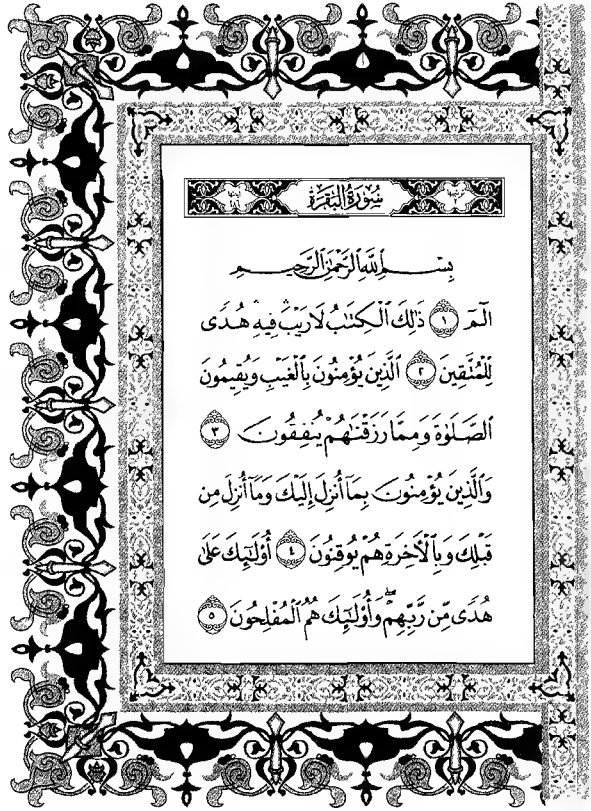
[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراذه بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي لاتقانهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون<sup>(١)</sup>.

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اغاثزون بالجنة الناجون من النار.



### سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]<sup>(\*)</sup>

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمداً موافقاً لنعمه مكافئاً لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعرا ب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(م) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهر قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعليّ. وُلِفَ القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّه قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر اخنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ الْكَافَّةُ مُؤَيَّدَةٌ﴾ وَكَانَتْ كَأَنَّهُمْ أَكْمَرُ ﴿﴾، وم نزلت سورة البقرة ونساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات يسيرة توفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسره المحلي من آيات. (٢) أي: علما قطعاً لا شك فيه.

[٦] ﴿إِنَّ الْآيَاتِ كَذُوبًا﴾ كأي جهل وأبي بهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَعَذَّتْهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ تُبْذَرُونَ﴾ لا يُؤْمِنُونَ ﴿لَعَلَّمَ اللَّهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ﴾ فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار لإعلام مع تخويف.

[٧] ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق؛ فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أي: مواضعه؛ فلا ينتفعون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قري دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحِبُّونَ الِآخِرَ﴾<sup>١</sup>  
أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا لَهُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup> زُوعِي فيه معنى ﴿مَنْ﴾،  
وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَظَاهِر خِلَافَ مَا أَبْطَنُوهُ مِنَ الْكُفْرِ؛ لِيُدْفَعُوا عَنْهُمْ أَحْكَامُهُ الدِّينِيَّةُ، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ <sup>(١)</sup> إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴿لَأَن تَبَالُ خِدَاعِهِمْ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ؛ فَيُفْتَضَحُونَ فِي الدُّنْيَا بِإِطْلَاعِ اللَّهِ نَبِيَّهُ عَلَى مَا أَبْطَنُوهُ، وَيُعَاقِبُونَ فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّ خِدَاعَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَالْخَادِعَةُ هُنَا مِنْ وَاحِدٍ؛ كـ «عَاقَبْتُ لِلصِّ»، وَذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا تَحْسِينَ <sup>(٢)</sup>، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَرَادَاهُمْ اللَّهُ مَرَمًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤس. ﴿يَمَّا كَانُوا﴾ [يَكْذِبُونَ] بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْكَفَرِ  
وَالْعَوِيْقِ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿قَالُوا﴾ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿وَلَيْسَ مَا نَحْنُ فِيهِ بِفَسَادٍ﴾  
قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿١٢﴾ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾ لِلنَّبِيِّ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾  
لَكِنِّي لَا يَنْصَرِفُونَ بِذَلِكَ.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاتُوا كَمَا مَاتَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ،  
﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا مَاتَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال؛ أي: لا تفعل كفعلهم. قال - تعالى  
ردًا عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله «لَقُوا»؛ حذفت الضمة؛ للاستفصال ثم الاء؛ لانفتاحها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خُلَاوُا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَتَاتِيهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿لَكِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

[۱۰] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم<sup>(۵)</sup>، ﴿وَيُكْذِّبُكُمْ﴾ يهْلِكهم  
﴿فِي مَقْعَدِمْكُمْ﴾ يتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرًا،  
حال<sup>(۶)</sup>.

[١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ﴾ أي: استبدلوها به ﴿فَمَا عَلَيهِمْ﴾ وما كانوا مهتدين ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقاتول وهشام وورش إبدالها ألفاً خالصة والم قدراً ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد لساكنين. وفصل أبو عمرو وقاتول وهشام من طريق الخواص بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه ويانه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله: **قَالَ** **الْمَلِكُ** **عَبْدُ** **مَنَظَرٍ** وسهل همزتها الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. (٣) أي: الكلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يُخَادَعُ الله؟ أي: يحتال عليه وهو يعلم الضمائر؟! فيجاب عنه بما (٤) والتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والتخفيف قراءة الباقين. ذكر.

(٥) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إثباته على ما يتيق بجلال الله وعظمته من غير أن يشتق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مهتير... تَعَالَى الْعَرْشُ ذَلِكَ. قال ابن القيم: وقد قيل: إن تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاء وخداعاً من باب الاستعارة ومجاز المبالاة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه... [الإعلام الموقين (٣/ ٢١٣، ٢١٨)]. ومن ذلك ما أخبر - شيخناؤه - أنه يفعله بالخافقين في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْلِفُونَ وَالْمُنْفِقُونَ وَالْمُتَكِبُونَ كَذِبًا أَطْرُقْنَا فَقَنِيسَ قِيلَ أَرَجَعُوا وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَوَدًّا فَصُرِبْ بِهِمْ يَوْمَ تَأْتِي سُنُورٌ لَكُمْ يَخْرُجُ فِيهَا كَافَّةً وَظُهُورُهُمْ مِنْ ذِكْرِهِ الْمَذْكُوبِ [الحديد: ١٣]، وهذا عدل منه - شيخناؤه - وحكمة، وإنصاف.

(٦) أي: إن جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿رَبُّكُمْ﴾ أو من الضمير في ﴿طَائِفَتِهِمْ﴾.

السحاب<sup>(٤)</sup> ﴿ظَلُمْتُ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدُ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وَرَقِقُ﴾ لمان سوطيه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبَعُهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْقَوَائِمِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون أذانهم؛ لئلا يسمعه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدره؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَا﴾ أَضَاءَ لَهُمْ مَتَنَوُا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذكر.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبَادُهَا﴾ وَحُدُودُهَا ﴿رَبِّكَمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشاكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَوَهَبَ لَكُمْ الْآيَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عبادة، ولعل: في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ رِيشًا﴾ حال<sup>(٥)</sup>، بساطا يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِيشًا لَكُمْ﴾ سقفا ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسور من مثله. وأدعوا شهاداءكم من دون الله إن كنتم صدقين ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَاتَّقُوا يَوْمَ تُرْفَعُ السُّورَةُ﴾ أي: المنزل، (ومن) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. «والسورة قطعة لها أول وآخر، أفلها ثلاث آيات»<sup>(٦)</sup>، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك، فإنكم عربون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى - [٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذكر لعجزهم ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبدا؛ لظهور إعجازه، اعتراض<sup>(٧)</sup>، ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله، وأنه<sup>(٨)</sup> ليس من كلام البشر ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ كآصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُبَّتْ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعَذِّبُونَ بها، جملة مستأنفة<sup>(٩)</sup> أو حال لازمة<sup>(١٠)</sup>.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صَمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْصِعُهُمْ فَعَادَانِهِمْ مِنَ الصَّوْغِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبَادُ وَارِبَكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِيشًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ﴾ أَوَد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿وَمَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفا وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة لمعنى ﴿الَّذِي﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين؛ فكذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿عُمَى﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه<sup>(٢)</sup> ﴿عَمَى﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه<sup>(٣)</sup> ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صوب من صاب يصوب أي: يزل ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٢) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٣) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: خلق؛ التعدى لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَنَعَ»، وأن ﴿وَرَبَّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٤) بيان خذلها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آيات لعجزوا أيضا.

(٥) أي جملة: ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٦) أي: وبأنه.

(٧) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(٨) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

(٩) أي: رؤية نافعة.

(١٠) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون بظاهرها.



[٢٥] وَيَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا صدقوا بالله وعملوا الصالحات من الفروض والنوافل [أن] أي: بأن [لهم جنات] حدائق ذات أشجار ومساكن [تجري من تحتها أي: تجري من تحت أشجارها وقصورها] [الأنهار] أي: المياه فيها، والنفث الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء ينثثر أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز [كأنهم زرقوا فيها] أعطموا من تلك الجنات [من شجرة زرقا قالوا هذا الذي] أي: مثل ما [زرعنا من قبل] أي: قبله في الجنة<sup>(١)</sup>، لتشابه ثمارها، بقرينة [وأنا يومئذ] أي: حينئذ بالزرق [نشتكيها] يشبه بعضه بعضاً لونا ويختلف طعماً [ولهم فيها أزواج مطهرة من الحور وغيرها] [مطهرة] من الحيض وكل قذر<sup>(٢)</sup> [وهم فيها خالدون] ما يكون أبداً، لا يفنون<sup>(٣)</sup>، ولا يخرجون. وتزل<sup>(٤)</sup> رؤا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: [ولن يسئلهم الذناب شيئا] والعنكبوت في قوله: [كمنزل العنكبوت] [إن الله لا يستحي] يذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] [إن الله لا يستحي] أن يضرب به [مثلا] مفعول أول [ما] نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثان: أي: أي مثل كان، أو زائدة لتأكيد الخسيسة<sup>(٥)</sup>، فما بعدها المفعول الثاني [بعوضة] مفرد البعوض؛ وهو صغار البق [فما فوقها] أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم [فأنا الذين آمنوا يفعلون] أي: المثل [الحق] الثابت الواقع موقعه [بين ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا] تمييز<sup>(٦)</sup> [أي: بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وإذا بمعنى الذي يصلته خبره؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: [يؤمل يومئذ] أي: بهذا المثل [كثيرا] عن الحق لكفرهم به [ويهدى يومئذ كثيرا] من المؤمنين لتصديقهم به [وما يؤمل به إلا الذين يقين] الخارجين عن طاعته.

[٢٧] [الذين] نعت [يتفكرون عهد الله] ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ [ومن يبدى مشيئة] توكيده عليهم [ويقتلون ما أمر الله يومئذ أن يؤصل] من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، [وأن] بدل من ضمير «به» [وتفكرون في الآخرة] بالمعاصي والتعويق عن الإيمان [أولئك] الموصوفون بما ذكر [هم الذين كفروا] لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] [كيف تكفرون] يا أهل مكة [والله و] قد [كنتم أمواتا] نطقاً في الأصلاب [فأنحيكم] في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ [فم يمينكم] عند انتهاء آجالكم [ثم يحييكم] بالبعث [ثم إليه

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به مستنهبين ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون [٢٩] [إن الله لا يستحي] أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين [٣٠] الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون [٣١] كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم ميئسكم ثم يحْييكم ثم إليه ترجعون [٣٢] هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم أسوى إلى السماء فسوّلهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

ترجمون تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] [هو الذي خلق لكم ما في الأرض] أي: الأرض وما فيها [جميعا] تنتفعوا به وتعتبروا [ثم أسوى] بعد خلق الأرض أي: قصّد<sup>(١)</sup> [إلى السماء فسوّلهن] الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: [ففضّلهن] [٣١] [سبع سموات] وهو بكل شيء عليم مجعلاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً. وهو أعظم منكم. قادر على إعادتكم؟!.

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: [من قبل] في الدنيا، وقوله: [وأنا يومئذ] أي: يشبه لمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي ساء الدنيا، ومن يكس أحمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالنفاس والمخاط والصفاق.

(٤) أي: أي: ولا يمرضون.

(٥) أي: قوله - تعالى -: [إن الله لا يستحي] أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها [البقرة: ٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٨) ومعنى [لا يستحي] أي: لا يستكف، وقيل: لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به. (١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بالآلة. اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى [أسوى] أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: [إلى أهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبيوي في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «أسوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاج؛ فننقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به... القواعد المتلى لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وَجِئَتْ بالمياه المختلفة، وَسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

[٣١] «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» أي: أسماء السميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة<sup>(٨)</sup> بأن ألقى في قلبه علمها ﴿فَنُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: السميات، وفيه تغليب العقلاء<sup>(٩)</sup> «عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ تَبَكُّوا»: أُنَبِّئُونِي أَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ السميات «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في أنني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دَلَّ عَلَيْهِ ما قبله. [٣٢] «قَالُوا سُبْحَنَكَ» تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» إِيَّاهُ «إِنَّكَ أَنْتَ تَأْكُدُ لِلكَافِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ» الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] «قَالَ تَعَالَى: «يَتَذَكَّرُ أَلْفَهُمْ» أي: الملائكة «يَا مَعْشَرَ الْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهَا مِنْكُمْ» وَذَكَرَ حكمته التي خلُقَ لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَمْرِهِمْ قَالَ - تَعَالَى - لَهُمْ مُوَيْحًا: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» ما غَابَ فيهما «وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ» ما تظهرون من قولكم: «أَتَجْمَلُ فِيهَا» إلخ «وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» تُبْدُونَ من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

[٣٤] «وَقَدْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» سجود تحية بالانحناء<sup>(١٠)</sup> «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» هو أبو الجن، كان بين الملائكة «أَيُّ» امتنع من السجود «وَأَسْتَكْبَرُ» تَكَبَّرَ عنه، وقال: أنا خير منه، «وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» في علم الله. [٣٥] «وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفَهُمْ» تأكيد للضمير المستتر؛ ليغفط عليه «وَزَوَّجْنَاكَ» حواء - يَلِدُ - وكان خلقها من ضعه الأيسر «الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا» أكلأ «وَعَدْنَاكَ» واسعاً لا حجر فيه «حَيْثُ شِئْتُمْ» وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ «بِالْأَكْلِ مِنْهَا» وهي: الحنطة أو الكرم أو غيرها<sup>(١١)</sup> «فَفْتَنَّاكَ» فَنَصَبْنَا «وَمِنَ الظَّالِمِينَ» العاصين. [٣٦] «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» إبليس أذهبهما، وفي قراءة<sup>(١٢)</sup>: «فَأَزَلَّهُمَا» نَحَاهُمَا «عَنِهَا» أي: الجنة؛ بأن قال لهما: «هَلْ أَذَلَّكُمَا عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ» وَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ لَهَا مِنْ النَّاصِحِينَ؛ فَأَكَلَا مِنْهَا «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» مِنَ النِّعَمِ «وَقُلْنَا اهْبِطُوا» إِلَى الْأَرْضِ؛ أي: أنتما بما اشتغلتما عليه من ذريتهما «بَعْضُكُمْ» بعض الذرية «لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» من ظلم بعضكم بعضاً «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» موضع قرار «وَسَعَةٌ» ما تتمتعون به من نباتها «إِلَى حِينٍ» وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] «فَلَقَّحْ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ» أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا، وفي قراءة<sup>(١٣)</sup> بنصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أي: جاءه؛ وهي: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا»<sup>(١٤)</sup> الآية، فَدَعَا بِهَا «فَقَابَ عَلَيْهِ» قَبِلَ تَوْبَتَهُ «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ» على عبادته «الرَّحِيمُ» بهم.

وَأَذَقْنَا لِكَلِمَةِ إِي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ بَلَّغْ أَمْرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَأَذَقْنَا الْمَلَائِكَةَ آسَاجِدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفَهُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

[٣٠] «وَقَدْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم<sup>(١)</sup> «قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بِالْعَاصِي» وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؛ يريقها بالقتل؛ كما قَتَلَ بَنُو الْجَانِّ وَكَانُوا فِيهَا؛ فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ» متلبسين «بِحَمْدِكَ» أي: نقول: سبحان الله وبحمده «وَنُقَدِّسُ لَكَ» ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة<sup>(٢)</sup>، والجملة حال<sup>(٣)</sup>؛ أي: فنحن أحق بالاستخلاف<sup>(٤)</sup> «قَالَ تَعَالَى: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم الطيع والعاصي؛ فيظهر العدل بينهم، فقالوا<sup>(٥)</sup>: لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له<sup>(٦)</sup>، ورؤيتنا ما لم يره<sup>(٧)</sup>؛ فخلق الله - تَعَالَى - آدم من أديم الأرض؛

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال - تَعَالَى -: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» وقال: «وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلِيفَةً...» وليس المراد هنا بالخليفة آدم (عليه السلام) فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين... إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: «أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ»... اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للندبة والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طمناً ولا خوفاً؛ وإنما بديانك فقط. (٣) جملة قرلة: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ».

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من الغناء؛ حيث وقعت المشورة من الله لهم.

(٥) أي: سؤاً. (٦) فنحن أكرم.

(٨) سقط من الأصل: «حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة» - والنبث من نسخة حاشية الصاوي عني الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضاً.

(٩) أي: في الضمير في: «عَرَضَهُمْ» تغليب «العقلاء»؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضه».

(١٠) وحكي القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجبهة على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأولى أَلَا تَعْلَمُونَ من غير دليل قاطع. (١٢) لحمزة. (١٣) لابن كثير. (١٤) الأعراف: ٢٣.

[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كَرُورُهُ؛ لِيُعْطِفَ عَلَيْهِ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَذَا﴾ فَمَنْ بِي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بَأَن يَدْخُلُوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فيها خَالِدُونَ؛ ما يكون أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلُ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آباءكم من الإنجاء من فرعون، وفق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بَأَن تَشْكُرُوهَا بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهَدْتُ إِلَيْكُمْ من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهَدْتُ إِلَيْكُمْ من التوابع عليه بدخول الجنة ﴿وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقة له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَزْوَاجًا ظَالِمِينَ﴾ من أهل الكتاب؛ لَأَن خَلَفَكُمْ تَبَعَ لَكُمْ؛ فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿يَأْتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿تَمَتَّا﴾ قِيلًا؛ غَرَضًا يَسِيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتسبوا خوف قَوَاتٍ ما تأخذونه من سَفَلِيَّتِكُمْ<sup>(١)</sup> ﴿وَأَيُّ قَاتِلُونَ﴾ خافون في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تخطبوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِالْبُطْلِ﴾ الذي تَقْرَؤُونَ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نَعْتُ محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أنه الحق.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. وَنَزَلَ فِي عِلْمَانِهِمْ - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حقٌّ :: [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ﴾ تكتسب ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول بالعمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوءَ فَعْلِكُمْ فترجعون، فجعله النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحس للنفس على ما تَكْرَهُ ﴿وَالصَّلَاةَ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ؛ تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ، بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>. وقيل: الخطاب لليهود لَمَّا غَافُوا عَنِ الْإِيمَانِ الشَّرِّ وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ فَأَمَرُوا بِالصَّبْرِ وهو الصوم؛ لَأَنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، والصلاة؛ لَأَنَّهُ تُورِثُ الْحُشُوعَ وَتَنْفِي الْكِبْرَ وَرَائِيَّتَهَا؛ أي: الصلاة ﴿لِكِبَرِهِ﴾ ثِقَلُهُ ﴿إِلَّا عَلَى الْغُلَّامِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٤)</sup> يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ<sup>(٥)</sup> وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ<sup>(٦)</sup> وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ<sup>(٧)</sup> وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(٨)</sup> وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ<sup>(٩)</sup> وَتَسْأَلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>(١٠)</sup> وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ<sup>(١١)</sup> الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(١٢)</sup> يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(١٣)</sup> وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ<sup>(١٤)</sup>

رَجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالناء<sup>(١)</sup> والباء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبض ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يُنْتَعُونَ من عذاب الله.

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَٰلِكُمْ ﴿١﴾ الْعَذَابُ أَوْ الْإِنجَاءُ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ بَلَاءٌ ﴿٤﴾ أَوْ إِعْطَامٌ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

[٥٠] ﴿وَإِذْ قَرَّبْنَا بِلْقَاءَ رَبِّهِمْ الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هارين من عدوكم ﴿فَأَنجَبْنَاهُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنَّهُمْ نَظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا بِأَلْفِ دُودْنَةٍ﴾ (مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) نعطيه - عند انقضاءها - الثَّوَابَ؛ لتعملوا بها ﴿ثُمَّ أَغْزٰهُمُ الْفَجَلُ﴾ الذي صَاغَهُ لكم الشَّيْطَانِيُّ إِلَيْهَا ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميداننا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير؛ أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

[٥٤] وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ الَّذِينَ عْبَدُوا الْعِصَى: ﴿يَقُولُوا إِنَّكُمْ تَطْلَعُونَ﴾ أُنْذِرْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الْعِجْلُ﴾ إِلَهًا ﴿فَقُونُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ خَالِقِكُمْ مِنْ عِبَادَتِهِ ﴿فَاقْنُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَي: لِيَقْتُلِ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْهَاجِرَ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْقَتْلُ ﴿حَتَّىٰ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فَوْقَكُمْ لِفِعْلِ ذَلِكَ، وَأُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حِشَابٌ مُسَوِّدٌ؛ لِكُلِّ فِئَةٍ يُبَصِّرُ بَعْضُهُمْ أَمْرَ بَعْضٍ؛ حَتَّىٰ قَتَلَ مِنْكُمْ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَأْبُ الرَّجِيمُ﴾.

[٥٥] وَإِذْ قُلْتُمْ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عِدَةً﴾ وَقَدْ خَرَجْتُمْ مَعَ مُوسَىٰ لَتَغْتَابُوا اللَّهَ فِي عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَسَمِعْتُمْ كَلَامَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ آلِهَةِ الْبَنَاتِ﴾ عِبَادَاتِ الْبَنَاتِ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ جَهَنَّمُ ﴿فَلَا تَخْشَوْا زَعَمَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الصِّحْحَةُ: فَتُسَمَّى وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونَ مَا خَلَّ بِكُمْ.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أَحْيَيْنَاكُمْ ﴿ثُمَّ بَعَدَ مَوْتَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾  
نعمتنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَلَقَدْ لَبَّيْنَا عَلَىٰ كُفْرَانٍ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من خوف الشمس في اليوم ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ فيه ﴿الْمَنِّ وَالسَّلَوىِ﴾ هما التريحين<sup>(١)</sup> والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر، قلنا: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ ولا تَذَخَرُوا. فكفروا النعمة وادخروا؛ قطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَكُنَّا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن ربالة عليهم.

وَأَذِّنْخَتَكُم مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَيْتَكُمُ  
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى  
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعُجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ  
﴿٤٦﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٧﴾  
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾  
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ أَنْفُسَكُمْ يَا إِخْوَتِي  
الْعُجْلُ فَتَوَلَّوْا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ  
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى إِنَّ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ  
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ  
مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ  
الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ  
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٩] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ تَبْتَغِيكُمْ﴾: أي: آباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم؛ تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنُوا وَمِنْ أَعَالِي فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يُؤْذِنُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْفَعَالِ﴾: اشدّه، والجملة حال من ضمير ﴿تَبْتَغِيكُمْ﴾ ﴿يَذُبُّونَ﴾: يبيدوا لما قبله ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ﴾: المولودين ﴿وَسُحُورًا﴾: يَسْتَفْتُونَ ﴿إِسَاءَكُمْ﴾: لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يؤلّد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وَفِي

(١) أي: من حيث عدم الشكر عليه؛ فصار بلاء

(۲) راجع للعذاب.

(۳) راجع للإنباء.

(٤) بدون ألف لأيي عمرو.

(٥) مادة صمغية حلوة؛ كالعسل تسقط على الشجر؛ كما يسقط الطل.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْيَمِّ: «اتَّخِذُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ أَوْ أَرِيحًا» فَتَكُونُوا مِنْهَا حَيْثُ رِغَدْتُمْ رِغْدًا» وَاسْعَا لَا حَجَرَ فِيهِ «وَاتَّخِذُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ» أَي: بَابَهَا «سُجَّدًا» مُتَخَيِّضِينَ «وَقُولُوا لَهُمْ: «مَسْأَلَتُنَا حُجَّةٌ» أَي: أَنْ نَحْطُ عَنْ خَطِيئَاتِنَا «نَعْبُذُ» وَفِي قِرَاءَةِ الْبَاءِ (١) وَالنَّاءِ (٢) مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ فِيهِمَا «لَكُمْ خَلَيْفَتُكُمْ وَسَيَرِيدُ الْمُؤْمِنِينَ» بِالطَّاعَةِ تَوَابًا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ «قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» فَقَالُوا: حِجَابٌ فِي شِعْرَةٍ. وَدَخَلُوا يَرْحِفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ» (٣) «فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ؛ مِبَالِغَةً فِي تَبْيِيحِ شَأْنِهِمْ «وَيَجْزَا» عَذَابًا طَاعُونًا «بَيْنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» بِسَبَبِ فَسْقِهِمْ؛ أَي: خُرُوجِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ؛ فَهَلَكُ مِنْهُمْ فِي سَاعَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ أَقْل.

[٦٠] ﴿وَإِذْ أَذْكُرُ «وَإِذْ أَتَيْنَا مِنْ مِثْلِهِ» أَي: طَلَبْتُ الشَّقِيَّاءَ «لِقَوْمِهِ» وَقَدْ عَطِشُوا فِي النَّارِ «فَقُلْنَا أَصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ» وَهُوَ الَّذِي فُوَّ بِشَوْبِهِ، خَفِيفٌ مَرِيعٌ كَرَأْسِ الرَّجُلِ رِخَامٌ، أَوْ كَذَانٌ (٤)، فَضْرَبَهُ (٥) «فَانفَجَرَتْ» انشَقَّتْ وَسَالَتْ «وَمِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» بَعْدَ الْأَسْبَاطِ «فَقَدْ عَايَرَ كُلُّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ «مُفْرَقَهُمْ» مَوْضِعَ شَرِبِهِمْ؛ فَلَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ. وَقَالُوا لَهُمْ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» حَالٌ مَوْكِدَةٌ لِعَامِلِهَا (٦)، مِنْ عَيْنِي بِكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ مَخْرُجًا مِنْهَا نَخْلُكُ الْأَرْضَ مِنْ لَيْلِيَّانَ «يَقْلِبُهَا وَيَقْأِبُهَا وَيُؤْوِيهَا» حَطَبُهَا «وَعَدَيْهَا وَيَصْلِبُهَا» قَالَ لَهُمْ مُوسَى: «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى «أُخْسُ» بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟ أَشْرَفُ؛ أَتَأْخُذُونَهُ بِذُلَّةٍ؟ وَالْهَمَزَةُ لِلْإِنْكَارِ، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا فَدَعَا اللَّهُ - تَعَالَى -؛ فَقَالَ - تَعَالَى -: «أَهْبِطُوا» انزَلُوا «وَيُضْرَبُونَ» مِنَ الْأَمْصَارِ «فَإِنْ لَكُمْ» فِيهِ «مِمَّا سَأَلْتُمْ» مِنَ النَّبَاتِ «وَوُضِعَتْ» جُعِلَتْ «عَلَيْهِمْ» (٧) «الذَّلَّةُ» الذَّلُّ وَالْهَوَانُ «وَلَنَسْئَلَنَّ» أَي: أَتَوْرُ الْفَقْرَ؛ مِنَ السَّكُونِ وَالْخُرْجِ؛ فِيهِ لَازِمَةٌ لَهُمْ - وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ - لِرُزْمِ الدَّرْهِمِ الْمَضْرُوبِ لِسَكَنِهِ (٨) «وَيَكُونُونَ» رَجَعُوا «بِقَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ» أَي: الضَّرْبِ وَالْغَضَبِ «بِأَنَّهُمْ» أَي: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ

وَإِذْ قُلْنَا أَتَدْخُلُونَهَا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَتَيْنَا مِنْ مِثْلِهِ لِقَوْمِهِ وَقَدْ عَطِشُوا فِي النَّارِ فَكُلْنَا أَصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُخْرُجُ الْأَرْضُ مِنْهَا نَخْلُكُهَا وَقِيلَ لَهُمْ وَكُلُوا مِنْهَا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ حَالٌ مَوْكِدَةٌ لِعَامِلِهَا (٦)، مِنْ عَيْنِي بِكسر المثلثة: أفسد.

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ كَزَكْرِيَا وَيَحْيَى﴾ وَبِغَيْرِ الْآلِقِ؛ أَي: ظَلَمُوا «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» يَتَجَاوَزُونَ الْحُدُودَ الْمَعَاصِي، وَكَزْرَةَ (٩) لِلنَّكَيدِ.

(١) لِبَاقِعِ.

(٢) لَابِنِ عَامِرٍ.

(٣) جَمَعَ سِتْرَهُ وَهُوَ: الدَّرِيُّ؛ أَي: أَدْبَارُهُمْ.

(٤) الْحَجَرُ اللَّيْثُ.

(٥) يَحْكِي كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ وَمِنْهُمْ: ابْنُ كَثِيرٍ - هِيَ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَغَرِيبَةٌ فِي وَصْفِ الْحَجَرِ، وَمِنْ أَيْنِ جِيءَ بِهِ، وَكُلُّهَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا، وَتَعَارُضُهَا يُدْلَلُ عَلَى عَدَمِ صَحَّتِهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، ثُمَّ لَا حَاجَةَ لَنَا فِي الْعِلْمِ بِذَلِكَ، بَلْ نَعْمَلُ الْقَوْلَ الْأَرْجَحَ مَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ - وَحَكَاهُ عَنْهُ ابْنُ كَثِيرٍ - بِقَوْلِهِ: «...وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْأَمُّ لِلْجَنَسِ لَا لِلْمَعْدِ؛ أَي: اضْرَبَ الشَّيْءَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْحَجَرُ. وَعَنِ الْحَسَنِ: لَمْ يَأْمُرْ أَنْ يَضْرَبَ حَجَرًا بَعِيضَهُ، قَالَ: وَهَذَا أَظْهَرُ فِي الْمَعْجَرَةِ، وَأَبِينُ فِي الْقُدْرَةِ».

(٦) أَي: أَيْ: أَعْلَى ذُرِّيَّتِهِمْ وَمِنْ ثَمَّاءُ نَحْوُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(٧) أَيْ: وَاعْلَى ذُرِّيَّتِهِمْ قَدْ فُهِمَ مِنْ عَامِلِهَا، وَحَسَنَ ذَلِكَ اخْتِلَافُ اللَّفْظَيْنِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: «لَمْ يَكُنْ وَمِنْ ثَمَّاءُ نَحْوُهُمْ» [إِبْرَاهِيمَ: ٢٥].

(٨) الْكَلَامُ عَلَى الْقَلْبِ؛ أَي: لِرُزْمِ السَّكَّةِ لِلدَّرْهِمِ؛ أَمْثَرُهَا؛ لِأَنَّ السَّكَّةَ اسْمَ لِلْحَدِيدَةِ الْمُقَوَّشَةِ يَضْرَبُ عَلَيْهَا الدَّرَاهِمَ، فَكَذَلِكَ لَا يَخْلُو يَهُودِيٌّ مِنْ أَتَارِ الْفَقْرِ.

(٩) أَي: اسْمُ الْإِشَارَةِ؛ وَهُوَ لَفْظُ: «ذَلِكَ».

بشرىعته ﴿قُلْهُمْ أَزْوَاجُ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾  
﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوِيَ فِي ضَمِيرِ ﴿ءَامَنَ﴾ وَ﴿عَصَى﴾ لَفْظُ ﴿مَنْ﴾  
وَفِيهَا بَعْدَهُ مَعْنَاهُ.

[٦٤] ﴿ثُمَّ قَوَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ بِالنُّبُوَّةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

[٦٦] ﴿لَعَنَہَا﴾ أي: تلك العقوبة ﴿وَنَكَلًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لَسَايَ يَدَيَّهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: للأمام التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةُ السَّمْعِ﴾ الله، وخصوصاً بالذكر؛ لأنهم المتفانون بخلاف غيرهم.

أَعُوذُ. أَمْنَعُ. يَا اللَّهَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ المستهزين. فلما علموا أنه عزم [٦٨] قَالُوا أَنْعِ لَنَا رَبِّكَ يَتَيْنَ لَنَا مَا هُوَ. أي: ما سئَلْنَا. قَالَ: موسى: إِنَّكَ. أي: الله. يَقُولُ إِنَّمَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ مُسَيِّئَةٌ وَلَا يَكُرُّ صَغِيرَةٌ

[٦٩] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوثُهَا﴾ شديد الصفرة ﴿سُورَةُ النَّازِعَاتِ﴾ إليها بحسبها؛ أي: تعجبهم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ  
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا  
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ  
بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ  
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنَ الْكِتَابِ  
فَقَالُوا لَهُمْ كُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْ هَذِهِ فَلْيَاخُذُوا بَصَرَهُمْ أَذِلَّةً  
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ  
مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا  
اتَّخِذْ نَاهِرًا وَاقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ  
﴿١٣٥﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا  
بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا  
تُؤْمَرُونَ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿١٣٧﴾

[٦٢] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿٢﴾ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿٣﴾ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٤﴾ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا وَعِيسَى صَلَاحًا

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بعيسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافر بخالد مخلّد في النار - كما في سورتي المائدة والبيّنة، وكما صُحِّتْ بذلك الأحاديث.

(٢) وقال مجاهد: الضابئون قوم بين الجحوش واليهود والنصارى. (الطبري ١٦/٢). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وقيل غير ذلك. وقال ابن كثير: وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه...: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا الجحوش ولا المشركين؛ وإنما هم قوم ياقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفوناه. اهـ. تفسير ابن كثير (١٠٠/١).



﴿أَمَانِي﴾ أَكَاذِيبُ تَلْقَوْنَهَا مِنْ رُؤْسَائِهِمْ فَاعْتَمِدُوهَا ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ﴾ فِي جُحْدِ نُبُوَةِ النَّبِيِّ وَغَيْرِهِ مَا يَخْتَلِقُونَهُ ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظَنًّا وَلَا عِلْمَ لَهُمْ.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْنُتُونَ﴾ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿أَي:﴾ مُخْتَلِفًا مِنْ عِنْدِهِمْ ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ غَفَرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ آيَةَ الرَّجْمِ وَغَيْرَهُمَا، وَكَتَبُوهَا عَلَى خِلَافِ مَا أُنْزِلَ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخِطَاءِ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا يَكْنُتُونَ ﴿مِنَ الرِّشَاءِ﴾<sup>(١)</sup>.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدْتُهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تَصْنِيبًا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا أَنْيَا مَقْدُودَةٌ ﴿قَلِيلَةً﴾ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مَدَّةُ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَلِ ثُمَّ تَرُولُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَتُخَذْتُمْ﴾ خِذْفٌ مِنْهُ هِمزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ مِثَاقًا مِنْهُ بِذَلِكَ ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ﴾ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴿بِهِ؟﴾ لَا ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿فَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تَمَسَّكُمْ وَتَخْلُدُونَ فِيهَا ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شَرَكًا ﴿وَأُحْطِطَ بِهِ﴾ خَطِيئَتُهُ ﴿بِالْأَفْرَادِ﴾<sup>(٢)</sup> وَالْجَمْعِ؛ أَي: اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بَأَن مَاتَ مُشْرِكًا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿زُوعِيَ فِيهِ مَعْنَى﴾ «مَنْ» [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

[٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِي التَّوْرَةِ وَقُلْنَا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خَبَرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَقُرِئَ<sup>(٤)</sup>: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بِرًّا ﴿وَزَى الْقُرْبَى﴾ الْقَرَابَةَ عَطَفَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا ﴿إِحْسَانًا﴾ مِنْ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، وَالرَّفَقِ بِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٥)</sup> بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ مُصَدَّرٌ وَصَفٌ بِهِ مَبَالِغَةُ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذَلِكَ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، فِيهِ التَّفَاتُ<sup>(٦)</sup> عَنِ الْغَيْبَةِ؛ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ؛ كَأَبَائِكُمْ.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾  
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْنُتُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرُ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ذُقْ أَقْوَابَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَزَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير<sup>(١)</sup>، والواو الداخلة<sup>(٢)</sup> عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا<sup>(٣)</sup> عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي: اليهود ﴿يَكْتُمُونَ﴾ عَوَامٌ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ الْكِتَابَ التَّوْرَةَ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) أي: على سبيل التبريح؛ حيث اعتقدوا أن النافق يؤاخذ والكافر الأصلي لا حجة عليه، وله عذر قائم عند ربه.

(٢) أي: والواو الداخلة الاستفهام عليها للعطف على محذوف تقديره: أيلومونهم على التحديق بما ذكر، ولا يعلمون... إلخ.

(٣) أي: يتكلموا ويترجسوا.

(٤) بكسر الراء وضمة؛ جمع رشوة؛ بتثنية الراء.

(٥) بالافراد؛ أي: باعتبار ذات الشرك. والجمع؛ أي: باعتار أفراده، وقرأها نافع بالجمع (خطيئاته) والباقيون بالافراد (خطيئته).

(٦) بالياء حمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) قراءة شاذة، وقاعدة المفسر غالباً أنه يشير للشاذة بقوله: قرئ، والسبعة بقوله: في قراءة.

(٨) يفتح الحاء والسين لحمزة والكسائي، جعلاه صفة لمصدر محذوف، تقديره: وقولوا للناس قولاً حسناً.

(٩) وحكمته الاستئذاد للسامع وعدم الملل منه، وهو من المحسنات.



وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ  
 اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾  
 ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
 وَإِن يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ وَهُمْ وَهْمٌ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ  
 اِخْرَاجُهُمْ اَفْتَوْهُمْ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ  
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْاٰخِرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ  
 الدُّنْيَا وَنَوْمٍ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَللّٰهُ  
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَسْتَرَوْا الْحَيٰوةَ  
 الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
 بِالرُّسُلِ وَاٰتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَاٰيَدْنَاهُ بُرْجَ  
 الْفُؤَادِ اَفَكُلَّمَا جَاءَكَ رُسُلٌ يَمَّا لَا تَهْوٰى اَنْفُسُكُمْ  
 اَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا  
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: قلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: تريقونها  
 بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: لا يخرج بعضهم  
 بعضاً من داره ﴿ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ﴾: قِيلَ لَكُمْ ذَلِكَ الْمِثَاقُ ﴿وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: على  
 اَنْفُسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ﴾: بقتل  
 بعضهم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: تَظَاهَرُونَ ﴿تَظَاهَرُونَ﴾: فيه  
 إدغام التاء في الأصل في الظاهر، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها<sup>(١)</sup>؛  
 تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ﴾: بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ  
 اَسْرَى﴾: وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿اَسْرَى﴾: ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة:  
 ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾: تنفذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم  
 ﴿وَهُمْ﴾: أي: الشأن<sup>(٤)</sup> ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ اِخْرَاجُهُمْ﴾: متصل بقوله:  
 ﴿تُخْرِجُونَ﴾، والجملة بينهما<sup>(٥)</sup> اعتراض؛ أي: كما حُرِّم ترك الفداء،  
 وكانت قُرَيْظَةُ خَالِفُوا الْأَوْسَ، والنضيرُ الخُزَجِجَ؛ فكان كل فريق يقاتل مع  
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُبْرِئُوا فلوهم، وكانوا إذا شِئِلُوا: لَمْ  
 تَقَاتِلُوهُمْ وَتَفْذَرُوهُمْ؟! قالوا: أُبْرِئُوا بالفداء. قِيلَ: قَاتِلُوا قَاتِلِيَهُمْ؟! فيقولون:  
 حَيَاءُ أَنْ يَشْتَدَلَ حَلْفَاؤُنَا، قال - تعالى -: ﴿اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾  
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾: وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة  
 ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ﴾: هوان وذل ﴿فِي الْحَيٰوةِ  
 الدُّنْيَا﴾: وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية  
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: بالباء  
 والتاء<sup>(٦)</sup>.

[٨٦] ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَسْتَرَوْا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ﴾: بأن اتزوها عليها  
 ﴿فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُنْتَفُونَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ﴾: التوراة ﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
 بِالرُّسُلِ﴾: أي: اتَّبَعْنَاهُمْ رُسُلًا فِي لُحُوفِ رُسُلِ ﴿وَاٰتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ  
 الْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَاٰيَدْنَاهُ﴾  
 قُوِيْنَاهُ ﴿بُرْجَ الْفُؤَادِ﴾: من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة  
 «جبريل» لطهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿اَفَكُلَّمَا جَاءَكَ رُسُلٌ  
 يَمَّا لَا تَهْوٰى﴾: تحب ﴿اَنْفُسُكُمْ﴾: من الحق ﴿اَسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم عن اتباعه،  
 جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمرد به التوبيخ ﴿فَقَرِيقًا﴾: منهم  
 ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: المضارع لحكاية الحال الماضية؛  
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: لئلي استهزاء: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع أغلف؛ أي: مغشاة

بأغطية؛ فلا نعي ما نقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ لِلْاِغْصَابِ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿لَعَنَهُمُ اللّٰهُ﴾  
 أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾: وليس عدم قبولهم لخلل  
 في قلوبهم<sup>(٩)</sup> ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل  
 جدًا.

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
- (٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.
- (٣) لحزمة.
- (٤) لحزمة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (فقدوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿اَسْرَى﴾: بالإمالة مع ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ فقط، و﴿اَسْرَى﴾: بالإمالة مع غيره.
- (٥) ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾: وهو ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾.
- (٦) ويقال: ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردة. ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.
- (٧) الجملة هي قوله: ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ﴾: وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المطلق؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآية، والمطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَقْتُلُونَ﴾؛ لأنها حال.
- (٨) أي: بالباء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).
- (٩) أي: الإبطالي.
- (٩) أي: كما ادعوا من أنها مغطاة، فهذا هو الخلل.

حسدًا وخوفًا على الرياسة، وجواب «لَا» الأولى دَلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئًا؛ تمييز لفاعل «بَسَّ». والخصوص بالذم «أَنْ يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿تَبَيَّنَّا﴾ مفعول له ﴿لَهُمْ يَكْفُرُوا﴾ أي: حسدًا على ﴿أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادَةٍ فَبَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتذكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع النوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي النوراة، قال - تعالى -: ﴿رَبِّكُمُورُ﴾ الواو للحال ﴿يَمَّا وَرَاءَهُمْ﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿قُلْ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالنوراة، وقد بُهِتُمْ فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهَا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى المقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذ.

[٩٣] ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في النوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الْطُورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ﴾ أي خالطوا حُبَّهُ قُلُوبَهُمْ؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿يَسْمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِمْ إِسْنَتَكُمْ﴾ بالنوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم؛ المعنى: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالنوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ لِمَا سَمِعْتُمْ وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من النوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) بالتخفيف فراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوْذِئُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ إِذْ نَبَيْتَ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا ابْتَدَاهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

عِنْدَ اللَّهِ ﴿١١﴾ مُحَمَّد ﷺ ﴿١٢﴾ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ ﴿١٣﴾ أي: التوراة ﴿١٤﴾ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿١٥﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿١٦﴾ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله.

[٩٤] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إِنْ كَانَتْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ ﴿٩٥﴾ أي: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾: خاصَّة ﴿مِنَ دُونِ النَّاسِ﴾: كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٦﴾ تعلق بتمنيه<sup>(١)</sup> الشيطان، على أن الأول قيد في الثاني<sup>(٢)</sup>؛ أي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهُ لَكُمْ، وَمِنْ كَانَتْ لَهُ يُوْثِرُهَا، وَالْمَوْصِلُ إِلَيْهَا الْمَوْتُ، فَتَمَنَّوْهُ. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الكافرين فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾: لَمْ يَفْزَحْ ﴿النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾: أَحْرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: المنكرين للبعث عليها؛ لعلهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يُوْذِئُهُمْ﴾: يَتَمَنَّى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: «لو» مصدرية؛ بمعنى: «أد»؛ وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ﴾: مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فاعل «مزحجه»؛ أي: تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: بالياء والتاء<sup>(٣)</sup>؛ فيجازيهم. وسأل ابن صوريا<sup>(٤)</sup> النبي أو عمر عن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: «جبريل»؛ فقال: هو عدونا، يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآتانا؛ لأنه يأتي بالحسب والسلم<sup>(٥)</sup>. فَتَقَرَّلَ: [٩٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴿٩٨﴾ فليمت غيظًا ﴿فَلَيْتَهُ تَزَلَّهُ﴾: أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿اللَّهُ مُصَدِّقًا لِّمَا يَتْلُو يَدِيهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾: بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>. [٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾: بكسر الجيم وفتحها، بلا همز وبه، بياء ودونها<sup>(٧)</sup> ﴿وَمِيكَالَ﴾: عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام<sup>(٨)</sup>، وفي قراءة: «ميكائيل» بهمزة وياء<sup>(٩)</sup>، وفي أخرى بلا ياء<sup>(١٠)</sup> ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: أوقعه موقع «لهم» بيانا لحالهم. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿إِذْ نَبَيْتَ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: ابن صوريا للنبي: ما جئنا بشيء<sup>(١١)</sup> ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: كفروا بها. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا﴾: الله ﴿عَهْدًا﴾: على الإيمان بالنبي إِنْ خَرَجَ، أَوْ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَعَاوَنُوا عَلَيْهِ الْمَشْرِكِينَ ﴿نَبَذَهُمْ﴾: طرده ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: بنقضه، جواب «كلما»، وهو محل الاستفهام الإنكاري؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: [١٠٢]

(٥) ما حاه في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصاية من اليهود نبي الله ﷺ يوما فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمون إلا نبي. . . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن محدثنا؛ من رايك من الملائكة فعندنا نجتمعك أو نفارقك.

قال: «فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندنا نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعك وصدقك. قال: «فما يمتنعكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فعند ذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَلَيْتَهُ تَزَلَّهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إلى قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فعند ذلك ﴿يَأْتُوهُمْ يُنْشِئُ عَلَى غُصَصٍ﴾ الآية. المسند (٢٧٨/١). (إسناده صحيح) شاكر (٢٥١٤).

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق بتمنيه بالشرطين؛ لأن «كَلَّمَآ» هو جواب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) خالصه: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيده في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبيتان، وليس كذلك، بل التاء عشرية قرأ بها يعقوب، واحتلف فيما زاد عن السبعة؛ هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنعان؟ والمحمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جبريل وجبريل وجبريل، لأن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جبريل نافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والكنة: شرفها وعظمتها، وكون النزاع فيها.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١٨١/١)].

يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف <sup>(٣)</sup> ﴿الْفَيْطِلِينَ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ أَنَّهُ لَأَسَ السِّحْرُ ﴿كُفَرُوا﴾ ﴿وَمَا﴾ أنزل على الْمَلَائِكَةِ ﴿أَيُّ﴾ أَلْهَامًا من السحر <sup>(٤)</sup>، وفُرِيَّ بكسر اللام <sup>(٥)</sup>، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ﴾ بليَّة من الله إلى الناس؛ ليمتحنهم بتعليمه؛ فمن تعلَّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه. فإن أتى إلا التعليم علمناه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَزَوْجِهِ﴾ بآء يفتض كل إلى الآخر ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي السحرة ﴿يَصْطَرِّينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ولا ينفعهم وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلَّمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَن﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ﴿وَمِنْ﴾ موصولة ﴿أَشْرَنَهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَيْسَ﴾ شيئا ﴿شَكْرًا﴾ باعوا ﴿بِهِ﴾ أنفسهم ﴿أَيُّ﴾ الشارين: أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب ﴿لو﴾ محذوف؛ أي: لأثيبوا؛ ذل عليه ﴿لَمَنُوبَةً﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسمة ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي: ﴿رِعَاكَ﴾ أمر من المراجعة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة <sup>(٦)</sup>، فشرُّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي؛ فنهى المؤمنين عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبول ﴿وَلْيَكُنْ عَذَابُ آلِهَةٍ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و﴿من﴾ للبيان ﴿أَن يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ وحى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسداً لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَائِمٍ وَمَا كَفَرَ سَائِمٌ وَلَا كَنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السِّحْرَ وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَزَوْجِهِ وَمَا لَهُمْ بِيَضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنَ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْهُ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَنُوبَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتَ وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُزِيلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكَ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ عطف على ﴿بهذا﴾ <sup>(١)</sup> ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تلت الشَّيَاطِينُ عَلَى عهد ﴿مُلْكٍ سَائِمٍ﴾ من السحر، وكانت ذفنته تحت كرسيه لما نزع منكبه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تغلم الغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفعها، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم <sup>(٢)</sup>. قال - تعالى - تبرئة لسليمان وردًا على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحرًا -: ﴿وَمَا كَفَرَ سَائِمٌ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جواباً؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعة الرسول ﷺ، فالأحسن عطفه على جملة: ﴿وَلَكِنَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه لتفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجلبه منها من سحر ونحوه ظاهرها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْفَيْطِلِينَ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأثيري: وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحق، والجبل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عربية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتى بجلاله - سبحانه -، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة بخلاف الظاهر.

ولما طعن الكفر في النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ويهني عنه غداً، نزل: [١٠٦] ﴿مَا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بضم النون من أنسخ؛ أي: نأمر أو جبرين بنسخها ﴿أَوْ تَنْسَأَهَا﴾ تؤخرها؛ فلا تنزل حكمها، وترفع تلاوتها؛ أو تؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز<sup>(٢)</sup> من النسيان<sup>(٣)</sup>؛ أي: ننسيتها؛ أي: نمحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ يَسْئَلُكُمْ فِي التَّكْلِيفِ وَالثَّوَابِ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا تَصِيرُ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أناكم. ونزل لما سألهم أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذبيحة<sup>(٤)</sup>: [١٠٨] ﴿أَلَمْ يَأْتِ بِكُمُ الْكِتَابِ﴾ بَلْ أَتَى بِكُمُ الْكِتَابُ أَنْ تَشْفَعُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى. أي: سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم: ﴿إِنَّا اللَّهُ جَهَنَّمُ﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذه بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفًا حَسَكًا﴾ مفعول له، كأنها ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقَّ﴾ في شأن النبي ﴿فَاعْفُوا﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقِيمُوا لِلنَّفْسِ مِنَ خَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿وَتَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ يَبْصِرُ فيجازيكم به.

[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هَازِبٍ ﴿أَوْ نَصْرِيًّا﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَكِنَّ الْقَوْلَ﴾ آمَانِيَّتُهُمْ ﴿شَهَوَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [١١٢] ﴿بَلَىٰ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد لأمره، وخصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فغيره أُولَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَتْرُفٌ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: نواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

(١) لاين عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿نَسِيتُهَا﴾ لاناع وعاصم وحمره والكسائي، والقراءة المضرة (تَنَسَّاهَا) لاين كثير وأبي عمرو.

(٣) الأولي أن يقول: من الإنشاء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إزال كتاب من السماء؛ لأن لسياق في محاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

﴿مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾  
 ﴿أَلَمْ تَرِيدُوا أَنْ تُسَلِّمُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَلَّمُوا مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾  
 ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفًا حَسَكًا﴾  
 ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ فَإِنْ لَمْ يَلِدْ وَلًا يَتَّبِعْهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ لِلَّذِينَ لَا بَلَاءَ لَهُمْ﴾  
 ﴿وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
 ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾  
 ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى  
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ  
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ  
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْتَعَى فِي خَرَابِهَا  
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي  
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ  
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلِيمُ ﴿١١٥﴾  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبَتُونَ ﴿١١٦﴾ يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ  
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ  
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت  
بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت بموسى  
﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود  
تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال  
﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المشركون من

العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك؛ أي: قالوا لكل ذي دين:  
ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾  
من أمر الدين؛ فيدخل الحق الجنة والمُفِطِل النار: [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي:  
لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح  
﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا  
بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت  
﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي:  
أخيفهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد أمنًا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل  
والسبي والحرية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل لما طعن اليهود  
في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الرحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥]  
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (١) أي: الأرض كلها؛ لأنهما تاجبتاهما ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾  
وجوهكم في الصلاة بأمرة ﴿فَشَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٢) قبلته التي رضىها (٣)  
﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عِلْمُهُ﴾ بتدبير خلقه (٤).  
[١١٦] ﴿وَقَالُوا﴾ بواو وبدونها (٥)، اليهود والنصارى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ  
الْمَلَائِكَةَ بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال: تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها  
له عنه ﴿بَلْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ وَلَا خَلْقًا وَعِيدًا﴾ والملكية تنافي  
الولادة، وعبر بـ«ما» تعليلًا لما لا يعقل ﴿كُلُّ لَّهُ قَلْبَتُونَ﴾ مطيعون، كل بما يُراد  
منه، وفي تغليب العاقل. [١١٧] ﴿يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهم لا  
على مثال سيقن ﴿وَلِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي: إيجاده ﴿فَأَيْنَمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة (٦) بالنصب (٧) جوابًا للأمر.

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفار مكة (٨) للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾  
هنا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بأنك رسول الله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ما اقترحهنا على  
صدقك ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من كفار الأمم  
الماضية أنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعت وتطلب الآيات ﴿تَشَابَهَتْ  
قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقترح آية معها تعنت. [١١٩]  
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ  
بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ بالنار ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار؛  
أي: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم «تسأل» نهياً (٩).

(٥) ما حاه في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا قَدْ بَيَّنَّا وَجْهَهُ﴾  
الله ﷻ مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤) جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. وأخرج الترمذي: عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي  
ﷺ في سفره في ليلة فلم ندر أين القبلة، ففصل كل رجل منا على حiale، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا قَدْ بَيَّنَّا وَجْهَهُ﴾ الله ﷻ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب  
(٣) سورة البقرة. (حسن) صحيح الترمذي (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول.

(٣) وفيه إثبات لوجه الله - تعالى - على الوجه اللاتقي به - تعالى -، وإن له وجهًا لا تشبهه الوجوه.

(٤) وهذا قول مجاهد وجماعة الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضًا فمن المعلوم أن قلة الله التي  
نصبت لها عبادة هي قبة واحدة... فكيف يقال: أي وجهه وجهها واستقبلتها فهي قبة الله...؟ وحسن الآية على استقبال المسافر في التنقل، وعلى الرحلة، وعلى حال الغيم ونحوه بعد جئنا عن  
ظاهر الآية وإطلاقاتها وعمومها وما قصد بها... الآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه  
محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ (البقرة: ١١٥)، فيها بذلك معنى ملكه لا يهيم، ثم ذكر عظمته - سبحانه - وأنه أكبر وأعظم من كل  
شيء؛ فأينما ولى المبد وجهه فم وجه الله، ثم ختم بأسس دالين على السعة والإحاطة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ (البقرة: ٢١٥)، وأيضًا هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد  
على من جعل له ولذا، فقال: تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ﴾ الآية (البقرة: ١١٦)، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... ما لقم  
مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقلنا عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] صرف. ففسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه.

(٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمرة بعد فاء السبيعية.

(٨) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وهبل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة.

(٩) مع فتح التاء النافع.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَنْذَكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَلِتَذُكَّرُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾

أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلَى خلاه<sup>(١)</sup> ﴿١٢١﴾ وَأَنْزَلْنَا أَمْثَلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴿١٢٢﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٢٤﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿١٢٥﴾ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَلَمٌ لَّا يَشْفَعُ لَهُمْ﴾ ﴿١٢٦﴾ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٢٧﴾ في الدنيا بالرزق ﴿١٢٨﴾ قَلِيلًا مِدَّةَ حَيَاتِهِ ﴿١٢٩﴾ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ، أُلْجِئَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿١٣٠﴾ إِلَى عَذَابِ النَّارِ ﴿١٣١﴾ فلا يجد عنها محيصًا ﴿١٣٢﴾ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٣﴾ المرجع هي.

﴿١٢٠﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٢١﴾ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴿١٢٢﴾ وَمَا عَدَاهُ ضَلَالٌ ﴿١٢٣﴾ وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٢٤﴾ التي يدعوها إليها فَوْضًا<sup>(١)</sup> ﴿١٢٥﴾ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴿١٢٧﴾ يحفظك ﴿١٢٨﴾ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٩﴾ يمنعك منه.

﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴿١٢٢﴾ مبتدأ ﴿١٢٣﴾ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴿١٢٤﴾ أي؛ يقرءونه كما أنزل، والجملة حال، و«حق» نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ﴿١٢٥﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿١٢٦﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ﴿١٢٧﴾ أي؛ بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿١٢٨﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٩﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

﴿١٢٢﴾ يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَنْذَكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ تقدم مثله.

﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا ﴿١٢٤﴾ خافوا ﴿١٢٥﴾ يَوْمًا لَا تَجْزِي ﴿١٢٦﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْئًا﴾ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴿١١٢٧﴾ فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ﴾ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١١٢٨﴾ يُنْقَوْنَ من عذاب الله.

﴿١٢٤﴾ وَاتَّقُوا ﴿١٢٥﴾ إِذْ ابْتَلَى ﴿١٢٦﴾ اخْتَبَرَ ﴿١٢٧﴾ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٨﴾ وفي قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١٢٩﴾ رَّبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴿١٣٠﴾ بأوامر وتواو كلفه بها؛ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، ورفق الشعر، وقلم الإظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿١٣١﴾ فَأَتَمَّهُنَّ ﴿١٣٢﴾ أَدَاهُنَّ تامات ﴿١٣٣﴾ قَالَ - تَعَالَى - لَه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ﴿١٣٤﴾ قدوة في الدين ﴿١٣٥﴾ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴿١٣٦﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿١٣٧﴾ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ﴿١٣٨﴾ بالإمامة ﴿١٣٩﴾ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ الكفرة منكم؛ ذل على أنه ينال غير الظالم ﴿١٤١﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ ﴿١٤٢﴾ الكعبة ﴿١٤٣﴾ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴿١٤٤﴾ مرجعًا يشوبون إليه من كل جانب ﴿١٤٥﴾ وَأَمْنَا ﴿١٤٦﴾ مأمنًا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان

الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجمه ﴿١٤٧﴾ وَأَقْبَدُوا ﴿١٤٨﴾ أيها الناس ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٥٠﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿١٥١﴾ مُصَلًّى ﴿١٥٢﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الحاء خبر ﴿١٥٣﴾ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴿١٥٤﴾ أمرناهما ﴿١٥٥﴾ أَنْ ﴿١٥٦﴾ أي بأن ﴿١٥٧﴾ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴿١٥٨﴾ من الأوثان ﴿١٥٩﴾ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ﴿١٦٠﴾ المقيمين فيه ﴿١٦١﴾ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٦٢﴾ جمع راكم وساجد، المصلين.

﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴿١٢٧﴾ بَلَدًا آمِنًا ﴿١٢٨﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه؛ فجعله حرماً، لا يُسْفَك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه

(١) أي: على فرض وقوعه.

(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأحفش. وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر في هذه السورة.

(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.

(٤) أي: حبشته.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْفُلَّيْنِ﴾ ﴿وَأَرَانَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَهَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجتنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألناه التوبة مع عصمتها تواضعاً وتعليقاً لذريتهما.

[١٢٩] ﴿وَرَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه<sup>(١)</sup>.

[١٣٠] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبْ عَنْ اللَّهِ﴾ فتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسؤال والخلة ﴿وَأَيُّهُ﴾ في الآخرة ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٣١] ﴿وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ انقاد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَتَسْلِمُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَا﴾ بالملأه ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ نبيه ويعقوب، نبيه قال: ﴿يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْأَلَكَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصافدة الموت.

ولما قال اليهود للنبي: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى نبيه باليهودية؛ نزل: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله<sup>(٣)</sup> ﴿قَالَ لِسِنِّي مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحق عُدَّ إسماعيل من الآباء تغليباً، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهًا وَحِيدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار<sup>(٤)</sup>؛ أي: لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب ونبيهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جراؤه، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَكَ وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَتَسْلِمُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ أَسْأَلَكَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحِيدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ﴾ إبراهيم القواعد ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدران ﴿وَمِنْ آلِيبَيْتٍ﴾ بنيه، متعلق بـ"يرفع" ﴿وَيُسَمِّعُ﴾ عطف على إبراهيم، يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءً ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ مفادين ﴿وَلَكَ﴾ و﴿اجعل﴾ من ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ و﴿من﴾ للتبعيض، وأنتي به؛

(١) الأولى: التعميم في تطلق الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجرائه، وإرساله رسله، وإنزاله كيبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصراً فيه الصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) ثنايف وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر بها وبإهل، وتارة تفسر بهل وحدها.





يا أمة محمد ﴿أَمَّا وَسَطًا﴾ خيارًا عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة: أن رسلمهم بلغنهم ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صِغِيرًا لَكَ الْآنَ﴾ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أُمِرَ باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿مِمَّنْ يَتَّقِلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما كانت: أي: التولية إليها ﴿لِكِبْرَةٍ﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَكَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس<sup>(١)</sup>؛ بل ينيحكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَالْكَائِبِ﴾ المؤمنين ﴿لَزَوْا وَفُتِّجِعُوا﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرافة شدة الرحمة، وقَدَّمَ الأبلغ للفاصلة<sup>(٣)</sup>.

[١٤٤] ﴿فَلَنُؤْيِسَنَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلِلَّهِ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٥﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِئَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةٍ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[١٤٥] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبله ﴿مَّا تَتَّبِعُوا﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿فَلَنُؤْيِسَنَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِئَتِهِمْ﴾ قَطْعَ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةٍ بَعْضٌ﴾ أي: اليهود قبله النصارى، وبالعكس ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَسْلَافِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهن فوضاً ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَتَّقِلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٧﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤْيِسَنَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلِلَّهِ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِئَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةٍ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ الْجُهَالُ﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿وَالْيَهُودُ وَالْمَشْرِكِينَ﴾ مَا وَلَّاهُمْ أَي شَيْءٍ صَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإتيان بالسبب الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيُأْمَرُ بالتوجه إلى أي جهة شَاءَ لَا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم<sup>(١)</sup>؛ ذَلْ عَلَى هَذَا: [١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرجه البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ - شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوْجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في تفسيره من حديث البراء (٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم تحرير، ولا يقال: تحرير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، كغافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لَا رُؤْيَا لله، وهو خطاب تودد.

(٦) لابن عامر، وحزمه، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ  
هُوَ مُوَلِّيْهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَاتِيكُمْ اللَّهُ  
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ  
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَهُ وَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ  
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ  
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ  
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ  
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو  
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي آذِكْرُكُمْ  
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ أَي: محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته؛ كما أعرف  
ابني، ومعرفتي لحمد أشد ﴿وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿١٤٧﴾ الْحَقُّ كائنًا ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا  
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز. ﴿١٤٨﴾  
﴿لِكُلِّ وَجْهٍ﴾ من الأمم ﴿وَجْهَةٌ﴾ قبله ﴿هُوَ مُوَلِّيْهَا﴾ وجهه في  
صلاته، وفي فراءة<sup>(١)</sup>: ﴿مُوَلِّيْهَا﴾ فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ ﴿بَادِرُوا إِلَى الطَّلَاعَاتِ  
وَقَبُولِهَا﴾ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛  
فِيَجْازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَنَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ لِسَفَرٍ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء<sup>(٢)</sup>،  
تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿١٥٠﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا  
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ كَرِهَ: للتأكيد<sup>(٣)</sup> ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾  
اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لستغني  
مجادلتهم لكم من قول اليهود: يبعد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:  
يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالنعاد؛ فإنهم  
يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آبائهم. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا  
يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في  
التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامثال أمري ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على ﴿وَلَا  
يَكُونُ﴾ يَمْنَعِي عَلَيْكُمْ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾  
إلى الحق.

﴿١٥١﴾ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ﴿أَنْتُمْ﴾؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالنا  
﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن  
﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن  
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٥٢﴾ ﴿فَأَذْكُرُوا لِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: مغفلة  
أجازكم. وفي الحديث عن الله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ  
ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَلِيَّةٍ»<sup>(٤)</sup> ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي  
بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

﴿١٥٣﴾ ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على  
الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خُصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لتكررها وَعَظَمَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ  
الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونقلاً؛ ولكن السنة حصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغزاة الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

يَقُولُ: «مَلَكًا وَعَبِيدًا، يَفْعَلُ بِنَا مَا يَشَاءُ» وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٤﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَجَازِينَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا» (١)، وَفِيهِ أَنْ مُصَابِحَ النَّبِيِّ ﷺ طُفِقَ؛ فَاسْتَرْجَعَ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّمَا هَذَا مُصَابِحٌ!! فَقَالَ: «كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» (٢) [رواه أبو داود في مراسيله].

[١٥٥] «أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوْتُ» مَغْفِرَةٌ «مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً» نِعْمَةٌ (٣) «وَأَوَلَيْكَ هُمْ أَتَمُّنُونَ» إِلَى الصَّوَابِ.

[١٥٨] «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ» جَبَلَانِ بِحَكَّةٍ «مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» أَعْلَامُ دِينِهِ، جَمَعَ شَعِيرَةً «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ» أَي: تَلَقَّيَسَ بِالْحَجِّ أَوْ الْعَمَرَةِ، وَأَصْلُهُمَا الْقَصْدُ وَالزِّيَارَةُ «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» إِذْ عَلَيْهِ «أَنْ يَطُوفَ» فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ «بِهِمَا» بَأَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا سَبْعًا، نَزَلَتْ لِمَا كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا، وَعَلَيْهِمَا صِمَامٌ يَمَسُّحُونَهُمَا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ السَّعْيَ غَيْرُ فَرَضٍ؛ لِمَا أَفَادَهُ رَفْعُ الْإِثْمِ مِنَ التَّخْيِيرِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ: رُكْنٌ، وَتَحْتَ ﷺ فَرِيضَتُهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ» (٤) [رواه البيهقي وغيره]، وَقَالَ: «الْبَدْوُ إِذَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» (٥) يَغْيِي الصَّفَا [رواه مسلم] «وَمَنْ طَفَعَ» وَفِي قِرَاءَةٍ (٦): «بِالتَّحْنِةِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ مَجْزُومًا، وَفِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِيهَا» حَرْفًا «أَي: بِخَيْرٍ» أَي: عَمَلٌ مَا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ مِنْ طَوَافٍ وَغَيْرِهِ «وَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ» لِعَمَلِهِ بِالْإِثَابَةِ عَلَيْهِ «عَلَيْهِ» بِهِ (٧).

وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ: [١٥٩] «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» النَّاسَ «مَّا أُنْزِلَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْفُرْقَانِ» كَاتِبَةُ الرَّجْمِ وَنَعْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ «مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ» التَّوْرَةِ «أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ» يَبْعِدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ «وَيُلْعَنُهُمُ الْمَلَكُوتُ» الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَوْ كُلُّ شَيْءٍ بِالِدَعَاءِ عَلَيْهِمُ بِاللَّعْنَةِ.

[١٦٠] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ «وَأَسْلَمُوا» عَمَلُهُمْ «وَبَيَّنَّا» مَا كَتَبُوا «فَأَوَلَيْكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ» أَقْبَلَ تَوْبَهُمْ «وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» بِالْمُؤْمِنِينَ. [١٦١] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ» حَالُ «أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَي: هُمْ مُسْتَحَقُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، «وَالنَّاسِ» قِيلَ: غَائِمٌ. وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ. [١٦٢] «خَالِدِينَ فِيهَا» أَي: اللَّعْنَةُ وَالنَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا «لَا يَصْفَقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» طَرَفَةٌ عَيْنٌ «وَلَا هُمْ يُطْفَرُونَ» يُقْبَلُونَ تَوْبَةً أَوْ لِعَذْرَةٍ. وَنَزَلَ: «قَالُوا: صِفْ لَنَا ذَنْكَ» (٨): «وَاللَّهُكَ» الْمُسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ «إِلَهُ» وَجِدُّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ؛ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» هُوَ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ». وَطَلَبُوا آيَةً عَلَى ذَلِكَ؛ فَتَرَّلَ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بَشِيرٌ وَمِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَّتِ وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوْتُ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً وَأَوَلَيْكَ هُمْ أَتَمُّنُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَلَيُلْعَنُهُمُ الْمَلَكُوتُ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَلَيْكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُطْفَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَإِلَهُ الْهُدَى وَالْكَرْبِ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾

[١٥٤] «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» هُمْ «أَمُوتَ بَلْ» هُمْ «أَحْيَاءٌ» أَرْوَاحُهُمْ فِي خَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ تَشْرُفُ فِي الْحَيَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لِحَدِيثٍ بِذَلِكَ (١) «وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» تَعْلَمُونَ مَا هُمْ فِيهِ. [١٥٥] «وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بَشِيرٌ وَمِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ» لَلْعَدُوِّ «وَالْجُوعِ» الْقَحْطُ «وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ» بِالْهَلَاكِ «وَالْأَنْفُسِ» بِالْقَتْلِ وَالْمَوْتِ وَالْأَمْرَاضِ «وَالْتَّمَرَّتِ» بِالْجَوَاحِشِ؛ أَي: لِنَخْبِرْكُمْ؛ فَتَنْظُرُ أَنْ تَصْبِرُونَ أَمْ لَا؟ «وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ» عَلَى الْبَلَاءِ بِالْحُجَّةِ. هُمْ [١٥٦] «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ» بَلَاءٌ «قَالُوا إِنَّا

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (١٥٨): أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ قَالَ لَزَهْرِي قَالَ عُرْوَةُ: سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ لَهَا: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلَيَّ أَحَدٌ جَنَاحٌ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ قَالَتْ: بَشَرٌ مَا قُلْتُ يَا ابْنَ أَخْتِي، إِنْ هَذَا لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَلَّيْتُهَا عَلَيْهِ كَانَتْ لَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّا أُنْزِلَتْ فِي الْأَصْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَسْلَمُوا يَهْلُونَ لِمَنَا الطَّاعِيَةَ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الشُّتُلِ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ يَحْرَجَ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَجَرَّعُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» آيَةً، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا. ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: إِنْ هَذَا لَعَلِمَ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّاسَ - إِلَّا مَنْ ذَكَرْتُ عَائِشَةَ مِنْهَا - كَانُوا يَهْلُ بِمَنَاةَ - كَانُوا يَطُوفُونَ كُلِّهِمَا بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ فِي الْقُرْآنِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» آيَةً. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَانْصَحَ هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا. الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ الْحَجِّ (٢٥) بَابُ (٧٩) وَجُوبُ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

(١) وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَخْوَافِ طُيُورٍ خُضِرَ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْحَقِّ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرَاتِهَا، وَتَأْوِي إِلَى فَنَادِيلٍ مُتَعَلِّقَةٍ فِي ظِلِّ الْقُرْشِ». مُسْلِمٌ (١٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ سَعْدٍ.  
(٢) مُسْلِمٌ (٩١٨) بِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ. (٣) ضَعْفُ الْأَبْيَانِ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ (٤٢٣٣). (٤) وَهَذَا تَأْوِيلٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ فِي الصِّفَاتِ، وَالصَّوَابُ إِنْثَاتُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَغَيْرُهَا. الثَّابِتُ بِالْكَتَابِ وَالسَّنَةِ. لِلَّهِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِي بِهِ شَيْخَانَهُ، وَمِنْ لَازِمِهِ إِتْعَامُهُ عَلَى مَنْ يَرْجِمُ. (٥) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٤٧٤) مِنْ حَدِيثِ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي تَرْجَاءَ، وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٩٦٨). (٦) ضَعِيفٌ بِهَذَا اللَّفْظُ بَصِغَةُ الْأَمْرِ، وَصَحَّحَ لَفْظُ «نَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» وَبَلَفْظُ «أَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (مُسْلِمٌ ١٢١٨).  
(٧) حُمْزَةُ وَالْكَسْبَانِي. (٨) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسْطِ (٢٤٥/١) مِنْ رَوَايَةِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهُوَ مَوْضُوعٌ كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ الِاسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٩٠/١).

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والحيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿يَبَا يَنْعُ﴾ النَّاسُ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَخْسَا بِهِ الْأَرْضُ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبْسُهَا ﴿وَبَرَءَ﴾ فُوقَ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاكِبٍ﴾ لأنهم يسمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَنَضْرِي﴾ أَلَيْتَ بِهَا جنوباً وشمالاً، حارةً وباردةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شاء الله ﴿يَبْنَ﴾ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بلا علاقة ﴿لَا يَكُنِي﴾ دالات على وحدانيته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أنداداً﴾ أصناماً ﴿يُخَوِّدُهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كُمُوبَ اللَّهِ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ﴾ <sup>(١)</sup> تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول <sup>(٢)</sup>؛ يصرون ﴿الْعَذَابِ﴾ لرأيت أمراً عظيماً، و﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِهِمْ جَمِيعاً﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع <sup>(٣)</sup>، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، وأن <sup>(٤)</sup> وما بعدها <sup>(٥)</sup> سدت مسد المفعولين <sup>(٦)</sup>، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معابنتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أنداداً.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿نَبَرَأَ﴾ ﴿بِهِمْ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابَ﴾ الوُصْل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كُنَّا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكْبَرُ﴾ مِنَّهُمْ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَكْبَرُوا مِنَّا﴾ اليوم، «لو» للتمني، و«نكبر» جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيفة ﴿حَسَرَتِ﴾ حال، ﴿نَدَامَاتٍ﴾ <sup>(٨)</sup> عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَالْخَبَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا  
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَضْرِيْفُ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَمِنَ النَّاسِ  
مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ  
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ  
إِذْ نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَأَوْا الْعَذَابَ  
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ  
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا إِلَيْنَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ  
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلوْا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ  
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

ونزل فيمن حرم السوابب ونحوها: [١٦٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّمَا فِي  
الْأَرْضِ حَلَالًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُشْتَبِلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين  
العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعاً ﴿وَأَن  
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (يرى).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (يَرُونَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يصرون، وعلى الثانية: يَحْضَرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو وأن الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما قرعها موقع المفعولين لعلهم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع ندامة.

وَذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهَ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباحاث.  
قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق ١٩ والهمزة للإنكار.  
[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾ بصوت ﴿يَا﴾ (١) لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ﴿أَي:﴾ صوتاً،

وَلَا يَفْهَمُ معناه: أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهائم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (٢)، هم ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ﴾ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿الموعظة﴾.

[١٧٢] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴿عَلَى مَا أُحِلَّ لَكُمْ﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا

ما بعدها؛ وهي: مَا لَمْ يَذْكُرْ شَرْعًا، وألحق بها بالسنة ما أُيِّنَ من حيٍّ؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالْدَّمَ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ شُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره يُنْبَغُ لَهُ ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾

يُغَيَّرُ اللَّهُ ﴿أَي:﴾ ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه

عند الذبح لأنهم ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: ألبَّاهُ الضرورة إلى أكل شيء مما

ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرُ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عليهم

بقطع الطريق (٣) ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأوليائه

﴿رَجِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي،

ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كالأبي والمكاس (٤)؛ فلا يحل لهم أكل شيء

من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتغل

على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ﴾ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾،

يأخذونه بدلًا من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يظهريهم من دنس الذنوب

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى﴾ أخذوها بدلًا في الدنيا

﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكنوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ

عَلَى النَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم

موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأي صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿يَا أَيُّهَا

أَنْتُمْ﴾ اللَّهُ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿مَتَّعٌ بِسَرَرٍ﴾؛ فاختلَفُوا فيه؛ حيث

آمَنُوا ببعضه، وكفَرُوا ببعضه بكنمته ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك

- وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر.

وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن

الحق.

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضًا -: لئلا مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالعاقد على البهائم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرُ بَاغٍ﴾ أي: في الميتة. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما ألبس له اضطراء؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الآتي: العبد الهارب من سيده، و «المكاس»: «العكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة طُلْمًا.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿يَقِلُّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ زَعَمُوا ذَلِكَ ﴿وَلَكِنْ أَلْبَسَ﴾ أَي: ذَا الْبَرِّ، وَفَرَّقَ<sup>(١)</sup> بَفَتْحِ الْبَاءِ أَي: الْبَارِ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَالْمَتَّبِعَةِ وَالْكِتَابِ أَي: الْكُتُبِ ﴿وَالْيَتِيمَ﴾ وَالْأَتَمَّ وَالْمَالَ عَلَىٰ ﴿حَبِيبِهِ﴾ لَهُ ﴿ذَوِي الشَّرَفِ﴾ الْقَرَابَةِ ﴿وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ الطَّالِبِينَ ﴿وَفِي﴾ فَكُ ﴿الرِّقَابِ﴾ الْمَكَاتِينِ وَالْأَسْرَى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ، وَمَا قَبْلَهُ فِي التَّطَوُّعِ ﴿وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهُ أَوْ النَّاسَ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ<sup>(٢)</sup> ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالضَّرَرَةِ وَالْمَرَضِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ وَفِي الْقَاتِلِينَ شِدَّةَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُوصَفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ أَوْ ادَّعَا الْبِرَّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اللَّهُ.

[١٧٨] ﴿تَأْتِيهِمُ النَّيْمَةُ﴾ أَمَّا كَيْتُ ﴿فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصَ﴾ الْمَائِلَةَ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وَصَفًا<sup>(٣)</sup> وَرِعَالًا<sup>(٤)</sup> ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ يُقْتَلُ بِالْمُتَّقِينَ وَلَا يُقْتَلُ بِالْعَبِيدِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبِيدِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبِيدِ وَالْأَتَمُّ بِالْأَتَمِّ وَتَبَيَّنَتِ الشُّبُهَةُ أَنَّ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِهَا<sup>(٥)</sup>، وَأَنَّهُ يُغْتَبَرُ الْمَائِلَةُ فِي الدِّينِ؛ فَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ وَلَوْ عَبْدًا بِكَافِرٍ وَلَوْ حُرًّا<sup>(٦)</sup> ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ لَهُ مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴿مِنْ ذِمَّةٍ﴾ أَيْ: أَجْبَةٍ الْمُقْتُولِ ﴿مَتًى﴾ بِأَنْ تَرَكَ الْقَصَاصَ مِنْهُ، وَتَكْرِيحُ ﴿مَتًى﴾ يُفِيدُ سَقُوطَ الْقَصَاصِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهِ<sup>(٧)</sup> وَمِنْ بَعْضِ الْوَرَقَةِ، وَفِي ذِكْرِ ﴿أَجْبَةٍ﴾ تَعَلُّقُ<sup>(٨)</sup> ذَاغٍ إِلَى الْعَفْوِ، وَإِبْدَانُ أَنَّ الْقَتْلَ لَا يَقْطَعُ أَخُوهُ الْإِيْمَانَ<sup>(٩)</sup>، وَ﴿مَتًى﴾ مُبْتَدَأٌ شَرْطِيٌّ أَوْ مُوَصُولَةٌ، وَالْخَيْرُ: ﴿فَالْيَتِيمَ﴾ أَي: فَعَلَى الْعَافِي اتِّبَاعُ لِلْقَاتِلِ بِالْمَعْرُوفِ ﴿بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما، وهو أحد قولَي الشافعي، والثاني: الواجب القصاص، والدية بدل عنه؛ فلو عفا ولم يسهما فلا شيء ورجع﴾ عَلَى الْقَاتِلِ ﴿أَدَانَةً﴾ الدِّيةَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَي: الْعَافِي؛ وَهُوَ الْوَارِثُ ﴿يُخَاسِنُ﴾ بِلَا مَطْلٍ وَلَا بَخْسٍ ﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ جَوَازِ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ عَلَى الدِّيةِ ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تَسْهِيلٌ ﴿مَنْ رَزَقَكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ ﴿وَرَحْمَةً﴾ بِكُمْ؛ حَيْثُ وَسِعَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَحْتَمِ أَحَدًا مِنْهُمَا؛ كَمَا حَتَمَ عَلَى الْيَهُودِ الْقَصَاصَ، وَعَلَى النَّصَارَى الدِّيةَ ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ ظَلَمَ الْقَاتِلُ بِأَنْ قَتَلَ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أَي: الْعَفْوَ ﴿فَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ مُؤْلَمٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ.

[١٧٩] ﴿وَكَمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَوَةٌ﴾ أَي: بَقَاءٌ عَظِيمٌ ﴿يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ﴾ ذَوِي الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ارْتَدَعَ؛ فَأَغْنَى نَفْسَهُ وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ؛ فَشَرَعَ لِمَلَكَتِهِمْ تَتَّقُونَ الْقَتْلَ؛ مَخَافَةَ الْقَوْدِ. [١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾ فَرَضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ﴾ أَي: أَسْبَابُهُ<sup>(١٠)</sup> ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا

﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وَلَكِنْ أَلْبَسَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَتَّبِعَةِ وَالْكِتَابِ وَالْيَتِيمَ وَالْيَتِيمَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَرَةِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿يَأْتِيهِمُ النَّيْمَةُ﴾ أَمَّا كَيْتُ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْخُرْبَاءِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبِيدِ وَالْأَتَمُّ بِالْأَتَمِّ فَتَمَّ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ قَاتِبًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَانَةً إِلَيْهِ بِإِحْسَنِ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ اللَّهِ وَكَرِهِي الْقَصَاصَ حَيَوَةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مَرْفُوعٌ بِ«كُتِبَ»<sup>(١١)</sup>، وَمَتَعَلِّقٌ بِ«إِذَا» إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةً<sup>(١٢)</sup>، وَدَالٌ عَلَى جَوَابِهَا إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ<sup>(١٣)</sup> «إِنْ» أَي: فُلْيُوسُ ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْعَدْلِ بِأَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ، وَلَا يُفْضَلُ الْغَنَى «حَقًّا» مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَهَذَا مَنَسُوخٌ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ، وَبِحَدِيثٍ: «لَا وَصِيَّةَ لِيُورَثُ»<sup>(١٤)</sup> [رواه الترمذي].

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَّلَكُمْ﴾ أَي: الْإِيصَاءَ مِنْ شَهِيدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعْتُمْ﴾ عِلْمَهُ ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أَي: الْإِيصَاءَ الْمُبْدَلُ ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمُونِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِ الْمُوصِي «عَلَيْكُمْ» بِفَعْلِ الْوَصِي؛ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

(١) أَي: شِدْوَ.

(٢) وَلَيْسَ الْمَرْدُ أَنَّهُ يَقْتَرِ عَامِلٌ مِنْ مَادَّةٍ «مَدَح» فَقَطُّ؛ بَلِ الْمَرَادُ أَنَّهُ مَعْمُولٌ لِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ كَأَخْصٍ أَوْ أَذْكَرَ أَوْ أَمْدَحُ؛ وَهُوَ لَتَبْيِيزٍ عَلَى فَضِيلَةِ الصِّيرِ.

(٣) بِأَنْ يَكُونَ الْقَاتِلُ مِثْلَ الْمُقْتُولِ أَوْ أَدَى مِنْهُ، وَلَا فَلَ قَوْدِ.

(٤) كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٢٤١٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بَرَضَ - دَقَّ - رَأْسَ يَهُودِيٍّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ؛ لَرُشِّهِ رَأْسَ جَارِيَةٍ.

(٥) كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٠٤٧)، وَمُسْلِمٌ (١٣٧٠) مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ».

(٦) أَي: الْقَصَاصَ، وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا كَمَشْرَةِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْوَلِيُّ وَاحِدًا وَعَفَا عَنْ بَعْضِ الْقَصَاصِ.

(٧) أَي: مِنَ اللَّهِ ﷻ.

(٨) أَي: عِلْمَانَهُ؛ كَالْأَمْرَاضِ الشَّدِيدَةِ وَالْجَرَاحَاتِ الَّتِي يَطْلُ مِنْهَا الْمَوْتُ عَادَةً.

(٩) أَي: مَحْضَةٌ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعْنَى الشَّرْطِ، بَلِ الْمَرَادُ مِنْهَا الْوَقْتُ وَالزَّمَنُ. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْوَصِيَّةُ إِذَا حَضَرَ» أَي: وَقْتُ حُضُورِ الْمَوْتِ.

(١٠) أَي: دَوَالٍ عَلَى جَوَابِ «إِنْ». (١١) صَحِيحٌ سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٢١٨). (١٢) أَي: مَعَ رَاعَاةٍ مَعْنَى «مَنْ»، وَلَوْ رَاعَى لَفْظَهَا لَقَالَ: عَلَى الَّذِي بَدَّلَهُ. وَلَوْ أَضْمَرَ لَقَالَ: عَلَيْهِ.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيُّهَا مَعْدُودَاتِ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ مُخَفَّفًا وَمُنْفَلًا﴾ (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيُّهَا مَعْدُودَاتِ﴾ نصب بالصيام، أو بصوموا مقدارًا ﴿مَعْدُودَاتِ﴾ أي: قلائل أو موقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان، كما سيأتي، وَقَلَّةٌ تسهيلًا على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرًا سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلًا ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُؤجِبُ برؤيه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢)، وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدرة (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسِخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال، هاديًا من الضلالة ﴿وَاللَّيَّاتِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحة ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضًا؛ للأمر بالصوم (٥) عطف عليه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿أَلْوَدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أَقْرَبُ رُتْنَا فَتُجَابَهُ أَمْ يَبْعِدُ فَتُؤَادِيهِ؟ فَتُرَدُّ: [١٨٦] ﴿وَرَدَّا سَأَلْتُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعسي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

(١) يفتح الواو وتشديد الصاد حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) لتافع وابن دكران، ومع جمع ﴿مِسْكِينٍ﴾ تنافع وابن عامر.

(٣) أي: لفظه دالة غير مقدرة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير هـ لا تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.

(٤) فإنه يعم المسافرين وغيره والمرضى وغيره.

(٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعيد يتابع أو غيره.

(٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.

(٧) أخرجه ابن جرير واليعقوبي في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الثعلبي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الثعلبي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده

(١/٣٥٢)، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٣/٤٨١).



أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونُ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْاِيلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

وَمَا ضَدُّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ضَالَعُ الْكُفَارِ عَلَى أَنْ يَعُودَ الْعَامُ الْقَابِلُ وَيُحِلُّوا لَهُ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَتَجَهَّزَ لَعَمْرَةَ الْقَضَاءِ، وَخَافُوا أَنْ لَا تَقْبَلَ قَرِيشٌ وَيَقَاتِلُوهُمْ، وَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالَهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، نَزَلَ: [١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: لِإِعْلَاءِ دِينِهِ ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ الْكُفَّارَ ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عَلَيْهِمْ بِالْإِبْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الْمُتَجَاوِزِينَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ بَرَاءَةِ<sup>(١)</sup>، أَوْ بِقَوْلِهِ:

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بِمَعْنَى الْإِفْضَاءِ ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بِالْجَمَاعِ، وَنَزَلَ نَسْخًا لِمَا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَتَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ بَعْدَ الْعِشَاءِ<sup>(٢)</sup> ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كِتَابَةٌ عَنْ تَعَانُقِهِمَا أَوْ احْتِيَاجِ كُلِّ مَنَهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونُ﴾<sup>(٣)</sup> تَخُونُونَ ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بِالْجَمَاعِ لَيْلَةَ الصِّيَامِ، وَقَعَ ذَلِكَ لَعَمْرٍ وَغَيْرِهِ<sup>(٤)</sup>، وَاعْتَدُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ﴾ إِذْ أَحِلَّ لَكُمْ ﴿بَشِرُوهُنَّ﴾ جَامِعُوهُنَّ ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطْلُبُوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أَي: أَبَاخُهُ مِنَ الْجَمَاعِ أَوْ قَدَرُهُ مِنَ الْوَلَدِ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أَي: الصَّادِقُ؛ بَيَانٌ لِلْخَيْطِ الْأَبْيَضِ، وَبَيَانُ الْأَسْوَدِ مُحْذُوفٌ؛ أَي: مِنَ اللَّيْلِ، شَيْءٌ مَا يَدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَبَشِ<sup>(٥)</sup>

بِخَطَيْنِ أَيْضًا وَأَسْوَدٌ فِي الْإِمْتِدَادِ ﴿فَتَرَى أَقْمُو الصِّيَامَ﴾ مِنَ الْفَجْرِ ﴿إِلَى الْاِيلِ﴾ أَي: إِلَى دُخُولِهِ غُرُوبِ الشَّمْسِ ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ أَي: نِسَاءَكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مُقِيمُونَ بِنِيَةِ الْإِعْتِكَافِ ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ مُتَعَلِّقُونَ بِهَذَا عَاكِفُونَ، نَهَى لِمَنْ كَانَ يَخْرُجُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فَيَجْمَعُ امْرَأَتَهُ وَيَعُودُ ﴿تِلْكَ﴾ الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ خَدَّهَا لِعِبَادِهِ، لِيَقْفُوا عِنْدَهَا ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أَبْلَغُ مِنْ «لَا تَعْتَدُوهَا» الْمَعْرُوبَةُ فِي آيَةِ أُخْرَى<sup>(٦)</sup> ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا يَبَيِّنُ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مُحَارَمَةً<sup>(٧)</sup> [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أَي: بِأَكْلِ بَعْضِكُمْ مَالَ بَعْضٍ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الْحَرَامِ شَرْعًا؛ كَالسَّرِقَةِ وَالْغَسْبِ ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ تَلْقُوا<sup>(٨)</sup> ﴿بِهَا﴾ أَي: بِحُكْمِهَا<sup>(٩)</sup> أَوْ بِالْأَمْوَالِ رِشْوَةً ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بِالْحَاكِمِ ﴿فَرِيقًا﴾ طَائِفَةً ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ مُتَبَسِّسِينَ ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنْكُمْ مَبْطُولُونَ.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ جَمْعُ هَلَالٍ: لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثُمَّ تَزِيدُ حَتَّى تَمْتَلِئَ نَوْرًا، ثُمَّ تَعُودُ كَمَا بَدَتْ، وَلَا تَكُونُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَالشَّمْسِ<sup>(١٠)</sup>؟! ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جَمْعُ مِيقَاتٍ ﴿لِلنَّاسِ﴾ يَعْلَمُونَ بِهَا أَوْقَاتَ زَرْعِهِمْ، وَمَتَاعِرِهِمْ، وَعِدَّةَ نِسَائِهِمْ، وَصِيَامِهِمْ، وَإِفْطَارِهِمْ ﴿وَالْحُجِّ﴾ عَطَّفَ عَلَى النَّاسِ؛ أَي: يَعْلَمُ بِهَا وَقْتُهَا، فَلَوْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى حَالَةٍ، لَمْ يُعْرِفْ ذَلِكَ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ؛ بَأَنْ تَقْبُوا فِيهَا نَقْبًا تَدْخُلُونَ مِنْهُ وَتَخْرُجُونَ، وَتَتَرَكُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعَمُونَ بِرًّا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أَي: ذَا الْبِرِّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ بَرَّكَ مَخَالَفَتَهُ ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ

(٥) مَا حَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١٨٧): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ: لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونُ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) - سُورَةُ أَبَقْرَةَ: (٢) بَابُ (٢٧). وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ قَبْلَ أَنْ يَغْطُرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَةً وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يَمْسِيَ، وَإِنْ قَبَسَ مِنْ صِيْرَمَةِ الْأَصْهَارِيِّ كَانَ صَدْمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: أَعَدْتُكَ طَعَامًا؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَتَقَلَّبُ فَاظْلُبْ لَكَ، وَكَانَ يَوْمُهُ يَعْمَلُ فَعَلَيْهِ عِيْدُهُ، فَجَاءَتْ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: حَبِيبُ لَكَ، فَلَمَّا اتَّصَفَ النَّهَارَ غَشِيَ عَلَيْهِ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فَفَرَحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصَّوْمِ (٣٠) بَابُ (١٥). (٥٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١٨٩): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ يَقُولُ: (نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فَيَا؛ كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَعَاوَا لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قَبْلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ =

(١) أَي: دُخُولُ وَتَقَبُّلُهَا أَوْ بَعْدَ النِّوَمِ وَلَوْ قَلْبَهَا، كَمَا حَصَلَ لِقَائِهِ بِنِ صِيْرَمَةٍ؛ فَغَشِيَ عَلَيْهِ نِصْفُ الشَّهْرِ مِنَ الْجُوعِ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩١٥) وَسَيَأْتِي فِي سَبَابِ الزُّوْلِ. (٢) لَمْ يَقُلْ: «تَخُونُونَ» لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ الْخِيَانَةُ، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ الْإِخْتِيَاؤُ؛ وَهُوَ: تَحْرُكُ الْإِنْسَانِ لِلْوُقُوعِ فِي الْخِيَانَةِ. (٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (١٥٣٦٨) مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي مَتْنِهِ (٢٣١٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢٠٢٨).

(٤) بَقِيَّةُ اللَّيْلِ أَوْ ظُلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْمَرَادُ بِاسْتِدْنَاهُ مَعَهُ اتِّصَالُهُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعَاقُبِ. (٥) هِيَ آيَةُ ٢٢٩ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ. (٦) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ «تَدْلُوا» مُجْرُومٌ عَطْفًا عَلَى النَّهْيِ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ أَي: «وَلَا تُدْلُوا» لِإِعَادَةِ «لَا» النَّاهِيَةِ. (٧) أَي: تَسْرَعُوا وَتَبَادَرُوا؛ أَي: لَا تَسْرَعُوا بِالْخُصُومَةِ عَلَى الْأَمْوَالِ إِلَى الْحُكَّامِ، لِئَعْنُوكُمْ عَلَى إِطْلَالِ حَقِّ أَوْ تَحْقِيقِ بَاطِلٍ. (٨) أَي: بِإِقَامَةِ الدَّعْوَى بِهَا بِاطْلَالٍ.

(٩) وَهَذِهِ صِيْغَةُ سَوْأَلِهِمْ. (١٠) وَهِيَ قَوْلُهُ: «تَقَالِي» وَ«تَقَاتِلُوا الْمُتَشْرِكِينَ كُلَّهُ» [بَرَاءة: ٣٦]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ حَكَى هَذَا الْقَوْلَ: «وَقَدْ هَذَا نَظَرٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: «الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ» إِنَّمَا هُوَ -

حَتَّى لَا تَكُونَ تَوْجِدَ ﴿فِيَنَّهُ﴾ شَرَكٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ الْعِبَادَةَ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، لَا يُغْنِي سِوَاهُ ﴿فَيَا أَيُّهَا﴾ عَنْ الشَّرِكِ فَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ؛ ذَلِكَ عَلَى نَسَا: ﴿فَلَا تَعْدُونَ﴾ اعْتِدَاءً بِقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وَمَنْ انْتَهَى فَلَيْسَ بِظَالِمٍ؛ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْهِ. [١٩٤] أَشْتَهَرَ الْكَلِمَةَ الْحَرَمَ مُقَابِلَ ﴿يَأْتِيَنَّ الْحَرَمُ﴾ فَكَلِمَا قَاتِلُكُمْ فِيهِ، قَاتِلُهُمْ فِي مِثْلِهِ، رَدٌّ لِسُتِظَامِ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ وَأَلْخِمْتُ جَمْعَ حَرَمَةٍ؛ مَا يَجِبُ احْتِرَامُهُ ﴿يَضَاحٌ﴾ أَيْ: يُقْصَرُ بِمِثْلِهِ إِذَا أَتَاهُكَتُ ﴿فَمَنْ أَعْتَدَ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ أَوْ الْإِحْرَامِ أَوْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَ عَلَيْكُمْ﴾ سَقَى مُقَابِلَتَهُ اعْتِدَاءً؛ لَشَبْهِهَا بِالْمُقَابِلِ بِهِ فِي الصُّورَةِ ﴿وَأَقْرَأُ اللَّهَ﴾ فِي الْإِنصَارِ وَتَرَكَ الْإِعْتِدَاءَ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ. [١٩٥] وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَتُهُ بِالْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَلَا تُلْغُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أَيْ: أَنْفُسَكُمْ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ ﴿إِلَى الْهَلَاكِ﴾ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ النِّفْقَةِ فِي الْجِهَادِ<sup>(١)</sup>، أَوْ تَرَكَه؛ لِأَنَّهُ يَقْوَى الْعُدُو عَلَيْهِمْ ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بِالنِّفْقَةِ وَغَيْرِهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أَيْ: يَنْبَغِيهِمْ<sup>(٢)</sup>.

[١٩٦] ﴿وَاتَّبَعُوا لَمُحَ وَآلَمُرَّةَ لَيْلَةً﴾ أدومها بحقهما ﴿فَإِنْ أَصْبَحْتُمْ﴾  
 نَيْغُثُمْ عَنْ إِمَامِهَا بَعْدُو ﴿فَمَا اسْتَسْتَسِرَّ تَيْسَرَ﴾ مِنْ الْهَدْيِ عَلَيْكُمْ؛ وَهُوَ: شَاةٌ  
 وَلَا تَحْلُوهُ زُرْسُوكَ أَي: لَا تَحْلُلُوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ الْمَذْكُورَ﴾ ﴿عَلَّامٌ﴾  
 حَيْثُ يَحِلُّ ذَبْحُهُ؛ وَهُوَ: مَكَانُ الْإِصْصَارِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، فَيُذْبِحُ فِيهِ بَنِيَّةُ  
 التَّحْلُلِ، وَيُفَرِّقُ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَيَخْلُقُ، وَبِهِ يَحْصُلُ التَّحْلُلُ. ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ  
 مَرْمِصًا أَوْ بَدْعٌ أَدْنَى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كَقَمْلٍ وَصَدَاعٍ، فَخَلَقْ فِي الْإِحْرَامِ ﴿فَيُذَبِّحُ﴾  
 عَلَيْهِ ﴿مِنْ صِيَامِهِ﴾ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَ﴾ بِثَلَاثَةِ أَصْعٍ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ  
 عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ ﴿أَوْ سُلِّقَ﴾ أَي: ذُبِحَ شَاةٌ، وَ«وُ» لِلتَّخْيِيرِ، وَالْحَقُّ بِهِ مَرٌّ  
 خَلَقَ لَعِبَرِ عِذْرٍ، لِأَنَّهُ أَوَّلَى بِالْكَفَّارَةِ، وَكَذَا مَنْ اسْتَمْتَعَ بِغَيْرِ الْحَلْقِ؛ كَالطَّبِيبِ  
 وَالنَّبِيسِ وَالدَّهْنِ لَعِزْرٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿فَإِذَا أَتَيْتُمْ الْعُدُوَّ﴾ بَأَن يَذْهَبَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ  
 ﴿فَمَنْ تَتَّبَعَ﴾ اسْتَمْتَعَ ﴿بِآلَمُرَّةَ﴾ أَي: بِسَبَبِ فَرَاغِهِ مِنْهَا بِمَحْظُورَاتِ  
 الْإِحْرَامِ <sup>(١)</sup> ﴿إِلَى لَمُحَ﴾ <sup>(٢)</sup> أَي: إِلَى الْإِحْرَامِ بِأَن يَكُونَ أَحْرَمَ بَهَا فِي أَشْهُرِهِ  
 ﴿فَمَا اسْتَسْتَسِرَّ تَيْسَرَ﴾ مِنْ الْهَدْيِ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ: شَاةٌ يَذْبَحُهَا بَعْدَ الْإِحْرَامِ بِهِ،  
 وَالْأَفْضَلُ يَوْمَ النَّحْرِ <sup>(٣)</sup> ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الْهَدْيَ، لَفَقْدَهُ أَوْ فَقْدَ ثَمَنِهِ ﴿صِيَامِهِ﴾  
 أَي: فَفَعَلِهِ صِيَامٌ ﴿لَثَلَفَتْ أَيَّامٌ فِي لَمُحَ﴾ أَي: فِي حَالِ الْإِحْرَامِ بِهِ؛ فَيَجِبُ حَيْثُفُ  
 أَنْ يُخَرِّعَ قَبْلَ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْأَفْضَلُ قَبْلَ السَّادِسِ؛ لِكِرَاهَةِ صَوْمِ يَوْمِ  
 عَرَفَةَ، وَلَا يَجُوزُ صَوْمُهَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ عَلَى أَصَحِّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ﴿وَسَبَّغَهُ إِذَا  
 رَجَعَتْهُ﴾ إِلَى وَطَنِكَ مَكَّةَ أَوْ غَيْرَهَا، وَقِيلَ: إِذَا فَرَعْتُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَفِيهِ

= من طهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابها فكنهه غير ذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْكُرْبَىٰ بَأَثَرُ أَثَرِ الْيَتِيمِ مِنْ طُحُورِهَا وَلَكِنَّ الْكُرْبَىٰ مِنَ الْيَتِيمِ وَأَوَّلُ الْيَتِيمِ مَنْ أَبْيَسَ﴾ البخاري - (١٨) كتاب العمرة (٦٦). وفي رواية عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فانزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْكُرْبَىٰ بَأَثَرُ أَثَرِ الْيَتِيمِ مِنْ طُحُورِهَا...﴾ الآية البخاري - كتاب الفقه (٦٥) سورة البقرة (٢) - (٢٩).  
(٥) ما جاء في نزول الآية ٢٩: أخبرني أبو داود عن أسلم بن عمران قال: غزوا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو طهورهم يحاطل المدينة، فحمل رجل على إبعده، فقال الناس: مئة مئة، لا إلا لله، يلقي يديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فيما بعشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، فتنافا: هل من نقيم في أموالنا لصنعها، فأمر الله تعالى: ﴿وَأَقْبِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ فالإنفاق بالأبدى إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا، وننزع الجاهل... أبو داود كتاب الجهاد (٢٣) - (٢٣) كتاب الأيمان (١١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٣).

= تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قال الإسلام وأهل، أي: كما يقاتلونكم فاقبلوهم أنتم؛ كما قال: **﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا وَقَاتِلْتُمُ الْكُفْرَ﴾**؛ ولهذا قال في هذه الآية: **﴿وَأَقْرَبُهُمْ حَيْثُ يَفْقَدُونَهُمْ وَأَعْرَبُهُمْ مِنْ حَيْثُ أَتَرِكُونَهُمْ﴾** أي: لتكون همكم منعمة على قاتلهم كما أن همتهم منعمة على قاتلكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قضاها. وقوله: **﴿وَلَا تَسْتَوُوا﴾** أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي... من المُلَّةِ، والغُلُولِ، وقَتْلِ النساءِ والصبيانِ والشيوخِ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبانِ، وأصحابِ الصوامعِ، وتحريقِ الأشجارِ، وقتلِ الحيوانِ لغير مصححة... (١) حمزة والكسائي.

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة وأمثالهم من المتأخريين الذين يؤولون الصفات بدعوى أنها توهم نقضاً في حق الخالق ﷻ. أما أهل السنة فيثبتون لله على ما يليق بحلاله، من غير أن يقتضي ذلك نقضاً أو تشبيهاً، كما يثبتون لازماً؛ وهو: إرادته - سبحانه - إكرام أهل محبيه وإثباتهم، وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

(٣) متعلق بـ «متنع». (٤) متعلق بمحذوف؛ أي: واستمر تمتعه وانتفاعه بالمحظورات إلى الحج. (٥) هذا قول الشافعي. والجمهور على أن وقت ذبحه يوم النحر، فلا يجوز ذبح الهدي قبله كالأضحية.

وَأَقْلَوْهُمُ حَتَّى تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْقَتْلَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ قَاتِلَهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٢﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا إِلَى الْأَعْلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٦٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٥﴾ وَلَتَمَنَّوْا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا وَسْكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدَيْهِ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجَّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجَّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٦﴾

﴿١٩١﴾ ﴿وَأَقْبَلُونَهُمْ حَيْثُ يَفْقَهُوهُمْ﴾ ووجدتهم ﴿وَأَرْسَلْنَاهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَرْسَلْنَاهُ﴾ أي: من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَأَلْفَنَاهُ﴾ الشرك منهم ﴿أَسَدُهُ﴾ أعظم ﴿بَيْنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم والإحرام الذي استغفرتهموه ﴿وَلَا تَقْبَلُونَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ أي: في الحرم ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعُواكُمْ فِيهِ فَإِن قَبِلْتُمُ﴾ فيه ﴿فَأَقْبَلُونَهُمْ﴾ فيه، وفي قراءة: بلا ألف في الأفعال الثلاثة <sup>(١)</sup> ﴿كَذَلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [١٩٢] ﴿فَإِن لَّمْ يَأْتُواكُم مِّنَ الْكُفْرِ وَأَسْلَمُوا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴿لَهُمْ﴾ ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [١٩٣] ﴿وَقَبَّلْنَاهُمْ

= من طهورها، ففجأ رجل من الأنصار فدخل من قبل بابها فكأنه غير بذلك، فنزلت: **وَالْبَخَارِي** - باب (١٨) كتاب العمرة (٢٦). وفي رواية عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في البخاري - البخاري - البخاري (٢٥) سورة البقرة (٢٦) باب (٢٩).  
(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٤٥): أخرج أبو داود عن أسلم بن عمرو قال: غزون من المدينة، فحمل رجل على أسعد، فقال الناس: مَهْ مَهْ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يلقي بيديه إلى التهلكة. نعيم في أموالنا وصلحها، فأرسل الله تعالى: **وَأَقْبَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ بَدَّلُوا** الجهاد (٩) باب (٢٣)، وصلحهم الأنبياء في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٣).

= تهيج وإغراء بالأبعاد الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فاقولوا أنه أتتكم  
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّكُمْ أَعْيُنُ عَلَى الْغُلَامِ﴾ أي: تكونون همكم منعمة على قائلهم  
﴿وَلَا تَعْدُوا﴾ أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب  
والرهبان، وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصحة...»

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة وأمثالهم من المبتدعة الذين يؤولون الصفات بدعوى أنها توهم نقصاً في تشبيهاً، كما يشتون لازماً؛ وهو: إرادته - سبحانه - إكرام أهل محبته وإثباتهم، وهذه الد

(٣) متعلق به تمتع. (٤) متعلق بمحدوف؛ أي: واستمر تمتعه وانتفاعه بالمحظورات إلى الحج. (٥)

النفات عن الغيبة<sup>(١)</sup>. **﴿وَتِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾** جملة تأكيد لما قبلها **﴿ذَلِكَ﴾** الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع **﴿لَيْسَ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾** ساجدي المَسْجِدِ الْكُرَامِ **﴿بِأَن لَمْ يَكُونُوا عَلَى دُونَ مَرَحَلَتَيْنِ مِنَ الْحَرَمِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ﴾** فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان؛ فهو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، والأهل كناية عن النفس<sup>(٢)</sup>، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر بالسنن - القَارِئُ؛ وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذْخِلُ الْحَجَّ عَلَيْهَا قَبْلَ الطَّوْفِ<sup>(٣)</sup> **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** فيما يأمرهم به وينهاهم عنه **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** بِنُحَالَةٍ.

[١٩٧] **﴿الْحَجَّ﴾** وقته **﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾** شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله **﴿مَنْ قَرَضَ﴾** على نفسه **﴿فِيهِ الْحَجَّ﴾** بالإحرام به **﴿فَلَا زَنْتَ﴾**<sup>(٤)</sup> جماع فيه **﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾**<sup>(٥)</sup> مناص **﴿وَلَا جِدَالَ﴾** خصام **﴿فِي الْحَجِّ﴾** وفي قراءة: بفتح الأولين<sup>(٦)</sup>، والمراد في الثلاثة النهي **﴿وَمَا تَقُولُوا مِنْ خَيْرٍ﴾** كصدقة **﴿يَسْكُنُهُ اللَّهُ﴾** فيجازيكم به. ونَزَلَ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ - وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كلًّا على الناس<sup>(٧)</sup> - **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** ما يبلغكم لسفركم **﴿فَلَا تَحِزَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّفَقَى﴾** ما يبقى به سؤال الناس وغيره **﴿وَأَتَقُوا يَكُونُ الْأَلْبَبِ﴾** ذوي العقول [١٩٨] **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** فِي **﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾** تطلبوا **﴿فَضْلًا﴾** رزقاً **﴿وَمِنْ رِزْقِكُمْ﴾** بالتجارة في الحج، نَزَلَ رِزْدًا لكرهتهم ذلك<sup>(٨)</sup> **﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾** دفعتم **﴿وَمِنْ عَرَفْتُمْ﴾** بعد الوقوف بها **﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾** بعد البيت بمزدلفة بالتلبية والتلهيل والدعاء **﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: فُوح<sup>(٩)</sup>، وفي الحديث: **﴿اللَّهُ يَلْقَى بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَذْعُو؛ حَتَّى أَشْفَرُ جَذَاهُ﴾** **﴿رَوَاهُ مُسْلِمٌ﴾** **﴿وَأَذْكُرُهُ﴾** كما هدَّكُمْ **﴿لِعَالَمٍ دِينِهِ وَمَنَاسِكَ حِجَّهِ، وَالْكَافِ لِلتَّعْلِيلِ﴾** وَإِنْ **﴿مُخَفِّفَةٌ﴾** **﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾** قبل مدها **﴿لِمَنْ الْعَسَاكِلِينَ﴾** [١٩٩] **﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا﴾** يا قريش **﴿وَمِنْ حَيْثُ أَكْأَصَ الْكَأَسِ﴾** أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا ينفقون بالمزدلفة؛ ترفعان الوقوف معهم، و**﴿ثُمَّ﴾** للترتيب في الذكر **﴿وَأَسْتَقْرُوا اللَّهَ﴾** من ذنوبكم **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾** للمؤمنين **﴿رَحِيمٌ﴾** بهم<sup>(١٠)</sup> [٢٠٠] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدَائِكُمْ﴾** سدايكم **﴿عِبَادَاتِ حُجَّكُمْ﴾** بأن رَمَيْتُمْ جَمْرَةَ الْعَقِيقَةِ وَطَفَّئْتُمْ وَاسْتَقَرَّزْتُمْ بَيْنِي **﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾** بالكبير والثناء **﴿كَذِكْرُ نَبَاكُمْ﴾** كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حُجَّكُمْ بالمفاخرة<sup>(١١)</sup> **﴿أَوْ أَسَكَّدَ ذِكْرًا﴾** من ذكركم إياهم، ونصب **﴿أَسَكَّدَ﴾** على الحال من ذكر المنصوب **﴿أَذْكُرُوا﴾**؛

إذ لو تأخر عنه لكان صفة له **﴿فَمِنْ الْكَاسِ﴾** مَنْ يَقُولُ رَيْثًا **﴿أَيْنَا﴾** نصيباً **﴿فِي الدُّنْيَا﴾** فَيُؤَنَاهُ فِيهَا **﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾** نصيب [٢٠١] **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَيْثًا أَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾** نعمة **﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾** هي الجنة **﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالنواب عليه بقوله: [٢٠٢] **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾** ثواب **﴿قَرِيبٌ﴾** من أجل **﴿مَا كَسَبُوا﴾** عملوا من الحج والدعاء **﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث

= وأخرج البخاري عن حذيفة: **﴿وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُنْفَرُوا بِأَيِّكُمْ إِلَى الْفَلَاحِ﴾** قال: نزلت في النفقة. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).  
(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الناس، فأمر الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا قَابَتُكُمْ خَيْرَ الزَّادِ النَّفَقَى﴾**. البخاري. كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا...﴾**.  
(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأثموا، فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَسْتَغْفِرُوا فَضْلًا مِنْ رِزْقِكُمْ﴾**. البخاري. كتاب البيوع (٣٤) باب (١).  
(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها ينفقون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحِمْسَ، وكان سائر العرب -

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع **﴿مَنْ﴾**، ولو روعي اللفظ لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.

(٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن الوطن يكون بذلك.

(٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: **﴿فَلَا رِفْثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾** بنون ورفع «رفث» و«فسوق». وقرأ بقية السبعة: **﴿فَلَا رِفْثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾**.

(٦) أي: «زنت» و«فُسُوقٌ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.

(٨) مسلم (١٢١٨).

(٩) عن ابن عباس **﴿يَلْقَى﴾** قال: كان أهل الجاهلية ينفقون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال أبائهم؛ فأمر الله: **﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾**.

أَتَقَىٰ اللَّهُ فِي حُجَّةٍ لَهُ الْحَاجُّ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِيَّهِ تَحْشُرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحِبُّ له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرِزْقٍ وَخُبْرٍ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهُ وَعَقَرَهَا لِيْلًا<sup>(٢)</sup>؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ أي لا يرضى به<sup>(٣)</sup>. [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتِ الْعُرَّةُ﴾ حملته الألفه والحمية على العمل ﴿بِالْإِيمِ﴾ الذي أمر بأتباعه ﴿فَحَسَبُوا﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْيَهُودُ﴾ الفراهي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ بِمِيعَةٍ ضَخِيمَةٍ﴾ أي: يذلها في طاعة الله ﴿بِآيَاتِهِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيبي لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله<sup>(٤)</sup> ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ<sup>(٥)</sup> وكرهوا الإبل<sup>(٦)</sup> بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذَلُّوا فِي [السَّلَمِ]﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(٧)</sup>؛ الإسلام ﴿كَأَنَّهُ﴾ حال من ﴿[السَّلَمِ]﴾؛ أي: في جميع شراعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَكُلُّ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَانَ رَكْنُهُ﴾ ملتزم عن الدخول في جميعه ﴿وَمَنْ يَمَسَّ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره<sup>(٨)</sup>؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَّيَكُ﴾<sup>(٩)</sup> أي: عذابه ﴿فِي ظُلْمٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْقَصَاصِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَكُ﴾ وقضى الأمر<sup>(١٠)</sup> ثُمَّ أَمَرَ هَلَاكَهُمْ ﴿وَزَلَّىٰ اللَّهُ رُجُوعَ الْأُمُورِ﴾ - بالبناء للمفعول والفاعل<sup>(١١)</sup> - في الآخرة؛ فيجازي كلًا بعمله.

- يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يقض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاسُ النَّاسِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحِمْيَرِ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاسُ النَّاسِ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا عَلَيْهِمْ أَوْ أَكَّسَدُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢) رقم (١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣). (١) لقد منها الحلال السيوطي كَقَلْبُهُ في وصفه نصف انهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس رب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب مانعي الزكاة في الجحش - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو في السيوطي كَقَلْبُهُ في ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَسْرَعَ لِقَابِ رَبِّكَ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مثله من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نيه على ذلك القاضي كسان في فقرة العتبتين على تفسير الجلالين. (٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه حذاً في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). (٣) وهذا من تأويل صفة الحية التي يبيتها أهل السنة لله ﷺ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٤) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٨). (٥) أي: اغتربوا بحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسى ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١). (٦) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٧) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقون بالكسر. (٨) وهذا تأويل تأتية النصوص وكلام السلف، وهو مذهب المتبذعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإتيان والنجي صفتان من صفات الفعل له. شَيْخَانَهُ. وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتون لها له. شَيْخَانَهُ. على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعطلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٣٧٩ / ٢)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (بالبناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من -

﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ<sup>(٢)</sup> وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ<sup>(٣)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتِ الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادِ<sup>(٤)</sup> وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ بِثَمَنٍ غَلِيظٍ مَّرْصَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ<sup>(٥)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذَلُّوا فِي السِّلْمِ كَأَنَّهُمْ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ<sup>(٦)</sup> فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٧)</sup> هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ<sup>(٨)</sup>

بذلك<sup>(٩)</sup>.

[٢٠٣] ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخبرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ﴾

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّاءَاتِهِمْ مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةً  
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ  
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا  
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ  
 وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ  
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ  
 مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

شامل للقليل والكثير، وفيه بيان التفق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب  
 عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلَّذِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو  
 غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢١١] ﴿سَلَّ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ نبيك: ﴿كَرَّاءَاتِهِمْ﴾ كم  
 استفهامية معلقة<sup>(١)</sup> ﴿سَلَّ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي ﴿آتيتهم﴾<sup>(٢)</sup>،  
 ومبمزا<sup>(٣)</sup>: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾ ظاهرة؛ كقلق البحر وإنزال المني والسلوى،  
 فبدلوا كفراً ﴿وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها  
 سبب الهداية ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه<sup>(٤)</sup>؛  
 فأحبوها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الَّذِينَ آمَنُوا لِقهرهم؛ كبلال وعمار  
 وصهيب؛ أي: يستهترون بهم ويعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾  
 الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 أي: رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين  
 وراقهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعض  
 وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة  
 ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب  
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا  
 فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي:  
 الكتاب؛ فآمن بعض وكفر بعض ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج  
 الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنْ﴾ متعلقة بـ ﴿اخْتَلَفَ﴾، وهي وما بعدها مقدم  
 على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ  
 آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ لإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ  
 يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ونزل في جهد أصاب  
 المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَمْ  
 ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من الحن؛  
 فنصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ حيلة مستأنفة مبنية ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾  
 شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزَلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى﴾  
 يَقُولَ بالنصب والرفع<sup>(٥)</sup>؛ أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء  
 للنصر؛ لتناهي الشدة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه؛  
 فأجيئنا من قِبَلِ اللَّهِ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الذي ينفقونه،  
 والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل ﷺ عما ينفق  
 وعلى مَنْ ينفق؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا﴾،

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لارتماً ومتعدداً، وقراها ابن عامر وحزمة والكسائي بالياء للفاع والياقون بالياء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والإلغاء؛ إبطاله لفظاً ومحلاً، فتكون جملة: ﴿كَمْ﴾ تَأْتِيهِمْ في المعنى في محل المفعول الثاني لـ ﴿سَلَّ﴾. والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن لم يكن من أفعال القلوب، إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمْ﴾ هي المفعول الثاني لـ ﴿آتيتهم﴾، ومفعول ﴿آتيتهم﴾ الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إما يردت؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾، يميز لا مفعول ثانٍ لـ ﴿تَأْتِيهِمْ﴾.

(٤) لباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أن) مضمره، و﴿حَتَّى﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضمر بعدها إذا كان مستقبل، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارناً لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماضٍ؛ بمعنى: أن القول والزلزال قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزاه لعبد بن حميد.

خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.  
وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ سِرَايَاهُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ<sup>(١)</sup>؛ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ  
وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَجْرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِمْ بِرَجَبٍ؛  
فَقَبِضَهُمُ الْكَفَّارُ بِاسْتِحْلَاحِهِ؛ فَنَزَلَ<sup>(٢)</sup>: [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ  
الْحَرَامِ﴾ الحرم ﴿فَقَالَ فِيهِ﴾ بدل اشتمال<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَاتَلَ فِيهِ  
كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر<sup>(٤)</sup>، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدُّ﴾ مبتدأ<sup>(٥)</sup>، منع للناس ﴿عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرًا بِهِ﴾ بالله ﴿وَوَصَدُّ﴾ صد عن<sup>(٦)</sup>  
﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ  
والمؤمنون، وخبر المبتدأ<sup>(٧)</sup>: ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه  
﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي:  
الكفار ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾  
إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَمَنْ  
كَارَ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الْآدِيَةِ  
وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو  
رجع إلى الإسلام لم يطل عمله؛ فيناب عليه، ولا يعيده كالخج مثلاً، وعليه  
الشافعي ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولما ظن السريّة  
أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نَزَلَ<sup>(٨)</sup>: [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فَارْتَفَعُوا أوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء  
دينه ﴿وَأُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين  
﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، ما  
حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾  
عظيم، وفي قراءة: بالفتنة<sup>(٩)</sup>، لما يحصل بسببهما من الخاصة والمباشقة وقول  
الفحش ﴿وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في  
الميسر ﴿وَأِثْمُهُمَا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفساد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ  
نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربتها قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة<sup>(١٠)</sup>  
﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾ أنفقوا ﴿الْمَعْرُوفَ﴾ أي:  
الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة:  
بالرفع<sup>(١١)</sup> بتقدير «هو» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما تَبَيَّنَ لكم ما ذَكَرَ ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا  
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ  
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ  
الْحَرَامِ قَاتَلَ فِيهِ قُلٌ قَاتَلَ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ  
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ  
يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدَّوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ  
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ  
مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْغَفْوُ كَذَٰلِكَ  
يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١٣)</sup>

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْحَالٌ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهُ﴾  
مكرهه ﴿لَكُمْ﴾ طبعاً لمشقتة ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ  
وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ ليل النفس إلى الشهوات الموجبة  
لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها؛ ففعل لكم في القتال - وإن  
كرهتموه - خيراً؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه -  
وإن أحببتموه - شراً؛ لأن فيه الدل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَكْتُمُ﴾ ما هو

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بيتاً شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسنن أبي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرجه نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهرة؛ إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه. (٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فقتل السرية؛ فلا إثم به.

(٥) أي: مع ما عطف عليه، وجعلناه أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ لأنه أفعّل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه بنحوه ابن إسحاق في السيرة (٢٣٩/٢)، (٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي. (١٠) أي: عمرو، خبر مخلوف تقديره: هو.

[٢٢٠] ﴿فِي﴾ أمر ﴿الْأَلْبَانِ وَالْأَخْزَرِ﴾. فأتخذون بالأصلح لكم فيها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم؛ فإن أكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ في أموالهم؛ بتبنيها، ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَأَنْ تَخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَاِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه؛ أي: فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿وَمِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها؛ فيجازي كلًّا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ﴾ لَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته<sup>(٥)</sup>. [٢٢١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿الشَّرِكَاتِ﴾ أي: الكافرات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا تُؤْمِنَنَّ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ حرة؛ لأن سبب نزولها العيب<sup>(٦)</sup> على من تزوج أمة، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَنَّعَبْتُمْ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿وَالْفَضْلُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وَلَا تَنْكِحُوا تَزَوَّجُوا ﴿الشَّرِكَاتِ﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَدْعُوا مِنْ خَيْرٍ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبَكُمْ﴾ لِمَالِهِ وَجَمَالِهِ ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْآثَرِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها؛ فلا تليق مُتَاكِفُهُمْ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهُ﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته؛ فتجب إجابته بتزويج أوائله ﴿وَيَتَبَنَّى﴾ يَتَبَنَّى لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون. [٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ قدر أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطأنهم ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: وقته أو مكانه<sup>(٧)</sup>، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء، وفيه إدغام اثناء في الأصل في الطاء<sup>(٨)</sup>؛ أي: يتنسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأَظْهَرْنَ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض؛ وهو: القُبْلُ، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يَبِيب وَيَكْرُمُ<sup>(٩)</sup> ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ﴾ من الأثام<sup>(١٠)</sup>. [٢٢٣] ﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: محل زرعكم الولد ﴿فَأَوْثَرُكُمْ﴾ أي: محله؛ وهو: القُبْلُ ﴿أَتَى﴾ كيف ﴿شَيْئٌ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونَزَلَ رَدًّا لقول اليهود: «من أتى امرأته في قُبْلِهَا؟» أي: من جهة دُبُرِهَا جاء الولد أَعْوَلَ<sup>(١١)</sup> ﴿وَقَدِّمُوا لِأَشْهِكُمُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ﴾ كالنسيئة عند الجماع

فِي الْآلْبَانِ وَالْأَخْزَرِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَأَنْ تَخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدِينَ الْمُصْلِحِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ وَلَا تُكُونُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلِعَبْدٌ مَوْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأَظْهَرْنَ فَاَوْثَرُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ نَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ فَأَوْثَرُكُمْ أَوْ نِسَاءً شَيْئٌ وَوَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكْفَرُونَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكْفَرُونَ﴾ بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة. [٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ عِلَّةً مَانِعَةً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: نُصْبًا<sup>(١٢)</sup> لها بأن تكتروا الحلف<sup>(١٣)</sup> به ﴿أَنْ﴾ لَا تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا فَكُفَرَةُ الْيَمِينِ على ذلك، ويسن فيه الحنث، ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه، فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى: لا تمنعوا من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٠): أخرجه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَى إِلَّا بِآلِهِ مِنْ أَحْسَنٍ﴾ [الأنعام: ١٥٢] ﴿وَأَنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى لُلْطَمِ﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده نعيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به، مما يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يبعده، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأذن الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَأَنْ تَخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرا به بشرا به. أبو داود - كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة اليتيم في الطعام ...

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٢): أخرجه مسلم: عن أنس ﷺ: أن اليهود كانوا إذا حاصت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأذن الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷻ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. مسلم - كتاب الحيض (٣) باب (٢) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيحه.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٣): أخرجه البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابرًا ﷺ قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعنا من ورثها جاء الولد أسول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ فَأَوْثَرُ﴾

(١) أي: التعيب من المسلمين. (٢) يشير إلى ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٥ عن ابن عباس أن الآية نزلت في عبد الله بن رواحة ﷺ؛ كانت عنده أمة سوداء فأعتقها وتزوجها؛ فأبوا عليه ذلك وعابوه؛ فأذن الله: ﴿وَلَكُمْ مَوْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ﴾. وضعف إسناده في الاستيعاب (١٦٨/١)؛ قال: فيه أسباط من نصر؛ ضعفه النسائي وأبو زرعة وأبو نعيم وغيرهم. (٣) فهو مصدر مبني يصلح للحدث والزمان والمكان. (٤) بتشديد الطاء وفحشا وفتح الهاء، قراءة حمزة والكسائي وشعبة. (٥) وهذا تأويل لصفة الحجة ببعض لوازمها، وسبق بيان المذهب الحق في ذلك وإثباته وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخنا. (٦) الحسية والمعنوية. (٧) البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) من حديث جابر. وانظر ما جاء في نزول الآية. (٨) المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى؛ يُدْعَى أحدكم إلى بر أو صلة رحم فيقول: قد حلفت بالله لا أفعله؛ فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح. (٩) أي: غرضًا مانعًا من فعل البر. (١٠) هذا تفسير آخر للآية؛ أي: لا تكتروا الحلف وإن كنتم تباينون متقين مصلحين؛ لما فيه من اجتذاب اسمه - تعالى - في كل شيء، وكان المناسب أن يقول: «أو أن» =

تَسْبِيحٌ لِقَوْلِهِمْ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعزمهم، المعنى: ليس لهم بعد تربص ما ذكر<sup>(١)</sup> إلا الفينة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْجِعُ إِلَىٰ أَبِي لَيْبَتُنَّ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (٥٠) تمضي من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف<sup>(٢)</sup>؛ وهو: الطهر<sup>(٣)</sup>، أو الحيض<sup>(٤)</sup>، قولان، وهذا في المذحول بهن، أما غيرهن؛ فلا عدة عيهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ﴾ (٥١) وفي غير الآية والصغيرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: عدتهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٥٢) كما في سورة الطلاق، والإماء: عدتهن قُوءان بالشنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْبَاحِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِمَنَّ أَنْ رُؤُوسَهُنَّ أَبَاحُ رِجْلَيْهِمَا﴾ بمراجعتين، ولو أتيتن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لا إضرار المرأة<sup>(٥)</sup>، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و﴿أَقْبَىٰ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن<sup>(٦)</sup> في عدة ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾ على الأزواج ﴿يُسْأَلُ الَّذِي لَهُمْ﴾ عليهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿وَالْمُتَرَفِّعُ﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَاللَّيْجَالُ عَلَيْهِنَّ ذَرْبَةً﴾ فضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما ذُبره خلقه.

[٢٢٩] ﴿الطَّلَقُ﴾ أي: التطلق الذي يراجع بعده بأن تراجعوهن ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أي: اثنتان ﴿فَامْسَاكُ﴾ أي: فعليكم إمساكن بعده بأن تراجعوهن ﴿يَعْرُوفُ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ تَسْرِيحُ﴾ أي: إرسالهن ﴿بِإِسْنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَاهُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتوهن<sup>(٧)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزوجان ﴿أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: أن لا يأتيا بما حُدّه لهما من الحقوق، وفي قراءة: ﴿يَخَافَا﴾<sup>(٨)</sup> بالبناء للمفعول، ف﴿أَنْ يَقِيمَا﴾ بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بالفوقانية في الفعلين<sup>(٩)</sup> ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِي أَنْفُسِهِمَا﴾ نفسها من المال ليطلقها؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿يَتَلَقَّ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ بِهِنَّ﴾

[٢٣٠] ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ﴾ تزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان<sup>(١٠)</sup> ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا﴾ أي: الزوجة والزواج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِنْ طَلَّ أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتَلَكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودَ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لَكُمْ يَلْمُونَ﴾ يتدبرون.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْصُصَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْجِعُ إِلَىٰ أَبِي لَيْبَتِهَا بِمَا كَسَبَتْ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْبَاحِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِمَنَّ أَحَقُّ بَرٍّ هِيَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فِيمَا سَاكٌ بَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَاهُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا أَفْتَدْتُمْ بِهِ بِتِلْكَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٤﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّ أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتَلَكَ حُدُودَ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لَكُمْ يَلْمُونَ ﴿٥٥﴾

فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه، بل اتوه وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأحوالكم.

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ نحو: والله، وبسبى والله، فلا إثم عليه، ولا كفارة<sup>(١)</sup> ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصده من الأيمان إذا حنتم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿رَبِصٌ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهم ما اتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه؛ بأن لا يفيقوا؛ فسيوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

١ - حَزَنُكُمْ أَذَى شَدِيدٌ ٥٥. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(٥٤) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾: أنزلت في قوله: لا والله، وبسبى والله. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرجه أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للطلقة عدة، فأنزل الله ﷻ حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= تكثرنا... بدلاً من قوله: «بأن تكثرنا». (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح قطع أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح؛ لأجل جمعه في الآية على «قروء» ففردوها: «قروء» أما «قروء» فجمعها «أقراء». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في [إزاد المعاد (٢٢٥/٤)].

(٥) لأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فحرم الترجمة إذ ذلك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتن كما عر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقتها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.



[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَلِلَّيْلَةِ يَنْهَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ يُعْظِمُ بِهِ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَتَّخِذْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لِوَالِدَتِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ الْفَصْلَ لَا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿تَعْصِلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي: تمنعهن من أن يتكهن أزواجهن المطلقين لهن؛ لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها؛ فمنعها معقل بن يسار؛ كما رواه الحاكم (١) (٢) ﴿إِذَا رَضُوا﴾ أي: الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المستفاد به ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك العضل ﴿أَزْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَظْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَسْتَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا وأمره.

[٢٣٣] ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ﴾ أي: ليرضعن ﴿أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكدة (٣)، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ أي: الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إعطاء الولدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كنَّ مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقته ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ أي: بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا يُضَارُّ مَوْلُودٌ لِمَوْلِدِهِ﴾ أي: بسببه بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعفاف (٤) ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارث الأب؛ وهو: الصبي؛ أي: على وليه في ماله ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب للولادة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطاماً له قبل الحولين، صادراً ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿وَبَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما؛ لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للأبَاء ﴿أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضع غير الولدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إليهن ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ أي: أردتم إعناهن لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل؛ كطبيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٣٢): أخرجه البخاري عن الحسن قال: ﴿فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ﴾ قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه؛ قال: زوجت أخت لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها؛ فقلت له: زوجتك وأنت شركك وأكرمك فطلقتها؛ ثم جئت تخطفها؟ لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأقول الله: ﴿فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ﴾، فقلت: الآن أقبل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه. البخاري - كتاب الطلاق (٢٧)، باب (٧٥) نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث.

(١) أي: العدة.

(٢) أطلق الاستهزاء وأراد المخالفة.

(٣) رواه البخاري (٤٥٢٩)، وإحاكم (٢٨٠/٢).

(٤) وقادتها اعتبار الحولين من غير نقص.

(٥) وتنبه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق عليه؛ فلا ينبغي أن يحضروا به أو يتصافوا بسببه.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والعرض للخطاب ﴿يَا مَعْرُوفُ﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْعَتُمْ﴾ أي من خطبة النساء المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إني لك جميلة، ومن يجد مثلك، وزئب راغب فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ﴾ أضرمتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَكَرْتُمْ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلکم ذلك ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ﴾ لمن يحذرهم ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَمَسَّوَهُنَّ﴾ أي: تجمعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا، ومصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض يائمه ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿وَعَلَى الْيَسِيرِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ الضعيف الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتَّعًا﴾ تمتعا ﴿يَا مَعْرُوفُ﴾ شرعا، صفة ﴿مَتَّعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد (٢) ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصِفْ مَا قَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أي: الزوجات؛ فيتركها ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج؛ فيترك لها الكل، وعن ابن عباس: الولي، إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَقْرَأُوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ كَرِهَ لَكُمْ سِتَرَ فَعَلْتُمْ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصِفْ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٩﴾

﴿٢٣٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ﴾ منكم ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ﴾ أي: ليربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بتدبرهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَصْعَنَ حَمْلُهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشبهة (١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حاضنة». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر مرفوعا ومرفوعا وصحح الموقوف كما في التلخيص الجدير (٢١٣/٢).

(٢) الحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمثبت من الصاوي.



شَمُولٍ ﴿أَفَتَرَى إِلَىٰ آلِمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِنَا فُلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا سَبْطُ الْمُلْكَةِ وَلَا النُّبُوَّةُ، وَكَانَ دُبَاغًا أَوْ رَاعِيًا ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَدْعُو سَمَةً يَتَرُكُ الْمَلِكُ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِي الْوَلَدِ وَالْجَسَدِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتهمهم خلقًا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مِّن يَشَاءُ﴾ إنياء لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمن هو أهل له.

﴿٢٤٨﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء، أنزله على آدم واستمر إليهم؛ فغلبهم العاقلة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه<sup>(١)</sup>؛ كما قال - تعالى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ لِّطَمَآنِهِ لِقُلُوبِكُمْ وَزَيْنَ رِّيَاسَةٍ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ وهي تغلا موسى وعصاه وعمامة هارون، وبقية من المن الذي كان ينزل عليهم، ووضاض<sup>(٢)</sup> من الألواح ﴿تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ﴾ حال من فاعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت؛ فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد؛ فاختر من شبابهم سبعين ألفًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِنَا فُلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فِيضَعْفُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةٌ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ يَبْقِيَنَّ﴾ يمسك الرزق عن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْطِئُكُمْ﴾ يوسع لمن يشاء امتحانًا ﴿وَلِأَيِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم<sup>(٣)</sup>.

﴿٢٤٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ

(١) فائدة: أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنْ تَنَافَعُوا لِيَّ حَتَّى تَفْقَهُوا مِمَّا نُفِصَلُكُمْ﴾ و﴿مَنْ كَا أَلْفَى يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحاطني الذي كان يمكان كنا وكذا، والله ما استطعت أن أسرها لم أعلنها، قال: «راجع في قراءة أمكلك أحمد - المسند (٤١/٣) وأصله في الصحيحين مطولاً، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الترمذي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(٢) أي بفتح السين وكسرهما، والكسر قراءة نافع.

(٣) أي النبي المذكور في الآية السابقة.

(٤) الكلام عن التابوت وهيئته وتوارثه... إلخ لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض اصحابنا والتابعين، ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وأمثالهما، والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيح الأول، ولا قبيح الثاني؛ فهذا نتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدق.

(٥) وضاض (بضم الراء): أي فئات.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ  
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ  
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ  
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمَنْ فَعَتْ  
 قَلِيلَةٌ عَلَيْهِمْ فَعَتْ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٥١﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا  
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا  
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٢﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنِ اللَّهُ ذُو  
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٣﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا  
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٤﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم (١) ﴿بِيَدِهِ﴾ فاشتفى بها ولم يزد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقصروا على الغرقة، روي أنها كفتهم بشر بهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرقة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا (٢) ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَمَنْ﴾ خبرية، بمعنى: كثير ﴿وَمِنْ فَعَتْ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٌ عَلَيْهِمْ فَعَتْ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي: اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ كَسَرُوهُمْ﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ في بني إسرائيل ﴿النَّبِيُّ﴾ بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصناعة الدروع، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخریب المساجد ﴿وَلَٰكِنِ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿يَا حَقُّ﴾ بالصدق ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد «إن» وغيرهارد لقول الكفار له: ﴿كُنْتَ مُرْسَلًا﴾ (٣).

(١) أي: فتح العين وضمها، والفتح قراءة لدفع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبرؤوا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التضلل منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ... وجنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فتجمعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.

﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿أَرْسُلُ﴾ نعت أو عطف بيان<sup>(١)</sup>، والحبر: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لعبره ﴿يَنْهَمُ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره؛ بعموم الدعوة، وختم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكررات، والخصائص العديدة ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾

قوبناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدى الناس جميعاً ﴿مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل؛ أي: أمهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء، وخذلان من شاء.

[٢٥٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتُمْ﴾ زكاته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ﴾ صدقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه؛ وهو: يوم القيامة، وفي قراءة: برفع الثلاثة<sup>(٢)</sup> ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله، أو بما فرض عليهم ﴿هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

[٢٥٥] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم بالبقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها؛ بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: أحاط علمه بهما، وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته<sup>(٣)</sup>، الحديث: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَذَرَاهِمَ سَبْعَةِ أَفْقِيتٍ فِي ثُبٍّ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ ينقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر<sup>(٥)</sup> ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رُشدٌ والكفر غيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرهم على الإسلام<sup>(٦)</sup> ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام، وهو يطلق على المفرد والجمع<sup>(٧)</sup> ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِتَمَسِّكٍ﴾ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٥٦): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أحبلت بنو النضر كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فانزل الله ﷻ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. المقلاة: التي لا يعيش لها ولد. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٢٦) في الأسير يكره على الإسلام. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٣٣).

(١) أو بدل، لأن المحلى به الاله بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة.

(٢) والقراءة المشفرة بالفتح من غير تنوين لابس كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون برفع الثلاثة.

(٣) الصحيح أن الكرسي موضع القدمين الشريفتين كما صحت بذلك الآثار عن ابن عباس وغيره، وأما تفسيره بالعلم فهو قول ضعيف وينسب إلى ابن عباس، والمخفوظ عنه ما تقدم.

(٤) رواه ابن جرير (١٠/٣) عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً به. وإن زهدوه عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة من رجال الشيخين، يروي عنه ابن وهب وغيره. وأبو محمد بن زيد ثقة مثله روى عن العبادة الأربعة. فالحديث منقطع. وجاء نحوه عن أبي ذر مرفوعاً بلفظ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلفاء ملقاء بأرض فلاة، وفصل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»، وهو في الصحيحة (١٠٩).

(٥) والواجب إثبات علوه لله - سبحانه - بأقسامه الثلاثة، وهي علوه بذاته فوق عرشه، وعلوه بالقهر والغلبة فوق خلقه، وعلوه شأنه بتعاليه عن جميع القانص والعيوب.

(٦) روي عن ابن عباس أنه: الحصين من بني سالم بن عوف، كان له ابنان فتنصرا فبن مبعث النبي ﷺ، فأحب أن يكرهما على الإسلام فأخذهما إلى النبي ﷺ فنزلت. ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣)، وهو ضعيف جداً؛ كما في الاستيعاب في بيان الأسباب (١٩٦/١).

(٧) وقد حده ابن القيم حكماً بجائزاً، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه غير الله على بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله». فإذا تأملت هذا التعريف عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بنشرع وضعي لا يستند إلى القرآن أو السنة أو إجماع الأمة. وتطهير الجبان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ١٠).

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَنِ اعْتَنَتْهُ اللَّهُ الْمُמَلِكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخِيءُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي  
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ  
مَرِّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي  
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ  
وَقَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ  
لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ  
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَنُظَرُّ إِلَى  
الْعِطَامِ كَيْفَ نُشْرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ فَلَمَّا  
تَبَيَّنَ لَهُ وَقَالَ أَعْمَرْنَا أَلَمْ نَكُنْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] «اللَّهُ وَلِيُّ» ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾  
الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾  
يُخْرِجُهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله:  
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أو في كُلِّ مَن آمَنَ بالنبي قَتَلَ بعثته من اليهود ثم  
كَفَر به<sup>(١)</sup> ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ» جَادَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لَدَى ﴿أَنِ  
اعْتَنَتْهُ اللَّهُ الْمُمَلِكُ﴾ أي: حَمَلَهُ نَظَرَةً بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ؛ وهو: النمرود  
﴿إِذْ هُوَ بَدَلٌ مِّنَ حَاجٍّ﴾ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿لَا قَالَ لَهُ: مَن رَّبُّكَ الَّذِي  
تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟﴾ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يَخْلُقُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ فِي  
الْأَجْسَادِ ﴿قَالَ هُوَ: أَنَا أُخِيءُ وَأُمِيتُ﴾ بِالْقَتْلِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ؛ وَدَعَا  
بِرَجُلَيْنِ، قَتَلَ أَحَدَهُمَا، وَتَرَكَ الْآخَرَ، فَلَمَّا رَأَى نَجِيًّا<sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ مُتَقَلِّدًا  
إِلَى حِجَّةٍ أَوْضَحَ مِنْهَا: ﴿فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾  
أَنْتِ ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهَشَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بِالْكَفْرِ إِلَى مُحِبَّةِ الْاِحْتِجَاجِ.

[٢٥٩] «أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ» رَأَيْتَ ﴿كَالَّذِي﴾ الْكَافِ زَائِدَةً ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾  
هي بيت المقدس<sup>(٣)</sup>، رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ، وَمَعَهُ سَلَةُ تَيْنٍ وَقَدْ حَصَرَ عَصِيرًا؛ وَهُوَ:  
عَزِيرٌ<sup>(٤)</sup> ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ سَاقِطَةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سَقُوطُهَا لَمَّا خَرَتْهَا  
«بِخْتَنَصَرٍ»<sup>(٥)</sup> ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كَيْفَ<sup>(٦)</sup> ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾  
اسْتَعْظَامًا لِقِسْرَتِهِ - تَعَالَى<sup>(٧)</sup> - ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ وَالْبَيْتُ عَائِدٌ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾  
أَحْيَاهُ لِيَرِيهِ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ ﴿قَالَ﴾ - تَعَالَى - لَهُ: ﴿كَمْ لَيْتَ﴾ مَكُنْتُ هُنَا؟  
﴿قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّهُ نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَبُضِضَ، وَأُحْيِيَ عِنْدَ  
الْغُرُوبِ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ يَوْمَ النَّوْمِ ﴿قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى  
طَعَامِكَ﴾ التَّيْنِ ﴿وَشَرَابِكَ﴾ الْعَصِيرِ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ طَوْلِ  
الزَّمَانِ، وَالْبَهَاءِ؛ قِيلَ: أَصْلُ مِنَ «سَانَهَتْ»<sup>(٨)</sup>، وَقِيلَ لِلْسَكْتِ مِنَ  
«سَانَيْتَ»<sup>(٩)</sup>، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِحَذْفِهَا<sup>(١٠)</sup> ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كَيْفَ هُوَ؟  
فَرَأَاهُ مِيتًا وَعِظَامُهُ بِيضٌ تَلَوُّحٌ! فَحَفَلْنَا ذَلِكَ لَتَعْلَمَ ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ عَلَى  
الْبَيْتِ ﴿لِّلنَّاسِ وَنُظَرُّ إِلَى الْعِطَامِ﴾ مِنَ حِمَارِكَ ﴿كَيْفَ  
نُشْرُهَا﴾ نَحْيِيهَا<sup>(١١)</sup> ﴿بِضَمِّ النَّوْنِ، وَقُرِئَ: بِفَتْحِهَا<sup>(١٢)</sup>﴾ «أَنْشُرْ، وَنَشْرُ»

لِغَتَانِ<sup>(١٣)</sup>، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّهَا، وَالزَّيْ<sup>(١٤)</sup>؛ نَحَرَكُهَا وَنَرَفَعَهَا<sup>(١٥)</sup> ﴿ثُمَّ  
نَكْسُوهَا الْحَمَامَ﴾ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَدْ تَرَكِبَتْ وَكَسَيْتِ لَحْمًا وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ وَنَهَقَ  
﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذَلِكَ بِالْمُشَاهَدَةِ ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ عِلْمَ مُشَاهَدَةِ ﴿أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: «أَعْلَمُ»<sup>(١٦)</sup> أَمَرَ مِنَ اللَّهِ هـ.

(١) قوله: «ذكر الإخراج... إلخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد  
منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل موته ثم ارتد بعد ذلك. (٢) أي: إن قوله: «أَنَّ اعْتَنَتْهُ اللَّهُ الْمُمَلِكُ» مفعول لأجله، وهو سحرور  
باللام لفقْد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاجة هو النمرود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذفت اللام لأن حذفتها مطرد مع «أَن» و«إِنَّ». (٣) أي: بدل اشتمال.  
(٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: «يُحْيِي وَيُمِيتُ»: يَخْلُقُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يلق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة  
أخرى أظهر.

(٥) أشار بهذا إلى أن «كَالَّذِي» معمول لحذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به يجعل الكاف اسما بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مَقْطُوعًا عَلَى  
الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامر، فَلَقِيَ الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت. وقيل: غيرها.  
(٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك، وصحح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأقرب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى  
البعث، ولا فائدة في الاشتغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.

(٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نشر»: اسم للضمم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدته قالوا: بختنصر. أي: ابن الصمم، وكان كافراً؛ مَلَكَ الْأَرْضَ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا.  
(٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.

(١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهية، وهي ثابته وصلًا ووقفًا.

(١٢) أي: فهي زائدة، واللام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وثبت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) أي: وصلًا، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما ثبتت وفقًا وتحذف وصلًا.

(١٤) هذا التفسير لا يلزم مع قوله بعدها: «ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا»، فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.

(١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشْرُهَا من أنشر، ونُشْرُهَا من نشر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.

(١٨) أي: نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض.

وضمها<sup>(١)</sup>؛ أمهلن<sup>(٢)</sup> إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ مِتْهُنَ جُرْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ سَعَيْتَ﴾ سريعاً ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعيه؛ فأخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً<sup>(٣)</sup> وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿مَثَلُ﴾ صفة نفقات<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾<sup>(٥)</sup> فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه؛ بقولهم - مثلاً -: «قد أحسننا إليه وحجرت حاله» ﴿وَلَا أَذَى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ نواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلام حسن، ورَدٌّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ بالمر وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأذ والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مراثيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَاصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَفَرَّكُمُ صَلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف<sup>(٦)</sup> لبيان مثلي المنافق المنفي رثاء الناس؛ وجمع الضمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَئِنْ لَبِظْتُمْ فَلِّي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَاصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى﴾ قال - تعالى - له: ﴿أُولَئِكَ تُؤْمِنُ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيُطْمَئِنُّ﴾ يسكن ﴿قُلُوبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ﴾ [إِلَيْكَ] بكسر الصاد

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإماليهن إليه؛ أي: تقريرهن منه ليتحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تمديدن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لابد من تقدير مضاف في أحد الجانبين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون ما لهم حينئذ؟ فقيل: لا يقدرون... إلخ.





﴿أَيُّ نَعْمَ شَيْئًا إِبْدَاؤُهُ﴾ وَإِنْ تُخَفُّوهُمَا تَسْرُوهُمَا ﴿وَتُؤْتُوهُمَا آلَافَ قَرَّاءَةٍ فَيُؤْخِرُ لَكُمْ﴾ مِنْ إِبْدَائِهَا وَإِنِّي أَخْلِيهِمْ، وَلَوْلَا نِعْمُهُمْ، وَإِنِّي أَخْلِيهِمْ، وَأَمَّا صَدَقَةُ الْفَرَضِ فَلَا أَفْضَلَ إِظْهَارَهَا، لِيُقْتَدَى بِهِ، وَلَوْلَا نِعْمُهُمْ، وَإِنِّي أَخْلِيهِمْ، وَأَمَّا صَدَقَةُ الْفَرَضِ فَلَا أَفْضَلَ وَالنُّونُ (١)؛ مَجْزُومًا بِالْعَطْفِ عَلَى مَحَلِّ ﴿فَهُوَ﴾ (٢) وَمَرْفُوعًا عَلَى الْاسْتِنْفَافِ ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بَعْضُ ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ عَالَمٌ بِبَاطِنِهِ كَظَاهِرِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ. وَلَمَّا مَنَعَ ﴿لَكُمْ﴾ مِنَ الصَّدَقِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِيَسْلَمُوا، نَزَلَ: [٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى﴾ أَيُّ: النَّاسِ إِلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هِدَايَتُهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيهِ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مَالٍ ﴿فَلَا تُؤْخِرْهُم﴾ لَأَنَّ ثَوَابَهُ لَهَا ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (٣) أَيُّ: ثَوَابِهِ (٤) لَا غَيْرَهُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، خَيْرٌ بِمَعْنَى النِّهْيِ (٥) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جَزَاؤُهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾ تَقْصُونَ مِنْهُ شَيْئًا، وَالْجَمْلَتَانِ (٦) تَأْكِيدٌ لِلأُولَى (٧).

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ؛ أَيُّ: الصَّدَقَاتِ ﴿الَّذِينَ﴾ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أَيُّ:﴾ حَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ وَهُمْ: أَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُرْضِدُوا لِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَالْخُرُوجِ مَعَ السَّرِيَا ﴿لَا يَسْأَلُونَ صَرَفًا﴾ سَفَرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لِلتَّجَارَةِ وَالْمَعَاشِ لِيُشْغَلُوا عَنْهُ بِالْجِهَادِ ﴿يُحَسِّبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بِحَالِهِمْ ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (٨) أَيُّ: لَتَعْفِفَهُمْ عَنِ السُّؤَالِ وَتَرْكُهُ ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يَا مُخَاطَبِي (٩) ﴿يَسِيرُهُمْ﴾ عَلَامَتُهُمْ مِنَ التَّوَاضُعِ وَأَثَرِ الْجُهْدِ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شَيْئًا فَيَحْفَظُونَ ﴿إِلْحَافًا﴾ (١٠) أَيُّ: لَا سُّؤَالَ لَهُمْ أَصْلًا؛ فَلَا يَقَعُ مِنْهُمْ إِلْحَافٌ، وَهُوَ: الْإِلْحَافُ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ فَمَجَازٌ عَلَيْهِ.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِسْرَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُمَا آلَافَ قَرَّاءَةٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى وَلَا كُنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٧٨﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِسْرَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨٠﴾

[٢٧٥] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَوَقِّتْ بِهِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ ﴿فِي جَانِبِكُمْ عَلَيْهِ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴿بِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَالنَّذْرِ، أَوْ بِوَضْعِ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ﴾ مِنْ أَنْصَارٍ مانعين لهم من عذابه.

[٢٧٦] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تَظْهِرُوا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أَيُّ: النَّوَافِلِ ﴿فَنِعِمَّا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم. يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيتصدق عليه.

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحزمة والكسائي، والنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالباء ورفع الراء.

(٢) أي: مع خبره ومحلله جزم لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله - سبحانه - على الوجه اللاتقي به.

(٤) قال ابن القيم: إن محله - أي الوجه - على الثواب المنفصل من أبطل الباطل؛ فإن اللغة لا تحمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهًا للمجازي، كما أن الثواب مخلوق، فقد صح عنه ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعذ بمخلوق... [المسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] تصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَوُضِّعَتْكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعول مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدرًا من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحقين.



الكتاب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَرَبِّيَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَهْلاً﴾ فإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهْلاً مبدراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ عن الإملاء ليضعف أو يكبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾ لجزس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُعْلِلْ وَلْيُؤَيِّدْ﴾ متولي أمره من الولد ووصي وقِيم ومُتَزَجِم ﴿يَالْعَدْلُ﴾ واستشهدوا ﴿أشهدوا على الدين﴾ شهدين ﴿شاهدين﴾ من رجالكم ﴿أي: بالي المسلمين الأحرار﴾ فإن لَمْ يَكُونَا ﴿أي: الشاهدان﴾ رجلين فرجل وأمرأتان يشهدون ﴿وَمَنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ ليدينه وعذائيه؛ وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِخْدَتُهَا﴾ الشهادة لنقص عقلمن وضبطهن ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد <sup>(١)</sup> ﴿إِخْدَتُهَا﴾ الذكرة <sup>(٢)</sup> الأخرى <sup>(٣)</sup> الناسية، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه <sup>(٤)</sup>، وفي قراءة: بكسر <sup>(٥)</sup> ﴿أَنْ﴾ شرطية، ورفع ﴿تذكر﴾ <sup>(٦)</sup> استئناف <sup>(٧)</sup>، جوابه: ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا زَالَتْ دُعَاؤُكُمْ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْذِبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿سَهْلاً﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيراً﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَّا أَجْلِيَّةً﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في ﴿تَكْذِبُوهُ﴾ <sup>(٨)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكذب ﴿أَفَسْطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدَقُّ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تقع ﴿بِجَزْءٍ خَاضِعَةٍ﴾ <sup>(٩)</sup> في قراءة: بالنصب، فـ ﴿تَكُونُ﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة» <sup>(١٠)</sup> ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَكْذِبُوا﴾ المراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ إذا تبايعتم عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نذير ﴿وَلَا يَصَارَ كَايِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه؛ بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفها ما لا يليق في الكتابة <sup>(١١)</sup> والشهادة ﴿وَأِنْ تَقْعَلُوا﴾ ما نهيتهم عنه ﴿فَلَيْتُمْ سُوءُكُمْ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ﴾ وَأَنْشَأُوا اللَّهَ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم، حال مقدرة، أو مستأنف <sup>(١٢)</sup> ﴿وَأَلَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيُؤَيِّدْ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْذِبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِمْ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْذِبُوا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقْعَلُوا فَايَاتَهُ فَسُوءُكُمْ وَآتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بَيْنِي﴾ كُتِلْمَ وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَآكْتُبُوهُ﴾ استئنافاً، ودفعاً للنزاع <sup>(١)</sup> ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كِتَابَ الدِّينِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ بالحق في كتابته لا يَرِيدُ في المال والأجل ولا يَبْحَسُ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دُعِيَ إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فضلة بالكتابة؛ فلا يخل بها، والكاف متعلقة بـ ﴿يَأْبَ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُمْلِلُ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يذللها كما أمره الله - تعالى - ولا يوحل بها؛ فالكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والهاء للكتاب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمة سكنون المذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذكر» الذي هو ضد الأنثى؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكرتها؛ أي: جعلتها كالذكر؛ أي: كالجعل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزله؛ ومن شأن العرب إذا كان لليلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لنحصل الدلائل من عبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد المرتين بدل رجل مع أن علة إما هي التذكير. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أي: مع التشديد فقط.

(٧) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «فقد كره» خير لبتداء محذوف؛ أي: «فهي تذكر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٨) أي: قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بالنصب.

(٩) أي: لا تمهلوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤحلاً بكذا.

(١٠) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون المعاملة أو المباينة أو استجارة.

(١١) مثل أن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمنع من إعطائه أجرته له.

(١٢) والأولى الإقتصار عليه؛ لأن جملة حالاً بخلاف القاعدة النحوية: أن الجملة المضارعة المثبتة إذا وقعت حالاً فإن الصمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة: ﴿وَأَنْشَأُوا اللَّهَ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ۚ فَإِنْ أَفْنَيْتُمْ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۚ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسَفُ قَلْبُهُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۚ﴾ <sup>(٢٨٣)</sup> **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَفْخَفُوهُ يُجَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ۚ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ﴾ <sup>(٢٨٤)</sup> **أَمِنْ الرَّسُولِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمِنْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَقْرِئُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۚ﴾ <sup>(٢٨٥)</sup> **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۚ﴾******

الزكاة، وقَوْض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ ائتم ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إقامة الحجة والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت» <sup>(١١٠)</sup>.

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتدابيتهم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ <sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿فَرِهَان﴾ جمع رهن <sup>(٢)</sup> ﴿مَقْبُوضَةً﴾ تستوثقون بها، وَيَتَّبِعُ الشُّعْبَةُ جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب، فالتقيد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد <sup>(٣)</sup>، وأفاد قوله: ﴿مَقْبُوضَةً﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿وَإِنْ أَفْنَيْتُمْ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدائش المدين على حقه فلم يترهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾ أي: المدين ﴿أَمْنَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيت لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسَفُ قَلْبُهُ﴾ خَصَّ بِالذِّكْرِ؛ لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أتم تبعه غيره <sup>(٤)</sup>؛ فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من سوء العزم عليه ﴿أَوْ تَخْفَوُ﴾ تسروه ﴿يُجَاسِبُكُمْ﴾ يخبركم <sup>(٥)</sup> ﴿بِهِ﴾ <sup>(٦)</sup> **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع <sup>(٧)</sup>؛ أي: فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿أَمِنْ﴾ ضِدُّ ﴿الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه <sup>(٨)</sup> ﴿كُلُّ﴾ تنوينه عوض <sup>(٩)</sup> من المضاف إليه ﴿أَمِنْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد <sup>(١٠)</sup> ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: ﴿لَا تَقْرِئُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكك المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم المحاسبة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر؛ أي: وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد؛ كما اتخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث <sup>(١١)</sup>، فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُبع المال في

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦): أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفَوُ﴾ يُجَاسِبُكُمْ ﷺ **اللَّهُ** فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﷺ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا: كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، س قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها أنفسهم فأثرت الله في إثرها: ﴿أَمِنْ الرَّسُولِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ =

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فرهان﴾. (٢) أي: كل من ﴿وهن﴾ و﴿رهان﴾ جمع ﴿وهن﴾، مثل شَقَف وشَقْف، وكَفَف وكِعَاب. (٣) لأهل العلب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والعرض للموت، وبيت السنة جواز الرهن في الحضر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعاما من يهودي ورتقه درهما من حديد. البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا ضلَّ صلح الجسد كله، وإذا فُسِدَ فسد الجسد كله كما في حديث العمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»: جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء بحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يقع؛ للحديث المشهور فيه؛ فأجاب: بأن المرد بالخاصية سجد الإخبار به لا المعافية عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المواخذة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المواخذة على ما أخفوه من العزم القاطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستعفاف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحزمة والكسائي وأبي عمرو. (٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ ثان خبره ﴿أَمِنْ﴾. (٨) أي: عن ﴿الرَّسُولِ﴾ و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾. (٩) بالافراد قراءة حمزة والكسائي. (١٠) وهي قوله ﷺ: «ذُفِعَ عَنْ أَهْلِ الْخَطَا وَالْشَّيْثَانِ وَمَا اشْتَكَوْهُا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعا به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١). (١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.

## سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۝ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۝ آمَنَّا بِهِ ۝ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۝ وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْوَالًا لَا لَبَّيْ ۝ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۝ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ ۝ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

## سورة آل عمران

[مدنية، مائتان أو: إلا آية، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] الرَّحْمَنُ اللَّهُ أعلم بمراده بذلك. [٢] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. [٣] نَزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ۝ أَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْكِتَابِ الْقُرْآنُ مَلِيصًا ۝ بِالْحَقِّ ۝ بالصدق في أخباره ۝ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۝ قبله من الكتب

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٤] ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل تنزيله <sup>(١)</sup> ﴿هُدًى﴾ حال <sup>(٢)</sup>؛ بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ﴾ من تبعهما، وعبر فيها بـ﴿أَنزَلَ﴾ وفي القرآن بـ﴿نَزَلَ﴾ المقضي للتكرير؛ لأنيهما أُنزِلَا دفعة واحدة بخلافه <sup>(٣)</sup> ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر التلاتة؛ ليُعلم ما عاها <sup>(٤)</sup>، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ غالب على أمره؛ فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة من عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. [٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لِعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزي، وخصصهما بالذكر؛ لأن الحس لا يتجاوزهما. [٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ واضحات الدلالة ۝ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا نفهم معانيها؛ كأوائل السور، وجعله كله مُحْكَمًا في قوله: ﴿أَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْكِتَابِ الْقُرْآنُ مَلِيصًا﴾ (١) بمعنى: أنه ليس فيه غيب، ومُتَشَابِهًا في قوله: ﴿كَيْتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ (٢) بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مثل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لجهايلهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده <sup>(٣)</sup> ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون <sup>(٤)</sup> ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ خيرة؛ ﴿يَقُولُونَ ۝ آمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمشابهة؛ أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمشابهة ﴿بَيْنَ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ﴾ يادغم التاء في الأصل في الدال؛ أي: يعظم ﴿إِلَّا أَقْوَالًا لَا لَبَّيْ﴾ أصحاب العقول. ويقولون أيضًا إذا رَأَوْا مَنْ يُدْعَى: [٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ تملأها عن الحق باتباع تأويله الذي لا يليق بنا؛ كما أرغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تنبيهاً <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٩] ﴿يَا رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿وَيَوْمَ﴾ هو يوم القيامة؛ فتجازيهم بأعمالهم؛ كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ مواعده بالبعث، فيه الثقات <sup>(٢)</sup> عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه. تعالى <sup>(٣)</sup>، والغرض من الدعاء بذلك بيان أن هُتَمُّهُمْ أُمُّ الْآخِرَةِ؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية؛ لينالوا ثوابها؛ روى الشيخان عن

= وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَرَوْا بِرِيسَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۝ وَكَانُوا سَوِيًّا ۝ وَلَكِنَّ غَرْبَكَ رَبَّنَا وَلَكِنَّ الْغَوِيَّ ۝ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى ۝ فَأَنزَلَ اللَّهُ الْفُرْقَانَ ۝ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَمَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَفَعَلَتْ ۝ مَا أَكْتَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سَيِّئْنَا أَوْ نَحْسَنُ ۝ قَالَ: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِيزْ عَلَيْنَا أَمْرًا كَمَا سَخَّرْتُمْ عَلَى الْيُونُسَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِيزْ عَلَيْنَا أَمْرًا كَمَا سَخَّرْتُمْ عَلَى الْيُونُسَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: نعم، ﴿وَأَنْتُمْ عَنَّا وَكَفَرْتُمْ لَنَا وَكَانَتْ أُنْتُمْ مَوْلَانَا فَاسْتَرْسِزْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم. مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٥٧) بيان مجاوز الله عن حديث النفس. **قائلة:** وأخرج مسلم أيضًا: عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوق، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم

- (١) أشار به إلى قوله: ﴿يَا رَبَّنَا﴾ متعلق بمحذوف؛ فيكون في محل نصب على الحال. (٢) قبل تنزيل الكتاب الذي هو القرآن. (٣) أي: من التوراة والإنجيل. (٤) قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري في تعليقه على تفسير الجلالين ص ٥٩: «هذا التوجيه لبيان الفرق بين الإنزال والتنزيل غير صحيح، وقد حرى على هذا الخطأ كثير من أهل العلم؛ فقد وقع التعبير عن نزول القرآن بالإزال ومشتقاه بنحو مائة مرة، أما التعبير بالتنزيل ومشتقاه فقد وقع ما بين ثلاثين وأربعين مرة فقطه. (٥) فهو من عطف العام على الخاص؛ فالمراد بـ﴿الْفُرْقَانِ﴾ هنا: الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن؛ فافرقان كما يعلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب. (٦) هود: ١. (٧) الزمر: ٢٣. (٨) أشار به إلى أن الوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو مذهب الأكثرين، وهو أفسى بالقرية وأشبه بظاهر الآية. (٩) قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الحشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهدي فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. (١٠) أي: يتبع المشابهة بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق. (١١) تفسيره الرحمة بالتبنيث جرتا على مذهبه في تأويل الرحمة، وسبق بيان المذهب الحق، والتبنيث من لازم الرحمة كما قال ابن كثير: ﴿وَرَحْمَةً﴾ تبيت بها قلوبنا ونجمع بها شملنا وتزبدنا بها إيمانًا وإيقانًا. (إبن كثير ١/ ٣٢٩). (١٢) هذا على أنه من كلام الراسخين؛ فيه الثقات من الخطاب في قولهم: ﴿يَا رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ إلى الغيبة في قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. (١٣) فلا يكون فيه الثقات على مذهب الجمهور، وفيه الثقات عن التكلم على مذهب السكاكي.

عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾** إلى آخرها، وقال: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سقى الله، فأخذواهم»<sup>(١)</sup>، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث جلال...» وذكر منها: «أن يفتتح لهم الكتاب؛ فيأخذ المؤمن يتتبع تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله، **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**»<sup>(٢)</sup> الحديث.

[١٠] **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْصِرَ﴾** تدفع **﴿عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾** أي: عذابه **﴿سَيَبْقَى وَرُؤُسُهُمْ وَكُفْرُهُمْ﴾** بفتح الواو<sup>(٣)</sup>؛ ما تؤخذ به. [١١] **﴿ذُلُّهُمْ﴾** كعذاب. كعادة **﴿آلِ وَرَعَوَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** من الأمم؛ كعاد وثمود **﴿كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَهَاجَهُمُ اللَّهُ﴾** أهلهم **﴿يَذُوبُونَ﴾** والجملة<sup>(٤)</sup> مفسرة لما قبلها<sup>(٥)</sup> **﴿وَاللَّهُ شَوِيدٌ آفِيَابٌ﴾**. ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مرجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرًا من قريش أغمارًا لا يعرفون القتال -: [١٢] **﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿يَذُوبُونَ كَقُرُونِ الْيَهُودِ﴾** **﴿سَقَطُوا﴾** بالياء والياء<sup>(٦)</sup>، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك **﴿وَيُشْرِكُونَ﴾** بالوجهين<sup>(٧)</sup>، في الآخرة **﴿إِلَّا جَهَنَّمَ﴾** فتدخلونها **﴿وَيُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾** الفرائض هي<sup>(٨)</sup>.

[١٣] **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾** عبرة، وذكر الفيل<sup>(٩)</sup> ليفضل **﴿فِي يَتَيْنِ﴾** فرتين **﴿الْفَتَاتِ﴾** يوم بدر للقتال **﴿فَقَدْ فَتَنَّا﴾** في سبيل الله **﴿أَيُّ طَاعَتِهِ﴾** وهم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم قرصان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة **﴿وَأُخْرَى كَافَّةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾** أي: الكفار **﴿وَيُشْرِكُونَ﴾** أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف **﴿رَأَى الْقَاتِلِينَ﴾** أي: رؤية ظاهرة معانية، وقد نصرهم الله مع قتلهم **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقْوَى﴾** يقوى **﴿يَصْرُوهُ مِنْ شَكَاةٍ﴾** إن في ذلك **﴿لَذِكْرٌ لِبَنِي إِدْرِيْسَ﴾** لذي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] **﴿رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾** ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زينها الله<sup>(١٠)</sup> ابتلاء أو الشيطان<sup>(١١)</sup> **﴿مِنْ الْبَشَرِ وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾** الأموال الكثيرة **﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾** الجمعة **﴿مِنْ الْأَذْهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾** الحسن **﴿وَالْأَنْعَامِ﴾** أي: الإبل والبقر والغنم **﴿وَالْحَرْثِ﴾** الزرع **﴿وَالْحَرْثِ﴾** ذلك المذكور **﴿مِنْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾** يتمتع به فيها ثم يفنى **﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْأَمْوَالِ﴾** المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] **﴿قُلْ﴾** يا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْصِرَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ سَيَبْقَى وَرُؤُسُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ **﴿كَذَابٌ عَالٍ﴾** فرعون **﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمُ﴾** والله شديد العقاب **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ﴾** وتُحْشَرُونَ إلى جهنم **﴿وَيُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾** قد كان لكم آية في فتنتين **﴿الْفَتَاتِ﴾** فتنة تقتل في سبيل الله وأخرى كفر **﴿يَرَوْنَهُمْ﴾** مشايهم رأى العين **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصْرَهُ﴾** من يشاء إن في ذلك لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ **﴿رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الْأَذْهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْحَرْثِ﴾** ذلك متع **﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾** والله عنده حسن **﴿الْأَمْوَالِ﴾** **﴿قُلْ﴾** أُوْنِيْتُمْ بِخَيْرٍ **﴿مِنْ ذَلِكَ﴾** للذين اتقوا عند ربهم **﴿جَنَّاتُ جَنَّةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَنْزَجُ مَطَهَّرَةً﴾** ورضوان **﴿مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**

محمد لقولهم: **﴿أُوْنِيْتُمْ﴾** أخبركم **﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾** المذكور من الشهوات، استفهام تقرير<sup>(١٢)</sup> **﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** الشرك **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** خير مبتدؤه **﴿جَنَّاتُ جَنَّةٍ﴾** من تحتها **﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾** أي: مقدرين الخلود<sup>(١٣)</sup> فيها. إذا دخلوها **﴿وَأَنْزَجُ مَطَهَّرَةً﴾** من الحيض وغيره ما يشتهد **﴿وَرِضْوَانٌ﴾** بكسر أوله وضمه لغتان<sup>(١٤)</sup>؛ أي: رضا<sup>(١٥)</sup> كثير **﴿وَرِيتُ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾** عالم<sup>(١٦)</sup> **﴿وَالسَّابِقِ﴾** فيجازي كلاً منهم بعمله.

- لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أشعر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، وأُنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولأقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان». الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

- (١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
- (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
- (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.
- (٤) أي حملة: **﴿كَذَّبُوا...﴾** الآية. (٥) وهي قوله: **﴿كَذَابٌ عَالٍ وَرَعَوَ﴾** الآية [آل عمران: ١١].
- (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٧) أي: بئاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).
- (٩) وهو **﴿كَانَ﴾** ذكر للفصل والجر والجرور، وهو قوله: **﴿لَكُمْ﴾** (١٠) كما في قول عمر: «اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَنَا عَلَى مَا رَزَقْنَاكَ إِلَّا بِكَ» [رواه البخاري معلفاً في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة»].
- (١١) أي: بالوسوسة.
- (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبيت في نفوس المخاطبين.
- (١٣) أي: ففي حال مقدرة.
- (١٤) وهما قراءتان، والصم قراءة شعبة.
- (١٥) أنشأ بذلك إلى أن كلاً من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعياً والأول قياسياً.
- (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضاً أو تمثيلاً له بالخلق كما قال - شيخنا -: «لَيْسَ كَيْفُهُمْ شَيْءٌ وَفَوْهُ أَلَيْسَ بِشَيْءٍ» [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾. شهد بذلك ﴿الْمَلَكُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا أَلْبَانٍ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَالِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال<sup>(١)</sup>، وعاوَل فيها معنى لجملة: أي: تَقَرَّدَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة ففتح ﴿إِنَّ﴾ بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الـكُتُبِ اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَحَّدَ بعض وكَفَّرَ بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلِيمٌ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ لَهُمْ: أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ انْقَذْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنْ أَتَّبِعُ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشرفه؛ فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الـكُتُبِ اليهود والنصارى ﴿وَالَّذِينَ﴾ مشركي العرب: «أَسَلْتُ» أي: أسألوا ﴿فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال<sup>(٣)</sup>.

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يَكْفُرُونَ<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْقِسْطِ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهاهم مائة وسبعون من غيادهم؛ فقتلواهم من يومهم ﴿فَيَكْفُرُوا﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تَهَكُّمَ بهم، ودخلت الفاء في خبر «إن»؛ لشيبه اسمها الموصول بالشرط<sup>(٦)</sup>.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ نَّعِيمٍ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْأَكْتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبِعُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْأَكْتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلْتُكُمْ فَإِنْ أَتَمُّوا فَقَدْ هْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ يَغْيِرُ حَقَّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّعِيمٍ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا رَبَّنَا آتِنَا آمَنًا، صدقنا بك وبرسولك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُسْتَعْفِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ في الإيمان<sup>(١)</sup> ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الله؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، غُضِّتْ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَشْرَحُ لخلقها بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصديق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إم من لفظ الجلالة، أو من الضمير المتفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشرع؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتمال أن يكون المخاطب منتظراً للبدل عند سماع البدل ومنه ما ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غير؛ فذَكَرَها هنا شَيْقَ قَلَمٍ مِنْ الشَّارِحِ.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ به ليت، ولعل، وكأنه؛ فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتهاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتماً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».





[۳۳] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ ﴿اخْتَارَ﴾ ﴿عَادَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ﴿وَعَالَ﴾ ﴿عِزْرَانَ﴾ ﴿بِمَعْنَى: أَنْفُسَهُمَا﴾ ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿<sup>(۴)</sup>﴾ ﴿بِجَعْلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَسْلِهِمْ﴾.

يَوْمَ يُجَدِّدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتْ أُمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَاهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ حَارِزِهَا قَالًا يَمْزِيغُ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

[٣٠] اذْكَرُ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ١ ﴿فِي حَبِيرٍ تَعْمُرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ ٢ ﴿فِي حَبِيرٍ مَبْدَأُ خَيْرَةٍ﴾ ٣ ﴿يَوْمَ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَوِيدًا﴾ ٤ غَايَةً فِي نَهَايَةِ الْبَعْدِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا ﴿وَيُذَكِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ ٥ كَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعَاصِينَ﴾ ٦ وَنَزَلَ - لَمَّا قَالُوا: مَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ إِلَّا حَيًّا لِلَّهِ؛ لِيَقْرَبُونَا إِلَيْهِ<sup>(١)</sup> - [٣١] ﴿فَلَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ٧ ﴿مَعْنَى: يُبْسِكُمْ<sup>(٢)</sup> وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ ٨ ﴿لِمَنِ اتَّبَعْتُمَا سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ﴾ ٩ ﴿تَجِدُ﴾ ١٠ بِهِ.

[٣٢] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٣)</sup>.

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجائب (٦٧٨/٢): «هذا من منكرات جوير؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر»، وضمه جذاً في الاستيعاب (٢٤٢/١).

(٢) وهذا تأويل لصفة النجبة التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يثبتونها على الوجه الذي يليق به - شيخانته.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مراوئاً، ومن لازم عدم محبته - شيخانته - لهم أنه يعاقبهم.

(٤) المراد: غَالِبُوا زَمَانَهُمْ.

(٥) لابن عامر وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذاراً.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة المقشّرة بالتخفيف لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمدء أي: ذكرها، لمن سبق ومعههم شعبة.

هَذَاكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّاهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِيكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكَرَ رَنَّاكَ كَثِيرًا وَسَتِخْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَادَّكَرَ الْمَلَكُ يَمْرُومَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُومُ أَفْتَنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٥] اذكر ﴿٤٥﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُ يَمْرُومُ: أَي جبريل: ﴿يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾: أَي ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: خاطبها بنسبتها إليها تنبيها على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: عند الله.

[٣٨] ﴿هَذَاكَ﴾: أَي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإنجاب بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإنجاب بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقروا ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾: لما دخل الحراب (١) للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولدا صالحا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: مجيب.

[٣٩] ﴿فَدَّاهُ الْمَلَكُ﴾: أَي: جبريل (٢) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ﴾: أَي: المسجد ﴿أَنَّ﴾: بآن، وفي قراءة: بالكسر (٣) بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾: متفلا ومخفلا (٤) ﴿يَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾: كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾: أَي: بعيسى أنه روح الله، وسُمِّيَ كلمة؛ لأنه خلق بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾: متبوعا ﴿وَحَصُورًا﴾: ممنوعا من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهْم بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾: أَي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: بلغت ثمانين وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾: من خلق الله غلاما منكما ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بها. وَلَمَّا ثَاقَتْ نَفْسَهُ إِلَى سُرْعَةِ الْمُبَشِّرِ بِهِ.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: أَي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ عَائِشَةُ﴾: عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾: أَي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: أَي: ليلاتها ﴿إِلَّا رَمْرًا﴾: إشارة ﴿وَادَّكَرَ رَنَّاكَ كَثِيرًا وَسَتِخْ﴾: صل ﴿بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾: أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَادَّكَرَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُ يَمْرُومُ﴾: أَي جبريل: ﴿يَمْرُومُ﴾: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ: اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: من مسيس الرجال (٥) ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: أَي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يَمْرُومُ أَفْتَنِي لِرَبِّكَ﴾: أطبعه ﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: أَي: ضلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ﴾: في الماء يفترون، ليظهر لهم ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ﴾: يرعى ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالها؛ فنعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الحصى باسم العام تعظيما له.

(٤) لجمرة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الاء وضم الشين.

(٦) ولعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفاس وكل قدر.

[٤٩] ﴿وَمَا يَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَلَيْسَ﴾ أي: بأبي ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي: ﴿أَنِّي﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: بالكسر؛ استئنافاً ﴿أَخْلَقْتُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف<sup>(٢)</sup> ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup>: ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَذُنُ اللَّهُ﴾ يارادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتْرِي﴾ أُنْفِي ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَنْبَرَمَ﴾ وَخَصَّ بِالذِّكْرِ؛ لأنهما ذاء إعياء<sup>(٤)</sup>، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُتِي أَلْمَوْنُ﴾ يَذُنُ اللَّهُ ﴿كرهه﴾ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقاً له - وابن العجور، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» ومات في الحال ﴿وَأُتْبِئْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَنْشُرُونَ﴾ تخبون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعياه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين.

[٥٠] ﴿وَمَا جِئْتُكُمْ بِمُضْطَفٍّ لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنْ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعَثَ الَّذِي خُيِّرَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له<sup>(٥)</sup>، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿فَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرره تأكيداً ولبيني عليه ﴿فَأَنْفُخُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكدبوه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ذاهباً<sup>(٦)</sup> ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِئُوتُ﴾ نحن أنصار الله ﴿أعوان دينه﴾ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿أَمَّا﴾ صدقنا ﴿وَاللَّهُ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمَنْ أَصْلَحَ حَيْثُ ﴿٤٩﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٠﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥١﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَنْبَرَصَ وَأُنْخِ الْمَوْنُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمُضْطَفًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٤﴾ \* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ أَنَّكُمْ قَالْتُمْ أَنَّا أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَمَّا بَالَهُ وَأَشْهَدُ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾<sup>(١)</sup> وَمَنْ أَصْلَحَ حَيْثُ.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ ينزوح ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء<sup>(٢)</sup> ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط<sup>(٣)</sup> ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٤)</sup> وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيوخ، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَام - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحيتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عما عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغيرة بن ماها وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكه يؤذي بها، وأما ما له صيصية فهو باق على حلم لم يحرم.

(١٠) حَذَّلَهُ الْمَقْدُرُ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ هَلْ مِنَ الْيَاءِ فِي «أَنْصَارِي» قَالَ كُونِي ذَاهِبًا إِلَى اللَّهِ؛ أي: مُتَجِّيًا إِلَى اللَّهِ وَشَارِعًا فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السَّيِّدُ وَابْنُ جَرِيرٍ: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» [آل عمران: ٥٢]: مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: «إِنَّ» بمعنى: «فِي»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتَنَبْنَاكَ الشَّهِيدَ﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق. قال - تعالى :-

[٥٤] ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى؛ إذ وُكِّلُوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ بهم؛ بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه<sup>(١)</sup> ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَأَيْكَ﴾ إلى من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ بمعدك ﴿وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاحِلَ الَّذِينَ أَتَعَوْكَ﴾ صدقوا بنوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوَقَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك؛ وهم: اليهود؛ يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

[٥٦] ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرِضْهُمْ عَدَاكَ شَكِيدًا فِي الْأَذْنَى﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصِيرَتِكَ﴾ مانعين منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ فَيُوقِئِهِمْ بِالْيَاءِ وَأَتَوْهُمُ﴾ والله لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿أَي: يعاقبهم﴾<sup>(٢)</sup> روي أن الله - تعالى - أرسل إليه سحابة فرفقه؛ ففعلت به أمه وتكثرت؛ إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر بيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين<sup>(٣)</sup>. وروي الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية»<sup>(٤)</sup>. وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين»<sup>(٥)</sup>. وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه<sup>(٦)</sup>. فيحتمل أن المراد مجموع ليله في الأرض قبل الرفع وبعد.

[٥٨] ﴿وَذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿تَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ حال من البهاء في ﴿تَتْلُوهُ﴾، وعامله ما في ﴿وَذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة<sup>(٧)</sup> ﴿وَالَّذِي أَحْكَمَ﴾ المحكم؛ أي: القرآن.

[٥٩] ﴿إِنِّي مَكَّلَ عَيْسَى﴾ شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشرا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان؛ وكذلك عيسى قال له: «كن» من غير أب؛ فكان.

[٦٠] ﴿أَلَحَىٰ مِّن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِّنَ الْآلِوِ﴾ بأمه ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿فَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح، ويقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنة. الدر المنثور [٢/٢٧٢].

(٢) بالنون، للسبعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا تأويل لا يمتنع به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرج أحمد وأبو داود (٤٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصحيحة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: ﴿وَيُضَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ﴾.

(٨) لأنه مضمن معنى «أشيرة»، واعترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: ﴿تَتْلُوهُ﴾؛ فالعامل هو: ﴿تَتْلُوهُ﴾. قال بعضهم معتذرا عن المفسر: بأنه خلط إعرابا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٢٣٢/٣) وأصله عند مسلم (٢٤٠٤).

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَنَبْنَاكَ الشَّهِيدَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا لَّهُمْ وَمَكَّرَ اللَّهُ لَهُمْ وَمَكَّرَ اللَّهُ لَهُمْ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَاَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرِضْهُمْ عَدَاكَ شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ تنضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللهم ألعن الكاذب في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به؛ فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما تأهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين، وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمْنُوا»، فأبوا أن يلاعنا وصالحه على الجزية<sup>(٩)</sup>. [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يياهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

فيجزيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.

[٦٤] ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى: ﴿تَمَلَّؤُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوِيًّا﴾ مصدر، بمعنى: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هي: ﴿أَنْ﴾ نَ ﴿لَا تَقْبَلُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحرار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون. ونَزَّلَ - لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقالت النصارى كذلك -: [٦٥] ﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم <sup>(١)</sup> ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمان طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟! [٦٦] ﴿هَٰذَا لِلنَّبِيِّ﴾ أنتم ﴿مَبْدَأُ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ والخبر: ﴿حُجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ شَأْنَهُ﴾ وأنتم لا تعلمون.

[٦٧] قال - تعالى - تبرئة لإبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي زمانه ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ محمد؛ لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته؛ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه. لا أنتم ﴿وَاللَّهُ وَفِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> ناصرهم وحافظهم. ونَزَّلَ - لما دعا اليهود مُعَاذًا وحذيفة وعماراً إلى دينهم :-

[٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٧٠] ﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق؟! <sup>(٣)</sup>

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup> فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ <sup>(٢)</sup> قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ <sup>(٣)</sup> يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(٤)</sup> هَٰذَا نَشْرُهُ هَٰؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٥)</sup> مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(٦)</sup> إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٧)</sup> وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ <sup>(٨)</sup> يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ <sup>(٩)</sup>

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلِئِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

(٥) فائدة: أشرح الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاء من البين، وإن وليي أبي وعليل ربي». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ بِيَابِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٨١، ١٨٠/٢)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/٣)، والبيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (٢٥٩/١، ٢٦٠).



وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ فَخَرَجَاهُ عَنْ رَسُولٍ مُصَدِّقٍ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَلَأْخَذَكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ صَرِيْقًا قَالُوا أَأَقْرَضُ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

كاذبون. وَتَوَلَّى - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًّا. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ: ﴿٧٩﴾ [٧٩] «مَا كَانَ» ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفهم للشرعية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴿٧٨﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بالضعيف والتشديد ﴿٧٩﴾ «الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] «وَلَا يَأْمُرُكُمْ» بالرفع ﴿٨٠﴾ استئنافاً؛ أي: الله ﴿٨١﴾، والنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾؛ أي: البشر ﴿٨١﴾ «أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا» كما اتخذت الصابئة الملائكة، واليهود عزيرًا، والنصارى عيسى ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا ﴿٨٣﴾.

[٨١] «وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا» حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَآ﴾ بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم ﴿٨٠﴾ الذي في أخذ الميثاق، وكسرهما متعلقة بـ «أَخَذَ» ﴿٨١﴾، و«مَا» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي ﴿أَتَيْتُكُمْ﴾ إياه، وفي قراءة: ﴿أَتَيْتُكُمْ﴾ ﴿٨١﴾ «وَمِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ» من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم: إن أدركنموه، وأتممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أَقْرَضُكُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُكُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكَ﴾ إصريقٌ عهدي؟ ﴿قَالُوا أَأَقْرَضُ قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. [٨٢] «فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ» الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٨٣] «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ» بالياء والتاء ﴿٨١﴾؛ أي: المتولون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعابنة ما يلجئ إليه ﴿وَلِلَّهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالياء والياء ﴿٨٣﴾، والهمزة في أول الآية للإنكار.

[٧٨] «وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أي: أهل الكتاب ﴿لَفِرَاقًا﴾ طائفة؛ ككعب بن الأشرف ﴿يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المحرف ﴿وَمِنْ كِتَابٍ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعزاه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتحفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكسائي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بسكون الراء، وبقية السبعة: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالنصب - ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشر».

(٧) أشد بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد يمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل ﴿لَمَآ﴾؛ أي: لرعاية وحفظ ما أتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالطاء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالياء.



قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى  
وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالصِّدْقِ  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ<sup>(٥)</sup> وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ<sup>(٦)</sup> لَمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمَوْجُودَةِ عَلَيْهِ.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أَي: لَا يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ  
وَشَهِدُوا أَنِّي أَنَا رَسُولُ حَقِّ<sup>(٧)</sup> قَدْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ<sup>(٨)</sup>  
الْحُجُجُ الظَّاهِرَاتُ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>(٩)</sup> أَي:  
الْكَافِرِينَ.

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ<sup>(١٠)</sup>﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَي: اللَّعْنَةُ أَوْ النَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا لَا يَخْفُفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ<sup>(١١)</sup> يُجْهَلُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عَلَيْهِمُ<sup>(١٢)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
لَهُمْ رَحِيمٌ<sup>(١٣)</sup> نِهِم. وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى﴾ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِمُوسَى ثُمَّ  
أَزْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إِذَا غَرَّغُوا أَوْ مَاتُوا كُفْرًا  
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُّونَ﴾<sup>(١٤)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ لَأَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ  
أَفْتَدَى بِهِ<sup>(١٥)</sup> وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ<sup>(١٦)</sup>

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أَوْلَادِهِ ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى  
وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بِالصِّدْقِ وَالتَّكْدِيبِ  
﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> مُخْلِصُونَ فِي الْعِبَادَةِ. وَنَزَلَ فِيمَنْ ارْتَدَ وَلَحِقَ  
بِالْكُفَرَاءِ:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ﴾ لَمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمَوْجُودَةِ عَلَيْهِ.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أَي: لَا يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ  
وَشَهِدُوا أَنِّي أَنَا رَسُولُ حَقِّ<sup>(٧)</sup> قَدْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ<sup>(٨)</sup>  
الْحُجُجُ الظَّاهِرَاتُ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>(٩)</sup> أَي:  
الْكَافِرِينَ.

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ<sup>(١٠)</sup>﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَي: اللَّعْنَةُ أَوْ النَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا لَا يَخْفُفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ<sup>(١١)</sup> يُجْهَلُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عَلَيْهِمُ<sup>(١٢)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
لَهُمْ رَحِيمٌ<sup>(١٣)</sup> نِهِم. وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى﴾ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِمُوسَى ثُمَّ  
أَزْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إِذَا غَرَّغُوا أَوْ مَاتُوا كُفْرًا  
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُّونَ﴾<sup>(١٤)</sup>

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ  
لَأَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهَا﴾ بِالْأَرْضِ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا لَا يَخْفُفُ  
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ<sup>(١١)</sup> يُجْهَلُونَ.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿وَرَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ  
وَأَتَيْنَاكَ أَرْسُولًا فَكُنَّا مَعَ النَّبِيِّينَ﴾ أَوْ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود  
(١١٢٢).

(٦) ما جاء في نزول الآيات (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من نوبة؟  
فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلاناً قد تدم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من نوبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأرسل إليه  
فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) نوبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: احارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن  
حجر (٣١٤/٣).

(١٦) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿الَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

[٩٢] ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ تَصَدَّقُوا ﴿وَمِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه. ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها<sup>(١)</sup>. [٩٣] ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق الشَّما - بالفتح والقصر - فذبح إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ فبهتوا ولم يأثروا بها. قال - تعالى -: [٩٤] ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. [٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا؛ كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ونَزَّلَ - لما قالوا: قبلتنا قبل قبلكم -: [٩٥] ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متعبدًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بآباءه، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تلك أعناق الجبارة؛ أي: تدفقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدته يضاء؛ فحدث الأرض من تحتها»<sup>(٣)</sup>. ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم. [٩٧] ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها<sup>(٤)</sup>: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فآثَر قَدَمَاهُ فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعوله<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها<sup>(٦)</sup> لغنان في مصدر حج؛ بمعنى: قصد، ويدل من<sup>(٧)</sup> «الناس»: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فشره ﴿بِالزَّادِ وَالزَّاجِلَةِ﴾<sup>(٨)</sup>. [رواه الحاكم وغيره] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. [٩٨] ﴿قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. [٩٩] ﴿قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصَدُّونَ﴾ تَصْرُفُونَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكديكم النبي وكنتم نفعه ﴿تَبِعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عَوَجًا﴾ مصدر؛ بمعنى: معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونَزَّلَ - لما مرَّ بعض اليهود<sup>(٩)</sup> على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن؛ فمشاجروا وكادوا يقتلوا -: [١٠٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نحلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها، طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء. وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعاها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «خير». ذلك مال رابع، وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن يجعلها في الأقرين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥)، (٧٦)، والحاظ في العجاف (٧١٦/٢)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (٢٧٤/١)، (٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٢٦٥/٤)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المائتين ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظمتهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مبركون لهما بحواسمهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعوله ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، ولعلنا محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (٤٤٢/١)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في الغاري (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧، ١٦/٤)، وضعفه الحاكم إسناده في الإصابة (٨٧/١)، وهذا اليهودي قبل اسمه: شاس بن

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ أَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بَانَ يَطَاعُ ﴿فَلَا يَغْفِي﴾، وَيُشَكِّرُ فَلَا يَكْفُرُ، وَيَذْكُرُ فَلَا يُنْسِي؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا؟ ﴿فَتَسَبَّحْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴾: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ موجدون.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إِنْعَامَهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ جَمْعٌ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فَصَرَّمْ ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ إِخْوَانًا ﴿فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ﴾ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا طَرَفٍ ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كَفَرًا ﴿فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بِالْإِيمَانِ ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا بَيْنَ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ﴾ الدَّاعُونَ الْأَمْرُونَ النَّاهُونَ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الْفَائِزُونَ، وَ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبَعِضِ<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّهُ مَا ذَكَرَ فَرَضَ كِفَايَةً لَا يَلِمْ كُلَّ الْأُمَّةِ، وَلَا يَلِيقُ بِكُلِّ أَحَدٍ؛ كَالْجَاهِلِ.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عَنْ دِينِهِمْ ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فِيهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُمْ آيَاتِنَا﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى<sup>(٣)</sup> ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ فَيَلْقَوْنَ فِي النَّارِ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> أي: جَنَّتِهِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بَانَ يَأْخُذُهُمْ بِغَيْرِ جَرَمٍ.

- قيس. وجاء نحوه عن معاهد كما في تفسير الطبري (١٧/٤). وضعفهما في الاستيعاب (٢٧٩/١، ٢٨٠).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود. [الدر المنثور (١٠٥/٢)].

(٢) العنان: ١٦.

(٣) وفي: صلة؛ كقولته تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الحج: ٣٠] لم يرد اجتناب بعض الأوثان، بل أراد: فاجتنبوا الأوثان. قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدُهُ، فَإِنْ لَمْ يَشْطَعْ قَبْلَئِذَا، فَإِنْ لَمْ يَشْطَعْ قَبْلَئِذَا، وَكَذَلِكَ أَسْعَفَ الْإِيمَانُ﴾ [تفسير ابن كثير (٣٦٨/١)].

(٤) محكي هذا عن أبي ثني كعب. وقال الحسن: هم المنافقون تكلّموا بالإيمان بالسنتهم وأنكروا بقلوبهم. وعن عكرمة أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم ومحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. والآية - والله أعلم - تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا سبيل الفرق والاختلاف في الدين كما سلكه من قبهم من اليهود والنصارى حتى ربما أدى بهم إلى الكفر. والعياذ بالله. بعد إيمانهم، فيقال بهم كما قيل لهؤلاء: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِصْمَةِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَبِهِمْ عَنِ الْفِرْقِ بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

(٥) فيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ إِلَّا دَبَارَ شَيْءٍ لَا يَصُرُونَ ﴿٢١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلْذَلَّةَ آيِنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءَ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾

أُخْرِجَتْ ﴿١٩﴾ أَظْهَرَتْ ﴿١٩﴾ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿٢٠﴾ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ الكافرون.

[١١١] ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ﴾ يُلَوِّكُمُ الْآذِبَارُ ﴿مِنْهُمْ﴾ ثم لا يضرُّوكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بل لكم النصر عليهم.

[١١٢] ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلْذَلَّةَ آيِنَ مَا تُقِفُوا﴾ حينما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كاتين ﴿وَيَحْبِلُ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (١) المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك (٢) ﴿وَبَآءَ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ﴾ تأكيداً ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ مستويين ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق؛ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي: في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون، حال.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ في التَّحَرُّطِ وَأُولَئِكَ ﴿الْمُوصُوفُونَ﴾ بما ذكر الله ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالناء (٣)؛ أيها الأمة، والباء؛ أي: الأمة القائمة ﴿مِنَ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين (٤)؛ أي: تعدوا ثوابه؛ بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يا أمة محمد في علم الله - تعالى - خَيْرَ أُمَّةٍ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣) - (١١٥): أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم حرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بمعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الباء والتاء، بالناء لمن سبق ذكرهم.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَكْلُهُمْ مِنْ اللَّهِ أَي: من عذبه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، وثارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها<sup>(١)</sup> ﴿كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفعوا به؛ فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياغ نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضيعاعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سركم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تمنا ﴿وَمَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عتقكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَقْوَاهُمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أُولَاءِ﴾ المؤمنين ﴿يُحِبُّونَكُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصدقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لخالفتمكم لكم في الدين ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنْ الْقَوْلِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثمَّ غَضٌّ ﴿فَلَمْ يُولَوْا يَعْظِمُكُمْ﴾ أي: افقوا عليه إلى الموت<sup>(٢)</sup>؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمرة هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْسِمُ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كنصر وغنيمة ﴿تَنْصُرُهُمْ﴾ تنزيهم ﴿وَإِنْ تَصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوها ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ الله في مواليتهم وغيرها ﴿[يَضْرِبُكُمْ]﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء<sup>(٣)</sup> وضمها وتشديدها<sup>(٤)</sup> ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسَاءُ يَعْمَلُونَ ﴿بِالْيَأْسِ وَالنَّاءِ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿يُحِيطُ﴾ عالم<sup>(٦)</sup>؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَكْلُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾  
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا وَلَا دُورًا مَعَهُمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآؤُنَا أُولَآءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنِ كُمُ الْأَنْتَامِلِ مِنَ الْقَيْظِ قُلْ مَوْثُؤُا يَعِظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَسْتَكْسِمُ حَسَنَةً تَنْصُرُهُمْ وَإِنْ تَصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ يَقْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذَا عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لَأَقْوَامِكُمْ﴾ بأحوالكم؛ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انصحبوا غنًا بالثبلي، لا يأتون من ورائنا، ولا تبرزوا غلبتنا أو نصرتنا»<sup>(٧)</sup>.

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من صار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الراء مع ضم الضاد من ضَرْبٍ يضرب، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة المشرة بالياء، والقراءة بالناء شاذة، وقد سها السيوطي عن التنبيه إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أعر عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٣٧٣٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ لِيُثْقِلُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَتَزَلَّ . لما هزموا تذكروا لهم  
بنعمة الله .: [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة  
﴿وَأَنْتُمْ أُولُوْهُ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ نعمه.  
[١٢٤] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «نصركم» ﴿نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطمينا:  
﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّتَ﴾ يعينكم ﴿رِجْلَكُمْ﴾ ثَلَاثَةً ۖ وَالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ  
مُنزِلِينَ ﴿١٢٥﴾ بالتخفيف والتشديد (١٢٥).

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنه أمدهم أولا  
بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على  
لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِي الْحَالِفَةِ﴾ وَتَأْتُواكُمْ ۖ أَي: المشركون ﴿مِّنْ قُوَرِهِمْ﴾  
وقتهم ﴿هَذَا يَبْدُوْكُمْ رِجْلَكُمْ بِحَسَبِ ۖ عَالِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو  
وفتحها (١٢٦)؛ أَي: مُعَلِّمِينَ، وقد صبروا وأنجز الله وعده، بأن قاتلت معهم الملائكة  
على خيل بلق، عليهم عمائم صفراء (١٢٧) أبيض (١٢٨)، أرسلوها بين أكفاهم.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَي: الإمداد ﴿إِلَّا لِيُثَبِّتَ لَكُمْ﴾ بالنصر  
﴿وَلِيُطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا  
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكرة الجند.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بـ «نصركم»؛ أَي: ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يرجعوا  
﴿حَآئِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. وَتَزَلَّ . كما كُثِرَتْ رِجَالُهُ ۖ وَشَجَّ وَجْهُهُ  
يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَالَ: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَمِّ؟» (١٢٨) .:  
[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى: «إلى»  
أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعِيدًا  
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَاللَّهُ  
عَفُورٌ ۖ لَّوْلَاهُ﴾ رَحِيمٌ ۖ بأهل طاعته.

[١٣٠] ﴿يَتَأْتِيَكَ الْأَيُّ ۖ أَمَاتُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾  
بألف ودونها (١٣١)؛ بأن تريدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب  
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تَلْحَقُونَ﴾ تفوزون. [١٣١] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ  
الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا  
لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ  
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّتَ لَكُمْ رِجْلَكُمْ بِثَلَاثَةٍ ۖ وَالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ  
مُنزِلِينَ ﴿١٢٥﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ قُوَرِهِمْ  
هَذَا يُمْدِدْ زَرْبُكُمْ بِخَمْسَةِ ۖ أَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ  
﴿١٢٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۖ  
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا  
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٨﴾  
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ  
ظَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن  
يَشَاءُ ۖ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٠﴾ يٰٓأَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً  
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ  
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٣٣﴾

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هَمَّتْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا  
العسكر ﴿طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ تَجَبَّأ عَنْ الْقِتَالِ وَتَرْجَعَا، لما رجع  
عبدالله بن أبي المنافق وأصحابه، وقال: غلام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال -  
لأبي جابر السلمي القاتل له: أئندكم الله في نبيكم وأنفسكم .: لو نعلم قتالا  
لاتبعناكم. فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرجه البخاري عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر، يقول: «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»؛ فأقول الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿ظَالِمُونَ﴾. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (٩).  
وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رِجَالَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وشج في رأسه، فجعل يسيل الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رِجَالَهُمْ، وهو يدعوهم إلى الله؟»  
فأقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مسلم - كتاب الجهاد والسير (٦٤) باب (٣٧) غزوة أحد.  
قال الحافظ في الفتح (٧٥/٨): «طريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته؛ فنزلت الآية في الأمرين معا؛ فيما وقع من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم. وذلك في أحد...».

(١) بالتشديد، ومعه فتح اللون، قراءة ابن عامر.  
(٢) قراءتان سبعيتان، وهي بالكسر: اسم فاعل؛ والمعنى: معلمين أنفسهم آداب الحرب، وبالفتح: اسم مفعول؛ بمعنى: أن الله علمهم آدابه، وبالفتح قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عمر.  
(٣) هذا ما رواه أبو نعيم في «فضائله» عن عروة بن الزبير: «كَانَتْ عَشَاةَ جَبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَتَزَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ».  
(٤) هذا ما رواه إسحاق والطبراني عن ابن عباس قال: «كَانَتْ سِيَمَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَفَائِهِمْ بَيْضًا، مُعَلِّمِينَ بِالْصُّوفِ الْأَبْيَضِ فِي تَوَاجِيهِ الدُّوَابِّ وَأَذْنَائِهِمَا، وَجَمَعَ بَيْنَ الرَّوَاتِبِ أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَتْ عَمَامَتُهُ صَفْرَاءَ، وَغَيْرُهُ كَانَتْ عَمَامَتُهُ بَيْضَاءَ».  
(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٧) وصححه الألباني، وأحمد (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) من حديث أنس بن مالك، وأخرجه مسلم (٢٣٤٦) بلفظ «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رِجَالَهُمْ...».  
(٦) أَي: «مُضَاعَفَةً» وهي قرابة «بن كثير وابن عامر، ومعناها كما ذكر المفسر؛ كان الطالب يقول: أتقضي أم تري؟ فرجا فعل ذلك مرا؛ فزيد الدين أضعاافا مضعفة. و«مُضَاعَفَةً»: إشارة إلى تكرير التضعيف عمدا بعد عام كما كانوا يضاعفون، وهذا توبيخ لا تنقيد أو بحسب الواقعة.

﴿١٣٣﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا وَعَمَّ آجُرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٧﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِن يَمَسُّكُمْ فَتْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَتْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾

﴿١٣٣﴾ ﴿وَسَارِعُوا﴾ باو ودونها<sup>(١)</sup> ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كمرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

﴿١٣٤﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ السر والعسر ﴿وَالْكُظُمِ الْعَظِيمِ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ من ظلمهم؛ أي: التاركين عقوبتهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال؛ أي: بيبهم<sup>(٢)</sup>.

﴿١٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً؛ كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما دونه؛ كالقَبْلَةِ ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يداوموا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ بل أعلوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية.

﴿١٣٦﴾ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا وَعَمَّ آجُرُ الْعَمَلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر. ونَزَلَ في هزيمة أحد:

﴿١٣٧﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك؛ فلا تجزئوا لغلبتهم؛ فأنأ أمهالهم لوقتهم.

﴿١٣٨﴾ ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ منهم.

﴿١٣٩﴾ ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وجوابه دَلَّ عليه مجموع ما قبله.

﴿١٤٠﴾ ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ﴾ يصيبكم بأحد ﴿فَتْحٌ﴾ بفتح القاف وضماً<sup>(٣)</sup>؛ جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿فَتْحٌ مِّثْلُهُ﴾ يدر ﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا﴾ نُصَرِّفُهَا ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى؛ ليتعلموا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين؛ أي: يعاقبهم<sup>(٤)</sup>، وما ينعم به عليهم استدرأج.

(١) وإثبات الراو قراءة الجمهور عطفًا تفسيريًا على: ﴿وَالْيُسُورُ اللَّهُ﴾؛ كرسم مصاحف مكة والعراق، و«دونها» في قراءة نافع وابن عامر على الاستئناف؛ كرسم المصحف الشامي والمدني.

(٢) وهما تأويل. كما سبق مراراً. ومذهب السلف إثبات هذه الصفات دون أن يقتضي ذلك نقضاً في حق الباري ﷻ، كما يزعم هؤلاء المؤولة وغيرهم من المعطلة، ومن لازم محبته. سبحانه وتعالى - للمحسنين أن يبيهم.

(٣) بالضم لحزمة والكسائي وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٤) وهما تأويل، ومذهب السلف إثبات صفات رنا على الوجه الملائق به. سبحانه. ومن لازم عدم محبته للظالمين أن يعاقبهم.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿أَلَمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ أي: سببته الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فلم انهزمتم؟! ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قُتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبوداً فرجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمُرَّ اللَّهُ شَيْئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كَتَبْنَا﴾ مصدر؛ أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ مؤقَّتا، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿قَتَلَ﴾، والفاعل ضميره<sup>(٢)</sup> ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جنوا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قتل: قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ عسى البلاء؛ أي: يبيهم<sup>(٣)</sup>.

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيداناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم ﴿وَكُنْتَ أَقْدَامُنَا﴾ بالقرعة على الجهاد ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَلِيَمُحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُثِّرَتْ مَمَتُونَ أَلَمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا تُوْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاقَاتِلْهُمْ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٩] ﴿وَلِيَمُحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يظهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمَحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾ بل<sup>(١)</sup> أ<sup>(٢)</sup> ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم يعلم الله الذين جاهدوا ومنكم عدم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ في الشدائد!.

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر بـ«بل» التي للإضراب الانتقالي.

(٢) الهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه حدداً في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ريون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ يكون نائب الفاعل: «ريون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «ني».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً وبيان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يبيهم ويكرهم.



[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ﴾ عَلَى أَغْفِيكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ﴾ فاطميوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضماً<sup>(١)</sup>؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أخذ على العود واستئصال المسلمين، فزعوا وهم يرجعوا<sup>(٢)</sup> ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة<sup>(٣)</sup> على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ يَتَّبِعُ مَثَلُ مَا بَدَأَ اللَّهُ مِنَ الْبَاطِلِ﴾ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذَا تَحْسَنْتُمْ﴾ تقاتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اختفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضهم: نذهب؛ فقد نصبر أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ﴾ مَّا جَبْتُمْ من النصر، وجواب «إذا» ذل عليه ما قبله؛ أي: منعكم نصره ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه<sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رَدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ أي: الكفار ﴿لِيَتَّبِعَكُمْ﴾ ليمتنحكم؛ فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما ارتكبموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هارين ﴿وَلَا تَلُوتُونَ﴾ تُعْرَجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَى﴾ أي: من وراءكم؛ يقول: «إني عباد الله»<sup>(٥)</sup> ﴿فَأَتَيْنَكُمْ﴾ فجازاكم<sup>(٦)</sup> ﴿عَمَّا﴾ الهزيمة ﴿يَعْمَرُ﴾ بسبب غمكم للرسول بالخلفة، وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِيَكَيْلًا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أتاكم»؛ فـ«لا» زائدة<sup>(٧)</sup> ﴿تَحْذَرُوا عَلَى مَا قَاتَكُمُ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا  
يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ  
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ ﴿١٥١﴾ سَنُلْقِي  
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ  
مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَلَهُمُ النَّارُ وَيَسَّ  
مَثَلُ الْفَاطِمِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ  
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ  
مَّا حُجِبَتْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ  
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ  
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١٥٣﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوتُونَ عَلَى أَحَدٍ  
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَى فَأَتَيْنَكُمْ  
عَمَّا يَعْمَرُ لِيَكَيْلًا تَحْذَرُوا عَلَى مَا قَاتَكُمُ وَلَا  
مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٧/١).

(٣) سميت سلطاناً؛ لوضوحها وإثارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإنابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون عَمَّا يَمُوتُ.

(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «كَيْلًا» بـ«أتاكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عَفَا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينتفي حزركم.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَشْعِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْشَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَقُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَمَّتِ الْجُمُعَانِ إِنَّمَا أَسْأَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْقَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً ﴿١﴾ أَمَنَةً ﴿٢﴾ نُّعَاسًا ﴿٣﴾ بدل ﴿٤﴾ يَمَيِّنُ ﴿٥﴾ بالياء والناء ﴿٦﴾ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴿٧﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون ﴿٨﴾ تحت الحجب ﴿٩﴾ وتسقط السيوف منهم ﴿١٠﴾ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿١١﴾ أي: حملتهم على الهمة؛ فلا رغبة لهم إلا بنجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم: المناقرون ﴿١٢﴾ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا ﴿١٣﴾ غَيْرَ الظَّنِّ

﴿الْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي: كظنَّ ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُبِلَ ﴿١﴾ أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ لهم: ﴿إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بالنصب تأكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿٢﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يَخْشَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ﴾ ﴿يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مَا قُتِلْنَا ههنا ﴿أَي﴾ لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجننا كرهنا ﴿قُلُوبِكُمْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللَّهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ فعل ما فعل بأخيه ﴿وَلِيُمَحَّصَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاء ﴿وَلِيُمَحَّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يبتلي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ آتَمَّتِ الْجُمُعَانِ﴾ جفغ المسلمون وجفغ الكفار بأخيه؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا أَسْأَلَهُمْ﴾ أرلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناققين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جفغ غَارَ؛ فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ ﴿فَلا يَمْنَعُ﴾ عن الموت قعود ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها ﴿مِنْ مَاتَ يَوْمٌ﴾ ﴿وَيَمَاتُ﴾ أي: أناكم الموت فيه ﴿لَمَعْقَرَةٌ﴾ كائنة ﴿بَيْنَ اللَّهِ وَلِذُنُوبِكُمْ﴾ وَرَحْمَةٌ منه لكم على ذلك، واللام ومدخلها جواب القسم ﴿١﴾، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالفاء والياء ﴿٢﴾.

(١) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع روائ سبب الخوف، والأمانة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر، لأن الأمانة هي التعاس بهيئها، وقيل: بدل اشتغال؛ لأن الأمانة لها اشتغال بالعباس وهو له اشتغال بها؛ لأنه لا يحصل التعاس إلا للأمن.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الباء الضمير عائد على التعاس، وعلى الناء الضمير عائد على الأمانة.

(٤) أي: يميلون.

(٥) جمع حجة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا يتم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النفي.

(٨) وجملة ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ مِنْ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (مِنْ مَاتَ يَوْمٌ)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (وَيَمَاتُ)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألقا.

(١٣) وجوب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم \* جواب ما أعرت فهو ملزم

(١٤) بالياء قراءة السبعة عدا حفص.

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ لَمَ قَسَمَ مُتْمَنٌ بِالْجُوهَيْنِ<sup>(١)</sup>﴾ «أَوْ قِيلْتُمْ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَا إِلَى غَيْرِهِ «تُحْشَرُونَ» فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَجَازِيَكُمْ.

[١٥٩] ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنْ اللَّهِ لَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّد «لَهُمْ» أَي: سَهَلَتْ أَحْلَاكَ إِذْ خَالَفَكَ «وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا» سَجَى الْخَلْقِ «غَلِظَ الْقَلْبُ» جَافِيَا فَأَغْلَظْتَ لَهُمْ «لَا تَقْضُوا» تَفْرُقُوا «بَيْنَ حَوْلِكَ» فَاعْتَفَ تَجَاوَزَ «عَنْهُمْ» مَا أَتَوْهُ «وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» ذُنُوبَهُمْ حَتَّى أَغْفِرَ لَهُمْ «وَيَسْأَلُوكَ» اسْتَخْرَجَ أَرْعَاهُمْ «فِي الْأَمْرِ» أَي: شَأْنِكُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ؛ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلِيُشَبِّهَنَّ بِكَ، وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْمَشَاوَرَةِ بِهِمْ «فَإِذَا عَزَمْتَ» عَلَى إِمْضَاءِ مَا تَرِيدُ بَعْدَ الْمَشَاوَرَةِ «فَقَرَأْ عَلَى اللَّهِ» ثَوْبَهُ لَا بِالْمَشَاوَرَةِ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» عَلَيْهِ.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ يُعِزُّكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ؛ كَيَوْمِ بَدْرٍ «فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ «يَبْرِكْ نَصْرُكُمْ» كَيَوْمِ أُحُدٍ «فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» أَي: بَعْدَ خِذْلَانِهِ أَي: لَا نَاصِرَ لَكُمْ «وَعَلَى اللَّهِ» لَا غَيْرُهُ «فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ». وَتَوَكَّلْتُ - لِمَا فَقَدْتُ قَطِيفَةَ حِمْرَاءَ يَوْمِ أُحُدٍ؛ فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ النَّبِيَّ أَخَذَهَا -: [١٦١] «وَمَا كَانَ»<sup>(٢)</sup> مَا يَنْبَغِي «لِيَنْبِيَّ أَنْ يَقُلَ» يَخُونُ فِي الْغَنِيمَةِ؛ فَلَا تَنْظُرُوا بِهِ ذَلِكَ، وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْمُسْمُولِ<sup>(٣)</sup>؛ أَي: أَنَّ يُنْسَبَ إِلَى الْغُلُولِ «وَمَنْ يَقْتُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» حَامِلًا لَهُ عَلَى عُنُقِهِ «ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ» الْعَالُ وَغَيْرُهُ جَزَاءً «مَا كَسَبَتْ» عَمِلَتْ «وَهُمْ لَا يظْلُمُونَ» شَيْئًا<sup>(٤)</sup>.

[١٦٢] ﴿أَقْمِنِ أُنْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ فَأُطَاعَ وَلَمْ يَغْلَ «كَمَنْ يَلَهُ» رَجَعَ «يَسْخَطُ مِنْ اللَّهِ» لِمَعْصِيَتِهِ وَغُلُولِهِ «وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ» الْمَرْجِعُ هِيَ؛ لَا<sup>(٥)</sup>. [١٦٣] «هُمْ دَرَجَتٌ» أَي: أَصْحَابُ دَرَجَاتٍ «عِنْدَ اللَّهِ» أَي: مُخْتَلِفُو الْمَنَازِلِ؛ فَلْيَنْ أُنْبَعَ رِضْوَانُهُ الثَّوَابُ، وَلْيَنْ بَاءَ يَسْخَطُهُ الْعِقَابُ «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» فَيَجَازِيهِمْ بِهِ. [١٦٤] «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أَي: عَرَبِيًّا مِثْلَهُمْ؛ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ وَيُشْرَفُوا بِهِ، لَا مَلِكًا وَلَا عَجَمِيًّا «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ» مَا يَنْبَغِي. الْقُرْآنَ «وَيُزَكِّيهِمْ» يَطْهَرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ» الْقُرْآنَ «وَالْحِكْمَةَ» السَّيِّئَةَ «وَالْإِيمَانَ» مَخْفِضَةً؛ أَي: إِيْمَانَهُمْ «كَانُوا مِنْ قَبْلُ» أَي: قَبْلَ بَعَثِهِ «لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» يَبِينُ.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بِأُحُدٍ يَقْتُلُ سَبْعِينَ مِنْكُمْ «قَدْ أَصَابَكُمْ مُثْلُهَا» بِيَدِ بَقِيَّةِ سَبْعِينَ وَأَسْرَ سَبْعِينَ مِنْهُمْ «فَلْتَرْ» مُتَعَجِبِينَ: «أَنِّي» مِنْ أَيْنَ لَنَا «هَذَا» الْخِذْلَانُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ فِينَا؟! وَالْجُمْلَةُ الْآخِرَةُ<sup>(٦)</sup> مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ<sup>(٧)</sup> «قُلْ» لَهُمْ: «هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْمَرْكَزَ؛ فَخِذْلَانَهُمْ «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وَمِنْهُ النَّصْرُ وَمَنْعُهُ، وَقَدْ جَازَاكُمْ بِخِلَافِكُمْ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ الْآيَةِ (١٦١): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُلَ» فِي قَطِيفَةِ حِمْرَاءَ فَقَدْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُلَ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ (٢٤) رَقْم (٣٩٧١). وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٣٦٠).

(١) أَي: ضَمَّ الْمِمْ وَكَسَرَهَا، وَالْكَسْرُ قِرَاءَةُ حِمْرَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَنَافِعٌ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩٧١)، وَالثِّرَمَذِيُّ (٣٠٠٩)، وَنَافِعٌ مَا جَاءَ فِي نَزُولِ الْآيَةِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٣٦٠).

(٣) لِحِمْرَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَنَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ.

(٤) قَوْلُهُ: (لَا)، جَوَابُ الِاسْتِفْهَامِ.

(٥) وَهِيَ قَوْلُهُ: «فَلْتَرْ».

(٦) أَي: فَهُوَ بِمَعْنَى النَّفْيِ؛ وَالْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ حِينَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ؛ فَسَبِيحُ ظَاهِرٍ لَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ.

وَلَيْنَ مُتْمَنٌ أَوْ قِيلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَقْمِنِ أُنْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ يَلَهُ اللَّهُ كَمَنْ بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أُولَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ﴾  
بأفوههم مآ لئس في قلوبهم ﴿ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم﴾ والله أعلم  
بما يكتنون من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله<sup>(١)</sup>، أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾  
في الدين ﴿وَقَدْ قَاتَلُوا﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أخيه  
أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿فَادْرءُوا﴾ ادفعوا ﴿وَعَنْ﴾  
أنفسكم الموت إن كنتم صديقين ﴿في أن القعود ينجي منه﴾.  
[١٦٩] ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف  
والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءُ﴾  
عند ربهم ﴿أرواحهم في حواصل طيور تحضر تسرح في الجنة حيث شاءت؛  
كما ورد في الحديث<sup>(٣)</sup> ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة<sup>(٤)</sup>.

[١٧٠] ﴿وَرَحِيمٍ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ عَاتَتْهُمُ اللَّهُ مِنْ﴾  
فضله ﴿وَهُمْ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾  
من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ بآن ﴿لَا خَوْفٌ﴾  
عليهم ﴿أَي: الذين لم يلحقوا بهم﴾ ولا هم يحزنون ﴿في الآخرة﴾ المعنى:  
يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه  
﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا<sup>(٥)</sup> ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ﴾  
المؤمنين ﴿بل يأجرهم﴾.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاء بالخروج  
للقاتل؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة<sup>(٦)</sup>، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر  
العام المقبل من يوم أخيه ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأخيه<sup>(٨)</sup>، وخبر  
المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَقُوا﴾ مخالفتهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾  
هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾  
أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ﴾  
جَبَعُوا كَتَمَ: الجموع؛ ليسأصلوكم ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ ولا تاتوهم ﴿فَرَادَتْهُمُ﴾  
ذلك القول ﴿إِيَّانَا﴾ تصديقًا بالله وبقيناه ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيًا  
أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛  
فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا،  
وكان معهم تجارات فباعوا وربعوا<sup>(٩)</sup>. قال الله - تعالى -:

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذَنْ اللَّهُ وَلِعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ  
وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَيُفْتِنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتُكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ  
أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾  
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلٌّ فَادْرءُوا وَعَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ﴾  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ  
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾  
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ﴾  
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾  
فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأخيه ﴿فِإِذَنْ اللَّهُ﴾ بإرادته  
﴿وَلِعَلَّكُمْ﴾ علم ظهور<sup>(١)</sup> ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٦٧] ﴿وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن  
القتال؛ وهم: عبدالله بن أبي وأصحابه: ﴿تَعَالَوْا فَيُفْتِنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ﴾  
نَعْلَمُ نُحْبِسُ<sup>(٢)</sup> ﴿وَقِتَالًا لَا تَبَعَتُكُمْ﴾ قال - تعالى - تكذبت ألسنتهم:  
﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(١) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد حمل الله أرواحهم في جوف طير تحضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياه في الجنة نرزق، فلا يرهبوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أعلمهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتُكُمْ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفكرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو تعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحوه النسائي في التفسير (٣٤٣/١)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/١١٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/١)». وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨-٢٢٩): «الحقوف إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا أحدًا، ونزلت في أهل أحد حين داهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج نفعًا إلا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المريد، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلعوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموعدة كما ذهب لبعضهم. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر. (٩) ذكره الواقدي في مغاريه (٢٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمراء الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة ﷺ قالت لغروة: يا ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم ... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

[١٧٤] ﴿فَأَنقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وريح ﴿لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته واطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي: القاتل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَوْفَىٰ﴾ كُمْ ﴿أُولَآئِهِمُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَخْزِيكَ﴾ بضم الباء وكسر الزاي<sup>(١)</sup>، وبفتحها وضم الزاي: من «خزته» لغة في «أخزته»<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا نهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفتحهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَشْرَكُوا بِالْإِيمَانِ ﴿أَي: أَخَذُوهُ بَدَلَهُ﴾ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup> ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي﴾ أي: إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَبْرًا لِّنُفْسِهِمْ﴾ وأن «وإن» ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُثَلِّي﴾ نعمل ﴿لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ بكثره المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليرك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْحَيِّثُ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَبْرًا لَّهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول<sup>(٥)</sup> «بخلهم» مقدرا قبل الموصول على الفوقانية<sup>(٦)</sup>، وقبل الضمير على التحتانية<sup>(٧)</sup> ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث<sup>(٨)</sup> ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(٩)</sup> ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزته»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قرئان سبعتان، وباءتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ل (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الباء - وهي قراءة الباقيين - : يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَبْرًا...﴾ سد مسد مفعوليها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، وبالياء قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فتقديره: (ولا تحسبن بخل الذين يبخلون... إلخ) خبرا لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسامح؛ لأن المقدّر قبل الموصول يكون مضافا له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله.

(٧) أي فتقديره: (ولا يحسبن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خبرا لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «مثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلمرئيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾... الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبالياء قرأ الباقون.

فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ كُفْرَهُمْ إِنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

نَكَبَ ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع<sup>(١)</sup> ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾  
 بالنون والياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا  
 عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ﴾  
 العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول  
 بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم<sup>(٣)</sup> ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير  
 ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾  
 قد ﴿عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصده عنه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا﴾  
 بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ فلا نُؤْمِنُ لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُتَّقَوَّبُ به إلى  
 الله من نعم وغيره، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي  
 مكانه، وعُهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -:  
 ﴿فَلَمَّا﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالمعجزات  
 ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن كنتم صديقين<sup>(٤)</sup> ﴿فَإِنْ﴾  
 محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم؛ لرضاعهم به ﴿فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن  
 كنتم صديقين<sup>(٥)</sup> في أنكم تؤمنون عند الإنيان به<sup>(٦)</sup> [١٨٤] ﴿فَإِنْ﴾  
 كذبوك فقد كذبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْمُعْجَزَاتِ ﴿وَالَّذِينَ﴾  
 كصحف إبراهيم ﴿وَالَّذِينَ﴾ وفي قراءة: ياتيات الباء فيها<sup>(٧)</sup> ﴿الْمُنِيرِ﴾  
 الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْجُورَ﴾ جزاء  
 أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ الْكُفْرِ﴾ وأدخل الجنة  
 فقد فاز<sup>(٨)</sup> نال غايه مطلوبه<sup>(٩)</sup> ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا﴾  
 مَتْنَعٌ الْمُرُورِ﴾ الباطل؛ يتمتع بها قليلاً ثم يفتنى.

[١٨٦] ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو  
 ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لُحْثِيُونَ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها  
 والحواليج ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبداء ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ أَوْتُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من  
 العرب ﴿أَذْكُرُ كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب<sup>(١٠)</sup> بنسائكم  
 ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ﴾  
 الْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يحرم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ  
 سَنَكُفُّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ  
 ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ  
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ  
 عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا بِقُرْبَانٍ  
 تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ  
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٨﴾  
 فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ  
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا  
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٩٠﴾ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ فِي  
 أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا  
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٩١﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾  
 وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو  
 كان غنياً ما استقرضنا<sup>(١)</sup> ﴿سَنَكُفُّ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في  
 صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبنياً للمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿وَوَقْتُ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود. وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففهم أنزل الله: ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رجلاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول. ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكف عنه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه. فكف النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٠٩٤).

(٢) أي: (سُكِبَ) وهي قراة حمزة.

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٣) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقلهم): على قراءة (شون) وهي قراءة حمزة، والرفع (وقلهم): على قراءة الياء للبيان.

(٤) على التفصيل في الهامش السابق.

(٦) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).

(٧) هذا التفسير يورث عدم إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزلاً بالمناقش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكُفْرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرِكُمْ إِلَّا الْأُمَمَ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْبُيُوتُ بِأَمْرٍ﴾ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وحديث الشيخين: ﴿إنكم سترون ربكم...﴾.

(٨) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالفصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرَ﴾ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أَي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾ أَي: الكتاب، الباء والتاء في الفعلين<sup>(١)</sup> ﴿فَتَذَكَّرُوهُ﴾ طرحو الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ﴾ أَخَذُوا بَدْلَهُ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ شراؤهم هذا.

[١٨٨] ﴿لَا يَتَحَسَّبُ﴾ بالياء والتاء<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ في الوجهين<sup>(٣)</sup> تأكيد ﴿بِمَقَادِرِهِ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها<sup>(٤)</sup>، ومفعولا «بحسب» الأولى ذل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية<sup>(٥)</sup>، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط<sup>(٦)</sup>. [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإلجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَاكِبَتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لدوي العقول. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ خلق الذي نراه ﴿بَطَلًا﴾ حال، عبثا؛ بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أَهْنَتْهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وُضِعَ الظاهر موضع المضمي<sup>(٧)</sup>؛ إشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿وَمِنْ زَائِدَةٍ﴾ أَنْصَارٍ يمنعونهم من عذاب الله - تعالى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو إقرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ غَطًّا﴾ غَطًّا<sup>(٨)</sup> عَنَّا سَيِّئَاتِنَا فلا تظهرها

وَأَذْأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَتَذَكَّرُوهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَتَسَاءَلُونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَايَتِبَ لِأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ

بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وشؤالهم ذلك - وإن كان وعده - تعالى - لا يُخْلَفُ - سؤال أن يجعلهم من مستحقه؛ لأنهم لم يتقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

\*\*\*

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أنسرح البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخشعوا عنه وفرحوا بمقدمهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتدوا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: «بيبينه» و«لا يكتمونه»، وقراءة الباء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقيون بالتاء.

(٣) أي على القراءةين بالياء والتاء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتشدده: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل: ﴿وما لهم﴾.

(٧) للتوكيد.

(٨) هي نسخة: «خطه»، والمثبت هو الموافق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها... إلخ».

إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ دِينِي ﴿وَقَتَلُوا﴾ الْكَافَرِ ﴿وَقَتَلُوا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ<sup>(١)</sup>، وَفِي قِرَاءَةٍ بِتَقْدِيمِهِ<sup>(٢)</sup> ﴿لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَسْتَرَهَا بِالْمَغْفِرَةِ ﴿وَلَا دُخْلَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُتَابًا﴾ مُصَدَّرٌ مِنْ مَعْنَى «لَا كُفْرًا» مُؤَكَّدٌ لَهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ التَّكْلُمِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الْحِزَاءُ.

[١٩٦] وَنَزَلَ - لِمَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَعْدَا اللَّهُ فِيْمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ فِي الْجَهْدِ -: ﴿لَا يَغْنَثُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٤)</sup> تَصْرِفُهُمْ ﴿فِي الْيَلَدِ﴾ بِالْجَارَةِ وَالْكَسْبِ.

[١٩٧] هُوَ ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يَمْتَحِنُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ الْفَرَّاشَ﴾.

[١٩٨] وَلَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ أَيُّ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودِ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وَهُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ، وَنُصِبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ «جَنَاتٍ»، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الظَّرْفِ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ خَيْرٌ لِلْآثَرِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

[١٩٩] ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ﴾ كَعَبِدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَالنَّجَاشِي<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أَيُّ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿حَسْبِئِلَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُؤْمِنُ» مُرَاعَى فِيهِ مَعْنَى «مَنْ» أَيُّ: مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ أَمَّا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ بَعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا بَأَنْ يَكْتُمُوهَُا؛ خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ؛ كَقَعْلِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتُوْنَهُ مَرَّتَيْنِ؛ كَمَا فِي الْقَصَصِ<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يَحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا<sup>(٧)</sup>.

[٢٠٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الْكَفَرَاءَ؛ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ ﴿وَرَابِطُوا﴾ أَقْبِمُوا عَلَى الْجِهَادِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَنْجُونَ مِنَ النَّارِ.

\*\*\*

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ قَالَتِ هَاجِرُوا وَخَرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُتَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغْنَثُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلَدِ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَهَادِ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا نُزُلًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآثَرِ وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

### سُورَةُ النَّبَاِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دَعَاؤَهُمْ ﴿إِنِّي﴾ أَيُّ: بَأَنِّي ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كَائِنْ ﴿بَيْنَ بَعْضٍ﴾ أَيُّ: الذَّكَورِ مِنَ الْإِنَاثِ وَبِالْعَكْسِ، وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا؛ أَيُّ: هُمْ سَوَاءٌ فِي الْمَجَازَةِ بِالْأَعْمَالِ وَتَرَكَ تَضْيِيعَهَا، نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ ذَكَرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ بَنِيَّ<sup>(١)</sup>، ﴿قَالَتِ هَاجِرُوا﴾ مِنَ مَكَّةِ

(٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ ذَكَرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ! فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ (صَحِيحٌ بِمَا قِيلَ) صَحِيحٌ سَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٢٠).

(٥٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٩): أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٥٦/١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعِي النَّجَاشِيِّ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَلِي عَلَى عَبْدٍ حَشِيٍّ؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٣٨/٣): «رَوَاهُ الرِّبَارِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ الصُّبْرَانِيِّ تَفَاتُ». اهـ.

وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النِّزُولِ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٣٥٢/١).

(١) بِالشَّدِيدِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٢) أَيُّ: يَتَقَدَّمُ الْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ، لَكِنْ بِالْخَفِيفِ، وَتَكُونُ الْوَاوُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِمَعْنَى: مَعَ؛ أَيُّ: مَعَ كَوْنِهِمْ قَاتِلُوا فَلَمْ يَفْرُوا، بَلْ قَتَلُوا فِي حَالِ مَقَاتِلَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حِمَزَةِ وَالْكَسَاةِ.

(٣) أَيُّ: وَكَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: «ثَوَابًا مِنْ عِنْدِي»، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ مَحْسُورَ الْإِضْمَارِ تَشْرِيقًا لَهُمْ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النِّزُولِ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٥٤/٢).

(٥) الْآيَاتُ مِنْ ٥٠ حَتَّى ٥٥ مِنَ السُّورَةِ.

(٦) سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا سَهْوٌ مِنْ إِجْلَالِ السُّبُوْطِيِّ ﷺ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْبَقَرَةِ رَقْمَ (٢٠٢) - وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ يَحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مُقَدَّرُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَاعَةٍ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُقَدَّرُ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي عِقَابِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي الْحَشْرِ - قَوْلُهُ ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَادَ مُقَدَّرُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ الْعِبَادِ...» الْبُخَارِيُّ (١٣١٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤٧).



## سُورَةُ النِّسَاءِ

[مدنية، وآياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء - بالمد - من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ فرق ونشر ﴿وَمِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رَبَّاعًا كَبِيرًا وَنِسَاءً كَثِيرَةً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ (١) فيه إدغام التاء في الأصل في السين (٢)، وفي قراءة بالتخفيف (٣) بحذفها؛ أي: تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حين يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَمَنْ اتَّقُوا﴾ (٤) «الْأَرْخَامَ» أن تقطعوها، وفي قراءة (٥) «الجر عطفًا على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بِالرَّحِمِ (٦) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم؛ فيجازيكم بها؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢] ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: ﴿وَمَاؤُا الْيَتِيمِ﴾ (٥) الصغار الألى (٦) لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَنْدَلُوا الْحَقِيقَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّبِيعِ﴾ الحلال؛ أي: تأخذوه بدل كما تفعلون من أخذ الحيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّكُمْ﴾ أي: أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنبًا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

[٣] ولما نزلت تخرجوا من ولاية التامى، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج؛ فلا يعدل بينهم؛ فنزل: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ﴾ (٧) لَا تَقْسِطُوا تعادلو ﴿فِي الْبَيْنِ﴾ فتنحرجتم من أمرهم فخافوا - أيضًا - أن لا تعادلو بين النساء (٨) إذا نكحتموهن ﴿فَانكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ رُبَّتِي﴾ أي اثنتين اثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَلَنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ﴾ (٩) لَا تَعْدِلُوا فيهم بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء؛ إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (١٠) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو الثنوي ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا (١١).

[٤] ﴿وَأَتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ﴾ جمع صدقة: مهرهن ﴿بِحِلَّةٍ﴾ مصدر (١٢) عطية عن طيب نفس ﴿فَلَنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ مَنِّي وَبَيْنَهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبهن لكم ﴿فَكُلُوا مِنْهُنَّ﴾ طيبًا ﴿مَرَاتٍ﴾ محمودًا العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة؛ نزلت ردًا على من كره ذلك.

[٥] ﴿وَلَا تَوْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿النِّسَاءَ﴾ المُنْذِرِينَ من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموالكم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ مصدر «قام»؛ أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم؛ فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: ﴿قِيَمًا﴾ (١٣) جمع «قيمة»؛ ما تقوم به الأمعة ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهَا﴾ أي: أطعموهم منها ﴿وَاسْكُوهُمْ﴾ ووفوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانت له يتيمة فكنحها، وكان لها علق، وكان يسكنها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا -

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٢) فاصله: تتساءلون؛ فبقت التاء سببًا ثم أدغمت في السين؛ لقرب مخرجيهما. (٣) قرأه الكوفيون (حمزة والكسائي وعاصم) مخففاً على حذف إحدى التائين، وشدد الباقون على إدغام التاء الثانية في السين. (٤) حمزة. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير (الدر المنثور ٢/٧٢٧) وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٣٥٨/١). (٦) أي الدين. (٧) أي: التامى. (٨) أي: فلا يجب العدل بينهم لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة. (٩) مؤكد من معنى قوله: ﴿أَتُوا﴾. (١٠) نافع وابن عامر. (١١) وكذلك هو عند الحنابلة، وأما أبو حنيفة فقال: يبلوغ الذكر ثمانى عشرة سنة، والجارية سبع عشرة سنة. وقال مالك: يبلوغها ثمانى عشرة سنة. والأرجح الأول وهو قول الجمهور. (١٢) الأفضل أن يقول: علمتم؛ لما سبته للرشد. (١٣) أي: تعليم لمصالح الدنيا؛ فهو أمر مدب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الَّذِينَ خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَيْنَهُمَا رَحِمًا كَبِيرًا وَنِسَاءً وَالَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتِيمَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْحَقِيقَ بِالطَّبِيعِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَمَى فَإِنْ كُنْهُمْ مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ رُبَّتِي فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ بِحِلَّةٍ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ نَفْسًا فَكُلُوهُنَّ حِينًا مَرَاتٍ ﴿٤﴾ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ مِنْهَا وَاسْكُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ فِي الْبَيْنِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ نَقِيطًا ﴿٥﴾ وَلَا تَقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَنُحْجِثُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِمَا خَفَاؤُا - أَيْضًا - أَنْ لَا تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ (٦) إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ (٧) فَاكِحُوا (٨) تَزَوَّجُوا (٩) مَا (١٠) بِمَعْنَى: مَنْ (١١) طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ رُبَّتِي (١٢) أَيِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثَلَاثًا ثَلَاثًا، وَأَرْبَعًا أَرْبَعًا، وَلَا تَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ (١٣) فَإِنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ (١٤) لَا تَعْدِلُوا فِيهِمْ بِالنَّفَقَةِ وَالْقِسْمِ (١٥) فَوَاحِدَةً (١٦) انكِحوها (١٧) أَوْ (١٨) اقْتَصِرُوا عَلَى (١٩) مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (٢٠) مِنْ الْإِمَاءِ؛ إِذْ لَيْسَ لِهِنَّ مِنَ الْحَقُوقِ مَا لِلزَّوْجَاتِ (٢١) (ذَلِكَ) أَيِ: نِكَاحِ الْأَرْبَعِ فَقَطْ، أَوِ الْوَاحِدَةِ، أَوِ الثَّنَوِيِّ (أَدْنَى) أَقْرَبُ إِلَى (أَلَّا تَعُولُوا) تَجُورُوا (٢٢).

[٦] ﴿وَالْبُلُوغَ﴾ اختبروا ﴿الْيَتِيمَ﴾ قبل البلوغ: في دينهم، وتصرفهم في أموالهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له، بالاحتلام أو السن؛ وهو: استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي (١) ﴿فَلَنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ﴾ (٢) بَصْرَتُمْ (٣) وَبَيْنَهُمْ رَحِمًا (٤) صِلَاخًا فِي دِينِهِمْ وَمَالِهِمْ ﴿فَادْعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ رُشْدًا؛ فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾ (٥) غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ (٦) أَيِ: يَعْزُ عَنْ مَالِ الْيَتِيمِ وَيَمْتَنِعُ مِنْ أَكْلِهِ ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ (٧) مِنْهُ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجره عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى التامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، ويرتسم؛ لئلا يقع اختلاف؛ فترجعوا إلى البيعة، وهذا أمر إرشاد (٨) ﴿وَكُنْ لِلَّهِ﴾ الباء: زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبهم.

تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذير، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لِيُخْفَ عَلَى الْيَتَامَى﴾ أي: ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكَاهُمْ﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضَّيَاعَ ﴿فَلْيَسْعُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفعل بذريرتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمَيْتِ﴾ أي: قولوا سيديك صوابًا بأن يأمرهم أن يتصدق بدون ثلثه، ويُذع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى اللَّيْتَمَى ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملأها ﴿نَارًا﴾ لأنه يقول إليها ﴿وَسَيُجَنَّبُكَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (١) يدخلون ﴿سَيِّئًا﴾ نازًا، شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: أمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يُذكر ﴿لِلَّذِكْرِ﴾ منهم ﴿وَمِثْلَ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿وَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أي: اتَّخَذْنَ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ﴾ أي: المِثْلُ، وكذا الانثيان، لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فيما أُولَى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فعن الأنثى أُولَى، ﴿وَقَوْفٌ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث لواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَحِيدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع (٢)؛ «فكان»: تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَّيْهِ﴾ أي: للثيت، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أَسَدُّسٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾ إن كان لهُم وَلَدٌ وَلَهُمَّ أُولَادٌ، ونكتة البدل: إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأُخْتُ بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها (٣)؛ «فراوا» من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لثقله في الموضعين (٤) ﴿أَلْتُلْتُ﴾ أي: ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعدًا - ذكورًا أو إناثًا - ﴿فَلِأُمِّهِ أَسَدُّسٌ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإِذْ مِنْ ذِكْرِ مَا ذَكَرَ مِنْ بَيْتِهِمْ تنفيذ ﴿وَصِيَّتِهِ يَوْصِي﴾ بالبناء للقاص والمفعول (٥) ﴿يَهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دِينٍ﴾ عليه (٦).

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرًا عنه في الوفاء؛ للاهتمام بها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِخَبْرٍ﴾ لا تَدْرُونَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا في الدنيا والآخرة؛ فَظَنَّ أَنَّ ابْنَهُ أَنْفَعُ لَهُ؛ فبِعِطَةِ المِيرَاثِ؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَهُ لَهُمْ؛ أي: لم يزل مُقَيِّمًا بِذَلِكَ.

لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى اللَّيْتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْوَقْفِ وَلِلنِّسَاءِ فَإِنْ كَانَ نِسَاءٌ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِّمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَّيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أَسَدُّسٌ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ أَسَدُّسٌ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يَوْصِي بِهَا أُولَئِينَ أَبَاؤُهُمْ وَآبَاءُؤُهُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

[٧] ونزل - ردًا لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (١) -: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حَظٌّ ﴿وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الْمُتَوَفَّوْنَ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرُ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذُو الْقُرْبَى مِنْ لَيْثٍ ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ شيئًا قبل القسمة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: قولوا لهم ما يحبون أن يُفعل بذريرتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمَيْتِ﴾ أي: قولوا سيديك صوابًا بأن يأمرهم أن يتصدق بدون ثلثه، ويُذع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

في التفسير - البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١) أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأنفت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: أُولَئِكَ. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤). وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فبجاعت المرأة يابنتين لها، فقالت: يا رسول الله. هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استنفا عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالًا إلا أخذه فتمتري يا رسول الله؟ فوللا لا تتكحان أبدًا إلا ولهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «بقيضي الله في ذلك». قال: ونزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: أُولَئِكَ. الآية. فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي المرأة وصاحبها» فقال لعمهما: «أعطتهما الثلثين، وأعطتهما الثلثين، وما بقي فلن». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يثرو فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم البمامة. ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لنافع. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأُمِّهِ أَسَدُّسٌ﴾. (٨) بابنا للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.



الفاحشة: الزنا أو اللواط (٣) ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَنَادَوْهُمَا﴾ بالضرب بالنعال ﴿فَلَات تَأْكَبَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَقْرَعُوا عَنْهُمَا﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَجِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرحم عنده - وإن كان مُخَصَّنًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل تنبيه الضمير (٤)، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال (٥)، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تقدّم في النساء من الحيس.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: التي كُتب على نفسه قبولها بفضلها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ المعصية ﴿يَجْهَلُونَ﴾ حال؛ أي: جاهلون إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ من زمن ﴿قَرِيبٌ﴾ قبل أن يَفُوتُوا ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَيْسَتِ النَّبِيُّتُ لِّلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْفَسَادَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَقًّا إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزول ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي بَشِئْتُ النَّارَ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وهم كفار ﴿كُفَّارًا﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَصْنَفًا﴾ أعذنا ﴿هُم عَذَابَ أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِدْ لَكُمْ أَنَّ تَرْتَوُونَ النِّسَاءَ: أَي: ذَاتَهُنَّ ﴿كُرْهُنَّ﴾ بالفتح والضم، لغتان<sup>(١)</sup>؛ أَي: مُكْرِهِيَهُنَّ<sup>(٢)</sup> على ذلك - كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ<sup>(٣)</sup> يَرْتَوُونَ نِسَاءَ أَقْرَبَائِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا تَرَوُوهُنَّ بِلَا صَدَاقٍ، أَوْ مَزْجُوهُنَّ وَأَخَذُوا صَدَاقَهُنَّ، أَوْ عَصَمُوهُنَّ؛ حَتَّى يَفْنِدِينَ بِمَا وَرَثَتُهُ، أَوْ يَمْتَنُّنَّ فَيُفَرِّقُوهُنَّ، فَتَقُولُ عَنْ ذَلِكَ - ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَهُنَّ﴾: أَي: تَتَمَعَّبُونَهُنَّ أَوْ أَزْوَاجَكُمْ عَنْ نِكَاحٍ غَيْرِكُمْ، بِإِشْرَاكِهِنَّ وَلَا رَغْبَةً لَكُمْ فِيهِنَّ: ضِرَارًا ﴿لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ﴾ من المهر ﴿وَلَا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحَةٍ مُبْتَنَّةٍ﴾، بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكُسْرِهَا<sup>(٤)</sup>؛ أَي: يَبْتَئِثُ<sup>(٥)</sup>، أَوْ هِيَ بَيْنَهُ: أَي: زِنَا أَوْ تَشْوِشُ<sup>(٦)</sup>، فَلَكُمْ أَنْ تَضْرِبُوا رُءُوسَهُنَّ؛ حَتَّى تَقْتُلِيَنَّ مِنْكُمْ وَيَخْتَلِفَنَّ ﴿وَءَاذُهُنَّ بِأَلْعَمُوفِ﴾: أَي: تَكْرَهُهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وَلَعَلَّهُ لِيَجْعَلَ فِيهِمْ ذَلِكَ؛ بَأَنَّ رَزَقَكُمْ مِنْهُنَّ وَلَئِنْ صَالِحًا.

وَالَّذِي يَأْتِيَنِ الْفَلَاحَةَ مِنْ هَسَاءٍ بِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ  
أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ  
حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾  
وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَدُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا  
فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾  
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ  
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ  
قَالَ إِنِّي تُوبْتُ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَقَارُورٍ  
أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ  
لِذَنَّهُنَّ بَعْضُ مَا عَصَيْنَ مُوهِنٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ  
مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ  
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

[١٥] ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفُتْحَةُ﴾ الرُّنَا ﴿مِنْ إِسَّاكِمَ﴾ فَاسْتَهْدُوا عَيْنِي أَزْبَعَهُ مِنْكُمْ ﴿أَي: من رجالكم المسلمين﴾ فَإِنْ شَهِدُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ﴿فَأَنكِرُوا﴾ احْسَوْهُمْ فِي الْكُتُوبِ ﴿وَمَنْعُوهُمْ مِنْ مَخَالِطَةِ النَّاسِ حَتَّى يَتَوَقَّعُوا الْمَوْتَ﴾ أَي: مَلَاحِكْتَهُ ﴿أَزْ﴾ إِلَى أَنْ ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا - أَمَرُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ جَعَلَ لَهُنَّ سَبِيلًا؛ بِجِلْدِ الْبَكْرِ مَائَةً وَتَغْرِيبِهَا عَامًا؛ وَرَجْمِ الْمُحْصَنَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ - لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قَالَ: «خُذُوا عُنِّي خُذُوا عُنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم<sup>(١)</sup>].

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ﴾ بِتَخْفِيفِ النُّونِ وَتَشْدِيدِهَا<sup>(٢)</sup> ﴿يَأْتِيَنَهَا﴾ أَي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وقامه: «الْيَيْبُ تُزَجَّمُ، وَالْبَكْرُ تُجَدُّ».

(۲) بالتشديد مع المد اللارم لابن كثير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... إلخ».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَالَّذَانِ﴾، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(۵) وهو قوله: ﴿منكم﴾.

(٦) وهما قراءتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهم.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لا بن كثير وشعبة.

(١٠) أی: یئنها من یدعیها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.

وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتَيْتُمْ  
 إِخْدَلَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ  
 بُهْتَنًا وَإِنَّمَا بُهْتَنُكُمْ وَقَدْ أَفْضَى  
 بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا  
 ﴿٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
 إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ  
 سَبِيلًا ﴿٢١﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ  
 وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ  
 الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
 وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ  
 وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ  
 اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا  
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ  
 أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا  
 مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾

[٢٠] ﴿وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ﴾ أي: أَخَذَهَا بَدَلَهَا  
 بِأَنْ طَلَّقْتُمُوهَا ﴿وَوَ﴾ قد ءَاتَيْتُمْ إِخْدَلَهُنَّ ﴿أي: الرُّوجَاتِ﴾ ﴿قِطَارًا﴾  
 مَالًا كَثِيرًا ضِدًّا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا﴾ ظَلَمْنَا  
 ﴿وَلَا بُهْتَنًا﴾ بُهْتَنًا، وَنَصَبْنَاهَا عَلَى الْحَالِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَاللِّانْكَارِ فِي  
 قَوْلِهِ [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: بِأَيِّ وَحَةٍ ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وَضَلَ  
 ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بِالْجَمَاعِ الْمُتَوَرِّدِ لِلْمُتَعَرِّفِ ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ  
 مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ شَدِيدًا؛ وَهُوَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِفْسَاحِهِمْ بِمَعْرُوفٍ  
 أَوْ تَسْرِيجِهِمْ بِإِحْسَانٍ.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ بِعَنَى: مَنْ ﴿نَكَحَ أَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
 إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ فَعْلَمَكُم ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ عَنْهُ ﴿إِنَّهُ﴾ أَي:  
 يَكَاخُهُنَّ ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ فَيْحًا ﴿وَمَقْتًا﴾ سَبَبًا لِلْمَقْتِ مِنَ اللَّهِ - وَهُوَ  
 أَشَدُّ الْبَغْضِ - ﴿وَسَاءَ﴾ بِسَ ﴿سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا ذَلِكَ.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، وَشَمِلَتْ الْجَدَّاتِ  
 مِنْ قِبَلِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وَشَمِلَتْ بَنَاتِ الْأَوْلَادِ وَإِنْ سَقَلْنَ  
 ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ ﴿وَعُمَّاتُكُمْ﴾ أَي: أَخَوَاتِ آبَائِكُمْ  
 وَأَجْدَادِكُمْ ﴿وَحَلَائِلُكُمْ﴾ أَي: أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِكُمْ وَجَدَاتِكُمْ ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ  
 وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ أَوْلَادُهُمْ ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قِيلَ  
 اسْتِكْمَالُ الْحَوْلَيْنِ عَشْرَ رَضَعَاتٍ <sup>(١)</sup> - كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي الْحَدِيثِ - ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ  
 الرِّضْعَةِ﴾ وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ - بِالشَّيْءِ - الْبَنَاتُ مِنْهَا؛ وَهُنَّ مَنْ أَرْضَعْنَهُنَّ مَوْطُورَاتُهُ،  
 وَالْعَمَمَاتُ وَالْخَالَاتُ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ مِنْهَا؛ لِحَدِيثِ «يَخْرُجُ مِنَ  
 الرِّضَاعِ مَا يَخْرُجُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم] <sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ﴾ جَمْعُ «رَبِيبَةٍ»؛ وَهِيَ بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ  
 غَيْرِهِ ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ تَرْبِيوْنَهُنَّ، صِفَةٌ مُوَافِقَةٌ لِلْغَالِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا  
 ﴿وَمِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أَي: جَامِعَتُمُوهُنَّ ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا  
 دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ  
 ﴿وَحَلَائِلُكُمْ﴾ أَزْوَاجُ ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ بِخِلَافِ مَنْ  
 تَبَيَّنَتْهُمْ؛ فَلَكُمْ نِكَاحُ حَلَائِلِهِمْ ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ مِنْ  
 نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ؛ بِالنِّكَاحِ، وَيُلْحَقُ بِهِمَا - بِالشَّيْءِ - الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَّتِهَا، أَوْ  
 خَالَاتِهَا <sup>(٣)</sup>، وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَمِلْكُهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً  
 ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - مِنْ نِكَاحِهِمْ بَعْضُ مَا ذُكِرَ - فَلَا  
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿إِنْ﴾ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا ﴿لَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّهْيِ  
 رَحِيمًا﴾ بِكُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «كَانَ فِينَا أَتْرَلٌ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُعْرَفْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِمَعْنَى مَعْلُومَاتٍ، فَذُفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِينَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٧).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٥١٠٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ<sup>(٥)</sup> «عَبَرُ مُسْفِحِينَ» زانين «فَمَا» فَمَنْ «أَسْتَمْتَعْتُمْ» تَمَتَّعْتُمْ «بِهِ» مِنْهُنَّ «مَنْ تَزَوَّجْتُمْ بِالْوَطْءِ» فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُهُرَهُنَّ التي فرضتم لهن «فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ» أَنْتُمْ وَهْن «بِهِ» مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ «مِنْ حَطِّهَا أَوْ بَغْضِهَا أَوْ زِيَادَةِ عَلَيْهَا» إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِخَلْقِهِ «حَكِيمًا» فِيمَا دَبَّرَهُ لِهَم.

[٢٥] «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» غَشَى لـ «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ «الْمُؤْمِنَاتِ» وَهُوَ جَزْئِي عَلَى الْغَايِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ<sup>(٦)</sup> «فَمَنْ تَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يَنْكِحُ «وَمِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ» فَانْكَحُوا بظاهره، وَكَلُوا الشَّرَائِعَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ الْعَالَمُ بِتَفْصِيلِهَا، وَرُبَّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسُ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أَي: أَنْتُمْ وَهْن سِوَاهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِهَا «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ» مَوَالِيَهُنَّ «وَأَتَوْهُنَّ» أَعْطَوْهُنَّ «أَجُورَهُنَّ» مُهُرَهُنَّ «بِالْمَعْرُوفِ» مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ «مُحْصَنَاتٍ» غَفَائِفَ، حَال «عَبَرُ مُسْفِحَاتٍ» زَانِيَاتٍ جَهْرًا «وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» أَيْ: لَا يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا «فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ» وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ<sup>(٧)</sup> تَزَوَّجْنَ «فَلَنْ أَتِيَنَّ بِتَحِيَّةٍ» زَنَا «فَعَلَيْتُمْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ الْأَبْكَارَ إِذَا زَانَيْن «وَمِنْ الْعَذَابِ» الْحَدِّ؛ فَيُجْلَدُ خَمْسِينَ وَيُعْزِزْنَ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسَ عَلَيْهِنَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَ أَصْلًا «ذَلِكَ» أَي: نِكَاحُ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ «لِيَمُنَّ خَشْيَتُ» خَافَ «الْعَتَّةَ» الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ؛ سَمِيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبَّهَا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ «وَمِنْكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مِنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: «وَمِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» الْكَافِرَاتِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِمَ<sup>(٨)</sup> وَخَافَ - «وَأَنْ تَصْبِرُوا» عَنْ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ «حَتَّى لَكُمْ» لَعَلَّ بَصِيرَ الْوَلَدِ رَقِيقًا «وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ» بِالتَّوَسُّعِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ «وَيُذَيِّبَكُمْ سُنَنَ» طَرَائِقَ «الَّذِينَ» مِنْ قَبْلِكُمْ «مِنَ الْأَنْبِيَاءِ» فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَتَتَّبِعُوهُمْ «وَيُؤْتِبُ عَلَيْكُمْ» يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بِكُمْ «حَكِيمٌ» فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>(٩)</sup> وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ<sup>(١٠)</sup> يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيُهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُؤْتِبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(١١)</sup>

[٢٤] «وَمَنْ حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ» الْمُحْصَنَاتُ «أَي: ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ» مِنْ الْأَنْسَاءِ «أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارِقَةِ أَزْوَاجِهِنَّ» حَرَائِرَ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ لَا - «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(١٢)</sup> مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْأُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ «كَتَبَ اللَّهُ» نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ<sup>(١٣)</sup> «أَي: كَتَبَ ذَلِكَ» عَلَيْكُمْ «وَأَخْلَ» بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ «لَكُمْ» تَأْ وَرَاءَ ذَلِكَ «أَي: سِوَى مَا حُزِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» أَنْ تَبْتَغُوا تَطْلُبُوا النِّسَاءَ «بِأَمْوَالِكُمْ» بِصَدَاقِ<sup>(١٤)</sup> أَوْ ثَمَنِ<sup>(١٥)</sup> «مُحْصَنِينَ»

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (٢٤): أُنْخَرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَتِّينَ نَهَتْ جَيْشًا إِلَى أَوطَاسٍ فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ، فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَانَ نَاشًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمَرَحُوا مِنْ غَشْيَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أَي: فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الرِّضَاعِ (١٧) بَابُ (٩) جَوَازِ وَطْءِ الْمَسِيئَةِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ.

(١١) أَي: الْمَوْكِدُ لِعَامِلِهِ الْمَعْنَى، الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «حُزِمَتْ»؛ فَإِنَّ التَّحْرِيمَ وَالْفَرْضَ وَالْكَسْبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(١٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ.

(١٣) أَي: بِالتَّزْوِيجِ.

(١٤) أَي: بِالْمَالِ.

(١٥) أَوْ مَتَلَكَيْنِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «أَوْ ثَمَنِ».

(١٦) وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى طَوْلٍ حَرَّةً كَتَابَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّةً مُسْلِمَةً، وَاخْتَارَهُ الْقُرْطُبِيُّ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِنَ الْحَرَّةِ الْكَتَابَةِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَظْهَرُ بِنَصِّ هَذِهِ آيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٧) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَشُعْبَةُ.

(١٨) أَي: عَدِمَ الطَّوْلَ، وَخَافَ الْعَنَتَ.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِبَنِي عِيهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ تَقِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُهَيِّلْ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ تَكُونَ تَجَارَةً صَادِرَةً عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ﴾ وفي قراءة بالنصب<sup>(٢)</sup>، أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالُ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ، وطيب نفس؛ فلكم أَنْ تَأْكُلُوهَا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها. أيا كان في الدنيا أو الآخرة.

- بقريئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدُوًّا﴾ تَجَاوَزًا لِلْحَالِ، حَالٍ ﴿وَطُلُفًا﴾ تَأْكِيدٌ ﴿فَسَوْفَ نُضَيِّقُهُ﴾ نَدَخْلُهُ ﴿فَأَرَا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْثَا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرَقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعَةِ أَقْرَبُ<sup>(٣)</sup> ﴿تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَارُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٤)</sup>؛ أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا<sup>(٥)</sup> ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوْ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاعُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ﴾ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَجَاهَدْنَا؛ وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ<sup>(٦)</sup> - ﴿وَسُئِلُوا﴾ بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا<sup>(٧)</sup> ﴿وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا اخْتَجَمْتُمْ إِلَيْهِ يُفْطِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا﴾<sup>(٨)</sup> وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِ الْكَمِّ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوْلًى﴾ غَضَبَةً يَعْطُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿لَهُمْ مِنْ الْمَالِ﴾ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ بِالْف، وَدُونَهَا<sup>(٩)</sup> ﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِين» بِمَعْنَى الْقِسْمِ، أَوْ الْيَدِ؛ أَي: الْخُلَفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى النُّصْرَةِ وَالْإِثْرِ ﴿فَتَأْتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَطُلُفًا فَسَوْفَ نُضَيِّقُهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

﴿نُضَيِّبُهُمْ﴾ حَظْوْطُهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ<sup>(١)</sup> بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(٥) مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْآيَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. ائِرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(١) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخَصَّ التِّجَارَةَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالْهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا.

(٢) وَالْقِرَاءَةُ لِمُفْرَدَةٍ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٣) أَي: مِنْهَا لِلْمُسْلِمِينَ الَّتِي قَبِلَ بِهَا.

(٤) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٥) لَفٌ وَنَشْرٌ مُرْتَبٍ، فَاذْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ ﴿مَدْخَلًا﴾؛ وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿مَدْخَلًا﴾. فَيَكُونُ اسْمُ كَانَ.

(٦) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّرِيقِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وَنَحْوَهُ أَبُذَا عَنْ عَطَاءٍ (٩٢٤٥) وَنَحْوَهُ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤٢) وَلَكِنَّهَا مَبْهُمَةٌ فِي النِّسَاءِ وَيَسَّرَ فِيهَا تَعْيِينَ أُمِّ سَلَمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٧) بِدُونِهَا قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٨) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٩) أَي: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٣].

(١٠) الْأَحْزَابُ: ٦.





[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ عَظَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا أَمْوَالُهُمْ رِشَاءٌ لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ أَشْكَطْ لَهُ فَرِيقًا، صَاحِبًا يَعْمَلُ بِأَمْرِهِ: كَهَوْلَاءَ قِسَّةٍ﴾ بنس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْنَهُمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَعُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية<sup>(٨)</sup>، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أَخَذًا ﴿يُشْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرُّوْهُ﴾ أصغر غلة؛ بأن ينقصها من حسنته أو يزيدا في سيئته ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة: بالرفع<sup>(٩)</sup>؛ فد كان: تامة ﴿يُضْعِفُهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، وفي قراءة: ﴿يُضْعِفُهَا﴾ بالتشديد<sup>(١٠)</sup> ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيا ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿وَعَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم الجزيء ﴿يُؤْذِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿شَوِيْ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين<sup>(١١)</sup>؛ أي: تنسوى ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراثا مثلها؛ لعظم هولها - كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتٌّ ثَرَابًا﴾ - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(١٢)</sup>.

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ من الشراب؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصحوا<sup>(١٣)</sup> ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإبلاج أو إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِيْ﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكما آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْجُونَ﴾ مرضا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمُ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المَعْدُ لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة: بلا ألف<sup>(١٤)</sup>، وكلاهما بمعنى: اللئس؛ وهو: الجنس باليد، قاله ابن عمر - وعليه الشافعي - وألحق به الجنس بياقي البشرية، وعن ابن عباس؛

وَالَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ أَشْكَطْ لَهُ فَرِيقًا فِيسَاءَ قَرِينًا وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَعُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ كُنْتُمْ مَرْجُونَ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمُ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصُبًا مِنْ الْأَكْتَبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ

هو: الجماع<sup>(١٥)</sup> ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أفصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراثا طاهرا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المؤقتين منه<sup>(١٦)</sup>، ودمسح يتعدى بنفسه<sup>(١٧)</sup> وبالخرف<sup>(١٨)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصُبًا﴾ خطأ ﴿مِنْ الْأَكْتَبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطفوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلا من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأهمهم علي في المغرب فقرا: ﴿فَلَمْ يَكُنْ أَلْكَبَرُونَ﴾ فخلط بها، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضا: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الدخول على المصدر المقدّر: أي: وماذا عليهم في إيمانهم؟! (٢) لافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر.

(٤) قرأها ﴿نَشَوِيْ﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿نَشَوِيْ﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿نَشَوِيْ﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة الباء: آية ٤٠. (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣. (٧) حمزة والكسائي. (٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية - إن شاء الله - ولا ينفك الوضوء مجرد من المرأة ولو بشهوة... لأن الأصل عدم النقص حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «وَقَدْ تَغَضَّ نِشَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أن تفسير ابن عباس عليه السلام هو المناسب لسياق الآية كما بيّنه أهل العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد

صححه ابن عبد البر كما في «البلل»، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن ذلك صحت عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أولى من يؤخذ قوته في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح الممتع (١/ ٢٣٩)].

(٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضرية واحدة.

(١٠) فتكون الباء زائدة. (١١) وتكون الباء للتعدي.

قَالُوا مَعَنَا وَأَطَعْنَا بدل ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فقط ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَعَيْنَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمُ﴾ أعْدَل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿يَكْفُرُوهَ﴾ فلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْمِئِنَّ وَجُوهُهَا﴾ منحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْيَارِهَا﴾ فجعلها كالأقفاء لوجهاً واحداً ﴿أَوْ لَعَنَهُمْ﴾ نَسَخَهُمْ قِرْدَةً ﴿كَأَنَّ لَنَا﴾ سَخْنَا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام (١)؛ فقيل: كان وعيداً بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له؛ بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ فَقَدْ أَفْرَأى إِثْمًا ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ كبيراً.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿عَنْ آبَائِنَا اللَّهُ وَآبَائِهِمْ﴾ (٢) أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلْ اللَّهُ يُرِيدُ﴾ يُطَهِّرُ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ﴾ يُنْقِضُونَ من أعمالهم ﴿قَلِيلًا﴾ قَدْرُ قِشْرَةٍ (٣) النواة.

[٥٠] ﴿وَأَنْظُرْ﴾ مُتَعَجِّبًا ﴿كَيْفَ يَقْعُدُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ يثماً. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قَدِمُوا مَكَّةَ، وشاهدوا قتلى بدر؛ وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنُّونَ﴾ (٤) صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سفيان (٥) وأصحابه؛ حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاد البيت؛ نسقي الحاج ونقري الضيف، ونفك العاني، ونفعل... أم محمد؛ وقد خالف دين أبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أقوم طريقاً.

[٥٢] ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَر﴾ يقولون له ﴿رَعَيْنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لِيَاكُمُ﴾ تحريفاً ﴿بِالَّذِينَ نَزَّلْنَا﴾ قدحاً ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَا لَيْسَ بِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ هَادُوا أَنَّهُمْ قَالُوا أَسْمَعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمُ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِئِنَّ وَجُوهًا فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْيَارِهَا أَوْ لَعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرِيدُ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَلِيلًا ﴿٥٧﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْعُدُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنُّونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٩﴾

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم؛ فيخبركم بهم لتجنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعاً لكم من كيدهم.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قَوْمٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أملك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَر﴾ يقولون له ﴿رَعَيْنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لِيَاكُمُ﴾ تحريفاً ﴿بِالَّذِينَ نَزَّلْنَا﴾ قدحاً ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

= اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَتَذَكَّرُكَ عَرَبُ الْحَمَرِ وَالْمَنَسِيرُ قُلْ فِيهِمَا إِنَّكُمْ كَعَرَبٍ﴾ الآية. قال: فدعا عمر، فقرئت عليه. قال: اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا وَالصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقبلت لصلاة ينادي: ألا لا يقرب الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاءً، فنزلت هذه الآية: ﴿هَؤُلَاءِ أَنْتُمْ تُنَبِّئُونَ﴾ قال عمر: انتهينا. ورحمته الألباني وسبق تخريجه عند الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(١) لم أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأحبار لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المغيرة وإسناده ضعيف [الدر المنثور (٣٠١/٢)].

(٢) المائدة: ١٨، (٣) فشرة النواة هي القطمير، وأما الفيل فهو الحيط الذي في شق النواة.

وقيل: الفئيل هو ما يخرج بين أصبعيك أو كفك من الوسخ إذا فلتتهما، وقيل فيه غير ذلك. انظر: [الدر المنثور (٣٠٥/٢)] وغيره.

(٤) أخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلاً بدون ذكر قتلي بدر [الدر المنثور (٣٠١/٢)]، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/١)، والطبري في جامعه (٨٥/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٣/٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدّر النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يمتصون زواله عنه، ويقولون: لو كان شيئاً لاشتغل عن النساء<sup>(١)</sup> ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى<sup>(٢)</sup> وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان داود تسع وتسعون امرأة، وسليمان ألف؛ ما بين حرة ورسولة<sup>(٣)</sup>.

[٥٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكُنْ بِحُجَّتِهِمْ سَعِيرًا﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ﴾ نَصِيبَهُمْ ﴿نَدْخَلُهُمْ﴾ نَادَخَلُهُمْ ﴿يَحْتَرِقُونَ فِيهَا﴾ كُلَّمَا نَفِثَتْ ﴿احْتَرَقَ﴾ جُلُودُهُمْ بِدَلْهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿بِأَن تَعَادَ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِ﴾ غير محترقة ﴿يَلْدُرُونَ فِي الْعَذَابِ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قدر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تتسخه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم آمنه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدةً تالدة»<sup>(٤)</sup>، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شقيقه في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مغتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لَكُمْ صِرَاطًا ﴿فِيهِ إِدْغَامٌ مِمَّ﴾ «نغم» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يُطَهِّرُكُمْ بِرُوحِهِ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿يَصِيرًا﴾ بما يفعل.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾  
أَمْرُهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴿٥٣﴾  
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾  
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ وَمِنْهُمْ مَن صَدَعَتْ وَكَفَى بِحُجَّتِهِمْ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾  
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾  
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿الْأَمْرُ﴾ أي: الولاية ﴿يُنْكَرُ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله<sup>(١)</sup> ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى شقيقه؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذلك ﴿أي: الرد إليهما﴾ خَيْرٌ ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).

وأخرج أيضاً عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطعموه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطعموني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطب. فجمعوا. فقال: أقودوا ناراً، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضاً ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمأزوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف» البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(٢) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتمكين، حسدتهم أي يهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالقاسمي والسدي. ولا وجه ظاهر لإحجام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم.

(٣) المعنى: فقد جمعنا أسلافكم من درية إبراهيم بين الملك والنبوة، فلا شيء تخصون محمداً ﷺ بأخس دون غيره من أنعم الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات ففيه نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادهما ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرج ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبة: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعمائة على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها... ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أليس عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ الكثير الطغيان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَفَّ﴾ يصنعون ﴿وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عَقُوبَةٌ ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: يقفرون على لإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالحكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَقُّعًا﴾ تأليفاً بين الحصين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مؤ الحن.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴿فَبِهِ الْغَفَا﴾ تخفيفاً لشأنه ﴿لَوْجَدُوا﴾ اللَّهُ تَوَّابًا ﴿عَلَيْهِمْ رَحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ فيما شَجَرَ ﴿اخْتَلَفَ﴾ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا ﴿ضَيْقًا أَوْ شُكًّا﴾ وَمَا قَضَيْتَ بِهِ ﴿وَيَسْلُمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿سَلِيمًا﴾ من غير مغازاة (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوا وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه فقبض لليهودي؛ فلم يرض المنافق، وأثاب عمره؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(١) ما حاء في نزول الآية (٦٥): أخرجه البخاري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرق، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقل الأنصاري: يا رسول الله، أن كان «بن عمتك» فقلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أخفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه معة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٢٠/٢)]، وقال الحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعَبِّ بأن في إسنادهما الكلبي وأبا صالح وهما كذابان. (الاستيعاب ٤٢٤/١) وأخرج الطبراني في الكبير (١٢٠٤٥/٢٩٥/١١) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال:

\* كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه؛ فضاغر إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ﴾. قال القرطبي: قال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره عن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الحصومة في سقي بستان... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ  
يَرْضَاكُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ لَا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ  
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا أَلَّاتِيَتْهُمْ  
مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا  
﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى  
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ بَيَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ  
فَإِنْ فَرَّوْا ثُبَاتٍ أَوْ تَرَوْا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَّبَطَنَ  
فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن  
لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ  
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ  
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٧٤] قال تعالى: ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ  
يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَيُقْتَلْ﴾ يُشْتَشْهِدُ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفرُ بِغَدُوِّهِ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾  
ثوابًا جزيلاً.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مُفَسَّرَةٌ (١) ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ  
اقْتُلُوا مَنْ يَرْضَاكُمْ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مِمَّا فَعَلْتُمْ﴾ أي: المكتوب  
عليهم ﴿لَا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء (٢) ﴿يَتَّبِعُونَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ  
وَأَشَدَّ تَنبِيهًا﴾ تحقيقًا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أي: لو تَنَبَّهُوا ﴿لَا تَنَبَّهُوا مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في  
الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (٣) ﴿فِيمَا  
أَمَرَ بِهِ﴾ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ أَفْضَلُ  
أصحاب الأنبياء؛ لمبايعتهم في الصدق والتصدق ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ القتلى في  
سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ رُفَقَاءُ فِي  
الجنة؛ بأن يستمتع فيها بزيارتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مفرهم  
في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ  
اللَّهِ﴾ تفصل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بواب  
الآخرة؛ أي: ففوقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ (٤).

[٧١] ﴿يَبَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احتذروا  
منه وتيقظوا له ﴿فَإِنْ فَرَّوْا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ (٥) منفردين؛ سرية بعد  
أخرى ﴿أَوْ أَنْفَرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَّبَطَنَ﴾ لَيَّبَطَرْنَ عن القتال؛ كعبد الله بن أبي  
المنافق وأصحابه، وجعلَهُ منهم من حيث الظاهر (٦)، واللام في الفعل: للقسمة  
﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كَقَتْلٍ وَهَرَبَةٍ ﴿قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ﴾ حاضرًا فأصاب.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كَفَتْحٍ وَغَنِيمَةٍ  
﴿لَيَقُولُنَّ﴾ نأدينا ﴿كَأَن﴾ مُخَفَّفَةٌ واسمها: محذوف؛ أي: كَأَنَّهُ ﴿لَمْ  
يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (٧) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وضادقة، وهذا راجع إلى  
قوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ واغترض به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَا﴾ للتنبيه  
﴿لَيَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أَخَذَ حُطًا وَأَفُوزًا مِنَ الْغَنِيمَةِ.

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرجه نحوه بإسناد حسن مجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١)، رقم (٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجال  
موقوفون». وأخرج ابن شعبة في مصنفه (٥٠١/١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلاً، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفرداً؛ ثبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

دعاهم؛ فَيَسَّرَ لِبَعْضِهِمُ الْخُرُوجَ، وبقي بعضهم إلى أن يُبْحَثَ مَكَّةَ، وَوَلَّى ﷺ عتاب بن أسيد<sup>(١)</sup>؛ فأُصِفَ مظلومهم من ظالمهم.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقونكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيًا؛ لا يُفَاوِمُ كَيْدَ اللَّهِ بالكافرين.

[٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار - لما طلبوه بمكة؛ لأذى الكفار لهم - وهم: جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشِيَ﴾ هم عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً من خشيتهم له، وَنَضَبَ أَشَدَّ عَلَى الْحَالِ، وجواب ﴿لَمَّا﴾ دل عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدها؛ أي: فاجأهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا من الموت: ﴿رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا﴾ فلا ﴿أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ ما يَتَمَتَّعُ به فيها، أو الاستمتاع بها ﴿قِيلَ﴾ أَيْلَ إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿حَيْرَ لِمَنِ الْقُلُوبُ﴾ عقاب الله، ترك معصيته ﴿وَلَا تَظْلُمُونَ﴾ بالثناء والبياء<sup>(٢)</sup>: تَنْقُضُونَ من أعمالكم ﴿قِيلَ﴾ قدر قسرة النواة<sup>(٣)</sup>؛ فجاهدوا<sup>(٤)</sup>.

[٧٨] ﴿أَنِنَا تَكُونُوا يَذُرْكُمْ أَلَمْ تَرَ أَنَّا كُنَّا فِي بَرْجٍ﴾ لحُصُونٍ ﴿مُنِيكَ﴾ مُؤَيَّدَةٍ؛ فلا تخشوا القتال خَوْفَ الْمَوْتِ ﴿وَإِنْ نَصَبْتُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةً﴾ خَطْبَ وَسِيقَةٍ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَصَبْتُمْ سِيقَةً﴾ جَذَبَ وَتَلَاةٍ؛ كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد؛ أي: بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ﴾ مِن عِنْدِ اللَّهِ من قِبَلِهِ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، و«ما»: استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفي مقارنة الفعل أشد من نفيه.

[٧٩] ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ مِن حَسَنَةٍ خَيْرٍ ﴿فَرِحَ اللَّهُ﴾ أَتَتْكَ فَضْلًا مِنْهُ ﴿وَمَّا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بَلَاءٍ ﴿فَرِحَ اللَّهُ﴾ أَتَتْكَ، حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَى النَّاسِ رَسُولًا﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ وَأَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلُمُونَ فَيَبِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِحَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرِحَ النَّاسُ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين خبستهم الكفار عن الهجرة وأذوهم - قال ابن عباس عليهما السلام: كنت أنا وأمي منهم - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مَكَّةَ ﴿الظَّالِمُ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج النسائي عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة؛ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عُرٍّ ونحن مشركون؛ فلما آمنا صرنا أذلة فقال: «إني أمرت بالهجو، فلا تقاتلوا». فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أخرجه النسائي - كتاب الجهاد (٢٥)

باب (١) وجوب الجهاد. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٨٩١).

(١) استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لعتاب بن أسيد على مكة مذکور في المغازي للواقدي وفي سيرة ابن هشام وحسنه الألباني في [فقه السيرة (ص ٤٠٠)] (وجعل عتاب بن أسيد أميرًا على مكة).

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) تقدم قريبًا عند الآية (٤٩)، أن النفل هو الذي في شق النواة طولًا، وليس هو قشر النواة.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرُءَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنكَفَ الْأَنْفُسُ وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٣﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۖ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٤﴾

تَقِيءُ مُقِيتًا ۖ مُقِيتًا ۖ فيجازي كلَّ أحدٍ بما عمل.

[٨٦] «وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ ۖ كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ فَحَيُّوا الْحَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۖ» بَأَن تَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ «أَوْ رُدُّوها ۖ» بَأَن تَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ: أَيُّ الْوَاجِبِ أَخَذْتُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ «لَئِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ» مُحَابِيَتًا ۖ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَخَصَّتِ السَّنَةَ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُسْلِمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَقِّ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ فِي غَيْرِ الْأَحْيَاءِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

[٨٠] «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى ۖ» أَعْرِضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يُهْمُّكَ «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ» حَافِظًا لأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالْيَنَاءُ أَسْرَهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] «وَيَقُولُونَ ۖ» أَي: الْمُنَافِقُونَ - إِذَا جَاءَكَ ۖ - : أَمْرُنَا «طَاعَةٌ ۖ» لَكَ «فَإِذَا بَرَأُوا ۖ» خَرَجُوا «مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ۖ» يَادْغَامُ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرَكَهُ (١)؛ أَي: أَضْمَرَتْ «غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ» لَكَ فِي حَضُورِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَي: عَصِيَانِكَ «وَاللَّهُ يَكْتُبُ ۖ» بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) «مَا يُبَيِّتُونَ ۖ» فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ» بِالصَّفْحِ «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ» يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافٍ «وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ» مُقَوِّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۖ» يَتَأَمَّلُونَ «الْفَرُءَانُ ۖ» وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ «وَلَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ» تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَاطُؤًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ ۖ» عَنْ سِرَايَا النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ «مِنْ الْأَمْنِ ۖ» بِالنَّصْرِ «أَوِ الْخَوْفِ ۖ» بِالْهَزِيمَةِ «أَذَاعُوا بِهِ ۖ» أَفْشَوْهُ؛ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَضَعُفُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَى النَّبِيُّ ﷺ (٣) «وَلَوْ رَدُّوهُ ۖ» أَي: الْخَبْرَ «إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ۖ» أَي: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَي: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخَيَّرُوا بِهِ «لَعَلِمَهُ ۖ» هَلْ هُوَ مَا يُبَغِي أَنْ يَذَاعَ أَوْ لَا «الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ ۖ» يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَهُ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ «مِنْهُمْ ۖ» مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ» بِالْإِسْلَامِ «وَرَحْمَتُهُ ۖ» لَكُمْ؛ بِالْفَرْقَانِ «لَأَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ۖ» فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ «إِلَّا قَلِيلًا ۖ».

[٨٤] «فَقَتِلَ ۖ» يَا مُحَمَّدُ «فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسَكَ ۖ» فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ «وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ» حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ «عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَسَ» حَرْبِ «الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا ۖ» مِنْهُمْ «وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۖ» تَعَذُّبًا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأُخْرِجَنَّ وَلَوْ وَخْذِي (٤)» فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بِأَسَ الْكَفَّارِ؛ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعَ أُنْبِيَّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ..

[٨٥] «مَنْ يَشْفَعْ ۖ» بَيْنَ النَّاسِ «شَفَاعَةً حَسَنَةً ۖ» مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ «يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ ۖ» مِنَ الْأَجْرِ «مِنْهَا ۖ» بِسَبَبِهَا «وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً ۖ» مُخَالِفَةً لَهُ «يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ ۖ» نَصِيبٌ مِنَ الْوُزْرِ «مِنْهَا ۖ» بِسَبَبِهَا «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ».

(١) بِالْإِدْغَامِ حُمَزَةً وَأُنْبِيَّ عَمْرُو.

(٢) وَصِفَةُ الْكُتَابَةِ ثَابِتَةً لِلَّهِ - سَبْحَانَهُ - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّتِي قَبْلَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ يَدِيهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رَغَعْتِي غَلَبَتْ نَفْسِي». وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اشْفَعْكَ اللَّهُ بِكَلَامِي وَنَعَطُ لَكَ الثُّورَةَ يَدِيهِ» [متفق عليهما].

(٣) أَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ [الدر المنثور (٢/٣٣٤)].

(٤) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ (١٣٧/٢)، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالِ الْبَرَةِ.

(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الْمُرَاجَعَةِ لِلْهَجْرَةِ.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُمُهم﴾ رَدُّهُمْ ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ هُ ﴿اللَّهُ﴾ أي: تَهْدُوهُمْ من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإينكار ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ هُ ﴿اللَّهُ فَلَن يَهْدِيَهُ﴾ طريقاً إلى الهدى<sup>(٥)</sup>.

[٨٩] ﴿وَرُدُّوا﴾ تَمَتُّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءٌ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالوهم - وإن أظهرها الإيمان - ﴿حَتَّى يَمُوتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تُعَقِّقُ إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ تنصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ بلجئون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي<sup>(١)</sup> ﴿أَوَّارٍ﴾ الذين ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ﴾ ضاقت ﴿صُدُّوهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ أي: مُتَمَسِّكِينَ عن قتالكم وقالهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿كَسَلْتُمْ عَلَيْهِمُ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ؛ فآلفى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ ﴿الصلح﴾ أي: اتفادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ مَخْرَجَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ يظهر الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أُرْكسُوا﴾ فيها ﴿وقعوا أشد وقع﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْرِضُوا﴾ بترك قتالكم ﴿وَلَوْ﴾ لم ﴿يَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ﴾ لم ﴿يَكْفُوا﴾ أيديهم ﴿عنكم﴾ ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وَأَوَّارِيكُمْ جَعَلَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿برهاناً بيناً ظاهرًا على قتلهم وسيبهم؛ لغدرهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٨﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُمُهم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَن يَهْدِيَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءٌ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْجَاءٌ وَكَمْ حَصَرْتُمْ صُدُّوهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿سَتَجِدُونَ مَخْرَجَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْرِضُوا إِلَيْكُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَأَوَّارِيكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله<sup>(١)</sup> ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قوركم ﴿إِلَى﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أخذ ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولاً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت ؓ قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُمُهم﴾. وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» البخاري - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) المدينة تنفي الخبث.

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطقة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصد ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [فتح الباري (١٠/٨)].



[٩٢] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ بأن قصد رمي غيره؛ كصيد أو شجرة، فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً<sup>(١)</sup> ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ نسيمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَوَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ﴾ مودة ﴿إِلَى أَهْلِيهِ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه بها؛ بأن يصفوا عنها - وبينت الشئ أنها مائة من الإبل؛ عشرون<sup>(٢)</sup> بنت مخاض، وكذا بنات لبون وبنو لبون، وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل<sup>(٣)</sup>؛ وهم: عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين؛ على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة<sup>(٤)</sup>؛ فإن لم يفوا فبئس بيت المال؛ فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِرٌ﴾ فتحرير رقبته ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله؛ لحرايتهم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد؛ كأهل الذمة ﴿فَدْيَةٌ﴾ له ﴿مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً<sup>(٥)</sup>، وثلثا عشرها إن كان مجوسياً<sup>(٦)</sup> ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقبة؛ بأن فقدوها وما يخلصها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، ولم يذكر الله - تعالى - الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه<sup>(٧)</sup> ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً بإيمانه ﴿فَجَزَاءُ مِنْ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَنُصِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ أَبْعَدُ﴾ من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤول بمن يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: ﴿وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٨)</sup>، وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وَيَشَاءُ آيَةُ الْبَقَرَةِ: أن قاتل العَقْد يقتل به، وأن عليه الدية إن عُفِيَ عنه - وسبق قدرها<sup>(٩)</sup>، وَيَشَاءُ السَّنة أن بين العَقْد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد<sup>(١٠)</sup> وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً؛ فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة<sup>(١١)</sup> والخطأ في التأجيل والحمل<sup>(١٢)</sup>، وهو العمد أولى بالكفارة من الخطأ<sup>(١٣)</sup>.

[٩٤] ونزل: لما مرَّ نَفَرٌ من الصحابة بِرَجُلٍ من بني سليم وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تَقِيَّةً فقتلوه واساقوا غنمه<sup>(١٤)</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيِّنَاتٍ﴾ وفي قراءة<sup>(١٥)</sup>: ﴿فَبَيِّنَاتٍ﴾ في الموضوعين<sup>(١٦)</sup> ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾ بألف أو دونها<sup>(١٧)</sup>؛ أي: التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمانة على الإسلام

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٤): أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس: كان رجل في غنيمه له فلقحه المسلمون. فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: =

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك أنه لا في الابن مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كان عمداً في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأ فيها جميعاً، والعمد ما كان عمداً فيها جميعاً. (بداية المجتهد ٢/ ٣٩٧). (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور ٦/ ٣٤٦/٢]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المدة بدون تفصيل في الإرواء (٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبون»: التي أتمت الثانية. والحققة: التي أتمت الثالثة. والحققة: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذني، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنة صريحاً. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كائناً الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذمياً أو مستمناً عمداً، وأما عند الحنفية فدينته كدية المسلم، وراجع قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على الضعف منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) في الصفحة السابقة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقبة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العقالة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، مجرى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) لمحة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَبَيِّنَاتٍ﴾ أي: كونها من ثلاثة. (١٧) ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ تَائِبٌ بِسَبِيلِ اللَّهِ فَتَّابٌ﴾، وهذا كذلك. (١٨) بدونها قراءة نافع وحزمة وابن عمر.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِرٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَارِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كُمْ تَبَيَّنُوا إِنَّا اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾

﴿لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك، فقتلوه ﴿تَبَيَّنُوا﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمه ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَارِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله ماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تُغَضِّمُ دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ بَيْنَكُمْ﴾ بالاشتراك بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به<sup>(٥)</sup>.

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك أنه لا في الابن مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كان عمداً في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأ فيها جميعاً، والعمد ما كان عمداً فيها جميعاً. (بداية المجتهد ٢/ ٣٩٧). (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور ٦/ ٣٤٦/٢]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المدة بدون تفصيل في الإرواء (٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبون»: التي أتمت الثانية. والحققة: التي أتمت الثالثة. والحققة: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذني، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنة صريحاً. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كائناً الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذمياً أو مستمناً عمداً، وأما عند الحنفية فدينته كدية المسلم، وراجع قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على الضعف منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) في الصفحة السابقة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقبة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العقالة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، مجرى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) لمحة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَبَيِّنَاتٍ﴾ أي: كونها من ثلاثة. (١٧) ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ تَائِبٌ بِسَبِيلِ اللَّهِ فَتَّابٌ﴾، وهذا كذلك. (١٨) بدونها قراءة نافع وحزمة وابن عمر.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٩٥ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٦ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٩٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٩ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٠ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ١٠١

[٩٥] لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ بالرفع صفة، والنصب (١) استثناء؛ من زمانة أو عَمَى ونحوه. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَلَا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَنَ﴾ الخسة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه (٢) (٩٦)

[٩٦] ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدّر ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي (٣).

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين لا يستطيعون حيلة لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[١٠٠] ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا﴾ مهاجرا ﴿كَثِيرًا وَسِعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُفْقُ﴾ في الطريق؛ كما وقع لجندع بن صُمْرَةَ الليثي (٤) ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[١٠١] ﴿وَلَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سافرتهم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في أن تقصروا من الصلوة بأن تردوها من أربع إلى اثنين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ أي: يبالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع إذ ذاك (٥) فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي (٦) ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ يبيّن العداوة.

= ﴿عَرَضَ الْحَبَشَةُ الْأَذْيَا﴾: تلك العنينة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٧٢٩/١): مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنثا له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعدونا. فمدوا إليه قتلوه، وأترا بغنمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية... (٨).

(٩) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرجه البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يلها على قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى. فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم شوي عه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(١٠) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرجه البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكثبت فيه، فلفت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النبي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناشا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٢) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٣) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخنا مريبك كثيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أنا من استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يليني وأبعد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجنوني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التَّجْعِبَ فأدركه الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات ففوت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُفْقُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾... الآية.

(٤) أي: قرله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْتُمُونَكُمْ تَأْمُونًا وَتَرْجُوحًا مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْمَكْتَبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾

[١٠٢] ﴿وَلِذَا كُنْتُ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] (١) ﴿وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمت إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم، فيأخذوك، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجح ﴿وَحُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو، أي: احذروا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة (٢).

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين، أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدراً وقها، فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي: لا يأتواكم ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ﴾ طلباً من أحد فشكوا الجراحات -: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ﴾ طلباً من الكفار لقتالهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا﴾ نجدون أَلَمْ يَجْرَحُوا ﴿فَلْيَهْزَأُوا بِكُمْ﴾ كما تألمون ﴿أَي: مثلكم، ولا يجبنون﴾ على قتالكم ﴿وَتَرْجُوحًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ (٣) في صنعه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بْنُ أَبِيرقِ دِرْعًا وَخَنَافًا عِنْدَ يَهُودِيٍّ، فوجدت عنده،

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويرثه، فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (٤) القرآن ﴿يَا لِحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلْ﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصماً عنه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عبيد الله الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القلعة. فصلينا بنا رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا عرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل القلعة بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَا كُنْتُ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾. قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: فصفتنا خلفه صفين... إلخ. أحمد. المسند (٥٩٤/٦٠) وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية. وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحيح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناجين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجبنوا»، وقال في «الشرح»: «الماسب «يجبنون» بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البيهقي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر المنثور (٣٨٤/٢)]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البيهقي (٢٨٣/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

لأن وبال حياتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيُّهَا﴾ أي: بعاقبه<sup>(١)</sup>.

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَغُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

[١٠٩] ﴿هَآؤُنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصمتهم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُ﴾<sup>(٢)</sup> وفي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذَا عَذِبُهُمْ أَم مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا يتولى أمرهم، ويذب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك<sup>(٣)</sup>.

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوَاءً﴾ ذنباً بسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً<sup>(٤)</sup> عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبُّ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوَكَ لَهُ ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنَّ وَبَالَهَ عَلَيْهَا وَلَا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِثْمَانَا﴾ بئساً بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾<sup>(٥)</sup> بالعصمة ﴿هَلَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلُوا﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَم مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا وَلَا تَلْوَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتَهُ وَلَهْمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوا وَمَا يُضْلُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة عدم المحبة من الله بلامها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله تعالى.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

[١١٤] ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ بنوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء<sup>(١)</sup>، أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ اللَّهُ هُدًى﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولاه من الضلال؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِيهِ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعاً هي.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. عن الحق<sup>(٢)</sup>.

[١١٧] ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنْشَاءً﴾ أصناماً مؤنثة؛ كاللات والعزى ومناة ﴿وَلِإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا سَطَطْنَا مَرْيَدًا﴾ خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدَه من رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِن عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حَقًّا ﴿مَّقْرُوضًا﴾ مقطوعاً أَدْعُوهم إلى طاعتي.

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عن الحق بالسوسة ﴿وَلَا كَذَّبَتْهُمْ﴾ أَلْقِي في قلوبهم طول الحياة، وأن لا تَهْثُ ولا حِسَابٌ ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ لِيَكُنَّ يقطعن ﴿ءَاذَانُ الْأَنْفَعِ﴾ وقد فعل ذلك بالبخائر<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ فَلْيَعْرِضْ خَلْقَ اللَّهِ دِينَهُ ﴿بِالْكَفْرِ﴾ وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَبْتَأ نصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[١٢٠] ﴿يَعُدُّهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُؤَمِّنُهُمْ﴾ نبل الآمال في الدنيا، وأن

﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِيهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنشَاءً لَّتُخَذَنَّ مِنْ أَبَادِكُمْ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٧﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ وَلَا كَذَّبَتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَعْرِضْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٨﴾ يَعُدُّهُمْ وَيُؤَمِّنُهُمْ وَمَا يَعُدُّهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ﴿١١٩﴾ وَأُولَٰئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢٠﴾

لا تَهْثُ ولا جَزَاءً ﴿وَمَا يَعُدُّهُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا عُرْوًا﴾ باطلاً. [١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مَثًا يقال لهم بنو أبيرق يشر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر بهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن أبيرق قالها ... فقدمت صافضة من الشام فباتع عمي رفاعه بن زيد حملًا من الدرهم فحمله في مشرة له، وفي المشرة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنفتق المشرة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنفتق مشرتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحنسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد ربنا بني أبيرق استوفدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سبهن - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع لبيد اختط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لتيبين هذه السرعة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل مما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشرة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: {سأمر في ذلك} فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلوه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْكَافِرِينَ حَافِظًا﴾، بني أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ أي ما قلت لقتادة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ =

(١) بالياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكّر، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لها للطوغيت. ويشقون آذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهلما التغير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشمل تغير الخلقة الظاهرة؛ بالوشم والوشى والثقص والتقليج للحسن، ونحو ذلك، كما يشمل الخلقة الباطنة؛ حيث إنه - سبحانه - خلق عبادة حنفاء مقطوعين على الحق، فأجتنبتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسق والعصيان.

وَعَدًا وَحَقًّا حَقًّا<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

[١٢٣] وَنَزَلَ - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب :: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، إما في الآخرة<sup>(٣)</sup> أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث<sup>(٤)</sup> - ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٥)</sup> يمنع منه.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا﴾ من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فإولئك يدخلون بالبناء للمفعول والفاعل<sup>(٦)</sup> ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يَطْلُمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد<sup>(٧)</sup> ﴿أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مؤخذ ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال؛ أي: مثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا لخالص المحبة له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَكُنَّ﴾ الله بكل شيء محيطاً ﴿عِلْمًا وَقُدْرَةً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿الْإِسَاءَةِ﴾

وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿فِي بَيْتِ الْمَرْءِ مِنَ النَّسَاءِ﴾ التي لا تؤتونهن ما كتب لهن من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء

عن<sup>(٨)</sup> ﴿أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعطلوهن<sup>(٩)</sup> أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الصغار

﴿مِنَ الْوُلْدِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم<sup>(١٠)</sup> ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أن تقوموا

لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَقْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ كان به، عليماً، فيجازيكم به<sup>(١١)</sup>.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا<sup>(١٢)</sup> لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا<sup>(١٣)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَطْلُمُونَ نَقِيرًا<sup>(١٤)</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا<sup>(١٥)</sup> وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا<sup>(١٦)</sup> وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا<sup>(١٧)</sup>

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك

كَانَ عَقُورًا رَجِيمًا وَلَا يُجَادِلُ... إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ إِثْمًا﴾ إلى قوله: ﴿إِثْمًا ثَبِيثًا﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَوْفُوفٌ نُفُوزٍ أَيْرَ عَظِيمًا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُنَاقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ قُلُوبُهُمْ مَأْتُولٌ وَتُصَلِّوْهُمُ جَهَنَّمَ وَمَا كُنْتُمْ بِمُصِيرًا﴾ إلى أن الله لا يقوهر أن يقوهر الله، ويؤثر ما دوت ذلك لمن يكافؤ ومن يقوهر الله فقد شل سلكاً بعيداً.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأهات من شعره، فأخذت رحله فوضعت على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قاربوا وسددوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ إلى ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ فقالت: يا ابن أخي، هي التهمة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن وعداً وحقاً منصوبان بغلبن محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة لدوعداء. (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأنتا لم تعمل السوء؟ وأنا تجزئ بكل سوء عملناه؟ فقال ﷺ: وَأَنْتَا أَتَتْ وَأَضْحَاكَ الْوَلَدُ فَتَجَزَّوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ دُونُ، وَأَنْتَا لَا تَحْزُونَ فَيَجْتَنِعُ لَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَضَعَفَ الْأَبَانِي إِسْنَادُهُ فِي ضَعِيفِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٢٤٣).

(٥) بالياء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الزهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي جِغْرِ وَلَيْهَا؛ فَيَرْغَبُ فِي جَعَالِهَا وَنَازِلِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ صِلَاقُهَا، فَهَلْوَ عَنْ يَكَايَهِمْ إِلَّا أَنْ يُقْسَطُوا لَهُمْ فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ... الحديث. (٨) أي: تمنعوه.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوع بفعل<sup>(١)</sup> يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿شُورًا﴾ تَرْفَعًا عليها بترك مضاجعتها، والتفسير في نفقتها، لبضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُصْلِحَا﴾<sup>(٢)</sup> من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئاً طلياً لبقاء الصحية؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقهما ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفقرة والنشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبِلَتْ عليه؛ فكأنها حاضرت له لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا عَشْرَةَ نِسَاءً﴾ وَتَتَّقُوا الجور عليهن ﴿فَارَكَ اللَّهُ كَاتِبًا مَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ فيجازيكم به<sup>(٣)</sup>.

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْأَمِيلُ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا المال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أمي ولا هي ذات ثقل ﴿وَإِنْ تُصِلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَارَكَ اللَّهُ كَانَ عَفْوَكَ﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يَتَيْنِ اللَّهُ كَلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى الْكِتَابِ﴾ من قبلكم ﴿أي: اليهود والنصارى﴾ ﴿وَيَاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ وَلَكُمْ:﴾ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصَّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً؛ فلا يضركم كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محموداً في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وَيَأْتِ بِطَاعَتِكُمْ بَذَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ يُبَيِّنْ لَكُمْ دِينًا يُبَيِّنُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم<sup>(١)</sup> الأخس وملا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

- تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فريد ولها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فنهوا أن ينكحوا إلا أن يقسطوا لهن ويملوا بهن أعلى ستهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَشِيرُكَ فِي النِّسَاءِ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِفَ إِلَّا تَقْبِلُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْبَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَشِيرُكُمْ أَنْ تُنْكِحُوا﴾ يعني هي رغبة أحدكم لبيته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليم وأهل الميراث.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن عائشة رضيها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾، قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمسكتر منها، يريد أن يفارقه، تقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

(١) ولا يصح جعله مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقدرا.

(٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُصْلِحَا﴾.

(٣) في حاشية الصاوي: وأحدهم.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ المشهود عليه ﴿عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا منكم، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم، بأن ثماثوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿لَنْ﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا﴾ عن الحق ﴿وَلَنْ تَلُودُوا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ عن أداها ﴿فَلَنْ﴾ الله كَانَتْ يَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا﴾ به.

[١٣٦] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿مُحَمَّدٍ ﷺ﴾؛ وهو: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِّرْ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿مَوْلَعًا﴾ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَجِدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيُّبُنُفُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(٣)</sup> ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في الْكِتَابِ ﴿الْقُرْآنَ﴾ في سورة الأنعام<sup>(٤)</sup> ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا تَعْدُوا معها<sup>(٥)</sup> أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إِذْكَ إِذَاً إن قعدتم معهم ﴿يَسْتَهْزِئُوا﴾ في الإنم<sup>(٥)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ شهداء لله و﴿لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَلَوْ أَنْ تَلُودُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَبَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إِذْكَ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[١٣٥] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ﴾

(١) لحمرة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أُنْزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي مَآكِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفروا أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالهجر عاصي.



[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبلة<sup>(١)</sup> ﴿يَرْبَعُونَ﴾ ينتظرون ﴿يَكُمُ﴾ الدوائر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنمة ﴿وَمِنْ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ نشتول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَوَلَّيْنَا أَلَم﴾ ننفقكم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم؛ بتخذيلهم ومراسلتهم بأخبارهم؛ فلنا عليكم المنة، قال - تعالى -: ﴿فَاللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالاستئصال<sup>(٢)</sup>.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم<sup>(٣)</sup>؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نية على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالَةً﴾ متهاولين ﴿يَرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّذِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسوين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ ﴿عَنِ اللَّهِ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. [١٤٤] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُنْجِدُوا الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعُونَ أَنْ تُبَدَّلُوا فِي اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَنًا نَبِيًّا﴾ برهاناً نبياً على نفاقكم.

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذَّرِكِ﴾ المكان ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو فقرها ﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من انفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾ رتقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

الَّذِينَ يَرِثُصُوتَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَةً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا نَبِيًّا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمة ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلفه.

(١) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويجاب أيضاً: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل مسلماً بالذمعي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به - سبحانه وتعالى - دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل.

[١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ أو تخفوه.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ويُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿بَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ دُونَهُمْ﴾ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِي بَعْضُهُمْ مِنَ الرِّسَالِ ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ الْكَفْرَ وَالْإِيمَانَ ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ﴾ بالياء والنون (٣) ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى نعتًا؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبأؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ حيث تَعَثَّوْا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَوَاتَيْنَا مُوسَى شَارِعًا مُّبِينًا﴾ تسلطًا بينًا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيقَاتِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ لرخاؤهم قبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مفضل عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَكَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَلِيمًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوفًا دِيرًا ﴿١٥٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ يَظْلِمُهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٤﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيقَاتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا عَلِيمًا ﴿١٥٥﴾

[١٤٨] ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه ..

(٢) أي: وعامه محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحق حَقًّا.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حمص.

(٤) لنافع، واجلس قالون حركة العين.

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ «ما» زائدة، «والباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿وَيُشَقِّقُهُمْ وَيَكْفُرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفٌ لَا نَعِي كَلَامَكَ﴾ «بَلْ طَلَعَ» ختم الله عليهم بكفرهم فلا تعي وغطا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا﴾ منهم: كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ ثاني بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم<sup>(١)</sup>؛ أي: مجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذبا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا هُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿وَمِنْ عَمِلٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع<sup>(٢)</sup>؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل [١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى<sup>(٣)</sup> لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث<sup>(٤)</sup> - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾ أي: فيسب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيعَتِ أَجَلَتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمَتْ كُلَّ ذِي ظُلْمٍ﴾<sup>(٥)</sup> الآية ﴿وَبَصَدَّهِمُ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صفا كثيرا.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُهاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ﴾ يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من

فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَبْتَدَأٌ وَكُفْرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ فُلُونَا غُلْفٌ بَلْ طَلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيعَتِ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

قَبْلَكَ من الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح<sup>(٦)</sup>، وفري بالرفع<sup>(٧)</sup> ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء<sup>(٨)</sup> ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) ثالثة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: «واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾» البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾، وفي نسخة «في زعمهم» بالإفراد؛ ويكون متعلقا بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تعظيما لشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بالياء قراءة حمزة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكُورًا ۗ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ﴾

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ ابن إسحاق ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ۚ أَوْلَادُهُ ۚ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ ﴾

وَأَتَيْنَا ﴿ دَاوُدَ زُكُورًا ۚ ﴾ بالفتح؛ اسم للكتاب الموثى، والضم (١)؛ مصدر بمعنى: مزبورا، أي: مكتوبا.

[١٦٤] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ (٢) في سورة غافر (٣) ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ۚ ﴾ بلا واسطة ﴿ تَكْلِيمًا ۚ ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُسُلًا ۚ ﴾ بدل من ﴿ رُسُلًا ۚ ﴾ قوله ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ بالثواب من آمن ﴿ وَمُنْذِرِينَ ﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿ لِكَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ يقال ﴿ بَعْدَ ۚ ﴾ إرسال ﴿ الرُّسُلِ ۚ ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتُنَبِّئَ مَا بَيْنَكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٤) فيعناهم لقطع عذرهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ۚ ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ۚ ﴾ في صنعته.

[١٦٦] ﴿ وَنَزَلَ ۚ ﴾ لما شغل اليهود عن نبوته ﷺ فأَنكَرُوهُ ۚ: ﴿ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ ۚ ﴾ (٥) بين نبوتك ﴿ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۚ ﴾ من القرآن المعجز ﴿ أَنْزَلَهُ ۚ ﴾ ملتبسا ﴿ بِعِلْمِهِ ۚ ﴾ أي: علما به، أو وفيه علمه ﴿ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ ﴾ لك أيضا ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ ﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ بالله ﴿ وَصَدُّوا ۚ ﴾ الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴾ دين الإسلام بكتيهم نفث محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿ قَدْ ضَلُّوا ۚ ﴾ ضلالا بعيدا، عن الحق.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ بالله ﴿ وَظَلَمُوا ۚ ﴾ نبيه بكتمان نعتهم ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ ﴾ من الطرق.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ۚ ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿ خَالِدِينَ ۚ ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا ۚ ﴾ إذا دخلوها ﴿ أَبَدًا ۚ ﴾ وكان ذلك على الله يسيرا. ههنا.

[١٧٠] ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ ﴾ محمد ﷺ ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ ﴾ ما أنتم فيه ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ۚ ﴾ به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ﴾ ملكا وخلقاً وعبدا، فلا يضره كفركم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۚ ﴾ بخلقهم ﴿ حَكِيمًا ۚ ﴾ في صنعه بهم.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال المحلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [عائز: ٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٢)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١/٥٢٠).

[١٧١] ﴿يَتَأَخَّلُ الْقِسْمَ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَقُولُوا﴾ تتجاوزوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ﴾ الْحَقُّ ﴿من تنزيهه عن الشريك والولد﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتَهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿أوصلاها الله﴾ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ ﴿أي: ذو روح﴾ مِنْهُ أَضْيَفَ إِلَهٍ - تشريفاً له، وليس كما زعمتم ابن الله، أو إلهاً معه، أو ثالث ثلاثة؛ لأنَّ ذا الروح مركب، والإله منزّه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه<sup>(١)</sup> ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا لِلْأَلْهَةِ ثُلُثَةٌ﴾ اللَّهُ وَعِيسَى وَأُمُّهُ ﴿انْتَهَوْا﴾ عن ذلك واتُّوا ﴿حِكْمًا لَكُمْ﴾ منه؛ وهو: التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلِدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً على ذلك.

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبداً، وهذا من أحسن الاستطراد، ذِكْرُ اللّٰهُ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا آلَهُةٌ أَوْ بَنَاتُ اللَّهِ، كما رد بما قِيلَ عَلَى النَّصَارَى الزَّاعِمِينَ - ذلك المقصود - خطأيهم ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ. وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهُهُ جَمِيعًا﴾ في الآخرة.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً؛ هو: عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَهُ﴾ وَلَا يَصِيرُ عَنْهُمْ مِنْهُمْ غَيْرُهُ. ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ وهو: النبي ﷺ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ بَيِّنَاتٌ؛ وهو: القرآن.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنِ

يَتَأَخَّلُ الْقِسْمَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتَهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ وَاللَّهُ وَرُسُلُهُ وَلَا تَقُولُوا لِلْأَلْهَةِ ثُلُثَةٌ أَنْتَهُوَ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلِدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهُهُ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنِ وَفَضْلٍ وَهَدْيِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

وَفَضْلٍ وَهَدْيِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا هو دين الإسلام.

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أنبتها الله لنفسه أو أنبتها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارات السلف أسلم وأولى.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي الأختان ﴿أُثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصاعدًا؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات<sup>(١)</sup> ﴿فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَلِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلَهُمَا مِثْلُ مَا تَرَكَ﴾ منهم ﴿وَمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخر آية نزلت؛ أي: من الفرائض<sup>(٢)</sup>.

### سورة المائدة

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية<sup>(٣)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهد المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أَحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَمْثَرِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَّا مَا يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ تَحْرِيمُهُ﴾ في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِثَّةُ﴾<sup>(٥)</sup> الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحریم لما غرض من الموت<sup>(٦)</sup> ونحوه ﴿غَيْرِ مُجْلِ أَلْمِثَّةِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: مُخْرَجُونَ، ونصب ﴿غَيْرِ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ﴾ جمع سعيعة؛ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا تَهْتَرُ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْمُدَى﴾ ما أهدي إلى الحرم من الثعم بالعرض له ﴿وَلَا الْقَلْبِدَ﴾ جمع قلادة؛ وهي: ما كان يقلده من شجر الحرم ليأمن؛ أي: لا تعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا تَحْلُوا﴾ تحلوا ﴿مَائِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوه<sup>(٧)</sup> ﴿يَنْتَعُونَ﴾ قَصَلًا رزقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالنجارة ﴿وَرِضُونَا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة<sup>(٨)</sup> ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَلَا يَجُوزُ لَكُمْ﴾ يكسبكم ﴿سَعْيَانِ﴾ بفتح النون وسكونها<sup>(٩)</sup>، بعض ﴿فَوْرٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَمَّارُونَا عَلَى الْبَرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوُا﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَلَا تَمَّارُونَا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿وَعَلَى الْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْمُدُونِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يهوداني ماشيين فأعمني عليّ، فوضاً ثم صب عني من وضوئه فأقمت. قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرُدْ عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّصُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾. (٢) كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكلاله.

(١) اختلف في المراد بالكلاله؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) س حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثلاث أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ يشتمل النحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿وَلَا﴾ فيما أحل، وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد ﴿وَلَا﴾ دائماً مخالف لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس بمنسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا تَهْتَرُ الْحَرَامَ وَلَا الْمُدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا تَمَّارُونَ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّصُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

### سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُكَلِّ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضُونَا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجُزُ لَكُمْ شَيْءٌ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي الْكَلَالَةِ﴾<sup>(١)</sup> قُلِ اللَّهُ يُفَيِّصُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يهوداني ماشيين فأعمني عليّ، فوضاً ثم صب عني من وضوئه فأقمت. قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرُدْ عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّصُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾. (٢) كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكلاله.

(١) اختلف في المراد بالكلاله؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) س حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثلاث أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ يشتمل النحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿وَلَا﴾ فيما أحل، وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد ﴿وَلَا﴾ دائماً مخالف لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس بمنسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا تَهْتَرُ الْحَرَامَ وَلَا الْمُدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا تَمَّارُونَ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ  
وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَرْوِيَّةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ  
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا  
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقِ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ  
يَعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَةِ  
غَيْرِ مَتَجَانِفٍ لِأَنْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا  
أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ  
مُكَلِّينَ يُعَاوَنُوهِنَّ فَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ  
وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ  
الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ الْخَالِصَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ حَلَّ لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ۖ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مَهْرُهُنَّ ۖ مُحْصِنِينَ ۖ مُتَزَوِّجِينَ ۖ غَيْرَ مُسْلِفِينَ ۖ مُعْلَنِينَ بِالزَّانَا بَيْنَ ۖ وَلَا  
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۖ مِنْهُنَّ تَسْرُونَ بِالزَّانَا بَيْنَ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ ۖ أَي:  
يَرْتَدُّ ۖ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ۖ الصَّالِحُ قَبْلَ ذَلِكَ ۖ فَلَا يَعْتَدُ بِهِ ۖ وَلَا يَنْبَأُ عَلَيْهِ  
ۖ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

[٣] حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ ۖ أَي: أَكَلُهَا ۖ وَالْدَّمُ ۖ أَي: الْمُسْفُوحُ - كما  
في الأنعام<sup>(١)</sup> - وَتَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ۖ بَأْنْ ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ  
ۖ وَالْمُنْخَفَقَةُ ۖ الميته خنقاً ۖ وَالْمَوْفُودَةُ ۖ المقتولة ضرباً ۖ وَالْمَرْوِيَّةُ ۖ الساقطة  
من علو إلى أسفل فماتت ۖ وَالطَّيْحَةُ ۖ المقتولة ينطح أخرى لها ۖ وَمَا أَكَلَ  
السَّبُعُ ۖ منه ۖ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ۖ أَي: أَدْرَكْتُمْ فِيهِ الرُّوحَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ  
فَذَبَحْتُمُوهُ ۖ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ۖ اسْمِ ۖ النَّصَبِ ۖ جمع نصاب ۖ وهي: الأصنام  
ۖ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا ۖ تَطْلُبُوا الْقِسْمَ وَالْحَكْمَ ۖ بِالْأَزْلَمِ ۖ جمع زلم - يفتح  
الزاي وضمها مع فتح اللام -: قِدَحٌ - بكسر القاف - صغير لا ريش له ولا  
نصل، وكانت سبعة عند سادن الكعبة، عليها أعلام، وكانوا يحكمونها؛ فإن  
أمرتهم اتسمروا وإن نهيتهم انتهوا ۖ وَذَلِكُمْ فَسُقِ ۖ خروج عن الطاعة، ونزل  
يوم عرفة عام حجة الوداع<sup>(٢)</sup> ۖ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ۖ أَنْ  
تَرْتَدُّوا عَنْهُ بَعْدَ طَمَعِهِمْ فِي ذَلِكَ لَمَّا رَأَوْا مِنْ قُوَّتِهِ ۖ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَآخِشُونَ الْيَوْمَ  
أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ۖ أَحْكَامُهُ وَفَرَائِضُهُ، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام  
ۖ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ يَعْمَتِي ۖ بِإِكْمَالِهِ، وقيل: بدخول مكة آمين ۖ وَرَضِيْتُ  
أَي: اخْتَرْتُ<sup>(٣)</sup> ۖ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَةِ ۖ مَجَاعَةٌ إِلَى أَيْ  
شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ فَأَكَلَهُ ۖ غَيْرِ مَتَجَانِفٍ ۖ مائل ۖ لِأَنْتُمْ ۖ معصية ۖ فَإِنَّ اللَّهَ  
غَفُورٌ ۖ لَهُ مَا أَكَلَ ۖ رَحِيمٌ ۖ بِهِ فِي بَاحْتِهِ، بخلاف المائل لائم؛ أَي: التلبس  
به كقواطع الطريق والباغي مثلاً؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٤] يَسْتَأْذِنُكَ ۖ يَا مُحَمَّدٌ ۖ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ ۖ مِنَ الطَّعَامِ ۖ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ  
الطَّيْبَةُ ۖ الْمُسْتَلَذَاتُ ۖ وَوَصِيدٌ ۖ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ۖ الْكُوَاثِبُ مِنَ  
الْكَلَابِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ ۖ مُكَلِّينَ ۖ حَالٌ مِنْ كَلَبِ الْكَلْبِ - بالتشديد ۖ  
أَي: أُرْسِلَتْ عَلَى الصَّيْدِ ۖ يُعَاوَنُوهُنَّ ۖ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ ۖ مُكَلِّينَ ۖ أَي:  
تُؤَدِّبُونَهُنَّ ۖ يَمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ مِنْ آدَابِ الصَّيْدِ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ۖ وَإِنْ  
قُتِلَتْ؛ بَأْنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، بخلاف غير المعلمة؛ فَلَا يَحِلُّ صَيْدُهَا، وَغَلَامَتُهَا<sup>(٤)</sup>  
أَنْ تَشْتَرِيَهَا إِذَا أُوسِلَتْ وَتَنْزِرَ إِذَا رُجِرَتْ، وَتَمْسِكُ الصَّيْدَ وَلَا تَأْكُلْ مِنْهُ،  
وَأَقْلُ مَا يَعْرِفُ بِهِ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ؛ فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَى  
صَاحِبِهَا؛ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ: «أَنْ صَيَّدَ الشَّهْمُ  
إِذَا أُوسِلَ وَدُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْمُعْلَمِ مِنَ الْجَوَارِحِ»<sup>(٥)</sup> ۖ وَادَّكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ  
عَلَيْهِ ۖ عِنْدَ إِرْسَالِهِ<sup>(٦)</sup> ۖ وَأَقْفُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

[٥] الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ ۖ الْمُسْتَلَذَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
أَي: ذَبَابُ الْبُهُودِ وَالنَّصَارَى ۖ حَلَّ ۖ حَلَالٌ ۖ لَكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ ۖ إِيَّاهُمْ ۖ حَلَّ

(١) أَي: فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: «هُوَ ذَمَّا تَشْتَرُوا» [الأنعام: ١٤٥].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٣٠١٧).

(٣) هَذَا تَأْوِيلٌ لَصِفَةِ الرِّضَا الثَّانِيَةِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَلِيهِ بِسَبْحَانِهِ. وَمِنْ لُزَامِهَا أَنَّهُ اخْتَارَ مَا رَضَاهُ مِنَ الدِّينِ لِهَذِهِ الْأَمَةِ.

(٤) ذَكَرَ أَرْبَعَ عِلَامَاتٍ وَهِيَ مَعْتَبَرَةٌ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبُعِ، وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا يَحْتَسِبُ فِيهِ إِلَّا قَبْدَانٌ: أَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ، وَإِذَا أُرْسِلَ اسْتَرْسَلَ، وَيَرَى مَالِكًا أَنْ الْأَكْلَ يَسَّ قَبْدًا كَذَلِكَ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبُعِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْحَدِيثِ.

(٥) لَا يُوْجِدُ بِهَذَا اللَّفْظَ فِي الصَّحِيحِينَ وَلَكِنْ يَسْتَفَادُ هَذَا الْحُكْمُ مِنْ أَحَادِيثَ فِيهَا. انظر: الْبُخَارِيُّ (٥٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٦٥).

(٦) ذَهَبَ الْمُصَنِّفُ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى «مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ»، وَقِيلَ: عَائِدٌ إِلَى «مَا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ»؛ أَي: سَمَا اللَّهَ إِذَا أَدْرَكْتُمْ ذَكَاةً.

ألقوا المسح بها من غير إمالة ماء، وهو اسم جنس فيكني أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شفره<sup>(٣)</sup>، وعليه الشافعي **﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾** بالنصب، عطفًا على **﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾**، وبالجر على الجوار<sup>(٤)</sup> **﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ<sup>(٥)</sup> ١. وهما: العظام الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس المسح يغيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا﴾** فاعتسلوا **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾** مرضًا يضره الماء **﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾** أي: مسافرين **﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** أي: أخذت **﴿أَوْ لَنَسَمْتُمْ إِلَى نَسَمَةٍ مِنْهُ﴾** سبق مثله في آية النساء **﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾** بعد طلبه **﴿فَتَيَمَّمُوا﴾** اقصدا **﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾** ترابًا طاهرًا **﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** مع المرفقين **﴿وَبَنَةً﴾** بضريرتين<sup>(٦)</sup>، والباء للإلصاق، وَبَنَتِ الشَّيْءُ أَنْ المراد استيعاب العضوين بالمسح<sup>(٧)</sup> **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾** ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** من الأحداث والذنوب **﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام؛ ببيان شرائع الدين **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** نعمة<sup>(٨)</sup>.

[٧] **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام **﴿وَمِنْ نِعْمَتِهِ﴾** عهده **﴿الَّذِي وَافَقَكُمْ بِهِ﴾** عاهدكم عليه **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾** للنبي ﷺ حين بايعموه: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** في كل ما تأمر به وتنهى؛ بما نُحِبُّ ونكره **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** في ميثاقه أَنْ تنقضوه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب، فغيره أولى.

[٨] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوءًا قَوْمِينَ﴾** قاتمين **﴿لِلَّهِ﴾** بحقوقه **﴿شُهَدَاءَ يَلْقَوسُ﴾** بالعدل **﴿وَلَا يَحْزَنُهُمْ﴾** يَحْمِلُهُمْ **﴿سَتَانُ﴾** بفض **﴿قَوْمٍ﴾** أي: الكفار **﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا﴾** فتنالوا منهم؛ لعداوتهم **﴿أَعْدُوا﴾** في العدو والولي **﴿هُوَ﴾** أي: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلْقَوَىٰ﴾** وَأَقْرَبُوا **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** فيجازيكم به.

[٩] **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُمْ مَقْرَرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَنَسَمْتُمْ إِلَى نَسَمَةٍ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَاغْسِلُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوءًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَلْقَوسُ وَلَا يَحْزَنُهُمْ سَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا أَعْدُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَقْرَرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

[٦] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾** أي: أردتم القيام **﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾** وأنتم محدثون **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ<sup>(١)</sup> - **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق<sup>(٢)</sup>؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرجه البخاري عن عائشة **﴿سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْيَدِ﴾** ونحن داخلون المدينة - فأناب النبي ﷺ ونزل، فنتى رأسه في حجري راقداً. أقبل أبو بكر فلكرني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قِلَادَةٍ؟ في الموت لكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد؛ فنزلت: **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** الآية. قال أسيد بن حصير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).

(١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ غسل في وضوئه يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثاً، وغسل رجله حتى حاوز الكعبين. أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبair والطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعاً [فتح الباري (٣٥٠/١)]. وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥).

(٢) وقيل: للتبعض. وهو قول مرجوح.  
(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.  
(٤) قراءة الجرارين كثير وأبي عمرو وحزمة وشعبة، وقوله: «على الجوار»؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعترض على هذا بأنه لم يرد الجوار بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور بفتحة، ومعطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.  
(٥) كما تقدم قربنا في حديث وائل بن حجر.  
(٦) حديث الضربين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعاً: «إنما كان يكفكف هكذا»، ونفع فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. البخاري (٣٤٧).  
(٧) حديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعاً، وصحح الأئمة وقفه على ابن عمر.



[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُورُوا﴾ يمدوا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(١)</sup>

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بما يذكر بعد<sup>(٢)</sup> ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿مِنْهُمْ أَتَى عَشَرَ نَفِيسًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴿نَصَرْتُمُوهُمْ﴾ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ﴾ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿كَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ﴾ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالسَّوَاءَ فِي الْأَصْلِ: الْوَسْطُ، فَتَقْضُوا الْمِثَاقَ﴾.

[١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿وَمِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِبَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿وَمِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ من أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وهذا منسوخ بآية السيف<sup>(٣)</sup>.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِبَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) فائدة: قال الألوسي: «والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بمسفات قاموا إلى الظهر مقاء، فلما صلوا ندبوا ألا كانوا أكبروا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف...».

وقيل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(٢) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائدة: ١٢].

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَوُاعَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسَلُّوهُ السَّلَامَ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل؛ آية الرجم وصفته <sup>(١)</sup> ﴿وَيَعْلَوُاعَن كَثِيرٍ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا إفضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ يبين ظاهراً.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سَلُّوهُ السَّلَامَ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم العقويية - فرقة من النصارى <sup>(٢)</sup> - ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمِنَ عَذَابِ اللَّهِ سَيِّئًا﴾ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا؛ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً؛ لقدّر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءٌ <sup>(٣)</sup> ﴿قَدِيرٌ﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/ ٤٠٠) وغيره عن ابن عباس ؓ قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٢٠).

(٢) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٣) والأولى الإطلاق وعدم التقييد. كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: أَيُّ كُلِّ مِثْمَالٍ آتَيْنَا اللَّهَ﴾ أي: كآبائنا في القرب والمزلة، وهو كآبائنا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَجْتَوَيْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلَمْ يَعْزِبْكُمْ يَدُنَا لَكُمْ فِي صَدَقَتِكُمْ﴾ إن صدقتكم في ذلك، ولا يعذب الأب ولله ولا أحبيب حبيبته، وقد عذبكم؛ فأنتم كاذبون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعُوا وَلَا تَحْسَبُوا بِسُلُوكِهَا أَنَّكُمْ فِي اللَّهِ حَالُونَ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿بَيِّنَاتٍ لَّكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ قَلْبٍ مِّنَ الْإِسْلَامِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة <sup>(١)</sup> ﴿لَّعَلَّكُمْ لَا تَقُولُوا إِذَا جَاءَنَا مَوْءِدَةٌ: «مَّا جَاءَنَا مِنَّ زَائِدَةٍ»﴾ زائدة ﴿بَيِّنَاتٍ وَلَا تَذِكرُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَاتٍ وَتَذِكرُ﴾ فلا عذر لكم إذا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

[٢٠] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرُكُمْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُنَفِّسُ لَكُمْ الْوِزْرَ﴾ أي: منكم ﴿أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مَّثَلُومًا﴾ أصحاب خدام وخشع ﴿وَمَا أَتَاكُمْ مَّا تَمْنَوْنَ أَحَدًا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ من المثل والسُلوى وفُلقي البحر وغير ذلك.

[٢١] ﴿يَتَقَوَّيْكُمْ أَنْتُمْ وَالْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها؛ وهي: الشام ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ في سعيكم.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَكُونُ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوًلاً ذوي قوة <sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوفها ﴿فَلَا تَقُولُوا لَمْ يَدْخُلْنَاهَا﴾ تنهزموا خوفها ﴿فَلَا تَقُولُوا لَمْ يَدْخُلْنَاهَا﴾ تنهزموا خوفها.

[٢٣] ﴿قَالَ لَهُمُ الرَّجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ﴾ مخالفة أمر الله؛ وهما: يوشع وكال <sup>(٣)</sup> ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللَّهُ فِي كَشْفِ أَسْوَاقِ الْجَبَابِرَةِ﴾ أنتم الله عليهما بالعبادة فكنا ما اطعنا عليه من حالهم إلا عن موسى؛ بخلاف بقية النقباء فأفشوه؛ فجنبوا: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُوَ قُلُوبَهُمْ فَلَمْ يَعِزِّبْكُمْ يَدُنَا لَكُمْ فِي صَدَقَتِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُ بَشَرٍ مِّنْ خَلْقٍ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَلْبٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّيْكُمْ أَدْعُرُكُمْ بِعَمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مَّثَلُومًا ﴿٢٠﴾ وَآتَاكُمْ مَا تَمْنَوْنَ أَحَدًا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ مِّنَ الْمَثَلِ وَالسُّلَىٰ وَفُلْقِي الْبَحْرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ. ﴿٢١﴾ يَتَقَوَّيْكُمْ أَنْتُمْ وَالْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الْمَطَهَّرَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا وَإِلَيْكُمْ رُجُوعُكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا يَكُونُ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ مِّنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللَّهُ فِي كَشْفِ أَسْوَاقِ الْجَبَابِرَةِ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبَابُ فَاذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٢٣﴾

القرية، ولا تخشوه؛ فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ فلا ذلك يفتتا بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فِتْنَتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) عن سلمان الفارسي قال: فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستماية سنة. وعن قتادة خمسمائة وستون سنة. أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه.

وعن الكلبي: خمسمائة وأربعين، وقيل: أربعماية سنة. انظر: [فتح الباري (٣٢٥/٧)].

وعن الضحاك: أربعماية ووضعت وثلاثون سنة.

والمشهور ستماية سنة. ومهم من يقول: ستماية وعشرون سنة بالقمرية فتكون ستماية بالنجمية [البداية والنهاية].

(٢) يشير إلى ما ورد في الإسرائيليات من وصف هؤلاء القوم، واختار بعض أهل العلم أن لا يعتمد ذلك في تفسير كلام الله ﷻ، بل لا يفسر القرآن إلا بما هو متيقن غير مشكوك فيه، وأما الإذن في نقل أخبار أهل الكتاب وأحاديثهم بغير تصديق ولا تكذيب فهو في غير تفسير القرآن الكريم، وهو قول وجيه وقوي، وسبق الكلام عن أقسام الإسرائيليات في سورة البقرة عند ذكر الثابت، فليراجع.

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد عن عطية العوفي [الدر المنثور (٤٧٩/٢)].

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَاتَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾ بتحبرون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراعس، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم<sup>(١)</sup> في الموضع الذي ابتدءوا منه، ويسرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في الشَّيْء، وكان رحمة لهما وعدايب لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فأدناه - كما في الحديث<sup>(٢)</sup> -، وثني يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين؛ فصار بمن بقي معه وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْسِرْ عَلَى بَنِي إِيلَإِيُوشَعَ<sup>(٣)</sup> لِيَأْتِيَ سَارَ إِلَى يَتِيبِ الْقُدْسِ»<sup>(٤)</sup>.

[٢٧] ﴿وَأَتَى﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿أَبْنَى مَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿يَالْحَقَّ﴾ متعلق بـ ﴿وَأَتَى﴾ ﴿إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا﴾ إلى الله؛ وهو: كيش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِهِمَا﴾ وهو هابيل؛ بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُنْقَلْ مِنَ الْآخِرِ﴾ وهو قابيل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَيْنًا﴾ لام قسم ﴿بَسَطَتْ﴾ مددت ﴿إِلَيْكَ يَدَكَ لِيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ لِيَأْتِيَ إِلَيْكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿فِي قَتْلِكَ﴾. [٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَا﴾ ترجع ﴿إِلَيْهِمَا﴾ يائمه قلبي ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء يائمه إذا قتلنا، فأكون منهم، قال - تعالى -: ﴿وَذَلِكُمْ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ بقتله، ولم يدبر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَبْحَثُ التراب بمنقاره ويرجله وَيُزَيِّرُهُ على غراب ميت حتى وازاه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ﴾ يَشْرُ ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالَ يَتُوبَلَّى عَجَزْتُ عَنْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُزِيرُ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له وواراه.

قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَنَدَّخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ \* وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَا بَيْتًا لِتُذَكِّرَ فِيهِ الْقَوْمَ الَّتِي هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلُونِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُزِيرُ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَنَدَّخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا﴾ هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرِقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرايت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابي آدم»، وتلا يزيد - هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود -: ﴿لَوْ بَسَطَتْ إِلَيْكَ يَدَكَ لَيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ الآية.

أبو داود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخبر ابني آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكر مرفوعاً: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها غيراً من الجالس...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كموافع القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجن: يا رسول الله أرايت إن أكرهت حتى ينطقي بي إلى أحد الصغين - أو إحدى الفتنين - فضررتي رجل بسيفه، أو يجيء سهم ليقتلني؟ قال: بيوه يائمه وإئمه، ويكون من أصحاب النار».

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، ولا فقد حبست لنبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصبيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعاً باللفظ: «إن الشمس لم تحبس لبشر...»، وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).

[٣٢] ﴿وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير فساده ﴿أَنَّهُ﴾ في الأرض ﴿مَن كَفَرَ أَوْ رَدَّ أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا أَوْ نَحْوَهُ﴾ فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَيْدَ مَنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُبْرَنٌ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٣٣] ونزل في العرينين - لما قدموا المدينة وهم مرضى<sup>(١)</sup>؛ فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوابها وألبانها، فلما ضحكوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل :- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ بِمُحَارَبَةٍ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا يقطع الطريق ﴿أَن يَقْتُلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا أَوْ يَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفُوا مِنْ الْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٢)</sup>، وأصح قوله: أن الصلب ثلاثاً<sup>(٣)</sup> بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التشكيل من الخيس وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ﴾ جَزَاءٌ ذَنْبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ لترتيب الأدوار، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٢)</sup>، وأصح قوله: أن الصلب ثلاثاً<sup>(٣)</sup> بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التشكيل من الخيس وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ﴾ جَزَاءٌ ذَنْبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ هو عذاب النار.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطع ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عتبر بذلك دون ﴿فلا تحذوهم﴾؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أر من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب<sup>(٦)</sup>، وهو أصح قول الشافعي، ولا تنفد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوله أيضاً<sup>(٧)</sup>.

[٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَعُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَقَدْ تَقْلِبُونَ﴾ تموزون.

مَنْ أَجْلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ يَقَطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَعُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُفٍّ ثَبَتَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِمَّا مَكَرُوا لِيَقْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُفٍّ ثَبَتَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِمَّا مَكَرُوا لِيَقْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣، ٣٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نفرًا من عُكْل قدموا على النبي ﷺ فاجتوا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوابها وألبانها ففعلوا، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسخر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فانزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ الآية. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.

البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبواب الإبل والدواب والغنم ومرايضها.

(١) لم أجده عن ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا﴾ قال: أوق نفسه كما لو قتل الناس جميعًا. وفي قوله: ﴿وَمِنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضًا: [الدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل - أي نصيب - من دمها؛ لأنه أول من سن القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي لإبعاده عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحبس.

(٦) أي: إذا تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

الكوع، وَيَنْتَبِثُ الشَّئُ أَنْ الَّذِي<sup>(١)</sup> يقطع فيه ربع دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعز<sup>(٢)</sup> ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر ﴿يَمَّا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة لهما ﴿وَنَآلَهُمَا اللَّهُ عَذَابًا غَيْرَ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه. [٣٩] ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رجع عن السرقه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَارْتَدَّ اللَّهُ بِنُوبٍ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم؛ فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم يَنْتَبِثُ الشَّئُ أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع، وعليه الشافعي<sup>(٣)</sup>.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُلْكًا أَلَسَمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا مَحْزَنٌ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه بسرعة؛ أي: يظهره إذا وجدوا فرصة ﴿وَنَآلَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعذبونهم ﴿فَالْوَأَآمَنَ﴾ بأفوههم، بالسنتهم متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ تَوْمِنُ فُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أجهارهم سماع قبول ﴿سَمِعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخِرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خير، زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما؛ فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يَحْرِقُونَ أَلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة؛ كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَحُذِرْهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَأَنْ لَمْ تَوْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَحُذِرْهُ﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُمْ يَدُ اللَّهِ شَيْئاً﴾ في دفعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْتَرِمْ فُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر، ولو أرادهم لكان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذل بالفضيحة والحزبة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ<sup>(٣٧)</sup> وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٣٨)</sup> فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٣٩)</sup> أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٤٠)</sup> يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ فُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمِعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِخَيْرٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْتَرِمْ فُلُوبَهُمْ وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(٤١)</sup>

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يمتنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «ال» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٩): أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرفت على عهد النبي ﷺ فجاء بها الذين سرفتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرفتنا، قال قومها: فجن نفديها. يعني أهلها. فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسائة دينار. قال: «اقطعوا يدها» قال: فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأبذل الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - المسند (١٧٧/٢). وقال أحمد شاذر: إنسانه صحيح (٦٦٥٧). قال ابن كثير: «وهذه المرأة هي المخزومية التي سرفت. وحديثها ثابت في الصحيحين».

(١) رواه البخاري (٦٢٩١)، ومسلم (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عن عائشة مرفوعاً.

(٢) وهذا مذهب الشافعي ومالك، وعند الحنيفة ورجحه ابن قدامة: لو عاد في الثالثة والرابعة يعز، ولا تقطع يده اليسرى ولا رجله اليمنى. وهو الأصح؛ لأن قطع يديه فوت منفعة الجنس، فلا تبقى له يد يأكل بها ولا يتوضأ ولا يستطيب ولا يدفع عن نفسه؛ فيصير كالهالك، ولأنه لو جاز قطع اليدين لقطعت اليسرى في المرة الثانية لأنها آلة البطش الكلي، وإنما لم تقطع للمفسدة في قطعها. [الغني (٩/ ١٠٦ - ١٠٩)].

(٣) وعند مالك: لا ينفع عفوه من مطلقاً؛ لأنه حق الله.

(٤) أي: لقوله: ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلصَّحْتِ فَإِنْ جَاءَكَ وَكَ  
فَاحْكُم بَيْنَهُمُ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ  
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ  
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤١﴾ وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ  
وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ  
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّابِّيُّونَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ  
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ  
وَأَخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ  
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَكَتَبْنَا  
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ  
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالْيَدَ بِالْيَدِ وَالْجُرُوحَ  
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ  
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٤﴾

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿٢٠﴾ وَيُؤْتِيهِمُ الْكِتَابَ وَمَا يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ التَّوْرَةِ وَلَا مِنَ الْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَمُوعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾

[٤٧] ﴿٢٠﴾ قُلْنَا: ﴿لِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَفِي قِرَاءَةٍ (١) بِنَصْبِ «يُحْكَم» وَكُسْرٍ لَامِهِ، عَطْفًا عَلَى مَعْمُولِ «آتَيْنَاهُ» وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢).

[٤٨] ﴿٢١﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَمَتْلَقًا بِأَنْزِلَانِهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْ هِيَ الْكِتَابُ وَمُحِيطًا شَاهِدًا عَلَى الْعَالَمِينَ وَالْكِتَابُ بِمَعْنَى الْكِتَابِ (٣) فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا تَرَاوَعُوا إِلَيْكَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَادِلًا وَمَعَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمْعٍ مِّنْكُمْ أَيْهَا الْأُمَمُ شَرِيعَةٌ شَرِيعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ طَرِيقًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ يَمْشُونَ عَلَيْهِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنَّكُمْ فَرَقَكُمْ فِرْقًا ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ لِيُخْبِرَكُمْ فِي مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ الْخَفِيَّةِ؛ لِنَظَرِ الطَّامِعِ مِنْكُمْ وَالْعَاصِيِ ﴿فَلْيَسْتَفِيقُوا الْخَائِبِينَ﴾ سَارِعُوا إِلَيْهَا إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا بِالْبُعْثِ ﴿فَلْيُحْكَمْ بِمَا كُتِبَ فِيهِ تَحْلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَيَجْزِي كُلًّا مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ.

[٤٩] ﴿٢٢﴾ وَأَنِّي أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ لِيُؤْنَسَ لَكُمْ لَا يَقْتَرِبُوا إِلَيْكُمْ يَضْلُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ الْحُكْمِ الْمَثَلِ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَبَعْضُ دُورِهِمْ الَّتِي أَنْوَاهَا وَمِنْهَا: التَّوَلَّى، وَيَجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَا تَكُنْ كَثِيرًا مِّنَ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٥٠] ﴿٢٣﴾ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأَلْفَاظُهُمْ وَمِنْهَا: الْبَلَاءُ وَالنَّالَةُ (٤) يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا اسْتَفْهَامَ انْكَارِيٍّ وَمِنْ: أَيُّ لَا أَحَدٌ ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ يُوقِفُونَ بِهِ خُصَاوًا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَمُوعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّجًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمْعٍ مِّنْكُمْ شَرِيعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَفِيقُوا الْخَائِبِينَ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَنِّي أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ أَنْ يَقْتَرِبُوا عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَأَنَّا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٢٤﴾ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأَلْفَاظُهُمْ وَمِنْهَا: الْبَلَاءُ وَالنَّالَةُ (٤) يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا اسْتَفْهَامَ انْكَارِيٍّ وَمِنْ: أَيُّ لَا أَحَدٌ ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ يُوقِفُونَ بِهِ خُصَاوًا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ.

[٤٧] ﴿٢٠﴾ وَأَنِّي أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا يَنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأَلْفَاظُهُمْ وَمِنْهَا: الْبَلَاءُ وَالنَّالَةُ (٤) يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا اسْتَفْهَامَ انْكَارِيٍّ وَمِنْ: أَيُّ لَا أَحَدٌ ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ يُوقِفُونَ بِهِ خُصَاوًا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نزول الآيات (٤١ - ٤٧): أخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: سُرَّ على النبي ﷺ يهودي محمداً مجلواً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا يتحدثون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنتم بالذي أنزل التوراة على موسى، أهلكم يتحدثون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتنني بهذا لم أخبرك. فجده الرجم، ولكنه كثير في أشرفائه، فكان إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أتممته، فأمر به فرحم، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوَيْسَتْ هَذِهِ قُحُودٌ﴾ يقول: اتوا محمداً فإن أمركم بالتحميم والجلد مخدوه وإن أقامكم بالرحم فاحذروا، فأمر الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ مسلم. كتاب الخلود (٢٩) باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: إن الله ﷻ أنزل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أنزلها الله في لطائف من اليهود، وكانت إحداهما قد فُهِتْ الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا، أو اصطَلَحُوا. على أن كل قبيل قتلته العزيرة من الذليلة فدبته حمسون وسقاً، وكل قبيل قتلته الذليلة من العزيرة فدبته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاها لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح.

فقتلت الذليلة من العزيرة قبلاً، فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن: «بعوا إلينا مائة وسق»، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حين فط، دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدتهما واحد، دية بعضهما نصف دية بعض. إنا إنما أعطيناكم هذا شيئاً منكم لنا وفرقاً منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيك ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيرة فقالت: والله ما محمد يعطيك منكم ما يرضى، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا شيئاً منا وقهراً لهم، فدشوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه.

فدشوا إلى رسول الله ﷺ ناشوا من المنافقين ليخبروا بهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاء رسول الله ﷺ أخبر الله ﷻ رسوله بأمرهم كله، وأرادوا، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ثم قال: فيها: والله. نزلت، وإياها عن النبي ﷺ. أحمد. المسند (٢٤٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٢١٢).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ قُحُودٌ﴾ فاحكم بينهم، أو اقض بينهم، الآية. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة. فسؤى رسول الله ﷺ بينهم. أبو داود. كتاب الأفضية (١٨) باب (١٠). الحكم بين أهل الذمة. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٢).

(١) أي في «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحمة. (٢) أي: فذالة للجنس. (٣) بالناء قراءة ابن عامر.





على «أَنْ آمَنَّا» المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتمكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر<sup>(١)</sup>.

[٦٠] «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أخبركم «بِشَيْءٍ مِّنْ أَهْلِ «ذَلِكَ» الذي تنقمونه «مُتَوَّعَةً» ثواباً بمعنى جزاء<sup>(٢)</sup> «عِنْدَ اللَّهِ» هو «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» أبعدته عن رحمته «وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ» والخنازير «بِالْمَسْخِ» «وَمِنَ «عَبْدِ الطُّغُوتِ» الشيطان بطاعته، وروعي في «مِنْهُمْ» معنى «مِنَ»، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بضم باء «عَبْدُ» وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عَبْدُ»، ونصبه بالعطف على «الفردة» «أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا» تمييز؛ لأن ماوأهم النار «وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر «شَرٌّ» «وَأَصْلُ» في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] «وَإِذَا جَاءُوكُمْ» أي: منافقو اليهود «قَالُوا آمَنَّا» وقد دخلوا إليكم متلبسين «بِالْكُفْرِ» وهم قد خرجوا من عندكم متلبسين «بِإِيمَانِهِمْ» ولم يؤمنوا «وَاللَّهُ أَغْلَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ» من النفاق.

[٦٢] «وَرَرَىٰ كَثِيرٌ مِنْهُمْ» أي: اليهود «يُسْرِعُونَ» يقعون سريعاً «فِي الْآثَرِ» الكذب «وَالْعُدُولِ» الظلم «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ» الحرام؛ كالرش «لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من عملهم هذا [٦٣] «لَوْلَا» هلا «يَهْتَمُّ» الرِّيَاسَةُ وَالْأَخْبَارُ منهم «عَنْ قَوْلِهِ الْإِثْمُ» الكذب «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» ترك نهيهم.

[٦٤] «وَقَالَتِ الْيَهُودُ» لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالا: «يَدَّ أُنُو مَعُولَةً» مقبوضة عن إردار الرزق علينا؛ كنؤا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى -: «غُلَّتْ» أمسكت «الْأَيْدِي» عن فعل الخيرات دعاء عليهم «وَلِيُؤْمِنُوا بِمَا قَالُوا» بل يداه مبسوطتان «مبالغة في الوصف بالجود، وتثني اليد؛ لإفادة الكثرة<sup>(٤)</sup>؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه «يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه «وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن «طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا» لكفرهم به «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ» فكل فرقة منهم تخالف الأخرى «كَلِمًا أَوْ قُدْرًا نَارًا لِلْحَرْبِ» أي: لحرب النبي ﷺ «أَطْفَأَهَا اللَّهُ» أي: كلما أرادوه ردُّهم «وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» أي: مفسدين بالمعاصي «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٥)</sup>.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَإِلَيْكَ يَا نَهْمُ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ وَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَّعَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَإِذْ لَجَأُوا بِكَ آلُوهَا آمَنُوا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَرَرَىٰ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْآثَرِ وَالْعُدُولِ وَلَا يَهْتَمُّ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمْ الرِّيَاسَةُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدَّ أُنُو مَعُولَةً غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كَلِمًا أَوْ قُدْرًا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

[٥٨] «وَمِنَ الَّذِينَ» إذا ناديتهم دعوتهم «إِلَى الصَّلَاةِ» بالأذان «اتَّخَذُوا» أي: الصلاة «هَاهُنَا وَإِلَيْكَ» بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا «ذَلِكَ» الاتخاذ «يَأْتُهُمْ» أي: بسبب أنهم «قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

[٥٩] «وَنَزَلَ» لما قال اليهود للنبي ﷺ: «مَنْ يَأْتِيكَ مِنَ الرِّسَالِ» فقال: «يَا اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا» الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: «قُلْ يَأْتِيَهُمْ هَلْ تَتَّقُونَ» تنكرون «وَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» إلى الأنبياء «وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ» عطف

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧٤/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٦٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤس بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢/٢١٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالقلب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وهو السميع البصير [الشورى: ١١].



[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو بمضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأَنْتُمْ صَادِقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطُّعَامَ﴾ كغيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلهًا؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجبًا ﴿كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ﴾ كيف ﴿يُؤَفَّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَشْهَدُكَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ ﴿لَا تَعْلَمُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ عللوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا نَمْلِكُ أَنْ نَنْزِلَ عَلَيْهِ الطُّعَامُ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ لِي يُؤَفَّكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ يَأْتَاهُ الْكِتَابُ لَعَلَّوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّ﴾ ﴿لَا تَكُونُ﴾ بالرفع <sup>(١)</sup>؛ فَأَنْ مَخْفَفَةٌ، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق؛ فلم ييسروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ من الضمير <sup>(٢)</sup> ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله <sup>(٣)</sup> ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست ياله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ رَأَيْدَةً ﴿أَنْصَارٍ﴾ يمعونهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويؤخذوا ﴿لَيَمَسَّنَّ أَلِيمٌ﴾ كَفَرُوا؛ أي: ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنْتُهَآ أَنْتَهَآ حَقًّا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ  
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
يَعْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ  
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ  
أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ  
خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ مَا اخْذُوا هَؤُلَاءِ وَلَا كُنْ كَثِيرًا  
مِنْهُمْ فَاسْفُوتَ ﴿٩١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً  
لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ  
أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي  
ذَلِكَ يَأْتِ مِنْهُمْ قِيْسِيْنَ وَرُحْبَانَا وَأَنْهُمْ  
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى  
الرَّسُولِ تَرَى أُغْصِيْنَ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا  
مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٩٣﴾

[٧٨] ﴿لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بَأْنِ  
دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَمَسَحُوا قُرْدَةً؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ أَيْلَةٍ ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بَأْنِ  
دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَمَسَحُوا خَنَازِيرَ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ اللُّعْنُ ﴿بِمَا  
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أَي: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿عَنْ﴾  
مَعَاوِدَةٍ ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فَعَلُهُمْ هَذَا.

[٨٠] ﴿تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾  
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مُغْضًا لَكَ ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ مِنْ  
الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمُ الْمَوْجِبَ لَهُمْ ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ  
خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿وَمَا أُنْزِلَ  
إِلَيْهِ مَا اخْذُوا هَؤُلَاءِ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسْفُوتَ﴾  
خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا  
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ لِنُضَاعَفِ كُفْرَهُمْ وَجَهْلَهُمْ  
وَانْهَامَكُهُمْ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا  
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْ ذَلِكَ﴾ أَي: قَرَبِ مَوَدَّتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿يَأْنِ﴾  
بِسَبَبِ أَنَّ ﴿مِنْهُمْ قِيْسِيْنَ﴾ عِلْمَاءُ ﴿وَرُحْبَانَا﴾ عُشْرَاءُ ﴿وَأَنْهُمْ لَا  
يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ كَمَا يَسْتَكْبِرُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ مَكَّةَ. نَزَلَتْ فِي وَفْدِ  
النَّجَاشِيِّ الْقَادِمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِشْيَةِ قَرَأَ ﴿سُورَةُ يَسَ﴾ فَبَكَوْا وَأَسْلَمُوا؛ وَقَالُوا:  
مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى <sup>(١)</sup>.

[٨٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تَرَى  
أُغْصِيْنَ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صَدَقْنَا  
بِنَبِيِّكَ وَكُتَابِكَ ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الْمَقْرِبِينَ بِتَصَدِيقِهِمْ.

(١) أَخْرَجَ نَعْوَةَ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مریم» من جعفر بن أبي طالب عليه السلام، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كنعان معلقاً على ذلك في قرة العين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما بحب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات... اهـ».

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعناً، فجثت به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: «قلت: هدية، فضرب يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقت وأنا مثقل؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغ: ﴿يَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾؛ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان» وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢).

[٨٧] ونزل - لما هم قومه من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِيبٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ (١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا تُحِبُّ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْثُوتٌ﴾ (٢).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ﴾ الكائن في أَيْمَنِكُمْ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ، بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقِدْتُمْ﴾ (٣) ﴿الْأَيْمَنُ﴾ عليه؛ بأن حلفتكم عن قصد ﴿فَكَفَرْتُمْ﴾ أي: اليمين؛ إذا خنتكم فيه ﴿إِلْعَاقًا عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مَدٌّ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أفضديه وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمَا﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي (٤) ﴿أَوْ تَحَرَّيْرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملًا للمطلق على المقيد (٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحدًا مما ذكر ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّرةً أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحننتم ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل يَرُ أو إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦) على ذلك (٧).

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا لَقِيتُمُ الْمُسْكِرَ الَّذِي يَخَامِرُ الْعَقْلَ﴾ ﴿وَالْمُتَبَيِّرَ﴾ القمار ﴿وَالْأَنصَابَ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَزْلَمَ﴾ قدام الاستقسام ﴿وَجَسَّسَ﴾ خبث مستفذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَبِيبٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْثُوتٌ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَنَ فَكَفَرْتُمْ بِطَاعَةِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمَا أَوْ تَحَرَّيْرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةً أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١﴾

[٨٤] ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيَّهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧)، (٨٨): أخرج الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم. فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِيبٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا إِنَّكَ اللَّهُ لَا تُحِبُّ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب

(٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٧) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرج البخاري عن عائشة أن أباها كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرج نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأنزل الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب [الدر المنثور (٥٤٤/٦)].

وأخرج الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٢٣٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الزجاج.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ  
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ  
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا  
الْبَلْعُ الْمُمِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ  
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ  
بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ  
مِنْكُمْ فَتَعَدَّىٰ فَجْزَاءٌ مِّثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا  
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِيكَ يَتْلُو الْكُتُبَ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ  
أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامٌ يَدُوقُ وَبِالْأَمْرِ عَقَا اللَّهُ عَمَّا  
سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَيْهِ ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴿ذُو  
الْإِنْتِقَامِ﴾ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَالْحَقُّ بِقَتْلِهِ مُتَعَدِّيًا فِيمَا ذَكَرَ الْخَطَأُ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ  
وَالْمَيْسِرِ﴾ إِذَا اتَّيَمُّوهُمَا؛ لِمَا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾  
بِالْإِشْغَالِ بِهِمَا ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خَصَّصَهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا ﴿فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ عَنْ إِيَّائِهِمَا؛ أَيْ: انْتَهَوْا<sup>(٩١)</sup>.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ الْمَعَاصِيَ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنْ  
الطَّاعَةِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ الْإِبْلَاقُ الْبَيْنُ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا.  
[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾  
أَكَلُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الْخُرْمَاتِ ﴿وَعَمِلُوا  
وَصَلَّوْا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا﴾ ثَبَتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا  
وَأَحْسَنُوا﴾ الْعَمَلَ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَشِيهُمُ<sup>(٩٢)</sup>.

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ﴾ لِيُخَبِّرَكُمْ ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يَرْسِلُهُ لَكُمْ ﴿وَمِنَ  
الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ أَيْ: الصَّغَارَ مِنْهُ ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحَكُمْ﴾ الْكِبَارَ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ  
بِالْحَدِيثَةِ وَهُمْ مُخْرِمُونَ<sup>(٩٣)</sup>؛ فَكَانَتِ الْوَحْشُ وَالطَّيْرِ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿لِيَعْلَمَ  
اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ؛ أَيْ: غَائِبًا لَمْ يَرَهُ؛ فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ  
﴿فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنْهُ؛ فَاصْطَادَهُ ﴿فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مُخْرِمُونَ بِحُجٍّ أَوْ  
عَمْرَةٍ ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدِّيًا فَجْزَاءٌ﴾ بِالتَّوْبِينِ وَرَفْعِ مَا بَعْدَهَا؛ أَيْ: فَعَلِيهِ جَزَاءٌ  
هُوَ: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ أَيْ: شَبِيهِ فِي الْخَلْقَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٩٤)</sup>؛ بِإِضَافَةِ  
«جَزَاءٍ»، ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أَيْ: بِاللَّهِ رَجُلَانِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لَهَا قُطْعَةٌ يُمِيزَانِ  
بِهَا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِهِ، وَقَدْ حَكَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ<sup>(٩٥)</sup> فِي النِّعَامَةِ بِذَنْبَةٍ،  
وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي بَقْرِ الْوَحْشِ وَحِمَارِهِ بِبِقْرَةٍ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَوْفٍ فِي  
الظُّبْيِ بِشَاةٍ، وَحَكَّمَ بِهَا<sup>(٩٤)</sup> ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْحِمَامِ؛ لِأَنَّهُ يَشِيهُمَا فِي  
الْعَبِّ<sup>(٩٥)</sup> ﴿هَذِيكَ﴾ حَالٌ مِنَ «جَزَاءٍ» ﴿يَتْلُو الْكُتُبَ﴾ أَيْ: يُلَاحِظُ بِهِ مِنَ الْحَرَمِ؛ فَيُذَبِّحُ  
فِيهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَذْبَحَ حَيْثُ كَانَ، وَنَصَبَهُ نَعْمًا لِمَا  
قَبْلَهُ. وَإِنْ أَضْيَفَ؛ لِأَنِّ إِضَافَتَهُ لَفْظِيَّةٌ؛ لَا تَقْبِدُ تَعْرِيفًا؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنِ لِلصَّيْدِ مِثْلُ  
مِنَ النَّعْمِ كَالْعَصْفُورِ وَالْجَرَادِ فَعَلِيهِ قِيَمَتُهُ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غَيْرُ الْجَزَاءِ.  
وَإِنْ وَجَدَهُ - هِيَ: ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ مَا يَسَاوِي قِيَمَةَ  
الْجِزَاءِ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِثْلًا، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٩٤)</sup>؛ بِإِضَافَةٍ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ لِمَا بَعْدَهُ، وَهِيَ  
لِلْبَيَانِ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿عَدْلٌ﴾ مِثْلُ «ذَلِكَ» الطَّعَامِ ﴿صِيَامًا﴾ بِصَوْمِهِ؛ عَنْ  
كُلِّ مِثْلٍ يَوْمٍ، وَإِنْ وَجَدَهُ وَجِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿يَدُوقُ وَبِالْأَمْرِ﴾ ثَقُلَ جِزَاءُ  
﴿أَمْرِهِ﴾ الَّذِي فَعَلَهُ ﴿عَقَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ

(٩٠) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَتَيْنِ (٩٠، ٩١). أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ: ... وَآتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالِ نَطْعُكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَحْرِمَ الْخَمْرَ. قَالَ: فَاتَّيَبْتُ فِي حُشٍّ - وَالْحِشِّ: الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْرُوبٍ عَنْدهُمْ وَزِقٌ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرَبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عَنْدهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ، فَجَرَحَ بَأَنفِي، فَآتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْتُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي - بِعَيْنِي نَفْسِهِ - شَأْنَ الْخَمْرِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَكْثَامُ﴾. مُسْلِمٌ كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (٤٤) بَابُ (٥) فَضْلُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بِيْنِي لَدَا فِي الْخَمْرِ يَانَ شِفَاءً، فَزَلَّتْ لِي فِي الْبِقْرِ: ﴿يَتْلُوكَ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَيْسِرُ﴾ الْآيَةُ. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بِيْنِي لَدَا فِي الْخَمْرِ يَانَ شِفَاءً، فَزَلَّتْ لِي فِي الْمَالِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَيْنَا. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٦) سُورَةُ الْمَالِدَةِ. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَرَّمَ الْخَمْرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمَدِينَةِ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿يَتْلُوكَ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَيْسِرُ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فِيهَا إِتْمَ كَثِيرٌ﴾، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ صَلَّى رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَمْ أَصْحَابُهُ فِي الْمَغْرِبِ خَلَطَ فِي قِرَاءَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا آيَةً أَغْلَظَ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَيْنَا. سَبَقَ تَحْرِيجُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩).

ثُمَّ أَنْزَلَتْ آيَةً أَغْلَظَ مِنْ ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَجْهًا لِلْغَيْبِ وَالْأَكْثَامُ وَبِالْأَمْرِ يَزَعْدِلُ لَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾. فَقَالُوا: انْتَهَيْنَا. سَبَقَ تَحْرِيجُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩). (٩٠) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَةِ (٩٣): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَتَبَ سَلَامِيُّ الْقَوْمِ فِي مِثْلِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُضَيْخَ - فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادًا يَنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ.

(٩١) وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِلصَّفَةِ بِأَعْزَمِهَا، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْإِلَاقِيِّ بِ- سَبْحَانَهُ - وَسَبَّحَ ذَلِكَ مَرَّاتًا. (٩٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِقَاتٍ بْنِ حِيَّانٍ [الْمَدَنِيُّ] (٥٧٦/٢).

(٩٣) لِلنَّافِعِ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عُمَرَ وَابْنُ عَامَرٍ. (٩٤) أَيْ بِالْمَدِينَةِ. (٩٥) أَيْ: شَرِبَ الْمَاءَ بِلا مُقَصِّ. (٦) لِلنَّافِعِ وَابْنِ عَامَرٍ.

نمرات كل شيء إليه، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغَلٍّ  
 وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب.  
 قياماً لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدَى وَالْقَلِيدَ﴾ قياماً لهم؛ بأمن صاحبيهما  
 من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنْ جَعَلَهُ ذَلِكَ لِحُبِّ الْمَصَالِحِ لَكُمْ  
 ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.  
 [٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 لَأَوْلِيَائِهِ﴾ رَجِيمٌ بهم.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لَكُمْ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون  
 من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ﴾ وَلَوْ  
 أَغْبَجَكُمُ أَي: سَوَّكُمُ ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَتَأُولَى  
 الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَلَ﴾ مَا أَكْرَهُوا سَوَالَهُ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ  
 أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ سَأَلْتُمَا  
 عَنْهَا مِنْ شَيْءٍ يُزِيلْ أَفْتَرَأَنْ﴾ في زمن النبي ﴿بُدِّعَ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتكم  
 عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإدائها، ومتى أبداها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛  
 قد عفا الله عنها عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أَي: الْأَشْيَاءَ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنبياءهم؛  
 فَأَجِيبُوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم  
 العمل بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلْبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا  
 حَرَمٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب  
 قال: البعيرة: التي يمنح درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس،  
 والسالبة: التي كانوا يسيبونها لأنهم؛ فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة:  
 الناقة البكرة تكرر في أول نتاج الإبل بأثنى، ثم تنثني بغد بأثنى، وكانوا  
 يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداها بأحرى، ليس بينهما ذكر، والحام:  
 فحل الإبل يضرب الضراب المعداد؛ فإذا قضى ضرابه ودَّعُوهُ للطواغيت  
 وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وشوهه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى  
 اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ في ذلك  
 افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعَالِكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ  
 وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي  
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ  
 فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا  
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ  
 وَلَوْ أَغْبَجَكُمُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ  
 لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ ﴿١٠٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ  
 أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمَا عَنْهَا جِئْتُ  
 أَفْتَرَأَنْ بُدِّعَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾  
 قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ مَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلْبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَرَمٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٥﴾

[٩٦] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أَيها الناس - خلا لا كنتم أو مخرجين - ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾  
 أن تأكلوه؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛  
 كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَّعًا﴾ تمتيعاً ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه  
 ﴿وَالسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وهو: ما  
 يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدهوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده خللاً  
 فللمحرم أكله. كما بينته السنة<sup>(١)</sup>. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْحَرَمَ ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾  
 يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، ودنياهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي

= قال: فقال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الحمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن رضي الله عنه قال: حطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً». قال: فغضب أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأقول الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حمزاً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمعة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكلوها عليه...» (١٢٨٠)، وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟





لهم توبخاً لقومهم: ﴿مَادَا﴾ أي: الذي ﴿أَجْبَسْتُمْ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه؛ لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتُكَ ﴿يُوحِ الْأَقْدُسُ﴾ جبريل ﴿تَكِيدُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رفع قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران .. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّى مِنَ الطَّيْرِ كَهَيِّئَةٍ﴾ كصورة ﴿الطَّيْرِ﴾ والكاف اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿يَاذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بإرادتي ﴿وَنُفِثَ الْأَكْصَمُ وَالْأَنْزَمُ﴾ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى من قبورهم أحياء ﴿يَاذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ حين هَمُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾ <sup>(١)</sup> أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرِسُولِي﴾ وَرِسُولِي عيسى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِمَا﴾ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالقوفانية ونصب ما بعده <sup>(٢)</sup>؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال لهم عيسى: ﴿أَتَقْوُوا اللَّهَ﴾ في اقتراف الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُؤَيِّدُكَ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿فَلَوْنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَتَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ <sup>(٣)</sup> إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ آتَيْنَاكَ يَرُوحَ الْأَقْدُسُ تَكِيدُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّى مِنَ الطَّيْرِ كَهَيِّئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَنُفِثَ الْأَكْصَمُ وَالْأَنْزَمُ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ <sup>(٤)</sup> وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ <sup>(٥)</sup> إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَتَقْوُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ <sup>(٦)</sup> قَالُوا أَنْزِلْ عَلَيْنَا نَآكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ <sup>(٧)</sup>

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

= بتركتهم فقدوا جاماً من فضة مخوَّضاً من ذهب، فأحضرهما رسول الله ﷺ ثم وجد الحمام بمكة، فقالوا: اجننا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الحمام لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمة والكسائي.

(٢) أي: ﴿تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ  
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ  
خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكَ مِنْ سَمَاءٍ  
مِنْكَ فِائِي أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَأُحَذِّبَهُ وَأَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾  
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي  
وَأَقْرَبِيهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ  
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فَالْتَمَعْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ وَتَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي  
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ  
إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ  
شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ  
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن  
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ  
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ  
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ  
تَكُونُ لَنَا عِيدًا: أي: يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾: نعظمه ونشرفه ﴿لَا كُنَّا﴾: بدل من  
﴿لَنَا﴾؛ بإعادة الجاء ﴿وَمَا خَرْنَا﴾: من يأتي بعدنا ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾: على  
قدرتك ونبوتي ﴿وَارْزُقْنَا﴾: إياها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ﴾.

﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ: مستحيبًا له: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾: بالتخفيف  
والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ﴾: أي: بعد نزولها ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِبُهُ  
عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: فنزلت الملائكة بها من السماء؛ عليها  
سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا<sup>(١)</sup>. قاله ابن عباس، وفي  
حديث: ﴿أَنْزِلَ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْرًا وَلَحْمًا فَأُتُوا أَنْ لَا يَحْمِلُوا وَلَا يَدْجِرُوا  
لَعْدًا فَحَاتُوا وَادَّخَرُوا فَمَسَحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿١١٦﴾ وَهُوَ: اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾: أي: يقول ﴿اللَّهُ﴾: لعيسى؛ في القيامة  
توبيخًا لقومه: ﴿لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَلَهُمْ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ قَالَ: عيسى؛ وقد أُرعد: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيها لك عما لا يليق بك  
من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خبر  
﴿لَيْسَ﴾ و﴿لِي﴾: للثنين ﴿إِنْ كُنْتُ فَالْتَمَعْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا﴾: أخفيه ﴿فِي  
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: أي: ما تخفيه من معلوماتك<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّكَ أَنْتَ  
عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿١١٧﴾ وَمَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ: وهو: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي  
وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيبًا؛ أمعنهم ما يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا  
تَوَفَّيْتَنِي﴾: قبضتني؛ بالرفع إلى السماء ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحفيظ  
لأعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: من قولي لهم، وقولهم بعدي، وغير ذلك  
﴿شَهِيدٌ﴾: مطلع، عالم به.

﴿١١٨﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ: أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾  
وَأَنْتَ مَالِكُهُمْ؛ تتصرف فيهم كيف شئت، لا اعتراض عليك ﴿وَإِن تَغْفِرْ  
لَهُمْ﴾: أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾: في  
صنعه.

﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا: أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: في الدنيا؛  
كميسر ﴿صِدْقُهُمْ﴾: لأنه يوم الجزاء ﴿هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بطاعته<sup>(٥)</sup> ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بشوابه<sup>(٦)</sup> ﴿ذَلِكَ  
الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾: ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه؛ كالكفار لما يؤمنون  
عند رؤية العذاب.

﴿١٢٠﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: خزائن المطر والنبات والرزق

وغيرها ﴿وَمَا فِيهِ﴾: أتى به «ما» تغليبا لغیر العاقل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجه، ولقاء الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَلَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ عِيسَى: فَلَقَاهُ اللَّهُ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: الآية كلها. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(١) بالتخفيف؛ أي: للزاي، ولازمه سكن النون، قراءة حمزة والكسائي وإن كثير وأبي عمرو.

(٢) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريبا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٢) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).

(٤) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللاتق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجهمور أنها هي الذات.

(٥) وهذا تأويل بصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللاتق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٦) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٧) ومثل هذا الإطلاق الأولي الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ يَدْعُلُونَ ۖ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تَمْتَرُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۚ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عَائِدِينَ مِنْ  
عَائِلَةٍ رَّبُّهُمْ إِلَّا كَأَنْتُمْ كَذِبُونَ ۚ فَتَقْدِرُونَ بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ  
أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِيَتَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا آلِهَتَهُمْ  
نَجْرًا مِنْ خِيتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا  
آخَرِينَ ۚ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومٌ ۚ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ  
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْآمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۚ

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[مكية<sup>(\*)</sup>] إلا: ﴿وَمَا تَدْرُوْا أَنَّ اللَّهَ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾  
الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد  
الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدنا الثالث، قاله

الشيخ<sup>(١)</sup> في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما  
بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعها<sup>(٢)</sup>، دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من  
دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿رَبُّهُمْ  
يَدْعُلُونَ﴾ يسبون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾  
لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ بعنكم ﴿ثُمَّ  
أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء  
خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهدى على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من  
خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عَائِدِينَ﴾ أي: أهل مكة ﴿مِنْ﴾ صلة ﴿عَائِدِينَ مِنْ عَائِلَةٍ  
رَبُّهُمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَأَنْتُمْ كَذِبُونَ﴾.

[٥] ﴿فَتَقْدِرُونَ بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ  
عَوَاقِبِ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية؛ بمعنى:  
كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم من الأمم الماضية ﴿مَكَتْهُمْ﴾  
أعطيناهم مكاناً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَوْ تُشْكِنُ﴾ نعط ﴿لَكُمْ﴾  
فيه، التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ الْمَطَرَ﴾ عليهم مِدْرَارًا متتابعاً  
﴿وَجَعَلْنَا آلِهَتَهُمْ نَجْرًا مِنْ خِيتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾  
بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوباً ﴿فِي قُرْطَاسٍ﴾ رق؛ كما اقترحوه  
﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عابونه»؛ لأنه أنقى للشك ﴿لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ثقتنا وعنادنا.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه  
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ﴾ كما اقترحوه؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ  
لَا يُنْظَرُونَ﴾ يهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم  
عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(\*) فائدة: تقسيم الشور إلى مكية ومدنية، وتكون الشورة كلها مكية أو مدنية إما هو الأغلب الأعظم في شور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنية في شور مكية والعكس على وجه القلة، وسبب  
ذلك ما تقرّر بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدّم، قال ابن حجر رحمه الله: وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في الشور المكية... إلى أن قال: وأما عكش ذلك  
وهو نزول شيء من سورة مكية، تأخر نزول تلك الشورة إلى المدنية فلم أره إلا نادراً.  
والاستثناء المذكور مشهور في تحبب القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دللت عليه الأدلة، لكن هل يقبل كل ما يذكر من الاستثناء، أم لا بد من النظر فيه؟  
ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصح الاستثناء إلا بتدليل لأنه خلاف الأصل. ولا يجوز القول عن هذا الأصل إلا بتدليل صحيح صريح.  
قال ابن الحصار في نظرية للسور المكية والمدنية:

وذا الذي احتفظ فيه الزوّاة له  
وما سوى ذلك مكّي صرله  
فلنبي كلّ غلاب جاء غفيرةً  
إلا خلافاً له حظاً من النظر

وقد تنبّع السوطي رحمه الله ما قبل باستثناءه وذكر الأدلة على ذلك مختصراً في كتابه الإنقاذ.

(١) أي: الحلال المحلي.

(٢) أي: الظلمة.





[٢٨] قال - تعالى -: ﴿بَلِّغْ لِلضَّالِّينَ عِلْمَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup> عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿يَذَاهِبُ عَنْهُمْ﴾ ظاهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلِ﴾ يكتبون بقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَئِيفًا مَا كُنَّا مُنْكَرِينَ﴾ بشهادة جوارحهم؛ فضمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَلَهُمْ لَكُذُوبٌ﴾ في وعدمهم بالإيمان.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكروا البعث: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ ذُقُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿قَالَ لَهُمْ عَسَىٰ لِسَانُ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيحًا: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾﴾ البعث والحساب ﴿وَالْحَقُّ قَالُوا بَلَّ وَرَبِّي﴾ إنه الحق ﴿قَالَ ذُقُوا الْعَذَابَ﴾ بما كنتم تكفرون ﴿به في الدنيا﴾.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ يلقاه الله ﴿بِالْبَعْثِ﴾ ﴿حَقِّ﴾ غاية للكذب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا﴾ يحسرتنا ﴿هي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري﴾ ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا﴾ قسرتنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة، وأنته ربحاً؛ فتركهم ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بس ﴿مَا يَرُودُونَ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالباء والتاء<sup>(٣)</sup>، ذلك فيؤمنون.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق<sup>(٤)</sup> ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُمْ﴾ أي: الشأن ﴿يَحْزَنُكَ﴾ الذي يقولون ﴿لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ﴾ فإنهم لا يذكرونك في السر لعلهم أنك صادق، وفي قراءة بالتحقيق<sup>(٥)</sup>؛ أي: لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَكِنَّ أَفْطَالِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بَيَّاتٍ﴾ القرآن ﴿يَحْجِدُونَ﴾ يكذبون.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾ رُمِّلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿فَصَبَرُوا﴾ عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا ﴿إِهْلَاكَ قَوْمِهِمْ﴾ فاصبر حتى يأتيك النصر لإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مواعيده<sup>(٦)</sup> ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأَنْسَارِ﴾ ما يسكن به قلبك.

بَلِّغْ لَهُمَ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلِ وَوَرُدُّوا الْعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَأَنَّهُمْ لَكُذُوبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ ذُقُوا وَعَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّ وَرَبِّي قَالَ ذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا أَيْحَسِرْتُنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرُودُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ أَنَّهُ يَحْجِدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأَنْسَارِ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِنَايَةٍ فَتَسْلَمَنَّهُمْ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ أَوْ مَعَهُمْ غَيْرَ الْهَدْيِ أَوْ لَمْ يَأْتِ الْهَدْيَ فَمَا يَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام؛ لحرصك عليهم ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سرياً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِنَايَةٍ﴾ مما اقترحوا فافعل؛ المعنى: أنك لا تستطيع ذلك؛ فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ ولكن لم يشأ ذلك؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك.

(٥) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم؛ قال ابن هشام في كتابه «معني اللبيب عن كتب الأعاريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التقليل، وهو ضريان: تقليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب»، وقد يجرد البخل»، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ تَعْلَمُ مَا أَشَدُّ عَلَيْهِ﴾ أي: ما أتم عليه هو أقل معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة للتحقيق؛ اهـ. وقد أخذ الجلالان؛ الخليلي والسيوطي بقول هذا البعض؛ إنها للتحقيق لا لتقليل في هذه المواضع على خلاف القاعدة.

(١) أي: الإبطالي؛ والمعنى: ليس الأمر كما قالوا: من أنهم لو رُدُّوا لآمَنُوا.

(٢) لابن عامر.

(٣) بالياء، قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لنافع والكسائي.

(٥) المراد بكلمات الله هنا ما كتبه بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، ووعده إياهم بذلك. ومن لوازم ذلك إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف.

بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> ﴿أَيَّةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلائاً عليهم؛ لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

[٣٨] ﴿وَمَا وَمَ﴾ زائدة ﴿وَدَاخِلَ﴾ قمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿يَجْتَابِعُوهُ إِلَّا أُمَمٌ أَسْأَلُكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَطَرْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجهنم من القرآن، ثم يقول لهم: كونوا تراثاً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿سُوءٌ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ﴾ إضلاله ﴿يُضِلَّهُ وَمَنْ يَسْأَلْهُ﴾ هدايته ﴿يَهْدِهِ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين الإسلام.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿آرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَيْتُكُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ ﴿وَنَسُونَ﴾ تتركون ﴿مَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ زَايِدَةٍ﴾ زائدة ﴿فَبَلَكَ﴾ رسلاً فكذبوههم ﴿فَأَخَذْتَهُمُ بِالْأَسْأَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْبَأْسُ﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المفتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تزل للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وُعظروا وَخُوفُوا ﴿يَدِي﴾ من البأساء والضراء؛ فلم يعظوا ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ أَبَوَّكَ كَلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطير ﴿أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بغتة فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرًّا إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمٍ يَطِيرُ يَجْتَابِعُ إِلَّا أُمَّةٌ آمَنَّا لَكُم مَّا قَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُهْدِهِ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَيْتُكُمْ السَّاعَةَ أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن عفيّة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ مَا يَحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ فَتَحْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ». مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(١) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالتشديد قراءة ابن عامر.





اللَّهُ يَأْتِلَهُمُ بِاللَّيْلِ إِنَّهُمْ لَهُ؛ فَيَهْدِيهِمْ؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ هَلْ يَأْتِيهِمْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا الْفَتْحُ﴾ فبطلت، ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحِيمُ﴾ أي: الشأن، وفي قراءة: بالفتح (١)، بدل من ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَوْئًا يُجْزَئْهُ سَوَاءٌ﴾ من حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَوَاتَهُ﴾ أي: الله ﴿عَفْوُهُ﴾ له ﴿رَجِيمٌ﴾ به، وفي قراءة: بالفتح (٢)، أي: فالغفرة له.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿فَمُضِلٌّ﴾ بين ﴿الْأَيْتِ﴾ القرآن؛ ليظهر الحق، فيفعل به ﴿وَلَسْتَ تَتَّبِعُهُ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ فتجتنب، وفي قراءة: بالتحانية (٣)، وفي أخرى: بالفوقانية ونصب ﴿سَبِيلُ﴾ (٤)، خطاب للنبي ﷺ.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَهُمْ أَهْوَاءُكُمْ﴾ في عبادتها ﴿فَدَّ صَلَكْتُ إِذَا﴾ إن اتبعنها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي﴾ قد ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بري؛ حيث أشركتم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا بِمَا يَقُضِي﴾ القضاء ﴿الْحَقُّ﴾ وهو سبب النصليين ﴿الْحَاكِمِينَ﴾ وفي قراءة: ﴿يَقُضُ﴾ (٥)، أي: يقول.

[٥٨] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ﴾ لقضى الأمر بيني وبينكم ﴿بِأَنْ أَعْجِهَ لَكُمْ﴾ واستريح، ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم (٦).

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى - ﴿مَقَاتِلُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية (٧)، كما رواه البخاري (٨) ﴿وَيَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنْ عَمِلَ فِيهَا سَبِيلًا﴾ ﴿وَالْبَحْرُ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ زَايِدَةٍ﴾ ﴿وَرَقَةٍ﴾ ﴿وَلَا يَسْلُمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ عطف على: ﴿وَرَقَةٍ﴾ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدل اشتمالي (٩) من الاستثناء قبله.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَدِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَهُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَكْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ لَفُضِّي أَلَمْ يَرْسُيْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ رَقَةٍ إِلَّا لَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ اجتنبنا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير؛ بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: الشرفاء والأغنياء؛ منكبين: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أصدر هؤلاء لا يجتزون علينا. قال: وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْغَيْبِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج ابن ماجه عن خباب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبي ﷺ حرقوم. فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فستضي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال: «نعم». فسألو: فما كتب لسا عليك كتابًا. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليا ليكتب، وحين فرغوا في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْغَيْبِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، ثم قال: فدنا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. ابن ماجه - كتاب الزهد (٢٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٢٩). وستأتي بقبته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: مر اللأثم بن قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَنْزِلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُنُوزَ﴾. قال: إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين.

(٢) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) حمزة والكسائي وشعبة. (٤) نافع. (٥) والقراءة المغسرة لحمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ فَوَقُّوا عِبَادَتَهُ وَرَبِّسْ عَلَىٰكُمْ حَقْلَةً حَقْلَةً رَسُولٌ وَإِلِیَّ جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبِينِ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَبِّئُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَابْحَرِ تَدْعُوهُ وَتَضَرَّعًا وَخَفِيَةً لِّئِنْ أَخَذْنَا بِهِ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ مَتَىٰ يَأْتِي السَّاعَةُ وَمَنْ يَنْبَغِيكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ عَلِمْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّهَا سَأَاءٌ مَا جَاءَكُمْ وَمَنْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْأَنْفُسِ فَسَمَاءٌ لَا يَلْمُهَا اللَّهُ فَذَلِكُنَّ الْفَاجِرَاتُ ﴿٦٤﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ فَسَمَاءٌ لَا يَلْمُهَا اللَّهُ فَذَلِكُنَّ الْفَاجِرَاتُ ﴿٦٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ فَسَمَاءٌ لَا يَلْمُهَا اللَّهُ فَذَلِكُنَّ الْفَاجِرَاتُ ﴿٦٦﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ فَسَمَاءٌ لَا يَلْمُهَا اللَّهُ فَذَلِكُنَّ الْفَاجِرَاتُ ﴿٦٧﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ فَسَمَاءٌ لَا يَلْمُهَا اللَّهُ فَذَلِكُنَّ الْفَاجِرَاتُ ﴿٦٨﴾

[٦٠] ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: النهار؛ يرزق أرواحكم ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو: أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ﴾ مستعلا<sup>(١)</sup> ﴿فَوَقُّوا عِبَادَتَهُ وَرَبِّسْ عَلَىٰكُمْ حَقْلَةً﴾ ملائكة؛ تحصى أعمالكم ﴿حَقْلٌ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة: ﴿تَوَفَّاهُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي: الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾ مالكمهم ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت العدل؛ ليجازيهم ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبِينِ﴾ بحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهارٍ من أيام الدنيا؛ لخديث<sup>(٣)</sup> بذلك.

[٦٣] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُنَبِّئُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ وأخبارهم أهوالها في أسفاركم حين ﴿تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا﴾ علانية ﴿وَخَفِيَةً﴾ سرا؛ تقولون: ﴿لَنْ﴾ لا قسم ﴿أَيُّمَنَّا﴾ وفي قراءة: ﴿أَيُّمَنَّا﴾<sup>(٤)</sup> أي: الله ﴿وَمَنْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْأَنْفُسِ فَسَمَاءٌ لَا يَلْمُهَا اللَّهُ فَذَلِكُنَّ الْفَاجِرَاتُ﴾ المومنين.

[٦٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿بَيْنَهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ عَم سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُفَرِّقُونَ﴾ به.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ من السماء؛ كالجارية والصيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شِيْعًا﴾ فرقًا مختلفة الأهواء ﴿وَيُؤَيِّدُ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَابٍ﴾ بالقتال، قال البخاري<sup>(٦)</sup> ما نزلت: ﴿هَذَا أَهْوَىٰ وَأَيُّسَرُ﴾، ولما نزل ما قبله: ﴿أَعُوذُ بِوَجْهِكَ﴾ [رواه البخاري]<sup>(٧)</sup>، وروى مسلم حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يَجْعَلُ بَأْسَ أُمَّتِي يَنْبَغِيهِمْ؛ فَتَنْقِيهِهَا»<sup>(٨)</sup>، وفي حديث: «لَا نَزَلَتْ قَال: أَمَّا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ»<sup>(٩)</sup> ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ تَصْرَفُ﴾ نبين لهم ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَنْتُمْ عَلَىٰكُمْ بِكُلِّ﴾ فأجازيكم، إنما أنا مُثَدِّرٌ، وأمركم إلى الله.. وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ﴾ خبر ﴿تُسْتَفَرَّقُ﴾ وقت يقع فيه ويستفرق، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) لحزمة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمه الله، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير اية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(٤) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعا.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا.

(٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا [إندر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٩٢).

(٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَزَّوهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ بُسِّلَ نَفْسُ يَمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أَوَّلَتِكَ الَّذِينَ أَتَيْنَا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرٌ نَا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخافضين ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ شيء. إذا جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾

عليهم ﴿ذِكْرِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. [٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَعَزَّوهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿وَذَكَرَ بِهِمْ﴾ عظم ﴿بِهِمْ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسِلَ نَفْسُ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿يَمَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تقدي كل فداء ﴿لَأُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ ما تقدي به ﴿أَوَّلَتِكَ﴾ الذين أتينا بما كسبوا لهم شرب من حميم. ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (٢) ﴿لَهُ﴾ أصحاب ﴿رُفَقَةٌ﴾ يدعونهم إلى الهدى؛ أي: ليهدهو الطريق؛ يقولون له: ﴿انْتَظِرْ﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٣): للإنكار، وجملة التشبيه: حال من ضمير ﴿تُرَدُّكُمْ﴾ ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ﴾ الهدى وما عداه ضلال ﴿وَأَمْرٌ نَا لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: بأن نسلم ﴿لِرَبِّ الْغُلَامِينَ﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقًّا. ﴿وَذَكَرَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُنْ﴾ هو: يوم القيامة؛ يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصديق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن؛ النفخة الثانية من إسرائيل، لا مُلْك فيه لغيره ﴿لَئِنْ أَسْأَلْتُكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شهود ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿انْتَظِرْ﴾.

(٤) غافر: ١٦.

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّرَ﴾ هو: لقبه واسمه: تارخ<sup>(١)</sup> ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَاكَ وَتَوَلَّاهُ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ عَنَ الْحَقِّ﴾ مُبِينٌ ﴿يَتَّبِعُ﴾.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيته ﴿وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَا أَظْلَمَ﴾ عَلَيْهِ أَيْلَ رَا كَوْنًا ﴿قِيلَ﴾ هو الزُّهْرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نجَّامين -: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا إِلَهًا﴾ أن اتَّخِذَهُمْ أربابًا؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال<sup>(٢)</sup>؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي يَبْتَغِي عَلَى الْهَدْيِ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومه؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع<sup>(٣)</sup> فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَذَا ذَكَرَهُ؛ لند كبير خبره<sup>(٤)</sup> ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَتْلُو فِي بُرَىٰ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام المحدثَّة المحتاجة إلى مُخَيِّدٍ ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَسَخَّطُ قَوْمَهُ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ اتَّخَذْتَنِي﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين<sup>(٥)</sup>. وهي: نون الرفع عند النجاة، ونون الوقاية عند القراء - أئجدالونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿أَللَّهُ وَقَدْ هَدَّنِي﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَتَّأَفُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ به. من الأصنام؛ أن تصيبني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصيبني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّرَ﴾ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِيَّارَأَيْتَ إِنْ دَعَاكَ وَتَوَلَّاهُ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ عَنَ الْحَقِّ﴾ مُبِينٌ ﴿يَتَّبِعُ﴾. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيته ﴿وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾. ﴿فَلَمَّا جَزَا أَظْلَمَ﴾ عَلَيْهِ أَيْلَ رَا كَوْنًا ﴿قِيلَ﴾ هو الزُّهْرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نجَّامين -: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا إِلَهًا﴾ أن اتَّخِذَهُمْ أربابًا؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال<sup>(٢)</sup>؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك. ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي يَبْتَغِي عَلَى الْهَدْيِ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومه؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع<sup>(٣)</sup> فيهم ذلك. ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَذَا ذَكَرَهُ؛ لند كبير خبره<sup>(٤)</sup> ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَتْلُو فِي بُرَىٰ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام المحدثَّة المحتاجة إلى مُخَيِّدٍ .. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به. ﴿وَسَخَّطُ قَوْمَهُ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ اتَّخَذْتَنِي﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين<sup>(٥)</sup>. وهي: نون الرفع عند النجاة، ونون الوقاية عند القراء - أئجدالونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿أَللَّهُ وَقَدْ هَدَّنِي﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَتَّأَفُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ به. من الأصنام؛ أن تصيبني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصيبني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

[٨١] ﴿رَكَعَتْ أَنَّكَ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله - وهي لا تضر ولا تنفع - ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَتُنْكِرُ أَشْرَكَتُمْ بِاللهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً - وهو القادر على كل شيء - ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به؟ أي: وهو: نحن؛ فاتبعوه.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن أَرَزَ اشْتُهُ، وتارخ لَقِيَهُ.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من الجهي والزلزال الإلهي وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضا فيكون المعنى صحيحا، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام اسلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويؤد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والخبز: ﴿عَاتِبَتْهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدها لها؛ لحجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرَفَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾ بالإضافة والتثنية<sup>(٢)</sup>؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلَيْهِ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿كَسَلًا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَذَكَرْنَا وَيْحَ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ فيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَ﴾ ابن أخي<sup>(٣)</sup> هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَأَسْمِعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ وَطُوطًا﴾ ابن هارون؛ أخي إبراهيم ﴿كَسَلًا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْمُعْلَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كُلًّا» أو «نُوحًا»، و«مِنْ»: للتبعية؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كفر ﴿وَأَجْنِبْتَهُمْ﴾ اختارناهم ﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِوَيْهِ مَن يَشَاءُ وَمِنْ عِبَادِهِ وَكَوْا أَشْرُكًا﴾ فرضا ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَاللَّكَّاءَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنَّ يَكْفُرُ بِهَا﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرسدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هُم ﴿اللَّهُ فَبَهْدَتُهُمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْنَدَهُ﴾ بهاء السكت وقفاً وصلوا، وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: بحذفها وصلوا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَطُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٣﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبَهْدَتُهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شريك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين<sup>(١)</sup> - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أيما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «يَسِّرْ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّكُّ» أَلَمْ تَشْفَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لِأَبْنَيْهِ: «يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِأَبِي إِسْحَاقَ لَقْمَرٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فإلياس من ذرية هارون.

(٤) حمزة والكسائي.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيَسْتَفْتُونَ بِهِ قُلْ كَثِيرٌ مِّنْ عِلْمِهِمْ مَّا لَمْ يَأْتُوا اللَّهَ بِهِ قُلْ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحًى إِلَىَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا زَعَمْتُمْ تَزْعُمُونَ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ<sup>(١)</sup> وَضَلَّ عَنْكُمْ<sup>(٢)</sup> أَي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب<sup>(٣)</sup>؛ ظرف<sup>(٤)</sup> أَي: وَضَلَّكُمْ يَتَضَعُكُمْ وَضَلَّ<sup>(٥)</sup> ذهب عَنْكُمْ<sup>(٦)</sup> مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ<sup>(٧)</sup> فِي الدُّنْيَا، مِنْ شَفَاعَتِهَا.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أَي: اليهود ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أَي: ما عظموه حق عظمته: أَوْ مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ إِذْ قَالُوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ - وقد خاصموه في القرآن: - ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ لَهُمْ: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيَسْتَفْتُونَ بِهِ﴾﴾ الباء والتاء<sup>(١)</sup> في المواضع الثلاثة<sup>(٢)</sup> ﴿قُرْآنًا﴾ أَي: يكتبونه فِي دَفَائِرٍ مُّقْطَعَةٍ ﴿يَسْتَفْتُونَ﴾ أَي: ما يجيبون إبداءه منها ﴿وَيَسْتَفْتُونَ كَثِيرًا﴾ مما فيها؛ كنت محمد ﷺ ﴿وَعِلْمُهُمْ﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَا لَمْ يَأْتُوا اللَّهَ بِهِ قُلْ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحًى إِلَىَّ﴾ من التوراة؛ بيان ما التمس عليكم، واختلفتم فيه ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله. إن لم يقولوه - لا جواب غيره ﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ باطلهم ﴿يَتَزْعُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ﴾ أَنْزَلْتُهُ مَبَارَكًا مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿قَبْلَهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وَلِنُذِرَ<sup>(١)</sup> بَالَاءَ الْبَاءِ<sup>(٢)</sup>، عطف على معنى ما قبله؛ أَي: أنزلناه للبركة، والتصديق، ولننذر به ﴿أُمُّ الْفُرَيْنِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أَي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها<sup>(٣)</sup>.

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أَي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة، ولم يبيِّن<sup>(١)</sup> أَوْ قَالَ أُوْحًى إِلَىَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ نزلت في مُسَيِّلَةٍ<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وهم: المستهزون، قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يَا مُحَمَّد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي غَمَرَاتِ سَكَرَاتٍ﴾ ﴿الْوَرَى وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقبضها ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كَذِبًا ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب ﴿لَوْ﴾: رَأَيْتَ أَمْرًا فُظِيحًا.

[٩٤] ﴿وَكُلٌّ﴾ يقال لهم - إِذَا بَعُثُوا -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادًى﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أَي: حفاة عراة غرولًا ﴿وَرَكْنَكُمْ﴾ مَا خَوَّلْتُمْكُمْ، أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَكُلٌّ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا تَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ أَي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَدْ

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يجفون».

(٣) أخرج العبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٤٥/٢).

(٤) بالياء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦/٢)]. وقال صاحب

الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (٤٨/٢).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل ﴿تَقَطَّعَ﴾، و«البي» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد، من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شُفَعَاءَكُمُ﴾ و﴿شُرَكَاءَكُمُ﴾؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصالًا، و﴿يَتَضَعُكُمْ﴾ ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

﴿الْبَلِّ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة؛ وهو: حال من مقدَّر؛ أي: يجريان بحسبان - كما في آية الرحمن<sup>(١)</sup> - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلفه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ﴾ في الأسفار ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَنَسَنَّا<sup>(٢)</sup>﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسَوِّدٌ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة: بفتح الفاف؛ أي: مكان قرار لكم ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما يقال لهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ النَّبَاتِ﴾ فيه التفات عن العبيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿وَبَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات، شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى: أخضر ﴿فَنُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّزَكَّيًّا﴾ يركب بعضه بعضًا، كسنان الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبز، ويدل منه: ﴿مِنَ طَلْحِهَا﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿فَتَرَوْنَ﴾ عراجين ﴿وَدَابَّةً﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَوُجِدْنَا مِنْهَا﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّتَ﴾ بساتين ﴿وَمِنَ الْأَنْبَاقِ وَالزُّبُرِ وَالرِّمَاقِ مَشْيَهَا﴾ وزفؤها، حال ﴿وَعَرَبَ مَشْيَهَا﴾ ثمرهما ﴿أَنْظُرُوا﴾ يا مخاطبون<sup>(٤)</sup> نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما<sup>(٥)</sup>؛ وهو: جمع «ثمرة» كـ «شجرة» و«شجر»، و«حشيشة» و«حشيش» ﴿إِذَا أَمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَوُجِدَ﴾ إلى ﴿يَبْعُهُ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصًا بالذكر؛ لأنهم المتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِيهِ﴾ مفعول ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول، ويدل منه: ﴿الْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَوُجِدَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَحَرَّفُوا﴾ بالتخفيف، والتشديد<sup>(٦)</sup>؛ أي: اختلفوا ﴿لَمْ يَبَيِّنْ وَبَيَّنَّ يَبْعَرُ عَلَيْهِ﴾ حيث قالوا: غَزَّزَ ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدا.

[١٠١] هو ﴿يَبْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعها من غير مثال سبق ﴿أَنْتَ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَمْ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَحْبَةً﴾ زوجة ﴿وَمَخْلَقٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يُخْلَقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْخَيْبَ مِنَ الْأَمْتِ وَمُخْرِجُ الْأَمْتِ مِنَ الْخَيْبِ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَالِقُ الْخَيْبِ﴾ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آيَل سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَسْجَرٌ وَمُسَوِّدٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّزَكَّيًّا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزُّبُرِ وَالرِّمَاقِ مَشْيَهَا وَعَرَبَ مُتَشَبِّهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَحَرَّفُوا الْبَيْنَ وَبَنَى بَعْضَهُمْ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ﴾ شاقٌّ ﴿الْخَيْبِ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ الْخَيْبَ مِنَ الْأَمْتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ الْأَمْتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْخَيْبِ ذَلِكُمُ﴾ الفالق الخرج ﴿اللَّهُ فَالِقُ الْخَيْبِ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟.

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌّ عمود الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ ﴿سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب: عطفًا على محل

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم حمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.



[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وَحُذِّرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ حَفِظٌ.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (١) أي: لا تراه، وهذا مخصص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافِرُ﴾ (٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةً (٣) وحدث الشيخين «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَتَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» (٤) وقيل: المراد: لا تحيط به «وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» أي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً «وَهُوَ اللَّطِيفُ» بأوليائه «لَتُخَيِّرَ» بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: «قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ» حُجَجٌ «مِنْ رَبِّكُمْ» فَمَنْ أَبْصَرَ هَا قَامَن «فَلَتَفْسِدَ» أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له «وَمَنْ عَمِيَ» عنها؛ فضل «فَعَلَيْهَا» وبال إضلاله «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر «نُصْرَفُ» نين «الْآيَاتِ» ليعتبروا «وَيَقُولُوا» أي: الكفار في عاقبة الأمر: «إِذَا زُشْتُ» (١) ذكارت أهل الكتاب، وفي قراءة: «ذُرْسَتْ» أي: كتب الماضي؛ وجئت بهذا منها «وَلَتُنَبِّئَنَّهُمْ لِقَوْمٍ يَكُونُونَ».

[١٠٦] ﴿أَتُنَبِّئُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً؛ فتجازيهم بأعمالهم «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَائِلٍ» فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٢) قبل الأمر بالقتال..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام «فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا» اعتداء وظلماً «يَغْيَرُ عَلَيْهِ» أي: جهلاً منهم بالله «كَذَلِكَ» كما زينا لهؤلاء ما هم عليه «رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ» من الخير والشر؛ فأثروهم «ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ» في الآخرة «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة «بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أي: غاية اجتهدهم فيها «لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ» مما اقترحوا «لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا» قل لهم: «إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك «إِنَّمَا» (٣) إذا جاءت لا يُؤْمِنُونَ» لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالناء (٤) خطاباً للكفار، وفي أخرى:

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِتُبَيِّنَ اللَّهُ لَاقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ أَسْبَغَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَائِلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا وَيَغْيَرُ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

يفتح (أن)؛ بمعنى: لعل، أو معمولاً لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه «وَأَبْصَرَهُمْ» عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون «كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ» أي: بما أنزل من الآيات «أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ» نتركهم «فِي طُغْيَانِهِمْ» ضلالهم «يَعْمَهُونَ» يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفْتُ شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهم فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾... ولكن رأى جبريل الطيّب في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة.

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضاً «ذُرْسَتْ» بمعنى: انحطت.

(٥) أي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإخبار على الإيمان.

(٦) وهي قرلة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلافه.

(٧) حمزة وابن عمر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ «هَان» [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «ان» فينعم معها الباء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيْطَانٍ﴾ مرّة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَعَلُوهُ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَذَرْنَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[١١٣] ﴿وَلْيَصْغُرْ عَلَيْكَ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفَعِدَّةٌ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكسبوا ﴿مِمَّا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب؛ فيعاقبوا عليه. ونزل - لما طلبوا من النبي ﷺ أَنْ يجعل بينه وبينهم حكماً -: [١١٤] قل: ﴿أَفَتَعْبَأُكُمْ اللَّهُ بِآيَاتِي﴾ <sup>(١)</sup> أطلب ﴿حُكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبَيَّنًّا فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَاهُ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَكْمُلُونَ أَمْرَهُمْ مُنْتَزِلِينَ﴾ بالصخيف والتشديد <sup>(٢)</sup> ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فلا تكون من آيَاتِنَاهُ الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] <sup>(٣)</sup> رَبِّكَ ﴿بِالْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِيدِ﴾ صدقاً وعدلاً ﴿تَمِيزُ﴾ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ. بنقص أو خليف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿أَعْلَمُ﴾ <sup>(٤)</sup> بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلّ منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ أي: ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَعَلُوهُ فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ وليصغر عليك ﴿وَلْيَصْغُرْ عَلَيْكَ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ أفغبر الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيتهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكون من الممترين ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وهو أعلم بالْمُهْتَدِينَ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ كما اقترحوا وحشرنا جمعنا عليهم كل شيء قبلًا بضمين؛ جمع ﴿قَبِيلٍ﴾ أي: فوجاً فوجاً، وبكسر القاف وفتح الباء <sup>(١)</sup>؛ أي: معانية؛ فشهدوا بصدقك ﴿مِمَّا كَانُوا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(١) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم فندر - أي سقط - ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقاً، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر، فبرق برقاً فراها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبيشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالخفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين<sup>(١)</sup> ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَةُ﴾ ﴿إِلَّا مَا أَضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضاً حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ﴾ بفتح الياء وضمها<sup>(٣)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما نهوا أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغَيِّرُ عَلَيْهِ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَهَرَ الْآثَرُ وَبَاطِنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْآثَرُ﴾ قيل: الرنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ﴾ سَيُخْرَجُونَ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْتُلُونَ﴾ يقتلون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسَمَّ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه<sup>(٥)</sup> ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ﴾ يوسوس ﴿إِلَى أَوْلِيَاءِهِ﴾ الكفار ﴿لِيُجْدِلَكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[١٢٢] وَنَزَلَ في أبي جهل وغيره: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ في النَّاسِ يتبصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ «مثل»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو: الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رُئِينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فُشَاق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿لِتُكْرَهُ﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا يَأْمُرُ بِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ﴾ ﴿حَتَّىٰ نُنَاقِشَهُ﴾ وَنُشَلِّ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ ﷺ من الرسالة والوحي؛ إني؛ لأننا أكثر مالا، وأكبر سيئاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ والجمع والافراد<sup>(٧)</sup>، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

وَمَا لَكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَعِّيرْ عِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ سَيُخْرَجُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلَكُمْ وَأَنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ رُبِّ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ لِيَمْلِكُوا فِيهَا وَمَا يَمْلِكُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذُلٌّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما كَانُوا يَمْكُرُونَ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١): أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أتأكل ما تقتل، ولا تأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقه في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ فِتْنًا أُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أَي: يسلطه ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٦٦] وَهَكَذَا الذي أنْت عليه يا محمد ﴿جِرْطُ﴾ طريق ﴿زَيْكُ﴾ مُسْتَقِيمًا لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿الْأَنْبِيَاءُ يَقُولُونَ بِذُرُورٍ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتعظون، وَخُصُّوا بالذكر، لأنهم المتنفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾.

[١٢٨] ﴿وَلَا تَذَكَّرْ﴾ يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ ﴿بِالنُّونِ وَإِيَّاهِ﴾ أَي: اللَّهُ الْخَلِيقُ ﴿جَمِيعًا﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿يَمُشِّرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ ﴿وَلَاغُواكُمْ﴾ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ ﴿وَمِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَحَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انْتَفَعَ الْإِنْسُ بِتَزْيِينِ الْجِنِّ لَهُمُ الشَّهَوَاتِ، وَالْجِنُّ بِطَاعَةِ الْإِنْسِ لَهُمْ. ﴿وَلَمَّا كُنَّا لَدَى اللَّهِ ثَلَّمَتْ لَنَا﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا تَحَسُّرُ مِنْهُمْ ﴿قَالَ﴾ - تَعَالَى - لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَكَةِ (١): ﴿الْتَأَرَّ مُؤْمِنُكُمْ﴾ مَاوَاكُمْ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْأَرْوَاقِ الَّتِي يَخْرُجُونَ فِيهَا لِشَرْبِ الْحَمِيمِ (٢)؛ فَإِنَّه خَارِجُهَا؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا مَرَّحَهُمْ لِكُلِّ جُحِيمٍ﴾ (٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ فِيمَنْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فَوَاءً بِمَعْنَى: «مِنْ» ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنسان والجن بعضهم ببعض ﴿وَلَوْ﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَعْمَسِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: أي: من جموعكم; أي: بعضكم الصادق بالإِنس، أو رسل الجن تُدْرِكُهُم الذين سمعون كلام الرسل فينبغون فهمهم ﴿بِقُصُورٍ عَلَيْكُمْ﴾: أي: وبتدريجتكم ﴿فَقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾: أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَعَرَّضَهُمُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾: فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِم أَنَّهُمْ كَاوُوا﴾: كفروا.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ  
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا  
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٩﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا أَفَدَفَعْنَا  
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ ﴿١٨٠﴾ \* لَهُمْ دَارُ الْآلِئِ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ  
جَمِيعًا لِمَعَشَرَ الْإِنِّ قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْ الْإِنِّ وَقَالَ  
أُولَئَا وَهُمْ مَنْ الْإِنِّ رَبَّنَا أَسْمَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا  
أَجَلَ الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثَلُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا  
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي  
بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨٣﴾  
لِمَعَشَرَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ  
بِقُصُورٍ عَلَيْكُمْ ءَاتَيْنَا وَيَنْذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا  
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٨٤﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يقذف في قلبه نورًا؛ فينفتح له ويقبله - كما ورد في حديث<sup>(١)</sup> - ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ عن قبوله ﴿خَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفة، وفتحها<sup>(٣)</sup>: مصدر؛ وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَقُ﴾ وفي قراءة: ﴿يَضَاعِقُ﴾<sup>(٤)</sup> وفيها إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها<sup>(٥)</sup> ﴿فِي السَّلَٰةِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ أَلْسِنَةً﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية شغل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر، فقال: **هُوَ نُورٌ يُقَدِّمُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، فَتَشْرَحُ لَهُ وَتُفْشِحُ لَهُ...** الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الله بن المسور وهو منروك قال الدارقطني.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(۵) لابن کثیر۔

(٦) بالنون قراءة السبعة عدد حفص.

(٧) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٨) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين والكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورُدَّ بأن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال **﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُوا عَذَابَ اللَّهِ الْكَبِيرِ﴾** للمقلّاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد النقل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم **﴿يُؤَكِّدُ إِلَى اللَّهِ﴾** وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قوما سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فالله أعلم.

(٩) الصافات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ﴾ الْفَرَى يُطْلَوُ مِنْهَا ﴿أَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُؤْمَلْ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ بَيْنَ لَهُمْ؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالبلاء والتاء<sup>(١)</sup>.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ، يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخِفُّ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَنْتَهِ﴾ من الخلق ﴿كَأَنَّكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَأْكُوتٍ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبفكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَكَّرُ﴾ اتَّعَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ عسى حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَكُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ﴾ بالفتح والضم<sup>(٢)</sup> ﴿وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرْكَائِهِمْ قَلِيلٌ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لجهته<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرْكَائِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> ساء ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَأَدِ ﴿شُرْكَائِهِمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿ذُنُوبَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته<sup>(٥)</sup>، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر<sup>(٦)</sup> - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿وَلِيُرْذَوْهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيُكَلِّسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ تَرَى كُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى يُطْلَوُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخِفُّ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَنْتَهِ كَأَنَّكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَأْكُوتٍ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلْ يَتَوَكَّرُ اتَّعَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا مِنْ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا فَكَانُوا إِذَا سَقَطَ فِي نَصِيبِ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِهَا تَقَطَّوْهُ، أَوْ فِي نَصِيبِهَا شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِهَا تَرَكُوهُ؛ وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا. كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿كَانَ لِشُرْكَائِهِمْ قَلِيلٌ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَيْ: لَجِهَتِهِ ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرْكَائِهِمْ﴾ سَاءَ ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكْمُهُمْ هَذَا. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا زَيْنَ لَهُمْ مَا ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بِالْوَأَدِ ﴿شُرْكَائِهِمْ﴾ مِنَ الْجِنِّ؛ بِالرَّفْعِ: فَاعِلُ ﴿ذُنُوبَ﴾، وَفِي قِرَاءَةٍ: بَيْنَائِهِ لِلْمَفْعُولِ وَرَفْعُ «قَتَلَ»، وَنَصْبُ «الْأَوْلَادِ» بِهِ، وَجَرُّ «شُرْكَائِهِمْ» بِإِضَافَتِهِ<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالْمَفْعُولِ - وَلَا يَضُرُّ<sup>(٦)</sup> - وَإِضَافَةُ الْقَتْلِ إِلَى الشُّرَكَاءِ لِأَمْرِهِمْ بِهِ ﴿وَلِيُرْذَوْهُمْ﴾ يَهْلِكُوهُمْ ﴿وَلِيُكَلِّسُوا﴾ يَخْلُطُوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

(١) بالتاء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم ويفتقونها في مصالحها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

﴿وَأَنعَمْتَ حُرْمَتَ طُهُورِهَا﴾ فلا تركب؛ كالسوايب والحوامي ﴿وَأَنعَمْتَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السوايب والبحائر ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لِنُكُونُوا وَنَحْمَدُ عَلَى أَرْوَاجِنَا﴾ أي: النساء ﴿وَإِنْ تَكُنْ فِتْنَةً﴾ بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> مع تأنيث الفعل وتذكيره<sup>(٢)</sup> ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup> ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْبَالُودُ﴾ سَفَهًا جهلاً ﴿يَعْتَرِ عَلَيْهِمْ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ عما ذكر ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّتَيْ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَتَيْ﴾ مبسوطات على الأرض؛ كالبطيخ ﴿وَعَبِيرَ مَعْرُوشَتَيْ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَأَنشَأَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُمْ وَخِلْفُهُ فِي الْهَيْئَةِ وَالطَّعْمِ وَالرَّيْبُوتَ وَالرَّمَامَاتِ مُتَشَبِّهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَبِيرَ مُتَشَبِّهًا﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿رَمَاتُوا حَقَّهُ﴾ زَكَاتَهُ ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر<sup>(٥)</sup>؛ من الغشْرِ<sup>(٦)</sup> أو بضمه<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَا تُشْرَفُوا﴾ بإعطاء كنه<sup>(٨)</sup>؛ فلا يبقى لبعاليكم شيء ﴿إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حُدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَأَنشَأَ﴾ من الأنعام حَمُولَةً؛ صالحة للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَمَفْرَسًا﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُئِلَتْ فَرَسًا؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَنُكَمَّ عَذُوَّ شَيْئٍ﴾ يَبْسُ العداوة.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ جَبْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعِيهِمْ وَأَنعَمَ حُرْمَتَ طُهُورِهَا وَأَنعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفَرَأَيْتَ عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّتٍ مَعْرُوشَتٍ وَعَبِيرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَامَاتِ مُتَشَبِّهًا وَعَبِيرَ مُتَشَبِّهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَوَرَمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ جَبْرٌ حَرَامٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خَدَمَةِ الأوثان وغيرهم ﴿بَرَعِيهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إذا سُرَّك أن تعلم جهل العرب، فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجهل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.

(٣) بالتشديد لابن كثير وابن عامر.

(٤) أي: جاء «حصادة». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.

(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.

(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.

(٧) قوله: «إعطاء كنه فلا يبقى لبعاليكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

[١٤٣] ﴿تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ﴾ أضاف؛ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ زوجين ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكر (١) ﴿أَنْثَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنائها أخرى، ونسب ذلك إلى الله : ﴿لَا تَذَكَّرْنَ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَيُّ الْأُنثَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿تَبْتَغِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتغال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَيْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْنَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ فَأكَلَهُ﴾ عَيْرٌ بَاسِغٌ وَلَا عَادُ (٢) ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَجِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذُكِرَ بالشَّيْءِ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمَاتٌ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا﴾ الثروب (٣)، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَائِصَ﴾ الأمعاء، جمع حوايا، أو حواية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُلُوفٍ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحل لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿حَرَمْتُهُمْ﴾ به ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق في سورة النساء (٤) - ﴿رَبَّنَا اصْصِلُوا﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ مِنَ الضَّأْنِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ تَبْتَغِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرَ بَاسِغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَجِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَاتٌ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِصَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُلُوفٍ بَعْظُهُمْ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَرَبَّنَا اصْصِلُوا

(١) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بابتاء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كَقَوْلِهِ: فقراءة الرفع مع النوقانية وليس مع النوقانية كما ذكر المصنف، وهي لابن عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿عَيْرٌ بَاسِغٌ وَلَا عَادُ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوه تعالى: ﴿فِيمَا تَفْضِيهِمْ يَشْفَعُ لَهُمْ وَكَفَرِهِمْ يَكْفِيكَ اللَّهُ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿يُظِلُّونَ مِنَ الْغَيْثِ عَادُوا حَرَمَاتٍ عَلَيْهِمْ طَبَقَتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

رَحِمَهُ وَسِعَتْهُ ﴿١٤٨﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عَذَابُهُ إِذَا جَاءَ ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّى دَخَلُوا بَاسْتًا﴾ عذابنا ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فَتَجَرَّبُوهُ لَنَّا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَكْفُرُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

[١٤٩] ﴿قُلْ﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الثامة ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلْمْ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الذي حرّمه ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون.

[١٥١] ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَن﴾ ن، مفسرة ﴿لَا تَحْزَنُوا بِهِ﴾ شَيْئًا وَ﴿أَحْسِنُوا﴾ بِاللَّذِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْوَادِّ ﴿مَنْ﴾ أَجَلٌ ﴿إِمْلَيْتُمْ﴾ فقر تخافونه ﴿تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: علانياتها وسرها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالثَّوَدِ، وَحَدِّ الرَّذَّةِ، وَرَجْمِ الْمُحْصَنِ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَصَنَّكُمْ﴾ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ تدبرون.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٩﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَخَلُوا بَاسْتًا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَّا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥١﴾ قُلْ هَلْ هُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٢﴾ قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مَنْ إِمْلَيْتُمْ تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو

(١٤٨) فائدة: أخرج الحاكم في مستدركه (٣٤٨/٢) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ يَبْعِي عَلَى ثَلَاثٍ؟» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ حتى فرغ من الآيات. فمن وثق فأجره على الله، ومن انتقص منه شيئاً فآذركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أضر إلى الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أيضاً محمد ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦١٥/٢).





تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْتَظِرُونَ﴾ أخذ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارْزُقُوا﴾<sup>(١)</sup> أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ فِي شَيْءٍ أَيْ: فلا تعرض لهم﴾ ﴿لَمَّا أَسْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿وَمَنْ يَنْتَظِرْهُمْ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشْكُرْ أَثْمَالَهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَعَمَّ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿وَبِنَا قِيمًا﴾ مستقيما ﴿يَلَهُ إِزْهَامٌ خِفَاءٌ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ﴾ ويحييائي حياتي ﴿وَسَمَاتِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَمْ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي﴾ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْمَالِكِ﴾ كل شيء ولا تكسب كل نفس ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا تَزُرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَارِدَةً﴾ أمة ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَآءَاتِكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّكُمْ لَعُودُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيعٌ﴾ بهم.

\*\*\*

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ إِنَّمَا تَنْتَظِرُونَ لِلَّذِينَ فَرَقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ قَرِيبٌ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَأَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّكُمْ لَعُودُونَ رَجِيعٌ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالناء والباء<sup>(١)</sup> ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه<sup>(٢)</sup> ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين<sup>(٣)</sup> ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾<sup>(٤)</sup> طاعة؛ أي: لا

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾». البخاري. كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) الباء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نتبناها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به. شُعْبَانَةُ، ولا يشبه إتيانه إتيان الخلقين، ﴿لَيْسَ كَيْتِلُوهُ شَيْءٌ وَهُوَ أَلْسُونُهُمْ أَلْجِيْرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

(٥) حمزة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالتشديد، وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «فَوْزَم» كدَوْعُزْ، فَعَلٌ لِإِعْلَالٍ فَعِلِيلٌ كالتقيام.

## سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسَتَلَهُمْ﴾ عَنْ الْقَرْيَةِ ﴿الَّتِي﴾ الثمان أو الخمس آيات، مائتان وخمس أو : ست آيات، نزلت بعد (ص)] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّصَّ﴾ اللَّهُ أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَمَنْهُ﴾ أَنْ تبلغه مخافة أَنْ تكذب ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ أي: للإنذار ﴿بِهِ﴾ وَذَكَرْتُ تذكراً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿أُولَئِكَ﴾ تطيعونهم في معصيته - تعالى - ﴿فَلَا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالثناء والياء<sup>(١)</sup>: تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال، وفي قراءة: يسكونها<sup>(٢)</sup>، و﴿وَمَا﴾ زائدة، لتأكيد القلة.

[٤] ﴿وَكَمْ﴾ خبرية، مفعول ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بِأَسَافٍ﴾ عذابنا ﴿يَبُتًا﴾ ليلًا ﴿أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ ناعمون بالظهير؛ والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم؛ أي: مرة جاءها ليلًا، ومرة جاءها نهارًا. [٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿يَذْجَأْهُمْ بِأَسَافٍ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٦] ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْقُرْسِيِّينَ﴾ عن الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ﴾ لنخبرهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عوملوا.

[٨] ﴿وَالْوَزْنَ﴾ للأعمال أو لصحافتها بميزان له لسان وكفتان - كما ورد في حديث<sup>(٣)</sup> - كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور؛ وهو: يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيفات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿يَمَّا كَانُوا يَكِيدُونَ بِظُلْمٍ﴾ بجحودون.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ بالياء<sup>(٤)</sup>؛ أسبابًا تعيشون بها، جتمع معيشة ﴿فَلَا تَمَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْمَص ﴿كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ﴾ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ  
لِيُنْذِرَ بِهِ وَذَكَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾  
﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسَافٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ وَلَنَعْلَمُ مَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَكِيدُونَ بِظُلْمٍ ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿فَمَّا صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهركم ﴿فَمَّا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحيةً بالانحناء ﴿تَسْجُدُوا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أبَا الحن؛ كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصاري؟ وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولي الطولين». البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرج أبو داود وزاد: وقال - أي ابن أبي مليكة راوي الحديث - : قلت: وما طولي الطولين؟ قال: - أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان - : الأعراف، والأخرى الأنام. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٢٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالياء» أي: مع تشديد الدال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء» أي: قبل التاء مع تخفيف الدال، وهي قراءة ابن عامر. (٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدينا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها» أي الدال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعة هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الدال وتخفيفها، و«تذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن المنذر واللائكالي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان بورن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنالهم في الجنة بما كانوا بأياتنا يظلمون [الدر المنثور (٢/٢٩١)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر الميزان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾<sup>(١)</sup> أي: يوم النفخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي﴾ أي: يا غواي لي؛ و«الباء» للقسام وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ لَكَ﴾ أي: لبني آدم ﴿مِنْ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا وَبَارًا﴾ بالهمزة؛ معيба أو مقموتا ﴿مَنْحُورًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَنْ يَمَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسام؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿وَقَالَ﴾ قال: ﴿فَتَكُونُ أَشْجَانٌ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَشْجَانٌ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحًا﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكمل منها؛ وهي: الجنة<sup>(٢)</sup> ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وَرَى﴾ فُوعِل؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا﴾ وقال ما تَهَكُّمًا رُبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا ﴿كراهة﴾ أن تكونا ملكين ﴿وَقَرَأَ بِكسر اللام﴾ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقْلَدُ وَمَلِكٌ لَا يُبَلِّغُ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَذَلَّلَهُمَا﴾ حطَّهُمَا عن منزلتهما ﴿يُفْرِدُونَ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلَا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فُتْلُهُ وَقِيلَ الآخر وذُوبُهُ، وشُيَّ كس منها سَوْاءٌ؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطُوبَقًا بِخَصْفَانِ﴾ أخذًا بلسزان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ﴾ ليسترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَشُ العداوة، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَشْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لَأَقُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَقَامْدُحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿وَيَقَادِمُ سُكُنَى أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فَذَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فَاخْرُجْ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدَّالِيَيْنِ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشمتمنا عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿يَحْيَوْنَ﴾ وفيها تموتون وميتها ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(١)</sup>.

[٢٦] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ﴾ أي: خلقناه لكم<sup>(٢)</sup> ﴿يُؤَدِّيْ﴾ يستر ﴿سَوْءَ تَكْمُورِشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الشباب ﴿وَلِبَاسٍ الْقَوِيِّ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب<sup>(٣)</sup> عطف على ﴿لِسَانَ﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ﴾ بضلكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا﴾ لِبَاسَهُمَا يُرِيهِمَا سَوْءَ تَكْمُورِهِمَا<sup>(٤)</sup> أي: الشيطان ﴿رَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا رَوْحَهُمْ﴾ للظافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراً قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ فاقصدنا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إني الله لا يأمر بالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>(٥)</sup> أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَجُوبِهِكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(٦)</sup> أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

(١) بالبناء للفاعل وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ قَنِينَةً﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي ينبت به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صعبته. وقيل: المعنى: قضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاه - شيخانته - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصولها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأقرب. وفي الآية إثبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إثباته موافقة لمذهب الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (٢٤٦/١٢ - ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ يُؤَدِّي سَوْءَ تَكْمُورِشًا وَلِبَاسٍ الْقَوِيِّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَكْمُورِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ لِلَّهِ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَمَ رِزْقَ اللَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَمِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب<sup>(١)</sup>، حال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون، فإنهم المتفعمون بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِنَّمِ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِي﴾ على الناس ﴿يُغَيِّرُ الْحَقَّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَبْنِيٰ ۤءَادَمَ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنَّ﴾ الشرطية في «ما» المريدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهَىٰ عَنْهُ الشُّرْكُ﴾ وأصلح عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَكَبُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَٰئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ﴾ يصيبهم ﴿حُطَّتْ﴾ الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَقُولُونَ لَهُمْ تَبَكُّوا﴾ لهم تبكيتاً: ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهَا﴾ فلم نرهم ﴿وَسُيُودًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَلْهَتُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَبْنِيٰ ۤءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنِ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰ ۤءَادَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهَىٰ عَنْهُ الشُّرْكُ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ رَبُّهُمْ مِنْ أَلْتَكْنِبُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهُمْ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

[٣١] ﴿يَبْنِيٰ ۤءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم<sup>(٢)</sup> ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعبرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ تقول: اليوم يلدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنِ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(٢) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾. ﴿كُلُّا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَمَنْتَ أَخْبَأَ﴾ التي قبلها؛ لضلالتها بها ﴿حَقٌّ إِذَا أَدَارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾ قالت أخرتهم ﴿وهم الأَبَاعُ﴾ ولا أولهم ﴿أَي: لِأَجْلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ وهم: المتبوعون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضْعَفًا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ قَالَ - تعالى -: ﴿لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ﴾ ضِعْفٌ عذاب مُضْعَفٌ ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [بالياء والناء<sup>(٢)</sup>، ما لكل فريق. [٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرَجْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا؛ فنحن وأنتم سواء، قال - تعالى - لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا غرغ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، تفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِغَ﴾ يدخل ﴿الْخُكْلُ فِي سِمِّ الْخِيَاطِ﴾ نقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتوينه عوض من البلاء المحذوف ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتهما من العمل اعراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿يَجْزَى مِنْ تَجَنُّهِمْ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَثَرُ﴾ وقالوا: عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَسَدُ بِلَوِّ الْأَذَى هَدَنَّا لِهَذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ لدلالة ما قبله عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿يَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرُشُومُهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَرَهُمْ لَوْلَا رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرَجْتُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِغَ الْخُكْلُ فِي سِمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ يَجْزَى مِنْ تَجَنُّهِمْ أَنْ تَقُورَهُمْ الْأَثَرُ وَقَالُوا عِنْدَ الْإِسْتِقْرَارِ فِي مَنَازِلِهِمْ لَا نُهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرُشُومُهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرُشُومُهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم - كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(٢) وفي نسخة «لأجلهم».

(٣) بالياء قراءة شعبة.

(٤) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل سوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يبرج بها إلى السماء فيستفتح لها فقال: من هذا؟ يقال: فلان، فقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر. والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٣٧).

﴿أَنْ لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغَوْنَ﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَنْبَغِي﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسبائهم؛ كما في الحديث<sup>(١)</sup> ﴿يَرْفَعُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِتْرِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup>.

[٤٧] ﴿وَلَا تَصْرَفْتُمْ أَبْصَارَكُمْ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿فِي الْفُتُورِ﴾ لِقَاءَ ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ قالوا ربنا لا نجعلنا في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَنَدَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون<sup>(٣)</sup> ﴿أَهْلُولَا﴾ الذين أقسمتم لا ينتمون لهم الله برحمته أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون<sup>(٤)</sup> ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾ إن الله حرّمهما على الكافرين<sup>(٥)</sup> ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا﴾ نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ<sup>(٦)</sup>

[٤٩] ﴿أَهْلُولَا﴾ الذين أقسمتم لا ينتمون لهم الله برحمته أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون<sup>(٤)</sup> ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾ إن الله حرّمهما على الكافرين<sup>(٥)</sup> ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا﴾ نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ<sup>(٦)</sup>

[٥٠] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾ إن الله حرّمهما على الكافرين<sup>(٥)</sup> ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا﴾ نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ<sup>(٦)</sup>

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا﴾ نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ<sup>(٦)</sup>

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغَوْنَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ<sup>(٢)</sup> وَيَنْبَغِي حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ<sup>(٣)</sup> \* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٤)</sup> وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٥)</sup> أَهْلُولَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَمُونَ لَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تحزنون<sup>(٦)</sup> وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>(٧)</sup> الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ<sup>(٨)</sup>

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريراً أو تأكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ كم ﴿رِجَالٌ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾.

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة والدرر المنثور (١/٦٢٢).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراعتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب (بقرئ)، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أي وعلى هاتين القراعتين؛ فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف...» اهـ.



[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِأَي: أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَلَّنَاهُ﴾ بَيَّنَّاهُ بالأخبار والوعيد والوعيد ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال؛ أي: عالين بما فُضِّل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ به .

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ قَوْلُ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ ﴿هَلْ نَرَاهُ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحده الله ونترك الشرك؛ فيقال لهم: لا .

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ من دعوى الشريك.

[٥٤] ﴿إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شمس، ولو شاء خلقهن في لحظة، والعدل عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء؛ يليق به<sup>(١)</sup> ﴿يُعْثِي الْبَلَاءَ﴾ مخففاً ومشدداً<sup>(٢)</sup>؛ أي: يُطْغِي كَلَامَهُمَا بِالْآخِرِ يُطْلِمُهُ يُطْلِبُ كُلَّ مَنَّهُمَا بِالْآخِرِ طُلُوبًا ﴿حَيْثُ﴾ سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿السَّمَوَاتِ﴾ والرفع مبتدأ خبره: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup> مَذْلُوبَاتٍ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته<sup>(٤)</sup> ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَكْمَارُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ .

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال؛ تَذَلُّلاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سِرًّا ﴿إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُتَعَذِّبِينَ﴾ في الدعاء؛ بالتشديد ورفع الصوت.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿وَادْعَوْهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ المخبر به عن ﴿رَحْمَتِ﴾ لإضافته إلى الله.

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]<sup>(١)</sup> بَلِّغَ يَدَى رَحْمَتِهِ: أي: متفرقة فُذَامَ المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفاً<sup>(٢)</sup>، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدر<sup>(٣)</sup>، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون<sup>(٤)</sup>؛ أي: مبشراً، ومفرد الأولى: «نُشُور» كـ «رسول»، والأخيرة<sup>(٥)</sup>: «بشير» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا يَقْرَأُ﴾ بالمطر

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ قَوْلَ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرْدِّ فَعْمَلٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْثِي الْبَلَاءَ لِيَلَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطُمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنِي يَدَى رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا نَقَالَ سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ لِمَاءٍ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به؛ أي: لإحيائها ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بالبلد ﴿لِمَاءٍ﴾ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴿بِالماء﴾ ومن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فهو منون.

(١) إن كان المصنف يريد بذلك تفويض كيفية الاستواء فهذا حق، كما قال مالك: ... والكيف مجهول؛ وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول، فيكون فراغاً من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش؛ إذ إن كلام السلف في معنى الاستواء أنه العلو والارتفاع والاستقرار.

(٢) بتشديد الشين، ولازمه فتح الباء قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) بالرفع في الأربع الكلمات قراءة ابن عامر.

(٤) وهذا صرف اللفظ عن ظاهره، وتطيل لصفة الأمر، والمراد منه كلام الله وحكمه، وهو غير القدرة.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) لابن عامر.

(٧) لحمزة والكسائي.

(٨) وهي قراءة عاصم.

(٩) في نسخة مطبوعة: «والآخرة».

وَالْبَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَضْرِبُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾  
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾  
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾  
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾  
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٦٦﴾  
قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿وَالْبَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ

رَبِّهِ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَالَّذِي خَبَتْ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ غيراً بمشقة، وهذا مثل للكافر ﴿كَذَلِكَ﴾ كما يشاء ما ذكر ﴿نَضْرِبُ﴾ نبين ﴿الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيؤمنون. [٥٩] ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ إلى قومه، فقال ﴿يَتَقَوَّمُوا﴾ أعبدوا الله ما لكم من إله غيري ﴿بالجر﴾ صفة له ﴿إِلَهُ﴾ وبالرفع بدل من محله ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ من قومه ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

يقين. [٦١] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ هي أعم من الضلال؛ فيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنْصَحُ﴾ أريد الخبر ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٣] ﴿أَوْحَيْتُمْ﴾ كذبتم ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ موعظة ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من الغرق ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق.

[٦٥] ﴿عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَلْهَمُّ هُودًا﴾ قال يَتَقَوَّمُوا أعبدوا الله وخذوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافونه فتؤمنون.

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ في رسالتك.

[٦٧] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ عَبْدًا أَوَّلًا﴾ [النجم: ٥٠]، وأما عاد الآخرة، وهم المعنويون بـ «عاده» عند الإطلاق. فهم

«نوده» قوم بني الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أَتُفْسِدُكُمْ وَسَخَّرَ رَبِّيَ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مَأْمُونٌ عَلَى الرِّسَالَةِ.  
 [٦٩] ﴿أَوْ يَحْتَسِبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّهِ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَهُمْ وَأَنْذَرْتَهُمْ إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَآدَمَ فِي الْأَلْبَقِ بَضْطَةٌ قُوَّةٌ وَطَوَلًا، وَكَانَ طَوِيلُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَقَصِيرُهُمْ سِتِينَ<sup>(١)</sup> ﴿فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ الْفَضْلَ﴾ نِعْمَةٌ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ تَفْرُزُونَ.  
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ﴾ بِه مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكَ.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ﴾ عَذَابٌ ﴿وَعَصَبٌ أَتَجِدُونِي فِي سَمَاءٍ سَمِيئَةٍ﴾ أَي: سَمِيئَةٍ بِهَا ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أَي: بِعِبَادَتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٍ ﴿فَانْظُرُوا﴾ الْعَذَابِ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ذَلِكَ بِكَذِّبِكُمْ لِي؛ فَأَرْسَلْتُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.  
 [٧٢] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ أَي: هُوَذَا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ وَنَا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أَي: اسْتَأْصَلْنَاهُمْ ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿كَذَّبُوا﴾.

[٧٣] ﴿وَوُكِّلَ إِلَيْنَا﴾ إِلَى شُعُودٍ بِتَرْكِ الصَّرْفِ<sup>(٢)</sup>؛ مَرَادًا بِه الْقَبِيلَةَ ﴿أَخَاهُمْ صَاحِبًا﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَغْبَدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِحُجَّةٍ مُعْجَزَةٍ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عَلَى صَدَقِي هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ حَالٌ، عَامِلُهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَكَانُوا سَأَلُوهُ أَنْ يَخْرِجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ غَشِيَتْهَا ﴿فَذَرَوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾ يَغْفِرُ أَوْ ضَرْبٍ ﴿فِيَاخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمْرِ﴾

أَتُفْسِدُكُمْ رَسَلَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ يَحْتَسِبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّهِ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَهُمْ وَأَنْذَرْتَهُمْ إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَآدَمَ فِي الْأَلْبَقِ بَضْطَةٌ فَادْكُمْ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ الْفَضْلَ ﴿٦٩﴾ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ ﴿٧١﴾ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَصَبٌ أَمْجِدُ لُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمِيئَةٍ مَوْهَا أَنْشُرُوا أَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَاَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٤﴾ وَإِلَى شُعُودٍ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَنْقُورُ أَغْبَدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِحُجَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَاخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمْرِ ﴿٧٥﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالرفع من الصرف؛ للعلمية والثابتة.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ  
 فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ  
 الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي  
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ  
 قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ  
 أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ  
 مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي  
 ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ  
 أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَسْتَنَائِمًا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ  
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جِثِيمِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
 رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ  
 ﴿٨١﴾ وَلَوْ طَإِذًا قَالُ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ  
 بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ  
 شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٤] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾

وَبَوَّأَكُمْ ﴿أسكنكم﴾ في الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴿تسكنونها في الصيف﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿تسكنونها في الشتاء﴾ ونصبه على الحال المقدره <sup>(١)</sup> ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله لإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فَعَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها ﴿فَدَاؤُهَا﴾ <sup>(٢)</sup> بأمرهم؛ بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا يَمَّا نَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ باركين على الرُكَبِ ميتين.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾.

[٨٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لَوْطًا﴾ وَيُذِلُّ مِنْهُ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ﴾ أي: أذبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين، وفي قراءة: ﴿إِنَّكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿منجاوزون الحلال إلى الحرام﴾.

(١) أي تدرجتها مقدّرين جعلها بيوتاً لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة علدا نافع وحفص بهزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفاً فيمد، وهشاماً يدخل بين الهمزتين ألفاً مع تخفيفهما، بخلاف عنه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لو طأ وأتباعه ﴿وَمِنْ قَوْمِكُمْ إِتْمَمُوا نَاسٌ يَبْتَغُونَ﴾ من أديار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل؛ فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَاكُمُ شُعَبًا قَالَتْ يَتَقَوْمُ آبَعْدُوا إِلَهَهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صديقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٌ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو العكس<sup>(١)</sup> منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ﴾ وآنظروا كيف كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ قبلكم بتكذيب رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

[٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ فآصبروا؛ انتظروا ﴿حَتَّى يَخُصَّ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء الحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ أَنَّهُمْ نَاسٌ يَبْتَغُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمُ آبَعْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٨٥﴾ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَآصْبِرُوا حَتَّى يَخُصَّ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٨﴾

(١) المكس (يفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. و«المكاس»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم الغامدية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقبح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلامتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عتبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُودْ فِيهَا﴾ ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُقَدِّمِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَيْنَ﴾ لا قسم ﴿أَتُبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْكُرُوا إِذَا لُحِيسِرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَصَبَّحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدا وخبره: ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَتٍ رَبي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءاسى﴾ أحرز ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي<sup>(١)</sup>.

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ﴾ أهلها بالأساء. بشدة الفقر والفساد المرض ﴿لَهُمْ يَصْرَعُونَ﴾ يتلذلون فيؤمنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَنَّ ءَابَاؤُنَا عَلَىٰ أَصْرَارِهِ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِقَتَّةٍ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُقَدِّمِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيْنَ أَتُبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْكُرُوا إِذَا لُحِيسِرُونَ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَصَبَّحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءاسى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَعُونَ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَنَّ ءَابَاؤُنَا عَلَىٰ أَصْرَارِهِ وَالضَّرَاءِ فَآخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذِبِينَ ﴿ءَامَنُوا﴾ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الْكَفْرَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ<sup>(١)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ سَمَاءٍ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرِّسْلَ ﴿فَأَخَذْنَا﴾ عَاقِبَتَهُمْ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الْمَكْدُونِ ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عَذَابُنَا ﴿بَيْتًا﴾ لَيْلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غَافِلُونَ عَنْهُ.

[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّى﴾ نَهَارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ اسْتِدْرَاجَهُ إِيَّاهُمْ بِالنِّعْمَةِ وَأَخَذَهُمْ بَغْتَةً<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَهُ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْقُ الْخَيْرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بَيْنَ ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ﴾ بِالسَّكَنِ ﴿وَمَنْ بَعْدَ﴾ هَلَاكِ ﴿أَهْلِهَا أَنْ﴾ فَاعِلٌ، مَخْفِقَةٌ وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: أَنَّهُ ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ كَمَا أَصْبَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَالهَمْزَةُ فِي الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ لِلتَّوْبِيخِ، وَالْفَاءُ وَالْوَاوُ الدَّخَالَةُ عَلَيْهِمَا لِلْعُطْفِ، وَفِي قِرَاءَةِ: بِسُكُونِ الْوَاوِ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ<sup>(٣)</sup> عَطْفًا بِ﴿أَوْ﴾ ﴿وَوَ﴾ نَحْنُ ﴿نَطْبَعُ﴾ نَخْتُمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الْمَوْعِظَةَ سَمَاعَ تَدْبِيرٍ.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَمِنْ أَنْبِيَائِهَا﴾ أَخْبَارَ أَهْلِهَا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْمَعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ ﴿يَمَّا كَذَّبُوا﴾ كَفَرُوا بِهِ ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْكَفْرِ ﴿كَذَلِكَ﴾ الطَّبْعُ ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أَيْ: النَّاسِ ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أَيْ: فَوَاءَ بَعْدَهُمْ يَوْمَ اخْتِذِ الْمِيثَاقَ<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِقَةٌ ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أَيْ: الرِّسْلَ الْمَذْكُورِينَ ﴿مُوسَىٰ﴾ بِأَيِّتَيْنَا ﴿التَّسْعِ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿قَوْمَهُ﴾ فَظَلَمُوا ﴿كَفَرُوا﴾ بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ بِالْكَفْرِ مِنْ إِهْلَاكَهُمْ.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَيْكَ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْقُ الْخَيْرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مَنْ بَعْدَ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمِنْ أَنْبِيَائِهَا أَخْبَارَ أَهْلِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الْمَعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عِنْدَ مَجِيئِهِمْ يَمَّا كَذَّبُوا كَفَرُوا بِهِ وَمِنْ قَبْلُ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْكَفْرِ كَذَلِكَ الطَّبْعُ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ أَيْ: فَوَاءَ بَعْدَهُمْ يَوْمَ اخْتِذِ الْمِيثَاقَ ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِقَةٌ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِأَيِّتَيْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه - ، وهي فيما سيق له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا

يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ رَكِّبَكَ مِنْ نَجْوَىٰ مَادَمَ مِنْ لُطُوفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبَتَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿قَالَ لَنْ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تُمْبَرُّ مِثْلَ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ ذات شعاع<sup>(١)</sup> ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(٢)</sup>.
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه؛ فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَبِئَةٍ وَأَنْعَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَائِرٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿عَلِيمٍ﴾ بفضل موسى في علم السحر؛ فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأُتِلَى﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٤)</sup> ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَى﴾ عصاك ﴿وَيَمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْفَكِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حيالهم وعصبيهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْرَبُوهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل<sup>(٥)</sup>؛ تبتلع ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ يلقبون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَلَبُوا صَنِيعِينَ﴾ صاروا ذليلاً.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَتْ هِيَ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تَمُوتُ يَدَهُ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرَجِئَةٍ وَأَنْعَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَى وَيَمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْفَكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا أَلْقُوا سَحَرًا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَلَبُوا صَنِيعِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء<sup>(١)</sup>، فه ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿وَأَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وكان استغفدهم.

(١) مع فتحها، أي: بَاء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمرة.

(٤) لحمرة والكسائي.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع. فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهزئة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُوكَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تتلف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.



قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ  
 فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ  
 مَكْرُتُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ  
 ﴿١٢٣﴾ لَا فُطْنَ لَكُمْ وَارِثِكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصْلَبَنَّكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَقُصُّكُمْ  
 إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا  
 وَتَوَقَّعَ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتُمْ مُوسَى  
 وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ  
 أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾  
 قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ  
 لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾  
 قَالُوا أَوْزَيْتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ  
 عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
 فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ  
 بِالْيَسِينِ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٣٠﴾

[١٢١] ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى  
 بالسحر.

[١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً<sup>(١)</sup>  
 ﴿بِهِ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ﴾  
 مَكْرُتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿مَا يَالَكُمْ مَنِ﴾.

[١٢٤] ﴿لَا فُطْنَ لَكُمْ وَارِثِكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى  
 ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٥] ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾  
 راجعون في الآخرة.

[١٢٦] ﴿وَمَا نَقُصُّكُمْ﴾ تنكر ﴿وَمَا إِنَّا أَتَ الْهَاتِ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا﴾  
 رَبَّنَا أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفارًا ﴿وَتَوَقَّعَ﴾  
 مُسْلِمِينَ.

[١٢٧] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَنْتُمْ﴾ تترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾  
 لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ وكان  
 صنع لهم أصنامًا صغارًا يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها؛ ولذا قال: ﴿أَنَا﴾  
 رَبُّكُمْ الْأَخْلَى ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup> ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين  
 ﴿وَنَسْتَحْيِي﴾ نستحيي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ﴾  
 قَاهِرُونَ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على أذاهم  
 ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾  
 المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ للالله.

[١٢٩] ﴿قَالُوا أَوْزَيْتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قال عسى  
 رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ  
 تَعْمَلُونَ فيها.

[١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْيَسِينِ﴾ بالقشط ﴿وَنَقَصْنَا مِنْ﴾  
 الشَّمَرِ لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ يتعظون فيؤمنون.

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قرأوا بهزرة مخففة وبعدها همزة بين ين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قبل إذا ابتأ بها، أما في الوصل فقرأ بواو بدل من  
 الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين ين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهزتين محققين  
 بهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً﴾ جذب وبلاء ﴿يَظُنُّوٓا۟﴾ يتشاءموا ﴿يُمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُٗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخن بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجُرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من القزاد<sup>(١)</sup> فتبع ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يما عهد عندك ﴿من كشف العذاب عنا إن آمنا﴾ ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَتَرْسِلَنَّا مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٗ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَلَنَقَمَنَّهُمْ مِنْهُمْ فَاعْرِفْنَاهُمْ فِي آيَةِ﴾ البحر المالح ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرُبِّيذِلَّ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَرْنَا أَهْلَكُنَا﴾ ما كانت يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وقومه من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها<sup>(٣)</sup> يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُٗ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ إِنَّمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَتَرْسِلَنَّا مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٗ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٦﴾ فَاسْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَاعْرِفْنَاهُمْ فِي آيَةِ ۖ يَأْتِيهِمْ بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا ۖ وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الحصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قراءة شعبة وابن عامر.

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِ لَهُمْ فَأَلَوْا يَمْوَسِيٰ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ۖ وَصَلُّوا ۖ أَبْغِي لَكُمْ ۖ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْآلِهِينَ ۖ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿١٤١﴾ وَذِكْرُوا ۖ إِذْ أَبْغَيْتَكُمْ ۖ وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿أَبْغَيْتَكُمْ﴾ (١) مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ بِكُلْفُونِكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَشَدُّهُ ۖ وَهُوَ: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ ۖ وَيَنْشَقُّونَ ۖ وَيَسَاءُكُمْ ۖ وَفِي ذَلِكُمْ ۖ الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ ۖ سَاءَ ۖ إِنْجَامٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ ۖ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۖ أَفَلَا تَتَعَلَّمُونَ ۖ فَتَنَّهُوا عَمَّا قُلْتُمْ؟﴾

﴿١٤٢﴾ وَوَعَدْنَاكَ بِالْفِ دُونَهَا (٢) ۖ مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ۖ نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا ۖ بَأَن يَصُومَهَا ۖ وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ ۖ فَصَامَهَا ۖ فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَحْلُوفَ قَوْمِهِ (٣) ۖ فَاسْتَأْذَنَ ۖ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَىٰ لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ فِيمَا ۖ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ۖ مِنْ ذِي الْحِجَةِ ۖ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ ۖ وَقَدْ وَعَدَهُ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ۖ أَزْبَعِينَ ۖ حَالٌ ۖ لَيْلَةً ۖ تَمَيِّزٌ ۖ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ ۖ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ: ﴿أَتَخْلِفُنِي ۖ كُن خَلِيفَتِي ۖ فِي قَوِي وَأَصْلِحْ ۖ أَتَزْعُمُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ۖ بِمَوَاقِفِهِمْ عَلَى الْعَاصِي ۖ﴾

﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَتِنَا ۖ أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ۖ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ۖ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (٤) ۖ قَالَ رَبِّ أَرِنِي ۖ نَفْسَكَ ۖ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَنْ تَرِنِي ۖ أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي ۖ وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَنْ أَرَى» بِغَيْدِ إِمْكَانِ رُؤْيِهِ - تَعَالَى - ۖ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ۖ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ۖ فَإِنْ أَسْتَقَرَّ ۖ ثَبَّتَ ۖ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۖ أَي: ثَبَّتَ رُؤْيِي ۖ وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ ۖ

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ ۖ أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نَضْفِ أَثْمَلِيَةِ الْخَنْصَرِ ۖ كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ (٥) ۖ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ۖ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ (٦) ۖ أَي: مَدْكُوكًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ۖ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا ۖ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهُولُ مَا

﴿١٣٨﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ ۖ بَضْمُ الْكَافِ وَكُسْرُهَا (١) ۖ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ ۖ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا ۖ قَالُوا يَمْوَسِيٰ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا ۖ صَنَعًا نَعْبُدُهُ ۖ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۖ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَبْهَلُونَ ۖ حَيْثُ قَابِلَتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا قُلْتُمُوهُ ۖ

﴿١٣٩﴾ ۖ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ ۖ هَاك ۖ مَتَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ

﴿١٤٠﴾ ۖ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ۖ مَعْبُودًا ۖ وَأَصْلُهُ: أَبْغِي لَكُمْ ۖ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْآلِهِينَ ۖ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿١٤١﴾ وَذِكْرُوا ۖ إِذْ أَبْغَيْتَكُمْ ۖ وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿أَبْغَيْتَكُمْ﴾ (١) مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ بِكُلْفُونِكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَشَدُّهُ ۖ وَهُوَ: ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ ۖ وَيَنْشَقُّونَ ۖ وَيَسَاءُكُمْ ۖ وَفِي ذَلِكُمْ ۖ الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ ۖ سَاءَ ۖ إِنْجَامٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ ۖ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۖ أَفَلَا تَتَعَلَّمُونَ ۖ فَتَنَّهُوا عَمَّا قُلْتُمْ؟﴾

﴿١٤٢﴾ وَوَعَدْنَاكَ بِالْفِ دُونَهَا (٢) ۖ مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ۖ نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا ۖ بَأَن يَصُومَهَا ۖ وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ ۖ فَصَامَهَا ۖ فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَحْلُوفَ قَوْمِهِ (٣) ۖ فَاسْتَأْذَنَ ۖ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَىٰ لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ فِيمَا ۖ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ۖ مِنْ ذِي الْحِجَةِ ۖ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ ۖ وَقَدْ وَعَدَهُ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ۖ أَزْبَعِينَ ۖ حَالٌ ۖ لَيْلَةً ۖ تَمَيِّزٌ ۖ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ ۖ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمُنَاجَاةِ: ﴿أَتَخْلِفُنِي ۖ كُن خَلِيفَتِي ۖ فِي قَوِي وَأَصْلِحْ ۖ أَتَزْعُمُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ۖ بِمَوَاقِفِهِمْ عَلَى الْعَاصِي ۖ﴾

﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَتِنَا ۖ أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ۖ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ۖ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (٤) ۖ قَالَ رَبِّ أَرِنِي ۖ نَفْسَكَ ۖ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَنْ تَرِنِي ۖ أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي ۖ وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَنْ أَرَى» بِغَيْدِ إِمْكَانِ رُؤْيِهِ - تَعَالَى - ۖ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ۖ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ۖ فَإِنْ أَسْتَقَرَّ ۖ ثَبَّتَ ۖ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۖ أَي: ثَبَّتَ رُؤْيِي ۖ وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ ۖ

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ ۖ أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نَضْفِ أَثْمَلِيَةِ الْخَنْصَرِ ۖ كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ (٥) ۖ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ۖ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ (٦) ۖ أَي: مَدْكُوكًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ۖ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا ۖ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهُولُ مَا

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) ببنون ألف قراءة أبي عمرو.

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعًا. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وهذا فرار من المفسر من إثبات الجهة والعلو بذاته . شَيْعَانُهُ ، كما هو منهج الأشاعرة ، وأما عند أهل السنة: فهم مجمعون على إثبات هذا العلو، ومهم من بثبت الجهة لكن بقصدون بذلك إثبات العلو، ومنهم من قال في الجهة والمكان: لا ينبغي إثباتهما ولا فليهما مطلقًا. يعني يستفصل القائل بذلك عن مراده؛ فإن أراد نفي العلو أو غيره من المعاني الباطلة ردّ قوله، وإن أراد بذلك إثبات العلو، واقفاه، وهذا هو الصحيح - إن شاء الله.

(٦) المستدرک (٣٢٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

(٧) بالمد قراءة حمزة والكسائي.

رَأَى ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ۖ تَزَيَّيْتُ لَكَ ۖ ثَبَّتَ إِلَيْكَ ۖ مِنْ سَوَالٍ مَا لَمْ أَوْمَرْ بِهِ ۖ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ فِي زَمَانِي ۖ

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فنحنها ﴿قَبْلَهُ﴾ قلنا مقدارًا ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكَ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَابَتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لَكَ أَلْحَقَ﴾ بأن أخذناهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَلَنْ يَرْوَوْا﴾ كَلَّ عَابَتِي لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَنْ يَرْوَوْا سَيْلًا ﴿طَرِيقَ الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَلَنْ يَرْوَوْا سَيْلًا﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصِّفَافُ ﴿بِأَيْدِيهِمْ كَذَبُوا﴾ يكافئنا وكافوا عنها غفيلين تقدم مثله.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُمُ الْبُحْرَ وَغَيْرَهُ ﴿حُجَّتٍ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم<sup>(٢)</sup>؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَجْزُونَ﴾ إِلَّا جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ ثُلِيثِهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلغة غوي<sup>(٣)</sup>؛ فبقى عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل؛ لحمًا ودماغًا ﴿لَهُمْ خَوَارٌ﴾ أي: صوت يسمع؛ انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحياة فيما يؤصغ فيه<sup>(٤)</sup>، ومفعول ﴿أَتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: إلها ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونها؟! ﴿أَتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذ.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَيطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما<sup>(٥)</sup> ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكَ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٧﴾ سَاصِرُفٌ عَنْ عَابَتِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لَكَ أَلْحَقِ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ عَابَتِي لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا الرُّشْدَ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا أَلْفَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُمُ الْبُحْرَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَمَّا سَيطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥١﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد<sup>(١)</sup> ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا حتى إذا أقضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿ثُلِيثِهِمْ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿ثُمَّ لَمَّا أَوْرَازُكُم مِّنْ ذَهَبٍ فَأَوْرَازُكُم مِّنْ زَبَدٍ مِّمَّا عَمِلْتُمْ﴾ [طه: ٨٧] بإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يعكر على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ثُلِيثِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقي عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٢٣٤/٣)].

(٦) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرَحْمَتَنَا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي  
مِنْ بَعْدِي أَتَجِدُكُمْ أَتَمَرِّبُكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ  
أَخِيهِ يُجَاهِدُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا  
يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ  
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ  
غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ  
بَعْدِهَا وَآمَنُوا أَنْ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾  
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي سُحُفِهَا  
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى  
قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ  
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَنتَ أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ  
السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي  
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَأِنِّي أَنْتِهَاكُمَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؟ استفهام استعطاف؛ أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ أضلاله ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿بِسْمَا﴾ أي: بسبب خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ خلافتكم هذه؛ حيث أشركتكم ﴿أَتَمَرِّبُكُمْ﴾ أَعَلَّيْتُكُمْ أَمْ رَبِّكُمْ ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ﴾<sup>(١)</sup> ألواح التوراة غضباناً لربه؛ فكتسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يُجَاهِدُهُ إِلَيْهِ﴾ غضباناً ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم<sup>(٢)</sup> وفحشاً؛ أراد: أمي، وذكَّرها أغفلت لقلبي ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا قَارِبُوا﴾ يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ ﴿ثُمَّ﴾ ﴿فَرَّغَ﴾ فِي الْأَعْدَاءِ يَا هَانِكُ لِيَاي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ عبادة العجل في المواجهة.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركته في الدعاء؛ إرضاءً له ودفعاً للشتمات به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر يقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم ﴿نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ﴾ على الله؛ بالاشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَعَفْوٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ﴾ التي ألَّفها ﴿وَفِي سُحُفِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لنقدمه.

[١٥٥] ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوها الرؤية وأخذتهم الصاعقة<sup>(٤)</sup>، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي

(١) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت». (المسند ٢٧١/١)، وصرحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.  
(٣) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعتزلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.  
(٤) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمير العذني في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم يبهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف الكعالي ما يفيد أنهم هم الذين سألوها الرؤية. انظر: [الدر المنثور ٢٣٨/٣: ٢٣٩].

وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي  
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ  
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ  
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا  
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ تَأْوَلَّتِ الْفُلُكُورُ ﴿١٥٧﴾  
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي  
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ  
قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

الْآخِرَةَ ﴿حَسَنَةً﴾ إِنَّا هَدَانَا ﴿تَبْنَا﴾ إِلَيْكَ قَالَ ﴿تعالى﴾ عَذَابِي  
أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴿تَعْنِيهِ﴾ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ ﴿عَفَتْ﴾ كُلَّ شَيْءٍ  
فِي الدُّنْيَا ﴿فَسَاكُنْهَا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾  
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ.

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿الَّذِي  
يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ ﴿يَأْمُرُهُمْ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مَا حَرَّمَ فِي  
شَرْعِهِمْ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مِنَ الْمَيْتَةِ وَنَحْوِهَا ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ  
إِصْرَهُمْ﴾ ثِقْلَهُمْ ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشَّدَائِدَ ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كَفَلِ  
النَّفْسَ مِنَ التَّوْبَةِ وَقَطَعَ أَثَرَ النِّجَاسَةِ ﴿فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ مِنْهُمْ  
﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وَوَقَرُّوهُ ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أَيِ:  
الْقُرْآنِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي  
وَيُمِيتُ فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾  
الْقُرْآنِ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَرشُدُونَ.

[١٥٩] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِالْحَقِّ﴾  
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿فِي الْحُكْمِ﴾.

[١٥٦] ﴿وَأَكْتَبْنَا﴾ أَوْجَبَ <sup>(١)</sup> ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

(١) وفيه إتيان لصفة الكتابة له سبحانه - على الوجه اللاتني به، كما سبق التنبية عليه.

﴿١٦٠﴾ ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿أَتَقَىٰ عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَلًا﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَن تَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْفَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَأَنبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿وَمِنْهُ أَتْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿فَدَعَا كُلُّ أُنَاسٍ سِبْطَ مِنْهُمْ﴾ سبط منهم ﴿سَبْرَهُمْ﴾ وظللنا عليهم الفعمم ﴿في التيه﴾ من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكُرَىٰ وَالسَّلَوىٰ﴾<sup>(١)</sup> هما الترحيجين<sup>(٢)</sup> والطير السمانى - بنخفيف الميم والقصر - وقلنا لهم: ﴿كُونُوا مِن طَائِفَتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُوا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُفُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يَت  
المقدس ﴿وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا: أَمْرًا﴾ ﴿حِطَّةً وَأَدْخُلُوا  
الْكَابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سَجِّدُوا﴾ سجود الحناء ﴿تَعْفَرُ﴾ بالنون والتاء  
مَبِيتًا للمفعول <sup>(١)</sup> ﴿لَكُمْ حُطَّتْ بَعْضُ سَيِّئَاتِكُمُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم<sup>(١٠٠)</sup> ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿وَمِنَ النَّاسِ يَمَآكُلُوا يَتْلُمُونَ﴾.

[١٦٣] وَسَلَّمَهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا عَنْ الْفَرَكَةِ الَّتِي كَانَتْ  
 حَاضِرَةً الْبَحْرِ مجاورةً بَحْرِ الْقَازِمِ؛ وهي: «أيلة»، ما وقع بأهلها (وَإِذْ  
 يَعْدُونَ يَعْتَدُونَ) فِي السَّبْتِ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه  
 (وَإِذْ ظُرِفَ لَعَدُونَ) تَأْتِيهِمْ حِينَئِذِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ  
 شَرًّا ظاهرة على الماء (وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ) لَا يَعْظُمُونَ السَّبْتَ أَي:   
 سَائِرَ الْأَيَّامِ لَا تَأْتِيهِمْ ابتلاء من الله (كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ بِمَا كَانُوا  
 يَفْسُقُونَ) وَلَمَّا صَادُوا السَّمَكَ افترقت القرية اثلاثًا؛ ثلث صَادُوا معهم، وثلث  
 نَهَوْهُمْ، وثلث أَمْسَكُوا عن الصيد والنهي.

وَقَطَعَهُمْ أَثْنَى عَشَرَ أَسْبَابًا أُمَامًا وَأَوْحِيْنَا إِلَى  
مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ  
فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ  
مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ  
الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا  
ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾  
وَإِذِ قِيلَ لَهُمُ اسْكُفُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا  
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا  
تَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَرَّيْدُ الْمُحْسِنِينَ  
﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي  
قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ  
حَاضِرَةً أَلْبَحَرِ إِذِ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذِ اتَّاتَتْهُمْ  
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ  
كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن معبد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الْكُفَاءُ من المُنْ الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فضل الكُفَاء ومداواة العين بها.

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «وَقَدْ عَلِمُوا أَنِيبَ سُلَيْكًا»** فدخلوا يرحفون على أستاذهم، فبدلوا، وقالوا: حطة حية من شعيرة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج.

(٢) بالتاء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿حَطَّيْتُكُمْ﴾ بالإنفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقيين لكنه قرأ ﴿حَطَّيْتُكُمْ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر الخطيئة، كالذي في سورة البقرة.

يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿يَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَا﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ فَلَمَّا كَانُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين؛ فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما قيل بالفرقة الساكسة.

وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لِمَ يَتَّقُونَ﴾. البخ. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه<sup>(١)</sup>.

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلم<sup>(٢)</sup> ﴿رَبِّكَ لِيَمْعَنَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذلل والتخدي الجزية؛ فبعث عليهم «سليمان»، وبعده «يونس» فقتلهم وسبأهم وضرب عليهم الجزية؛ فكانوا يؤدونها إلى الجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ؛ فضرها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعَذَابِ﴾ لمن عصاه ﴿ذَلِكَ لَعَقُوبٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِعْ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرفناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقا ﴿وَبَنَيْنَاهُمُ الصَّلَاحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿ذُونَ ذُلٍّ﴾ الكفار والفاشقون ﴿وَبَنَيْنَاهُمُ الْفَاسِقِينَ﴾ بالثعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ الثَّغْم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ مَا يَأْخُذُونَ﴾ الجملة حال؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعْدُ المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ يَبْتَغِ الْكِتَابَ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يَأْخُذْ﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟! ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ خَيْرَ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup>، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٤)</sup> ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ أي: أجرهم.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ يَنعُظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ فَلَمَّا كَانُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّمَّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَنَيْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ مَا يَأْخُذُونَ أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَدْ كُتِبَ أَن يَأْخُذُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالَّذِينَ الْأَخْرَجُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى: ﴿لِمَ يَنعُظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: موعظتنا ﴿مَعذِرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيغ.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم

(١) الحاكم (٣٥٢/٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضًا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة [الدر المنثور (٢٥٢/٣)، (٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.



[١٧١] ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْنَّبْلَ﴾ رَفَعْنَاهُ مِنْ أَصْلِهِ ﴿فَوَقَّهْمُ كَلَّهْمُ ظُلَّةً وَجَنَّا﴾ يَقْبَلُوا ﴿أَنَّهُمْ وَاقِعُ بِهِمْ﴾ سَاقَطَ عَلَيْهِمْ؛ بَعْدَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِوُقُوعِهِ إِنْ لَمْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ، وَكَانُوا أَنْوَغًا لِيَقْبَلُوهَا، وَقَبِلُوا، وَقَلْنَا لَهُمْ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ﴾ حِينَ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بَدَلَ اشْتِمَالٍ مِمَّا قَبْلَهُ، بِإِعَادَةِ الْحَارِ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بَأَن أُخْرِجَ بَعْضُهُمْ مِنْ صُلْبِ بَعْضٍ مِنْ صُلْبِ آدَمَ، نَسْلًا بَعْدَ نَسْلِ؛ كَنَحْنُو مَا يَتَوَالَدُونَ كَالَّذِي بَدَلْنَا نَعْمَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ<sup>(١)</sup>، وَنَصَبَ لَهُمْ دَلَالًا عَلَى رُبوبيته، وَرَكَّبَ فِيهِمْ عَقْلًا ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قَالَ: ﴿الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أَنْتَ رَبُّنَا ﴿شَهِدْنَا﴾ بِذَلِكَ؛ وَالْإِشْهَادُ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَا ﴿يَقُولُوا﴾ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ<sup>(٢)</sup> فِي الْمَوْضِعَيْنِ؛ أَيْ: الْكِفَارِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا ﴿غَافِلِينَ﴾ لَا نَعْرِفُهُ.

[١٧٣] ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَنَا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ ﴿أَفَنَبْكُنَا كُنَّا نُعْبُدُهُمْ﴾ بِمَا فَعَلَ الْمُتَّبِعُونَ مِنْ آبَائِنَا؛ بِتَأْسِيسِ الشَّرِكِ؛ الْمَعْنَى: لَا يُمْكِنُهُمُ الْاجْتِهَادُ بِذَلِكَ مَعَ إِشْهَادِهِمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَالتَّذْكِيرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ الْمُعْجَزَةِ قَائِمٍ مَقَامَ ذِكْرِهِ فِي النَّفْسِ.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ﴾ يُبَيِّنُهَا مِثْلَ مَا بَيَّنَّا الْمِثَاقَ؛ لِتُبَيِّنُوهَا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَنْ كُفْرِهِمْ.

[١٧٥] ﴿وَأَتَى﴾ بِأَيِّ مُحَمَّدٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: الْيَهُودِ ﴿نَبَأٌ﴾ خَبَرٌ ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ خَرَجَ بِكُفْرِهِ؛ كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا؛ وَهُوَ: «بَلَعِمَ بِنَ بَاعُورَاءَ» مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٣)</sup>، شَيْئٌ أَنْ يُدْعَى عَلَى مُوسَى وَأَهْدَى إِلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَدَعَا فَانْقَلَبَ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>؛ وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ<sup>(٥)</sup> ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فَادْرَكَهُ فَصَارَ قَرِيبَهُ ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَىٰ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ﴾ بِهَا ﴿بَانَ نَوْقُهُ لِلْعَمَلِ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ سَكَنَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أَيْ: الدُّنْيَا، وَمَالَ إِلَيْهَا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فِي دَعَائِهِ إِلَيْهَا؛ فَوَضَعْنَاهُ ﴿فَمَسَّكُهُ﴾ صَبَغَهُ ﴿كَمَثَلِ الْكَفَّابِ﴾ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالزَّجْرِ ﴿يَلْهَثُ﴾ يَذْلُغُ لِسَانَهُ ﴿أَوْ﴾ إِنْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنَ الْخِيَوَانِ كَذَلِكَ؛ وَجَمَلْنَا الشَّرْطَ حَالًا؛ أَيْ: لَاهِنًا ذَلِيلًا بِكُلِّ حَالٍ، وَالْقَصْدُ التَّشْبِيهُ فِي الْمَوْضِعِ وَالْحَقِيقَةُ؛ بِقَرْنَةِ الْفَاءِ الْمَشْعُورَةِ بِتَرْتِيبٍ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الْهَوَى،

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْنَّبْلَ فَوَقَّهْمُ كَلَّهْمُ ظُلَّةً وَجَنَّا﴾ وَطَوَّرْنَا اللَّهُ وَاقِعَ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿وَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ كَمَثَلِ الْكَفَّابِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ إِنْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا رَبَّ لَهُ الْخَسِرُونَ﴾

وبقرينة قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَثَلُ ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ عَلَى الْيَهُودِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا؛ فَيُؤْمِنُونَ. [١٧٧] ﴿سَاءَ﴾ بِسَ ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ أَيْ: مَثَلُ الْقَوْمِ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ بِالْتَكْذِيبِ. [١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا تَلْبِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٢/١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِتَعْدُنَ - بِعَيْنِ عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذَرِيَّةٍ فَرَأَاهَا، فَفَرَّهْمَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالَّذِي، ثُمَّ كَلِمَهُمْ قَبْلًا قَالَ: ﴿الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (٢٤٥٥): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ إِسْنَادَهُ فِي الْمَشْكَاةِ (١٢١)، وَفِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الطُّحَاوِيِّ (٢١٩) وَنَعْمَانَ بِالْفَتْحِ: وَادٍ فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ يَخْرُجُ إِلَى عَرَفَاتِ.

(٢) بِالنَّاءِ قِرَاءَةُ أَنِي عَمْرُو، وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي الْمَشَارَ إِلَى هُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا﴾.

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥١/١)، وَالطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ (٨٢/٩)، وَالطَّبْرِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢١٩/٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٢٥/٢)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٢٥٠/٧): «رَوَاهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ وَرَجَلُهُ رَجُلٌ صَحِيحٌ». وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنِيرِ (٢٦٦/٣). وَفِي آيَةِ أَقْوَالٍ أُخْرَى، قَقِيلٌ: هُوَ أَمِيَّةٌ بِنَ أَبِي الصَّلْتِ، كَمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥٠٨/١) وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦٦/٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ كَمَا قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٢٥٠/٧). وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَبَلْعَامُ هَذَا قِيلَ: هُوَ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقِيلَ: كَانَ نَبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(٤) وَرَدَّ ذَكَرَ ذَلِكَ فِيْمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ الْمُعْتَمَرِ (يَحْيَى عَنْ سَيَارٍ) (الدَّرِّ الْمُنِيرِ ٢٦٨/٣).

(٥) قَوْلُهُ: (وَإِذْ نَفَخْنَا الْنَّبْلَ فَوَقَّهْمُ كَلَّهْمُ ظُلَّةً وَجَنَّا) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَسَّكُهُ كَمَثَلِ الْكَفَّابِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٧٦]: اخْتَلَفَ الْمُسَرِّوْنَ فِي مَعْنَاهُ، وَعَلَى سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ أَنَّ بَلْعَامًا انْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَتَشَبَّهَ بِالْكَلْبِ فِي لَهَيْتِهِ فِي كَلَّتَانِ حَالَتَيْهِ إِنْ زَجَرَ وَإِنْ تَرَكَ ظَاهِرًا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلُهُ فِي ضَلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ وَعَصْمِ اتِّفَاعِهِ بِالْإِيمَانِ وَعَدَمِ الدَّعَاءِ كَالْكَلْبِ فِي لَهَيْتِهِ فِي حَالَتَيْهِ؛ إِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ تَرَكَهُ هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ، فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالِدُّعَا إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمُهُ... (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٢٥٠/٢).

معاندة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقُونَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردة بها الحديث<sup>(١)</sup>، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» «قَادَعُوهُ» سَمُّهُ «يَهَا» وَدَرُوا، اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْجِدُونَ﴾ من ألحد ولحد<sup>(٢)</sup>؛ يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لأهلهم؛ كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان ﴿سَيَجْزُونَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث<sup>(٣)</sup>.

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنَ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ﴾.

[١٨٣] ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَذِيتُ مَبِينٌ﴾ شديد لا يطاق. [١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا يَصْصِيحُهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿وَمِنَ حَيْثُ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ينذر الإنذار.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان له ﴿مَا﴾؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانته ﴿وَمَا﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قُورَب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً؛ فيصبروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان ﴿فِيَّ﴾ حديث بعدد أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ هَادِيَ لَمْ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالباء والنون، مع الرفع<sup>(٤)</sup> استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيراً.

[١٨٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿آيَاتٍ﴾ مني ﴿مُرْسَهَا قَدْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عَلَّمَهَا﴾ مني تكون ﴿عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا﴾ بظهرها ﴿لَوْحَتِهَا﴾ اللام بمعنى: في ﴿إِلَّا هُوَ تَنَزَّلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على أهلها؛ لهرلها ﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَمَنَّةٍ﴾ فجاءه ﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قَدْ عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده - تعالى ..

وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحِجَمَكُمُ كَيْدًا مِّنَ الْغَيْبِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ قَادَعُوهُمَا وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَبِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْحَتِهَا إِلَّا هُوَ تَنَزَّلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَمَنَّةٍ يُسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عُلِّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ دَرَأْنَا﴾ خَلَقْنَا ﴿لِحِجَمَكُمُ كَيْدًا مِّنَ الْغَيْبِ وَالْإِنسِ﴾ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، الْحَقُّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله؛ بصر اعتباري ﴿وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبير واتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ مِنْ مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يخصصها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِثْرُ عَبْدِكَ وَإِثْرُ أَفْئِكَ... وفيه: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ تُسَمِّي بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...» الحديث [رواه أحمد برقم (٣٧٠٤ - ٤٣٠٦)]. وأما حصر الأسماء في التسعة وتسعين في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره؛ فلم يصح.

(٢) يشير إلى العراةين فيها، فيفتح الحاء قرأ حمزة، من «الحدة الثلاثي».

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمي بالحق يحكمون ويقضون وأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها» ﴿وَمِنَ قَوْرِ مَوْحٍ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. [الدر المنثور (٢٧٧/٣)].

(٤) بانون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالباء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجليه ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْفَعُهُ﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ مَا غَاب عَنِّي ﴿لَنَسْتَكْثِرُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين وَبَشِيرٌ بالجنة ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وبأنفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَحَمَرَتْ بِهِ﴾ ذهب وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة<sup>(١)</sup> ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آمَنَّا بِكَ﴾ ولذا ﴿صَلَحَا﴾ سويا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولذا ﴿صَلَحَا جَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنون<sup>(٢)</sup>؛ أي: شريكا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة آدم<sup>(٣)</sup>.

وروي سمره عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لَا يَعْشَى لَهَا وَلَدٌ - فَقَالَ: سُبِّحَ عَبْدُ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعْشَى؛ فَسَمَّيْتُهُ؛ فَعَاشَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ»<sup>(٤)</sup> إرواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب. ﴿فَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾. [١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها من أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. [١٩٣] ﴿وَإِنْ دَعَوْهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدْعَوْتُهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتَ صَاحِتُونَ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾ مملوكة ﴿أَمْثَلُكُمْ قَادَعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثُمَّ بَيَّنَّ غَايَةَ عِزِّهِمْ وَفَضْلَ عَابِدِيهِمْ عَلَيْهِمْ فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ جَمْعُ يَدٍ﴾ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ؟ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ استفهام إنكارى؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ يَكِيدُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ﴾ تهللون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي وإهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثبلة أهل الكتاب، ويُقَالُ لثمة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي احتاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والرواية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعمل عليه، فقوله - تعالى -: ﴿جَعَلَا لَكُم﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هنا قوله تعالى بعدها: ﴿فَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروي ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهدوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رَجَعَهُ اللَّهُ - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ١. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتخفيف قراءة نافع.

إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَا آجِبْتَهُمْ قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا فُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضَعُا وَيُخَفِّفُهُ وَدُونِ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَيِّئُوا وَكَلَّ وَكَسَبُوا سَبِيلَ الْغِيَاثِ ﴿٢٠٦﴾

[١٩٦] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١) فلا تقابلهم بسفاههم.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل.

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَافٌ﴾ (٢) وفي قراءة: ﴿طَافٌ﴾ أي: شيء ألم بهم ﴿مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره؛ فيرجعون.

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي الْغَىِّ تَدَّ﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر؛ كما تبصر المتقون.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ أي: لأهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَا آجِبُهُمْ﴾ هلاً ﴿أَجِبْتَهُمْ﴾ أنشأنا من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ﴾ حجج ﴿مِّنَ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا فُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة (٣)، وعبر عنها بالقرآن؛ لاشتغالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً (٤).

[٢٠٥] ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سراً ﴿نَضَعُا وَيُخَفِّفُهُ﴾ نللاً ﴿وَالْآصَالِ﴾ خوفاً منه ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: فصلاً بينهما ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَيِّئُوا وَكَلَّ وَكَسَبُوا سَبِيلَ الْغِيَاثِ﴾ أي: يخصصونه بالخضوع والعبادة؛ فكونوا مثلهم.

\*\*\*

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾ متولي أموري ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصص بن حذيفة، فنزل على ابن أبيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدينهم عمر - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أبيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمر، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعينيه، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وفقاً عند كتاب الله. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧) باب (٥)، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

(١) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقرآن في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩). والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح بجموعها عن مجاهد.

(٣) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً، متأكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يصر بك﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة<sup>(١)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.

وقال الشيوخ: كنا ردنا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتهم لقتلنا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ لَهُمُ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولُ﴾ يقسمها بأمر الله<sup>(٢)</sup>؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء [رواه الحاكم في المستدرک<sup>(٣)</sup>] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأصلحوا ذات بينكم، أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿حَقًّا﴾ [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا ثَلِثَتْ عَلَيْهِمْ أَيْسَرُ رَأْدَتِهِمْ إِيصَانًا ﴿تَصْدِقًا﴾ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿بِهِ يَقْرُونَ﴾ لا يغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدق بلا شك ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَأَنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم؛ فكذاك أيضًا، وذلك أن أبا سفيان قدم يغير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغتموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليزبوا عنها؛ وهم: النفي، وأخذ أبو سفيان بالغير طريق الساحل؛ فنجت؛ فقبل لأبي جهل: ارجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فاشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ فَوَافَقَهُ عَلَى قِتَالِ النَّفِيرِ<sup>(٤)</sup>»، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما

## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ يَكْفِيتَهُ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قال - تعالى: [٦] ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له. [٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلعة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿يَكْفِيتَهُ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُخَيِّقَ﴾

(٥) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فيها معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفل وسأيت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥). وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضًا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيبة - فأنبت به نبي الله ﷺ قال: «ذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت وبني ما لا يعمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلسي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله ﷺ: «ذهب فخذ سيفك». أحمد. المسند (١٨٠/١). وأخرجه مسلم. كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فعل من النفل كذا وكذا». قال: فقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يرموها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردنا لكم، لو انهزمت لقتلنا، فلا نذهبوا بالغنم وبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنازل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذاك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بما عاقبه هذا منكم، أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراء، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفته الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن -

(١) المستدرک (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عباد بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «قسمهما رسول الله ﷺ بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ  
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى  
وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُؤُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ  
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَرِّمَهُ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ  
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ  
﴿٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا  
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ كَفَرُوكُمْ فَذُوقُوا وَاللَّكَافِرِينَ  
عَذَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ  
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٧﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ  
دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ  
بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

أَلْحَقْ وَيُطِيلُ ﴿١﴾ يحق ﴿٢﴾ أَلْيَطَّلُ ﴿٣﴾ الكفر ﴿٤﴾ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥﴾ المشركون ذلك.

[٩] اذكر ﴿١٠﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴿١١﴾ تطلبون منه العون بالنصر عليهم ﴿١٢﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِالْفِ﴾  
﴿الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم  
صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفِ﴾<sup>(١)</sup>  
﴿كأنفس﴾ جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى  
وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُؤُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.  
[١١] اذكر ﴿١٢﴾ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً ﴿١٣﴾ أَمَّا مَا حصل لكم من الخوف  
﴿وَمِنَهُ﴾ - تعالى - ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَرِّمَهُ﴾. من الأحداث  
والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾، وسوسته إليكم؛ بأنكم لو كنتم على  
الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَى  
قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾  
أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير  
﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ  
الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين  
والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبته الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه  
سيفه<sup>(٢)</sup>، ورامهم ﴿بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحَصَى﴾؛ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه  
منها شيء؛ فهُزِمُوا<sup>(٣)</sup>. [١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾  
خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّى  
لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿فَلَا  
تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم لقائهم ﴿يُذْهِبُهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾  
منعطفًا ﴿لِقِتَالٍ﴾ بأن يريهم القوة مكيدة، وهو يريد الكرَّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾  
منعطفًا ﴿إِلَى فِتْنَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع  
﴿بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا  
مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعيف.

= نفينا عنها العدو وهزماهم. وقال الذين أحذقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحذقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾. فقسما رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نقل الربع، وإذا أقبل راجعا وكل الناس نقل الثالث. وكان يكره الأنفال. ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم». أحمد - المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٦، ١٣٥/٢)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أجز لي ما وعدتني. اللهم أت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعدي في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فلقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفنا مناقشتك ربك، فإنه سيسجز لك ما وعدك. فانزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾. فأمد الله باللائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقا. فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد باللائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرجه أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ يُذْهِبُهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرجه ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم فنظر إليه؛ فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريبا في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوتين. (مسلم ١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتُمْ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتُمْ﴾ بالحصى؛ لأن كُفَّا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بَشَرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإبصار ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ﴾ لأقوالهم ﴿عَلَيْدٌ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ﴾ مضعف ﴿كَيِّدُ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة»<sup>(١)</sup>؛ أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قُبل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴿لِقَالِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَأَنْ تَقْبَلُوا﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ ففتحكم ﴿جَمَاعَاتِكُمْ﴾ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿بَكْسَر﴾ «إِنْ» استئنافًا، وفتحها على تقدير اللام<sup>(٢)</sup>.

[٢٠] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاض؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الْهُمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحًا بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضًا، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عنادًا وجحودًا.

[٢٤] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ كَيْدُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ وَآيِهِ تَحْشُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجاريكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بن تَعْمُهُمْ وغيرهم، واتقوا ما يانكار موجبها من المنكر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما حاه في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضمر - بهجمة مصغرا - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٤٣١/٥)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٢٨/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢٧٠/٢) وفيه عنده زيادة: «...» وكان ذلك استفتاحه، فأرسل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤٦٤٦).

تَعُوذُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَ﴿١﴾ لَا تَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ما ائتمتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا آمَلْتُمْ وَأَوَلَدْتُمْ فَتَنَةٌ لَّكُمْ، ضَاةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والحيانة لأجلهم.

[٢٩] ﴿وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ﴾: ﴿يَأْتِيهَا الْيَتِيمَ ءَامِنًا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالإبانة وغيرها ﴿يَعْمَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتجنون ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَذَكَرَ يَا مُحَمَّدٌ﴾: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يؤثبوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ يقتلوك قتلًا رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنَازِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الخيرة، يخرجه؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿إِن﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَصْطِيرَ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهامًا أنه على بصيرة، وجزم بطلانه. قال - تعالى - [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ﴾ بما سأله ﴿وَأَنَّهُ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل غم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيا والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى - : ﴿لَوْ تَرَكْنَا وَلَدَنَا الْيَتِيمَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥).

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ فَوَافِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِصُرُوهٖ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامِنُوا لَاتَحْزَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَتَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا آمَلْتُمْ وَأَوَلَدْتُمْ فَتَنَةٌ لَّكُمْ وَتَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا الْيَتِيمَ ءَامِنًا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَازِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَصْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَمَا كُنَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَأَنَّهُ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٩﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَوَافِكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِكُمْ﴾ قواكم ﴿بِصُرُوهٖ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم. [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامِنُوا لَا

(٥) ما جاء في زول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَأَنَّهُ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به. شتيخاته، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه صفات مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. وليس فيه ذكر الانحياز بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٣/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.



[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نَّ﴾ لَا يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ ﴿بِالسَّيْفِ بَعْدَ خُرُوجِكَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: هِيَ نَاسِخَةٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَقَدْ عَذِبَهُمُ اللَّهُ بِدِرْ وَغَيْرِهِ ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ لَا وَلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صَفِيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تَصَفِيفًا أَوْ: جَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ صَلَاتِهِمْ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا<sup>(١)</sup> ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بِدِرْ ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ نَدَامَةٌ؛ لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَا فَصَدُوهُ ﴿ثُمَّ يُكَلِّبُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يَسْأَوُونَ. [٣٧] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«تَكُونُ» بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ<sup>(٢)</sup>؛ أَيْ: يَفْصِلُ ﴿الْخَبِيثَ﴾ الْكَافِرَ ﴿وَالطَّيِّبَ﴾ الْمُؤْمِنَ ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جِمَاعًا﴾ يَجْمَعُهُ مَتْرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ الْخَبِيرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَأَنِّي سَفِيَانٌ وَأَصْحَابِي: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَإِنْ يَبُوءُوا﴾ إِلَى قِتَالِهِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: سُنَّتُنَا فِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ؛ فَكَذَا نَفْعَلُ بِهِمْ.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ تَوْجِدَ ﴿فِتْنَةً﴾ شَرَكٌ ﴿وَيَكُونُوا الَّذِينَ كُفِّرُوا لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ، وَلَا يَمِيدَ غَيْرِهِ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ ﴿قَاتِلْهُمُ﴾ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ، فَيُجَازِيهِمْ بِهِ.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ نَاصِرَكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورَكُمْ ﴿وَيَعْمُ الْمَوْلَى﴾ هُوَ ﴿وَيَعْمُ النَّصِيرُ﴾ أَيْ: النَّاصِرُ لَكُمْ.

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعِدُ بِهِمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جِمَاعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ لَهُمُ الْخَبِيرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُوا الَّذِينَ كُفِّرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا قَاتِلْهُمُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

(١) قال القرطبي: ... وفي معنى الآية رد على الجهال من المصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر ينتزه عن مشه العفلاء، وينسبه فاعله بالمشركون فيما كانوا يفعلونه عند البيت اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿يُحْشَرُونَ﴾.

المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل خمس الخمس، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلهم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كاثون **﴿بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها<sup>(١)</sup> - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** البغدى منها **﴿وَالرَّكْبُ﴾** العير كاثون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ لِلْقِتَالِ﴾** لاختلفت في الميعاد ولكنكم جمعكم بغير ميعاد **﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾** في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فعمل ذلك **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيُحْيَى﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبشتم **﴿وَلَنَنزِعَنَّ﴾** اختلفتم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾** كُم من الفشل والتنازع **﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلًا﴾** نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَيَقْلُلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** نصير **﴿الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِبْتُمْ فَتَةً﴾** جماعة كافرة **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

**﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** وللرسول ولذي القربى واليتيم والمساكين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾** إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمع **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَنَنزِعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلًا كُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِبْتُمْ فَتَةً فَاتَّبَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤١] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار قهراً **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالْيَتِيمِ﴾** أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء **﴿وَالسَّبِيلِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾**



[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ۖ ۤأَلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۖ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿وَنَزَلَ فِي قِرْطَةَ<sup>(١)</sup>﴾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ۖ أَنْ لَا يُعِينُوا الْمُشْرِكِينَ ۖ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْفَ ۖ عَاهَدُوا فِيهَا ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في عذرهم.

[٥٧] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿تَتَّقْنَهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾ من المحاربين؛ بالتسكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعظرون بهم.

[٥٨] ﴿وَأَمَّا خِفَافٌ مِّن قَوَرٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأُذِنَ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَلَ فِيمَن أَفْلَتَ يَوْمَ بدر<sup>(٢)</sup>﴾: ﴿وَلَا تَحْصِينَ﴾<sup>(٣)</sup> يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحثانية، فالفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إِنْ﴾<sup>(٤)</sup> على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هِيَ الرُّغْمِي﴾ [رواه مسلم]<sup>(٥)</sup> ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُمْلِكُونَ﴾ تنقصون منه شيئا.

[٦١] ﴿وَأِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ الصلح ﴿فَاجْتَنِبْهُمْ﴾ وعاهدهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة<sup>(٧)</sup> ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثنى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ كَذَّابٌ ۖ ۤأَلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْفَ ۖ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ فَمَا تَتْلِفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَلَا يَذْكُرُونَ إِلَّا سَوَاءً ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَا يَحْصِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۖ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۖ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ ﴿٦١﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً؛ كتبديل كفار مكة إطاعتهم من جوع وأمنهم من خوف وَتَعَثَّ النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [الدر المنثور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لأن عامر.

(٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِقَوْلِهِمْ﴾. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٣] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِقَوْلِهِمْ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحتمال ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُمْ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

[٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَنْ آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

[٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّصْ عَلَى الْقِتَالِ﴾ حث ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألف ويقتلوا لهم، ثم يُخْبِرُ - لما كُتِبُوا - بقوله: [٦٦] ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعُفًا﴾ بضم الضاد وفتحها<sup>(١)</sup>، عن قتال عشرة أمثالكم<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: لقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] ﴿وَنَزَلَ - لَمَّا أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ﴾<sup>(٤)</sup> : ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتَ أَنْ تَكُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(٥)</sup> ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَذَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الَّذِينَ﴾ حطامها يأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها يقتلهم<sup>(٦)</sup> ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿لَمَّا مَتَا بَعْدَ وَلَمَّا فِيهَا﴾<sup>(٧)</sup>.

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ بِأَنْتُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعُفًا﴾ فإن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩). أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا بني الله، هم أبو بكر، ولكي أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيتا لعمر فأضرب عنقه؛ فون هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قنت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تكفي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تهايت ليكأنكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من بني الله ﷺ وأزول الله ﷺ ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتَ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَذَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ بِأَنْتُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد باللائكة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تزل الغنائم لأحد سود الرؤوس من فلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تزل لهم؛ فأزول الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالباء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

يَمَّا أَجَذَ مِنْكُمْ. من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة  
وَيَغْفِرَ لَكُمْ. ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿يُخَانَتُكَ﴾ بما أظهروا من القول  
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ﴾ بدر؛ قتلاً  
وأسراً؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في  
صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار  
﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾  
مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ ﴿بِكسر الواو وضحتها﴾ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم  
وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَقٌّ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر  
السورة ﴿وَلَنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْتُمْ﴾ النصير ﴿لهم على الكفار﴾ إلا  
على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد؛ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم  
﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث؛ فلا  
إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ  
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا  
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَغْفِرَ وَرَزَقَ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة  
﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا  
الْأَرْثِ﴾ ذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث؛ من التوارث في  
الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ  
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ  
مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا  
وَإِنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْتُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِسْقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي  
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ  
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ وَأُولُوا الْأَرْثِ  
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٧٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَت﴾ [الأسارى] (١) وفي قراءة:  
﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَأَنَّهُمْ رَجَبُهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] كان لرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر، ففسخ ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْثِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) سح ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر حمزة.

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون،  
أو: إلا آية، نزلت بعد المائة] (\*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم<sup>(١)</sup>. وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف<sup>(٢)</sup>. وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»<sup>(٣)</sup>، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت<sup>(٤)</sup>.

[١] هذه ﴿سُرَّةُ﴾ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَإِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عَهْدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُودُ﴾ سَبَّحُوا آمِينَ أَمَّا الْمُشْرِكُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةٌ﴾ أَتَمُّ ﴿أُولَئِكَ شَوَالٌ - دَلِيلٌ مَا سَيَأْتِي، وَلَا أَمَانٌ لَكُمْ بَعْدَهَا﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكَ عَزِيزٌ مُعْجِزٌ ﴿أَي: فَاتَّيَ عَذَابُهُ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَزَّى الْكَافِرِينَ ﴿مِثْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْآخِرَةِ بِالنَّارِ﴾ [٣] ﴿وَأَنَّ﴾ إِعْلَامٌ ﴿مَنْ﴾ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَ انْصَحَرُوا﴾ أَنْ: أَي: بَانَ ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَعَهْدُهُمْ ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بَرِيءٌ أَيْضًا، وَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا مِنَ الشُّعْبَةِ وَهِيَ: سَنَةِ تِسْعٍ، فَأَذَّنَ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنْ يَهْدِي بِهِدَى الْآيَاتِ، وَأَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ فِي الْبَيْتِ عَرِيانًا<sup>(٥)</sup> [رواه البخاري]. ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿وَهُوَ حَبِيرٌ لَكُمْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَزِيزٌ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِيرٌ﴾ أَخِيرٌ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ إِلَيْهِ﴾ مُؤَلِّمٌ؛ وَهُوَ: الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ مِنْ شُرُوطِ الْعَهْدِ ﴿وَلَمْ يَطْغَوْا﴾ يَعَاوَنُوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِنَ الْكُفَرِ ﴿فَأَتَوْا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَى﴾ انْقِضَاءِ ﴿مَدَّتِهِمْ﴾ الَّتِي عَاهَدْتُمْ عَلَيْهَا<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الْعَهْدَ﴾.

[٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خَرَجَ ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وَهِيَ أَجْزُ مَدَةِ التَّاجِيلِ<sup>(٧)</sup> ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا حُرْمًا﴾ وَخُذُوا حُرْمًا بِالْأَسْرِ ﴿وَأَحْصُرُوهُمْ﴾ فِي الْقِدَاعِ وَالْحَصُونِ، حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الْإِسْلَامِ ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طَرِيقَ يَسْلُكُونَهُ، وَنَصَبٍ ﴿كُلِّ﴾ عَلَى

بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسْجُودُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَزِيزٌ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَّنَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ حَبِيرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَزِيزٌ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِيرٌ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ إِلَيْهِ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَوْا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا حُرْمًا وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

نَزَعَ الْخَافِضُ ﴿فَإِن تَابُوا﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِمَنْ تَابَ.

[٦] ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مَرْفُوعٌ بِفَعْلٍ بِفَسْرِهِ ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ اسْتَأْمَنَكَ مِنَ الْقَتْلِ ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وَهُوَ دَارُ قَوْمِهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنْ؛ لِيَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دِينَ اللَّهِ؛ فَلَا بَدَ لَهُمْ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛ لِيَعْلَمُوا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثلاً رُل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ اكْتَمَلَتْ لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ وهي من المائة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٥٠، ٦٠٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمرة» من قبائل «بني بكر»، من «كنانة» قال: لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قریش» الذين أعانوا حلفاءهم «بنی دُلَّان» من «بنی بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرر له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب إليها لينجو بنفسه.

رَسُولِهِ ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ بِهِمَا غَادِرُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَوْمَ الْحُدُوبِ؛ وَهُمْ: قريش المستثنون من قبل (١) ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به، و«ما» شرطية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

[٨] ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْفُتُوا﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ هذا، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ نافضون للعهد.

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِعَاثِلِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بس ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ به عملهم هذا.

[١٠] ﴿لَا يَرْفُتُونَ فِي مَوْعِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحُزْنِكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ﴾ نين ﴿الْأَلْبَتِ يَقَوْمٌ يَسْلُمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٢] ﴿وَأِنْ نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ موافقهم ﴿بَيْنَ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ رؤسائه فيه، وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ﴾ عهد ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة: بالكسر (٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ عن الكفر.

[١٣] ﴿أَلَا﴾ للتخصيص ﴿فَتَقَاتِلُوا قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ عهدهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة - لما تشاوروا فيه بدار الندوة - ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أنخافوهم؟! ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُتُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) أَشْرَوْا بِعَاثِلِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْفُتُونَ فِي مَوْعِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحُزْنِكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ (١٢) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْ يُبَاخِرُ الرِّسُولَ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

[٧] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش.

(٢) أي: «لا إيمان لهم» وهي لابن عامر.



[١٤] ﴿فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيُضْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفَى صُدُورُ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرَبَهَا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كما في سفیان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمْ﴾ الله علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالافراد والجمع<sup>(١)</sup>؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا﴾ إلا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ<sup>(٢)</sup>.

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَفَنَ مَآمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْفَضْلِ﴾ والله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الكافرين، نزلت ردًا على من قال ذلك<sup>(٣)</sup>؛ وهو: العباس أو غيره<sup>(٤)</sup>.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ﴾ رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِكْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفَى صُدُورُ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقيت فيها احتلقتُم فيه. فأقول الله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فض الشهاد في سبيل الله.

(١) بالافراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (ترويه في العباس) [الدر المنثور (٣٩٥/٣)]: وأخرجه مسلم (٣٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقِيمٌ دائِمٌ.

[٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. [٢٣] وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَبَنُونَكُمْ ءَوِيَّةً إِنْ أَسْتَجَبُوا﴾ اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَكُفِّرْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰلِغُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنِّي فِي قِرَاءَةِ ۖ﴾: ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾: ﴿وَأَمْوَالٌ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ﴾ اكتسبتموها ﴿وَتَجَرَّةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاذها ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنِّي﴾ وَرَسُولُهُ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ فَقَعِدْتُمْ لِأَجَلِهِ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ ﴿فَتَرَضَّوْا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ ۖ لِلْحَرْبِ ۖ كَثِيرٍ ۖ كَبِيرٍ ۖ وَفَرِيقَةُ النَّصِيرِ ۖ وَ﴾ وَاذْكُرْ يَوْمَ حُنَيْنٍ ۖ وَإِذْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ۖ أَيُّ: يَوْمَ قَاتَلَكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانَ ﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا» مصدرية؛ أَيُّ: مَعَ رَحْبِهَا؛ أَيُّ: سَعَتِهَا؛ فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ؛ لِشِدَّةِ مَا لَحَقَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ مِنْهَزِينَ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سَفْيَانَ أَخَذَ بِرُكَايَةِ [٢٦] ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّدَتَهُ﴾ طَمَأْنِنَتَهُ ﴿عَنْ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُمُ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ (٢)، وَقَاتَلُوا ﴿وَأُنْزِلَ جُودًا لِّزُرَّهَا﴾ مَلَائِكَةٌ ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَلَا حَوَانَكُمْ ءَوِيَّةً إِنْ أَسْتَجَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰلِغُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَحْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَضَّوْا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّدَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأُنْزِلَ جُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعبة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ فذر؛ لحب باطنهم ﴿فَلَا يَفْرُقُوا الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ عام يتبع من الهجرة ﴿وَلَنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ﴾ بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُعْزِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتح والحزبة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والا لأنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالحمر ﴿وَلَا يَدِينُوا الْحَقَّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿وَمِنْ بَيَانِ لِلَّذِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حال؛ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يؤكلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يَضَعُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليدا لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ لنعمهم ﴿اللَّهُ أَفْ﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾ عُتَاةَ النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله<sup>(١)</sup> ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَّاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَفْرُقُوا الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا وَإِنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ فَسَوْفَ يُعْزِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يَضَعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنْ يَتُوفَّكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إلههم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه». كتاب

تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ﴾ يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُفُّونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الذهب والفضة ﴿وَلَا يُفْقَهُنَّ﴾ أي: الكون ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَيُبَشِّرُهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جَاهَهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْقَهُونَ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ (٣٥) أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في كتاب الله: اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَبَأَ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةَ حُرُمٍ﴾ مُحَرَّمَةٍ؛ ذو القعدة، وذو الحجة، وأحرم، وزَجَبٌ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِمْ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَلْفَةً﴾ جميعا في كل الشهر ﴿كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَفَّاهُ﴾ وأعلموا أن الله مع المتقين ﴿بِالنَّصْرِ﴾ (١).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّعَزَّزَهُ وَهُوَ لَوَكْرَهُ الْكُفْرُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُفُّونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْقَهُونَ فَذُكِّرُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِمْ أَنفُسَكُمْ وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَفَّاهُ كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَفَّاهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شَوْعُهُ وَبَرَاهِينُهُ ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّعَزَّزَهُ﴾ يظهر ﴿نُورُهُ﴾ وَلَوْ كَرِهَ الْكُفْرُونَ ذلك.

(٥) فائدة: 'خرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل وانهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ذلك تاما. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا، فوفي كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيقي من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم. كتاب الفتن وأشرط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا احلصة.

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كما مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فتخذه؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كفر فم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله ليهود الأموال. البخاري. كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكفر.

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمتقين، ومعية الله تعالى مع عبده نوحا؛ معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحية اللافقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا يَحِيطُ بِهَا وَمَا يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ إِنَّهُ كَانَ مُعَذِّبًا وَمَا يَرْضَىٰ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يصير أعمالهم من فوق عرشه، فعلمه لا يابض معية، ومعية لا تبطل عاوه.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُطَاطَأُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَزَمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْزَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ أَلَا تَنْفِرُوا بَعَثَ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ أَلَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحزمة شهر إلى آخره؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير مخزومة الحوم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ﴾ في الكفر ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿يُجَلِّونَهُ﴾ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ أَي: النسية ﴿عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُطَاطَأُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بذلك ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ النَّاسَ إِلَى غُرُورِهِمْ﴾ وكانوا في عسرة وشدة حوز، فشق عليهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> بإدغام التاء في الأصل في التلئة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتزم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَنْزَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿وَمِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٢٩] ﴿وَاللَّهُ﴾ بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين <sup>(٣)</sup> ﴿تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يَعِزُّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَنْصُرُوهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿سَتَبَدِّلَ﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتأييده.

[٣٠] ﴿أَلَا تَنْصُرُوهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: أُلجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) <sup>(٤)</sup> : ﴿لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المقلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن جرير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٤٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).



[٤٨] ﴿لَقَدْ اَسْعَوْا لَكُمْ اَلْفَتَنَةً مِنْ قَبْلِ اُولَ مَا قُدِمَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ﴾  
﴿وَسَئِلُوهُ لَئِنْ اَلْمُؤْمَرُونَ﴾ أَي: اَسْأَلُوا الْمُكَرَّم فِي كَيْدِكَ وَبِطَالِ دَيْدِكَ ﴿وَحَقَّ﴾  
﴿حِكْمَةُ الْحَقِّ﴾ النَّصْر ﴿وَنَظَرَكُمْ﴾ عَزَّ ﴿اَسْرَأَ اللَّهُ﴾ دَيْدُهُ ﴿وَهُمْ كَذِبُونَ﴾  
لَهُ؛ فَذَخِلُوا فِيهِ ظَاهِرًا.

[٤٩] «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَشَدَّنَّ لِي فِي التَّخْلِفِ وَلَا نَفْسِيَّ» وَهُوَ الْجُدُّ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلْدِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» فَقَالَ: إِنِّي مَغْرَمٌ لِلنِّسَاءِ، وَأَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَنْهُنَّ؛ فَأَقْتِنُ<sup>(١)</sup>. قَالَ - تَعَالَى -: «أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا» بِالتَّخْلِفِ، وَقُرئ: «سَقَطُ»<sup>(٢)</sup> «وَأَبْرَأَ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ» لَا مُحِصٍ لَهُمْ عَنِهَا.

[٥٠] ﴿إِنْ نُصِيبَكَ حَسَنَةً﴾ كَصَرِّ وَغَنِيمَةٍ ﴿سَوْفُمْ وَإِنْ نُصِيبَكَ مُصِيبَةً﴾ شِدَّةٌ ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا بِالْجَزْمِ حِينَ تَخْفِئُنَا مِنْ قَبْلِ﴾ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ ﴿وَيَسْتَوِلُوا وَهُمْ فِرْحُونَ﴾ بِمَا أَصَابَهُ.

[٥١] ﴿قُلْ لَهُمْ: لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ مَرْتَضُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي: تنتضرون أن يقع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ العاقبتين ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيه «حسنى» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَمَنْ تَرْتَضِ﴾ تنتظر ﴿بِكُمْ أَنْ يُبَيِّدَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَوْمًا مُمِرَّتْ أَعْيُنُكُمْ عَنْ مَنَازِلِهِمْ﴾ بقارة من السماء ﴿أَوْ يَذَلَّ مِنْكُمْ فِرْيَانًا يَدَّٰبِرُ﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَقَرَّبْصَا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ مَرْتَضُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] قَدْ أَفْقُوا ۖ فِي طَاعَةِ اللَّهِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ ۖ مَا أَفْقَمْتُمُوهُ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ فَوْقًا فَسَاقِينَ ۖ وَالْأَمْرُ هُنَا بِمَعْنَى الْخَيْرِ.

[٥٤] وَمَا مَعَهُمْ أُنْثَىٰ ۖ قَالَ فَاغْلُ ۖ (وَأَنْ يُغْلَ) مفعول ﴿كَقَوْمِ بَالِغَ﴾ بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْهُمْ﴾ نفعنهم ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ فاعل، (وَأَنْ يُغْلَ) مفعول ﴿كَقَوْمِ بَالِغَ﴾ بالياء ورسوله. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَلَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَبِينَ ۖ وَلَا يَنْفَعُونَ إِلَّا لَهُمْ يَعِدُنَ فَاغْلًا ۖ

لَقَدْ أَسْأَلُوا النَّفْثَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَالُوا إِنَّ الْأُمُورَ حَتَّى  
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَقُولُ أَمْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي الْأَفَى الْفِتْنَةُ سَقَطُوا لَوْلَا  
جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ إِنْ نَصَبَكَ  
حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ نَصَبَكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا أَقَدْ  
أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ  
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى  
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا  
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْتِ تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ  
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَذِينَ آفَرْتُمْ وُصُوءًا إِنَّا مَعَكُمْ  
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ  
مِنْكُمْ شَيْءٌ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾ وَمَا  
مَنْعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ  
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٢٤﴾

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس (الدر الثمور ٤٤٣/٣)، واختلف في تحسينه وتضعيفه؛ فحسه فريق بشواهدهم منهم صاحب الاستيعاب (٢٨١/٢ - ٢٨٣)، ومنهم من ضعفه كالنيسابوري وغيره كما في الجمع (٣٠/٧).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

﴿أَوْ مَخْلَاجًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوْلَا إِلَيْنَا يَوْمَهُمُ يَخِجُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلُورُكَ يَخِيقُكَ﴾ أي: قسّم ﴿فِي﴾ قسّم ﴿الْصَّدَقَاتِ إِنَّا أَعْطَوْنَا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفيها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنيننا وجواب (لوه): لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾ أي: الصدقات؛ من جاب وقاسم وكاتب وخاشر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا أو ثبت إسلامهم، أو يسلم نظراً لهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي - رضي الله تعالى عنه - لعز الإسلام، بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكٌ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْعَدْرِينَ﴾ أهل الدّين إن استدانوا غير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات النّين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القائمين بالجهاد من لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَأَيُّ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب يفعله المقدر ﴿وَيُنِ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم<sup>(١)</sup> إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت (اللام) وجوب استغراق أفرادها<sup>(٢)</sup>، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها. كما أفادته صيغة الجمع، وبينت الشّنة أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بغيته وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه -: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قيل وقيل، وإذا حلفنا أن أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿خَبَرِ لَكُمْ﴾ لا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، و(اللام) زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أَذُنٌ﴾ والجر<sup>(٣)</sup> عطفاً على ﴿خَبَرِ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْكَرُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَخْتَرُونَ مَلَجًا أَوْ مَعْرَاطٍ أَوْ مَدَحَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا يَوْمَهُمُ يَخِجَمُصُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلُورُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنِ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَدْرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيُّ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ خَبَرٌ لَّكُمْ يَوْمُنُ بِلِلَّهِ وَيَوْمُنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن بغيرها عليهم؛ فهي: استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب. [٥٦] ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْكَرُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون بغيرته. [٥٧] ﴿لَوْ يَخْتَرُونَ مَلَجًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَاطٍ﴾ سراديب

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الحويصرة الميمى فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: «وبلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرقون من الدين كما يقرق السهم من الرمية، ينظر في قلده فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نعليه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرت والدم. أيهم: رجل إحدى يديه. أو قال: ثنية - مثل ثدي المرأة. أو قال: مثل البضة تدر - يخرجون على حين فرقة من المسلمين. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على التثنية التي نعت النبي ﷺ قال: فترت فيه: «وَمِنْهُمْ مَّن يَلُورُكَ يَخِيقُكَ». البخاري - كتاب استنباط المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قال الخوارج للتأليف.

(١) ذكر الثوري عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من النبي ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المؤلفة قلوبهم. وعند الحابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح. والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فاللام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الوالي، فأبي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أثر ذلك الصنف بقدر ما يرى الوالي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن النخعي وغيره: إذا كان المال كثيراً ففرقه في الأصناف، وإذا كان قليلاً فأعطه صنفًا واحدًا... مع مراعاة الأشد حاجة... والله أعلم.

(٣) بالجر قراءة حمزة.



[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاهين، أو خبر «الله» أو «رسوله» محذوف.

[٦٣] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ يُعَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزء ﴿خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَخَذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَظْهَرًا مَا تَخَذَرُونَ﴾ لإخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لِيَقُولُوا﴾ معتردين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَكَلْبُ﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَيُّ اللَّهِ وَعَالِيهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كمخشي بن حمير<sup>(١)</sup> ﴿تُعَذِّبُ﴾ بالناء والنون<sup>(٢)</sup> ﴿طَائِفَةً﴾<sup>(٣)</sup> يَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصربين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: منسابهون في الدين؛ كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَنْ يُعَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ يَخَذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَكَلْبُ فَأَنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِمْ لَأَمٌ خَفِيٌّ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ لِيَقُولُوا يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ أَسْأَلُ اللَّهَ فَتَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿٦٨﴾

هِيَ حَسْبُهُمْ جزاء وعقاباً وَلَعْنَةُ اللَّهِ أبعدهم عن رحمته وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌّ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حمير».

(٢) بالبناء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفةٍ منكم تُعَذِّبُ طائفةً، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيها.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها فراءتان سبعتان: الأولى: ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفةٍ منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالرفع، والثانية: ﴿إِنْ نَقُفْ﴾ عن طائفةٍ منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَغْنَوْا ﴿٧٠﴾ تَتَعَمَّوْا ﴿٧١﴾ بِخَلْقِهِمْ ﴿٧٢﴾ نَصِيبُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٧٣﴾ فَاسْتَغْنَوْا ﴿٧٤﴾  
أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿٧٥﴾ بِخَلْقِكُمْ ﴿٧٦﴾ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ﴿٧٧﴾ وَخُضِّتُمْ  
فِي الْبَاطِلِ وَالطَّلَعِ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿٧٨﴾ كَالَّذِي خَاصُّوا ﴿٧٩﴾ أَيُّ: كَخَوْضِهِمْ  
﴿٨٠﴾ وَأُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨١﴾

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَ  
قَوْمُ هُودٍ وَكُودٍ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم  
شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾ قرى قوم لوط؛ أي: أهلها ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ  
يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ بالمعجزات؛ فكذبوهم؛ فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾  
بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز  
وعده ووعدته ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ  
أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا  
وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَغْنَوْا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَغْنَوْا بِخَلْقِهِمْ  
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِّتُمْ  
كَالَّذِي خَاصُّوا أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨١﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ  
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَكُودٍ وَقَوْمُ  
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا  
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
﴿٧٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ  
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٩﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا

(هـ) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقبل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ رِئَاسَةٌ عَلَى بَعْضٍ﴾.

قال الصاهر بن عاشور: وعبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض للإشارة إلى أن الأحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام؛ فهم فيها على السواء؛ ليس واحد منهم مقلداً للآخر ولا تابعا له على غير بصيرة؛ لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فكان بعضهم ناشئ من بعض في مذاهبهم...، التحرير والتنوير (٢٦٢/١١).

[٧٣] ﴿يَأْتِيَنَّكَ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكَفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز وَالْقِتْ ﴿وَمَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يُخَلِّفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿يَاللَّهُ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الشبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَازُ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالْيَمِينِ﴾ من الفتنك بالنبي ليلة العقبة عند عودهم من تبوك - وهم بضعة عشر رجلاً - فضرِبَ عمار بن ياسر وجماعة الرُّوَّاحِلِ لما عَشَرُوا فَرُّوْا<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا تَقْصُوا﴾ أَنْكُرُوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَيْهُمْ اللَّهُ وَيُسْأَلُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم<sup>(٢)</sup> ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿بِكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن الإيمان ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا يَصِيرُ﴾ بمنعهم.

[٧٥] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا، ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه، فدعا له؛ فوسع عليه؛ فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة<sup>(٣)</sup>؛ كما قال - تعالى -: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِهِمْ﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصر عاقبتهم ﴿بِفَقَاقٍ ثَابِتًا﴾ في قلوبهم إلى يوم يَلْقَوْنَهُ أي: الله؛ وهو: يوم القيامة ﴿بِمَا أَسْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُونَهُ﴾ وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بركاته، فقال: «إِنَّ اللَّهَ مُتَعَبِّئٌ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ» فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه<sup>(٤)</sup>.

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أشروا في أنفسهم ﴿وَوَجَّهْنَاهُمْ﴾ ما تاجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ. وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا. فنزل: [٧٩] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾

يَتَأْتِيَنَّكَ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَازُ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالْيَمِينِ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٠﴾

يعيبون<sup>(٥)</sup> ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المستقلين ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقهم؛ فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم<sup>(٦)</sup> ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرجه البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأى، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمرة.

(١) القصة أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن إيمان، وأخرجها ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرواحل وانظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ - ٤٦٦) وحسنه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «المغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستثناء منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعبها آخرون بالقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بديري، أنصاري، وعن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والمراجع أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والبارودي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عسك عن أبي أمامة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما أهل التفسير، والله أعلم». وقال البيهقي في الجمع (٢٣٧/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الأنهاني، وهو متروك». ولزبد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلب بن حاطب رضي الله عنه» للبهلي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه - شُخَّانَةً - مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشتق له اسم أو صفة منها، فلا يقال: سخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به - شُخَّانَةً - من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف.

بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ عَلِمَ آدَمُ لَوْ زِدَتْ عَلَى الشَّيْئَةِ غَفْرًا لَزِدَتْ عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضًا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى الشَّيْئَةِ»<sup>(٣)</sup>، فَيَنْ لَّهُمْ حَسَمُ الْمَغْفِرَةِ بآية: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»<sup>(٤)</sup> «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآلِهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تُنْفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك؛ فالأولى أَنْ يُقَرِّبُوا بَرَكِ التَّخَلُّفِ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كثيرًا جزاءً﴾ بما كانوا يكذبون ﴿خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

[٨٣] ﴿فَلَنْ رَجَعَكُمُ﴾ رَدَّكُمْ ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَأَسْتَدْرِكُ الْخُرُوجَ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهَمَّ فَلَيسُوا عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

[٨٤] ﴿وَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أُتَيٍّ نَزَلَ﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ»<sup>(٥)</sup> لدفن أُوَيْزَةَ»<sup>(٦)</sup> «إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَّا وَهُمْ فَاسِقُونَ» كافرون.

[٨٥] ﴿وَلَا تُجِيبْ أَمْوَالَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهْقٍ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَلَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ﴾ ذوو الغنى ﴿وَمِنْهُمْ وَكَانُوا دَرَكًا شَكَنَ مَعَ الْفَاسِقِينَ﴾.

اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لَكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تُجِيبْ أَمْوَالَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا دَرَكًا شَكَنَ مَعَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] «اسْتَغْفِرَ» يا محمد «لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» تخيير له في الاستغفار وتزكوه، قال ﷺ: «إِنِّي خِيْتُ فَاخِزْتُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري]<sup>(١)</sup> «إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» قيل: المراد

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرجه البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جراح ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه. فقام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خِيَرْتِي اللَّهُ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وسأزيد على السبعين» قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأقول الله: «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

(٢) البخاري (١٣٦٦) ..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعاً.

(٤) المناقب: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ جمع «خالفه» أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحيز.

[٨٨] ﴿لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في النال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المذورين، وقرئ به<sup>(١)</sup> ﴿يَتَأْتِي الْأَعْرَابَ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالسيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعقبي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إنهم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الإرجاف والتشيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿وَيَنْ سَبِيلَ﴾ طريق بالمواخذه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَحِمْكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال<sup>(٢)</sup> ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيَبُهُمْ فَيْضٌ﴾ تسيل ﴿وَيَنْ لِلْبَيَانِ﴾ الدَّمْعَ حَرْكًا ﴿لَأَجَلَ﴾ ألا يجحدوا ما يُنْفِقُونَ في الجهاد.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ فِي التَّخَلُّفِ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْكُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَبُهُمْ مِنَ الْفَيْضِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الخيلان لهم إذ هم معي في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء». ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سبعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبتة. فقال: أجب رسول الله بدعوك. فلما أتته قال: «شذ هذين القرنين - لست أبرة اتباعهن حينئذ من سعد - فاطلق بهن إلى أصحابك...». البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

قُلْ لَهُمْ: لَا تَعْدُوا لَنْ تَزِيدَ لَكُمْ: نَصَدَقَكُمْ: قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَاءِكُمْ: أَي: أَخْبَرْنَا بِأَحْوَالِكُمْ: وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَمَنْ تَرَدُّونَ: بِالْبَيْعِ إِلَىٰ عَلَيْهِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ: أَي: اللَّهُ: قِيَمَتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ: ﴿٥﴾ فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومدينة ﴿وَنَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُزُوتًا﴾ نُفِزَتْهُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَرُسُلًا إِلَىٰ صُلُوبِهِمْ﴾ دَعَاوَاتِ الرُّسُلِ ﴿لَهُ الْآيَاتُ الْبَاطِنَةُ﴾ أَي: نَفَقَتُهُمْ ﴿فُتُوتُهُ﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا ﴿لَهُمْ عِنْدَهُ سَيِّدَاتُهُمْ﴾ اللَّهُ فِي سَمَوَاتِهِ جَبَّتِي ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ﴾ لَأَهْلَ طَاعَتِهِ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِمْ.

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو

(٣) وهذا تفسير بالازم، فإز من المفسر من إثبات الصفة كما هو منهج الأشاعرة، وسبق التنبيه على أن منهج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سيخانة - من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[١٠٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وَالْأَصَارُ ﴿وَهُمْ مِنْ شَهِدٍ بَدَأُوا، أَوْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ﴾ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يَاجْتَنِبُ فِي الْعَمَلِ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ <sup>(١)</sup> ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِوَابِهِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فِي قِرَاءَةِ: بِزِيَادَةِ «مَنْ» <sup>(٢)</sup> ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمَنْ حَزَلَكُمْ﴾ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ﴿فِرَارَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ كَانَسَلَمَ وَأَشْجَعَ وَغَفَارٍ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ مُنَافِقُونَ أَيْضًا ﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْيَتَاقِ﴾ لِحُجَا فِيهِ وَاسْتَشْرَوْا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدُ لَهُمْ مَرَدُّنَ﴾ بِالْفَضِيحَةِ، أَوْ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابُ الْقَبْرِ ﴿فَمَنْ يَرُدُّوْا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هُوَ النَّارُ.

[١٠٢] ﴿وَمَنْ قَوْمٌ﴾ مَآخِرُونَ ﴿مَبْتَدَأُ﴾ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴿مَنْ التَّخَلُّفِ، نَعْتَهُ، وَالْحَبْرُ:﴾ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴿وَهُوَ جِهَادُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ اعْتَرَفَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ﴾ وَآخِرَ سَيِّئًا ﴿هُوَ:﴾ تَخَلُّفَهُمْ ﴿عَنْهُ﴾ أَنَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ أَوْتَفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي سَوَارِي الْمَسْجِدِ - لِمَا لَهُمْ مَا نَزَلُ فِي الْمُتَخَلِّفِينَ - وَحَلَفُوا لَا يَحْلَهُمْ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ؛ فَحَلَّاهُمْ لِمَا نَزَلَتْ <sup>(٣)</sup>.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمْ؛ فَاخْذُ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقْ بِهَا ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: ادْعُ لَهُمْ ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ﴾ قِيلَ: «طُمَأْنِينَةٌ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِقَبْلِ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ عَلَى عِبَادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ؟! وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْقَصْدُ بِهِ هُوَ تَهْيِيجُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ.

[١٠٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ، أَوِ لَنْتُمْ﴾: «اعْتَمَلُوا» مَا شِئْتُمْ ﴿فَسَبَّحُوا اللَّهَ عَزَّ وَرَّسُولَهُ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَرُدُّونَ﴾ بِالْبَعَثِ ﴿إِلَى عَلِيِّهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿فَيُشْفِقُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> فَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

[١٠٦] ﴿وَأَخْرُجُونَ﴾ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ ﴿[مُؤْجُونَ]﴾ بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ <sup>(٥)</sup>: مُؤْخَرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ ﴿إِنَّمَا يَعِدُهُمْ﴾ بِأَنْ يَجِيبَهُمْ بِلَا

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالْأَصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَاجْتَنِبُ فِي الْعَمَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِ <sup>(١)</sup> وَرَضُوا عَنْهُ بِوَابِهِ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي قِرَاءَةِ: بِزِيَادَةِ «مَنْ» <sup>(٢)</sup> خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ حَزَلَكُمْ فِرَارَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ كَانَسَلَمَ وَأَشْجَعَ وَغَفَارٍ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُنَافِقُونَ أَيْضًا مَرَدُّوْا عَلَى الْيَتَاقِ لِحُجَا فِيهِ وَاسْتَشْرَوْا لَا تَعْلَمُهُمْ خُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدُ لَهُمْ مَرَدُّنَ بِالْفَضِيحَةِ، أَوْ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابُ الْقَبْرِ فَمَنْ يَرُدُّوْا فِي الْآخِرَةِ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ هُوَ النَّارُ.

[١٠٢] وَمَنْ قَوْمٌ مَآخِرُونَ مَبْتَدَأُ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ مَنْ التَّخَلُّفِ، نَعْتَهُ، وَالْحَبْرُ: خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَهُوَ جِهَادُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ اعْتَرَفَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ وَآخِرَ سَيِّئًا هُوَ: تَخَلُّفَهُمْ عَنْهُ أَنَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ أَوْتَفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي سَوَارِي الْمَسْجِدِ - لِمَا لَهُمْ مَا نَزَلُ فِي الْمُتَخَلِّفِينَ - وَحَلَفُوا لَا يَحْلَهُمْ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ؛ فَحَلَّاهُمْ لِمَا نَزَلَتْ <sup>(٣)</sup>.

[١٠٣] خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ؛ فَاخْذُ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ أَي: ادْعُ لَهُمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ قِيلَ: «طُمَأْنِينَةٌ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ» وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

[١٠٤] أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِقَبْلِ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ عَلَى عِبَادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ الرَّحِيمُ بِهِمْ؟! وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْقَصْدُ بِهِ هُوَ تَهْيِيجُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ.

[١٠٥] وَقِيلَ لَهُمْ، أَوِ لَنْتُمْ: اعْتَمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَسَبَّحُوا اللَّهَ عَزَّ وَرَّسُولَهُ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَرُدُّونَ بِالْبَعَثِ إِلَى عَلِيِّهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ أَي: اللَّهُ فَيُشْفِقُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٤)</sup> فَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

[١٠٦] وَأَخْرُجُونَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ [مُؤْجُونَ] بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ <sup>(٥)</sup>: مُؤْخَرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ إِنَّمَا يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَجِيبَهُمْ بِلَا

توبة ﴿وَمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ بِهِمْ؛ وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الْآتُونَ بَعْدَ: مُرَارَةِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكُفْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، تَخَلَّفُوا كَسَلًا وَمِيلًا إِلَى الدَّعْوَةِ لَا نَفَاقًا، وَلَمْ يَعْتَدُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ كَغَيْرِهِمْ، فَوَقَفَ أَمْرُهُمْ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَهَجَرَهُمُ النَّاسُ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ بَعْدَ.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: «اَسْمَعُوا سَبَّحُوا اللَّهَ عَزَّ وَرَّسُولُهُ وَالْأَنْبِيَاءَ» ولا يستخفلك أحد. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الخافظ في الفتح (٥١٤/١٣): وقال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تغتر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره: أن المعنى: لا تغرَّك أحد بعمله فظن به الخير إلا إن رأيته واقفاً عند حدود الشريعة.

(١) حرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أثبتتها لنفسه على الوجه اللائق به - شيخنا - ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإثابة عليها.

(٢) لا بن كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٨٧/٣)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهد. (الاستيعاب ٣/٣٢٥).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

والحر، والنواسة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألو النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فيه﴾ أبداً. فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة ثلثي فيها الجيف ﴿لَتَسْجِدَ أُنَاسٌ﴾ نبئت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم خلقت يذار الهجرة؛ وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري (١) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ﴾ فيه رجالٌ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ أي يثيبهم (٢)، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في (صحيحه) عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ؟»، قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا (٣). وفي حديث رواه البزار: فقالوا: تتبع الحجارة بالماء (٤). فقال: «هُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْوه» (٥).

[١٠٩] ﴿أَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿رَبِّكَ وَاللَّهُ وَ﴾ رجاء ﴿وَرُضُونِ﴾ منه ﴿حَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شُكٍّ﴾ طرف ﴿جُرِّي﴾ بضم الراء وسكونها (٦)؛ جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَأَنهَارٍ يَدِ﴾ سقط مع ثانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير (٧)، تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير؛ أي: الأول خير؛ وهو مثال: مسجد قباء، والثاني مثال: مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّيْكَ﴾ شكاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لَآ أَن تَقَطَّعَ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته؛ كالجهاد ﴿وَأَنَّ لَهُمُ الْحِجَّةَ يَقْبَلُونَ﴾ في سبيل الله ﴿فَيَقْبَلُونَ وَيُسَلِّتُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة: بتقديم النبي للمفعول (٨)؛ أي: فيقتل بعضهم ويقتل الباقي ﴿وَسَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبَشِرُوا﴾ فيه النفات عن الغيبة ﴿بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ يَدِ﴾ وذلك ﴿الْبَيْعِ﴾ هو الْفَرُزُ الْعَظِيمُ الْمُبْتَلِ غَايَةُ الْمَطْلُوبِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ يَهِي فِيهِ نَارُ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّيْكَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحِجَّةَ يَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ يَدِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَرُزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾

[١٠٧] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ﴿وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ضِرَارًا مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بثوه بأمر أبي عامر الراهب؛ ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجند من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقاء؛ بصلابة بعضهم في مشجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترفقاً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بنائه؛ وهو: أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بينائه ﴿إِلَّا﴾ الفعللة ﴿الْحُسْنَ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرج أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فهم هذه الآية.

أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).

وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نوضاً للصلاة، ونغسل من الجنابة، ونستنجي بالماء.

قال: «هو ذاك فعليكموه». ابن ماجه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

(١) البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لفظة الهبة بأحد لوازمها وهو الإثابة، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف ﴿لَيْسَ كَيْتَبُوه﴾ شَيْءٌ وَهُوَ الْبَيْعُ الْفَرُزُ الشَّوْرَى: [١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويم بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠) والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها حمزة وشعبة وابن عامر. (٦) قدره؛ إشارة إلى أن خير ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) حمزة والكسائي.



[١١٢] ﴿التَّائِبِينَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ<sup>(١)</sup>؛ من الشرك والنفاق<sup>(٢)</sup> ﴿الْكَاذِبِينَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْمُتَّحِدِينَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِغُونَ﴾ الصائمون ﴿الْمُتَّحِدُونَ﴾ السَّائِغُونَ ﴿الْمُتَّحِدُونَ﴾ أي: المصلون ﴿الْأَمْرُونَ﴾ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَيُؤْتِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

[١١٣] وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لَعْنَهُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّاحِبَةِ لِأَبِيهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup> رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَوَّابًا مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل؛ فلا يتقوه؛ فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْحًا وَيُبَيِّتْ وَمَا لَكُمْ أُنْيَا لِأَنْ تَكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا يُصِيرُ﴾ يجمعكم عن ضربه.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي: آدم توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: وقفها؛ وهي: حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان تمرًا، والعشرة يعقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا القُرُوثَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَرِيحُهُ﴾ بالباء والياء<sup>(٤)</sup> تميل ﴿فَلَوْ بَرِيحٍ يَنْفُثُهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف؛ لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالباء ﴿إِنَّهُمْ يَهْمُ رَدُّهُ وَهُمْ لَا يَصِيرُ﴾.

التَّائِبُونَ الْعَالِمُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِبُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ ﴿١١٣﴾ كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَّابًا مِنْهُ ﴿١١٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَّابًا مِنْهُ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْحًا وَيُبَيِّتْ وَمَا لَكُمْ أُنْيَا لِأَنْ تَكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٣، ١١٤): أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية. فقال النبي ﷺ: «أبي، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾. وأخرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبيه، وهما مشركان، فقالت له: تستغفر لأبيك وهما مشركان؟ فقال: أليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

لترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

ورواه النسائي - كتاب الجنايز (٢١) باب (١٠٢) النهي عن الاستغفار للمشركين - وفيه: فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ الآية. ورواه أحمد - المسند (٩٩/١)، إسناده صحيح. فإظهار أن الآيتين نزلتا جميعاً، وأن الاختصار من تصرف الرواة.

(١) أي: هم التائبون.

(٢) متعلق بـ ﴿التَّائِبِينَ﴾.

(٣) مريم: ٤٧.

(٤) بالباء قراءة السبعة عدا حمزة وحفص.

﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحبتها أي: سعتها؛ فلا يجدون مكاناً يطمنون إليه ﴿وَسَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة؛ بتأخير توبتهم؛ فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَوَلَّوْا﴾ أبقوا ﴿أَنْ﴾ مخففة ﴿لَا مُلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وقفهم للتوبة <sup>(٥)</sup> ﴿يَسْأَلُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ.

[١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود، بأن تلتزموا الصدق.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفَلَآ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بأن يصونها عفا رضىة لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخير ﴿ذَلِكَ﴾ أي: النهي عن التخلف ﴿يَأْتُهُمْ﴾ سبب أنهم ﴿لَا يُبَيِّتُهُمْ﴾ طمأ ﴿عِشْ﴾ نصت ﴿تعب﴾ ﴿وَلَا تَخْصَمَهُ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَلَا يَطْفِقُ ﴿مَوْطِنًا﴾ مصدر، بمعنى: وطأ ﴿يَعِيطُ﴾ يغضب ﴿الْكُفَّارُ﴾ وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَدُوِّهِمْ لله ﴿يَتَلَاوْا أَسْرَارًا﴾ وَنَهَبًا ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ يجوزوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَعْمَالَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرهم بل يشيهم.

[١٦١] وَلَا يُقِيمُونَ فِيهِ نَفَقَةَ صَغِيرَةٍ وَلَا تَمْرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا بِالسَّيْرِ إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَي: جزاءهم.

﴿١٢٢﴾ وَلَمَّا وَبَّخُوا عَلَى التَّخَلُّفِ، وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً نَفَرُوا جَمِيعًا؛ فَنَزَلَ: ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا﴾ إِلَى الْغَزْوِ ﴿كَأَنَّهُمْ قُلُوبًا﴾ فَهَلَّا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قَبِيلَةٌ ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ، وَمَكَثَ الْبَاقُونَ ﴿لِیَنْفَقُوا﴾ أَيْ: الْمَاكُوثُونَ ﴿فِي الْبَلَدِیْنِ وَیُزَادُوا قُوَّةَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْغَزْوِ؛ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا تَعْلَمُوهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿لَعَلَّهُمْ یُحْذَرُونَ﴾ عِقَابَ اللَّهِ؛ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَهَذِهِ مَخْصُوصَةٌ بِالسَّرَايَا<sup>(١)</sup> وَالَّتِي قَبْلِهَا النَّبِيُّ عَنْ تَخَلُّفٍ وَاحِدٍ إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ  
بِمَآرِحَبَتِ وَضَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْا أَن لَّا مَلْجَأَ  
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ  
الصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِيْنَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ  
مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا  
بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ  
وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَقْطَعُونَ مَوْطِئًا  
يَعِيطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنْتَلُونَ مِنْ عَدُوٍّ تِيْلًا إِلَّا كُتِبَ  
لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ  
﴿١٢٠﴾ وَلَا يَفْنَوْنَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ  
وَادِيًّا إِلَّا لَآكُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً  
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ  
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

[١١٨] ﴿و﴾ تَاب ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَفَوْا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٧ - ١١٩) : أخرجه البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك. وكان قائلاً كعب من بني جهم عيسى . قال : سمعت كعب بن مالك يحدث ، حين تخلف عن وصية قورق ... (وذكر قصة تخلفه حتى تاب الله عليه وقال في خبر نزول توبته) : فلما صليت صلاة الفجر ، وضع خمسين ليرة ، وأنا على ظهر بيت من ثوبت فينتا ، ما جالس على الحال التي ذكرها الله قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت ضارب أوفى عني خيل تلح بأعلى صوته ، يا كعب بن مالك . أتيسر قال فخرت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء قورق ، وأذن رسول الله ﷺ بربوته عني ، فتابعت رسول الله ﷺ صلاة الخسوف ، فذهبت الشمس فيشربونك ، ودعيت قبيل صاحبي فيشربون ، وركضت إلي رجل قرصا وسعى ساع من ائمنه فأوفى علي الجني ، وكان الصوت أشدع من الفرس ، فلما جاني الذي سمعت صوتته يمشيني ، ترننت له ثوبي فمكتوت إقامته ، يشره والله ما أفعل غيرهما فوجدوا واشترعوا ثوبتي فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت لئالي الثامر ، فوجا فوجا ، يهتوي بالثوبتي ، يقولون لهنك ثوبتي الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الثامر ، فقام إلي ملدعة من عبيد الله يهزول ، حتى صافحني وعانني ، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنشأها ليلتك . قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال : رسول الله ﷺ . وهو يرفق وجهه من العور . : «أتيسر بخير مني عابك منذ ولدتك أمك» ، قال كعب أرى عيتوك ؟ يا رسول الله ، أم من عبد الله . قال : «لا» من بني عبد الله ، وكان رسول الله ﷺ إذا مشوا اشتار وجهه ، حتى كأنه قطعة قمر . وكذا تعرف ذلك منه ، فلما جلست بيء بتدتي قلت : يا رسول الله إن من ثوبي أن أدخلك من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : «أفيسك عليك بعض مالي» ، فهو خير لده ، قلت : فإني أفسدك سهني الذي يخبر ، فقلت : يا رسول الله إن إقامتي بالصدق ، وإن من ثوبي أن لا أدخل إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبداه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن من إبلاي ، ما تعففت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . ثوبي هذا كذب ، وإنني لأرجو أن يغفلي فيمسا يبيت ، وأزل الله علي رسول الله ﷺ . «لقد نكح الله كل النبي والكاهن» ، وإن قوله «كروا مع الصديقين» فوالله ما أعلم الله علي من بغية قط بعد أن هداني إلى الإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ . «لا تكون كذبت» ، فقلت كما فعلت كذبتا ، وإن الله قال للذين كذبوا حين أئزل ثوبي شرو ما قال أن أفهم قتال هزوك وتعال : «ستحرمون بالله لستم إذا أنفقتن» ، وإن قوله : «فأنت الله لا سمن عن القوم النذيين» قال كعب وثكنا خلفنا أيتها اللاتنة ، عن أمر الله الذين قبل منهم شره والله ﷻ حين خلفنا الله ، فتابعتهم وأشفقوا لله ﷻ ، وأرجأ رسول الله ﷻ أمرنا ، حتى قضى الله علي فبذل قال الله ﷻ «وكل الكذبة أليست كذبا» . وليس الذي ذكر الله ، بل خلفنا في الغزو ، وإما هو تخليفه إيانا وإن جاءه أمرنا ، عمن خلف له ، واشترى إليه قبيل منه . البخاري . كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٩) حديث كعب بن مالك .

(١) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَفِهُوا﴾ **كَفَهُ**، يعني ما كان المؤمنون يستفهموا جميعاً ويتركوا النبي ﷺ وحده ﴿فَلَوْلَا نَصْرُ مَن كَانَ فِيهِمْ لَأَبْهَتَهُمْ طَائِفَةٌ﴾، يعني عصبة؛ يعني السرايا، فلا يسيرون إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلمه القاعدون النبي ﷺ قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنًا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ويبحث سرايا أخرى، فذلك قوله: ﴿يَسْتَفْهِمُوا فِي الَّذِينَ﴾، يقول: يتعلمون ما أنزل الله عليه نبيه ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَمَّا لَهُمْ بَدَارُكَ﴾. [الدر المنثور (٥٢١/٣)].

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ: الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ مِنْهُمْ﴾ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً شَدَّةً: أَي: أَغْلَظُوا عَلَيْهِمْ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِّنَ الْقُرْآنِ فَجَاهِهِمْ﴾ أَي: الْمُنَافِقِينَ ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لِأَصْحَابِهِ اسْتَهْزَاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضَعْفُ اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كَفَرُوا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ؛ لَكُفْرِهِمْ بِهَا ﴿وَسَاءَلُوا وَهُمْ كُفْرُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بِالْبَاءِ: أَي: الْمُنَافِقُونَ، وَالتَّاءِ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يَتَلَوْنَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالْفِطْحِ وَالْأَمْوَاضِ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيهَا ذِكْرُهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يَرِيدُونَ الْهَرَبَ، يَقُولُونَ: ﴿هَذَا يَرْكَبُكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قَمِعْتُمْ؛ فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحَدٌ قَامُوا، وَلَا تَبَتُّوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَىٰ ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ؛ لَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْكُمْ؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ شَدِيدٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أَي: عَنَتَكُمْ؛ أَي: مَشَقَّتْكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَهْتَدُوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ رَحِيمٌ ﴿يُرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ﴾.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَتَقَشَّ لَا بَغْيَ لَهُ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ ﴿الْعَظِيمِ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ أَنَسٍ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ  
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ  
وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ  
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ  
يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ  
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَّأَوْهُمْ كُفْرُونَ أَوَلَا  
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ  
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ وَإِذَا مَا  
أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَوْكُمْ  
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ  
لَّا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ  
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(١) بالناء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصواب أن العرش غير الكرسي، فالكرسي موضع القدمين له - شَيْخَانَةٌ -، أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن - جُلُ فِي غَلَاةٍ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٨/٢)، وأخرجه أحمد في المسند (١١٧/٥)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وورد أيضًا أنها: ﴿وَأَلْفُوا يَوْمًا تُرْجِمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح - وغيره من العلماء - آخريه آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستمرة لخاتمة النزول [الفتح (٥٣/٨)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ۚ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّنَا لَأَعْلَمُ الْبُتُونَ ۚ إِنْ هَذَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ وَإِنَّمَا تَأْوِيْنُهُمْ فِي سَنَةِ أَيْامٍ ثُمَّ أُسَوَوْنَ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَهُدُّهُ ذَلِيلٌ ۚ كُفِّرُوا كُرْهُكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ فَلَا تَذْكُرُونَ ۚ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِينَ ۚ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝

## سورة يونس

[مكية إلا: ١٠] فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ الْآيَاتِينَ، أَوْ: الثلاث، أَوْ: [وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ] الآية. مائة وتسع، أَوْ: وعشر آيات، نزلت بعد الإسراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١٧] «الرَّ» الله أعلم بمراده بذلك. «تِلْكَ» أي: هذه الآيات «ءَايَاتُ

الْكِتَابِ» القرآن، والإضافة بمعنى «مِنْ» «الْكِتَابِ» المحكم.

[٢] «أَكَانَ لِلنَّاسِ» أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: «عَجَبًا» بالنصب خبر «كان»، وبالرفع اسمها<sup>(١)</sup>، والخبر وهو اسمها على الأولى: «أَنْ أَوْحَيْنَا»؛ أي: إوحاؤنا «إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ» محمد ﷺ «أَنَّ» مفسرة «أَنْذِرُ» خَوْفُ «النَّاسِ» الكافرين بالعذاب «وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ» أي: بأن «لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ» سلف «صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أي: أجرا حسنا بما قدموه من الأعمال «نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ» إن هَذَا القرآن المشتمل على ذلك «لِئَسِّرَ»<sup>(٢)</sup> مُبِينٌ «يَسِّرَ» وفي قراءة: «لِئَسِّرَ»، والمشار إليه النبي ﷺ.

[٣] «إِنَّ رَبَّنَا لَأَعْلَمُ الْبُتُونَ» الذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَنَةٍ أَيَّامٍ من أيام الدنيا، أي: في قدرها، لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لحة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثبوت «ثُمَّ أُسَوَوْنَ عَلَى الْعَرْشِ» استواء «يَلْبِقُ بِهِ» يُدِيرُ الْأَمْرَ بين الخلائق «مَا مِنْ» صفة «شَفِيعٍ» يشفع لأحد «إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَهُدُّهُ ذَلِيلٌ» ردًا لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم «ذَٰلِكُمْ» الخالق المدبر «اللَّهُ رَبُّكُمْ» فاعْبُدُوهُ «وَعُدُّهُ» أَفَلَا تَذْكُرُونَ «يَادْعَا النَّاسَ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ»<sup>(٣)</sup>.

[٤] «إِلَيْهِ» تعالى «مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا» مصدران منصوبان بفعلهما المقدر «إِلَيْهِ» بالكسر استئنافًا، والفتح<sup>(٤)</sup> على تقدير الهم «يَبْدَأُ الْخَلْقَ» أي: بدأه بالإنشاء «ثُمَّ يُعِيدُهُ» بالبعث «لِيَجْزِيَ» يثيب «الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ» الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ «مَاءٌ بَالِغُ نَهَائِهِ الْحَرَارَةِ» وَعَذَابٌ أَلِيمٌ «مَوْلَمٌ» يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ «أي: بسبب كفرهم».

[٥] «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً» ذات ضياء؛ أي: نور «وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ» من حيث سيره «مَنَازِلَ» ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً «لِتَعْلَمُوا» بذلك «عَدَدَ السَّيِّنِينَ وَالْحِسَابَ» مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ الْمَذْكُورَ إِلَّا بِالْحَقِّ «لَا عِشَاءَ» تعالى عن ذلك «يُفَصِّلُ» بالياء والنون<sup>(٥)</sup> «بَيْنَ» الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يتدبرون.

[٦] «إِنَّمَا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان «وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ» من ملائكة، وشمس، وقمر، ونجوم، وغير ذلك «وَمَا فِي الْأَرْضِ» من حيوان، ونبات، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها «لَآيَاتٍ» دلالات على قدرته تعالى «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» فيؤمنون، خصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وفالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بنخفيف الذال (تَذْكُرُونَ): حفص وحزمة والكسائي وحلف.

(٤) ظاهرها أنها بالفتح قراءة سبعية وليس كذلك، بل هي عشيرة لأبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة.

[٧] ﴿إِنَّ الْذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لإنكارهم لها ﴿وَالْمَأْثُورَ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا دَلَالٌ وَحْدَانِنَا﴾ عَنُقُولُونَ ﴿تَارِكُونَ النَّظَرَ فِيهَا﴾.

[٨] ﴿أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ يَهْدِيهِمْ﴾ به بأن جعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ﴾.

[١٠] ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم <sup>(١)</sup> ﴿وَقِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقَضَى﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل <sup>(٢)</sup> ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ بالرفع والنصب <sup>(٣)</sup> بأن يهلكهم، ولكن يهلكهم ﴿فَتَذَرُكَ﴾ تترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي مُلْكِنَا﴾ يترددون متحيرين <sup>(٤)</sup>.

[١٢] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلْإِنْسَنِ الْكَافِرِ الضَّرَّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَا لِحَبِيئِهِ﴾ أي: مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً أي: في كل حال ﴿فَلَنَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرْمَهُ مَرَّةً﴾ على كفره ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمِ مَسْئِهِ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿وَزَيْنَ لِلْمُتَّسِرِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ الْأُولَى﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا أهل مكة ﴿لَنَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ﴾ عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿تَجْرَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَتَذَرُكَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْجَنَّةَ أَوقَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرْمَهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمِ مَسْئِهِ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُتَّسِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ كَذَلِكَ تَجْرَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فنصدقوا رسلنا؟.

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسييح الله وتقديسه، وخاتمة دعائهم الذي هو التسييح أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللَّهُمَّ لَا تَارِكْ فِيهِ وَالعنه. ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. [الدر المنثور (٣٤٦/٥)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠).

باب (١) الترجمة.

يَكُونُ ﴿١٦﴾ بِنَعْيٍ ﴿١٦﴾ أَنْ أُسْذِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي قِيلَ ﴿تَقْسِيْ إِنَّ﴾ مَا أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُؤْتِي إِلَيَّ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيَّ بِبَدِيلِهِ ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[١٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكْتُكُمْ﴾ أعلمكم ﴿بِهِ﴾، و«لا» نافية عطف على ما قبله، وفي قراءة<sup>(١)</sup>: «بلام جواب «لو»»؛ أي: لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ﴾ عُمُرًا سِنِيًّا<sup>(٢)</sup> أربعين ﴿مَنْ قَبْلَهُ﴾ لا أحد نكحكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي.

[١٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقْدَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُلْقِي﴾ يسعد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَتُنَبِّئُوكَ اللَّهُ تَخْبِرُونَهُ﴾ ﴿بِمَا لَا يَسْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار؛ إذ لو كان له شريك لعلمه؛ إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام، من لدن آدم إلى نوح<sup>(٣)</sup>، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَفُتِّي بِلَهْمٍ﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فِيَمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد؛ أي: أمره ﴿إِلَهِ﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما على التبليغ ﴿فَانظُرُوا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾.

وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْتَانَا يَسْتِ قَالَ الذِّبْتَ لَا تَرْجُوتَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرِكْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِمَّنْ قَبْلَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْتَانَا﴾ القرآن ﴿يَسْتِ﴾ طاهرات، حال ﴿قَالَ الذِّبْتَ﴾ لا يرجون لقاءنا لا يخافون البعث: ﴿أَتَيْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ليس فيه عب آلهتنا ﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿مَا

(١) لابن كثير، بحلف عن البري، وتكون الامم للتأكيد؛ أي: ولأفترأكم.

(٢) وجري المفسر فيه على طريقة من يجعله مثل «حين» ومنه حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ نَبِيًّا كُنَيْتَيْنِ يُوشِفُ» في إحدى الروايتين.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الصحيح؛ فإن قوم نوح الصلوة كانوا هم أول من كفر بالرحمن وعبد الأوثان من الأمم.

[٢١] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَكَّنَّا لَكُنْ لَهُمْ مَكْرًا فِي مَا بَيْنَانَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلْ لَهُمْ: اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة<sup>(١)</sup> ﴿إِنْ رُسُلُنَا الْخَفِظَةُ يَكْتُمُونَ مَا تَكْذُرُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(٢)</sup>.

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِئُكُمُ الْفُلْكَ﴾ وفي قراءة: ﴿يُنْشِئُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ السَّفِينِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ فِيهِ الْفُلُكُ عَنْ الْخَطَابِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ لَيْتَهُمْ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ شَدِيدَةُ الْهَبُوبِ تَكْسِرُ كُلَّ شَيْءٍ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ أَي: أَهْلِكُوا دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الدَّعَاءُ لَيْتَ لَمْ نَقْسَمْ أَفْجَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ الْمُوحِدِينَ.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ بِعِثُونٍ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ الْحَقَّ بِالشَّرْكِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْكُمْ ظَلَمَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن إثمهم عليها هو [مَنْعُ]<sup>(٤)</sup> السَّيِّئَةِ الدُّنْيَا تمتعون فيها قليلاً ﴿فَدُّوا إِلَيْنَا رَحِمَتَكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنَنْفِثْكُمْ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب ﴿مَنْعُ﴾<sup>(٥)</sup> أَي: تمتعون.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ صِفَةِ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاوٍ مَطَرٍ﴾ ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿بَثَّ الْأَرْضَ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿يَمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا وَالْأَنْفَعُ مِنَ الْكَلْبِ﴾ حَتَّى إِذَا أَغْذَى الْأَرْضُ زُرْعَهَا بهجتها من النبات ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ بالزهر، وأصله: تربت أبليت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَطَرَسَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ تَنْدُرُونَ عَنِّي﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَيْنَاهُمْ أَمْزَانًا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لِيَلَا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَوُغْنَ بِالْمِيسِ﴾ كَأَنَّهَا كَانَتْ تَقَعُ تَكُنُ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَقْصِلُ نُفُوسَ النَّاسِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَنَهْدِي مَنْ نَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٦)</sup>.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ أَي: السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٧)</sup> دين الإسلام.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الواس بن سمعان الكلبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفِي - أَيِ جَانِبِي - الصِّرَاطِ زُورَانِ - أَيِ: حِدَارَانِ - لِهَمَّا أَبْوَابُ مُفْتَحَةٍ، عَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ» وَهُوَ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

والأبواب التي على كنف الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه. الترمذي. كتاب الأمثال (٤٥) باب (١) ما جاء في مثل الله لعباده، وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٩٥).

(١) وحقيقة المكر هو التدمير الحكيم في إزال العقوبة بالجزم من حيث لا يشعر، فهو أحص من مطلق المجازاة؛ فالكر من الله سبحانه بدير لرد كيد الكائد في تحره وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله وسعيه وبيته، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سبقت له مدح وكمال، ونشنتها لله ﷻ على ما يليق به. شيخنا - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمس ولا تكيف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعية وليس كذلك، بل هي عشرية لرؤح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للسبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.





[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَوْفِيقِي﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُنْعِمَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾ يهدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ أحق أن ينعم؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا غُلًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَكِنْ أَنْزَلَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَبَّ شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمُنْكَرِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَصْدِيقَ﴾ أو «أنزل» المحذوف، وقرئ<sup>(١)</sup> برفع ﴿تَصْدِيقَ﴾ و﴿تَفْصِيلَ﴾ بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ بَلْ أَهْوَى قَوْلُهُمْ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ يَسْلُوهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَأَدْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا<sup>(٢)</sup> على ذلك.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِغَيْبِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَأَنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿أَنْتُمْ رِبِّيُّونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَوْفِيقِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنْعِمَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا غُلًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةً مِثْلَهُ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِغَيْبِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وهي نسخة: «تقدروا» بالباء، والمثبت أظهر.

القبور ﴿لَا سَاعَةَ مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأحوال، والجملة حال مقدرة<sup>(١)</sup>، أو متعلق الظرف<sup>(٢)</sup> ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المريدة ﴿رَبُّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ تَرْفَعُكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ ﴿عَلَّ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يظْلُمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَن هَذَا الْوَعْدِ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [٤٩] ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ لِنَفْسِي ضَرْأٌ﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْصِرُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن أَنْتُمْ عَذَابُهُ﴾؛ أي: الله ﴿يَسْتَأْذِنُ﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهِ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمَر، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَنزَلْنَا مَا وَقَعَ﴾ خُلِّ بِكُمْ ﴿ءَامَنُتُمْ بِهِ﴾ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَالْتَنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُفَعُوا عَنَّا الْخُلْدُ﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تَجَزُّونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿وَسَنَسْأَلُكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾ نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بغايتين العذاب.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا نُرِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَا أَتْلُوهُ لِنَفْسِي ضَرْأٌ وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَنَا عَذَابُهُ بَيْنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَنَا إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُتُمْ بِهِ ءَالْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُفَعُوا عَذَابُ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِيَّايَ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتمام، بل أعظم ﴿فَأَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَشْدُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> كان؛ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَلْسُوا﴾ في الدنيا أو

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٣) أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: «يوم»، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نحشرهم.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كُفِرَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِوَهٍّ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤسائهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافة التعبير ﴿وَقُصِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلاقين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ يَوْمَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[٥٧] ﴿يَتْلُوهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَدَجَّ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ﴾ الإسلام ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ القرآن ﴿فِي ذَلِكَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ﴾ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من الدنيا والباء والباء<sup>(١)</sup>.

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ خلق<sup>(٢)</sup> ﴿لَكُمْ مِنْ زَرْعٍ فَبَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَسَلَكْتُمْ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ﴾ والميتة ﴿قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحرير ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسُ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

[٦٠] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْقِبُهُمْ؟! لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ أي: من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أنزله عليكم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأُميته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَمَا عَلَّمَكُمُ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفَيْصُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَنْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر غلّة

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ يَتْلُوهَا النَّاسُ أَهْلُ مَكَّةَ فَدَجَّ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ كِتَابٌ فِيهِ مَا لَكُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَشِفَاءٌ دَوَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْعُقَدِ الْفَاسِدَةِ وَالشُّكُوكِ وَهُدًى مِنَ الضَّلَالِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ الْإِسْلَامَ وَرَحْمَتَهُ الْقُرْآنَ فَبَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَسَلَكْتُمْ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْمَيْتَةِ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيرِ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسُ تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ ﴿٥٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ خَلْقًا لَكُمْ مِنْ زَرْعٍ فَبَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَسَلَكْتُمْ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْمَيْتَةِ قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيرِ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسُ تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ ﴿٦٠﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَي: أَي شَيْءٍ ظَنُّهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْقِبُهُمْ؟! لَا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ بِإِمِهَالِهِمُ وَالْإِنْعَامَ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ وَمَا تَكُونُ يَا مُحَمَّدُ فِي شَأْنٍ أَمْرٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ أَي: مِنْ الشَّأْنِ أَوْ مِنَ اللَّهِ مِنْ قُرْآنٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ وَلَا تَعْمَلُونَ خَاطِبُهُ وَأُمِّيَّتُهُ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَمَا عَلَّمَكُمُ الشُّهُودَ رِقَبَاءَ إِذْ تُفَيْصُونَ تَأْخِذُونَ فِيهِ أَي: فِي الْعَمَلِ وَمَا يَنْزُبُ يَغِيبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَزَنَ ذَرَّةٍ أَصْغَرُ غَلَّةٍ

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّنٌ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

(١) بالناء لابن عامر.

(٢) الأقرب: كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ. أَنْ يَحْمِلَ الْإِنْزَالَ عَلَى مَعَاهِ الظَّاهِرِ، وَيَكُونُ فِي آيَةِ إِثْبَاتِ عُلُوِّهِ - تَعَالَى - بَذَاتِهِ فَوْقَ خَلْقِهِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ قَاطِبَةً، وَهُوَ مَا يَحْتَاجُشِي الْمُسَرِّ ذَكَرَهُ مُوَافَقَةً لِمَذْهَبِ الْأَشْعَارَةِ.

(٣) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَى الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَةِ (١٠٣) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فُشِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحِهِ الْحَاكِمُ بِالرُّوْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ<sup>(١)</sup> ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةُ وَالْثَوَابُ ﴿لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ لَا تُلْغَى لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: لَسْتُ مَرْسَلًا وَغَيْرِهِ ﴿إِنَّ﴾ اسْتِنَافَ ﴿الْمِرَّةِ﴾ الْقُوَّةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ هُوَ السَّمِيعُ ﴿لِلْقَوْلِ﴾ الْعَلِيمُ بِالْفِعْلِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصَرِكُ.

[٦٦] ﴿إِنَّا إِنَّا لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عِبِيدًا وَمُلْكًا وَخُلُقًا ﴿وَمَا يَبْعَثُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ أَصْنَافًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ﴿إِنْ﴾ مَا يَبْعَثُونَ ﴿فِي ذَلِكَ﴾ إِلَّا الظَّنَّ ﴿أَي:﴾ ظَنُّهُمْ أَنَّهَا إِلَهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَأِنْ﴾ مَا هُمْ إِلَّا يَحْمُسُونَ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِّتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَهَارَ مُبْصِرًا﴾ إِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِّعَاضٌ.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْوَلَدَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخُلُقًا وَعِبِيدًا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةٍ ﴿بِهَذَا﴾ الَّذِي يَقُولُونَهُ ﴿أَنقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَا يَسْعُدُونَ.

[٧٠] لَهُمْ ﴿مَتَّعٌ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَمْتَنِعُونَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بِالْمَوْتِ ﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿يَمَّا﴾ كَانُوا يَكْفُرُونَ.

﴿إِنَّا إِنَّا لِلَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿إِنَّا إِنَّا لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشْعُرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَشْعُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِّتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿قَالُوا أَتَأْتِخَذُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ سُبْحَنَهُ وَهُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

[٦٢] ﴿إِنَّا إِنَّا لِلَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٣] هُمْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) المستدرک (٣٤٠/٢). ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا. ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٢٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عباد بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنَّ آجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَآخَرُفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيْتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ خَرْمُيْتٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ وَآبَاءَكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافِرُ يَا فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الْكِبَرِيَّةُ ﴿٧١﴾ الْمَلِكُ ﴿٧٢﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٣﴾ أَرْضُ مِصْرَ ﴿٧٤﴾ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ مَصْدُقِينَ.

[٧١] ﴿وَأَتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ﴾ إن كَانَ كِبَرٌ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ شق ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ لبني فيكم ﴿وَتَذَكِّرِي﴾ وعظي لإياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ نَمَلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴿اعزموا عسى أمر تفعلونه بي﴾ وَشُرَكَاءُكُمْ ﴿الوار بمعنى مع﴾ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴿مستورا بل أظهره وجاهروني به﴾ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ﴿امضوا فيما أردتموه﴾ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿تمهلون، فإني لست مباليا بكم﴾.

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ﴾ ثواب عليه ففعلوا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿آجِرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: من معه ﴿خَلَفًا﴾ في الأرض ﴿وَآخَرُفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعتنا على قلوب أولئك.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع <sup>(١)</sup> ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ خَرْمُيْتٌ﴾ يبين ظاهرا.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة؟ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ والاستفهام في الموضوعين للإنكار.

[٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ﴾ لتردنا ﴿وَأَبَاءَكَ عَلَيْنَا﴾ وَكَانُوا لَكُمَا

(١) وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والثمنون، ونقص الثمرات. وهذه الآيات كانت لفرعون وقومه ليؤمنوا، وهي بخلاف الآيات التي أوتيتها موسى عليه السلام لبني إسرائيل ليؤمنوا، وهي: ثلق البحر، وإنزال المني والسلوى، وتقليل الغمام، وتضجير الماء من الحجر، ونطق الجبل، أي رفعه فوق رؤوسهم، ومسح الذين عتوا منهم، وإتيان الختان يوم سبئهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القليل بضربه ببعض البقرة التي أمروا بذبحها.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ  
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ  
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَانِ اللَّهُ سَيَبْطِلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ  
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ  
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى  
 خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ  
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنِي  
 كُنتُمْ عَامِتُمْ يَاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾  
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ  
 ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى  
 وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُحْضِرُ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ  
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى  
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ  
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فائق في علم السحر.

[٨٠] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى ﴿٨٠﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُلْقِي﴾

وَلَيْمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمَلَكَيْنِ ﴿٨١﴾: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حالهم وعصبيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ <sup>(١)</sup> بدل، وفي قراءة بهزرة واحدة <sup>(٢)</sup> إخبار <sup>(٣)</sup>، فـ «ما» <sup>(٤)</sup> اسم موصول مبتدأ <sup>(٥)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُخَيِّئُ﴾ ثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً﴾ طائفة ﴿مِنْ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ بصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَلَنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلَنْهُ لِيَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنِي﴾ إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكَّلوا إن كنتم مُسلمين.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا.

[٨٦] ﴿وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا ﴿الْقَوْمَ كَمَا يُحْضِرُ يُبُوتَا﴾ وأجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴿فَصَلُّ﴾ فصلوا ﴿تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴿أتموها﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ أنتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا﴾ في عاقبته ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسحها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليه وأمرن هارون على دعائه.

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جِئْتُمْ بِهِ﴾، وبدل؛ أي: ﴿السحر﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ  
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ  
قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ  
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ  
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلَيْكُم نَجِيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ  
خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾  
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ  
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي  
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ  
مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ  
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾  
وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَوْنُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾  
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾  
وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم  
حينئذ.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾ فمسخت أموالهم  
حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه العرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة  
والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في  
استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة<sup>(١)</sup>.

[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ  
وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ  
أَنَّهُ﴾ أي: بأنه، وفي قراءة بالكسر<sup>(٢)</sup> استنفاً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ-  
بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كره ليقبل منه فلم يقبل، ودس جبريل في فيه  
من حمأة<sup>(٣)</sup> البحر مخافة أن تناله الرحمة<sup>(٤)</sup>.

[٩١] وقال له: ﴿ءَلَكُنْ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ﴾ بضاللك وإضلالك عن الإيمان.

[٩٢] ﴿فَأَلَيْكُم نَجِيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا  
روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا  
يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته  
فأخرج لهم لبروه<sup>(٥)</sup> ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَتِنَا  
لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة، وهو  
الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض  
﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾  
من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

[٩٤] ﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص  
فرضاً<sup>(٦)</sup> ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت  
عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»<sup>(٧)</sup> ﴿لَقَدْ جَاءَكَ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكَوْنُوا مِنَ  
الْخَاسِرِينَ﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب

(٥) ما جاء في رول الآية (٩٤): أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً نقل: ﴿مَوْءَاذٌ لِلْمُصَلِّينَ وَاللَّكِيْنِ وَالْمُزَكَّيْنَ وَالْمُطَهَّرِينَ وَالْمُقَرَّبِينَ وَالْمُكَرَّمِينَ وَالْمُؤْتَمِرِينَ وَالْمُؤْتَمِرِينَ وَالْمُؤْتَمِرِينَ وَالْمُؤْتَمِرِينَ﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١١٨) في رد الموسومة. (حسن الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢).

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن مجاهد وهو قول ضعيف، كما ذكر القاضي كعان في قرّة العين.

(٢) لحمة والكسائي.

(٣) أي طينه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٣٢) وأحمد (٢٦٨١) عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره نحوه وكذلك في البداية والنهاية، وأخرج نحوه الطبري (١٧٨٧٤).

(٦) أخرجه عبد الرزق وابن جرير عن قتادة [الدر المنثور (٥٧١/٣)] وهو ضعيف لإرساله.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ  
لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ  
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ  
﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَجْعَلُ الرِّجْسَ  
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ  
﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ  
قُلْ فَأَنْظِرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنْجِي  
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾  
قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ  
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
وَلَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لَمَاءَ آمَنُوا﴾ عند رؤية  
أمارة العذاب ولم يؤمنوا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء أجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ  
النَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَتَجْعَلُ  
الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ  
وَالنَّذِيرُ﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي:  
ما تنفعهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بكذبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ  
خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَأَنْظِرُوا﴾  
ذلك ﴿إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي  
ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ  
دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو  
الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم  
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا  
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا  
يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبدته ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.



وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِيدْ  
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ  
مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ  
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ  
إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخُوضَ لَكُمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٠﴾

## سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَحْكَمَتِ آيَتُهُ وَتُرُفِصَتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾  
الَّتِي تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُ مَنذِيرٌ وَقَبِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِن أَسْتَغْفِرُوا  
رَبَّهُمْ ثُمَّ يَدْعُوا بِهِ آيَةً مِّمَّا حَسَنُوا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ  
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ  
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ  
يَتَّبِعُونَ صُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ الْأَجِينَ يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ  
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

ونزل كما رواه البخاري<sup>(١)</sup> عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى<sup>(٢)</sup> أو  
يجامع فيفضي<sup>(٣)</sup> إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي:  
الله ﴿أَلَا جِنَّةً يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَتَلَمَّ﴾ تعالى ﴿مَا  
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يعني استخفاؤهم<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يصيبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كقفر ومرض ﴿فَلَا  
كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِيدْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾ دافع  
﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾  
وهو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّكُمْ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ  
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾  
فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم  
﴿حَتَّى يَخُوضَ لَكُمُ اللَّهُ﴾ فهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أغدلهم، وقد صبر  
حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

## سُورَةُ هُودٍ

[مكية إلا: ﴿وَأَنبِئِ الصَّالُونَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ﴾  
الآية، و﴿أَوَّلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الآية. مائتان واثنان، أو: وثلاث  
وعشرون آية، نزلت بعد يونس<sup>(٥)</sup>]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكِبِ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿رَكِبْتُ أَخَافَتِ آيَتُهُ﴾ عجيب  
النظم وبدع المعاني ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾ بيئت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿وَمِنْ  
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَقْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُ مَنذِيرٌ﴾ بالعذاب إن  
كفرتم ﴿وَيَسِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم.

[٣] ﴿وَإِن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾  
بالطاعة ﴿يَتَّبِعُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَّبِعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في  
العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي:  
تعرضوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: «شيتني هود الواقعة والمرسلات وعم يساءلون، وإدا الشمس كورت». الترمذي - كتب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُورَهُمْ﴾ قل: سألتها عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والمراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك نذب التغطية عند التخلي والحمام.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْמוْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ﴾ ﴿لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْرَ حِمَّةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُمْ كَفُورٌ﴾ ﴿لَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَابِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْجَاءَ مَعَهُ وَمَلِكٌ إِتْمَانًا تَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو

الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح <sup>(١)</sup> ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْموْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّن، وفي قراءة <sup>(٢)</sup> ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاء: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنع من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿مِثْرَ رَحْمَةٍ﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُمْ كَفُورٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر <sup>به</sup>.

[١٠] ﴿لَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُمْ لَفَرِحَ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَصَابِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلِكٌ﴾ كما اقترحنا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم.

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصيص، أنه ﷺ من عن أحوال هذا العالم؛ فقال: «كان الله، ولم يكن شيء غيره»، وكان عرشه على الماء. رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) لحمة والكسائي.

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أُولَئِكَ أَقْرَبُهُ ﴿أَي﴾ القرآن ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ يَنْتَلِيهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة<sup>(١)</sup> ﴿مُقْتَرَبَاتٍ﴾ فإنكم عربون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة<sup>(٢)</sup> ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ أَسْتَطْعَمَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افترأ.

[١٤] ﴿فَإِنْ﴾ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴿أَي﴾ مَنْ دَعَوْتَهُمْ للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ مُلْتَمِسًا﴾ يعلم الله وليس افترأ عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؛ أي: أسلموا.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿وَنُوفٍ إِلَيْهِمْ﴾ أَمَلَهُمْ ﴿أَي﴾ جزء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ ينقصون شيئاً.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ ﴿فِيهَا﴾ أي: الآخرة، فلا ثواب له ﴿وَيُطْلَىٰ﴾ ثا كانوا يَمْلُوكُ.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْرَفٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقة ﴿وَمِنْهُ﴾ أي: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؛ لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من كان على ينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، فليهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْآخِرَابِ ﴿جَمِيعَ الْكُفَّارِ﴾ فالتَّارُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ ﴿شك﴾ ﴿وَمِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالكذب: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا﴾

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُقْتَرَبَاتٍ  
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾  
فَإِنْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا  
لَا يُخْسِرُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا  
النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾  
أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْرَفٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ  
كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِهِ مِنَ الْآخِرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ  
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ  
آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>(٣)</sup> المشركين.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يطلبون السبيل ﴿عُوجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ بَدَىٰ الْمُؤْمِنَ فَبَضِعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَبَسْتَهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ تُعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَ بِذَنبِهِ، وَرَأَىٰ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلِكٌ؛ قَالَ: سَبَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابُ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

(١) وغير ذلك من وجوه تحشية وإعجازها الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعِفُ لَهُمْ أَعْدَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْأَصْبَحِ هَلْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَادُواكَ وَالرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُصِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ أنصار ينعونهم من عذابه ﴿يُضَاعِفُ لَهُمْ

الْعَذَابَ﴾ بإضالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٢] ﴿لَا جُرْمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا أو

أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿مَثَلُ﴾ مَثَلٌ ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَصْمَىٰ

وَالْأَصْبَحِ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْأَصْبَحِ وَالْأَصْبَحِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؟ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛

تتعتلون.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: باني، وفي قراءة

بالكسر<sup>(٢)</sup> على حذف القول<sup>(٣)</sup> ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن

عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا تَرَىٰ

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فصل لك علينا ﴿وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ

أَرَادُوا﴾ أسافلنا؛ كآل حاكمة والأساكفة ﴿بَادُوا﴾ الرَّأْيِ﴾ بالهمز

وتركة<sup>(٤)</sup>؛ أي: ابتداء من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت

حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع

منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في

الخطاب.

[٢٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿وَمِنْ

رَبِّي وَمَا أَنِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿وَمِنْ عِنْدِي﴾ [فَعُصِيَّتْ] خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي

قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول<sup>(٥)</sup> ﴿أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا﴾ أنجزكم على قبولها

﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة ﴿أَنْتِي﴾ بالفتح للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديره: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبلون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.



[٤٠] ﴿حَقَّ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَقَارَ الْقَرْوُ﴾ للبخاز بالماء<sup>(١)</sup>، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَلَمَّا أَتَى فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿اثنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول<sup>(٢)</sup>، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ يسر الله بحملها ﴿وَمَوْسَىٰ﴾ بفتح الميمين وضمهما<sup>(٣)</sup> مصدران؛ أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَهُنَّ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان<sup>(٤)</sup> ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَبْنِيْكَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَوَاءٌ عَلَيَّ جِبِلٌّ أَوْ مِائِدٌ﴾ يعني ﴿مِنْ أَلَمَاءٍ﴾ قال لا عاصم اليوم من أمر الله عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ رَّجِمَ﴾ الله فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وَسَالَ بِبَنَاتِكَ الْمَرْجُومَاتِ مِنَ الْغُلَامِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشرته دون ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً ﴿وَبِئْسَ مَا أَقْلَى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿رَغِيضٌ﴾ نقص ﴿الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لَكُمْ هَلَاكًا﴾ للفقير الظالمين ﴿الكافرين﴾.

[٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ زَوْجَهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْنَىٰ﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا تخلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ تَشْرُوقُ فُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمَرْضَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْكَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَاءٌ عَلَيَّ جِبِلٌّ أَوْ مِائِدٌ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَبِئْسَ مَا أَقْلَى وَغِيصَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزؤا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نبجونا وغرقتم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مِنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿بِأَيْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من التناثر التي هي مكان النار، صارت تقور ماء، وقيل: المراد الكتابة عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي انطيس، والوطيس: التنور، وهو من فصيح الكلام وبلغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلِّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي يؤن؛ حيث عدى الفعل وهو «أَحْمِلْ» إلى «زَوْجَيْنِ» فيكون مفعولاً، و «اثنَيْنِ» نعتاً لـ «زَوْجَيْنِ» وفيه معنى التأكيد، كقوله: ﴿لَا تَنْبِذُوا آلَ هَيْثَرٍ اثنَيْنِ﴾، والتقدير: أحمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كُلِّ» فُكِّنَ «كَلَّا». أما الجمهور فعُدَى الفعل إلى «اثنَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿يَجْرِيهَا وَمَوْسَىٰ﴾، وقوله: «بفتح الميمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افترض صحة تسمية ابن نوح بهذا الهالك بـ «كنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جددهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ يَعْمَلُ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِينَ  
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾  
 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا  
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْفُوحُ  
 أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ  
 وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ  
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ  
 وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾  
 وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ  
 إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾  
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ  
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا  
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ  
 بِتَارِكِينَ آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل  
 دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بِنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاه  
 للكافرين، وفي قراءة (١) بكسر ميم ﴿عَمِلَ﴾ فعل، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ فالضمير  
 لابنه ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ علم من  
 إلهاء ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم (٣).

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ  
 وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْفُوحُ أَهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة أو بجمعة  
 ﴿وَمِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي  
 من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك (٤)  
 ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهم  
 الكفار.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ  
 الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾  
 أنت ولا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴿الْقُرْآنَ﴾ فَاصْبِرْ ﴿عَلَى التَّلْيِغِ﴾ وأذى قومك  
 كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَذَابَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إِنْ عَادَ لِقَائِهِمْ ﴿مِنَ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا  
 اللَّهَ وَخُذُوهُ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ إِلَهُ غَيْرُهُ إِنْ مَا ﴿أَنْتُمْ﴾ في  
 عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ مَا  
 أَجَرْتُمْنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا  
 ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منغوه ﴿عَلَيْكُمْ﴾  
 مِدْرَارًا ﴿كثير الدور﴾ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى ﴿مَعِ قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد  
 ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ  
 بِتَارِكِينَ آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: نقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) لكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وقرأ قالون، وابن عامر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ وصلًا ووفقًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها وفتحًا.

(٣) أي: أنهاك.

(٤) أي من ذريتهم.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ فَيَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكى ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأولادكم ﴿فَلَمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنَّ زَائِدَةٍ﴾ زائدة ﴿وَدَائِدَةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، ونخص الناصية بالذكر؛ لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: تعرضوا ﴿فَقَدْ أَلْفَعَكُمْ﴾ مَّا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّنَّ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ﴾ إشارة إلى آياتهم؛ أي: فسبحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَلُوا يَتَايَاسُونَ رَبَّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جمع؛ لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل؛ لاشترائهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيبٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعَذَابٍ قَوِيمٍ هُوَ﴾.

[٦١] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وحذوه ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عملاً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿غَيْبٌ﴾ لمن سأل.

[٦٢] ﴿قَالُوا يَصْلِحْ ذَنبَكَ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك ﴿أَلَنْتَهِنَّا أَن تَقْبَلَ مَا يَقْبَلُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَرَبَّنَا لَنَلِيَنَّ شَيْئًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مَرْيَبٌ﴾ موقع في الرب.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بَعْضُ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيٌّ وَمَا تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ مِّن دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا لَّا تَنْظُرُونَ ﴿٥٧﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَائِدَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ إِنِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَلْفَعَكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ جَبَّارٍ عَنِيبٍ ﴿٦١﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْآخِرَةِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا رَبُّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِّعَذَابٍ قَوِيمٍ هُوَ ﴿٦٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنِّي رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦٣﴾ قَالُوا لِيَصْلِحْ فَذَكِّرْ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِنَا أَن نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا فِي شَيْءٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٌ ﴿٦٤﴾

[٥٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرِكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ﴾ فخلبك؛ لسببك إياها، فأنت تهدي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ﴾ وأشهدوا أني بَرِيٌّ وَمَا تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾.

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها؛ هي طريقة المولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أنبأها ربنا ﷻ لنفسه دون أن يفتني ذلك تشبيهاً وهو - سبحانه - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿الشورى: ١١﴾.



قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَعَاقِبِي مِنْهُ رَحْمَةً نَبُوَّةٌ<sup>(١)</sup> «فَمَنْ يَصْنَعُ» بمعنى «يوت الله» أي: عذابه «إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي» بأمركم لي بذلك «غَيْرَ تَحْسِيرٍ» تضليل.  
 [٦٤] «وَيَتَوَدَّرُ هَذِهِ» ناقة الله لكم مائة<sup>(٢)</sup> حال، عامله الإشارة<sup>(٣)</sup> «تَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ» غفر «فَاذْكُرُوا عَذَابَ قُرَيْبٍ» إن عقرتموها.  
 [٦٥] «فَعَقَرُوهَا» عقرها فذار بأمرهم «فَقَالَ» صالح: «تَمَتَّعُوا» عيشوا «فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» ثم تهلكون «ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» فيه.  
 [٦٦] «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا» يهلكهم «بَنِيَّاتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» وهم أربعة آلاف «رَحِمَةً مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ» بكسر الميم إعرابًا وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني<sup>(٤)</sup> وهو الأكبر<sup>(٥)</sup> «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» الغالب.  
 [٦٧] «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ» باركين على الركب ميتين.  
 [٦٨] «كَانَ» مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم «لَمْ يَفْنَوْا» يقيموا «فِيهَا» في دارهم «إِلَّا أَنْ تَمُودًا كَفَرُوا بِهِمْ إِلَّا بَعْدَ ثَمُودَ» بالصرف وتركه<sup>(٦)</sup> على معنى الحي<sup>(٧)</sup> والقبيلة<sup>(٨)</sup>.  
 [٦٩] «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ» بإسحاق ويعقوب بعده «قَالُوا سَلَامًا» مصدر «قَالَ سَلَامٌ» عليكم «فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِوَجَلٍ حَنِيزٍ» مشوي.  
 [٧٠] «فَلَمَّا رَأَى أَلْيَهُمْ لَا يُفْلِحُ إِلَيْهِ نَصَرَهُمْ» بمعنى: أنكرهم «وَأَنزَلْنَا» أضمر في نفسه «بِهِمْ خِيفَةً» خوفًا «قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزِيلُنَا إِلَى قَوْمٍ لَوُوطٌ لَّهُمْ» لنهلكهم.  
 [٧١] «وَأَنزَلْنَا» أي: امرأة إبراهيم سارة «قَائِمَةً» تخدمهم «فَصَبَحَكَ» استبشارًا بهلاكهم «فَنَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ» بعد «إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» ولده تعيش إلى أن تراه.

(١) النبوة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته - شيعاته -، ونشيتها له ﷻ كما هو مذهب السلف على الوجه اللائق به.

(٢) أي اسم الإشارة؛ وهو «هذه» ما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها».

(٣) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٤) أي في اللغة؛ أما قراءة فهما سواء.

(٥) بالصرف قراءة الكسائي.

(٦) قوله: «الحي» راجع للصراف؛ فإن اسم «ثمود» يُصرف إذا أُطلق مرادًا به الأب الأكبر أو الحي؛ أي ديارهم.

(٧) قوله: «القبيلة» راجع لتركه؛ فإن اسم «ثمود» يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث إذا أُريد به القبيلة.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ﴾ بالولد أخذ ﴿يُحْجِدُونَ﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَهُ مُنِيبٌ﴾ رجاء، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها... إلخ (١).

[٧٦] فلما أطال مجادلهم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أغرض عن هذا ﴿الجدال﴾ ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَذَابَ عَذِيبٍ مَرْدُودٍ﴾. [٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدر (٢)؛ لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يَهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَيَنْبِئُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ السَّمَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأديار ﴿قَالَ لُوطُ﴾: ﴿يَقْفُورٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَفْزُؤُنَ﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ زَكِيٌّ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَأِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُذِئُ﴾ من إتيان الرجال.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ عَاوِىَ إِلَيَّ رُكْنِي شَدِيدٌ﴾ عشيرة تنصرتني لبطشت بكم.

[٨١] فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا إِيَّائُنَا﴾ بالرفع (٣) بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قراءة: بالنصب استثناء من الأهل؛ أي: فلا تشر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: وا قومها، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قَالَتْ يَوْلَيْتُ أَنِّي لَأَنذَرْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ يُحْجِدُونَ لِنَافِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَهُ مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٩﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ زَكِيٌّ ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨١﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِىَ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٣﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوْلَيْتُ﴾ كلمة يقال عند أمر عظيم، والألف مبذلة من ياء الإضافة ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهريمين. [٧٣] ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته (١) ﴿رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿وَإِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ كريم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «قال لوط: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِىَ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ قال: «قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته؛ فما بعث الله ﷻ بعده نبياً إلا بعثه في ذروة من قومه». المسند (٥٣٣/٢، ٣٨٤). وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريج على المسند (١٠٩٠٣) (٥٢٥/١٦). قال ابن الأثير: ذروة كل شيء أعلاه. (النهاية ١٥٩/٢).

وأخرجه الترمذي أيضاً - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف، وضعفه الألباني بلفظ «ذروة» وحسنه بلفظ «ذروة»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قال ابن الأثير: الذروة: العدد الكثير - (النهاية ٢١٠/١).

والحديث في الصحيحين مختصراً بلفظ: «يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد». البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١).

(١) الأمر غير القدرة، والاستفهام في الآية للإلحاح؛ أي كيف تعجبين من قضاء الله وقدره، وتما قدرته وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجب منه من خوارق العادة لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثله أن هذا من مقدوراته سبحانه؛ فـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) ذوي بعض هذا الحوار عن قتادة السدوسي، وبعبارة عن سعيد بن جبير رحمهما الله، ولم يثبت شيء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، فالأولى: الانقصار على الصميم الثابت والإعراض عما لم يثبت وليس في ذكره كبير فائدة.

(٣) أي: ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه، والأصل فيه أن البحر إذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعاً؛ أي: صدره.

(٤) بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا  
حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ  
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ  
شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ  
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ  
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ  
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ  
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ  
اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ  
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ  
لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ  
عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَالِفَكم إِلَّا مَّا أَنْهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ  
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قهرهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبع بالنار ﴿مُضْطُودٍ﴾ متتابع. [٨٣] ﴿مُّسَوِّمَةً﴾ معلّمة عليها اسم من يُرمي بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِيعِيدٍ﴾.

[٨٤] ﴿وَأُرْسِلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ قَالَ يَقَوْمُ أَغْبِدُوا اللَّهَ وحده ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ لَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ نعمة تمنعكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به محاز؛ لوقوعه فيه.

[٨٥] ﴿وَتَعْبَثُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره؛ من (عَثَى) بكسر المثلثة: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْبَثُوا﴾.

[٨٦] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه اباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿وَحَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيراً.

[٨٧] ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يَشْعِيبُ أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

[٨٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكم﴾ وأذهب ﴿إِلَّا مَّا أَنْهَكُم عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup> فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿وَمَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

(١) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبت أوك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فلعله في بعض سائلك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأشأ. قال: ما حفظت إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكم إِلَّا مَّا أَنْهَكُم عَنْهُ﴾.

المسند (٤١٤/١ - ٤١٥)، وقال أحمد شاكر: [إسناده صحيح (٣٩٤٥)]. وقوى الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٥٨/٧). وأصله في الصحيحين: البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿يَجْرِمُ﴾، والضمير مفعول أول، والثاني (١): ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿وَيَنْصِبُكُمْ يُجِيدُ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَذُوذُ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾ إلهنا بقلة المبالاة: ﴿يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً﴾ وما نقول ﴿وإنَّا لَنرَبُّكَ﴾ فينا ضعيفاً ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعره.

[٩٢] ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطُ﴾ أعزُّ عليكم من الله، فتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَأَتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَأَيْتُمْ ظَهْرَنَا﴾ منبؤاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَقْلُتُونَ مِنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَفَعُوا انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٩٧] ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ﴾ فأتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴿بِرَشِيدٍ﴾ سديد.

وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ يَبْعِدُ (٨٨) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَذُوذُ (٨٩) قَالُوا أَيْنَ شُعَيْبٌ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩٠) قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِي إِنَّا نَرِيَّ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩١) وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ بَيَاتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَفَعُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٢) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ (٩٣) كَأَن لَّمْ يَعْلَمُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ (٩٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٦)

[٨٩] ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ بكسبتكم (١) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقادة: «يجملنكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤول من جملة.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْدَحَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ  
 الْمَرْوُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ  
 الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ  
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿٢١﴾  
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ  
 أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ  
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿٢٣﴾  
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ  
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٢٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَوَفَى  
 النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٢٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ  
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٢٧﴾  
 \* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَوَفَى الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
 السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ ﴿٢٨﴾

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فينبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْدَحَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَرْوُودُ﴾ هي.

[٩٩] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة ﴿رِفْدُ الْعُونِ﴾ الورد ﴿الْمَرْوُودُ﴾ رفدهم.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: الفري ﴿فَقَائِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَوَحَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزروع المحصود بالمناجل.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ زَائِدَةٍ﴾ أي: شيء ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنْ أَخَذَهُ﴾ أليمٌ شديدٌ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية (١).

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعلبة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق.

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله.

[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿وَلَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ منهم ﴿وَسَعِيدٌ﴾ كتب كل في الأول.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَوَفَى النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف (٢).

[١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا ينتهي له (٣)، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ بفتح السين (٤) وضمها ﴿فَوَفَى الْجَنَّةَ﴾ خالدين فيها ما دامت السموت والأرض إلا ﴿غَيْرَ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضاً خاصة حال تعب وإرهاقه.

(٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين ثم برحمته - سبحانه -، وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾: إهود: ١٠٧ فجزئياً على عادة العرب في إفادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضاً من سموات وأرض.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(١)</sup> بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُنِينَ بِرَبِّهِمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَكُنِيَ سَيِّئًا مَّرِيبًا﴾ موقع في الريبة.

[١١١] ﴿وَأَن﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿كَلَامًا﴾ كل الخلائق ﴿لَمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة: بتشديد «لما» بمعنى «إلا» ف«إن»<sup>(٤)</sup> نافية ﴿لَقُنِينَ بِرَبِّكَ أَعْمَلْتُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا يَمْلِكُونَ خَيْرٌ﴾ عالم بيوطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أَمَرْتَ وَ﴾ ليستقيم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا يَمْلِكُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ قبلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عبودة أو مهادنة أو رضا بأعمالهم ﴿فَتَنَسَّكُمُ﴾ تصيكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ زَايِدَةٍ أَوْ يَزِيدَةٍ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وَرُفُوعًا﴾ جمع زلفة؛ أي: طائفة ﴿مِنْ أَيْلٍ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْمَسْتَنِينَ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُدْهِنُ السَّيَّئَاتِ﴾ الذنوب الصغائر، نزلت<sup>(٥)</sup> فيمن قبل أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان<sup>(٦)</sup> ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ عظة للمتعظين.

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مَنْ قَبْلَكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا يَمَنَّ أَجْنِبًا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أَتْرَفُوا﴾ نعموا ﴿فَبِهِ وَكَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ مِنْهُ لَهَا وَوَهْلَهَا مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ مِنْ مَقْصُودٍ ﴿١١٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَرِيبٌ ﴿١١٩﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِكُكُمْ رَبُّكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٢٠﴾ فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢١﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا أَسْرَكُوا وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُوعًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١٢٣﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ﴾ من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: كعبادتهم ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَأِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبُهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ أي: ناقصا.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٤): أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأنتزلت عليه: ﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُوعًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْمَسْتَنِينَ يُدْهِنُ السَّيَّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهمله والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقراها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ  
 (١٨) إِلَّا مَن رَّجَعْنَا رَبُّكَ إِلَى ذَلِكِ خَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ  
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٩) وَلَا تَقْصُ  
 عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِيَتْ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ  
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (٢١) وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ  
 (٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ  
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٣)

## سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا  
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ  
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ  
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ  
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

[١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين.

[١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّجَعْنَا رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير<sup>(١)</sup>، فلا يختلفون فيه ﴿وَلَذَلِكَ خَلْقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٢٠] ﴿وَلَا تَقْصُ﴾ نصب بـ ﴿نَقُصُّ﴾ وتوينه عوض المضاف إليه؛ أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من ﴿كُلُّهُ﴾ ﴿نُثِيَتْ﴾ نظم من ﴿يُؤْ﴾ فُؤَادَكَ ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصاً بالذكر لانقاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

[٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

[٢٢] ﴿وَانظُرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذلك.

[٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَالَّذِي يَرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل يعود، وللمفعول يَرْجَعُ<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم من عصى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثب به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم، وفي قراءة بالفوقانية<sup>(٣)</sup>.

## سُورَةُ يُوسُفَ

[مكية، مائة وإحدى عشرة آية، نزلت بعد هود]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على باء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الباء<sup>(١)</sup> ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن﴾ مخففة؛ أي: وإنه ﴿كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

(١) تأويل رحمة الله ﷻ بإرادة الخير والتواب ونحوه مذهب المؤولة، وهذا فرع التعطيل، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعميل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالفتح قراءة ابن عامر.

أَمَلِكُ وَالْقَمَرُ أَبُوكَ ﴿٦﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ظاهر العداوة.  
 ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿٧﴾ كَمَا رَأَيْتُ ﴿٨﴾ بِخَنَائِكَ ﴿٩﴾ بِخَنَارِكَ ﴿١٠﴾ وَبِعِلْمِكَ مِنْ  
 تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴿١١﴾ تعبير الرؤيا ﴿١٢﴾ وَيَسِّرُ نَسْتَمُ عَلَيْكَ ﴿١٣﴾ بالنبوة ﴿١٤﴾ وَعَلَى مَالِ  
 يَعْقُوبَ ﴿١٥﴾ أولاده ﴿١٦﴾ كَمَا أَنتَهَا ﴿١٧﴾ بالنبوة ﴿١٨﴾ عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِزْهَامٍ وَاسْحَقَ إِنَّ  
 رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ بخلقه ﴿٢٠﴾ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ في صنعه بهم.

﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي ﴿٨﴾ خَيْرٍ ﴿٩﴾ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴿١٠﴾ وَهُمْ أَحَدُ عَشَرَ  
 ﴿١١﴾ عَبْرٌ ﴿١٢﴾ لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٣﴾ عَنْ خَيْرِهِمْ.

﴿٨﴾ اذْكُرْ ﴿٩﴾ إِذْ قَالُوا ﴿١٠﴾ أَيُّ بَعْضِ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِبَعْضِهِمْ: ﴿١١﴾ لِيُوسُفَ  
 مَبْتَدَأُ ﴿١٢﴾ وَأَخُوهُ ﴿١٣﴾ شَقِيقُهُ بِنَامِيْنِ ﴿١٤﴾ أَحَبُّ ﴿١٥﴾ خَيْرٍ ﴿١٦﴾ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ  
 جَمَاعَةٌ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلَّلَ ﴿١٨﴾ خَطَا ﴿١٩﴾ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ يَبْنَ بِإِثَارِهِمَا عَلَيْنَا.

﴿٩﴾ أَفْتَلَوْا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴿١٠﴾ أَيُّ: بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ ﴿١١﴾ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ  
 أَيْكُمُ ﴿١٢﴾ بَأْنَ يَقْبَلُ عَلَيْكُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ لِعِرْصَمِ ﴿١٣﴾ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴿١٤﴾ أَيُّ: بَعْدَ  
 قَتْلِ يُوسُفَ أَوْ طَرَحِهِ ﴿١٥﴾ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٦﴾ بَأْنَ تَتُوبُوا.

﴿١٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴿١١﴾ هُوَ يَهُودِيٌّ: ﴿١٢﴾ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ ﴿١٣﴾ اطْرَحُوهُ  
 فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ﴿١٤﴾ مَظْلَمَ الْبِرِّ، وَفِي قِرَاءَةِ الْجَمْعِ ﴿١٥﴾ يَلْقِظُهُ بَعْضُ  
 السَّيَّارَةِ ﴿١٦﴾ الْمَسَافِرِينَ ﴿١٧﴾ إِنْ كُشِّرَ فَعَلِيلٌ ﴿١٨﴾ مَا أَرْدَمَ مِنَ التَّفْرِيقِ فَانْكَفُوا  
 بِذَلِكَ.

﴿١١﴾ قَالُوا يَبْنَ أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ ﴿١٢﴾  
 لِقَائِهِمْ بِمِصْلَحِهِ.

﴿١٢﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا خَدَاةً إِلَى الصَّحَرَاءِ ﴿١٣﴾ نَزْوَغٌ وَنَلْعَبُ ﴿١٤﴾ بِالنُّونِ  
 وَالْبَاءِ ﴿١٥﴾ فِيهِمَا نَنْشِطُ وَنَسْعُ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَمُنْصِفُونَ ﴿١٧﴾.

﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا ﴿١٤﴾ أَيُّ: ذَهَابَكُمْ ﴿١٥﴾ بِرِيقِهِ لِفِرَاقِهِ  
 وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴿١٦﴾ الْمَرَادُ بِهِ الْجَنَسُ، وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ كَثِيرَةٌ  
 الذَّنَابُ ﴿١٧﴾ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٨﴾ مُشْغُولُونَ.

﴿١٤﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ قَسَمَ ﴿١٥﴾ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴿١٦﴾ جَمَاعَةٌ  
 ﴿١٧﴾ إِنَّا إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿١٨﴾ عَاجِزُونَ.

قَالَ يَبْنَ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَسِيكَ  
 رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَسِّرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ  
 وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ  
 وَاسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ  
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ  
 إِلَيْنَا إِنَّمَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلَّلَ مُبِينٌ ﴿٨﴾  
 أَفْتَلَوْا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمُ  
 وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ  
 لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ  
 السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَبْنَ أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى  
 يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا خَدَاةً يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ  
 وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ  
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ  
 أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿١٤﴾

﴿٥﴾ قَالَ يَبْنَ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا  
 يَحْتَالُونَ فِي هَلَاكِكَ؛ حَسَدًا لِعِلْمِهِمْ بِتَأْوِيلِهَا مِنْ أَنَّهُمُ الْكَوَكِبُ وَالشَّمْسُ

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والياء ساكنة في جميع القراءات.



فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبَيْتِ وَأَوْحَيْنَا  
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ  
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِشُّ  
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ  
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ  
بِدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ  
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرى هَذَا عِلْمٌ وَأَسْرُوهُ  
بِضْعَةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ  
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ  
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى  
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي  
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى  
أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ  
وَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبَيْتِ﴾ وجواب «لَمَّا» محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقيوه لموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم بهذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الحب وخفي حقيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَيَاكَ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِشُّ﴾ نرسم ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لانهمتنا في هذه القصة؛ لحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا<sup>(١)</sup>.

[١٨] ﴿وَيَاكَ عَلَى قَمِيصِهِ﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوقه ﴿بِدْمٍ كَذِبٍ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سحلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ زَيْتٌ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمرى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿يَبُشْرى﴾، ونداؤها محاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا عِلْمٌ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أي: أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضْعَةٍ﴾ بأن قالوا: هذا عبداً أبق، وسكت يوسف؛ خوفاً من أن يقتلوه<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إخوته<sup>(٤)</sup> ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطمير العزيز ﴿لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي﴾ زليخا: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً<sup>(٥)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجينا من القتل والحب وعطفنا عليه قلب

العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدار متعلق بـ ﴿مَكَّنَّا﴾ أي: لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿وَاتَيْنَهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

(١) هذا الكلام قدّره المؤلف إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿لَوْ﴾ رائدة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه ثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرين من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعه وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائداً إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إتاقه كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو غنيماً، والضمير يعود إلى العزيز.

الشان ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك <sup>(١)</sup> ﴿لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله <sup>(٢)</sup>، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريانه البرهان ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ المخلصين <sup>(٣)</sup> ﴿فِي الطَّاعَةِ﴾ وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين. [٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبه إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿فَيُصِصُّ مِنْ دُبُرٍ﴾ وألفها وجدا، ﴿سَيْدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْآبَاءِ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئا: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد <sup>(٤)</sup> فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيُصِصُّمُ قَدْ مِنْ قَبْلِي﴾ قدام ﴿فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾. [٢٧] ﴿وَأِنْ كَانَتْ فَيُصِصُّمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ خلف ﴿وَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَتْ﴾ زوجها ﴿فَيُصِصُّمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ قال ابن عباس: قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ إلخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ﴾ كُنتِ مِنَ الْفَاطِيئِينَ ﴿الْأَثَمِينَ﴾ واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا﴾ عبدا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ قد شغفها حباً ﴿تَمِيزُ﴾ أي: دخل حبه شغاف قلبها؛ أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرُكُهَا فِي صَكِّكَ﴾ أي: في خطا <sup>(٥)</sup> ﴿ثَيْنٌ﴾ ثين بحبها إياه.

وَرَوَدَّتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ وَقَدَّتْ قَيْصُصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْآبَاءِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَيْصُصُهُ وَقَدْ مِنْ قَبْلِي فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ إِنْ كَانَ قَيْصُصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَتْ أَقْيَمِصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُكُهَا فِي صَكِّكَ مِثْلَيْنِ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿وَرَوَدَّتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هلم، واللام للثنين، وفي قراءة بكسر الهاء <sup>(١)</sup>، وأخرى بضم التاء <sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراكي ﴿رَبِّي﴾ سيدي <sup>(٣)</sup> ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي:

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعة، وبقي فرائد اللسان هما: ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهم لني كرم مع أن الله ﷻ أثبت براته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما علة بها فمضي؛ لوجود برهان ربه، وهذا سائق في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب (لولا) عليها؛ فيكون المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيُصِصُّمُ قَدْ مِنْ قَبْلِي﴾. وكذا قوله - تعالى -: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾. ورجع طائفة من المفسرين أن المراد بهمة الظالمين مجرد خاطر طرا عليه بمقتضى الجبنة البشرية، ثم دفعه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات الرديئة التي لا تليق بنبي كرم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقيون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا  
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ  
أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا  
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ  
عَن نَّفْسِهِ فَأَسْتَغْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لَّيُسْجَنَنَّ  
وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي  
إِلَيْهِ وَلَا أَضْطَرُّ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ  
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ  
حَتَّى جِئَ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي  
أَرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي  
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا  
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ  
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾  
تاكيد ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾  
أَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مُتَكًا﴾ طعامًا يقطع بالسكين؛ للاتكاء عنده<sup>(١)</sup> وهو الأتويع  
﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ﴾ ليوسف: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ  
فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمته ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن  
بالألم؛ لشغل قبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي:  
يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا  
يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحسن»<sup>(٢)</sup>.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾  
﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ﴾  
فَأَسْتَغْصَمَ ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُورٌ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ  
الصَّغِيرِينَ﴾ الذليلين؛ فقلن له: أطع مولاتك.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا أَضْطَرُّ عَنِّي﴾  
كَيْدُهُنَّ أَصْبُ ﴿أَمِلُ﴾ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ ﴿أَصِيرُ﴾ مِّنَ الْجَاهِلِينَ المذنبين، والقصد  
بذلك الدعاء؛ فلذا قال تعالى: ﴿٣٤﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ  
عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

﴿٣٥﴾ ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدالات على براءة  
يوسف أن يسجنوه، دل على هذا: ﴿لَيُسْجَنَنَّ حَتَّى﴾ إلى ﴿جِئَ﴾ ينقطع  
فيه كلام الناس.

﴿٣٦﴾ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ غلامان للملك؛ أحدهما  
ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا، فقالا: لنختبرنه ﴿قَالَ  
أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً ﴿وَقَالَ  
الْآخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ  
مِنْهُ نَبْتُنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ  
تُرْزَقَانِيهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَنْ  
يَأْتِيَكُمَا تَأْوِيلَهُ﴾ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴿فِي حَتَّى﴾ على إيمانهما، ثم قواه

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يتوكل عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الانكاء.

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً.

فَقُلِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ ﴿٤٠﴾

[٣٩] ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَصْصِيحِي﴾ ساكني ﴿الْيَسْجَنِ﴾ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٠﴾ خير؟ استفهام تقرير.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿وَمِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الَّذِينَ الْفَسَمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٤١] ﴿يَصْصِيحِي﴾ السجين أَمَا أَحَدُكُمْ؟ أي: الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رِيَهُ﴾ سبده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤيا كما، فقلا: ما رأينا شيئا<sup>(١)</sup>، فقال: ﴿فُضِي﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك قل له: إن في السجن غلاما محبوبا ظلما، فخرج ﴿فَأَنْسَنَاهُ﴾ أي: الساقى ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَهُ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ﴾ فَلَيْتَ ﴿مَكَتَ﴾ يوسف ﴿فِي﴾ السجين يَضَعُ سِينِي ﴿قِيلَ﴾ سبعا، وقيل: اثنتي عشرة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي: رأيت ﴿سَنَعًا بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يتلعهن ﴿سَنَعًا﴾ من البقر ﴿عِجَافًا﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَنَعٌ سُلْبَتٌ خَضَرٌ وَأَخْرَجَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَأْكُلُهُنَّ﴾ قد أُنْتُثَ على الخضر وعلت عليها ﴿يَأْكُلُهَا الْمَلِكُ﴾ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴿بِنَوَالِي تَعْبِيرِهَا﴾ إن كُثُرَ لِلرُّؤْيَا تَعْبِيرُوتُ ﴿فَاعْبُرُوهَا﴾

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْصِيحِي الْيَسْجَنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْصِيحِي الْيَسْجَنِ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا يَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِينِي ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضَرٍ وَأُخْرَى يُاسِئَاتٍ يَأْكُلُهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا يَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿فُضِيَ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿وَمِنْ

(١) هذا أحد القولين، والقول الآخر: أنهما رأيا ذلك حقيقة، وهو الصحيح لظاهر القرآن.

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾: هذه ﴿أَصْنَعْتُ أَخْلَعُ﴾ أخلاط ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَحَا يَنْهَاهُ﴾ أي: من الفتيين، وهو الساقى ﴿وَأَذْكُرُ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف: ﴿أَنَا أَنْتُمْ تَتَأْوِيلُوا قَارِئُونَ﴾.

[٤٦] فأرسوه فأنى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكبير الصدق ﴿أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانُ بِأَكْلِهِنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُتُكُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُتُكُلِيهِ﴾ ثلثا يفسد ﴿وَلَا قِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع الخصبات ﴿سَبْعَ شِدَادٍ﴾ مجذبات صعب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين الخصبات؛ أي: تاكلونه فيهن ﴿وَلَا قِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المجذبات ﴿عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ بِالْمَطَرِ﴾ وفيه يعصرون الأعناب وغيرها لخصبه.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿أَتُنَوِّي بِهِ﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته: ﴿أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيَّدِيَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي <sup>(١)</sup> ﴿يَكِيدُونِ عَلِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup>.

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِذْ رَاوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ليكن؟ ﴿فَلَسَّ حَشِ لَّهِ مَا عَلَمَنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّفْسَ حَصَصَ﴾ وضع ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ <sup>(٣)</sup>.

قَالُوا أَصْنَعْتَ أَخْلَعُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾  
وَقَالَ الَّذِي نَحَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ  
فَارْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ  
يَسْمَانُ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُتُكُلَاتٍ خُضْرٍ  
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ  
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُتُكُلِيهِ إِلَّا  
قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ كَلَّا  
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُنَوِّي  
بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ  
الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيَّدِيَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾  
قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَسَّ حَشِ  
لَّهِ مَا عَلَمَنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّفْسَ حَصَصَ  
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ  
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٢] فأخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله <sup>(١)</sup> ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ﴾.

(٥) مائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيَّدِيَّ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: «... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله نواضحاً وإيضاحاً للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف». شرح النووي على مسلم (٣٣٩/٢ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تعالى - ويكون في كلامه الظن الفرض لله ﷻ.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم؛ وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين - كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم - أن هذا من كلام امرأة العزيز؛ والمعنى: ليعلم زوجي أنني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلب عليها الشهوة فأمر بالسوء.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ ينزل ﴿وَهِيَ حَيْثُ يَسَاءُ﴾ بعد الضيق والحس، وفي القصة أن الملك تَوَجَّه وَحَمَّه<sup>(١)</sup> وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين<sup>(٢)</sup>، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سبئو القحط، وأصاب أرض كنعان الشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بئمه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه؛ ليسلي به عنه، فأمر يائزاهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ﴾ من أيكم؟ أي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أنه من غير بخس ﴿وَلَمَّا خَبَرَ الْمُرْزَلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ فلا كيل لكم عندي؛ أي: ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾ نهى أو عطف على محل ﴿فَلَا كَيْلَ﴾<sup>(٣)</sup> أي: تُحرموا ولا تقربوا.

[٦١] ﴿قَالُوا سَرَرْتُ عَنْهُ أَبْنَاءَ﴾ سنجهد في طلبه منه ﴿وَلَمَّا لَعُنُوا﴾ ذلك.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْيَاهُ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾<sup>(٤)</sup> غلامانه: ﴿أَجْعَلُوا بِصَنَعَتِهِمُ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فِي يَدَيْهِمْ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا بَنَاتَانَا مِيعَ مِنَّا الْكَيْلَ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ﴾ بالنون والياء<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَمَّا لَمَّ لَحْفَظُونُ﴾.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَجَرْتُ﴾  
إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُ بِهِ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٧﴾  
قَالَ أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٨﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا أَمْرًا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَلَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتُونِي بِأَجْرِكُمْ أَمْ لَا ﴿٦٢﴾ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٣﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٤﴾ قَالُوا سَرَرْتُ عَنْهُ أَبْنَاءَ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِصَنَعَتِهِمْ فِي رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَا مِيعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴿٦٧﴾

[٥٣] ثم تواضع لله<sup>(١)</sup> فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إِلَّا مَا، بمعنى ﴿مَنْ﴾ ﴿رَجَعْتُ رَبِّي﴾ فقصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ﴾ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي أجعله خالصاً لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثياباً حسناً ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبه وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الحلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر المحققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاته.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها لإرادة الفحشاء؟!

(٤) أي: لا كيل ولا قُوب.

(٥) والقراءة الأولى لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ ۖ  
 قَبْلَ ۚ قَالَ هَلْ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا  
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا  
 مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ  
 أَخَانًا وَنَزِدُادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۚ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ  
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي  
 بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّاءُ اتَّوهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا  
 نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ  
 وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ  
 شَيْءٍ ۚ إِنَّكُمْ أَلَا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ  
 يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ  
 قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ  
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِنْ قَبْلَ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿قَالَ هَلْ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ وفي قراءة: ﴿حِفْظًا﴾<sup>(١)</sup>، تمييز كقولهم: لله دره فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ فأرجو أن يمين بحفظه.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِغِي﴾ «ما» استفهامية؛ أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقرئ بالفوقانية<sup>(٢)</sup>؛ خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم هذبه. بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴿نأتي بالميرة لهم وهي الطعام وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدُادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل على الملك لسخائه.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ بأن تخلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴿بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابه على ذلك﴾ فَلَمَّاءُ اتَّوهُ مَوْثِقَهُمْ ﴿بذلك﴾ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ نحن وأنتم ﴿وَكَيْلٌ﴾ شهيد، وأرسله معهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَا أَغْنَىٰ﴾ أدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بقولي ذلك ﴿مِنْ اللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ قدره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إِلَّا يَشُوحْ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: متفرقين ﴿مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: قضائه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ﴾ لتعلمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿تخزن﴾ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن ييقنه عنده.

(١) وهي قراءة حفص وحزمة والكسائي، والقراءة الأولى للنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: تنغي، وهي قراءة شاذة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِيدِهِ بِالْحِمْلِ﴾ زعيم ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيلا.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط.

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرْقَى، ثم أكد بقوله: ﴿هُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فصرحوا يوسف بنفثيش أو عيبتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ﴾ فنفثها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَذْنَا يُوْسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم يستتهم ﴿تَرْفَعُ [دَرَجَاتٍ] مَنْ نَشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين<sup>(١)</sup> في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله - تعالى.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنفاً من ذهب فكسره؛ لئلا يعبد<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَسْرَهَا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ﴾ وَلَمْ يُبْدِهَا بِظَهَرِهَا ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بما تصفون ﴿تَذَكُرُونَ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا بَكَتُنَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخَذَّ أَحَدًاكَ﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَذِّنٌ أَتَاهَا الْعَبْرُ أَنْكُمْ لَسَرَفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٨١﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذْنَا يُوْسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨٤﴾ قَالُوا يَا أَبَا الْعَزِيزِ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنامين ﴿ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَتَاهَا الْعَبْرُ﴾ القافلة ﴿أَنْكُمْ لَسَرَفُونَ﴾ انفصلتم. [٧١] ﴿قَالُوا وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾.

(١) بالإضافة لدافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعاً عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعاً ولا موقوفاً، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وإفراء على يوسف وأخيه، كما نقل القرطبي عن الحسن البصري.



[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ﴾ أي: نعوذ بالله من أن نأخذ إلا من وجدنا متاعاً عنده. لم يقل من سرق تحرراً من الكذب ﴿وَإِنَّا إِذَا هُمْ عَنْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ بنسوا ﴿وَمِنْهُمْ خَالَصُوا﴾ اعزلوا ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره؛ أي: ينجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ شيخاً «رويل»، أو رأينا «يهوداً»: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في أخيكهم ﴿وَمِنْ قَبْلِ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَطَسَ فِي يَوْسُفَ﴾ وقيل: «ما» مصدرية مبتدأ خبره: «من قبل» ﴿فَلَمَّا أَنْبَحَ﴾ أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِیْ أَنْ يَرْجِعَ﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلهم.

[٨١] ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَنَّا إِنَّا ابْنُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ يقينا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

[٨٢] ﴿وَسَخَّلَ الْقُرَيْةَ أَلَيْكَ كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر؛ أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَرَأَيْنَا لَصْدِقُونَ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلَى سَوَّلَتْ لِي زِينَتُكَ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبَّرْ جَبِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعاً﴾ إنهم هو العليم ﴿بِحَالِي﴾ العليم ﴿فِي صِنْعِهِ﴾.

[٨٤] ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفُ الْأَلْفُ بَدَلَ مِنْ بَاءِ الْإِضَافَةِ﴾ أي: يا حزني ﴿حَتَّى يَوْسُفَ وَابْنَتُ عِيسَى﴾ انمحق سوادهما وبذل بياضاً من بكائه ﴿وَبَرَكْنَا لَمُوزَنَ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه.

[٨٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَا نَفْتَنُوكَ﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرْبًا﴾ مشرفاً على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِيكَ﴾ الموتى.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا تَبَيَّنُوا فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مَتَاعًا عِنْدَهُ خَالَصُوا أَنْجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطَسَ فِي يَوْسُفَ فَلَمَّا أَنْبَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَنْ يَرْجِعَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَنَّا إِنَّا ابْنُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ وَسَخَّلَ الْقُرَيْةَ أَلَيْكَ كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِقُونَ قَالَ بَلَى سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبَّرْ جَبِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى يَوْسُفَ وَابْنَتِ عِيسَى مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوكَ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرْبًا أَوْ تَكُونَ مِنَ أَهْلِيكَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَمَا لِي تَعْلَمُونَ

[٨٦] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يث إلى الناس ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي.

﴿وَجَعَلْنَا يَوْسَعَ مُرْجَدًا مَدْفُوعًا<sup>(١)</sup>﴾ يدفعها كل من رآها لردائها، وكانت دراهم زبوا<sup>(٢)</sup> أو غيرها ﴿فَأَوْفَى﴾ أتم ﴿لَنَا الْكِيلَ وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يبيهم، فرق لهم وأدر كته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

[٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخا: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يَوْسَعَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَيُّدِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْشَرْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ما يقول إليه أمر يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متبئين: ﴿أَوَإِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٣)</sup> ﴿لَأَنْتَ يَوْسَعُ قَالَ أَنَا يَوْسَعُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْاجْتِمَاعِ﴾ إئت من يتيي يخف الله ويصير على ما يناله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمهر.

[٩١] ﴿قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَازَرَكَ﴾ فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ﴾ وإن مخففة، أي: إنا ﴿كُنَّا لَخٰطِلِيْنَ﴾ آلمين في أمرك فأذلناك. [٩٢] ﴿قَالَ لَا تَنْزِبْ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه مظنة التثريب غيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٩٣] وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهب عيناه، فقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقى في النار، كان في عنقه في الحب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيه ريحا ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي<sup>(٤)</sup> ﴿فَالْقَوُّهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي بَارَ﴾ بصر ﴿بَصِيرًا وَأَتَوَفَّيْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَطِ الْعَيْسُ﴾ خرجت من عرش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنه وأولادهم: ﴿إِنِّي لَأَكِيدُ رِيحَ يَوْسَعَ﴾ أوصلته إليه الصبأ<sup>(٥)</sup> بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿كُلُّوْا أَنْ تَقْتَدُوْا﴾ تسفهون لصدقتموني.

[٩٥] ﴿قَالُوا لَهُ﴾: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خطلك ﴿الْقَدِيرِ﴾ من إفراط في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْكُسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَدَةٍ قَاوْفٍ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسَعَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْشَرْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَلَمْ نَكْ لَكَ أَنْتَ يَوْسَعُ قَالَ أَنَا يَوْسَعُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَازَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِلِيْنَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَنْزِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا قَاوْفُهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتَوَفَّيْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَطِ الْعَيْسُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَكِيدُ رِيحَ يَوْسَعَ لَوْلَا أَنْ تَقْتَدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثم قال: ﴿يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْكُسُوا﴾ تفنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف. [٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الجوع

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوبا عنه.

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعة. وقرأ ابن كثير هنا بالخير ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعة أيضا.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه عليه السلام خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الصبأ»: ريح مهبط من مطلع الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدبور»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعا: «نُصِرْتُ بالصبأ، وأهلكت عاد بالدبور».

[٩٦] ﴿فَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ . آخر ذلك إلى السحر؛ ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر للتقيهم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ فِي مَضْرَبِهِ<sup>(١)</sup> ﴿ءَاذَنْتَ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبُوِّي﴾ أباه وأمه، أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ إن شاء الله ءامين﴿ فدخلوا وجلس يوسف على سريره.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهُ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى الْأَمْرِ﴾ السرير ﴿وَوَضَعَا﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُ سَجْدًا﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة وكان تحتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَتْلِبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إلى ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الحب تكرمًا، لئلا تخلل إخوته ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿وَمِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ﴾ أفسد ﴿السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إن ربي لطيف لما يشاء إنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴿بخلقه﴾ الْحَكِيمُ ﴿في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة، وكان مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة<sup>(٢)</sup>.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا تِمَّ أَمْرُهُ وَعِلِمُ أَنَّهُ لَا يَدُومُ تَأْتَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمَلِكِ الدَّائِمُ فَقَالَ: ﴿رَبِّي قَدْ ءَاتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطْرُ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ﴾ متولي مصالحتي ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة، وتَشَأَّحَ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء للملكة<sup>(٣)</sup>.

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ﴾

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتْلِبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَرَفَعَ أَبَوَيْهُمَا أَجْلَسَهُمَا مَعَهُ عَلَى الْأَمْرِ السَّرِيرِ ﴿١٠٠﴾ وَوَضَعَا لَهُ سَجْدًا فَجَاءَا بِحُجَّتِهِمَا وَلَمْ حُجَّتُهُمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَقَالَ يَتْلِبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِلَى إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ لَمْ يَقُلْ مِنَ الْحُبِّ تَكْرَمًا، لئلا تخلل إخوته وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَدْوِ الْبَادِيَةِ وَمِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ أفسد السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴿١٠١﴾ رَّبِّي قَدْ ءَاتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيدته أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أي خيمته، وكان ذلك خارج امدية على عادة الملوك.

(٢) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بقصة الله علينا، وهو أحسن القصص.

(٣) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بما قصه الله علينا، وهو أحسن القصص.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾  
 وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا  
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا  
 وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ  
 اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ  
 هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ  
 وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
 قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا  
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا  
 جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَافِئٌ مِنْ شَأْنِهِمْ وَلَا يَزِدُّهُمْ أُسْتَاغَيْنِ الْقَوْمِ  
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ  
 مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
 وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿١٠٤﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ أَي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما  
 ﴿هُوَ﴾ أَي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿١٠٥﴾ وَكَأَيِّنْ ﴿وَكَمْ﴾ مِنْ آيَةٍ دالة على وحدانية الله ﴿فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا  
 يفكرون بها.

﴿١٠٦﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ حيث يقرن بأنه الخالق الرازق  
 ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به عبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك  
 لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعنونها.

﴿١٠٧﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ نعمة تغشاهم ﴿بَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ  
 تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

﴿١٠٨﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُو إِلَى  
 دين﴾ ﴿اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ آمن بي، عطف  
 على ﴿أنا﴾ المبتدأ الخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا  
 أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً.

﴿١٠٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴿يُوحِي﴾ وفي قراءة بالنون  
 وكسر الحاء <sup>(١)</sup> ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار؛ لأنهم  
 أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجهلهم وجاهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل  
 مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي:  
 آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة  
 ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالباء والتاء <sup>(٢)</sup>، يا أهل مكة  
 هذا فتؤمنون.

﴿١١٠﴾ حَتَّىٰ ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾  
 أي: فترأى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُّوا﴾ أيقن  
 الرسل <sup>(٣)</sup> ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده،  
 والتخفيف <sup>(٤)</sup>؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أنحلوا ما وعدوا به من النصر  
 ﴿جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَافِئٌ﴾ فتنجى ﴿مِنْ شَأْنِهِمْ﴾ بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماضٍ <sup>(٥)</sup>  
 ﴿مَنْ شَاءَ وَلَا يَزِدُّهُمْ أُسْتَاغَيْنِ﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿١١١﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ أَي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾  
 أصحاب العقول ﴿مَنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يختلق  
 ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾  
 تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة  
 ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لاتفاعهم به دون غيرهم.

\*\*\*

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحزمة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كُذِّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعة، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

## سُورَةُ الرَّحْمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ يَلْكَ أَيْتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًا وَأَنْهَارًا وَكُلٌّ فِيهَا خَلْقٌ ثَلَاثِينَ يَغْشَى السَّيْلَ الْتِهَارَاتِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَتَجَوَّزَةٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْطٍ وَرَعٍّ وَنَحِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْشَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذْكَاتُ الْبَرِّاءِ أَتَالْفَى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْطَلُ فِي أَغْطَاهُمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين البعث: ﴿أَوَذَا كُنَّا تَرْتَابًا لَفَى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها<sup>(٨)</sup>، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني<sup>(٩)</sup>، وأخرى عكسه<sup>(١٠)</sup> ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْطَلُ فِي أَغْطَاهُمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

## سُورَةُ الرَّحْمَةِ

[مكية إلا: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية. أو: - مدنية إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ الآية، ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَةِ﴾ الله أعلم بمدى هذه الآية ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية، ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، مبتدأ خبره: ﴿الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به<sup>(١)</sup> ﴿وَسَحَرَ﴾ ذَلَّلَ ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكِهِ يَكْرِي﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ بين ﴿الْآيَاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ فيها رِجًا ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجًا ثَلَاثِينَ﴾ من كل نوع يغشى الغطاء ﴿الْأَيْلَ﴾ بظلمته ﴿الْبَارِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَتَجَوَّزٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مَتَجَوَّزٌ﴾ متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وفليس الربيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بساتين ﴿مِنْ أَغْطٍ وَرَعٍّ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿وَجَعَلْنَا﴾، والجر<sup>(٢)</sup> على ﴿أَغْطٍ﴾، وكذا قوله<sup>(٣)</sup>: ﴿وَنَحِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو، وهي الثَّخَلَاتُ<sup>(٤)</sup> يجمعها أصل واحد وتنشعب فروعهما ﴿وَعَبْرٌ صِنْوَانٌ﴾ مفردة ﴿تُشْقَى﴾ بالناء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء<sup>(٥)</sup>؛ أي: المذكور ﴿بِمَاءٍ وَنَحِيلٍ وَنُفِضَ﴾ بالنون والياء<sup>(٦)</sup> ﴿بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْشَلِ﴾ بضم الكاف وسكونها<sup>(٧)</sup>؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾

(١) سبق التعليق على هذا الإحاطة وأنه إذا كان تقريباً في الكيفية فعم، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.

(٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفي نسخة مطبوعة: «الثَّخَلَاتِ».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٦) فهذه أربع قراءات.

(٧) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:

قرأ نافع والكسائي ﴿أَوَذَا﴾ بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

وقرأوا ﴿أَوَذَا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في ﴿أَوَذَا﴾ ويدخل أنفاً بينها وبين الأولى، وورث يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال فولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.

وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيهما وكل على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحزمة بالتحقيق من غير إدخال.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴿١﴾ هَلَّا ﴿٢﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿٣﴾ عَلَى مُحَمَّد ﴿٤﴾ آيَةً مِّن دُونِهِ ﴿٥﴾ كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ؟ قَالَ - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴿٦﴾﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿٧﴾ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يفترون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴿١﴾﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا يُفَيْضُ ﴿٢﴾﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ ﴿٣﴾﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزَادُ ﴿٤﴾﴾ منه ﴿وَكُلُّ أُنْثَىٰ عِنْدَ رَبِّكَ بِمَا عَمِلَتْ ﴿٥﴾﴾ بقدر وحد لا يتجاوز.

[٩] ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْشَّهَادَةُ ﴿١﴾﴾ ما غاب وما شوه ﴿الْكَبِيرُ ﴿٢﴾﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالَى ﴿٣﴾﴾ على خلقه بالقهر <sup>(١)</sup>، بياء ودونها <sup>(٢)</sup>.

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ ﴿١﴾﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴿٢﴾﴾ مستتر ﴿بِالْإِيلِ ﴿٣﴾﴾ بظلامه ﴿وَسَارٍ ﴿٤﴾﴾ ظاهر بذهابه في سرية <sup>(١)</sup> أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ ﴿٢﴾﴾.

[١١] ﴿لَهُ ﴿١﴾﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَتٌ ﴿٢﴾﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِّن بَيْن يَدَيْهِ ﴿٣﴾﴾ قدماه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ ﴿٤﴾﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ ﴿٥﴾﴾ أي: بأمر من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ ﴿٦﴾﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يَبُورُوا مَا بَأْسُهُمْ ﴿٧﴾﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سَوْءًا ﴿٨﴾﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ ﴿٩﴾﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ ﴿١٠﴾﴾ لمن أراد الله بهم سوءًا ﴿مِّن دُونِهِ ﴿١١﴾﴾ أي: غير الله ﴿مِنْ زَائِدَةٍ ﴿١٢﴾﴾ زائدة ﴿وَالِ ﴿١٣﴾﴾ بمنعهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا ﴿١﴾﴾ للمسافرين من الصواعق <sup>(١)</sup> ﴿وَلَمَّا ﴿٢﴾﴾ للمقيم في المطر <sup>(٢)</sup> ﴿وَيُنْشِئُ ﴿٣﴾﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ ﴿٤﴾﴾ الأقاليم بالمطر.

[١٣] ﴿رُسُوحُ الزَّعْدِ ﴿١﴾﴾ هو ملك <sup>(١)</sup> موكل بالسحاب يسوقه متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِ ﴿٢﴾﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُسَبِّحُ ﴿٣﴾﴾ يسبح ﴿السَّمَاوَاتِ مِن خِيفَتِهِ ﴿٤﴾﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ ﴿٥﴾﴾ يرسل ﴿الْصَّوَاقِقَ ﴿٦﴾﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴿٧﴾﴾ فتحرقه، ونزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعو فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بيقحف <sup>(٧)</sup> رأسه <sup>(٨)</sup> ﴿وَهُمْ ﴿٩﴾﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١١﴾﴾ القوة أو الأخذ.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٢﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٣﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴿٤﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٥﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سَوْءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿٧﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِّنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاقِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿٨﴾

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْعَذَابِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جمع ﴿الْمَثَلَةُ﴾ يوزن ﴿الشَّمْرَةُ﴾؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ ولا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو الشام؛ علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.

(٢) في البصل والوقف، فبالياء قرأ بن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهبا التزيين الذي تحذف الباء من أجله، فرجعت الباء، وبالحذف قرأ الباقون اتباعًا للخط، واكتفاء بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الناهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيالًا وأخرى شؤًا للجمع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيالًا وأخرى شؤًا للجمع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أبحرنا من الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه محاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمحاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تخرج بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسبيح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسبيح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقيل: هذا التسبيح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء، بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ نَّفْثُوهُنَّ لَسِيحُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُنَبِّئُنَّ بِالْغَيْبِ وَالْخَبَرِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ قَوْمٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد ملك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٩٩/٤) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

[١٤] ﴿لَهُ تَعَالَى دَعْوَةُ الْمُنَى﴾ أي: كلمته، وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ﴾<sup>(١)</sup> يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبْسُطٍ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَتَبَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البحر يدعو ﴿يَتْلَعُ فَاءُ﴾ بارتفاعه من البحر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَلَّوٍ﴾ أي: فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ ضَيَاعٍ﴾.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكرهه بالسيف<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾ ظللهم بِالْعُدْوَةِ الْبُكْرِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا.

[١٦] ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه فلا جواب غيره ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: أَفَأَنْتُمْ مِنْ دُونِهِ؟ أي: غيره ﴿أَوَلَيْسَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكمها؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ الْكُفْرُ وَالنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمَا خَلَقَهُ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده. ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: [١٧] ﴿أَنْزَلَ تَعَالَى﴾ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً ﴿مَطَرًا﴾ فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴿فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَمَا يُوقِدُونَ﴾ بالناء والباء<sup>(٤)</sup> ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿أَتَبْنَسَاءُ﴾ طلب ﴿جَلِيَّةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يتنفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَيْدٌ يَتْلُوهُ﴾ أي: مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثلهما ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿يَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُتُ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زماناً، كذلك الباطل يضمحل وينمحى وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق، ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَصْرُتُ﴾ يَبِينُ ﴿اللَّهُ الْأَمْتَالُ﴾.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسُطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَنْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْ لِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمَا خَلَقَهُ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ ﴿كَذَلِكَ يَصْرُتُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَاَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرُتُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ﴾ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مَتَى فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةٌ لَهُمْ وَلَهُمْ جَهَنَّمُ مِمَّا قَدَرُوا بِهِ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةٌ لَهُمْ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المأخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَا أَوْفَوْهُمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

(١) ظاهرهما أنهما قراءتان سبعيتان، وليس كذلك، فالباء هي قراءة السبعة، أما التاء فشاذة.

(٢) هذا المعنى غير واضح، ولا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، والأقرب أن يقال: إن المراد بالسجود كرهاً: هو انقياد غير المؤمنين من الكفار والمنافقين لإرادته شخاطة وتديبه وتصريفه، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تتقاد له تعالى ظلالمهم؛ كما لا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفهتاً وعقولا بها تسجد لله، كما خلقها للجناب وغيرهما حتى اشتغلت بالنسيح، ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها، وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿وَلَهُ أَشْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَخُ فِي ظُلُمَةٍ أَلْيَيْنِ وَالسَّامِلِ شَجْدًا يَبَّ وَهُوَ دَكْرُونُ﴾ [النحل: ٤٨].

(٣) جمع بكرة وهي من أول النهار.

(٤) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

عهد ﴿وَلَا يَنْفُضُونَ الْبَيْعَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.  
 [٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ وعيده. ﴿وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ تقدم مثله.  
 [٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَتَيْتَهُمْ﴾ طلب ﴿وَرَجِعَ رَبُّهُمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا فِي الطَّاعَةِ﴾ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ ﴿يَدْفَعُونَ﴾ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

[٢٣] هي ﴿جَنَّتْ عَنِ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَزُرِّيَّاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكملة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للجنة<sup>(١)</sup>.

[٢٤] يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ﴾ عقباكم.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.  
 [٢٦] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لِمَنْ يَضِيقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ بِمَا نَالُوهُ فِيهَا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والبد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله؛ فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه. ويبدل من ﴿مَنْ﴾: [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ﴾ أي: وعده ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

\* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِمَّا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْبَيْعَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿جَنَّتْ عَنِ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل<sup>(١)</sup>: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فأمّن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ ﴿أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم النذر، أو كل

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ول دليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية - عليه المفسرون - أنه غير محصور بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.



[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها<sup>(٢)</sup> ﴿لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾ مرجع.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلَوْهُ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

[٣١] ونزل لما قالوا له: إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا؛ لغرس ونزرع، وابتع لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي<sup>(٣)</sup>: ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿وَأَوْ قُطِعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلْ يَلَوُ الْأُمَمُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ﴾ يعلم<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ مخفية: أي: أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ يصنعهم: أي: كفرهم ﴿فَارْعَوْهُ﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجذب ﴿أَوْ تَحُلْ﴾ يا محمد بجيشك<sup>(٥)</sup> ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ وقد حل بالحدودية حتى أتى فتح مكة.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، وكذلك أفعَل بمن استهزأ بك.

[٣٣] ﴿أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أُنَبِّئُونَهُمْ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَخْلُقُ لَهُ﴾ في الأرض استفهام إنكار؛ أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلَوْا عَلَيْهَا الدِّينَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ سِيرَتُهُ بِهِ لَيَبَالَ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ يَرُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مُكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

كَفَرُوا مُكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي: عذابه ﴿وَمِنْ وَاقٍ﴾ مانع.

(١) قال الزمخشري: ﴿طُوبَى﴾: مصدر من «طاب» كيشري وزلفى، ومعنى «طوبى لك»: أصبت خيرا وطيبا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب الجواب في ظلها لساير فيه مائة عام قبل أن يقطعها...» الحديث [الدر المنثور (١١٣/٤)].

وجاء نحو هذا المعنى في حديث رواه أحمد (١٢٤٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٤) رقم (١٩٨٥) وحسنه في صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٢) رقم (١٢٦١٧) عن ابن عباس، والفضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥٥٦/٩)، رقم (٥٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣/٧): «رواه الطبراني، وفيه قابوس بن أبي طيبان، وقد وثق».

(٤) وهي لغة هوازن: حيث يطلقون «يئس» على معنى «علم».

(٥) والقول الآخر، وهو الظاهر من السياق: أن الضمير يعود إلى الفارعة؛ أي: تصيب من حولهم؛ لينظفوا ويعتبروا.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ كَتَبَ﴾ كعب الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ﴾ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴿لِإِيَّاكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَنْ يُكْرِهُ بَعْضُهُمْ كَذَرَ﴾ الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبَدَ اللَّهُ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ﴾ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابٌ ﴿مَرْجِعِي﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أُنْزِلَتْ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بِمَدِّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ زَائِلَةٍ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ مانع من عذابه.

[٣٨] ونزل لما عيره بكثرة النساء<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربيون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كُتِبَ﴾ مكتوب فيه تحديده.

[٣٩] ﴿وَمَحُوا اللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا﴾ فيه ادغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿فَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي تَوَدُّهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك. وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ تَوَفَّتْكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجاز بهم.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَغْفِرُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مَعْقَبَ﴾ لا راد ﴿لِلْحَكِيمِ﴾ وهو سريع الحساب.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكروهم كمكروه؛ لأنه - تعالى - ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعلمها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿الْكُفَّارُ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم النبي ﷺ وأصحابه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(١)</sup> أكلها دأبهم وظلها نيلك عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ﴾ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُكْرِهُ بَعْضُهُمْ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابٌ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿وَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿وَلَنْ مَّا فَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي تَوَدُّهُمْ أَوْ تَوَفَّتْكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحَكِيمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارُ﴾

[٣٥] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيما نقص عليكم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِبًا﴾ لا يفنى ﴿وُظُلُهَا﴾ دائم لا تسخه شمس لعدمها فيها ﴿نِيلَتُ﴾ أي: الجنة ﴿عَقَبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

(١) كان تعبيرهم له ﷺ بذلك بقصد الطعن في نبوته ﷺ.

(٢) وهما قراءتان سبيتان، وبالتشديد قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٣) وانقراءة المفسرة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.



وَلَاذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
 إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
 وَيَدْعِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي  
 ذَالِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾ وَلَا تَأْذَنْ رَبُّكُمْ  
 لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي  
 لَشَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنَا اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ  
 مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا  
 بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٤﴾  
 \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ  
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا  
 عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنُوتَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥﴾

[٦] ﴿١﴾ اذكر ﴿١﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ  
 أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ  
 المولودين ﴿٢﴾ وَيَسْتَحْيُونَ ﴿٣﴾ يَسْتَحْيُونَ ﴿٤﴾ لَقَوْلِ بَعْضِ الْكُهَنَةِ: إِنْ مَوْلَا  
 يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ ذَهَابِ مَلِكِ فِرْعَوْنَ ﴿٥﴾ وَفِي ذَالِكُمْ ﴿٦﴾ الْإِنْجَاءُ  
 أَوِ الْعَذَابِ ﴿٧﴾ بَلَاءٌ ﴿٨﴾ إِنْجَامٌ أَوْ إِبْتِلَاءٌ ﴿٩﴾ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾.

[٧] ﴿١﴾ وَلَا تَأْذَنْ ﴿٢﴾ أَعْلَمْتُ ﴿٣﴾ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ ﴿٤﴾ نِعْمَتِي بِالتَّوْحِيدِ  
 وَالطَّاعَةِ ﴿٥﴾ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ ﴿٦﴾ جَحَدْتُمُ النِّعْمَةَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ  
 لِأَعَذِّبَكُمْ، دَل عَلَيْهِ: ﴿٧﴾ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾.

[٨] ﴿١﴾ وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: ﴿٢﴾ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
 فَأَنَا اللَّهَ لَغَنِيٌ ﴿٣﴾ عَنْ خَلْفِهِ ﴿٤﴾ حَمِيدٌ ﴿٥﴾ مَحْمُودٌ فِي صَنْعِهِ بِهِم.

[٩] ﴿١﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴿٢﴾ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ ﴿٣﴾ نَبُؤًا ﴿٤﴾ خَبَرٌ ﴿٥﴾ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
 قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ ﴿٦﴾ قَوْمِ هُودٍ ﴿٧﴾ وَثَمُودَ ﴿٨﴾ قَوْمِ صَالِحٍ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
 لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴿١٠﴾ لِكُرْهِهِمْ ﴿١١﴾ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿١٢﴾ بِالْحُجُجِ الْوَاضِحَةِ  
 عَلَى صَدَقَتِهِمْ ﴿١٣﴾ فَرَدُّوا ﴿١٤﴾ أَيْ: الْأُمَمُ ﴿١٥﴾ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴿١٦﴾ أَيْ: إِلَيْهَا؛  
 لِيَعْضُوا عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴿١٩﴾ فِي  
 زَعَمِكُمْ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٢١﴾ مَوْجِعٌ فِي الصَّنِيعَةِ.

[١٠] ﴿١﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ ﴿٢﴾ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ أَيْ: لَا شَكَّ  
 فِي تَوْحِيدِهِ لِلدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ عَلَيْهِ ﴿٣﴾ فَاطِرُ ﴿٤﴾ خَالِقُ ﴿٥﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 يَدْعُوكُمْ ﴿٦﴾ إِلَى طَاعَتِهِ ﴿٧﴾ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿٨﴾ «مَنْ» زَائِدَةٌ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ  
 يَغْفِرُ بِهِ مَا قَبْلَهُ، أَوْ تَبْطِيلُهُ لِإِخْرَاجِ حَقُوقِ الْعِبَادِ ﴿٩﴾ وَيُخْرِجَكُمْ ﴿١٠﴾ بِلا عَذَابٍ  
 ﴿١١﴾ إِلَيْ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٢﴾ أَجَلِ الْمَوْتِ ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنْ ﴿١٤﴾ مَا ﴿١٥﴾ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا  
 تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴿١٦﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿١٧﴾ فَأُنُوتَ  
 بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى صَدَقَتِهِ.

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَرَبُّرُؤُوسِهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّبَعُؤُوسُ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِيَّاكُمْ لَكُمْ تَبَعًا قَهْلُ أَنْتُمْ مُعْتُونٌ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُمُ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق» ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بذلك. [٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَرَبُّرُؤُوسِهِ جَمِيعًا﴾ أي: الخلاق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقيق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّبَعُؤُوسُ الْأَتْبَاعُ﴾ ﴿لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَكُمُ لَدَعُونَاكُمْ إِلَى الْهَدْيِ﴾ ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِصٍ﴾ زائدة ﴿مَحْجِصٍ﴾ ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيبكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء وكسرها<sup>(٥)</sup> ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٦)</sup>.

(٥) فائدة أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: وأخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحترق. أي تسقط. ورقها؟. فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وكنم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: وهي النخلة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

(٦) بالكسر قراءة حمزة.

تُؤْتِي أَكْهَامَهُ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا أَكْهَامُ كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَصَرِيحُ اللَّهِ الْأَمثالِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيِّثَةٍ أَجْحَثَتْ مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣١﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةَ رِقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٣﴾ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَايِمَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْهَامَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَصَرِيحُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَمثالُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون فيؤمنون.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَيِّثَةٍ﴾ هي الخطل ﴿أَجْحَثَتْ﴾ استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبهم فيجيبون بالصواب - كما في حديث الشيخين (١) ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون: لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَسْلَوْا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿٢٩﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ المقر هي.

﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الباء وضمها (٢) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَسْتَمُوا﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِن مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةَ رِقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِدَاءٍ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ مخالفة أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

﴿٣٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَايِمَيْنِ﴾ جاريتين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

(١) أخرج نحوه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب مرفوعاً.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

وَأَن تَكُفِّرُ بَيْنَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ ثُمَّ وَابْنُ تَعْدُوَ يُعَمِّتُ اللَّهَ  
لَا تُخْصِرُهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ  
الْأَصْنَامَ ﴿٣٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضِلَّانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ  
تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا  
إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُورِيَّ بَوَادِعَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ  
الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ  
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾  
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ  
مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ  
الدُّعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ دُورِيَّ رَبَّنَا  
وَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ  
يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ  
الظَّالِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٤﴾

[٣٤] ﴿وَأَن تَكُفِّرُ بَيْنَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ﴾ على حسب مصالحكم  
﴿وَابْنُ تَعْدُوَ يُعَمِّتُ اللَّهَ﴾ بمعنى إغماحه ﴿لَا تُخْصِرُهَا﴾ لا تطبقوا عداها  
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية  
والكفر لنعمة ربه.

[٣٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ  
﴿آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان  
ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يухلى خلاه<sup>(١)</sup> ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ  
﴿عَنْ﴾ عَنْ أَن تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنِّي﴾ أي: الأصنام ﴿أَسْلَمْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم  
لها ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَأَنَا مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾  
فَأَنَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿هذا قبل علمه<sup>(٢)</sup>﴾ أنه . تعالى . لا يغفر الشرك.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُورِيَّ﴾ أي: بعضها وهو إسماعيل مع أمه  
هاجر ﴿بَوَادِعَ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحْرَمِ﴾ الذي كان قبل  
الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوباً ﴿مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾  
تميل ﴿وَحَنَ﴾ إِلَيْهِمْ ﴿قال ابن عباس: لو قال: أفئدة الناس لحنت إليه فارس  
والروم والناس كلهم<sup>(٣)</sup>﴾ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿وقد فعل  
بنقل الطائف إليه<sup>(٤)</sup>﴾.

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسر ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ﴾  
زائدة ﴿شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه . تعالى .  
أو كلام إبراهيم.

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿الْكِبَرِ﴾  
إِسْمَاعِيلَ ﴿ولد وله تسع وتسعون سنة﴾ وَإِسْحَاقَ ﴿ولد وله مئة واثنان عشرة  
سنة﴾ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ﴾ اجعل ﴿مِنْ دُورِيَّ﴾ من  
يقيمها، وأنى بـ«من» لإعلام الله . تعالى . له أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ  
دُعَاءَ﴾ المذكور.

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾  
وقيل: أسلمت أمه، وقرئ ﴿وَالِدَيَّ﴾ مفرداً ﴿وَوَلَدَيَّ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يَوْمَ  
يَقُومُ ﴿ثبت﴾ الْحِسَابِ ﴿.

[٤٢] قال . تعالى .: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ عَفْلًا عَمَّا يَسْعَى الظَّالِمُونَ﴾  
الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ  
الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى، يقال: شخص بصر فلان؛ أي: فتحه فلم يغمضه.

(١) أي لا يقطع حشيشة النبات بنفسه.

(٢) أو أنه يقصد العصيان غير الشرك. ويكون هذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام؛ حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله بذكره هذين الاسمين الشريفين في هذا الموضع.

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٥٢١/٢). وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم عليه السلام قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحججه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: أفئدة من الناس، فخص به المؤمنين زائد المنصور (١٦٢/٤).

(٤) أي إلى الحرم، وهذا قول لا دليل عليه، والصحيح أن الله قد استجاب له بأن جعل الثمرات تجي إليه من كل مكان مصداق قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَشْكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يَجِيءُ إِلَيْكَ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا...﴾ [القصص: ٥٧]

(٥) وهما قرأتان شاذتان.



مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ  
وَأَفْعَدْتُ لَهُمْ هَوَاءً ۖ وَأَنْذَرْتُ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ  
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ  
دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ  
مَالِكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۖ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ  
الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ  
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا  
تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
ذُو انْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ  
وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْوَحِيدَ الْقَهَّارَ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ  
مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ طَيْرٍ وَتَعَثَّى  
وُجُوهُهُمْ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ  
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ۖ

نهار من أيام الدنيا لحديث<sup>(٧)</sup> بذلك.

[٥٢] «هَذَا» القرآن «بَلَّغٌ لِلنَّاسِ» أي: أنزل لتبليغهم «وَلِيُنْذِرُوا وَلِيَعْلَمُوا» بما فيه من الحجج «وَأَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ» أي: «إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا» يادعاهم التاء في الأصل في الدال؛ يتعظ «وَأُولَئِكَ الْأَلْبَابُ» أصحاب العقول

\*\*\*

[٤٣] «مُهْطِعِينَ» مسرعين، حال «مُقْنِعِي» رافعي «رُءُوسِهِمْ» إلى السماء «لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» بصرهم «وَأَفْعَدْتُ» قلوبهم «هَوَاءً» خالية من العقل لفرغهم.

[٤٤] «وَأَنْذَرْتُ» خوف يا محمد «النَّاسَ» الكفار «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ» هو يوم القيامة «فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا: «رَبَّنَا أَخْرِنَا» بأن تردنا إلى الدنيا «إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ» بالتوحيد «وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ» فيقال لهم توبيحاً: «أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ» حلفت «مِنْ قَبْلِ» في الدنيا «مَالِكُمْ مِنْ» زائدة «زَوَالٍ» عنها إلى الآخرة.

[٤٥] «وَسَكَنْتُمْ» فيها «فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالكفر من الأمم السابقة «وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» من العقوبة فلم تنزعوا «وَضَرَبْنَا» بينا «لَكُمْ الْأَمْثَالَ» في القرآن، فلم تعتبروا.

[٤٦] «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» بالنبي ﷺ «مَكْرَهُمْ» حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجهم «وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» أي: علمه أو جزاؤه «وَزَيْنٌ» ما «كَانَ مَكْرُهُمْ» وإن عظم «لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» المعنى: لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرايع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بفتح لام «لَتَزُولَ» ورفع الفعل، ف«إِنْ» مخففة، والمراد تعظيم مكْرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية<sup>(٢)</sup>: «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْقَطَنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا»<sup>(٣)</sup>، وعلى الأولى: ما قرئ<sup>(٤)</sup>: «(وما كان).

[٤٧] «فَلَا تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ» بالنصر «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» غالب لا يعجزه شيء «ذُو انْتِقَامٍ» ممن عصاه.

[٤٨] أذكر «يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ» هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين<sup>(٥)</sup>، وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ: أين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»<sup>(٦)</sup>، «وَيَرْزُقُوا» خرجوا من القبور «لِلَّوْحِيدِ الْقَهَّارِ».

[٤٩] «وَتَرَى» يا محمد، تبصر «الْمُجْرِمِينَ» الكافرين «يَوْمَئِذٍ مُقَرَّرِينَ» مشدودين مع شياطينهم «فِي الْأَصْفَادِ» القيود أو الأغلال. [٥٠] «سَرَّابِلُهُمْ» قمصهم «مِنْ طَيْرٍ» لأنهم أبغوا لاشتعال النار «وَتَعَثَّى» تعلقو «وُجُوهُهُمْ النَّارُ».

[٥١] «لِيَجْزِيَ» متعلق بـ«يرزوا» «اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» من خير وشر «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» يحاسب جميع الخلق في قدر نصف

(١) للكسائي.

(٢) أي: القراءة الثانية.

(٣) مرص: ٩٠.

(٤) أي: الذي قرئ، وهي قراءة شاذة؛ أي قرئ شاذاً: (وما كان مكْرهم...).

(٥) البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢) عن سهل بن سعد مرفوعاً.

(٦) مسلم (١٩٤٢) من حديث عائشة.

(٧) أخرج الطبري (٢٥٩/١٩) عن إبراهيم في قوله: «فَتَكُونُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ نَارًا وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ نَارًا» قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف فقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

وأخرج نحوه عن ابن جريج وكذلك ذكره ابن كثير عن سعيد بن عبيد (٣٠٤/٢)، وكذلك البغوي عن عطاء عن ابن عباس ومقاتل (٢٢١/٨)، وسبق بيان أن السيوطي رحمه الله قد -

## سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ۝ زُبَيْرًا يُوَدُّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا  
 وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُوا الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا  
 مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ  
 أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَأْتِيُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ  
 الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِيُنَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ  
 مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا  
 إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۝  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ  
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ  
 فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ  
 ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝  
 لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝

## سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ  
 الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من  
 الباطل، غطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿زُبَيْرًا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> ﴿يُوَدُّ﴾ يمتنى ﴿الَّذِينَ  
 كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾  
 و«زُبَّ» للتكثير فإنه يكثر منهم تمتنى ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأحوال  
 تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنيهم  
 ﴿وَيُلْهِمُوا﴾ يشغلهم ﴿الْأَمْلَ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾  
 أجل ﴿مَعْلُومٌ﴾ محدود لا ملامها.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ زائدة ﴿أَمْرِهِ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَأْتِيُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ  
 الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٧] ﴿لَوْ مَا﴾ هلاً ﴿تَأْتِيُنَا بِالْمَلَكَةِ﴾ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿فِي  
 قَوْلِكَ﴾ إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا تَنْزَّلُ﴾<sup>(٢)</sup> فيه حذف إحدى التاءين  
 ﴿الْمَلَكَةَ﴾ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿بِالْعَذَابِ﴾ وَمَا كَانُوا إِذَا ﴿أَي: حين نزول الملائكة  
 بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل<sup>(٣)</sup> ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن  
 ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعِ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾  
 كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك  
 ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة  
 الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب  
 ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ﴾ سدت ﴿أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾  
 يخيل إلينا ذلك.

(١) بالتشديد. قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم ﴿الْمَلَكَةُ﴾ بالرفع، وفراً شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقرأ حفص وحمره والكسائي: ﴿مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ﴾ بالنون ونصب ﴿الْمَلَكَةَ﴾.

(٣) ضمير فصل، واعتراض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاختصار على الأول.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ۖ وَكُنَّا عَشْرَةَ كُلِّ كَوْكَبٍ مِثْلًا نَبُوءًا ۚ وَالْجُزَاءُ وَالسَّرَافُ وَالْأَسَدُ وَالسَّنْبِيلَةُ وَالْمِيزَانُ وَالْعَقْرَبُ وَالْقَوْسُ وَالْجُدَى وَالْأَلَدُ وَالْحَوْتُ وَهِيَ مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ: «المريخ» وله الحمل والعقرب، و«الزهره» ولها الثور والميزان، و«عطارد» وله الجوزاء والسنبلة، و«القمر» وله السرطان، و«الشمس» ولها الأسد، و«المشتري» وله القوس والحوت، و«زحل» وله الجدي والدلو و«زرتنها» بالكواكب للظنيرين.﴾

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا بِالشَّهْبِ ۖ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ مَرْجُومٍ ۖ

[١٨] ﴿إِلَّا ۖ لَكِنْ ۖ مِنْ أَسْرَاقِ السَّمْعِ ۖ حَقِطُهُ ۖ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ۖ كَوْكَبٌ يَضِيءُ وَيَحْرِقُهُ أَوْ يَتْبَعُهُ أَوْ يَخْبِيهِ ۖ

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ۖ بَسْطَانَا ۖ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ۖ جِبَالًا ثَوَابِتَ ۖ فَلَا تَحْرُكُ بِأَهْلِهَا ۖ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۖ مَعْلُومٍ مَقْدَرٍ ۖ [٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ ۖ بَالِيَاءَ ۖ مِنَ الثَّمَرِ وَالْجُذُوبِ ۖ وَجَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ أَنْشُمٍ لَمْ يَرَوْا مِنْهُ ۖ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْعَامِ فَإِنَّمَا يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ ۖ

[٢١] ﴿وَأَنْ ۖ مَا ۖ مِنْ زَائِدَةٍ ۖ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ۖ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ ۖ وَمَا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ ۖ

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ ۖ تَلْفَحُ السَّحَابَ فَيُمْتَلِئُ مَاءً ۖ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابَ مَاءً ۖ مَطَرًا ۖ فَاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً ۖ وَكَأَنَّكُمْ لَا تَحْسَبُونَ ۖ أَي: ليست خزائنه بأيديكم ۖ

[٢٣] ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ۖ وَنُمِيتُ ۖ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۖ الْبَاقُونَ ۖ نَرِثُ جَمِيعَ الْخَلْقِ ۖ

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ ۖ أَي: من تقدم من الخلق من لدن آدم<sup>(٢)</sup> ۖ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ ۖ الْمَأْخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ

[٢٥] ﴿وَأَنْ رَبَّكَ هُوَ يُخَوِّضُهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاكِبٌ ۖ فِي صُنْعِهِ ۖ عَلِيمٌ ۖ بِخَلْقِهِ ۖ

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۖ أَدَم ۖ مِنْ صَلْصَلٍ ۖ طِينٍ يَابِسٍ يَسْمَعُ لَهُ صَلَاسَةً إِذَا نَفَرَ ۖ مِنْ حَمَلٍ ۖ طِينٍ أَسْوَدَ ۖ مُسْنُونٍ ۖ مُتَغَيَّرٍ ۖ

[٢٧] ﴿وَالْإِنْسَانَ ۖ أَبَا الْجَنِّ ۖ وَهُوَ إِبْلِيسُ ۖ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ۖ أَي: قبل خلق آدم ۖ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۖ هِيَ نَارُ لَدْنِهَا لَهَا تَنْفُذُ مِنَ الْمَسَامِ ۖ

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ لَكَ رَبُّكَ لِمَا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى خَلْقٍ يُنْكَرُ ۖ مِنْ صَلْصَلٍ ۖ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ ۖ

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْرَاقِ السَّمْعِ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ بَالِيَاءَ مِنَ الثَّمَرِ وَالْجُذُوبِ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ أَنْشُمٍ لَمْ يَرَوْا مِنْهُ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْعَامِ فَإِنَّمَا يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ ﴿٢١﴾ وَأَنْ ۖ مَا ۖ مِنْ زَائِدَةٍ ۖ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ ﴿٢٢﴾ وَمَا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ ﴿٢٣﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ تَلْفَحُ السَّحَابَ فَيُمْتَلِئُ مَاءً ﴿٢٤﴾ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابَ مَاءً مَطَرًا فَاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً وَكَأَنَّكُمْ لَا تَحْسَبُونَ أَي: ليست خزائنه بأيديكم ﴿٢٥﴾ وَأَنْ رَبَّكَ هُوَ يُخَوِّضُهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاكِبٌ فِي صُنْعِهِ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ أَدَمَ مِنْ صَلْصَلٍ طِينٍ يَابِسٍ يَسْمَعُ لَهُ صَلَاسَةً إِذَا نَفَرَ مِنْ حَمَلٍ طِينٍ أَسْوَدَ مُسْنُونٍ مُتَغَيَّرٍ ﴿٢٧﴾ وَالْإِنْسَانَ أَبَا الْجَنِّ وَهُوَ إِبْلِيسُ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ أَي: قبل خلق آدم مِنْ نَارِ السَّمُومِ هِيَ نَارُ لَدْنِهَا لَهَا تَنْفُذُ مِنَ الْمَسَامِ ﴿٢٨﴾ وَوَيْلٌ لَكَ رَبُّكَ لِمَا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى خَلْقٍ يُنْكَرُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ ﴿٢٩﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ فَأَنْزَلْنَاهُ أَسْفَلَ سَوَاهٍ ۖ وَنَزَّلْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣٠﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ فَأَنْزَلْنَاهُ أَسْفَلَ سَوَاهٍ ۖ وَنَزَّلْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِي ۖ فَصَارَ حَيًّا ۖ وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِأَدَمَ ۖ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ سَجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْإِنْحَاءِ ۖ

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ فِيهِ تَأْكِيدَانِ ۖ

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ هُوَ أَبُو الْجَنِّ كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ۖ أَيْ ۖ ائْتَمَعَ مِنْ ۖ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۖ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس. قال: فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لتلايها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأمر الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ﴾. النسائي - كتاب الإمامة (١٠) باب (٦٢) المفرد خلف الصف. (صحيح) صحيح سنن النسائي (٨٣٨).

(١) أي: بانفاق السبعة؛ لأنها في المفرد أصلية.

(٢) وأيضاً فالرياح بصريف الله لها تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والثمر، وعملية التلقيح هذه للزرع والشجر تشبه تأثير النخل الذي يقوم به الإنسان. والله أعلم.

(٣) الذي اختاره المصنف في تفسير الآية هو ما رجحه ابن جرير رحمه الله، قال: دلالة ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، وما بعده، وهو قوله: ﴿وَأَنْ رَبَّكَ هُوَ يُخَوِّضُهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك. اهـ. ولا تعارض بين حمل الآية على هذا المعنى أخذاً بالمعوم، مع صحة ما ذكر كسب للنزول، والله أعلم.

(٤) وفيها إثبات صفة النفع لله - جل في علاه -، على الوجه اللائق به سبحانه.

[٣٤] ﴿قَالَ فَخُذْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَأَنَّ عَلَنَكَ اللَّعْنَةُ﴾ أي: لعنة الله عليك يا كافر.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: يا غواث لي، والباء للقسمة وجوابه:

﴿لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] ﴿هُوَ﴾ وإن عبادي: أي: المؤمنين ﴿لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَمَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿يُنْتَهَمُ جُزْءٌ﴾

نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾ بساتين ﴿وَعَمُونَ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ويقال لهم: ﴿أَدْخُلُوهَا سَلَامًا﴾ أي: سالمين من كل مخوف، أو مع

سلام، أي: سلموا، وادخلوا ﴿بِإِيمَانٍ﴾ من كل فرع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾<sup>(٥)</sup> حال أيضا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض

لدوران الأسرة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَى﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُتَعَرِّجِينَ﴾ أبدا.

[٤٩] ﴿نَجْوَى﴾ خبر يا محمد ﴿عِبَادِي﴾ أي: أنا العفور للمؤمنين

﴿الرَّجِيمِ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ﴾ خبر يا محمد ﴿إِذْ هَدَّيْنَاهُمْ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو

ثلاثة منهم جبريل<sup>(٦)</sup>.

قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ لَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ  
لِأَسْجُدْ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حِمْلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾  
قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ  
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ  
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا  
أَغْوَيْتَنِي لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ  
﴿٣٩﴾ لَأَعْبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ  
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ  
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾  
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ  
الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَعَمُونَ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا سَلَامًا آمِينَ ﴿٤٦﴾  
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ  
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴿٤٨﴾  
\* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي  
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ إِذْ هَدَّيْنَاهُمْ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا بَلِيسَ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَنْ﴾ لا تكون مع الساجدين.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدْ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حِمْلٍ مَسْنُونٍ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ ... أن أبا سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيفصل بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وهبوا أدن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصص يوم القيامة.

(٦) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ بَعْضٌ﴾ خائفون.  
 [٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود.  
 [٥٤] ﴿قَالَ أَتَشْتَرُونِي﴾ بالولد ﴿وَعَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْعَصِیَ﴾ حال؛ أي: مع مسه بإيها ﴿فَبِأَىٰ شَيْءٍ﴾ بُشِّرُونَ؟ استفهام تعجب.  
 [٥٥] ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْفٰنِیْنَ﴾ الآسین.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿تَقْطِطُ﴾ بكسر النون وفتحها (١) ﴿وَمِنْ رَّحْمَةِ رَبِّیْ﴾ إِلَّا الْفٰسِقُونَ ﴿الْكَافِرُونَ﴾.  
 [٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾.  
 [٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين؛ أي: قوم لوط لإهلاكهم.  
 [٥٩] ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّيهِم مِّنَ الْإِيمَانِ﴾.  
 [٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَىٰ أَنَّهُمَا لَیِّنَ الْفٰنِیْنَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لوصا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾.  
 [٦٢] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ﴾ لا أعرفكم.  
 [٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، وهو العذاب.  
 [٦٤] ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمُصَدِّقُونَ﴾ في قولنا.  
 [٦٥] ﴿فَأَنشَرِ بِأَهْلِكَ يَفْطَحُ مِنَ اللَّیْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ فلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا أَوْحِينَ﴾ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ ﴿وَهُوَ دَائِرٌ هُوْلَاءَ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ حال؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.  
 [٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط نژدا حسنا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال، طمعا في فعل

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا أَنْتُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَتَشْتَرُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْعَصِیَ فَبِأَىٰ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفٰنِیْنَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ لَّا تُقْطِطُ وَمِنْ رَّحْمَةِ رَبِّیْ إِلَّا الْفٰسِقُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّا لَمُنَجِّيهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَىٰ أَنَّهُمَا لَیِّنَ الْغٰیِبِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِیْهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَنشَرِ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّیْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَقَضَيْنَا إِلَیْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَرِیْقِي فَلَا تَقْضَحُونِ ﴿٦٧﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرَوْنَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعٰلَمِیْنَ ﴿٦٩﴾

الفاحشة بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَرِیْقِي فَلَا تَقْضَحُونِ﴾.

[٦٩] ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرَوْنَ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعٰلَمِیْنَ﴾ عن إضافتهم.

طين طبع بالنار.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَهِيَ الذِّكْرُ﴾ [٧٥] دلالات على وحدانية الله ﴿لِشُرَّائِهِمْ﴾ [٧٥] للناظرين المعترين.

[٧٦] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿لَيْسَ بِلَيْسَ مَقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تدرس، أفلا يعتبرون بهم؟ [٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَهِيَ الذِّكْرُ﴾ [٧٧] للناظرين المعترين.

[٧٨] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿لَطَالِبِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً.

[٧٩] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: قرى قوم لوط والأيك (٢) ﴿لَيْسَ بِلَيْسَ مَقِيمٍ﴾ طريق ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟! [٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ واد بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباني الرسل لاشتراكهم في الجحيم بالتوحيد.

[٨١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها.

[٨٢] ﴿وَكَاؤُوا يَنجُوتُ مِنَ الْجِلَالِ بَيُوتًا أَمِينَةً﴾.

[٨٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح.

[٨٤] ﴿فَمَا أَتَيْنِي﴾ دفع ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ﴾ لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فَأَصْفَحْ﴾ يا محمد عن قومك ﴿الصَّفْحَ الْجَدِيدَ﴾ أعرض عنهم إعرافاً لا جرح فيه، وهذا منسوخ بآية السيف.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِقِ﴾ قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان (٣)؛ لأنها تنشئ في كل ركعة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

[٨٨] ﴿لَا تَدْنُ عَيْنُكَ إِلَيْنَا مَا مَعَنَا بِهِ أَرْوَاحُ﴾ أصنافاً ﴿مِنْهُمْ﴾ ولا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أن جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿الْمُنْذِرُ﴾ البين الإنذار.

[٩٠] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْمُفْسِقِينَ﴾ (٤) اليهود والنصارى.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ﴿وَأَنَّهُ لَيْسَ بِلَيْسَ مَقِيمٍ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أَظْلَمِينَ﴾ ﴿فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ وَالْهَمَّ لِيَا مَرْيَمَ﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَأَتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿وَكَاؤُوا يَنجُوتُ مِنَ الْجِلَالِ بَيُوتًا أَمِينِينَ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَدِيدَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿لَا تَدْنُ عَيْنُكَ إِلَيْنَا مَا مَعَنَا بِهِ أَرْوَاحُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُنْذِرُ﴾ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَى الْمُفْسِقِينَ﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة

فتزوجوهن.

[٧٢] قال - تعالى -: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي: وحياتك (١) ﴿إِنَّهُمْ

لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يرددون.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق

الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلًا﴾ بأن رفعها جبريل إلى

السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَى الْمُفْسِقِينَ﴾: قال: فأنما يبعث وكفروا ببعض: اليهود والنصارى. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجر (١٥) باب (٤)

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِثِينَ﴾. ويؤخذ من هذا أن ﴿الْمُفْسِقِينَ﴾ من القسمة؛ أي فروا وقسموا ما أنزل عليهم فأنما يبعث وكفروا ببعضه. وقال البخاري: ﴿الْمُفْسِقِينَ﴾: الذين حلفوا. قال الحافظ في الفتح (٢٣٤/٨): «هكذا جعل المقتسمين من القسم بمعنى الحلف، والمعروف أنه من القسمة، وبه جزم الطبري وغيره، وسياق الكلام يدل عليه...».

وقال ابن كثير: ﴿الْمُفْسِقِينَ﴾ أي المتحالفين؛ أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأداهم... تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢).

(١) ولله شيعانته أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس ذلك للبشر، فلا يجوز لهم الحلف إلا بخالفهم ﷺ. (٢) أي: وأصحاب الأيكة.

(٣) سبق ترجمته في أول سورة الفاتحة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِصِيَةً ﴿٩١﴾ فَوَرَّيَاكَ لِنِسَاءِنَهُمْ  
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ  
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ  
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ  
أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ  
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

## سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ  
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ  
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ إِلَى أَنْ صِيرَهُ قُوًيًا شَدِيدًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنَةٌ ﴿٥﴾ فِي نَفْيِ الْبَعْثِ قَائِلًا: ﴿مَنْ يُبْخِي أَلْعَلَّظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٥).

[٥] ﴿وَالْأَنْعَمَ﴾ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَنَصَبَهُ بِفَعْلٍ مُقَدَّرٍ يَفْسِرُهُ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ مِنْ جَمَلَةِ النَّاسِ (٦) ﴿فِيهَا وَفَاءٌ﴾ مَا تَسْتَدْفِقُونَ بِهِ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَالْأَرْدَبَةِ مِنْ أَشْعَارِهَا وَأَصْوَابِهَا ﴿وَمَنْتَفِعٌ﴾ مِنَ النَّسْلِ وَالْذَّرِّ وَالرَّكُوبِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قَدَمُ الظَّرْفِ لِلْفَاصِلَةِ (٧).

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زِينَةٌ ﴿حِينَ تُرْجَعُونَ﴾ تَرْجِعُهَا إِلَى مَرَاحِلِهَا بِالْعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تَخْرِجُهَا إِلَى الْمَرْعَى بِالْغَدَاةِ.

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ﴾ أَي: كَتَبَهُمُ الْمَزَلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿عِصِيَةً﴾ أَجْرَاءَ، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ (١)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سَحَرُ، وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ شَعْرُ.

[٩٢] ﴿فَوَرَّيَاكَ لِنِسَاءِنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سَوَالُ تَوْخِيحٍ.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٤] ﴿فَأَصْدَعَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ بِهِ؛ أَي: أَجْهَرَ بِهِ وَأَمْضَاهُ ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بِكَ يَا هَلَاكُنَا كُلًّا مِنْهُمْ بَاقَةً، وَهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، وَعَدِي بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَسُودُ بْنُ الْمَطْلَبِ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ (٢).

[٩٦] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صَفَةً، وَقِيلَ: مُبْتَدَأٌ، وَلْتَضْمَنَهُ مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهِيَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الْاسْتَهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الْمُسْلِمِينَ.

[٩٩] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الْمَوْتَ.

## سُورَةُ النَّحْلِ

[مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَإِنْ عَافَيْتَهُ﴾ إِلَى آخِرِهَا.]

مائة وثمان وعشرون آية، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لَمَّا اسْتَبَطَّ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ نَزَلَ: ﴿إِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ﴾ أَي: السَّاعَةَ، وَأَتَى بِصِبْغَةِ الْمَاضِي لِتَحْقِيقِ وَقْعِهِ؛ أَي: قَرَبَ ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ تَطْلُبُوهُ قَبْلَ حِينِهِ فَإِنَّهُ لَا مُحَالَةَ ﴿سَتَجِدُنَهُ﴾ تَنْزِيلَهَا لَهُ ﴿وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ غَيْرُهُ.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أَي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿وَمِنْ أَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ (٣) ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنْ﴾ مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ وَأَعِصِمُوهُمْ ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ.

(١) هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (١٧٣/٥ - ١٧٤ رَقْم ٤٩٨٦)، وَابْنُ أَبِي حَتِمٍ فِي دَلَالِ الْبُيُوتِ (٣١٦/٢ - ٣١٧)، وَالضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ فِي الْأَحَادِيثِ الْخَاتِرَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْجَمْعِ (٧/ ٤٧): «فَهِىَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ النِّسَابُورِيُّ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبِفِيهِ رَجَالُهُ ثَقَاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وَحَسَنَةُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ (١٠١/٥)، وَصَحَّحَهُ الضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ.

(٣) وَالْأَمْرُ غَيْرُ الْإِرَادَةِ، وَالصُّوَابُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَالْأَشْتَرُ بِتَحَاشُونَ مِنْ إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ شَيْخَانَةً.

(٤) أَي: يَبَيِّنُ الْخُصُومَةَ.

(٥) يَس: ٧٨.

(٦) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْحَطَابَ فِي ﴿لَكُمْ﴾ لِقَرِيضٍ، وَالصُّوَابُ حَمَلُهَا عَلَى الْعُمُومِ.

(٧) أَي: مِرَاعَاةَ لِرُغُوسِ الْآيِ.

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا شِقَاقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ﴾ وأصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا شِقَاقَ الْأَنْفُسِ﴾ بجهدا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم. [٨] ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين<sup>(١)</sup> ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السبيل ﴿جَائِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ في ذلك المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَالنُّجُومَ﴾ بالوجهين<sup>(٢)</sup> ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بِأَمْرٍ﴾ بإرادته<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ ذلك لركوبه والغوص فيه ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هو السمك ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ﴾ السفن ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ تمر الماء؛ أي: تشقه بجزئها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَسْتَغُوا﴾ عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾؛ طلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

(١) وهو حديث أسماء: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرشا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإرادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).





تخالفون المؤمنين ﴿فبهم﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ﴾ أوتوا الأثر ﴿من الأنبياء والمؤمنين﴾: ﴿إِنَّ الْآخِرَى الْيَوْمَ وَالْأَوَّلَى عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شمانية بهم.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ بالتاء والياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ طَالِعَاتُ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكسر ﴿فَالْقَوْلُ السَّعِيدُ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسْ مَتَوَى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشر: ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رِجْلُكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا غَيْرَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لهم فيها ما يشاءون ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بالتاء والياء (٢) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّيكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿تَعْمَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكسر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يو. يستهزون ﴿أي: العذاب.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْسَرُ وَالْأَوَّلَىٰ أَشَدُّ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَاتٍ أَنْفُسُهُمْ فَاسْمِعُوا أَلْسِنَتَهُمْ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسْ مَتَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنْزِلَ رِجْلُكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبَاتٍ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّيكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً (١): ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ برعكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾

(١) وهذا تأويل يظهر الآية بغير دليل، وقَعَ لذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما بينه السلف الصالح على الوجه اللائق به - شيخنا.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.



[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكَرَاتِ ﴿الْمَكِيدَاتِ﴾ بالنسيءِ في دار الندوة من تقيده أو قتله أو إخراجهم، كما ذكر في الأنفال ﴿أَنْ يَخَيِّفَ اللَّهُ بِهِمُ الْكَافِرِينَ﴾ كفارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر بالبال، وقد أهلكوا بيدر ولم يكونوا يقدرون ذلك.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلَبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتحي العذاب.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تَقْصُصُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حتى يهلك الجميع (١)، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنْ رَزَقَكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿يَفْتَقِدُوا﴾ تتميل ﴿ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال؛ أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سَجْدًا لِلَّهِ﴾ حال؛ أي: خاضعين لله بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾ أي: الظلال ﴿ذُكِّرُونَ﴾ صاغرون، نُزِّلُوا منزلة العقلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها؛ أي: تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإنيان بما لا يعقل لكثرة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ خصصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبِّهِمْ مِنْ قُوَّتِهِ﴾ حال من «هم»؛ أي: عاليًا عليهم بالقهر (٢) ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

[٥٢] ﴿وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصْبِرُوا﴾ دائمًا، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَعَزَّ اللَّهُ تَنْفُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

[٥٣] ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ يَمَعٍ فَعَنِ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الضَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْمُونَ ﴿١﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْيِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلَبِهِمْ فَاهْلُهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازِهِبُونَ ﴿٩﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالثورة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

(١) والقول الآخر: أي: في حال خوفهم.

(٢) فُضِّلَ الْعَلُوُّ عَلَى عُلُوِّ الْقَهْرِ فَقَطَّ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ حِصَالِ الْعُلُوِّ لَهُ . شَيْخَانَهُ : عُلُوُّ الشَّأْنِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمْنَعُوا﴾ باجماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَتَقَوَّيْتُمْ﴾ فَمَنْ تَعَلَّوْا ﴿عَاقِبَةُ ذَلِكَ﴾.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأعام بقولهم: هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَنَشْتَعْلَنَ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُتِبَتْ لَهُمْ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البنون، والجملة في محل رفع أو نصب به يجعل، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزّه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيخصون بالأسنى<sup>(١)</sup> كقولهم: ﴿فَأَسْتَفْتِنَهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتَ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مفعولهم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما، فكيف تنسب البنات إليه تعالى؟! [٥٩] ﴿يَتَوَرَّيْنِ﴾ يخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التعبير مترددا فيما يفعل به ﴿أَيُّسِيكُمُ﴾ يتركة بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ هوان وذلل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بش ﴿مَا يَجْعَلُونَ﴾ حكمهم هذا، حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا الحُل.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مِثْلَ السَّوءِ﴾ أي: الصفة الشؤى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٦١] ﴿وَلَوْ تَوَاجَدَ اللَّهُ النَّاسَ يَطْلُبُهُمْ﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَنِّي﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ ﴿عَنهُ﴾ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿عَلَيْهِ﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَنَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلَيْسَتْهُمْ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذِبُ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْمُسْنَىٰ﴾ عند الله؛ أي: الجنة؛ لقوله: ﴿وَلَكِنْ رُجِعَتْ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾<sup>(٣)</sup> قال - تعالى -: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء<sup>(٤)</sup>؛ أي: متجاوزون الحد.

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيَاطِينَ﴾

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْنَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنَسْتَعْلَنَ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ نَقَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّيْنِ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُّسِيكُمُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعْرِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِغُ اللَّهُ النَّاسَ بِطَائِمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَرْجِعُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصِفُ لَهُمْ هُونًا وَكِبْرًا وَيَتَوَرَّيْنِ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُّسِيكُمُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيَاطِينَ أَعْمَانَهُمْ فَهُمْ عَلَيْهِمْ أَلِيْمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلنَّاسِ أَلَّذِي أَسْلَفُوا فِيهِ مِن أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ يَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

أَعْمَانَهُمْ السَّيِّئَةُ فَرَاوَهَا حَسَنَةً، فكَذَّبُوا الرِّسْلَ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمِ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية؛ أي: لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟!.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِلنَّاسِ﴾ لِهَذِهِ الَّذِينَ أَسْلَفُوا فِيهِ مِنْ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴿يَكْفُرُونَ﴾ عطف على ﴿لِلنَّاسِ﴾. ﴿وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

(١) أي: الأرفع والأشرف.

(٢) الصفات: ١٤٩.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) لنافع.

أولون، وهو بينهما ﴿سَاءَ لِلْأَشْرِيِّينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به. [٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَنَجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ خمرًا يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريرها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزيزب والحل والدبس<sup>(١)</sup> ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ لِبْنَالٍ يُّؤْتِيكَ﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتًا ﴿وَمِمَّا يَخْرِشُونَ﴾ أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلًّا﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا تغشرك عليك وإن تورعت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من الضمير في «اسلكي»؛ أي: منقادًا لما يراود منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيت<sup>(٢)</sup>، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان]<sup>(٣)</sup> ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ لَآيَةً ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسسه من الهرم والخرف ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿وَكَبِيرٌ﴾ على ما يريد<sup>(٤)</sup>.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْآخَرِ فِي الْآزْرِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا آتَاكَ فَضْلًا﴾ أي: الموالى ﴿بِرَأْدَى رِزْقِهِ﴾ عَن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ؛ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم ﴿فَهُمْ؟﴾ أي: الممالك والموالى ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من ممالكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له؟ ﴿فَتَنَعِمَ اللَّهُ بِمَن يَكْفُرُونَ﴾ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿وَأَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكَّرُوا﴾ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبْنِ يُّؤْتِيكَ مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لِآيَةً بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَأَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتبار ﴿تُفَكَّرُوا﴾ بيان للعبرة ﴿بَيْنَ قَرْنٍ وَدَمٍ﴾ أي: الأنعام ﴿وَمِنْ﴾ للابتداء متعلقة بـ ﴿تُفَكَّرُوا﴾ ﴿بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ﴾ ثقل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرت والدم من طعم أو ريح

(١) هو غسل الرطب، ويطلق على غسل العنب.

(٢) أي: يبيح الشفاء الجارمة أن الله يخلق الشفاء عند استعجاله لإخياره - تعالى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريد به أو لا يريد به.

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من ﴿رِزْقًا﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهو الأصنام.  
[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ أَلْمِثَالُ﴾ لا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنْشُرَ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه، ﴿عَبِيدًا مَمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من الحرة فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمِنْ نَكْرَةٍ موصوفة﴾ أي: حراً ﴿رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يتصرف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى (١) ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقل ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿يَخْبَرُ﴾ بنسخ (٢)، وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: الأبيكم المذكور ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل الله، والأبيكم للأصنام (٣)، والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.  
[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنه بلفظ: كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك فتؤمنون.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ مِنْهُ مِثَلَاتٍ لِلطَّيْرِ﴾ وفي جَوِّ السَّمَاءِ ﴿أَي: الهواء بين السماء والأرض﴾ ﴿مَا يَمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ أَلْمِثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ \* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رَزْقِنَا مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ لَا يَأْتِ بِخَبَرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

أجسحتهم أو بسطها أن يقمن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمسكها.

(١) أخرج الطيري في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في رجل من قريش وعبدته، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرّاً وجهراً، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بنسخ: بضم نون؛ أي: لا يأت بشيء نافع.

(٣) وأنشج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٦/١ - ٣٠٧)، والعسيري في جامع إنبان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبيكم الذي أنشج بوجهه لا يأت بخبر؛ ذلك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكنيه المؤمنة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

للحمل (١) «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ» سفركم «وَيَوْمَ إِفَامَتِكُمْ» ومن أصوافها أي: الغنم «وَأَوْبَارِهَا» أي: الإبل «وَأَشْعَارِهَا» أي: المعر «أَنَّا» متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية «وَمَتَاعًا» تمتعون به «إِلَى حِينٍ» يلي فيه.

[٨١] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا» جمع ظل، تقيكم حر الشمس «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» جمع كن، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٢) «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ» قمصا «تَقِيكُمْ الْحَرَّ» أي: البرد «وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ» حربكم؛ أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (٣) «كَذَلِكَ» كما خلق هذه الأشياء «يُنِيرُ نَعَمَتَهُ» في الدنيا «وَعَلَيْكُمْ» بخلق ما تحتاجون إليه «لَسَّكُمْ» يا أهل مكة «تُسَلِّمُونَ» توحّدونه.

[٨٢] «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أعرضوا عن الإسلام «وَلَسَّكُمْ عَذَابٌ» يا محمد «أَلْبَنُ» ألبين، الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ» أي: يقرون بأنها من عنده «ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا» بإسراكهم «وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ».

[٨٤] «وَلَا تُدْعَى» أي: يوم تبعث من كل أمّة شهيداً، هو نبياها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة «ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» في الاعتذار «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٨٥] «وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا «أَلْعَذَابَ» النار «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ» العذاب «وَلَا هُمْ يُفْرَوْنَ» يهلون عنه إذا رأوه.

[٨٦] «وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا» أشركوا شركاءهم من الشياطين وغيرها «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا» نعبدكم «مِنْ دُونِكَ» قَالُوا إِلَهِهُمْ أَلْقَوْلُ» أي: قالوا لهم: «إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ» في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «مَا كَانُوا بِإِيمَانٍ يَتَّبِعُونَ» (٤) سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] «وَالْقَوْمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَأْذِنُونَ» أي: استسلموا لحكمه «وَسَلَّ غَاب عَنْهُمْ» تَمَّا كَانُوا يَقْرَءُونَ» من أن ألهمهم تشفع لهم.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرِّ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُنِيرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٦) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَهِهُمْ أَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَالْقَوْمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الْمُسْلِمُونَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨)

[٨٠] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» موضعا تسكنون فيه «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا» كالخيام والقباب «تَسْتَخِفُّونَهَا»

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) اشرب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضا نوع من الدروع.

(٤) انقص: ٦٣.



[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوقه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال<sup>(١)</sup> ﴿يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَرَكَّبْنَا بِلَادَهُمْ﴾ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بَيَانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ للموحدين.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ﴾ والْإِحْسَانِ ﴿أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث<sup>(٢)</sup>﴾ ﴿وَالْإِيتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة خصه بالذكر اهتمامًا به ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ الْفَحْشَاءِ الزنا وَالْمُنْكَرِ شرعًا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبِغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يُعْظَمُ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر<sup>(٤)</sup>.

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَمَعْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ بالفؤاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ﴾ أفسدت ﴿عَزْلَهَا﴾ ما عزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنْتُمْ كُنَّا﴾ حال، جمع نَكَثَ وهو ما ينكث؛ أي: يحل إحكامه، وهي امرأة حقا من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه<sup>(٥)</sup> ﴿تَتْلُونَ﴾ حال من ضمير «تكونوا»؛ أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه؛ أي: فسادًا أو حديعة ﴿يَنْتَكُمُ﴾ بأن تنقضوها ﴿وَأَنْ﴾ أي: لأن ﴿تَكُونُوا أُمَّةً﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وُجد أكثر منهم وأَعَزُّ، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِرِّكُمْ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر الطبع منكم والمعاصي، أو يكون

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبِغْيِ يُعْظَمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَمَعْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْتُمْ كُنَّا تَتْلُونَ﴾ ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِئَسَّ لَكُمْ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أمة أرى لينظر آفون أم لا ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِئَسَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ سَوَالُ تَبْكِيتٍ﴾ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لتجاوزوا عليه.

(١) أخرجه نحوه عبد الرزاق والفرغاني وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهاد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨)، ح (٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) المستدرک (٣٥٦/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود ؓ قال: «ما في القرآن آية أجمع للحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وذكرها. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦)، ٣٣٧٦، رقم (٧٧١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).

وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جدًا. الاستيعاب (٤٢١/٢).

﴿وَيَذُوقُوا أَلْسُوهُ﴾ أي: العذاب ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ نَكْرًا﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَفْضَلُ﴾ بغيره ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْبَرُ﴾ دائم ﴿وَلْيَخْزَيَنَّ﴾ بالياء والنون<sup>(١)</sup> ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة<sup>(٢)</sup>، وقيل: في الدنيا بالقناعة<sup>(٣)</sup> أو الرزق الحلال<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُ لَكُمُ سُلْطٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رِيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَكَ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَهْلَمُ يَمَّا يُزَلُّ قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقول من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نزل﴾ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءٰمَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدَىٰ وَيُذَكِّرَ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوهُ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَفْضَلُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْبَرُ وَلْيَخْزَيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُ وَلَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رِيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كره تأكيداً ﴿فَتَرِلَ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها

(١) باباء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).

(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتفصيل (١) ﴿نَعَلَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ لقمران ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين (٢) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ لَّعَنَ﴾ الذي يُلْحِدُونَ ﴿يَمِيلُونَ﴾ إِلَيْهِ. أنه يعلمه ﴿أَعْجَبِي وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَكَّوْتُ ثُبَيْتٌ﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي (٣)؟

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَنْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ والتأكيد بالترار وإن «وغيرهم» رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ﴾.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلطف بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ و«من» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طاب به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جِرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة للبناء للفاعل (٤)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ أي: الفتنة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم، وخير «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

وَلَقَدْ نَعَلَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَنْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرَةً أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «مغني البليغ». وأخذ الجلالان بقول بعض البغويين: إنها للتفصيل لا لتفصيل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها لتفصيل؛ يكون المراد تفصيل متعلق بالفعل والمعنى هنا: قرأهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان رومياً، وفي نسخة: قر؛ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٩/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٥)، وضعف إسناده في لباب المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يُسمى أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتاباً لهما، فرمى به رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقالا للمشركين: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الخافض أيضاً في الإصباح (٤٤٧/٢).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازماً؛ فيكون معنى ﴿فَتُفْتَنُوا﴾ أي: افتتنوا، وإليه أشار لمفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعدياً، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا» الناس... هـ.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ أَتَدَابٌ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُنُوا أَمَمًا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادِي فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّنُّكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَنفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ فِي آيَةٍ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ﴾ (٣) إِلَى آخِرِهَا ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

[١١١] اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكة (١)، والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا نهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴿بِتَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فحطوا سبع سنين (٢) ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿تَكُونُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿بِمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادِي فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّنُّكُمُ﴾ أي: لوصف المستكم ﴿الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لَتَنفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ﴾ في آية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ﴾ (٣) إِلَى آخِرِهَا ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

(١) وهذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فالآية مدنية، وعلى القول بأنها مكية يكون إخباراً بالغيب تنزيلاً له منزلة الواقع لتحقيق حصوله.

(٢) كما سيأتي بيانه في سورة «الدخان».

(٣) الأعمام: ١٤٦.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قُدوةً جامعاً لحصال الخير ﴿فَاتَّبَعْنَا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ خَبِيفًا﴾ مثلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاقِرًا﴾ لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ ﴿اصْطَفَاهُ﴾ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

[١٢٢] ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هيثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَيْدًا فِي الْآخِرَةِ﴾ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿كَرَّرَ رَدًّا عَلَى زَعْمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نزيد، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

[١٢٥] ﴿أَدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَيَحْدِثْ لَهُمْ يَأْتِي﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فِي جَاذِبِهِمْ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتل حمزة ومُثِّلَ به فقال ﷺ: وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيْسَرُ﴾ فَمَاجِيئًا بِجَنَّتٍ مَا عَوَّضْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَدْرَتْ عَنْ الْإِنْتِقَامِ ﴿لَهُمْ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِيَصْكِبِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه البزار<sup>(١)</sup>.

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَبِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاقِرًا لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيْسَرُ فَقَدْ أَقْبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَدْرَتْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بمكرهم فأننا ناصرهم عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ما جاء في قول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فقتلوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لمن أصابنا منهم يوماً من الدهر لربن عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قرش بعد اليوم، فأقول لله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيْسَرُ﴾ فَمَاجِيئًا بِجَنَّتٍ مَا عَوَّضْتُمْ بِهِ، الآية، فقال نبي الله ﷺ: «لَقُومُوا عَنْ الْقَوْمِ». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد والبرار وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦): «رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف». وضيفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢) رقم (٥٥٠).

(٣) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعبادة المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصالحة اللاتقة، وقد أخبر - سبحانه - أنه مع خلقه، مع كونه مستوراً على عرشه، وقد بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حق.

ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بنا إلى الحالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله - تعالى - يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ففلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [رواه الشيخان، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup>]. وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»<sup>(٢)</sup>.

[٢٧] قال - تعالى -: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلٍ مَّع نُّوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُوفَةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَا كَمَا تَنْفِرُوا ﴿٦﴾ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْئِلُوا أَوْجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

## سورة الإسراء

[مكية إلا : ﴿وَرَن كَادُوا يَقْتُلُوكَ﴾ الآيات الثمان. مائة وعشر، أو : إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَنَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتكبره إلى تقاليل مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالعمار والأشجار ﴿لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالم<sup>(١)</sup> بأقوال النبي ﷺ وأفعاله<sup>(٢)</sup> فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷻ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من حمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت القطرة. قال:

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكنهما غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له. سبحانه. ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكيف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعا كما في جامع السعدي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٦٤).

إِسْرَءِيلَ ﴿لَهُ أَكُنْ لَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم، وفي قراءة: ﴿لَتُخْذُوا﴾<sup>(١)</sup> بالفوقانية التفاتًا، فواؤه زائدة، والقول مضمر.

[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِذْ كَانَتْ عِبَادًا شُكْرًا﴾ كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله.

[٤] ﴿وَضَعَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الكتاب التوراة ﴿لَتَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرْبِّي وَلَنَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تبغون بغيًا عظيمًا.

[٥] ﴿إِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَئِنَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدًا﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاءُواكَ تَرْدَدُوا لَطَبْكُمْ﴾ خنل أديباركم وسط دياركم ليقتلوكم ويتبشروكم ﴿وَكَانَتْ وَعْدًا مَقْعُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت<sup>(٢)</sup> وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَنذَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ وَبَيِّنَةٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة.

[٧] وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنَّا لَأَفْسِدُكُمْ﴾ لأن ثوابه<sup>(٣)</sup> لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَنَكُنَّ﴾ إساءتكم ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعشاهم ﴿لَيُسْخَرْنَ وَجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا يظهر في جرحهم ﴿وَلَيَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَغَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وليستروا يهلكوا ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه ﴿نَبِيرًا﴾ هلاكًا، وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس<sup>(٤)</sup>.

[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ ذِكْرُكَ أَنْ يَرْحَمَكَ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدَّتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عَدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسًا وسجنًا.

[٩] ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

[١٠] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أعدنا ﴿أَعْدَدْنَا﴾ لهم عذابًا أليمًا مؤلمًا هو النار.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي: كدعائه له ﴿وَالْحَيُّ﴾ وكان الإنسان الجنس ﴿عَمَلًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا آتِلَ وَالنَّهَارَ عَابَتَيْنِ﴾ الدلتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ آتِلٍ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً﴾ أي: مبصرًا فيها بالضوء ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾ بالكسب ﴿وَلَتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ النَّسِينَ وَالْجَسَابِ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضَلَّتْهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبيينًا.

[١٣] ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَتْهُ طَائِفَةٌ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُرْوَةٍ﴾ خص

عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكَ وَإِنْ عُدَّتْ عَدَانَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup> وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٢)</sup> وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْحَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا<sup>(٣)</sup> وَجَعَلْنَا آتِلَ وَالنَّهَارَ عَابَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ آتِلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ النَّسِينَ وَالْجَسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَلَّتْهُ تَفْصِيلًا<sup>(٤)</sup> وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَتْهُ طَائِفَةٌ فِي عُرْوَةٍ وَنُحِرْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْ شَرِّهِ<sup>(٥)</sup> أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا<sup>(٦)</sup> مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا<sup>(٧)</sup> وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا فَرَأَيْنَاهُمْ فَفَسَفُوْا فِيهَا فَنَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَنَدِمْنَاهُمْ تَدْمِيرًا<sup>(٨)</sup> وَكَرَّاهُ لَكُنَّا مِنَ الْفُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عَبْدِهِ حَصِيرًا بَصِيرًا<sup>(٩)</sup>

بالذكر؛ لأن الزورم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد<sup>(٥)</sup>.

[١٤] ﴿وَنُحِرْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوب فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مِنْ شَرِّهِ﴾ صفان له كتابًا. ويقال له: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسبًا.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا زُرَّةً﴾ نفس ﴿وَزُرَّةً﴾ أئمة؛ أي: لا تحمل ﴿وَزُرَّةً﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ يبين له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا فَرَأَيْنَاهُمْ فَفَسَفُوْا فِيهَا﴾ ففجروا عن أمرنا ﴿فَنَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ بالعباد ﴿فَنَدِمْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ الْأَمْ﴾ ومن بعد نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عَبْدِهِ حَصِيرًا بَصِيرًا عالمًا بواطنها وظواهرها، و«به» يتعلق ﴿يَذُنُوبَ﴾.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظر؛ حيث إن بختنصر كان بينه وبين يحيى التلاوة عدة قرون. وقيل أيضًا: إن الذي حارب بيت المقدس الخراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك، فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٢٥٠/٥)].

مطروذاً عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا عَمِلَ عَلَيْهِمُ اللَّائِقُ بِهَا﴾ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ عند الله؛ أي: مقبُولاً مثاباً عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿ثُمِّدَ﴾ نطقي ﴿هَتَّؤَلَاءَ وَهَتَّؤَلَاءَ﴾ بدل ﴿يَنْ﴾ متعلق بـ «التمد» ﴿عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمُ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُودًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿وَقَضَى﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أَهْنُ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تروهما ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة ﴿يَبْلُغَانِ﴾ (١) ذأ أحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا إِفْ﴾ بفتح الفاء، وكسرهما منوناً وغير منون (٢) مصدر بمعنى ثأ وقبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينا.

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ ألن لهما جانبك الدليل ﴿وَمِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لرققتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّحَنِى﴾ رحمتي حين ﴿رَبَّيْنِى صَغِيرًا﴾.

[٢٥] ﴿رَبِّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نَفْسِكَ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طاعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿عَفْوَكَ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمنون عفوفاً.

[٢٦] ﴿وَأَدَّبَ﴾ أعطى ﴿ذَا الْقُرْنَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمُسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿كُلَّا نُمَتِّدُ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُودًا ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿رَبُّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نَفْسِكَ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ عَفْوَكَ ﴿وَأَدَّبَ ﴿ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٧﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له، بدل من «له» بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يَدْخُهَا ﴿مَذْمُومًا﴾ مَلُومًا ﴿مَدْحُورًا﴾

(١) مع كسر النون مشددة حمزة والكسائي.

(٢) بالفتح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.



وَمَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ أَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَيُّكُمْ قَاتِلٌ لِّمَن هُوَ قَاتِلُهُ كَانَ أَخًا أَوْ أُخْتًا أَوْ مَوْلًى أَوْ صَدِيقًا إِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ عَنْ قَوْمٍ إِذَا قَاتَلُوا بِحَقِّ اللَّهِ وَأَنَّهُمْ قَاتِلُوا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ وَلِيَّهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقَاتِلِ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ الَّتِي بَلَغَ مِنْهَا تَأْتُهُ ﴿٣٣﴾ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فِيهَا نَبِيحًا وَنَسَاءً ﴿٣٤﴾ بَسَّ سَكِينًا طَرِيقًا هُوَ. ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَتِيمِ إِلَىٰ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْقِيهِ الْمُسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٧﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٩﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٤٠﴾

[٢٨] ﴿وَمَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره بأنيك فتعطهم منه ﴿فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ليأخذ سبيلًا بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول (١) ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني (٢).

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا (٣) ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بالوَادِ ﴿حَتْبَةً﴾ مخافة ﴿إِذْ لَمْ تَقْتُلُوا﴾ أي: لم تقتلوا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أنفسكم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ﴾ أي: ما بلغ من شأنه ﴿إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فِيهَا نَبِيحًا وَنَسَاءً﴾ بسَّ سَكِينًا طَرِيقًا هُوَ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ وَلِيَّهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقَاتِلِ﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَتِيمِ إِلَىٰ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه.

[٣٤] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْقِيهِ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مَالًا.

[٣٥] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه ماذا فعل به.

[٣٦] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ (٤) عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا.

(١) أي: الإسكاف.

(٢) أي: الإسراف في الإنفاق.

(٣) وفي الآية إثبات صفة البصر له سبحانه؛ على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكليف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن لوازم ذلك أن يكون عالمًا ببواطن عبادته وظواهرهم.

(٤) وفي قراءة سبعة لنافع وابن كثير وأبي عمرو «سيفه» بالياء؛ أي عملاً سيفًا، وقرأ بالقون «سيفه» بالهاء؛ أي السيف مما تقدم.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ  
بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾  
فُلْ لَوْ كَانُ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمُوتِ  
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ  
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
حُجَابًا مَنُوشًا ﴿٤٥﴾ أَي: سَاتَرًا لَكَ عَنْهُمْ فَلَا يَرُونَكَ، نَزَلَ فِيمَنْ أَرَادَ الْفَتْكُ بِهِ

كَبِيرًا ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٤٧﴾ ثَمَّ نَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٤٨﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٤٩﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٠﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥١﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٢﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٣﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٤﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٥﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٦﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٧﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٨﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٥٩﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٠﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦١﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٢﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٣﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٤﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٥﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٦﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٧﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٨﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٦٩﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٠﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧١﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٢﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٣﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٤﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٥﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٦﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٧﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٨﴾

وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٧٩﴾ وَنَحْنُ أَنْزَلْنَاهُ سَبْعَةً فِي السَّبْعِ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ إِلَّا عِلَاقًا كَالْعَبَثِ ﴿٨٠﴾

﴿٣٩﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿٣٩﴾ مِنَ الْحِكْمَةِ الْمَوْعِظَةُ  
وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾

﴿٤٠﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْبَيْنِينَ أَمْ لَكُم مِّن دُونِهِ آلِهَةٌ لَّا تُبْدِي سُبُوحًا  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفراذا له - سبحانه - بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٥/٢، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَيَّنَتْ بَدَأُ أَيُّ لَهَبٍ﴾ (سورة المسد) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مديماً أينا، ودينه قلبنا، وأمره عصينا. والبي في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: «يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك. قال النبي ﷺ: إنها لن تراني. وقرأ آياتاً فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَلَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَنُوشًا﴾، فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده (٣٣/١ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد اختلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤/٧)، ونسبه إلى أبي يعلى والزار وضعفه بعباءة. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور: أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم ونفاقهم عن دعوتهم ﷺ كُفِّرَ بينه وبينهم حجاب يمنعهم من السماع ويحول بينهم وبين الهدى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَسَيَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿يَحْمَدُونَ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَنُظِّتُونَ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِّسَادِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقولوا للكفار (١) الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ ﴿بفسد﴾ يَبْتَنِمُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا بَيِّنَ الْعَدَاوَةِ.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إِنَّ بَشَرًا يَرْحَمُكُمْ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخضعهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلعة، ومحمد بالإسراء ﴿وَمَا أَتَيْنَا دَاوُودَ رُبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَنَفَ النَّفَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا له إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ لهم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يتبعون»؛ أي: يتبعها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٢).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَسَيَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَنُظِّتُونَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمُكُمْ أَوْ يَنْشَأُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ رُبُورًا قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

[٥٨] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم نفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم. فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٤٤٠/٢). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأطهر والأنسب، والله أعلم.

فيؤمنوا<sup>(٩)</sup>.

[٦٠] ﴿وَمَا أَكْذَرُ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علمنا وقدره، فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عينا ليلة الإسراء<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتمد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنه لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت ﴿وَنُفِثُوهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَرِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

[٦١] ﴿وَمَا أَكْذَرُ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنوع الخافض؛ أي: من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أي: أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيْكَ﴾ بالأمر بالسجود له و ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿كَلِمَةً لَا مَ قَسَمَ﴾ الْفَرِّدِينَ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ لِأَسْأَمَلَنَ ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ بالإغواء ﴿وَلَا قِيلِيلًا﴾ منهم ممن عصته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿أَذْهَبَ﴾ مُنْظَرًا إِلَى وَفْتِ النَّفْخَةِ الْأُولَى ﴿فَمَنْ يَنْعَكْ وَمَنْهُمْ فُلَاكٌ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾ واهزأ كاملاً.

[٦٤] ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ استخف ﴿مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ يَصُونُكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَلْبَيْتَ﴾ صبغ ﴿عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الرزق ﴿وَعِدَهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿وَلَا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكُنْتَ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظاً لهم منك.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي﴾ يُجْري ﴿لَكُمْ الْفُلُوكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلُوا﴾ تطليبا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالنجارة ﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُفِثُوهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِقَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَاك مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿٦٤﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ يَصُونُكَ وَأَلْبَيْتَ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٦﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٧﴾

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناهم فأهلكناهم، ولو أرسلناهم إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةِ﴾؛ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بَيِّنَةٌ واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا بها فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ للعباد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا دعبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزددوا [إضعاف من الزرع]، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤنيهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكك من قبلهم. قال: «لا، بل أستاذي بهم، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةِ مُبْصِرَةً»». أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها ليلة أسري به. ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.



[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِلَى عَسَقِ الْآيْلِ﴾ إقبال ظلمته؛ أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَإِنْ قَرَأَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار<sup>(١)</sup>.

[٧٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِ فَتْحِكَ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةٌ لَكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمرك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يحمذك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة<sup>(٢)</sup>: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ مُدْخَلٌ صِدْقٌ إخراجاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجٌ﴾ صِدْقٌ إخراجاً لا ألقت بقلبي إليها ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قوة تنصرنى بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَالْإِسْلَامُ﴾ رَزَقَ الْبَاطِلُ ﴿بَطْلَ الْكُفْرِ﴾ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا مضمحلًا زائلاً، وقد دخلها ﴿وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ صَنَمًا﴾ فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان<sup>(٣)</sup>.

[٨٢] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُورِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لغيرهم به.

[٨٣] ﴿وَإِذَا نَفَخْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَنَا بِحَافِيَةٍ﴾ شئ عطفه متبخترًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ قنوطاً من رحمة الله.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَةٍ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ طريقاً فنيه.

[٨٥] ﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوْتِشِرَ بَيْنَ الْغَايَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى<sup>(٤)</sup>.

[٨٦] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نحوه من الصدور والمصاحف ﴿فَنُحْمَ لَا يَجِدُكَ بِهِ﴾ عَلَيْنَا وَكِيلًا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٩﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ إِلَى عَسَقِ الْآيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٨٠﴾ وَمِنْ آيَاتِ فَتْحِكَ بِهِ نَافِلَةٌ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨١﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٢﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٣﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْفُورِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٤﴾ وَإِذَا نَفَخْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحَافِيَةٍ بِهِ وَلَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِشِرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٧﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِنْ﴾ مخفية ﴿كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فيها ﴿وَلَا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون.

[٧٧] ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرجه البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامى، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِشِرَ بَيْنَ الْغَايَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأئزله الله: ﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: (يقضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية... وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدنية مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية).

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساکر عن عبد الرحمن بن عثم (الدر المنثور ٣٥٣/٤): وضعه السيوطي في لياب القنوط (ص ١٣٩) وقال: (هذا مرسل ضعيف الإسناد). وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: هم أهل مكة إخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأملكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقناه ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيمًا؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْدُسُ وَالْحِجُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة <sup>(١)</sup> ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيًا.

[٨٩] نزل ردًا لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لحدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليتعظوا ﴿فَأَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ عينا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مَبْدُودَةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ تَحْتِهَا يُنْفِثُ الْوَهْجَ﴾ وسطها ﴿وَتَصِيرُ﴾ تفيرًا.

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُخَمَتْ عَلَيْنَا مَقَاطِعُهَا﴾ قطعًا ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ سِيقًا﴾ مقابلة وعيانًا فراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ زَرْقٌ﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفْقِكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ مَا كُنْتُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي قولهم منكربين: ﴿أُبْعِثَ اللَّهُ بَشَرًا مِثْلَ رَسُولِكَ﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةً﴾ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُوسَّلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ قل  
لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ  
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَكْثَرَ  
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٨﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ  
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٨٩﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِ  
وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ لَنَا تَهْرَاجِلًا فَتُفْجِرَ ﴿٩٠﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ  
كَمَا زُخَمَتْ عَلَيْنَا مَقَاطِعُهَا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ  
قِيْلًا ﴿٩١﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقِيَ فِي السَّمَاءِ  
وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفْقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مَكِثًا تَقْرَأُهُ قُلْ  
سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٢﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ  
أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُبْعِثَ اللَّهُ بَشَرًا  
رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ  
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ  
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٥﴾

كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٥﴾ عالمًا <sup>(٣)</sup> ببواطنهم وظواهرهم.

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يتخلق مع كثرة التلاوة ولا يملُّ بآيائه، وكونه يجمع علومًا ومعارف لم يجمعها كاتب غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فثبت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

يهدونهم ﴿٩٨﴾ من دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٩٩﴾ مَا شِئْنَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا ﴿١٠٠﴾ وَكَمْ رِصًّا مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ سَكَنَ لَهَا ﴿١٠١﴾ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٠٢﴾ تِلْكَهَا وَاشْتَعَالًا.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْلًا وَرُفَاتًا أَوَآلَئِكَ لَمَعْبُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظيمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمَا﴾؛ أي: الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَمَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَبَّ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا﴾ جحودًا له.

[١٠٠] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذَا لَأَمْسَكُمْ﴾ لبلختم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ خوف نفاذها بالإنفاق ففقدوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلًا.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ نَسِجَ ءَايَتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، ونقص الثمرات (١) ﴿فَنَسِئَلُ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو فقلنا له: أسأل، وفي قراءة بلفظ الماضي (٢) ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ عبرًا، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء (٣) ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُنَزِّلُكَ مَلَكًا﴾ هالكًا أو مصروفًا عن الخير.

[١٠٣] ﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبَأْ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل ﴿أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الساعة ﴿يَكُنْ لَكُمْ لَافِيًا﴾ جميعًا أنتم وهم.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ ﴿٩٨﴾ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَكَمْ رِصًّا مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْلًا وَرُفَاتًا أَوَآلَئِكَ لَمَعْبُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿١٠١﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكُمْ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ نَسِجَ ءَايَتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسِئَلُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مَسْجُورًا ﴿١٠٤﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٥﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبَأْ إِبْرَاهِيمَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَافِيًا ﴿١٠٦﴾

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ﴾

(١) وهذه هي الآيات التي أوتيتها موسى (عليه السلام) لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتيتها لحمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فسأل»، والمناسب أن يقول: «وقري»، جريا على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من «غلبت»، وهي للكسائي.



وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾  
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾  
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا اللَّهَ وَإِدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّ مَاتَ دَعْوَاكُمْ الْإِسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

### سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِينٍ فِيهِ ابْدَأَ ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

آخر السورة (١). والله - تعالى - أعلم (٢).

### سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

[مكية إلا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية .

مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(١) ما جاء في رول الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحوه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

(٢) قَالَ مُؤَلَّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أَلَّفَهُ الشيخ الإمام العالم الحق جلال الدين المحلي الشافعي رحمه الله، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نقاش أراها إن شاء الله تعالى يجدي، وألغت في مدة قدر ميعاد الكليم (١)، وجعلته وسيلة للغزو بجنت النعم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعل، فرحم الله امرأً نَفَرَ بعين الانصاف إليه، ووقف فيه على حَقٍّ، فأطعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس (الدر المنثور (٣٧٣/٤))، وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل لبشر إلى ذلك، كما قال ﷻ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ اسْمُ هُوَ لَكَ؛ سَقِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَرْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَشْتَاتَوْهُ بِهٍ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢). (٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعاً، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧). (٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسر الجلال المحلي رحمه الله.

(٥) وهو أربعون يوماً؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فالإسناد سافر، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ﴾ أَي: فِيهِ عِوَجًا ﴿اخْتِلَافًا أَوْ تَنَاقُضًا﴾، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ «الْكِتَابِ».

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي: أَعَمَّاهُمْ ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة. [١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أَيْقَظْنَاهُمْ ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة

الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿الَّذِي﴾

(١) قال في حاشية الصاوي: «والمعنى: نعيم بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة» فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٤/٣). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلصه وأصوبه». تيسير الكرم الرحمن، ص (٥٠٤).

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ  
 يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا  
 ﴿١٦﴾ وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوَّرْنَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ  
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ  
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ  
 يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ أَنْ يَقَاطَا  
 وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ  
 بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ  
 فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ  
 لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا  
 يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا  
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى  
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ  
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ  
 أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ بسكون  
 الراء وكسر هاء<sup>(١)</sup>؛ فبضعتكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يقال: إنها المسماة الآن  
 (طَرُوس) بفتح الراء<sup>(٢)</sup> ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أي أطعمة المدينة  
 أحل ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾  
 [٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ  
 يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا﴾ أي: إن عدم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾.

﴿أَيُّ الْحَرْزَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أفعال بمعنى أضبط  
 ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ للبهيم، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿فَتَنْ نَقُصُّ﴾  
 نقرأ ﴿عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِيهِ عَامَتُوا بِرَبِّهِمْ وَذُنُوبُهُمْ  
 هُدًى﴾. [١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قلوبناهم على قول الحق ﴿إِذْ  
 قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا  
 شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله،  
 قرضاً [١٥] ﴿هَذُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمَنَا﴾ عطف بيان ﴿أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ  
 إِلَهَةً لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يُسَلِّطِينَ بَيْنَ﴾  
 بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾  
 بنسبة الشريك إليه - تعالى -.

[١٦] قال بعض الفتيه لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ  
 فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾  
 بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس<sup>(١)</sup>؛ ما تترفقون به من غداء وعشاء.  
 [١٧] ﴿وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوَّرْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup>  
 تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ  
 الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبته ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾  
 متمس من الكهف بناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ آيَاتِ  
 اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ  
 وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْقَاطَا﴾ أي: متبهن؛ لأن أعينهم  
 مفتوحة، جمع (يقظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد  
 ﴿وَنُقِلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُمْ  
 سَاطِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب  
 هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا  
 وَلَمُلَمْتَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْهُمْ رُعبًا﴾ بسكون العين  
 وضمتها<sup>(٤)</sup>، منعم الله بالربع من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أبقظناهم  
 ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا  
 قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس  
 وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في

(١) بفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي مجمل ما استعجم ليكرى: «طَرُوس» بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: «طَرُوس»... (٨٩٠/٣).

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُلَّهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجَاءً بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنًا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له، أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَتَأْتِيهِمْ كُتُبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة<sup>(١)</sup> ﴿فَلَا تَعْمَارٍ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿وَنُفِثَهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَسَدًا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ملتفتا بمشيئة الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقًا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس<sup>(٢)</sup> ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رَسُولًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَتِ سِنِينَ﴾ بالتوبين<sup>(٣)</sup> ﴿سِتِينَ﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة»، وهذه السنين الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَارْجِعَا دُورًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوبَا﴾ من اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَمْ يَغِيبْ السَّحَابَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصُرَ بِهِ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعُ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمع، وهما على جهة المجاز<sup>(٤)</sup>، والمراد أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَكُمْ لَأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنْهُمْ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَأَيْنَاهُمْ أَكْلِمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسَاجِدًا ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْنَاهُمْ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجَاءً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَتَأْتِيهِمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَعْمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْجِعَا دُورًا تَسْعًا ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوبَا﴾ لَغَيْبِ السَّحَابَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصُرَ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَمْ يَرَوْهُ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَغْتَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إقامتهم المدة الطويلة وإيقاظهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا﴾ إذ: معمول لـ «أغترنا» ﴿يَتَنَزَّلُ عَنْهُمْ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بُيُوتًا﴾ يستريحهم ﴿رَأَيْنَاهُمْ أَكْلِمَ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ: أمر الفتية وهم المؤمنون<sup>(١)</sup>: ﴿لَنَتَّخِذَنَّهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حولهم ﴿مَسَاجِدًا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسمون. وعلى أي حال فقد جله شرعًا بتحريم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحنز ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... أَلَا وَانْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فإني أنذركم عن ذلك». رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٣) أخرجه نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٠/٣)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على يمين فله الثيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نبتهما لله ﷻ على الوحة اللاتق به من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[٢٨] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ احْسَبْهَا مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ عِبَادَتَهُمْ وَجْهَهُ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء «وَلَا تَقْدُ» تنصرف «عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» عبر بهما عن صاحبهما «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» أي: القرآن، هو عينة ابن حصن وأصحابه «وَأَتَّبِعْ هَوْنَهُ» في الشرك «وَكُنْتَ أَمْرُهُ فُرْطًا» إسرافاً<sup>(١)</sup>.

[٢٩] ﴿وَقُلْ لَهُ وَأَصْحَابِهِ هَذَا الْقُرْآنُ مِنَ الْخُفَى مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾ تهديد لهم «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ» أي: الكافرين «نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا» ما أحاط بها «وَلَنْ يَسْتَغْنُوا بِغَاوَا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» كحكر الزيت «يَسْئَرُ الْوُجُوهُ» من حزنه إذا قرب إليها «يَسْأَلُ الشَّرَابَ» هو «وَسَاءَتْ» أي: النار «مُرْتَفَقًا» تمييز منقول عن الفاعل، أي: فتح مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا» ولا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إِنَّ الَّذِينَ»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجروهم؛ أي: نبيهم بما تضمنته.

[٣١] ﴿أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إقامه﴾ «يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» قيل: «ومن» زائدة، وقيل: للتبعض، وهي جمع أسورة كأحمره، جمع سوار «وَمِنْ ذَهَبٍ وَيَسْبُحُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ» ما رقى من الديباج<sup>(١)</sup> «وَيَسْتَبْرَقُونَ» ما غلظ منه، وفي آية الرحمن «يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ»<sup>(٢)</sup> «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» جمع أريكة، وهي السرير في الحجرة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس «وَيَمُزُّمُ الثَّوَابَ» الجزاء الجنة «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا».

[٣٢] ﴿وَأَصْرِبْ اجعل﴾ «لَهُمْ» للكفار مع المؤمنين «مَثَلًا لَطِيفٍ» بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل «جَعَلْنَا لِأَحْمَدِيَّاهُ» الكافر «جَنَّتَيْنِ» بستانين «مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَافَتُهُمَا يَنْخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا» يقاتل به.

[٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ» «كلنا» مفرد يدل على التنبيه، مبتدأ «ءَأَنْتَ» خبره «أَكُلَاهُمَا» ثمرها «وَلَمْ تَطْلُرْ» تنقص «وَبَيْنَهُمَا شِجْرًا وَقَجْرًا» أي: شققنا «جَعَلْنَاهُمَا نَهْرًا» يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكُنْتَ لَمْ» مع الجنتين «ثَمَرًا» بفتح الثاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني<sup>(٣)</sup>، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ وَيَسْتَبْرَقُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاصْبِرْ لِهْمُ مَثَلًا لَطِيفٍ جَعَلْنَا لِأَحْمَدِيَّاهُ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَافَتُهُمَا يَنْخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكُلَاهُمَا تَطْلُرُ مِنْهُ شِجْرًا وَقَجْرًا جَعَلْنَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

وخشُب، وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يفاخره: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن حباب في قوله: ﴿وَلَا تَطْلُرْ أَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿كُنْتُكَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعد في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حفرهم، فأقوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن نجعل لنا منك مجلس تعرف لنا به العرب فضلاً، فإن وفود العرب تأتيك فستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقمهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب، ونحن قوم في ناحية منزل جبريل عليه السلام، فقال: ﴿وَلَا تَطْلُرْ أَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِمَّنْ وَمَا مِنْ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْلُرُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجالس الأشراف. وإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجالس الأشراف. وإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجالس الأشراف. وإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجالس الأشراف.

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم الثاء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح الثاء والميم قراءة عاصم.

وَن دَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٩﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَقُ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٤٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرِينَ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٢﴾ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴿٤٣﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ ﴿٤٤﴾ وَرَبِّسِلْ عَلَيْهَا حُشْبَانًا ﴿٤٥﴾ جَمْعُ حَسْبَانَةٍ أَيْ: صَوَاقِقُ ﴿٤٦﴾ مِنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٧﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ لَا بَقِيَّةَ عَلَيْهَا قَدَمُ ﴿٤٨﴾ [٤٩] أَوْ يُصْبِحُ مَاءُهَا غَوْرًا ﴿٥٠﴾ بِمَعْنَى: غَائِرًا، عَطْفٌ عَلَى «رَبِّسِلْ» دُونَ «نُصْبِحُ»؛ لِأَن غَوْرَ الْمَاءِ لَا يَنْسَبُ عَنِ الصَّوَابِقِ ﴿٥١﴾ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبًا ﴿٥٢﴾ حِيلَةٌ تَدْرِكُهَا بِهَا.

[٣٨] ﴿لَكِنَّا﴾ أَصْلُهُ (لَكِنْ أَنْ)، نَقَلْتُ حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ إِلَى النُّونِ أَوْ حَذَفْتُ الْهَمْزَةَ ثُمَّ أَدْعَمْتُ النُّونَ فِي مِثْلِهَا ﴿هُوَ﴾ ضَمِيرُ الشَّانِ تَفْسِيرُهُ الْحِمَاةُ بَعْدَهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَا أَقُولُ: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

[٣٩] ﴿وَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عِنْدَ إِعْجَابِكَ بِهَا: هَذَا ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَعْطِيَ حَيْرًا مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ يَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ لَمْ يَرْفِهِ مَكْرُوهًا» <sup>(١)</sup> ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا﴾ ضَمِيرُ فَصْلٍ بَيْنَ الْمُفْعُولَيْنِ ﴿أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

[٤٠] ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ ﴿وَرَبِّسِلْ عَلَيْهَا حُشْبَانًا﴾ جَمْعُ حَسْبَانَةٍ أَيْ: صَوَاقِقُ ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أَرْضًا مَلْسَاءَ لَا بَقِيَّةَ عَلَيْهَا قَدَمُ ﴿[٤٩] أَوْ يُصْبِحُ مَاءُهَا غَوْرًا﴾ بِمَعْنَى: غَائِرًا، عَطْفٌ عَلَى «رَبِّسِلْ» دُونَ «نُصْبِحُ»؛ لِأَن غَوْرَ الْمَاءِ لَا يَنْسَبُ عَنِ الصَّوَابِقِ ﴿٥١﴾ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبًا ﴿٥٢﴾ حِيلَةٌ تَدْرِكُهَا بِهَا.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِشَعْرَةٍ﴾ بِأُوجِهِ الضُّبُطِ السَّابِقَةِ <sup>(٢)</sup> مَعَ جَنَّتِهِ بِالْهَلَاكِ فَهَلَكَتْ ﴿فَأُصْبِحَ يَقَلِّبُ كَفْبَهُ﴾ نَدَمًا وَتَحَسُّرًا ﴿وَعَلَى مَا أَفْقَىٰ فِيهَا﴾ فِي عِمَارَةِ جَنَّتِهِ ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾ سَاقِطَةٌ ﴿وَعَلَىٰ غُرُوشِهَا﴾ دَعَائِمُهَا لِلْكُرْمِ بَانَ سَقَطَتْ، ثُمَّ سَقَطَ الْكُرْمُ ﴿وَيَقُولُ يَا لِلنَّبِيِّ لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

[٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ <sup>(٣)</sup> ﴿لَمْ يَنْتَهَ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿بَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ عِنْدَ هَلَاكِهَا ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ عِنْدَ هَلَاكِهَا بِنَفْسِهِ.

[٤٤] ﴿هَٰئِلَاتِ﴾ أَيْ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿الْوَلِيَّةِ﴾ بَفَتْحِ الْوَاوِ: النُّصْرَةُ، وَبِكَسْرِهَا <sup>(٤)</sup>: الْمَلِكُ ﴿لِلَّهِ﴾ [الْحَقُّ] بِالرَّفْعِ صِفَةُ «الْوَلَايَةِ»، وَبِالْجَرِّ صِفَةُ الْحَالَةِ <sup>(٥)</sup> ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ مِنْ ثَوَابِ غَيْرِهِ لَوْ كَانَ يَنْبِثُ ﴿وَحَيْرٌ﴾ [غَفْنًا] بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِهَا <sup>(٦)</sup>، عَاقِبَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَصْبُهَا عَلَى التَّمْيِيزِ.

[٤٥] ﴿وَأَضْرِبَ﴾ صَيَّرَ ﴿لَهُمْ﴾ لِقَوْمِكَ ﴿مَثَلُ الْآلِيَّةِ الدُّنْيَا﴾ مَفْعُولٌ أَوَّلُ ﴿كَمَاءٍ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ تَكَاثَفَ بِسَبَبِ نَزُولِ الْمَاءِ ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِينَ﴾ أَوْ امْتَرَحَ الْمَاءُ بِالنَّبَاتِ فَرُوي وَخَشَنَ ﴿فَأُصْبِحَ﴾ صَارَ النَّبَاتُ ﴿هَشِيمًا﴾ يَابَسًا مَتَفَرِّقَةً أَجْزَاؤُهُ ﴿تَذَرُوهُ﴾ تَنْفَرُهُ وَتَفْرِقُهُ ﴿الرَّيْحُ﴾ فَتَذْهَبُ بِهِ، الْمَعْنَى: شَبَّهِ الدُّنْيَا بِنَبَاتٍ حَسَنٍ فَيَبِسَ فَتَكَثَّرَ فَفَرَّقَهُ الرِّيحُ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿الرَّيْحُ﴾ <sup>(٧)</sup> ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ قَادِرًا.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٩﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَقُ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٤٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرِينَ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٢﴾ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُشْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٣﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطَلَبًا ﴿٤٤﴾ وَأُحِيطَ بِشَعْرَةٍ فَأُصْبِحَ يَقَلِّبُ كَفْتِهِ عَلَىٰ مَا أَفْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٥﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ وَفَتْهُ يَصْرُوهُ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٦﴾ هَٰئِلَاتِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٧﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأُصْبِحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٨﴾

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بِصَاحِبِهِ يَطُوفُ بِهِ فِيهَا وَيَرِيهِ أَثْمَارَهَا، وَلَمْ يَقُلْ: جَنَّتِهِ؛ لِإِرَادَةِ لِلرَّوْضَةِ، وَقِيلَ: اكْتِفَاءً بِالْوَحْدِ ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بِالْكَفْرِ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تَعَدُّمٌ ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ فِي الْآخِرَةِ عَلَى زَعْمِكَ ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ مَرْجَعًا.

[٣٧] ﴿قَالَ لَمْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ بِجَاوِبِهِ: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج نحوه أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعًا بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة؛ من أهلٍ أو مَالٍ أو وَلَدٍ، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كلَّ آفة، حتى تأتيه ميتة». وانظر: [الدر المنثور (٤/٤٠٥)]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٢٦).

(٢) أي: السابق يأنها في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ لَمْ تَمُرْ﴾ وللقرآن أنفسهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٥) بالرفع قراءة الكسائي ونسب عمرو.

(٦) بالسكون قرأ عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالضم.

(٧) لحمزة والكسائي.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَالْبَاقِيَتُ أَخْسَرُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup> ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله - تعالى ..

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كِلَاءٌ يُعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثًا، وفي قراءة بالنون وكسر الباء ونصب «الجال» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ تَقْنَأْهُمْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[٤٨] ﴿وَعَرَّضُوا عَنْ رَبِّكَ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ خَفَافَةٌ مِنَ الْثِقَالِ﴾ أي: أنه ﴿أَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ مَوْعِدَةٍ لِلْبَعثِ﴾.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُتَشَفِّعِينَ﴾ خائفين ﴿وَمِمَّا فِيهِمْ وَيَقُولُونَ﴾ عند معابعتهم ما فيه من السيئات: ﴿يَا لِلَّهِ لَتُنَتِّهَنَّا﴾ ولتُنَتِّهَنَّا هَلَكْتَنَا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ عدناها وأنتهنا، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ ميثاقاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة<sup>(٢)</sup> تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل: هو نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع<sup>(٣)</sup>، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته ترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء حال ﴿يَتَّبِعُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُظْلِمِينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً في الحق، فكيف تطيعونهم؟! ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون<sup>(٤)</sup>: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾

[٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون<sup>(٥)</sup>: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/١) موقوفاً على عثمان بن عفان رضي الله عنه ما سئل: فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥١٣): إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٧٥/٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، والحاكم في مستدركه (٥١٢/١) وصححه وأقره الذهبي. وصححه ابن حبان (الإحسان ١٠٢/٢)، وقال المناوي: «قال الهيثمي: إسناده أحمد حسن، فيض القدير (٤٩٩/١). وضعه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالنون، وكسر الباء ونصب «الجال».

(٣) قال القرطبي: اختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن السجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(٤) وهذا القول هو الصحيح الذي تشهد له النصوص؛ فإبليس ليس من الملائكة، ولا نوعاً منها كما ذكر البعض؛ لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الخان من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». رواه مسلم (٢٩٩٦). وهل هو أصل الجن أم واحد منهم؟ قولان لأهل العلم؛ ذهب الجلالان إلى أنه أصل الجن، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٢٣٥/٤، ٣٤٦).

(٥) بالنون قراءة حمزة.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ أَخْسَرُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَقَابِهِمْ وَيَقُولُونَ بَوَيْلْنَا مَا هَٰذَا إِلَّا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُظْلِمِينَ عَضُدًا وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبَغْيِ وَالَّذِينَ زَعَمْتُمْ قَدْ عَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا

يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَمْ يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَوْبِقًا﴾ وادئاً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهو من (وَبَقَ) بالفتح: هلك.

[٥٣] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.

فاعل؛ أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾<sup>(١)</sup> مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمين جمع (قيل)؛ أي: أنواعاً.

[٥٦] ﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَذِيرِينَ لِلْمُكَافِرِينَ﴾ وَيَحْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ﴿بِقَوْلِهِمْ: «أَبَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا رَسُولًا»﴾<sup>(٢)</sup> ونحوه ﴿لِيُدْخِلُوا بِهِ لِبْطُلُوا بِجِدَالِهِمْ﴾ ﴿لَنُفَعِّلَنَّ الْقُرْآنَ﴾ ﴿وَأَنفَعُوا مَا يَنْتَهِى﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾ به من النار ﴿هَؤُلَاءِ﴾ سخريه.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا فلا يسمعون ﴿وَلَنْ نَذَرُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا كَسَبْتُمْ لَجَعَلَ لَكُمْ الْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ ملجأ.

[٥٩] ﴿وَالَّذِ الْفَرَى﴾ أي: أهلها؛ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا [لَهُمْ هَلِكُهُمْ]﴾<sup>(٣)</sup> لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم؛ أي: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِقَتْلِهِ﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه يأخذ عنه العلم: ﴿لَا أَنْبَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق؛ أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهرًا طويلاً في بلوغه إن بعد.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حملته عند الرحيل، ونسي موسى تذكرة<sup>(٤)</sup> ﴿فَاتَّخَذُوا الْحُوتَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي: جعله يجعل الله ﴿سَرًّا﴾ أي: مثل السرزب، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله - تعالى - أمسك عن الحوت جري الماء، فاجاب عنه فيقي كالكرة لم يلتمس وجمد ما تحته منه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَا وَلَيْنَ أَوْيَاتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَقَّ وَتُخَذُوا عَيْنِي وَمَا أُنْذِرُوا هُورًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَجَعَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَالَّذِ الْفَرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَنْبَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لخدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل ليتعلموا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

[٥٥] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَا وَلَيْنَ﴾

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ الباقون ﴿قُبُلًا﴾ بضمين.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتح الميم واللام الثانية، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية.

(٤) أكثر المفسرين على أنهما حملتا الحوت معهما، وهو الصحيح لموافقة حديث البخاري الآتي، كما أن ظاهر سياق الآيات يشهد له، وقيل: إنما نسب النسيان إليهما، مع أنه من الفتى وحده؛ للصحة، كقوله - تعالى -: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْقَوْلُ وَالزُّبُرُ﴾، وفي رواية حديث البخاري: «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت»، وفيها أن الفتى هو الذي نسي تذكر موسى، خلاف ما ذكره المفسر. البخاري (٤٧٢٦).



[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُكَ نَارًا لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ٦٢ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَتَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ٦٣ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ٦٤ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ ٦٥ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾ ٦٦ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٦٧ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ٦٨ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦٩ ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ٧٠ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ٧١ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٢ ﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ ٧٣ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَكِيَةً بَعِيرٌ نَقِيسٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ٧٤

لأدب المتعلم من العالم. [٧١] ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الحضر بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع «أهلها» ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً منكراً، روي أن الماء لم يدخلها.

[٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ مشقة في صحبتي إياك؛ أي: عاملني فيها بالعفو والبسر.

[٧٤] ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة بمشيان ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسياناً. البخاري. كتاب الأيمان والذود (٨٣) باب (١٥) إذا حدث ناسياً في الأيمان.

(١) وهو قول الجمهور. وروى البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال: «وَأَمَّا سَمِيَّ الحضر أنه جلس على قُرْوة يضاء فإذا هي تهتر من خلفه خصره». البخاري (٣٤٠٢).  
(٢) وذكر غيره أن الجمهور على أن نبي، واختاره القرطبي وغيره، وهو الأقرب، قال القرطبي: «والحضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا يكون إلا بوحى... والأول الصحيح»، ومن اختار أنه ولي احتج بأن الله لم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً أو رسولاً لذكر ذلك كما ذكر غيره، وعلى أي من القولين، فموسى عليه السلام أفضل من الحضر؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، ولا مانع من وجود علم عند الحضر ليس موجوداً عند موسى - عليهما السلام... وكما قال بعض أهل العلم: لو فرض أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الحضر عليه من أمور باطنة لا يحزر له التصرف في الظاهر مما يخالف أحكام الشرع المنزل... فليكن معلوماً...

(٣) البخاري (٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب مرفوعاً. (٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضم الراء وسكون الشين.

(٥) لنافع وابن عامر. (٦) لحمزة والكسائي.

ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصِيبْكَ﴾ لا تتركني أتبعك ﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ بالشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> من قبلي ﴿عَذْرًا﴾ في مفارقتك لي.

[٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية<sup>(٢)</sup> ﴿اسْتَظْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿قَائِلِينَ أَنْ يُضْفِئَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع<sup>(٣)</sup> ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ أي: يقرب أن يسقط ليلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الحضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي قراءة: ﴿لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مجفلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] ﴿قَالَ﴾ له الحضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق ﴿يُنِي وَبَيْنَكَ﴾ فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوّغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأَيْتُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿يَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

[٧٩] ﴿أَتَا السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها موانجة لها؛ طلباً للكسب ﴿فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَسَ رِجْلَاهُ﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿تِلْكَ﴾ كافر ﴿يَأْتِدُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿عَصَبًا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُوهُ مُؤْمِنِينَ فَنُحِشِينَ أَنْ يَرْتَفِعَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم<sup>(٥)</sup> طبع كافراً، ولو عاش لأرقههما ذلك لمحبتهما له، يتبعانه في ذلك. [٨١] ﴿فَارْتَدَّا أَنْ يَتَدَلَّيْهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٦)</sup> ﴿رُجُلًا سَبْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ أي: صلاحاً وثقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُجُلًا﴾ بسكون الحاء وضمها<sup>(٧)</sup>؛ رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلها - تعالى - جارية تزوجت نبياً فولدت نبياً، فهدى الله - تعالى - به أمة<sup>(٨)</sup>. [٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٌ مَدْفُونٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ﴾ أي: أختبأ بل بأمر إلهام<sup>(٩)</sup> من الله صليهما، فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: ليناس رشدتهما ﴿وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

مفعول له عامله، أراد ﴿وَمَا قَعَلْتُمْ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: اختبأ بل بأمر إلهام<sup>(١٠)</sup> من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقال: استطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، وتوعد العبرة في ﴿فَارْتَدَّتْ﴾، ﴿فَارْتَدَّا﴾، ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾<sup>(١١)</sup>. [٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر<sup>(١٢)</sup>، ولم يكن نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾ سأقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِيبْكَ فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَظْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضْفِئَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَسَ رِجْلَاهُ وَكَانَ وَرَاءَهُ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُوهُ مُؤْمِنِينَ فَنُحِشِينَ أَنْ يَرْتَفِعَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فَارْتَدَّا أَنْ يَبْدُلَهُمَا رُجُلًا مَكْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا قَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا

عَلَّمَكَ لم يبلغ الجثث<sup>(١)</sup> يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الحضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال<sup>(٢)</sup>، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا» ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء بلا ألف ﴿يَعْبَرُ نَفْسِينَ﴾ أي: لم تقتل نفساً ﴿فَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها<sup>(٤)</sup>؛ أي: منكراً. [٧٥] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زاد «لك» على

(١) أي لم يبلغ حد التكليف.

(٢) وهي قرعة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء وبلا ألف.

(٣) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «لغاة» أي بخلاء. وفي: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيق الجامع بين البحرين؛ «المتوسط» و«الأسود»، وقال الشهابي: هي: «زَوْفَةُ» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر «المتوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يغيان، والظاهر أنه ملتقى خديج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١ هـ. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كعاب في قرة العينين ص (٣٨٩، ٣٩١). (٧) وهذا لا دليل صحيح عليه، ولا فائدة من تحديده. (٨) فتخفيف التاء وكسر الحاء من غير ألف وصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٩) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعاً، ولفظ البخاري: «فكان كافراً» (٣١٤٩).

(١٠) هذا الذي ذكره المفسر. رحمه الله. يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علمنا: وهذا بعيد».

(١١) اختار المصنف أن الحضر كان وإيا ولم يكن نبياً، وعلى القول الآخر يكون هذا وحياً لإلهاماً. والله أعلم.

(١٢) وذلك على سبيل التأنيب مع الله، بنسبة ما طاهره لإفساد محض إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى.

(١٣) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعي الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ سَبِيلَ السَّيْرِ فِيهَا﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَعَلَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقًا يوصله إلى مراده.

[٨٥] ﴿فَأَتَيْنَا سَبَبًا﴾ سلك طريقًا نحو الغرب.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقَرَّ السَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَوَجَدَهَا تَجْرُبُ فِي عُتَبٍ جَبْتَوْ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود، وعروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِيقَيْنِ﴾ بالهام ﴿إِنَّا أَنْ نَعُدَّ بِ﴾ القوم بالقتل ﴿وَوَيْلًا أَنْ نَنْجِدَ فِيهِمْ حِسَابًا﴾ بالأسر.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقلته ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها<sup>(٢)</sup> شديدًا في النار.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ﴾ الحسنى<sup>(٣)</sup> ﴿أَلْحَسَنُ﴾ أي: الجنة، والإضافة للبيان، وفي قراءة: بنصب ﴿جَزَاءً﴾ وتوניה، قال الفراء: ونصبه على التفسير؛ أي: لجهة النسبة<sup>(٤)</sup> ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ إِسْرًا﴾ أي: تأمره بما يسهل عليه.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتَىٰ سَبَبًا﴾ نحو المشرق.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ السَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَوَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزُّنُجُ ﴿ثُمَّ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سِيرًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء<sup>(٥)</sup>، ولهم سروب<sup>(٦)</sup> يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها.

[٩١] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجد وغيرهما ﴿خَيْرًا﴾ علمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتَىٰ سَبَبًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّائِيْنِ﴾ بفتح السين وضمها<sup>(٧)</sup>، هنا وبعدهما<sup>(٨)</sup>؛ جبالا بمنقطع بلاد الترك<sup>(٩)</sup>، سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بضع، وفي قراءة بضم الباء وكسر القاف<sup>(١٠)</sup>.

[٩٤] ﴿قَالُوا يَدَّبَا الْقَرْيَتَيْنِ﴾ يَنْ يَجُوجُ وَمَاجُوجُ ﴿بِالْهَمَزِ وَتَرَكَهُ﴾ هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهْب والبعي عند خروجهم إلينا ﴿فَبَدَّلَ لَكَ خَيْرًا﴾ جَعَلًا من المال، وفي قراءة: ﴿خَرَجًا﴾<sup>(١١)</sup> ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزًا فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ بنونين من غير إدغام<sup>(١٢)</sup> ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي جعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿فَاعْيُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

رَدْمًا حاجزًا حصينًا.

[٩٦] ﴿أَتُونِي زُرَّ الْحَدِيدِ﴾ قطعه، على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَتْ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني<sup>(١٣)</sup>؛ أي: جانبي الجبلين بالبناء، ووضع المنافع والنار حول ذلك ﴿قَالَ نُفْحُوا﴾ نفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار ﴿قَالَ أَتُونِي أَرَأَيْتُ أَفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحذف من الأول<sup>(١٤)</sup>؛ لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد الشحقي فدخل بين زبره فصارا شيئًا واحدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره؛ لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقَابٌ﴾ لصلابته وسكبه.

(١) لعله يقصد أعظم من الأرض، أو أرض الدنيا.

(٢) وهي فراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بنصب «جزاء» والتثنية.

(٣) أي نسمة الخير الملقمة إلى المبدأ المؤخر، وتقديره: «فله أحسن ثبوت بها جزاء».

(٤) قال القاضي كنعان: «... لا وجه له؛ لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء...» قرة العينين ص (٣٩٣) هامش (١).

(٥) قال القاضي كنعان: «قوله: «لهم سروب» يناقض نفي الستر في الآية... فيكون المعنى الصحيح: قوم لا يتخذون شيئًا يستترهم من الشمس» السابق ص (٣٩٣) هامش (١).

(٦) بالضم قراءة السبعة عند ابن كثير وأبي عمرو وحفص. (٨) أي: في هذه الآية، وفي قوله الآتي: ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فقرأ في بالضم نافع وابن عامر وشعبة.

(٩) هذا الذي قطع به المصنف من أن السد في بلاد ترك لا دليل عليه.

(١٠) لحمزة والكسائي.

(١١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبضم فسكون قراءة شعبة.

(١٢) أي هو وصميره، والأصل: أتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا.

(١٣) حمزة والكسائي. (١٤) حمزة والكسائي.

(١٥) لابن كثير.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوهم عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزيرًا ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثانٍ لـ «يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز<sup>(١)</sup>، ويتهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي آيَاتِنَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿وَلِحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: لا تجعل لهم قدرا.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿حَرَّزْنَاهُمْ بِهِمْ يَمَّا كَفَرُوا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ وَزَنًا﴾ أي: مهزوزا بها.

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْأُفْرُوسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلامها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلا.

[١٠٨] ﴿يُخَلِّدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا جُزْءًا﴾ تحولا إلى غيرها.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَاطِلُ﴾ أي: ماؤه ﴿وَمَدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِكُنْتُمْ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجابه<sup>(٢)</sup> بأن تكتب به ﴿لَنُقَدِّمَ الْبَحْرَ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَنْ نَقْدَمَ﴾ بالناء والياء<sup>(٣)</sup>: تفرغ ﴿لِكُنْتُمْ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز<sup>(٤)</sup>.

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِيدٌ﴾ المكشوفة بـ «ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يراني ﴿أَمَّا﴾.

\*\*\*

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠١﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ مَجْمَعًا ﴿١٠٢﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٤﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيرُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا الْبَنِيَّ وَرُسُلِي هُزُلًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْأُفْرُوسِ نُزُلًا ﴿١١٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفْدِكَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِيدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٣﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ نعمة<sup>(١)</sup>؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكوكا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كاشا.

[٩٩] قال - تعالى -: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٠٩). أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسأوه عن الروح، فأقر الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علمك كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي حيرا كثيرا، فأولت: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَاطِلُ مَدَادًا لَكُنْتُمْ رَبِّي لَنُقَدِّمَ الْبَحْرَ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر لعام على بعض أفرادها، فضلا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله.

(٢) أي في الجمع، ذ «أعمالا» تمييز جاء حقا مطابقا للتمييز وهو «الأحسرين».

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وكلمات لله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه - وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يثبت الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

## سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مكية، أو: إلا سجدها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَهَيِّصٌ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ﴾ مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿رَكَرَكَ﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿نَادَى رَبُّهُ يَدَّاءُ﴾ مشتملاً على دعاء ﴿حَوِيًّا﴾ سراً جوف الليل، لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنٌ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ جويغهُ ﴿مِنِّي﴾ وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ مِنِّي ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل <sup>(١)</sup>؛ أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَيْبًا﴾ أي: خائباً فيما مضى، فلا تخيبني فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب؛ كني الغم ﴿مِنْ وَرَاءِي﴾ أي: بعد موتي على الدين أن يضيغوه، كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكُنْتُ أَمْرَأَتٍ عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ﴿يَرْثِي﴾ <sup>(٢)</sup> بالجرم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿وَيَرْثِ﴾ بالوجهين <sup>(٣)</sup> ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدِّي، العلم والنسب ﴿وَأَجْعَلَهُ رَبِّ رِضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

[٧] قال - تعالى - في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: ﴿يَرْكَرِكُنَا إِنَّا نُنْشِرُكَ بِغُلْمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿أَسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى يحيى.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾ وَكُنْتُ أَمْرَأَتٍ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ ﴿عَتِيًّا﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿مِنْ عَتَا﴾ ييس: أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانين وتسعين سنة، وأصل ﴿عَتِيٍّ﴾: «عُثُو»، وكسرت التاء تخفيفاً، وقلب الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياءً لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَذِهِ﴾ أي: بأن أود عليك قوة الجماع، وأفيت رجماً امرأتك للغلو ﴿وَقَدْ

## سُورَةُ مَرْيَمَ

كَهَيِّصٌ ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ رَكَرَكَ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءَ حَوِيًّا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَاءِي وَكُنْتُ أَمْرَأَتٍ عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿يَرْثِي وَيَرْثِي مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلَهُ رَبِّ رِضِيًّا﴾ يَرْكَرِكُنَا إِنَّا نُنْشِرُكَ بِغُلْمٍ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكُنْتُ أَمْرَأَتٍ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَذِهِ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تأقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ عَلَيْهِ﴾ ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تتمتع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿فَلَنَكُ لَيْالٍ﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل ﴿تُكَلِّمَ﴾ أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه؛ يصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة؛ فعَلِمَ يَحْيَىٰ مِنْ كَلَامِهِمْ خَفَلَهَا يحيى.

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجرم والرفع، والجرم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعة أبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عَتِيًّا﴾ بكسر العين.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى ما لم يره قَبْلَهَا؛ فهو آمن فيها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْقُرْآنَ﴾ مَرْيَمَ ﴿أَي: خَيْرَهَا﴾ (إِذْ) حين ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستتر به؛ لِثُغْلِي وَأُشْغَلِي أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ فتنهني عني بتعودي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (لِطَهْرٍ) ﴿لَكَ عَلَمًا نَكَيًّا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ نَكِيًّا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ الْأَمْرُ﴾ كَذَلِكَ ﴿مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ آبٍ﴾ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ﴿أَي: بَأَن يَنْفَخُ بِأَمْرِي جبريل فيك فتحملي به، ولكن ما ذكر في معنى العلة؛ غَطَّفَ عليه: ﴿وَلْيَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَن آمَنَ بِهِ ﴿وَكَانَ خَلْقَهُ﴾ ﴿أَمْرًا قَصِيًّا﴾ به في علمي؛ فنفع جبريل في جيب درعها؛ فأحست بالحمل في بطنها مُصَوَّرًا.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَحْتِ ﴿بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من أهلها.

[٢٣] ﴿فَاجَاءَهَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَى جَذْعِ النَّخْلِ﴾ لتحمده عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة<sup>(٤)</sup> ﴿قَالَتْ يَا أَيُّ النَّبِيِّ﴾ (يَتَّبِعِي) مَثَ قَبْلَ هَذَا ﴿الْأَمْرُ﴾ ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا﴾ شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

[٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: جبريل، وكان أشْفَلَ منها<sup>(٥)</sup> ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿نَهَزَ مَاءٌ كَانَ قَدْ انْقَطَعَ﴾.

[٢٥] ﴿وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلِ﴾ كانت يابسة، و(الباء): زائدة ﴿[تَشَاقُطُ]﴾<sup>(٦)</sup> أصله بتأعين؛ قلبت الثانية سينًا، وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها<sup>(٧)</sup> ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ صفته.

يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صِدْقًا ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَشَرًا بُولَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٥﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٦﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٧﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ لِمَ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلْيَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مَثَ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٢٤﴾ فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٦﴾

[١٢] وبعد ولادته بستين قال الله - تعالى - له: ﴿يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة<sup>(١)</sup> ﴿صِدْقًا﴾ ابن ثلاث سنين<sup>(٢)</sup>.

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي أنه لم يَعمَلْ خطيئة ولم يَهْمُ بها.

[١٤] ﴿وَبَشَرًا بُولَدِيهِ﴾ أي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبِّرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

(١) وقيل: الحكمة والفقہ في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الفهم. [إندر المنشور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في إندر المنشور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عنه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقر «لأهَب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغربه، وقال: «فالمشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن...» اهـ.

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: المنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح الناء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك الناء المقلوقة سينًا.

[٢٦٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَوَدَّيْ عَيْنَا﴾ بالولد؛ فميز محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكن؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَرَيْنَ﴾ حذفته منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَمِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إسماكا عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

[٢٧٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ حال؛ فأراه ﴿فَقَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئَ فَرِيًّا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٨٨] ﴿وَتَأَخَّتْ هَـرُونَ﴾ <sup>(١)</sup> هو رجل صالح؛ أي: يا شبيته في العفة ﴿وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ أي: زانية ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد؟!

[٢٩٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٣٠٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

[٣١١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: ثقافًا للناس، إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿وَمَا مُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢٢] ﴿وَوَبَّرًا يُولَدُنِي﴾ منصوب بـ «جعلني» مقدراً <sup>(١)</sup> ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاطفًا ﴿سَقِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

[٣٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٣٤٤] قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [قُولِ الْحَقِّ] بِالرَّفْعِ: خبر مبتدأ مقدراً؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت» <sup>(٢)</sup>؛ والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ﴾ من المرية؛ أي: يشكون؛ وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٣٥٥] ﴿مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن» <sup>(٣)</sup>؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٣٦٦] ﴿وَأَنَّهُ رَبِّي وَرَبُّكَ﴾ فاعْبُدُوهُ ﴿بِفَتْحٍ﴾ بفتح «أَنَّهُ» بتقدير «اذكر»، وبكسرهما <sup>(٤)</sup> بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مُؤَدٍّ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً فَقَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا مُمْتُ حَيًّا وَوَبَّرًا يُولَدُنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

[٣٧٧] ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذكروا وغيره ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

[٣٨٨] ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: نقيض؛ به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سماعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألتني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾، وموسى قس عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكني بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني بؤرا.

(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) المائدة: ١١٧.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صِدِّيقًا﴾ مبالغة في الصدق ﴿يَتَّبِعُ﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أزر: ﴿يَتَّابُ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لَمْ يَغْتَبِ مَالًا يَبْصُرُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَسْمَعُ﴾ لا يكفك بك شيئاً من نفع أو ضرر.

[٤٣] ﴿يَتَّابُ﴾ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْلَكَ صِرَاطًا ﴿طَرِيقًا﴾ سَوِيًّا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾.

[٤٤] ﴿يَتَّابُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان.

[٤٥] ﴿يَتَّابُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن لم تتب فتكون للشيطان ولياً ﴿نَاصِرًا وَوَقِيًّا﴾ في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَتَّبِعُونَ﴾ فعبها ﴿لَنْ تَنْتَوِيَّ﴾ عن التعرض لها ﴿لَا تَحْمُكُ﴾ بالحجارة، أو بالكلام الفحيح؛ فاحذرنى ﴿وَأَهْجُرِي مَيْتًا﴾ دمهراً طويلاً.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿وَسَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيَّا﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَتَّبِعُونَ﴾ من خفي؛ أي: بارأ؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَأَغْفِرْ لِي﴾ <sup>(١)</sup> وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذكره في براءة <sup>(٢)</sup>.

[٤٨] ﴿وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَى أَنْ﴾ ن ﴿لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ابنين يأمن بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ رفيعاً؛ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخِصًّا﴾ بكسر اللام وفصحها <sup>(٣)</sup>؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

وَأَذْكُرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّابُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّابُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَتَّبِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَتَّبِعُونَ لِيْن لَمْ تَنْتَوِيَّ لَمْ تَحْمُكُ وَأَهْجُرِي مَيْتًا ﴿٤٧﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيَّا ﴿٤٨﴾ وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَنْ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿وَأَذْكُرْهُمْ﴾ تخوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(١)</sup> به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه لسجاء.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مَنَادٌ: يَا أَهْلَ لُجَّةٍ، فَيُسْرَبُونَ. أَيْ يَدُونَ أَعْنَاقَهُمْ - وَيَنْظُرُونَ. يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَذْكُرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَذْكُرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَكَّرَ مِنْهُمْ﴾. [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بفتح اللام بقية السبعة.



[٥٢] ﴿وَنَذِيْنَهُ﴾ يقول: ﴿يَمْوِسَىٰ إِيَّتْ أَنَا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرْنَتُهُ نِيْحًا﴾ مناجاة؛ بأن أسعده الله - تعالى - كلامه.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا نَعْمَةً﴾ ﴿أَخَاهُ هَارُونَ﴾ بدل أو عطفت بيان ﴿نِيْحًا﴾ حال؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أشرف منه.

[٥٤] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لم يعذ شيئاً إلا وفي به، وانتظر من وعده ثلاثة أيام، أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرحهم ﴿نِيْحًا﴾.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي: قومه ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أصله «مرضو»؛ قلبت الواو الواو، والضمة كسرة.

[٥٦] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جد أبي نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت، وأحيى ولم يخرج منها<sup>(٢)</sup>.

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ صفة له ﴿وَمِنَ الَّذِينَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «الذين»، فقوله: ﴿مِنَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ﴾ هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: من جعلتهم، وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾: ﴿إِنَّا نُلْقِيَ عَلَيْكَ الْبُرْهَانَ خَرُوءًا مُّجْتَبَاً وَبُكْرًا﴾ جمع «ساجدة» «وباك»؛ أي: فكونوا مثلهم، وأصل «وبكر»؛ بكوئي؛ قلبت الواو واو، والضمة كسرة.

[٥٩] ﴿خَلَقَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفَ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ بتركها؛ كاليهود والنصارى<sup>(٣)</sup> ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَقْفَرُونَ عَنَّا﴾ هو وإد في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] ﴿إِنَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَابَ وَعَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقَوْنَ فِيهَا شَيْئًا﴾ من ثوابهم.

[٦١] ﴿جَنَّتٍ عَرْضُهَا إِمَامَةٌ بِدَلٍّ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال؛ أي: غائب عنها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ﴾ أي: موعوده ﴿مَائِيًّا﴾ بمعنى: آتياً، وأصله «ماتوي»، أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله.

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾ من الكلام ﴿إِنَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَامًا﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿وَقَمْ رَفُفُهُمْ فِيهَا﴾

وَنَذِيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرْنَتُهُ نِيْحًا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكْرًا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقَوْنَ فِيهَا شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَرْضُهَا إِمَامَةٌ بِدَلٍّ مِنَ الْجَنَّةِ الْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَائِيًّا ﴿٦١﴾ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً سَلَامًا ﴿٦٢﴾

بُكْرَةً وَعَشِيًّا؛ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدياً.

[٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي ونثقل ﴿مَنْ كَانَ نَقِيًّا﴾ ببطائه.

[٦٤] ﴿وَنَزَّلَ مَا تَأْخُرُ الْوَحْيِ آيَاتًا﴾ وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَنْفَعُ أَنْ تَزُورُنَا أَكْثَرَ بِمَا تَزُورُنَا» ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾<sup>(٥)</sup> أي: أماننا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا يَرَىٰ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى ناسياً؛ أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك<sup>(٦)</sup>.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يملك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا...﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (٢).

(١) القصص: ٣٠.

(٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته له نفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل. (٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأقرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أس بن مالك في حديث المراح بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﷺ. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. مسلم (١٦٢).

(٤) وقيل: المراد بإضاعتها فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأوا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لحصر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكبائر.

(٥) أخرجه نحوه البخاري (٢٢١٨) عن ابن عباس.

الذال وضم الكاف ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿فَوَيْلٌ لَّكَ لِحُذْرِهِمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَالْأَسْطِينِ﴾ أي: تجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَهُنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿يَجِئْنَ﴾ على الركب، جمع «جاء»، وأصله «جئوا» أو «جئوي» من «جئاً جئوا» أو «جئشي» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَزَعْنَهُ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَتَمُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِيقًا﴾ جراءة.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِلَنَّ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحقّ بجهنم الأشدّ (٣) وغيره منهم ﴿صَلِيلًا﴾ دخلاً واحترقاً؛ فنبذوا بهم، وأصله «صَلَوِي» من «صلي» كسر اللام وفتحها.

[۷۱] ﴿وَإِنْ أَيْ: مَا ﴿مَنْكُمُ﴾ أَحَدٌ ﴿إِلَّا وَارِدُهُا﴾ أَيْ: دَاخِلُ جَهَنَّمَ ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ حَتْمَةً وَقَضَى بِهِ، لَا يَتْرُكُهُ.

[٧٢] نُنَجِّي مُشَدِّدًا وَمُخَفِّفًا ﴿٦﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا الشُّرْكَ وَالْكَفْرَ مِنْهَا وَوَدَّرَ الْفَالِقِينَ ﴿٧﴾ بِالْشُّرْكَ وَالْكَفْرَ فِيهَا جِئْنَا ﴿٨﴾ عَلَى الرُّكْبِ.

[٧٣] ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِمُ النَّفْثَ الْأَشَدَّ﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿عَيْنَانَا﴾ من القرآن ﴿يَنْتَنِي﴾ واضحات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً، بالفتح: من قام، وبالضم: من راح. ﴿وَأَحْسَنُ دِينًا﴾ بمعنى: النادي؛ وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه؛ هنون: نحن؛ فنكون خيراً منكم.

[٧٤] قال - تعالى :- ﴿وَكُذِّبُوا﴾ أي: كثيراً ﴿أَمْ لَكُمْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قُرْآنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أُنْتَبَأُ﴾ مالأ ومتاعاً ﴿وَرَبَّيَا﴾ منظراً من الرؤية؛ كما أهلكناهم ل كفرهم نهلك هؤلاء.

٧٥ ﴿لَقَدْ مَنَّ كَانُ فِي الْأَصْلَفِ﴾ شرطه، جوابه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾ بمعنى الخبر؛ أي: بعد ذلك. ﴿لَهُ الْخَمِيرُ مِثْلًا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَقًّا إِذَا رَأَوْا مَا يوعَدُونَ﴾ إيتاء لعذاب. كالقتل والأسر ﴿وَلَيْتَ الْآسَاءَةَ﴾ المشتعلة على جهنم فيدخلونها ﴿سَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعَفَ جُنْدًا﴾ أعوانًا، أهُمُّ أَمِ الْمُؤْمِنُونَ، جندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم <sup>(١)</sup> الملائكة؟.

[٧٦] وَرَزَقْنَاهُ اللَّهُ الْغَيْرَ أَهْتَدُوا بِالْإِيمَانِ هُدًى بِمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ  
 مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَنْفِيقِينَ الصَّالِحِينَ هي الطاعة<sup>(٧٦)</sup> تبقى لصاحبها حُرٌّ عِنْدَ  
 يَدَيْ نَوَافٍ وَسَيَّرَ مَرَدًّا أَي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار،  
 الحيرية هنا في مقابلة قولهم: «أَيُّ الْفَافِقِينَ حُرٌّ مَقَامًا».

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ  
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ  
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ  
وَلَعَلَّكَ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ قَوْلِكَ لَنُخْشِرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانُ ثُمَّ  
لَنُخْشِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ  
شِيعَةٍ أَنتَهُم أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ  
هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ أَلْوَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ  
حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ أَتَقَوَّا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ  
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾  
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٧٤﴾  
قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْسُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدْخِلَ إِذَا رَا  
مَأْبُودُونَ إِمَّا الْعَذَابُ وَإِمَّا السَّاعَةُ فَسَيَعْمُونَ مَنْ هُوَ سَرُّ  
مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَبَرِّدْ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هَدًى  
وَالْبَقِيَّةُ الضَّلَالَةُ صَلَاحَتْ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

[٦٥] هو ﴿رَبِّ﴾ مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَقُولُ لِمَنْ سَمِيَ﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] «وَقَوْلُ آدَمَ: الْمَكَرَ لِلْبَعِثِ؛ أَيُّ بُرٍّ خَلَفَ، أَوِ الْوَلِيدِ مِنَ الْمَيِّتَةِ النَّارِ فِيهِ آيَةٌ: «أَعَدَّا» بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَةِ الثَّانِيَةِ وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَهَا وَبُوجْهِهَا وَبَيْنَ الْأُخْرَى<sup>(١)</sup> «مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا» مِنَ الْقَبْرِ؛ كَمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ؟<sup>(٢)</sup> فَالِاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى: النَّفْيِ؛ أَيُّ: لَا أَحْيَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ«مَا» زَائِدَةٌ لِلتَّكْيِيدِ، وَكَذَا «لِلَّام».

[٦٧] وردُّ عليه بقوله - تعالى :- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ <sup>(٢)</sup> **الْإِنْسَانُ** ﴿أَصْلَهُ

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا بدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين يبيعوا بحطبها». قالت: بي يا رسول الله. فالتفتها. فقالت حفصة: «وَلَا يَبْكُ وَلَا يَدْعَاهُ». فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿مَنْ بَكَى لِرَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ لِرَجُلٍ مِّنْ الْأَنْبِيَاءِ نَضَّ ذُرِّيَّتَهُ فَذَكَرَ أَخَاهُ وَخَلِيلَهُ فَأَمَّنَ بِهِ فَمَا يَلِيكَ فِيمَا يُفَعِّلُ﴾». مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

(١) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بالخبر «إملاء»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَذْكُرُ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتياً).

(٤) محققاً قراءة الكسائي، ولأزمه إسكان النون.

(۵) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق بهـ حنذا؛ لتضمينه معنى المعاوين، كما وقع لهم في بدر من انخدال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المؤمنين.

(٧) وجاء في الحديث أنها: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب ابن الأرت القتال به: ثَبُتَ بعد الموت، والمطالب له جمال: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ﴾ مالا وولداً فاقضيك<sup>(١)</sup>.

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿أَطْلَعِ الْغَيْبَ﴾ أي: أعلمه، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!

[٧٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكذب ﴿مَا يَقُولُ وَنَعُدُّكَ لَمْ يَنْ لَمَذَابٍ مَذَابًا﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

[٨٠] ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿كَذَلِكَ﴾ لا مال له ولا ولد<sup>(٢)</sup>.

[٨١] ﴿وَأَخَذُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿مَا لِلَّهِ﴾ يعبدونها ﴿يَكُونُوا هُمْ عِرًا﴾ شعفاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفرن؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا يَتَّبِعُونَ<sup>(٣)</sup>﴾ ويكفرون عنهم صديداً أعواناً وأعداء.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سُلْطَانَهُمْ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَزُولُ هُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿إِذَا﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَذَابًا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَفَاءً﴾ جمع وافد؛ بمعنى: رابك.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماش عطشان.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٤)</sup>.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال - تعالى - لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: منكراً عظيماً.

[٩٠] ﴿نَكَّازًا﴾ بالباء والياء<sup>(٥)</sup> ﴿السَّكْرَتِ﴾ يَنْقُطُونَ<sup>(٦)</sup> بالنون<sup>(٧)</sup>، وفي قراءة بالياء وتشديد الطاء<sup>(٨)</sup>؛ بالانشقاق، ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ أي: تنطق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ - ٨٠): أخرج البخاري عن خباب قال: كنت رجلاً قبيحاً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضاً، فقال لي: لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم نبعت. قال: واني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وولداً﴾ [٧٧] أَلْغَيْتَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا [٧٨] كَذَلِكَ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّكَ لَمْ يَنْ لَمَذَابٍ مَذَابًا [٧٩] وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَذَلِكَ [٨٠] سورة مريم (١٩) باب (٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء وأصناف. [الدر المنثور (٥٤١/٥)].

(٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٥) لأي عمر وابن عامر وحزمة وشعبة.

(٦) مع قراءة «نكاده» ثُفراً؛ «ينفطرون» بالنون والياء. ومع قراءة «نكاده» بالياء: ثُفراً؛ «ينفطرون» بالنون والياء.

## سورة طه

[ مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان،

نزلت بعد مريم ]  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] طه ﴿الله أعلم بما بهداه بذلك﴾.

[٢] ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْفَى﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بـ ﴿نَذِيرًا﴾ به ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿نَزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع «عليها» كـ «كبرى» و «كبر».

[٥] هو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿أُسْتَوَى﴾ استواء يليق به<sup>(١)</sup>.

[٦] ﴿لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿مِنْ الْخُلُقَاتِ﴾ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحتها.

[٧] ﴿وَلَنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿فَلَنْ يَكُنَّ يَعْلَمُ الْبَيْتَ وَأَخْفَى﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث<sup>(٢)</sup>؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿وَهَلْ كُنْتَ تَتَذَكَّرُ﴾ قد<sup>(٣)</sup> ﴿أَنْتَكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ لأمراته: ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ هُنَا﴾ وذلك في مسيره من مدينت طابا مصر ﴿إِنِّي أَكُنْتُ بِمِصْرَ﴾ نارا لعلني أليكن مني يقين، بشعلة في رأس قبيلة أو عود ﴿أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَذَى﴾ أي: هادئا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ وهي شجرة عوسج<sup>(٤)</sup> ﴿نُودِيَ بِمُوسَى﴾.

[١٢] ﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿نُودِيَ﴾ بـ «يقيل»، ويفتحها؛ بتقدير الباء<sup>(٥)</sup> ﴿أَنَا﴾ تأكيد لياء التكلم ﴿رَبُّكَ فَاقْلَعْ عَلَيْكَ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ أو المبارك ﴿طُوبَى﴾ بدل، أو عطفت بيان؛ بالتثوين وتركه<sup>(٦)</sup>، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يُلَاسَانُكَ لِيُبَيِّنَ بِهِ الْمُتَقَاتِ وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَذًا ﴿٩٧﴾ وَكَرَاهَا كُنَّا قَلِيلًا مِّن قَرْنٍ هَلْ يُخَشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

## سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ لِيُشْفَى ﴿إِلَّا تَذَكَّرُ﴾ لِمَنْ يَخْشَى ﴿نَزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ وَإِنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَذَى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاقْلَعْ عَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوبَى ﴿٩٦﴾

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(١)</sup> فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله - تعالى -.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُلَاسَانُكَ﴾ العربي ﴿لِيُبَيِّنَ بِهِ الْمُتَقَاتِ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرُ﴾ تخوف ﴿قَوْمًا لَذًا﴾ جمع ألد؛ أي: جليل بالباطل، وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَمَلْنَا قُلُوبَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ يُخَشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتا خفيا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فلأجبه». قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له الحبة في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾... الحديث. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

(٢) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة لعلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٣) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصي عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقريير.

(٥) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٦) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَأَسْتَعِمْ لِيَا يُوحَى﴾ إليك مني.  
[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قريبا بعلاماتها ﴿لِيُخْزِي﴾ فيها ﴿كُلَّ نَفْسٍ يَمُدُّنَّ﴾ به من خير أو شر.  
[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ بصرنك ﴿عَنَّا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرَدِّي﴾ أي: فتهلك إن صدقت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنه ﴿بِمِيمِنِكَ يَمُوسَى؟﴾ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ أعتد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَمْشِي﴾ أخطب ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليستقط ﴿عَنِّي غَنَمِي﴾ فناكله ﴿وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ﴾ جمع مأربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَى﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.  
[١٩] ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَى﴾ تمشي على بطنها سريعا؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعبر به فيها في آية أخرى<sup>(١)</sup>.  
[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ﴾ منها ﴿سُعِيدُكَ سِيرَتهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿الْأُولَى﴾ فأدخل يده في فيها؛ فعادت عصا؛ فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها، وأرى ذلك السيد موسى؛ لئلا يجزع إذا انقلب حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأمانة ﴿يَبْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ وهي بياض، حالان من ضمير ﴿تَخْرُجُ﴾.

[٢٣] ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الآية ﴿الْكُذْبَى﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّمَا طَعْنُ﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَسَعَةً لِتَحْمِلَ الرسالة.

[٢٦] ﴿وَيَتَذَكَّرْ لِي أَمْرِي﴾ سهل ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَأَلْقَى عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ حَدَّثْتُ من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير<sup>(٢)</sup>.

[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَوَّاهَا بِهَرَّةٍ كَانَتْ خَطَاً﴾ [الزلزال: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبير، نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في ندر المنثور (٥٦٦/٥، ٥٦٧)، قال: غجمة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين هُم بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقا فيه جمر وتمر، فأخذ الجمرة بوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خيلقة. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلها الله تعالى كما أخر، وهذا بكفي.

(٣) بصيغتي المضارع المجزوم؛ أي: ﴿أَلْقَيْتُ﴾ بهزمة قطع مفتوحة، و﴿أَشْرَكْتُ﴾ بهزمة مضمومة، وهي قرابة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَعِمْ لِيَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا أَخْفِيهَا لِيُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ يَمُدُّنَّ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدِّي وَمَا تِلْكَ بِمِيمِنِكَ يَمُوسَى ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ وَاعْلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٦﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى ﴿١٧﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿١٨﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿١٩﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيَضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٠﴾ لِيُذَكِّرَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُذْبَى ﴿٢١﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٣﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٤﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٥﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٦﴾ وَاجْعَلْ لِي وَفِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٧﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٨﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٩﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٠﴾ كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣١﴾ وَتَذَكَّرُ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٣﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٥﴾

[٢٩] ﴿وَاجْعَلْ لِي وَفِيرًا﴾ معينا عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَارُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم<sup>(٣)</sup>، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ تَسْبَحَكَ﴾ تسيبها ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٤] ﴿وَتَذَكَّرُكَ﴾ ذكركا ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالما<sup>(٤)</sup>؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ مثا عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْبِرِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ  
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ وَعَدُوٌّ لَّهُ ۖ وَالْقُبُورُ  
عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي وَلِصْصَعٍ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ إِذْ مَشَىٰ أَخُتُكَ فَتَقُولُ  
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا  
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَتَوَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا  
فَلْيَلِثْ سَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ۖ  
وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقْصِيَ ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَحْرُوكَ بِعَايَتِي وَلَا  
تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا  
لَّيْسَ لَكَهُمَا رَبٌّ ذَكَرُوا وَحُشِّنَا ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَقْرُوطٌ  
عَلَيْمَا أَوْ أُنَاطِي ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ  
ۖ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ  
وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ  
أَهْدَىٰ ۖ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ  
وَتَوَلَّىٰ ۖ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ  
كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ۖ ثُمَّ هْدَىٰ ۖ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا﴾ منامًا أو إلهامًا لما ولدتك  
وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمرك، ويبدل  
منه: [٣٩] ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾  
بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخير ﴿يَأْخُذْهُ  
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ وهو فرعون ﴿وَالْقُبُورُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ﴾  
ميتي لنحب في الناس؛ فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِصْصَعٍ عَلَىٰ عَيْنِي﴾  
نُرِّي على رعايتي وحفظي لك<sup>(١)</sup>.  
[٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿نَسْنِيتُ أَفْئَتَكَ﴾ مريم؛ لتعرف من خبرك، وقد

أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهم ﴿فَقُولْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن  
يَكْفُلُهُ﴾ فأجبت؛ فجاءت بأمة فقيل نديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ  
عَيْنُكَ﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَوَلَّتْ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر<sup>(٢)</sup>؛  
فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾  
بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلْيَلِثْ سَيْنِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ  
مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب<sup>(٣)</sup> النبي وتزوجك بانيته ﴿ثُمَّ  
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في عمري بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك  
﴿يَمْوَسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ﴾ اخترتك ﴿لِنُقْصِيَ﴾ لنقصي بالرسالة.  
[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَحْرُوكَ﴾ إلى الناس ﴿وَبِأَيَّتِي﴾ التسع<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَا تَنِيَا﴾  
تفتننا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسييح وغيره.  
[٤٣] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بضم طعين ﴿بِأَدْعَاةِ الرُّبُوبِيَةِ﴾.  
[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَهُمَا رَبٌّ﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿أَلَمْ يَذْكُرْ﴾ يتعظ  
﴿أَوْ يَحْشُرْ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا  
يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا﴾ أي: يجعل بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ  
يَطْلُقَ عَلَيْنَا﴾ أي: يتكبر.  
[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ﴾ يعزوني<sup>(٥)</sup> ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول  
﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل.

[٤٧] ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إلى الشام  
﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛  
كالخفر والبناء وحمل الثقل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ﴾ بحجة ﴿وَمِن رَّبِّكَ﴾ على  
صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ﴾ أي: السلامة له من العذاب.  
[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ﴾ ما جئنا به  
﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عنه؛ فأتيناه وقال جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، ولإدلاله عليه  
بالتربية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ مِّنَ الْخَلْقِ﴾ الذي هو  
عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هْدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه  
وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الْأُولَىٰ﴾  
كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قتل قبطًا كافرا. تفسير البيهقي (٧٧٣/٥). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب الكليلي، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيب الكليلي كان قبل موسى يزعم، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر نجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدني في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسوى بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات انشوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعنيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - مع عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علما وقدره، ومعية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليها.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَلِمَهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ربي شيئاً.

[٥٣] هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهول ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال - تعالى - تسميها لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِذَوِ الْأَرْوَاحِ أَصْنَافًا﴾ من ثَبَاتٍ شَقَّى ﴿صَفَةً﴾ ﴿أَرْوَاحًا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَقَّى﴾ جمع «شقيت»؛ ك«مريض» و«مرضى»؛ من شَتَّ الأُمُرُ: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فيها، جمع نَعَم؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رَعَتِ الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وتذكير الثَّغْمَةِ، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ﴾ المذكور هنا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعباد ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول، جمع «أهنية»؛ ك«عُرْفَةٍ» و«عُرْف»؛ سُمِّيَ به العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ بخلق أيكم آدم منها ﴿وَمِنْهَا نُبْذِرُكُمُ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَنَّى﴾ أن يوحد الله - تعالى - .

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ﴾.

[٥٨] ﴿فَسَأَلْنَاهُ﴾ بِسِحْرِ مَلِكِهِ يعارضه ﴿فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا تُخْلَفُ﴾ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِوَى]﴾ بكسر أوله وضمه<sup>(١)</sup>؛ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الصرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُخَشِّرَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَقْبَى﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وهم اثنان وسبعون<sup>(٢)</sup> مع كل واحد حبل وعصا: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: أئزكم الله الويل ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يشارك أحد معه ﴿فَيَسْجُدْكُمْ﴾ بضم الياء وكسر الحاء ويفتخهما<sup>(٣)</sup>؛ أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾ كذب

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ ثَبَاتٍ شَقَّى ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكََ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْنِ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كُلَّهَا فكَذَّبَ وَإِنِّي ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَقْبَى ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴿فَتَنَزَّلْنَا مِنْهُمُ آبَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوى ﴿قَالُوا إِن هَٰذَا لَسِحْرٌ بَرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمَثَلِ ﴿فَاجْعُوا لِكَيْدِكُمْ نَذْرًا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿

على الله.

[٦٢] ﴿فَتَنَزَّلْنَا مِنْهُمُ آبَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوى﴾ أي: الكلام بينهم فيها [٦٣] ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿[إِن هَٰذَانِ]﴾ لأبي عمرو، ولغيره: «هذان»<sup>(٤)</sup>، وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالالف في أحواله الثلاث، ﴿لَسِحْرَانِ بَرِيدَانِ﴾ بفتح الجيم من أرضكم يسخرهما ويذهبهما بطريقتيكم المثل، مؤنث «أمثل»؛ بمعنى: أشرف؛ أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما.

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا﴾<sup>(٥)</sup> كَيْدَكُمْ من السحرة؛ بهزمة وصل وفتح الميم من جمع؛ أي: لَمْ، وبهزمة قصع وكسر الميم من أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ غلب.

(١) بالكسر قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن لأولي في مثل هذه المواطن التي لم يصح فيها دليل الاقتصار على موضع العبرة والفائدة، فلو كان في العلم بعددهم فائدة لَيُبَيِّنُ اللَّهُ الْكُرْهِ.

(٣) يفتحهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سجيعة. غير قراءة أبي عمرو وهي سجيعة أيضاً، الأولى: «إِنَّ هَٰذَا» بتخفيف «إِنَّ» وتشديد نون «هَٰذَا»، وهي قراءة ابن كثير، مع المد المشيع. والثانية: تخفيف «إِنَّ» ونون «هَٰذَا» وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إِنَّ» وتخفيف نون «هَٰذَا» وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهزمة قطع وكسر الميم «أجمعوا».

حيات ﴿تَتَّقِي﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ أي: خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يبتس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿فَلَمَّا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَالِبُ﴾ عليهم بالغلبة.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿فَلَقَقَ﴾ تعلق ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ بسحره؛ فآلفى موسى عصاه؛ فلتقت كل ما صنعوه.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْنًا﴾ خروا ساجدين لله - تعالى - ﴿فَالرَّا بَيْنَهُمْ يَمِينَ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿[أَأَمْسِكُ]﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً<sup>(١)</sup> ﴿كَلَمْ يَقُلْ أَنْ أَدْنِيَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ﴾ معلمكم ﴿وَالَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ حال؛ بمعنى: مختلفة؛ أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَا صِلَبَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّكُمْ﴾ يعني نفسه وزب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدام على مخالفته.

[٧٢] ﴿فَالرَّا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، قسم؛ أو: عطف على ﴿مَا﴾ ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ النصب<sup>(٢)</sup> على الاتساع<sup>(٣)</sup>؛ أي: فيها، ونجزي عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَعْلَمَ لَنَا خَطَلَيْنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ تعلمنا وعملاً؛ لمعارضة موسى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ نُوَابِئًا إِذَا أُطِيعَ﴾ منك عذاباً إذا غصيبي.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ بَنَاتِ رَبِّهِ مُخِرَّمَاتٌ﴾ كافراً؛ كفرعون ﴿فَإِنْ لَمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع ﴿عُلَى﴾ مؤنث ﴿أَعْلَى﴾.

[٧٦] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، بيان له<sup>(٤)</sup> ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تظهر من الذنوب.

قَالُوا يَمُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ مُتْلِيٌّ وَوَيْلٌ لِمَنْ كُنَّ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٨﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٧٠﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٧١﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْنًا قَالُوا أَمَّا بَرَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٢﴾ قَالَ أَمَّا نَمْتَرُ لَهُ وَقَبْلَ أَنْ أَدْنِيَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَبَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّكُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٤﴾ إِنَّمَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْلَمَ لَنَا خَطَلَيْنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٥﴾ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُخِرَّمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٧﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٨﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمُوسَى﴾ اختر ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَيْلٌ لِمَنْ كُنَّ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فآلفوا ﴿فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ أصله: «غصوه»؛ قلبت الواو إناءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نُصِبْتُ بَرَحَ الْخَافِضِ بِتَقْدِيرٍ: «إِنَّمَا تَقْضِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، وهذا خلافاً لما ذكر وأطرد؛ حيث يكثر ويطرده حذف الجار مع «أَنْ» و «أَنَّ»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً على سبيل الاتساع والتشخيص، كما ذكر ابن هشام في «معنى اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدَّرَجَاتُ الْعُلَى».



وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا  
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ  
 بِجُنُودِهِ فَفَشَلَ مِنْ آلَيْهِ مَا عَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ  
 وَمَاهَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلْذَنُّ يَدْعَى لَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعدَكُمْ  
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كَلُومًا  
 طَيِّبَةً مَّا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي  
 وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ  
 وَعَآمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكُمُ  
 عَنْ قَوْمِكُمْ يَكْمُوسِي ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ  
 رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا لَفَقَدْنَا قَوْمَكَ مِّنْ عَدَاكَ وَأَصْلَهُمُ  
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيَسَ قَالَ  
 يَقَوْمِ الْوَيْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنَ أَقْطَالٍ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ  
 أَرَأَيْدُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ  
 مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا  
 أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ تَتَذَكَّرُكَ الْفَقْرُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ مثلث الميم<sup>(٧)</sup>؛ أي: بقدرتنا أو  
 أمرنا ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا﴾ [بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً]<sup>(٨)</sup>  
 ﴿أَوْزَارًا﴾ [تثنية] أثقالاً ﴿مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: خلقي قوم فرعون، استعارها منهم  
 بنو إسرائيل بعلية حموس<sup>(٩)</sup>؛ فبقيت عندهم ﴿فَقَدْ تَتَذَكَّرُكَ الْفَقْرُ السَّامِرِيُّ﴾ طرحناها في النار بأمر  
 السامري ﴿فَكَذَّبَكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم، ومن  
 التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بهزمة قطع من  
 «أسرى»، وبهزمة وصل وكسر النون<sup>(١)</sup> «سرى» لغتان؛ أي: سر بهم ليلاً  
 من أرض مصر ﴿فَاصْرَبْ لَهُمْ﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي  
 الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابسا؛ فامتثل ما أُمِر به، وأيس الله الأرض؛ فمروا فيها  
 ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ غرقا.  
 [٧٨] ﴿فَآتَبَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي:  
 البحر ﴿وَمَا غَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم.  
 [٧٩] ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ بل أوقعهم  
 في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 [٨٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ آمَنَ لَكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَعَدْنَكُمْ  
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فتوتى موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ  
 وَالسَّلْوَى﴾ هما «الشَّوْجِبِينَ» و«الشَّمَانِيَّ»؛ بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من  
 وجد من اليهود رَمَنَ النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن  
 النبي موسى توطئة لقوله - تعالى - بهم: [٨١] ﴿كَلُومًا مِّنْ طَيِّبَةٍ مَّا رَزَقْنَكُمْ﴾  
 أي: المثلِّم به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ  
 غَضَبِي﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها<sup>(٣)</sup>؛ أي: ينزل ﴿وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ  
 غَضَبِي﴾ بكسر الهمزة وضمها<sup>(٤)</sup> ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ سقط في النار.  
 [٨٢] ﴿وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَمَآمِنَ﴾ وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ  
 صَالِحًا﴾ يتصدق بالفرص والنفل ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ باستمراره على ما دُكر إلى  
 موته.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكُمْ﴾ لاجيء ميعاد أخذ التوراة<sup>(٥)</sup>  
 ﴿يَكْمُوسِي﴾.  
 [٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي: بالقرب مني بأنون ﴿عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ  
 رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وقيل الجواب، أتى بالاعتذار<sup>(٦)</sup>،  
 بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿فَإِنَّا لَفَقَدْنَا  
 قَوْمَكَ مِّنْ عَدَاكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل.  
 [٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ﴾ من جهتهم ﴿أَيَسَ﴾ شديد  
 الحزن.  
 ﴿قَالَ يَقَوْمِ الْوَيْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنَ﴾ أي: صدقاً أنه يعطيكم  
 التوراة ﴿أَقْطَالٍ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَن  
 يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُمُ  
 مَّوْعِدِي﴾ وتركتم الحجيء بعدي.

(١) بهزمة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٥) أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم؟

(٦) عن سبقه لقومه.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٩) وقيل: إن الحمي كان لبي [إسرائيل]، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ أَي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَهْرُوتُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادته [٩٣] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُنَا عَظِيمَةً﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامته بين من يعبد غير الله - تعالى ١٩.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿تَبِعْتُمْ﴾ بكسر الميم وفتحها (١)؛ أراد أمي، وذخريها أعطفت لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان أخذ شعره يمينه غضبا ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وتغضب علي ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيته في ذلك. [٩٥] ﴿قَالَ قَمَا خَطَبْتُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿بِئْسَ مِثْرُي؟﴾.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والناء (٢)؛ أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَقَبَضْتُهَا﴾ ألفتها في صورة العجل المصاغ (٣) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لَكَ﴾ رزئت ﴿لِي نَفْسِي﴾ وألقي فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهًا، فحدثني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم (٤).

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَأَذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَوةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي: لا تقربني؛ فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أخذ حُمًا جميعاً (٥) ﴿وَأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿أَنْ تَخْلُقَهُ﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وفتحها (٦)؛ أي: بل تعث إليه ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ أصله «ظلمت»؛ بلامين، أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً تبعده ﴿أَتَسْمِعُهُمُ﴾ بالنار ﴿شُرَّ لَنْسِفَتُمْ فِي آلِئِهِ سَفًّا﴾ نُذِرْتُهُ في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه (٨) ما ذكره. [٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: وسع علمه كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٩٩﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٠١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَهْرُوتُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٠٣﴾ أَفَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٠٤﴾ قَالَ يَنْتَوَرُّونَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ﴿١٠٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَمِيرِيُّ ﴿١٠٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿١٠٧﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ أَخْلُقَهُ وَنُظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنْ حَرِّقَهُ وَتَسْمِعُهُ لَنْسِفَتُمْ فِي آلِئِهِ نَسْفًا ﴿١٠٨﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠٩﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً (١) ﴿لَهُمْ خُورٌ﴾ أي: صوت يُسمع؛ أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثاره لحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صُوغه في فيه ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري وأتباعه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ موسى ربه هنا، وذهب بطلابه. [٨٩] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ﴾، ثم مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَا يُرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه؛ أي: فكيف يُنْجِذُ إِلَهُهُمَا؟ (٢).

(١) هذا قول الحسن البصري وقفاة، واختاره الجلال المحلي هنا. وقال مجاهد: بل كانت الريح إذا دخلت من دُخْره، خرجت من فمه فيخور كما يحور البقرة؛ أي لم يصر حياً. ويشهد له ظاهر قوله: «جسد» الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقون بالفتح.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالياء.

(٤) الصواب: «المصوغ»؛ لأنه من «صاغ» الثلاثي.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اختص برؤيته ومعرفة من بين الناس، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى: أن كل هذا ليس عليه آثاره من علم ولا يدل عليه انتزاع الكرم؛ ولذا فسر بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، وبذلك: سته رسمه الذي أمر به، فكأن السامري قال: عرفنا أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أي الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فخذته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وماذا يأمر الأمير؟ وأما دعاؤه موسى عليه السلام: رسولاً مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله - تعالى - عنهم قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وإن لم يؤموا بالإنزال، فإله أعلم.

(٦) هذا أيضاً ما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وفقره البعض: بأن المراد المنع من أن يخاطب أحداً أو يخاطله أحد، عقوبة له، وفقره آخرون: بأنه كناية عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنس؛ لأن المراد يكتى به عن النكاح. فإله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٨) اختار الجلال المحلي أنه عجل حي من لحم ودم. وسبق ذكر الخلاف في ذلك.



﴿١١٦﴾ اذْكُرْ ﴿١﴾ اِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِيسَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اَبُو الْاِنۡسِ كَانَ يَصْحَبُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَبَعَدَ اللّٰهُ مَعَهُمْ ﴿٣﴾ اَنۡىٰٓ عَلِمَ السَّجُوۡدَ لِاٰدَمَ ﴿٤﴾ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنۡكَ ﴿٥﴾

﴿١١٧﴾ ﴿٦﴾ فَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوِجُكَ ﴿٧﴾ حَٰوَةَ بِالْمَدِّ ﴿٨﴾ لَا يُخْرِجُكَ مِنۡ الْجَنَّةِ تَشَفُّىٰٓ تَعْبُ بِالْحَرْثِ وَالزَّرْعِ وَالْحَصَدِ وَالطَّحْنِ وَالخَبْزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَاقْصِرْ عَلَى شِقَائِهِ لَآنَ الرَّجُلِ يَسْعَىٰ عَلَى زَوْجَتِهِ.

﴿١١٨﴾ ﴿٩﴾ اِنَّ لَكَ اَنْتَ لَا تَجُوعُ فِيْهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٠﴾

﴿١١٩﴾ ﴿١١﴾ وَاَنْتَ بِفَتْحِ التَّهْمَةِ وَكَسْرِهَا ﴿١٢﴾ عَطِفَ عَلَى اسْمِ ﴿١٣﴾ اِيَّاهُ وَجَمَلْتَهَا ﴿١٤﴾ لَا تَطْمَؤُنَّ فِيْهَا تَعْطِشُ ﴿١٥﴾ وَلَا تَضْحَكُ ﴿١٦﴾ لَا يَحْصُلُ لَكَ حُرٌّ شَمْسُ الضَّحَىٰ لَانْقِئَاءِ الشَّمْسِ فِي الْجَنَّةِ.

﴿١٢٠﴾ ﴿١٧﴾ فَوَسَّوَسَ الْاَيْمُوۤا الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰۤاٰدَمُ هٰذَا اَذْكُكَ عَلَى سَجَرَةٍ تَخْلُدُ ﴿١٨﴾ اَيُّ الَّذِي يَخْلُدُ مِنْ اَكْلٍ مِنْهَا ﴿١٩﴾ وَمَلَكٌ لَا يَبْكُ لَا يَفْنَىٰ وَهُوَ لَا زَمَ الْخُلْدِ.

﴿١٢١﴾ ﴿٢٠﴾ فَاَكَلَا ﴿٢١﴾ اَيُّ اٰدَمَ وَحَٰوَةَ ﴿٢٢﴾ مِنْهَا فَدَتْ لَهَا سَوَاءُ تَهُمَا ﴿٢٣﴾ اَيُّ ظَهَرَ لِكُلِّ مِنْهُمَا قُبْلَةٌ وَقُبْلُ الْآخِرِ وَذُبُوۢةٌ وَسَمِيَ كُلُّ مِنْهُمَا سَوَاءً لَآنَ اِنْكِشَافِهِ بِسَوَاءِ صَاحِبَتِهِ ﴿٢٤﴾ وَطَوْفًا بِتَحْصِيَانِ أَخَذَا يَلْزَقَانِ ﴿٢٥﴾ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِي الْجَنَّةِ لِيَسْتَتِرَا بِهِ ﴿٢٦﴾ وَعَصَىٰ اٰدَمَ رِيۡمُ فَعَوَّىٰ بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ.

﴿١٢٢﴾ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ اَجْبَنَهُ رِيۡمُ قَوْبَهُ ﴿٢٨﴾ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿٢٩﴾ قَبْلَ تَوْبَتِهِ ﴿٣٠﴾ وَهَدَىٰ ﴿٣١﴾ اَيُّ هَدَاهُ إِلَى الْمَدَامَةِ عَلَى التَّوْبَةِ.

﴿١٢٣﴾ ﴿٣٢﴾ قَالَ اَهْطَا ﴿٣٣﴾ اَيُّ اٰدَمَ وَحَٰوَةَ بِمَا اشْتَمَلْتُمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَرِيَّتِكُمَا ﴿٣٤﴾ مِنْهَا ﴿٣٥﴾ مِنَ الْجَنَّةِ جَمِيعًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿٣٦﴾ بَعْضُ الذَّرِيَّةِ بِبَعْضِ عَدُوٍّ مِنْ ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿٣٧﴾ فَاَيَّامًا ﴿٣٨﴾ فِيهِ اِدْغَامُ نُونِ ﴿اِنَّ﴾ الشَّرْطِيَّةِ فِي «م» الْمَزِيْدَةِ ﴿٣٩﴾ يٰۤاَيُّنَّكُمْ مَتَىٰ هَدَىٰ فَمَنْ اَتَّبَعَ هُدَاىَ الْقَرٰنَ ﴿٤٠﴾ فَلَا يَضِلُّ ﴿٤١﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْفَقُ ﴿٤٢﴾ فِي الْآخِرَةِ.

﴿١٢٤﴾ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِي عَنِ الْقَرٰنِ فَلَمْ يَزَمِ بِهِ ﴿٤٤﴾ فَاِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿٤٥﴾ بِالتَّوْنِينِ مُصْدَرٌ بِمَعْنَى ضَيْقَةٍ وَفُسِرَتْ فِي حَدِيثِ ﴿٤٦﴾ بِعَذَابِ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهٖ ﴿٤٧﴾ وَتَحْشُرُهُ ﴿٤٨﴾ اَيُّ الْمَعْرُضِ عَنِ الْقَرٰنِ ﴿٤٩﴾ يَوْمَ اَلْقِيَمَةِ اَعْمَىٰ ﴿٥٠﴾ اَعْمَى الْبَصَرِ.

﴿١٢٥﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ اَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿٥٢﴾ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ الْبَعْثِ.

فَتَعَلَّى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقَضَىٰ اِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا ﴿١﴾ وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اِلٰهَ اٰدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿٢﴾ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِيسَ اِنۡىٰٓ عَلِمَ فَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوِجُكَ فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَفَّىٰٓ اِنَّ لَكَ اَلَّا تَجُوعَ فِيْهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿٣﴾ وَاَنْتَ لَا تَطْمَؤُنَّ فِيْهَا وَلَا تَضْحَكُ ﴿٤﴾ فَوَسَّوَسَ اِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰۤاٰدَمُ هٰذَا اَذْكُكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلَكٌ لَا يَبْكُ ﴿٥﴾ فَاَكَلَا مِنْهَا فَدَتْ لَهَا سَوَاءُ تَهُمَا وَطَوْفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ اٰدَمَ رَبَّهُ وَفَعَوَّى ﴿٦﴾ ثُمَّ اَجْبَنَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿٧﴾ قَالَ اَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَا يٰۤاَيُّنَّكُمْ مَتَىٰ هَدَىٰ فَمَنْ اَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْفَقُ ﴿٨﴾ وَمَنْ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ فَاِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ اَعْمَى ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ اَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٠﴾

﴿١١٤﴾ ﴿١﴾ فَتَعَلَّى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿٢﴾ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ ﴿٤﴾ اَيُّ بِقِرَاءَتِهِ ﴿٥﴾ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقَضَىٰ اِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴿٦﴾ اَيُّ بِفَرِغِ جَبْرِيلَ مِنْ اِبْلَاغِهِ ﴿٧﴾ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا ﴿٨﴾ اَيُّ بِالْقَرٰنِ فَكَلِمَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ زَادَ بِهِ عِلْمُهُ.

﴿١١٥﴾ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اِلٰهَ اٰدَمَ وَصِيٰنَاهُ اَنْ لَا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿١٠﴾ مِنْ قَبْلِ ﴿١١﴾ اَيُّ قَبْلَ اَكْلِهِ مِنْهَا ﴿١٢﴾ فَنَسِيَ ﴿١٣﴾ تَرَكَ عٰهَدَنَا ﴿١٤﴾ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٥﴾ حَزْمًا وَصَبْرًا عَمَّا نَهَيْنَاهُ عَنْهُ.

(١) سورة ص: ٧٦.

(٢) قراءتان سبعيتان، وبالكسر قرأ نافع وشعبة، وبالفتح قرأ الباقون.

(٣) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسند في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً، وكذلك أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، والحاكم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً [الدر المنثور (٤/٥٥٦)]. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٢، ج ٣).

[١٢٦] «قَالَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا» تركتها ولم تؤمن بها «وَكَذَلِكَ» مثل نسيانك آياتنا «الْيَوْمَ نُنْصِرُ» نُثْرِكُ فِي النَّارِ.

[١٢٧] «وَكَذَلِكَ» ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن «يَجْزِي مَنْ شَرَفَ» أشرك «وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ» وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ من عذاب الدنيا وعذاب القبر «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٢٨] «أَفَلَمْ يَهْدِ» يَهْدِ بَيْنَ «لَهُمْ» لكفار مكة «كَمْ» خبرية مفعول «أَهْلَكْنَا» أي: كثيرا إهلاكنا «قَبْلَهُمْ» مِنَ الْقُرُونِ أي: الأمم الماضية؛ بتكذيب الرسل «يَمْشُونَ» حال من ضمير «لَهُمْ» «فِي مَسْكِنِهِمْ» في سفرهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا، وما ذكر<sup>(١)</sup> من أخذ<sup>(٢)</sup>: «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدر؛ لرعاية المعنى لا مانع منه<sup>(٣)</sup> «وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» لعبارة «لَأُولَى الْآيَاتِ» لذوي العقول.

[١٢٩] «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة «لَكَانَ الْإِهْلَاكُ لِرَأْمَا» لازما لهم في الدنيا «وَأَجَلٌ مُّسَمًّى» مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيـد.

[١٣٠] «فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ» منسوخ بآية القتال «وَسَبَّحَ» ضَلَّ «يَحْمَدُ رَبِّكَ» حال؛ أي: متلبسا به «فَقِيلَ طُلُوعُ الشَّمْسِ» صلاة الصبح «وَقِيلَ غُرُوبُهَا» صلاة العصر «وَمِنْ آتَائِي آتِيلِ» ساعاته «فَسَبَّحَ» ضَلَّ المغرب والعشاء «وَأَطْرَافُ النَّهَارِ» عطف على محس «وَمِنْ آتَائِي» المنصوب؛ أي: ضَلَّ الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس؛ فهو طَرْفُ النصف الأول، وطَرْفُ النصف الثاني «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بما تُعْطَى من الثواب.

[١٣١] «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ» آزَوْنَاهَا أَصْنَافًا «مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» زينتها وبهجتها «لِنُفْتِنَهُمْ فِيهَا» بأن يطفوا «وَرِزْقَ رَبِّكَ» في الجنة «خَيْرٌ» مما أوتوه في الدنيا «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٣٢] «وَأَمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ» اصبر «عَلَيْهَا» لَا تَسْتَلْكَ نَكْفِكَ «رِزْقًا» بنفسك ولا لغيرك «فَتَعْنُ رِزْقَكَ وَالْعَنِقَةَ» الجنة «لِلنَّفْيِ» لأهلها.

[١٣٣] «وَقَالُوا» المشركون: «لَوْ لَا» هَلَّا «يَأْتِينَا» محمد «بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ» مما يقترحونه «أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ» بالباء والياء<sup>(٥)</sup> «بَيِّنَةٌ» بيان «فَمَا فِي الصَّحُفِ الْأُولَى» المشتمل عليه القرآن؛ من أنباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

[١٣٤] «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» قبل محمد الرسول

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْصِرُ  
وَكَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ  
أَشَدُّ وَأَبْقَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ  
يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولَى الْآيَاتِ  
وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَأْمَا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى  
فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ  
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِ فَسَبَّحَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ  
تَرْضَى وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَمُرْ أَهْلَكَ  
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنِقَةُ  
لِلنَّفْيِ وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ  
بَيِّنَةٌ مَا فِي الصَّحُفِ الْأُولَى وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ  
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى قُلْ كُلُّ مُرْصِدٍ فَرَصُورًا  
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصَّرِيطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى

«لَقَالُوا» يوم القيامة: «رَبَّنَا لَوْ لَا» هَلَّا «أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ» المرسل بها «وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ» في القيامة «وَنَخْزَى» في  
جهنم.

[١٣٥] «قُلْ» لَهُمْ: «كُلُّ» منا ومنكم «مُرْتَبِصٌ» منتظر ما يؤول  
إليه الأمر «فَرَصُورًا فَسَتَعْلَمُونَ» في القيامة «مَنْ أَصْحَبُ الصَّرِيطِ» الطريق  
«السَّوِيِّ» المستقيم «وَمَنِ اهْتَدَى» من الضلالة أنحن أم أنتم؟

\*\*\*

(١) في تفسير: «كم أهلكنا».

(٢) أي: أخذ المصدر.

(٣) أي: لا مانع منه لغة.

(٤) أي: على الصلاة؛ بإقامتها حدودها وأركانها وخشوعها؛ فإن ذلك شاق على الفرس، ولكن ينبغي جهادها على ذلك والصبر معها. فالضمير في قوله: «عليها» يرجع إلى الصلاة، وليس إلى «أهلك».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر وشعبة.

## سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾  
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ  
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ  
 تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ  
 أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ  
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ  
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ  
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا  
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ  
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾  
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

## سورة الأنبياء

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنان عشرة آية،

نزلت بعد سورة [إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث  
 ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿تَبْصُرُونَ﴾ عن التأهب له  
 بالإيمان.  
 [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ شيئاً فشيئاً؛ أي: لفظ  
 قرآن<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.  
 [٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ الكلام  
 الذي يترك ظلموا بدل من وار ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ هَلْ هَذَا؟ أي:  
 محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سيعز ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾

تبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.  
 [٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنات في السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
 الْعَلِيمُ ﴿مَا أَسْرَاهُ﴾ أَعْلَيْهِمْ به.  
 [٥] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما  
 أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أخلط رآها في النوم ﴿بَلْ﴾  
 أفترناه اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به سيعز ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا  
 أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد.  
 [٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾  
 بتكذيبها ما أتاه من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.  
 [٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي﴾ وفي قراءة: بالياء وفتح  
 الحاء<sup>(٢)</sup> ﴿وَالْيَوْمَ﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالنبوة والإنجيل  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب  
 من تصديق المؤمنين بمحمد<sup>(٣)</sup>.  
 [٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجساداً ﴿لَا  
 يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.  
 [٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ﴾ المصدقين  
 لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.  
 [١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه  
 بلغنكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله ﷻ وأنه تعالى لم يزل متكلاً بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

[١١] ﴿وَكَمْ فَصَمْنَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِ شَعْرِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِالْإِهْلَاكِ﴾ إذا هم وثَّها يَرْكُضُونَ ﴿يَهْرَبُونَ مَسْرِعِينَ﴾.

[١٣] فقالت لهم الملائكة استهزاء: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ تُعْصِمُ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ شيئاً من دنياكم على العادة.

[١٤] ﴿قَالُوا يَا لِلنَّبِيِّ وَوَلَدْنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر.

[١٥] ﴿فَمَا زِلْتَ تِلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعَوْنَهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزروع المحصود بالمنجل؛ بأن قتلوا بالسيف ﴿حَصِيدِينَ﴾ ميتين؛ كخمود النار إذا طففت.

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِمَعِينٍ﴾ عابدين، بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا.

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤُكَ مَا يُلْهَى بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ﴾ لَا تَخْذَنْهُ مِنْ لَدُنَّا ﴿من عندنا﴾ من المحور العين والملائكة ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك، لكننا لم نفعله، فلم نُردّه.

[١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُكَ﴾ نرمي ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يذهب ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ ذاهب، و﴿دَمَغُهُ﴾ في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مَقْتُلٌ ﴿وَلَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿الْوَيْلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد.

[١٩] ﴿وَلَكُمْ﴾ - تعالى - ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا ﴿وَمَنْ عِنْدُ﴾ أي: الملائكة، مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿لا يعبون﴾.

[٢٠] ﴿سَيَحْسِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْرَءُونَ﴾ عنه؛ فهو كالتفكير مثلاً لا يشغلنا عنه شاغل.

[٢١] ﴿أَوَّلٍ﴾ بمعنى بل؛ للانتقال، والهجرة للإنكار ﴿اتَّخَذُوا إِلَهَةً﴾ كائنة ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنْشِرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى؟! لا، ولا يكون إلهاً إلا من يحيى الموتى.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿إِلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: خرجتا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسَبَّحْنَاهُ﴾ تنزيه ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ خالق ﴿الْعَرْشِ﴾ الكرسي <sup>(١)</sup> ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الكفار الله به من الشريك له وغيره.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيبٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا

آخَرِينَ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فَمَا زِلْتَ تِلْكَ

دَعَوْنَهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ

لَهُوَ لَا تَخْذَنْهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ

عَلَى الْبَاطِلِ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ

﴿وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ سَيَحْسِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

لَا يَقْرَءُونَ ﴿أَوَّلَ﴾ أَوَّلُ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ

لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَٰهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ أَوَّلَ اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ

مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾ أَوَّلُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ - تعالى -: أي: سواه ﴿إِلَهَةً﴾؟ فيه

استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَذَا ذِكْرٌ

مِّنْ مَّعِيَ﴾ أمّتي؛ وهو: القرآن ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ من الأمم؛ وهو: التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً ما قالوا.

تعالى عن ذلك - بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ - توحيد الله ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره المتكلمون من دلائل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارح الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في ألوهيته.

(٢) جرى الجلالان - السيوطي والخطي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، ورجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة.

يَأْمُرُهُ بِعَمَلِهِمْ أَي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما علموا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ تعالى - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَأْوِا وَتَرَكْهَا﴾ (١) ﴿يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا أَنَّهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ رِيقًا﴾ سدا؛ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَتَقْنَهُمَا﴾ جعلنا السماء سبيعا والأرض سبيعا، أو فتق السماء أن كانت لا تحطر فأطمرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّاعِجَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كل شيء حي من نبات وغيره؛ أي: فالماء سبب لحياته (٢) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بتوحيدي؟

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها الرواسي ﴿فِي جِبَالٍ﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بديل، صرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبرون بسرعة؛ كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال الكفار: إن محمدا سيموت :: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ ككفر وغنى، وسقم وصحة ﴿وَفِتْنَةٍ﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أنصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ تَارَةً ثِقَاتٍ فَتَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ ﴿١٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ ﴿١١﴾

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء (١) ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ومحدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقوله إلا بعد قوله ﴿وَهُمْ

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بتركها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرة العين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير ... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره الخليلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حيا»، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة ل «شيء»، وقوله تعالى: «وجعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء... يؤيد قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ» [النور: ٤٥]... انتهى كلامه بنصرف يسير.





الْبَاءِ<sup>(١)</sup> ﴿مَا يُنذِرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم  
 [٤٦] ﴿وَلَكِنْ مَسَّنَّهُمْ نَفْخَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ بَنَاءٌ﴾  
 للنبية ﴿وَوَلَّانَا﴾ هلا كنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.  
 [٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾<sup>(٢)</sup> ذوات العدل ﴿لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ﴾ أي:  
 فيه ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَلَنْ كَاتِبُ﴾  
 العمل ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ﴿حَسْبُكَ مِنْ خِزَالٍ آتَيْنَا بِهَا﴾ بموزونها ﴿وَكُنِيَ بِنَا﴾  
 حَسْبِيَّتِ ﴿مَحْصِينَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.  
 [٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين  
 الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءَ﴾ بها ﴿وَذُكْرًا﴾ عظمة بها  
 ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.  
 [٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم  
 ﴿وَهُمْ يَنْتَظِرُ السَّاعَةَ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.  
 [٥٠] ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟﴾  
 الاستفهام فيه للتوبيخ.  
 [٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا﴾  
 بِهِ عَالِمِينَ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي﴾  
 أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قَالَ  
 لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾  
 بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾  
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥١﴾  
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِسِينَ ﴿٥٢﴾  
 [٥٣] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ﴾  
 مُبِينٍ ثَبِينٍ.  
 [٥٤] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فيه؟.  
 [٥٥] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّكَ﴾ مالك ﴿الْتَرْتَبِ وَالْأَرْضِ﴾  
 الَّذِي فَطَرَهُمْ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبْقٍ ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ الذي قلته  
 ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ به.  
 [٥٦] ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِسِينَ﴾.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَكِنْ مَسَّنَّهُمْ نَفْخَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُوا يَنْوَلُّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥٧﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٠﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٦٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٧﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِسِينَ ﴿٦٨﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي  
 ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبوني ويخونوني ويعصوني، وأشتتهم وأضرهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتحنى الرجل فحنى يمينه ويهتف. أي: يصيح. فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟» «نعم» فقال رسول الله ﷺ: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ» الآية. فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾  
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ أَلَهِنَا إِنَّهُ وَلَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾  
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ  
 فَعَلْتَ هَذِهِ أَلَهِنَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِدُهُمْ  
 هَذَا فَاسْتَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى  
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَحْسُوا  
 عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ  
 أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا  
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا احْرَقُوهُ وَأَصْرُوا أَلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا يَنْتَازِكُونِي رَبِّدَا وَسَلَّمَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ  
 ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ  
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَهَبْنَا  
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عبد لهم ﴿جُذًا﴾ بضم الجيم وكسرها<sup>(١)</sup>، فَنَّا بِقَاسٍ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ عُلُقُ الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا يَا لَهِنَا﴾ إِنَّمَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعيهم ﴿يُقَالُ لَهُ، إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ، عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهروا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَنْتَ﴾ بتحقيق الهزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة<sup>(٢)</sup> ﴿فَعَلْتَ هَذَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَوْهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله<sup>(٤)</sup> تعريض لهم بأن الصمم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتهم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نَحْسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!

[٦٦] ﴿كَأَلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئًا إذا لم تعبدوه.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بكسر الفاء وفتحها<sup>(٥)</sup>؛ بمعنى مصدرا: أي: نتنا وقبحا ﴿لَكُمْ﴾ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى؟.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَأَصْرُوا أَلَهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الخطب الكثير وأضرمو النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا يَنْتَازِكُونِي رَبِّدَا وَسَلَّمَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقلوه: ﴿وَسَلَّمَا﴾ سلم من الموت بيردها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام<sup>(٦)</sup>، نَزَلَ إبراهيم بفلسطين، ولسوط بالمؤتفة<sup>(٧)</sup>، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم - وكان سأل ولدًا كما ذكر في الصفات - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات: ننتين في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألتني فأخبره أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام... الحديث. مسلم - كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعة.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن قتادة [الدر المنثور

(٥٨١/٤، ٥٨٢/٤).

(٦) هي قرى قوم لوط؛ بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّمَا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَوَدَّعَاذُ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ إلخ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسَجَّنَا لَمْ تَنجِنَهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينة ﴿مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَصَرَّفْنَاهُ﴾ معناه ﴿مِنْ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَعْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَوَدَّعَاذُ﴾ داود وسليمان: أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: رَعْنُهُ ليلًا بلا راع؛ بأن افلست ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاتنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم.

وقال سليمان: ينتفع بذرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان؛ لإصلاح صاحبها فيردّها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكمة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكَلَّلَاهُ﴾ منها ﴿ءَاتَيْنَاهُ هُ﴾ حكمًا ﴿نُبُوَّةً﴾ ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كذلك سخرًا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد قفزة<sup>(٤)</sup> لينشط له ﴿وَكُنَّا فُلُوعَيْنَ﴾ تشخير تسبيحهما معه، وإن كان عجبًا عندهم؛ أي: مجاوبته<sup>(٥)</sup> للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُخَصِّنْكُمْ﴾ بالنون<sup>(٦)</sup>: لله، وبالفتحانية<sup>(٧)</sup>: لداود، وبالفوقانية: للبوس<sup>(٨)</sup> ﴿مِنْ بَاسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصدق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَوَدَّعَاذُ﴾ سخرنا ﴿لِبَلْشَيْنَاقِ﴾ الرّيح عاصفة ﴿وَفِي آيَةِ أُخْرَى﴾ ﴿رَحْمَةً﴾ أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿وَتَجَرَّى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك: علّمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه؛ ففعله - تعالى - على مقتضى علميه.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَصَرَّفْنَاهُ مِنَ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَعْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّلَاهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ ﴿٨٠﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٢﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(١)</sup>، يُقَدَّرُ بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء [إقامة] تخفيفًا ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الْخَبِيثَ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور وغير ذلك<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «سَرَّهُ» ﴿فَاسْقِينَ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين يين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية باء خالصة، وهكذا في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة وهي حمسة.

(٢) أخرج ابن عساکر عن الحسن عليه السلام مرسلاً: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلکوا وتزیدها أمّتي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضاً، وريهم بالجلال، والخذف ولعهم بالحمائم وضرب الدفوف وشرب الخمر وقص اللحية وطول الشارب والصفر والتصفيق ولباس الحرير، وتزیدها أمّتي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضاً.» وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٧١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فتورًا.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبة).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالتاء.

(٨) وذلك ردًا على المعنى، لأن اللبوس: الدرع، والدرع مؤنثة، وقيل: ردًا على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَوَّلُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَّخْنَا مَا يَدِينُ مِنْ ضُرِّهِ وَأَنْبَأْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَّلْنَا لَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَاسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْبِ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فَظْنَ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٩٠﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ وَاخْتَارَ بَعْضُ الْمُرْسَلِينَ عَنْهُ دَاوُدَ وَسَلَمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ۖ وَالْمَعْنَى: كُنَّا لَهُمْ مُؤَيِّدِينَ وَمُعِينِينَ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أَي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبُضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسَرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمُ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهربوا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض المفسرين عود الضمير على داود وسليمان - عليهما السلام -؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أَي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبُضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسَرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمُ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعاً عن قصة أيوب عليه السلام: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعراه لأبي يعلى وأبي نعيم. «الصحيفة: ١٧».

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقادة. تفسير الطبري (٧٢/١٧)، (٧٣، ٧٤).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع ناث وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٣٤٧/٥)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر المنثور (٦٦٠/٥).

(٦) أخرجه أبو أيوب الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً [الدر المنثور (٥٩٢/٤)]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣/١)، رقم (١٧).

وهو الأندلس؛ البشير، وهو الموضع الذي يلد فيه الطعام. وههنا القصة.

(٧) النبوة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي الرحمة، وصنع المفسر هذا جرأاً على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أنبأها ربنا ﷻ لنفسه ونشأها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تثليل ولا تكيف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه بي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزبل عليه السلام، فأنله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها -

﴿٨٢﴾ ﴿سَخَرْنَا﴾ مِنْ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُ يَدْخُلُونَ فِي الْبَحْرِ فَيَخْرُجُونَ مِنْهُ الْجَوَاهِرَ لِسُلَيْمَانَ وَبَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أَي: سَوَى الْغَوْسِ؛ مِنَ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ مِنْ أَنَّ يُفْسِدُوا مَا عَمَلُوا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَرَّغُوا مِنْ عَمَلٍ قَبْلَ اللَّيْلِ أَفْسَدُوهُ إِنْ لَمْ يَشْتَغَلُوا بِغَيْرِهِ <sup>(١)</sup>.

﴿٨٣﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ لَمَّا ابْتَلَىٰ بِفَقْدِ جَمِيعِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَتَزْيِيقِ جَسَدِهِ، وَهَجْرِ جَمِيعِ النَّاسِ لَهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ سَتِينَ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَضِيقِ عَيْشِهِ <sup>(٢)</sup> ﴿أَف﴾ يَفْتَحُ الْهَمْرَ؛ بِتَقْدِيرِ الْبَاءِ ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أَي: الشَّدَّةُ ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نَدَاةً ﴿وَفَكَّخْنَا مَا يَدِينُ مِنْ ضُرِّهِ وَانْبَأْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ أَوْلَادَهُ الذَّكَورَ وَالْإِنثَاءَ بِأَنَّ أَخْيُوهُ <sup>(٣)</sup> وَكُلَّ مِنَ الصَّفَيْنِ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا <sup>(٤)</sup> ﴿وَمَثَّلْنَاهُمْ مَعَهُمْ﴾ مِنْ زَوْجَتِهِ وَزَيْدٍ فِي شَبَابِهِ <sup>(٥)</sup>، وَكَانَ لَهُ أُنْدَرُ لِلْقَمَحِ وَأُنْدَرُ لِلشَّعِيرِ؛ بَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ أَفْرَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أُنْدَرِ الْقَمَحِ اللَّذْقَبِ، وَأَفْرَغَتْ الْأُخْرَى عَلَى أُنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرْقِ حَتَّى قَاضَ <sup>(٦)</sup> ﴿رَحْمَةً﴾ مَفْعُولٌ بِهِ ﴿مِنْ عَيْنِنَا﴾ صِفَةً ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ لِيَصْبِرُوا؛ فَيَتَابُوا.

﴿٨٥﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَنِ مَعَاصِيهِ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ مِنَ النَّبُوَّةِ <sup>(٧)</sup> ﴿إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لَهَا، وَشَمَّىٰ ذَا الْكِفْلِ؛ لِأَنَّهُ تَكْفَّلَ بِصِيَامِ جَمِيعِ نَهَارِهِ وَقِيَامِ جَمِيعِ لَيْلِهِ، وَأَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَفْضُبَ؛ قُوًى بِذَلِكَ، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا <sup>(٨)</sup>.

﴿٨٧﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ صَاحِبِ الْحَوْتِ؛ وَهُوَ: يُونُسُ بْنُ مَتَّى، وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾ لِقَوْمِهِ؛ أَي: غَضِبَانٍ عَلَيْهِمْ مَّا قَاسَى مِنْهُمْ، وَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ فِي ذَلِكَ ﴿فَقُلَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أَي: نَقْضِي عَلَيْهِ بِمَا قَضَيْنَاهُ مِنْ حَبْسِهِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، أَوْ نَضِيقُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنَّ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فِي ذَهَابِي مِنْ بَيْنِ قَوْمِي بَلَا إِذَنْ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ ﴿وَذَكَرْنَا﴾ كَمَا نَحْنَاهُ نُشْجِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِهِهِمْ إِذَا اسْتَعَاثُوا بِنَا دَاعِينَ <sup>(٩)</sup>.

﴿٨٩﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أَي: بَلَا وَلَدٍ يَرْتْنِي ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِكَ.

فَأَعْبُدُونِ ﴿٩٠﴾ وَخُذُوا

[٩٠] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال - تعالى - : ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ رَاجِعُونَ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩١] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِسَعِيدٍ﴾ وَإِنَّا لَمُرْكَبُونَ ﴿بِأَن نَّامُرَ الْحَقْلَةَ بِكُتَيْبَةٍ﴾ فنجازيه عليه. [٩٢] ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَتُنْهَى﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُشْتَبِعٌ رَجوعهم إلى الدنيا.

[٩٣] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه<sup>(٢)</sup>؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُقَدَّرُ قبله مضاف؛ أي: سدَّهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَسِيلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> يسرعون.

[٩٤] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة<sup>(٤)</sup> ﴿شَخْصَةً أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَوَلَّانَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup> بل كُنَّا ظالمين، أنفسنا بتكدينا للرب.

[٩٥] ﴿إِنكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٦] ﴿لَوْ كُنَّا هَكَذَا﴾ الأوثان ﴿وَاللَّهُ﴾ كما زعمتم ﴿مَا رَدَّوْهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٩٧] ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زُفِيرٌ﴾ وهم فيها لا يسمعون ﴿شَيْئاً﴾ لشدة غلبتها.

[٩٨] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال ابن الزُّبَيْرِي: عُيِّدَ عَزِيزُ الْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةُ؛ فهم في النار<sup>(٦)</sup> على مقضى ما تقدم :: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ يَتَا﴾ المنزل ﴿الْحَسَنُ﴾ ومنهم من ذكر ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْجَهَا فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهَةٍ رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُ كَاشِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيُونَكَ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كُنَّا هَكَذَا ءَالِهَةً مَا وَرَدُّوْهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَتَا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب يدرعها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فحل.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أَمْتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ

(١) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرغماً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها... الحديث. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم - كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٢).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركة قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالة وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يروا الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥٣/١٦، ١٦٠/٣)، وأحمد في المسند (٣١٧/٣)، والطبراني في الكبير (١١٨/١١٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «مواقفة الخيرة الحرة» (١٧٣/٢، ١٧٤)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرک (٣٨٤/٢، ٣٨٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه مجموع طرقه في الاستيعاب (٤٩٤/٢).

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النعم ﴿خَالِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالبعد إلى النار ﴿وَنُلْقِيَهُمْ﴾ تستقبلهم ﴿الْأَلْبَيْكُ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدراً قبله ﴿تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ﴾ اسم مذكر<sup>(١)</sup> ﴿لِلْكِتَابِ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل»: الصحيفة، والكتاب بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة<sup>(٣)</sup>: ﴿لِلْكَتُبِ﴾ جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عَدَمٍ ﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ«نعيده»، وضميره عائذ إلى ﴿أَوَّلَ﴾ و«ما» مصدرية ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾ منصوب بـ«وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكّد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ ما وعدناه.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بمعنى: الكتاب؛ أي: كتب الله المنزل ﴿وَبِالنَّبِيِّ الْأَكْبَرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة<sup>(٤)</sup> ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْمُتَّقُونَ﴾ عامٌّ في كل صالح.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاءَ﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن بك.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذُنُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حالٌ من الفاعل والمفعول؛ أي: مستويين في علمه لا استبد به دونكم؛ لتأهبوا ﴿وَأَنْ﴾ ما أذريت أقرب أم بعيداً ما تُوعِدُونَ من العذاب، أو القيامة المشتعلة عليه؛ ولما يعلمه الله.

[١١٠] ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى - ﴿يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ وَبَابَ الْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أنتم وغيركم من الشر.

[١١١] ﴿وَأَنْ﴾ ما أذريت لعلمه؛ أي: ما أغلقتكم به، ولم يعلم وقتُه ﴿وَفِتْنَةً﴾ اختباراً ﴿لَكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَتَتَّعِ﴾ تتبع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول المترجي بـ«لعل»، وليس الثاني محلاً للترجي<sup>(٥)</sup>.

لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاءَ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعِدُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١١﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهِ فَتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٢﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٣﴾

## سُورَةُ الْحَجِّ

[١١٢] ﴿قُلْ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup>: ﴿قُلْ﴾: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا بيدك، وأخذ، وحسن، والأحزاب، والخذق، ونصّر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولداً»، وعُلِّي في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

\*\*\*

(١) والصحيح أن السجل هي الصحيفة، كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس ونقله عن غير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

(٢) المعنى: أي كطي السجل على الكتاب.

(٣) قرأ «الكتب» حفص وحمزة والكسائي، وبقية السبعة (الكتاب).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين في تفسير «الأرض» في هذه الآية، وفي آية الزمر ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَحَنَّمَ حَبْثًا كَثِيرًا﴾ [الزمر: ٧٤] وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير والشعبي وقادة وغيرهم. وتعقب ذلك القاضي كتمان في قرة العين واختار أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المهبودة. بقوله: «... تفسير «الأرض» بالجنة بعيد، ولا دليل عليه، ولم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة» لا في القرآن ولا في السنة. قرة العين ص (٦١٦، ٦١٧) بنصرف يسير.

(٥) أي: المترجى بـ «لعل»؛ هو: كون تأخير العذاب فتنة. أما قوله: «ومتاع إلى حين» فليس كذلك؛ لأنه واقع بانفع.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص: ﴿قُلْ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا أَنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ فَإِنَّهُ رِيضٌ لَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرِّفَ الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَذَلِّ الْأُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ ﴿٥﴾

## سورة الحج

[مكية إلا ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْأَبْتَيْنِ، أَوْ إِلَّا هَكَذَا حَصَمَانِ] الست آيات فمدينيات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شيء عظيم﴾ أي: في أعاجيب الناس الذي هو نوع من العقاب.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل

﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: تشاء ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حيلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ من الشراب ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

[٣] ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين. وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ أي: متمرد.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضِيَ على الشيطان ﴿أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوهُ ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النار.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وغير مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لِنُبِّئَنَّ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا؛ لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقَرِّفَ﴾ مستأنف ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ إلى أجل مُسَمًّى ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَذَلِّ الْأُمُرِ﴾ من يردُّ إلى أدنى الموضع ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلاً﴾ بمعنى: أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نمركم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: الكمال والقوة؛ وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَذَلِّ الْأُمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يضر بهذه الحالة» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ نابتة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾ من كل بهيج حسن.

(١) هذا قول علقمة والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصين عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا أَنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم القيامة، يوم يقول الله لأدم: ابعت بعث النار...» الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرجه أحمد مختصراً في المسند (٤٣٢/٤). كما استدلل أصحاب هذا القول بأحاديث تلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦) والباب المنقول ص (١٤٨)، ونسبهما لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البيهقي في تفسيره (٣٦٥/٥).

(٣) يعني أن الواو في قوله: ﴿وَنُقَرِّفَ﴾ استئنافية وليست عطفية على «لننبئ».



[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿يَأْنُ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْمُخَلِّقُ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنْتَ يَحْيِي الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَأَنْتَ اللَّهُ بَعَثَ مِنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ﴾<sup>(١)</sup>: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ حال: أي: لا وبي عنفه تكبرا عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء<sup>(٢)</sup> وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب؛ فقتل يوم بدر<sup>(٣)</sup> ﴿وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ مُّؤَبَّدٍ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ﴾ بما قَدِمَتْ بِذَلِكَ أي: قدمته، عَجَزَ عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثر الأفعال تراوُلَ بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: شَكَّ في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صَحَّةٌ وسلامة في نفسه وماله ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وَأَنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٢] ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبد ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبَّده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ﴾<sup>(٥)</sup> الْعَبِيدُ عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنَ﴾ اللام زائدة ﴿حَرَرُهُ﴾ عبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ إن نفع بتخليه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾<sup>(٦)</sup> الصاحب هو.

[١٤] وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بِالْخُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِ بِالْتَّوَابِ فِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(٧)</sup> إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

ذَلِكَ يَا اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ يَحْيِي الْمَوْتِ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٦﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٧﴾ يَدْعُوا لِمَنَ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بسبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الصحاح»<sup>(١)</sup> ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَعِظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظاً منها؛ فلا بد منها.

(٥) ما حاء في زول الآية (١١): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاماً وتوحيث خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾

(١) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره التيسابوري والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضاً وهو قول ابن عباس أيضاً. والتكرير للمبالغة في الذم، قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم. وقيل: الآية الأولى الواردة في الأتباع المقلدين. وهذه الآية الواردة في المتبوعين المقلدين.

(٢) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو، والباقون بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الصحاح» في اللغة للجوهري.

معطوف على هاء ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَتْرَكُوا﴾ إترك الله يفصل بينهم يوم القيمة ﴿يَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ﴾، وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٌ﴾ من عملهم ﴿سَجِدٌ﴾ غلبت به علم مشاهدية.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ أي: يخضع له بما يُرَادُّ منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْ أَنَاثٍ﴾ وهم المؤمنون؛ بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَبِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون؛ لأنهم أتوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمِن بَيْنِ اللَّهِ﴾ يُشْفِقُهُ ﴿فَمَا لَمْ يَنْفَكُوا مِنْ مُّكْرِمِهِ﴾ مُشْعِلٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

[١٩] ﴿كَذَلِكَ حَصَمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم، والكفار الخمسة<sup>(١)</sup> خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِ﴾ أي: في دينه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ رِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها؛ يعني: أُحِيطَتْ بهم النار ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة. [٢٠] ﴿يُصَبُّهُ﴾ يذاب ﴿بِهِ﴾ ما في بطونهم ﴿مِنْ شُحُومٍ وَغَيْرِهَا﴾ ﴿وَيَتَشَوَّى بِهِ الْجُلُودُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٢١] ﴿وَهُمْ مَقْنَعٌ مِّن حَدِيدٍ﴾ لضرب رءوسهم. [٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿مِنْ غَيْرٍ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إليها بالمقاع ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق.

[٢٣] وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَكِّمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر؛ أي: منهما؛ بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالذهب عطفًا على محل ﴿وَمِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو الحرير لبسه على الرجال في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَتْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٩﴾ هَذَانِ حَصَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ رِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ ﴿٢٠﴾ يُصَبُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقْنَعٌ مِّن حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرٍ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ بِهَا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ﴾ هداية،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١٩، ٢٠): أخرج البخاري عن فليس بن عباد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أنا أول من يخطو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال فليس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ حَصَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب (٣).

(٢) يشير المصنف إلى أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في الآية المقدمة، وانظر ما جاء في سبب نزول الآية.

(٣) بالجر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

[٢٤] ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ وهو: لا إله إلا الله<sup>(١)</sup> ﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله الحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَتَهُ﴾ طاعته ﴿وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَسْكًا وَمَعْبَدًا لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَرَبِ وَالْأَنْدَلُسِيِّ فِيهِ وَالْبَادِي الطَّارِئِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَنِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ يُطْلَقُ﴾ أي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿تُذَقُّ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نذيقهم من عذاب أليم.

[٢٦] ﴿ذَكَرَ﴾ إِذْ بَوَّأْنَا بَيْنَنَا لِلْإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ لِبَنِيهِ، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَنْ لَا تُشْرَفَ فِي سَبِيلِهِ وَطَهَّرَ بَيْنَنَا مِنَ الْأَوْثَانِ لِلطَّافِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ جمع رَكَع وساجد؛ المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل<sup>(٢)</sup> أبي قبيس: يأبها الناس إن ربكم بئى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه بيئاً وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كل من كتبت له أن يشغ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر: ﴿يَأْتُونَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقائم ﴿وَرِجَالًا﴾ ركبانا ﴿عَلَى صَوَامِرٍ﴾ أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأُنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿وَمِنْ كُلِّ فِجٍّ عَيْنٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يحضروا ﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة<sup>(٣)</sup>، أو فيهما، أقوال ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَرِ مَقُومَتٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْآلَةِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا<sup>(٤)</sup> ﴿فَتَكُونُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَالْمُحْمَرُّ الْبَيْضُ الْفَقِيرُ﴾ أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يزولوا أوساخهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلِيُوفُوا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلِيَطُوفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْكَلْبُ﴾ أكله

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَرَبِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَنِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ يُطْلَقُ﴾  
 ﴿وَأَذِّنْ بَيْنَنَا لِلْإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرَفَ فِي سَبِيلِهِ وَطَهَّرَ بَيْنَنَا مِنَ الْأَوْثَانِ لِلطَّافِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾  
 ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْآلَةِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَاهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْكَلْبُ إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ فِيكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

بعد الدُّبْعِ ﴿إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ فِيكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْبَيْتِ﴾<sup>(١)</sup> الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحریم لما عَرَضَ من الموت ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من للبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تليبتكم، أو شهادة الزور.

(ه) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَنِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ يُطْلَقُ﴾ قال: لو أن رجلاً هم فيه إلحاد وهو يعذب أثنين لأذاقه الله عذاباً أليماً. المسند (٢٨٨/١)، (٤٥١) وقال أحمد شاكراً: إسناد صحيح (٤٠٧١). ودعّد أئمة: مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى «أئمة» وهو رجل من جنس عَدَنَ بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ١٩٢/٣).

(١) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هُدُوا في الآخرة إلى الطيب من القول؛ وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ يُصْعَقُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهُدُوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد جات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (٦٣٧/٤)]، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كمرقات والمشرع الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حبيط التسمية عند الذبح والنحر - وهو قول الأكثرين -، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فيمن الله أن الواجب الذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَى﴾ تعليلية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحطرها عليهم ولجعلها أوادب متوحشة.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

(٦) المائة: ٣.

أي: فإن تعظيمها - وهي البدن التي تُهذى للحرم بأن تُستحسن وتُستمن - **﴿وَمِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** منهم، شُيِّتَتْ شَعَائِرُهُ؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي؛ كطعن حديدة بسنامها.

[٣٣] **﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾** كَوُكُوبُهَا، والحمل عليها ما لا يضرها **﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾** وقت نحرها **﴿ثُمَّ يَحْمِلُهَا﴾** أي: مكان حل نحرها **﴿إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾** أي: عنده؛ والمراد: الحرم جميعه.

[٣٤] **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾** أي: جماعة مومنة سلفت قبلكم **﴿جَعَلْنَا مَسْكَاةً﴾** بفتح السين: مصدر، وبكسرهما<sup>(١)</sup>: اسم مكان؛ أي: ذبيحا قربانا، أو مكانه **﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾** عند ذبحها **﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾** اتقادوا **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** المطيعين المتواضعين.

[٣٥] **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾** خافت **﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾** من البلياء **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾** في أوقاتها **﴿وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾** يتصدقون.

[٣٦] **﴿وَالَّذِينَ﴾** جمع بدنة؛ وهي: الإبل **﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** أعلام دينه **﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾** نفع في الدنيا - كما تقدم - وأجر في العقبى **﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾** عند نحرها **﴿صَوَافٌ﴾** قائمة على ثلاث، معقولة<sup>(٢)</sup> اليد اليسرى **﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾** سقطت إلى الأرض بعد النحر؛ وهو: وقت الأكل منها **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾** إن شئتم **﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ﴾** الذين يقنع بما يُعطى، ولا يسأل، ولا يتعرض **﴿وَالْمُعْتَرِ﴾** السائل أو المتعرض **﴿كَذَلِكَ﴾** أي: مثل ذلك التسخير **﴿سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾** بأن تُنحر وتركب وإلا فلم تُطلق **﴿لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** إنعامي عليكم.

[٣٧] **﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَآؤِهَا﴾** أي: يرفعان إليه **﴿وَلَكِنْ يَبَالَهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ﴾** أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان **﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾** أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي: الموحدين.

[٣٨] **﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** غوائل المشركين **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾** في أمانته **﴿كَفُورٍ﴾** لنعمته؛ وهم: المشركون؛ المعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٣)</sup>.

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ السَّمَاءَ فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴿٣٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاةً لِتَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَآؤِهَا وَلَكِنْ يَبَالَهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٠﴾

[٣١] **﴿حَفَاءَ لِلَّهِ﴾** مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه **﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾** تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾** سقط **﴿سَمَاءٌ فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ﴾** أي: تأخذه بسرعة **﴿أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ﴾** أي: تسقطه **﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** بعيد، فهو لا يرجى خلاصه.

[٣٢] **﴿ذَلِكَ﴾** يقدر قبله: الأمر، مبتدأ **﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾**

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) أي مربوطة.

(٣) وهذا تأويل لانتفاء الصفة بلازمها، والحب والبغض صفتان لله **﴿يُحِبُّ﴾**، ومذهب السلف إثباتهما لله **﴿يُحِبُّ﴾** على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

[٣٩] ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْسُطُونَ﴾ أي: المؤمنين أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظَلِمُوا﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هم ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، وما أخرجوا ﴿إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، وهذا القول حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَهُوتُمْ﴾ بالتشديد: للكثير، وبالتخفيف (١) ﴿صَوْمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيعُ﴾ كائن للنصارى ﴿وَصَلَوْتُ﴾ كائن لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسْجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يَذْكُرُ فِيهِ﴾ أي: المواضع المذكورة (٢) ﴿أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرٌ﴾ وتقطع العبادات بخرابها ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿غَيْرُزِيٍّ﴾ منيع في سلطانه وقدرته (٣).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ينصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالتَّوَرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الشُّكْرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوبه صلة الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ ﴿وَلِيُوَلِّ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إليه في الآخرة.

[٤٢] ﴿وَلَنْ يُكْذِبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُودٌ﴾ قوم صالح.

[٤٣] ﴿قَوْمٌ يَرْهَقُهُمْ وَقَوْمٌ لُوطٌ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكَذَبَ مُوسَى﴾ كَذَبَهُ الْفَيْطُ لَا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب هؤلاء رسلهم؛ فلما أسوة بهم ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستنفهام للترقير؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٥] ﴿فَكَانَ﴾ أي: كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [أَهْلَكْنَاهَا] (٤) وفي قراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ﴿وَهِيَ ظَلَمَةٌ﴾ أي: أهلها؛ بكفرهم ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَمِنْ بَيْتٍ مُعْتَمَرٍ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرِ مَتِينٍ﴾ رفيع، حال بموت أهلها.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُوا لَهُمْ قُلُوبٌ

أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْسُطُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ  
الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُوتُمْ صَوْمِعُ وَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يَذْكُرُ فِيهِ أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ غَيْرُزِيٌّ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالتَّوَرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ يُكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَيْتٍ مُعْتَمَرٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

يَقُولُونَ بِهَا ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار؛ فعبثوا ﴿فَأَنَّهُمَا﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيد.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكوا؛ فنزلت: ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْسُطُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾. ففهموا أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥).  
وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبينهم! فنزلت: ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْسُطُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ الترمذي - الموضع السابق.

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تحريف الأمم السابقة دينهم... وصوب هذا التأويل ابن عطية. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تنتم الآية «الكنائس» و«الكنس» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالترجيد والتزبه، كما يجب أن يذكر. قرأ العيني ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

يُنْذِرُ الْإِنذَارَ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها [مُعْجِزِينَ] ﴿مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ﴾ أي: يسببونهم إلى العجز ويشطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ هو نبيٍّ أُمِرَ بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّا إِذَا مَتَّئِيَ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قرأته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿وَنَزَّهَ أَتَالَتَهُ الْآخَرَىٰ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: ﴿تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْغَلَا﴾ وإن شفاعتهن لترجي؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك؛ فحزن؛ فشأنه بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ﴾ يطل ﴿مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ يشنها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

[٥٣] ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لِيُشَقَّاقَ بِهِمْ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذكر ألثمتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴿فَتُخَيِّتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٌ﴾ مُسْتَقِيمٌ؛ أي: دين الإسلام.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَنَّمِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ فَاذْكُرُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَيِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقَةٍ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالباء والياء (١)؛ في الدنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَنَّمِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة [معاجزين].

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول م أوحى إليه شرع جديد، والتي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد تفق جمهور العلماء على أن قصة الغرائق هذه باطلة مثلاً ولا أصل لها مثلاً. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نقلاً ورواها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.

ومن أفصل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عبده... فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى «يحكم آياته»: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحى منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

[٥٦] ﴿الْمَلَأْتُ بَوَاسِرَكُمْ أَي: يوم القيامة﴾ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار<sup>(١)</sup>، ناصب للظرف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما يتن بعدد ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلاً من الله.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ شديدة بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لَبِزْتَهُمْ مَدْخَلَ﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ أي: إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ وهو الجنة ﴿وَلِئَلَّ اللَّهُ لَعَلِيَّ﴾ بئانهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمن ﴿يَعْتَبِرْ مَا عُوِّقَ بِهِ﴾ ظلماً من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ يُعَىٰ عَلَيْهِ﴾ منهم؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ ﴿عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَفْوٌ ﴿لَهُمْ﴾، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلاً منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته - تعالى - التي بها النصر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بِعَصِيَّتِهِمْ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَنْشُرُكَ﴾ بآياه والتاء<sup>(٣)</sup>، يعبدون ﴿وَمِنْ دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته<sup>(٤)</sup> ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿إِنَّمَا نَزَّلْنَا﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته<sup>(٥)</sup> ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَيْرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير

الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَبِزْتَهُمْ مَدْخَلَ يُدْخِلُهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ يُعَىٰ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَنْشُرُكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

المطر.

[٦٤] ﴿كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

(١) أي معنى الاستقرار المقدس.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العلي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ قاله - سبحانه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) وورحمته أيضاً.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى  
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا  
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي  
أَخْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾  
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ  
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾  
وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلْ اللَّهُ أَغْلَبُ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ  
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ  
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ  
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِمْ دِيْنًا  
يَبْتَنِي تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ  
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ  
ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم  
﴿وَالْفَلَكَ تَجْرَى﴾ السفن ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ من ﴿أَنَّ﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾  
فنهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في السخير والإمساك.

[٦٦] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ﴾ بالإشياء ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند انتهاء  
آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي: المشرك  
﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيد.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(١)</sup>؛ شريعة  
﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي  
الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»<sup>(٢)</sup>  
﴿وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٦٨] ﴿وَإِنْ جَدَلُواكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلْ اللَّهُ أَغْلَبُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾  
فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾  
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾  
إِنَّ ذَلِكَ، أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ  
ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هو  
الأصنام ﴿سُلْطَانٌ﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا  
لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِمْ دِيْنًا﴾ من القرآن ﴿يَبْتَنِي﴾ ظاهرات،  
حال ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي:  
آثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ  
آيَاتِنَا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ بأثرة  
إيكم من القرآن المقلو عليكم؛ هو: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن  
مصيرهم إليها ﴿وَبَشَّ الْمَصِيرُ﴾ هي.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأنعام.

(٣) أي: عبدوها تقليدًا لآبائهم، من غير دليل ولا حجة.



[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَعْمُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، وأجده ذبابة، يقع على الذكر والمؤنث ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ خلقه ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملطخين<sup>(١)</sup> به ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ لا يستدوه ﴿وَمِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله - تعالى ١٩- هذا أمر مستغرب، عجز عنه بضرب مثل ﴿سُعِفَ الظُّلُمُتِ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبِ﴾ المعبود. [٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظَمَهُ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عظمته؛ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب. [٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلًا، نزل لما قال المشركون: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَقَاتِلِهِمْ ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذة رسولاً؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم - صلى الله عليهم وسلم -.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَالِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾. [٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَاتَّقُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتَنَبَكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق؛ بأن سهله عند الضرورات؛ كالقصر والتيسم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿وَمَلَّةَ أَيْبَكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»<sup>(٣)</sup> ﴿إِزْهَجَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلهم بلغوهم ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثَقُوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ الناصر لكم.

\*\*\*

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَعْمُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٧٨﴾

## سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملطخين» وقال الصاوي مستثلاً ذلك: المناسب أن يقول: «الملطخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كيلة أيكم.

- [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كِلَاءٌ إِذْ يَقُولُونَ هُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُمْ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.  
 [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدوّن.  
 [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.  
 [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراي ﴿فَلَا يَمْنَعُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهم.  
 [٧] ﴿فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراي؛ كاستمناة باليد في إتيانهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.  
 [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ جَمْعًا﴾ جمعًا ومفردًا<sup>(١)</sup> ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رِعُونَ﴾ حافظون.  
 [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ جَمْعًا﴾ جمعًا ومفردًا<sup>(٢)</sup> ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها.  
 [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لا غيرهم.  
 [١١] ﴿الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بقوله.  
 [١٢] ﴿وَوَلَّى اللَّهُ قَلْبَهُ أَفَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِمْ لَكَاظِمٌ﴾ أي: استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ ﴿سُلْطَةً﴾.  
 [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ مَيْتًا ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم.  
 [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً﴾ دماء جامدة ﴿فَخَلَقْنَا اللَّعَلَّةَ مِضْغَةً﴾ لحمة قذرة ما يبيض ﴿فَخَلَقْنَا الْمِصْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عِظْمًا﴾ في الموضعين<sup>(٤)</sup>، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خالقًا.  
 [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.  
 [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء.  
 [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سموات، جمع طريقة<sup>(٥)</sup>؛ لأنها طرق الملازمة ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَفْلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فهلهم، بل نمسكها؛ كناية ﴿وَنُفِيسُكَ السَّكَاةَ﴾ أن تقع على الأرض<sup>(٦)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً وَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمِصْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

## سورة المؤمنون

[مكية، مائة وثماني، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.  
 [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون<sup>(١)</sup>.

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل الثَّار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله:

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾». ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخشوع والحرف والسكون؛ أي: باطنًا وطاهرًا.

(٢) بالإنفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإنفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظمًا»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملازمة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وصنيع المؤلف يومهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ فيموتون مع دوابهم عطشا.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِ جَنَّتَيْنِ مِن نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَكَ فِيهَا فَرْكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُمُونَ﴾ صيفا وشتاء.

[٢٠] ﴿وَمَا أَنشَأْنَا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورٍ﴾ [سِينَاء] ﴿جبل؛ بكسر السين وفتحها<sup>(١)</sup>، ومع الصرف للعلمية، والثاني للبقعة [تَثْبِثُ] من الرباعي والثلاثي<sup>(٢)</sup> ﴿بِالدَّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني؛ وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَبَّحَ لِلْأَلْيَيْنِ﴾ عطف على «الدَّهْنِ»؛ أي: إذا ما يصبغ اللقمة بغمسها فيه؛ وهو: الزيت.

[٢١] ﴿وَإِن لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ﴾ [لِبَرَةٍ] عظة تعتبرون بها ﴿[تُسْقِيكُمْ]﴾ بفتح النون وضمها<sup>(٣)</sup> ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللبن ﴿وَلَكَ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبر والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُمُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ الإبل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِّقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَوَحْدَهُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ وهو اسم «مَا» وما قبله الخبر، و«مِنْ» زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟

[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ [لِبَنَاهِم] ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يشرف ﴿بَلْ إِن يَكُونَ مَثْبُوعًا وَأَنْتُمْ آبَائُهُمْ﴾ لا يبعد غيره ﴿لَأَنزِلَ عَلَيْكُمْ﴾ بذلك، لا بشرا ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي آيَاتِنَا الْآلَوَيْنِ﴾ الأمم الماضية.

[٢٥] ﴿إِن هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِدَّ جِنَّةً﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَىٰ صُورَ﴾ [بِهِ] انتظروه ﴿حَتَّىٰ جِئَ﴾ إلى زمن موته.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِبَسْبِ﴾ تكذيبهم إياي؛ بأن تهلكهم.

[٢٧] قال - تعالى - محييا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَن اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يَمْرَأَىٰ منا وحفظنا<sup>(٤)</sup> ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ الْفُتُورُ﴾ للخباز بالماء<sup>(٥)</sup>، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾ أي: أذبل في السفينة ﴿مِن كُلِّ﴾ [كُلِّ] <sup>(٦)</sup> رَوْحَيْنِ ذكر وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، و«مِنْ» متعلقة بـ«أَسْلَفَ»، وفي القصة: أن الله - تعالى - حشر نوح السباع والطيور وغيرها؛ فجعل يضرب بيديه في كل نوع؛ فتقع يده اليمنى على الذكري

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِ جَنَّتَيْنِ مِن نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكَ فِيهَا فَرْكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُمُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورٍ سِينَاءَ تَثْبُثُ بِالدَّهْنِ وَصَبَّحَ لِلْأَلْيَيْنِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً لِّتُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكَ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِّقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَآلِهَةَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِدَّ جِنَّةً فَرَىٰ صُورَ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ فِيهِ أَمَّا الْفُلُكُ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَن اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٦﴾

واليسرى على الأُنثى؛ فيحملها في السفينة، وفي قراءة: ﴿كُلِّ﴾ بالتثنية، فـ«زَوْجَيْنِ» مفعول، و«أَنْثَيْنِ» تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك؛ وهو: زوجته وولده كنعان<sup>(٧)</sup>، بخلاف سام وحام ويافث؛ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود: ﴿وَمَنْ مَّامَرٌ وَمَا مَآمَرٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(٨)</sup> قيل: «كانوا ستة رجال ونساؤهم»؛ وقيل: «جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون؛ نصفهم رجال ونصفهم نساء» ﴿وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: من أثبت وثبت، يشير بذلك إلى القراءتين، وبضم الثاء وكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فللتعظيم لا للكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ الْقُورُونَ﴾، ﴿وَتَمَّ الْمَهْدُونَ﴾، ﴿وَبَنَّا تَوْبِعُونَ﴾.

(٥) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالتثنية.

(٧) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَايَةً﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وَإِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرْنًا﴾ قوما ﴿ءَاخِرِينَ﴾ هم عاد<sup>(١)</sup>.

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو دا<sup>(٢)</sup> ﴿أَن﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتؤمنون.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَاللَّهُ﴾ لئن أطلعتم بشرًا مثلكم ﴿فِيهِ قَسَمٌ وَشَرَطٌ﴾ وفيه قسم وشروط، والجواب لأولهما - وهو مغني عن جواب الثاني :- ﴿إِن كُنْتُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أطلعتموه ﴿لَتُخْسِرُونَ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَيُّدُكُمْ أُنْكُرُ إِذًا مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ تَرَاكِبًا وَعَظَمْنَا أُنْكُرُ تَخْرُجُونَ﴾ هو خبر ﴿أُنْكُرُكُمْ﴾ الأولى، و﴿أُنْكُرُكُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

[٣٦] ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر؛ أي: بمذ بمذ ﴿لَمَّا تُوْعِدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حِكْمَانَا الَّذِي نُمُوتُ وَنُحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رِجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و﴿مَا﴾ زائدة ﴿لَيُصِخِرَنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَدِيمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الْعَذَابَ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً﴾ وهو نبت ييس؛ أي: صيرناهم مثله في اليبس.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ من الرحمة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءَاخِرِينَ﴾.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُزَلًّا وَمَنْتَ خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَيْدُكُمْ أُنْكُرُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٤٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لَمَّا تُوْعِدُونَ ﴿٤٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنُحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِخِرَنَّ نَدِيمُكَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٥٢﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ فقل الحمد لله الذي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَبِّ أُنْزِلْنِي مُزَلًّا﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وفتح الميم وكسر الزاي<sup>(١)</sup>: مكان النزول ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَإِنَّ خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ﴾ ما ذكر.

(١) يفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الياقوت بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمد البيضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تفسير الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام؛ لأن القصة هذه تشبه قصتهم. اهـ.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحاً.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بَأْنْ تَمُوتَ قَبْلَهُ ﴿وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾ عَنْهُ، ذَكَرَ الضَّمِيرُ بَعْدَ تَأْنِيهِ رَعَايَةَ الْمَعْنَى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [تَوْرًا] <sup>(١)</sup> بِالتَّنْوِينِ وَعَدَمِهِ <sup>(٢)</sup>، مُتَابِعِينَ بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ زَمَانٍ طَوِيلٍ <sup>(٣)</sup>، ﴿كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْوَاوِ <sup>(٤)</sup>، ﴿رُسُلُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ فِي الْهَلَاكِ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ؛ وَهِيَ: الْيَدُ وَالْعَصَا وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ <sup>(٥)</sup>.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاسْتَكْبَرُوا <sup>(٦)</sup>، عَنْ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِاللَّهِ وَكَابَرُوا قَوْمًا عَالِينَ <sup>(٧)</sup>، قَاهِرِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالظُّلْمِ.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ مُطْبِعُونَ خَاضِعُونَ.

[٤٨] ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قَوْمُهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَوْتِيَهَا بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ مِنْهُمْ﴾ عِيسَى ﴿وَأَنَّهُ أَتَاهُ﴾ لَمْ يَقُلْ آيَاتٍ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ؛ وَلَدَنَّهُ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ ﴿وَمَا أُوتِيَهُمَا إِلَّا رَيْفٌ﴾ مَكَانٌ مُرْتَفِعٌ؛ وَهُوَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، أَوْ دِمَشْقُ، أَوْ فِلَسْطِينَ، أَقْوَالٌ ذَاتُ قَرَارٍ <sup>(١)</sup>، أَيُّ: مُسْتَوِيَةٌ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا سَائِكُوهَا <sup>(٢)</sup> وَمَعِينٌ <sup>(٣)</sup>، وَمَاءُ جَارٍ ظَاهِرٌ تَرَاهُ الْعَيُونُ.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الْحَلَالَاتِ ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ مِنْ فِرْضٍ وَنَفْلِ ﴿إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَعْمَلُوا﴾ إِنَّ هَذِهِ <sup>(١)</sup>، أَيُّ: مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ﴿أَمْتَكُمْ﴾ دِينَكُمْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ؛ أَيُّ: يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ حَالٌ لَازِمَةٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِتَخْفِيفِ النُّونِ <sup>(٢)</sup>، وَفِي أُخْرَى: بِكُسْرِهَا مُشَدَّدَةً <sup>(٣)</sup>؛ اسْتِثْنَاً ﴿وَأَنَّا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ فَاحْذَرُونَ.

[٥٣] ﴿فَقَطَّعُوا﴾ أَيُّ: الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ دِينَهُمْ ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حَالَ مِنْ فَاعِلٍ ﴿فَقَطَّعُوا﴾؛ أَيُّ: أَحْزَابًا مُتَخَالِفِينَ؛ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ ﴿كُلٌّ حِزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ﴾ أَيُّ: عِنْدَهُمْ مِنَ الدِّينِ ﴿فَرِحُوا﴾ مَسْرُورُونَ.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ اِتْرَكَ كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فِي غَرْبِهِمْ﴾ ضِلَالَتِهِمْ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إِلَىٰ حِينٍ مَوْتِهِمْ.

[٥٥] ﴿أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُهُمْ بِهِ﴾ نَعَطِبُهُمْ ﴿مِنْ مَالٍ رَيْنٍ﴾ فِي الدُّنْيَا.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَجَاءً أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةٌ وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَيْفٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٩﴾ يَأْتِيَاهُمَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥١﴾ فَاقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٢﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَرْبِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٣﴾ أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ رَيْنٍ ﴿٥٤﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُسْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٥٦] ﴿نُسَارِعُ﴾ نَعْجَلُ ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لَا ﴿يَرْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ

اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خَوْفُهُمْ مِنْهُ ﴿مُسْفِقُونَ﴾ خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الْقُرْآنَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يَصْدُقُونَ.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَهُ غَيْرُهُ.

(١) بالتَّنْوِينِ قِرَاءَةُ بَنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو، وَأَصْلُ «تَوْرًا»: «تَوْرَى» مِنْ «التَّوْرَةِ»؛ وَهُوَ: الْفِرْدُ.

(٢) وَفِي: مُتَابِعِينَ بِلَا مَهْلَةٍ.

(٣) تَحْقِيقُ الْهَمَزَيْنِ هُوَ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِيَّ وَعَصَمٌ وَابْنُ عَامِرٍ، وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ هُوَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

(٤) تَقْدِمُ بَيَانُهَا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْأَعْرَافِ ١٣٣، وَيُونُسَ ٧٥.

(٥) لَابْنُ عَامِرٍ.

(٦) بِكُسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ لِعَاصِمٍ وَحِمَزَةٍ وَالْكَسَائِيَّ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَرَرٍ﴾ جهالة ﴿وَبَيْنَ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ فيعدون عليها.

[٦٤] ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية ﴿إِذَا أَخَذْنَا مِرْفَقَهُمْ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر<sup>(١)</sup> ﴿إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ﴾ يضعجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًا لَا تَنْصُرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿فَكَانَتْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْفَلِكُمْ نَكَصُونَ﴾ ترجعون القهقري.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَمِيرًا﴾ حال؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي<sup>(٢)</sup>؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلَ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ؟﴾

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ؟﴾

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ؟﴾ الاستفهام للترديد؛ من صدق النبي، ومجيبه الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْذَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْلَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿وَلَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَلَبَّيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ قَاتَلْتَهُمْ خَرْجًا﴾ أجرا على ما جنتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَّجَ رَبُّكَ أَجْرَهُ وَثَوَابَهُ وَرِزْقَهُ حَيْرًا﴾ وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرْجًا﴾ فيهما<sup>(٤)</sup> ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْكَرَفَيْنِ﴾ أفضل من أعطى وأجر.

[٧٣] ﴿وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ مستقيم ﴿أَي: دِينِ الْإِسْلَامِ﴾.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَتُنْكِرُونَ﴾ عادلون.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفُلُوهُمْ وَجِلَةً أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾  
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٥﴾  
بَلْ فُلُوهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْفَلِكُمْ تَنْكَصُونَ ﴿٦٩﴾  
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَ لَهُمُ الْحَقُّ كَرِهُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَسَّاهُمْ خَرْجًا فَخَرَّجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾  
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَاءً آتًا﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة<sup>(١)</sup> ﴿وَفُلُوهُمْ وَجِلَةً﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبلة: لام الجر<sup>(٢)</sup> ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فليصل جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فلياكل ﴿وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزداد في السيئات.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفُلُوهُمْ وَجِلَةً﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الحمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصدقون، وهم الذين يخافون أن لا ينقل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم»؛ فيكون تمليلًا لقوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماة. وقيل: اراد بالعذاب: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى الفراعين، فيضم التاء وكسر الحيم قراءة نافع. جعله من الهجر، وهو الهديان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرْجًا فَخَرَّجَ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرْجًا فَخَرَّجَ» وهي حمزة والكسائي.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَأَيُّ جُوعٍ أَصَابَهُمْ بَمَكَّةَ سَبْعِ سَنِينَ﴾ «لَلْجُوعِ» تَمَادَا «فِي طُعَيْنِهِمْ» ضَلَالَتِهِمْ «يَعْمَهُونَ» يترددون.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ «الْجُوعِ» (١) «فَمَا اسْتَكَاؤُهُ» تَوَضَعُوا «لِيَوْمِهِمْ وَمَا يَصْطَرَعُونَ» يرغبون إلى الله بالدعاء.

[٧٧] ﴿حَتَّىٰ﴾ «بِإِدَائِهِ» «إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا» صَاحِبِ «عَذَابٍ شَدِيدٍ» هو يوم بدر بالقتل (٢) «إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» أيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ خَلْقَ الْكُفْرِ الْمَتَمَعِ﴾ «بِمَعْنَى: الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَرِ وَالْأَفْعِدَةِ» القلوب «فَلَيْلًا مَا» تأكيد لليلة «تَشْكُرُونَ».

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ «يُنْفِخُ الرُّوحَ فِي الْمَضْغَةِ» وَيُحْيِي «وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» بالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ضَعْفَةٌ - تَعَالَى: «فَتَعْتَبِرُونَ؟».

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوا﴾ «أَيُّ: الْأَوَّلُونَ:» «أَوَّلًا» وَتَنَا «وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْنَا أَهْلًا» لَمَبْعُوثُونَ؟ لا، وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (٣).

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا﴾ «أَيُّ: الْبَيْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ» «مِنْ قَبْلِ إِنْ» مَا «هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ أَكَاذِبٌ» «الْأَوَّلِينَ» كَالْأَصْحَابِ وَالْأَعَاجِبِ، جَمْعُ أُسْطُورَةٍ؛ بِالضَّمِّ.

[٨٤] ﴿قُلْ لَهُمْ:﴾ «لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا» «مِنَ الْخَلْقِ» «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ لَهُمْ:﴾ «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» «إِدْغَامُ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الذَّالِ» (٤) «تَتَعَلَّظُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْخَلْقِ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟»

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ «الْكُرْسِيِّ» (٥).

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُرُونَ؟﴾ «تَحْذَرُونَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ؟»

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ﴾ «مَلِكٍ» «كُلِّ شَيْءٍ» «وَالنَّاءُ: لِلْمُبَالَغَةِ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» يُخَيِّمُ وَلَا يُخَيَّمُ عَلَيْهِ «إِنْ كُنْتُمْ

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوعِ أَصَابَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاؤُهُ لِيَوْمِهِمْ وَمَا يَصْطَرَعُونَ» حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾

تَعْلَمُونَ؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ «اللَّهُ» (٦) «وَفِي قِرَاءَةِ: لِلَّهِ» «بِلَامِ الْجَرِّ فِي الْمَوْضِعِينَ» (٧)؛ نَظَرًا إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى: مَنْ لَهُ مَا ذَكَرَ؟ «قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» تَخْدَعُونَ وَتَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ؛ أَيُّ: كَيْفَ تَخِيلُ لَكُمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ؟.

(١) أخرج السبائي في تفسيره (٩٨/٢)، ٩٩ رقم (٣٧٢)، والطبراني في الكبير (١١/١٢٠٣٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٧٥٣ - موارد)، والحاكم في مستدركه (٣٩٤/٢) وصححه إسناده ووافقه الذهبي - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم؛ فقد أكلنا الجاهل - يعني: الوبير بالدم - فأذن الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاؤُهُ لِيَوْمِهِمْ وَمَا يَصْطَرَعُونَ﴾. وحسنه الحافظ في الفتح (٥١/٦)، وصححه في الاستيعاب (٥٣٨/٢)، ٥٣٩.

(٢) هذا قول ابن عباس، وقال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم.

(٣) أي: وترك الإدخال؛ وقرأ عامر بالإحار في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٥) سبق بيان أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه.

(٦) هذه قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: (لله) بلام الجر.

(٧) أي: الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو بلام الجر بانفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد.





[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تُخَوَّلُونَ بِهَا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾<sup>(١)</sup> بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَلَنَا عَذَابٌ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك<sup>(٢)</sup> - بعد قُذِرَ الدُّنْيَا مَوْزِينٌ<sup>(٣)</sup> - : ﴿أَخَشُّوا فِيهَا﴾ ابعُدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجائهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُ﴾ [سُخْرِيًّا] بضم السين وكسرها<sup>(٤)</sup>؛ مصدر بمعنى: الهزاء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلَكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء؛ فنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ بِمَنِّكُمْ تَضَحِكُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَّوْا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإيهم [إِنَّهُمْ]<sup>(٥)</sup> بكسر الهمزة ﴿هُوَ الْقَارُونَ﴾ مَطْلُوبُهُمْ: استئناف، ويفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم بلسان مالك، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدُ سِينِينَ﴾ تميز؟.

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسَتَلَى الْعَذَابِينَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - بلسان مالك<sup>(٧)</sup>، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَتَاكُمْ كُنْتُمْ تَقْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول<sup>(٩)</sup> لا، بل لِنَتَّعِدَّكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا وبخاري على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١٠)</sup>.

[١١٦] ﴿فَعَلَى اللَّهِ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الكرسي<sup>(١١)</sup>؛ هو: السرير الحسن.

(١) حمزة والكسائي.

(٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فَنَحْنُ الْقَوْلُ عَلَى أَنَّهُ بِلِسَانِ مَالِكٍ تَأْوِيلٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ لَا دَبِيلَ عَلَيْهِ.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، والحاكم وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضاً رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالقل عن أهل الكتاب.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) وهذا التفسير خلاف ظاهر القرآن، ولا حاسم عليه إلا نفي القول عن الله تعالى.

(٨) لحمزة والكسائي.

(٩) بالبناء للفاعل لقراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.

(١٠) الذاريات: ٥٦.

(١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

### سُورَةُ التَّوْبَةِ

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لا

مفهوم لها ﴿فَلَنَمَّا جَسَبْنَاهُ﴾ جزأوه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ إِيَّاهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ الْمُؤْمِنِينَ، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أَفْضَلُ رَاحِمٍ.

\*\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فُرُوجًا يُؤْتَيْنَا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحْدَهُمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ شَهِدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

## سُورَةُ النُّورِ

[مدينة، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا﴾ مخففة ومشددة (١)؛ بكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تعظون.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين؛ لرجعهما بالشئ، «وَأَل» فيما ذكر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة، يقال: جلدته، ضربت جلدة، ويزاد على ذلك بالشئ تعريب عام (٢)، والرفيق على الصف مما ذكر (٣) ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حكمه بأن تركوا شيئاً من حددهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلَيْسَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهود الزنا.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هم قراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفن عليهم (٤)؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾ (٥).

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ بِالزَّانِيَةِ أَوْ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ﴾ على زانها يرويههم ﴿فَاجْلِدُوهُنَّ﴾ أي: كل واحد منهم ﴿مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً فِي شَيْءٍ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإثباتهم كبيرة. [٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهام النبوة، فيها ينتهي فشقهم وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (٦).

[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ بِالزَّانِيَةِ أَوْ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ﴾ عليه ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿وَأَرْبَعَةٍ شَهَدَاتٍ﴾ نصب على المصدر (٧) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف (٨).

[٨] ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أَنْ شَهِدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا. [٩] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك (٩). [١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالسفر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مؤثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحبس الأسارى بمكة، وكان يبعث بها فقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أتكنح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦).

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (٦ - ٩): أخرج البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهره»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً انطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهره». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصديق، فليترن الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتعريب عام. (٣) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النساء: ٢٥].

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فية من قریش فجلدنا ولاند من ولاند الإمارة حسين بن الزنا (الموطأ ١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمه له سوداء زنت لأجلها. قال: فوجدتها في دمها فأثبت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفسك فاجلدها خمسين». (المسند ١٠٨٦)، وصححه مجموع طرفة الأرنؤاوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١٤٢٢).

(٤) أخرج نحوه من أبي حاتم عن مقاتل. [الدر المنثور (٣٨/٥)].

(هـ) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامة، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الرناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا في الزواج بران مثلاً، والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: انتكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.

(٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الأول - وهو أن الاستثناء إذا تعقت جملاً معطوفة عاد إلى جميعها - مذهب الجمهور؛ وهو الراجح.

(٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرهم؛ خير المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.

تَوَلَّى بِقِيُولِهِ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ وَغِيْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغِيْرِهِ لَيِّقٌ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ وَعَاجِلٌ بِالْعُقُوبَةِ مَن يَسْتَحِقُّهَا.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أَسْوَأُ الْكُذْبِ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِقُدْرَتِهَا ﴿عَصْبَةُ مُحَمَّدٍ﴾ جَمَاعَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ <sup>(١)</sup>: «حَسَنَ بَنٍ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَمُسَطِّحٌ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ» <sup>(٢)</sup> ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ غَيْرِ الْعَصْبَةِ ﴿شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ بِأَجْرِكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ وَمَنْ جَاءَ مَعَهَا مِنْهُ؛ وَهُوَ: صَفْوَانٌ، فَإِنَّمَا قَالَتْ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غُرُوزَةٍ بَعْدَمَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَفَرَّغَ مِنْهَا وَرَجَعَ، وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَذَنُ بِالرَّحِيلِ لَيْلَةً فَمَشَيْتُ وَقَضَيْتُ شَأْنِي وَأَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحِيلِ إِذَا عَقْدِي انْقَطَعَ - هُوَ بِكسرِ الْمِهْمَلَةِ: الْفَلَادَةُ - فَرَجَعْتُ أُنْمِسُهُ، وَحَمَلُوا هُوْدُجِي - هُوَ مَا يَرْكَبُ فِيهِ - عَلَى بَعِيرِي يَحْسِبُونَنِي فِيهِ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ خُفَافًا يَمْنَى بِأَكْلَنِ الْغُلْفَةِ - هُوَ بَضْمُ الْمِهْمَلَةِ وَسُكُونُ اللَّامِ - مِنَ الطَّعَامِ - أَيُّ: الْقَلِيلِ -، وَوَجَدْتُ عَقْدِي وَجَدْتُ بَعْدَمَا سَارُوا؛ فَجَلَسْتُ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ عَزَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ - هُمَا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْدَالِ؛ أَيُّ: نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لِلْإِسْتِرَاحَةِ - فَسَارَ مِنْهُ فَأَصْبَحَ فِي مَنْزِلِهِ فَرَأَى سُودًا إِنْسَانًا نَائِمًا - أَيُّ: شَخْصَةً -؛ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ؛ فَاسْتَقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي - أَيُّ قَوْلِهِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي؛ أَيُّ غَطَيْتُهُ بِالْمَلَاعَةِ، وَاللَّهُ مَا كَلَّمْتَنِي بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، وَوُطِئَ عَلَى يَدَيَّهَا فَرَكَبْتُهَا، فَانْطَلَقَ بِقُرْبِهِ الرَّاحِلَةُ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مَوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهْرَةِ - أَيُّ مِنْ أَوْغَرٍ؛ وَاقْعَيْنِ <sup>(٣)</sup> فِي مَكَانٍ وَغَرَّ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كَثِيرَةً مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سُلُوفٍ أَهْدَى قَوْلُهُ [رواه الشيخان] <sup>(٤)</sup> - قَالَ - تَعَالَى: -

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: عَلَيْهِ ﴿مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: تَحْمِلُ مُغْطَمَتَهُ قَبْدًا بِالْخَوْضِ فِيهِ وَأَشَاعَهُ؛ وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ﴿لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ النَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [١٢] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ حِينَ سَمِعْتُمُو ظَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ ﴿أَيُّ: ظَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كَذِبٌ يَبِيْنٌ، فِيهِ تَفَاتٌ عَنِ الْخَطَابِ؛ أَيُّ: ظَلَمْتُمْ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ، وَقَلْتُمْ: [١٣] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ جَاءُوا ﴿أَيُّ: الْعَصْبَةُ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ﴾ شَاهَدُوهُ ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: فِي حُكْمِهِ ﴿هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ فِيهِ. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ؛ أَيُّ خَضَعْتُمْ ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ. [١٥] ﴿إِذْ تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أَيُّ: يَرْوِيهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَحَذَفَ مِنَ الْفِعْلِ إِحْدَى النَّاعِيْنِ، وَ﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبٌ بِ﴿مَسَّكُمْ﴾ أَوْ بِ﴿أَفَضْتُمْ﴾ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا لَا إِثْمَ فِيهِ﴾ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿فِي الْإِثْمِ﴾. [١٦] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُو ظَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

حِينَ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ هُوَ لِلتَّعَجُّبِ هُنَا ﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ بِهَا كَمْ ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَعْتَظُونَ بِذَلِكَ.

[١٨] ﴿وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ؛ وَهُمْ: الْعَصْبَةُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِحَدِّ الْقَذْفِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انْتِفَاعَهَا عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ؛ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

= جبرين، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الْقَادِقِينَ﴾، فَاصْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَارْسَ إِلَيْهَا، فَنَجَّاهُ هَلَالُ فَشْهَدِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَذَبَ فِيهِ مِنْكُمَا تَائِبٌ» ثُمَّ قَامَتْ فَشْهَدَتْ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَهَا وَقَالُوا: إِنَّمَا مَوْجِبَةٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَادَتْ وَنَكَسَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَضْهَقُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوا هَا» فَإِنْ جَاءَتْ بِهَ أَكْمَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْإِثْمَيْنِ، فَخَذَّلَ السَّافِينَ فَهَرَّ لَشْرِيكَ بْنِ مَحْمَدٍ، فَجَعَلَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ». الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ النُّورِ (٢٤) بَابُ (٣).

(١) أَيُّ: عَائِشَةُ <sup>(١)</sup>.

(٢) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

(٣) وَفِي نَسَخَةٍ: وَاقْعَيْنِ.

(٤) لَمْ يَرْوِهِ الشَّيْخَانُ بِهَذَا اللَّفْظِ، لَكِنَّ الْقِصَّةَ مُوجُودَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب، بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما فصدتم. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغني ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أن لا ﴿يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر؛ خيف أن لا ينفق على مسطح. وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى. لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: «بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي»، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه<sup>(١)</sup>.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ عن الفواحش، بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لِيُؤْتُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفقانية والتحانية<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَيْهِمُ الْيَتَامَى وَالْيَتَامَى وَالْيَتَامَى﴾ بما كانوا يمسكون من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ يُوسُفُ اللَّهُ بِهِمُ الْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكرون فيه؛ ومنهم: عبدالله بن أبي، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿وَالْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر؛ أي: ﴿لِلْطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَالْطَّيِّبِينَ﴾ منهم ﴿لِلْطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر؛ أي: اللاتق بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان، مبرورة ومما يقولون؛ أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما<sup>(٣)</sup>.

[٢٧] ﴿كَتَابَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَسَلِّمُوا﴾ على أهلها، فيقول الواحد: «السلام عليكم، أَدْخُلْ؟» كما ورد<sup>(٤)</sup> في حديث<sup>(٥)</sup> ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهجرين في سبيل الله وليعفووا وليصنفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم تشهد عليهن أنسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يَوْمَ يُدْفِعُ اللَّهُ مِنْهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريقه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا باتباعها ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أي: العصبية بما قلتم من الإفك ﴿مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر

وأخرج أيضا عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا؟ أيقته فتقولون؟ أم كيف يصنع؟ سألني رسول الله ﷺ عن ذلك. فأني عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته فتقولون أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعة بما سمي الله في كتابه، ففلاعتا. البخاري - التفسير (الساكن) باب (١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جرح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تعدد القصص ويحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال - أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجرح القرطبي إلى تجوير نزول الآية مرتين. [الفتح (٨/ ٣٠٤، ٣٠٥)].»

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت: ... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرباه منه وقهره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأقول الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى. والله - إنني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. البحري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(و) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رمت بما رمت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضح من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي، إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه يأخذه شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه الوحي، فرفع رأسه وهو مسح عينيه، فقال: أبشري يا عائشة، قلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَلْبَسَهُنَّ﴾ حتى بلغ ﴿مُزَكَّاتٍ وَمِمَّا يَقُولُونَ﴾. أحمد - المسند (١٠٣/٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

(١) بالتحانية حمزة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكر. ومنهم من فسل؛ فإن وقع صرعه على أحد في البيت فسلم السلام ولا تقدم الاستئذان ثم يسلم. (٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أأج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «خرج إلى هذا فعلمه الاستئذان قل له: قل: السلام عليكم أَدْخُلْ»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أَدْخُلْ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).



أَذِنَهَا فَأَنْتَ حَقٌّ يَقُولُ: «قِيلَتْ» ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِن مَّالِ اللَّهِ﴾ الَّذِينَ مَأْنَسْتُمْ ﴿ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإتياء حط شيء مما التزموه﴾ وَلَا تَكْفُرُوا فَيَنْبَغِيكُمْ ﴿إِماءكم﴾ عَلَى الْإِعْلَافِ ﴿الزنا﴾ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصُّنًا ﴿تعففا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط﴾ ﴿لِيَنْتَبَهُوا﴾ بِالْإِكْرَاهِ ﴿عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَنِّي كَانَ يُكْرِهُ جَوَارِيهِ عَلَى الْكَسْبِ بِالزَّانَا ﴿وَمَنْ يَكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفْوَ﴾ لَهُنَّ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِنَّ<sup>(١)</sup>.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مَائِدَتِ مَائِدَتِ﴾ بفتح الباء وكسرهما<sup>(٢)</sup> في هذه السورة، بين فيها ما ذكر، أو بينة<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَقَالًا﴾ خبراً عجيباً؛ وهو: خبر عائشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَّوْا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: من جنس أمثالهم؛ أي: أخيارهم العجيبة؛ كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> إلخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾<sup>(٦)</sup> إلخ ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ أَنْ تُعَوِّدُوا﴾<sup>(٧)</sup> إلخ، وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المتنفعون بها.

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورها بالشمس والقمر ﴿مِثْلُ نَوْرِهِ﴾ أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كَيْشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْيَضَاحٌ فِي رُجَائِكُمْ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج؛ أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة؛ أي: الأنبوبة في القنديل ﴿الرُّجَائِكَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوَكَبٌ﴾ [دُرِّيَّة] أي: مضيء، بكسر الدال وضمها<sup>(٨)</sup> من الدرء؛ بمعنى: الدفع؛ لدفعها الظلام، وضمها وتشديد الباء<sup>(٩)</sup> منسوب إلى الدُرِّ: اللؤلؤ ﴿تَوْقَدُ﴾ المصباح، بالماضي<sup>(١٠)</sup>، وفي قراءة<sup>(١١)</sup> بمضارع أوقد منيئاً للمفعول بالتحانية، وفي أخرى<sup>(١٢)</sup>: ﴿تَوْقَدُ﴾ بالفوقانية؛ أي: الرجاجة ﴿مِنْ زَيْتٍ﴾ زيت ﴿سَجَرٍ مَبْرُكٍ زَيْتُونٍ لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ﴾ بل بينهما؛ فلا يتمكن منها حرٌّ ولا برد مضرب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُورٌ﴾ به<sup>(١٣)</sup> ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار، ونور الله: أي: هده للمؤمن نور عسى نور الإيمان ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَنْ بَشَاءَ وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَنْتَ لِّلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا؛ فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ يَكْفِي شَيْءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

[٣٦] ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أَوَّنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرها<sup>(١٤)</sup>؛ أي: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ﴾ مصدر؛ بمعنى: الغدوات؛ أي: البكر ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

وَأَنذَرْتَهُمْ أَلِيبَتِي مِنْكَ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ<sup>(١٥)</sup> وَلَيْسَ تَعْفَى الَّذِينَ لَا يَحْذَرُونَ ذِكْرًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآؤُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبِيتُكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفْوَ رَجِيمٌ<sup>(١٦)</sup> وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ<sup>(١٧)</sup> \* أَنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْ شَكْوَفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْيَضَاحٌ فِي رُجَائِكُمُ الرُّجَائِكَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبْرُكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(١٨)</sup> فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ<sup>(١٩)</sup>

[٣٧] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَلِيبَتِي مِنْكَ﴾ جمع «أليم»؛ وهي: من ليس لها زوج يكرها كانت أو تبيها، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وعباد من جموع «عبد» ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ خلقه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بهم.

[٣٨] ﴿وَلَيْسَ تَعْفَى الَّذِينَ لَا يَحْذَرُونَ ذِكْرًا﴾ ما يذكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا ﴿حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ فينكحون ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: المكتابة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها - مثلاً -: كاتبتك على أنفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا

(١) م حاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي اسلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرهما على الزنا، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأمر الله: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا فَيَنْبَغِيكُمْ عَلَى الْإِعْلَافِ﴾ إلى قوله: ﴿عَفْوَ رَجِيمٌ﴾. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(٢) أي: ليس إرادتهن التحضن شرطاً للنهي؛ فإكراههن حرام على كل حال. (٣) أي: هي بينة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية. (٤) النور: ٢. (٥) النور: ١٢. (٦) النور: ١٦. (٧) النور: ١٧. (٨) أي: مع الهرمة، والكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة. (٩) لباقى السعة. (١٠) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (١١) لتافع وابن عامر وحفص. (١٢) لحمزة والكسائي وشعبة. (١٣) أي: بالزيت. (١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

[٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل: له، و﴿رِجَالٌ﴾ فاعل فاعلي مقدر جواب سؤال مقدر؛ كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً﴾ شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ﴾ حذف هاء «إقامة» تخفيف ﴿وَلَيْلَهُ الزَّكَاةُ يُخَافُونَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ من الخوف؛ القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي البين والشمال. هو يوم القيامة.

[٣٨] ﴿لِيُزَيِّدَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ثوابه ﴿وَأَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَزِيدُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿يَقَالُ﴾ فلان ينفق بغير حساب؛ أي: يوسع؛ كأنه لا يحسب ما ينفقه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أََعْمَلَهُمْ كُتُبٌ يَفِيعَةٌ﴾ جمع قاع؛ أي: في فلاة، وهو شعاع يرمى فيها نصف النهار، في شدة الحر، يُشْبِهُ الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّالِمَانِ﴾ أي: العطشان «مَاءً حَيًّا» إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، مما حسبه؛ كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفقه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله؛ أي: لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: عند عمله ﴿نُوقَهُ حِسَابَهُ﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازة.

[٤٠] ﴿أَوَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ﴾ كُطِلْمَتٌ فِي بَحْرِ لُجِّي ﴿عَمِيقٌ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظَلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُمُ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ نُورًا فَمَا لَهُمْ نُورٌ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

[٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسييح صلاة ﴿وَالطَّيْرِ﴾ جمع طائر، بين السماء والأرض ﴿صَلُّوا لَهُ﴾ حال؛ باسقاط أجنحتهم ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللَّهُ ﴿صَلَاتَهُمْ وَسُبْحَهُمُ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿فِيهِ تَغْلِبُ الْعَاقِلُ﴾.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَالنَّارِ﴾ أَلُو المَصِيرِ ﴿الْمَرْجِعُ﴾.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُزَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ يضم

رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِهِ الزَّكَاةُ يُخَافُونَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيُزَيِّدَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَزِيدُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كُتُبٌ يَفِيعَةٌ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانِ مَاءً حَيًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ نُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ كُطِلْمَتٌ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ نُورٌ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَتُرْجَعُ بَيْنَهُ ثُمَّ يُجْعَلُهُ رِجَالًا فِيهَا مِنْ مُّزْنٍ فَيُمْسِكُ بَيْنَهُمْ رِجَالَهُمْ بِقُوَّتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْهَمُونَ ﴿٤٣﴾

بعضه إلى بعض؛ فيجعل القُطْعَ المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُ رِجَالًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدَّكَ﴾ المطر ﴿يُخْرُجُ مِّن جُلُودِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيَنْزِلُ مِّن السَّمَاءِ مَن رَّائِدَةً﴾ رائدة ﴿يَجَالِي فِيهَا﴾ في السماء، بدل إعادة الجار ﴿مِن بَرِّ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ مَن يَشَاءُ يَكَادُ يَكْبُحُ﴾ يقرب ﴿سَكَّ بَرْقِيَّةٍ﴾ لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ الناظرة له؛ أي: يخطفها.

البصائر على قدرة الله - تعالى.

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ أَيْ: حيوان ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ نطفة<sup>(١)</sup> ﴿فِيهِمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهايم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبِينَاتٍ﴾ أي: بينات، هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿وَأَمَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ ههنا فيما حكّمنا به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى يَكُونُ﴾ يُفِرُّش ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن المحيي إليه [٤٩] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ مسرعين طائعين.

[٥٠] ﴿أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمْ أَرْبَابًا أُوتُوا﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَحْقِرُونَ﴾ أَن يَحْفَظَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴿فِي الْحُكْمِ﴾ أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فالقول اللاتق بهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأَوْلَيْكَ﴾ حيثنذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون.

[٥٢] ﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ يخافه ﴿[وَبِتَقِيهِ]﴾ بسكون الهاء وكسرهما<sup>(٢)</sup>؛ بَأَنْ يَطِيعَهُ ﴿فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة.

[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها ﴿لَنْ أَمْرُنَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ﴾ لهم: ﴿لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ﴾ للنبي خيرٌ من قسَمِكُم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

يُقَابِلُ اللَّهَ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾  
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ ﴿٥٠﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ أَرْبَابًا أَمْ يَحْقِرُونَ أَن يَحْفَظَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمْرُنَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٤] ﴿يُقَابِلُ اللَّهَ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقلاب ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة. وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلاص من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد أوجهيه، وإن ذكوان في أحد وجهيه، والبايون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلاص في الوجه الثاني.





﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكرهن ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الحللب والرداء والقناع فوق الحمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ مظهرات ﴿زِينَةً﴾ خفية؛ كفلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرَ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابلهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم <sup>(١)</sup> ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَمَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾ خزنتموه لغيركم <sup>(٢)</sup> ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ <sup>(٣)</sup> متفرقين، جمع «شتت»، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكله بترك الأكل <sup>(٤)</sup> ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها <sup>(٥)</sup> ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةٌ﴾ مصدر «حيّا» ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ثياب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِفُّوا كَمَا اسْتَعَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَمَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ فَيَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَيْرٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِفُّوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَعَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار

(٥٩) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْقَبْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْنَكُمْ يَدَايِي﴾ فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية؛ فنسخ ذلك الآية التي في التور؛ قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

- (١) وهو قول غير واحد من المفسرين، قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله، والدليل أنه تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالككم، أضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنتكم التي فيها أهاليكم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.
- (٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمثاتهم، ويقولون لهم: قد أحللتناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أدنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمعاء؛ فنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨) رقم (١٤٨٧٥)، والبراز في مسنده (٦١/٣)، رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البراز ورجاله رجال الصحيح». ووضحه في الاستيعاب (٥٩٢/٢)، (٥٩٣).
- (٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في المنر المنظر. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).
- (٤) الأظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فشمّل بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في بيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: المسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغاً... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضهم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ أي: الرسول ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لغرض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا إِلَىٰ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَإِذْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالاستئذان ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).  
 [٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ بأن تقولوا: «يا محمد»، بل قولوا: «يا نبي الله، يا رسول الله» في لين وتواضع وخفض صوت ﴿فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَفَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، و﴿فَقَدْ﴾ للتفريق (٢) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: الله ورسوله ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.  
 [٦٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَقَدْ يَعْلَمُ مَا أُنْتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق.  
 ﴿وَيَعْلَمُ﴾ يوم يرجعون إليه ﴿فِيهِ تَنفِثَاتٌ﴾ عن الخطاب؛ أي: متى يكون ﴿فِيئْتُهُمْ﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ من الخير والشر ﴿وَاللَّهُ يَكْتُلُ شَيْءًا﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا إِلَىٰ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٣) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَفَّاكُمْ لَوْأَفَّاكُمْ أَفَلَا يَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أُنْتُمْ عَلَيْهِ وَعَمَّا تُرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيُئْتِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٥)

## سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

[٢] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ سواء تشويهاً.

## سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[مكية إلا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿رَجِيمًا﴾ فمدني، وهي: سبع وسبعون آية، نزلت بعد يس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ تَعَالَى﴾ الذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴿الْقُرْآنَ﴾؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن دون الملائكة ﴿نَذِيرًا﴾ مخوفاً من عذاب الله.

(١) هالدة: أخر أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية، نسخها التي في النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القبول بعد النهي. وحسنه الألباني. في صحيح سنن أبي داود (٢٧٧١).

(١) راجع التعليق على آية (١٠٣) من سورة النحل؛ في دخول «قد» على الفعل المضارع.  
 (٢) قال ابن كثير: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم؛ من كفر أو نفاق أو بدعة.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ  
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا  
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا  
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا  
وَزُورًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى  
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ  
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾  
وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي  
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذِيرًا ﴿٥﴾  
أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ  
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦﴾ أَنْظِرْ  
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ  
سَبِيلًا ﴿٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٨﴾ بَلْ  
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٩﴾

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره  
﴿إِلهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

لأنفسهم ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا  
حَيَاةً﴾ أي: إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بعثًا للأموات.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا﴾ ما القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب  
﴿أَفْتَرْتَهُ﴾ محمد ﴿وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال  
- تعالى -: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا؛ أي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ أيضًا: هو ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة،  
بالضم ﴿اِكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك <sup>(١)</sup> القوم بغيره <sup>(٢)</sup> ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾  
تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشيًا.

[٦] قال - تعالى - ردًّا عليهم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ  
لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذِيرًا﴾ يصدقه.

[٨] ﴿أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في  
الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾  
أي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿يَأْكُلُ﴾ بالنون <sup>(١)</sup>؛ أي: نحن،  
فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين  
﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور، والمحتاج  
إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾  
الذي قالوه من الكثر والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: في  
الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيها إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾  
أيضًا، وفي قراءة: بالرفع <sup>(٤)</sup> استئنافًا.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ  
سَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة؛ أي: مشتدة.

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسبات أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحزمة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا أَلْهَاتِهِمْ نَدْوَةً وَرَئِيكَ  
 وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا  
 ١٢ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا  
 قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ  
 لَهُمْ جَرَءٌ وَمَصِيرًا ١٣ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ  
 كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ١٤ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا  
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَسْأَلُكُمْ عِبَادِي  
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ ١٥ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ  
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ  
 وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا آلَ الَّذِينَ رَكِبُوا فَكُلُّوا أَوْقَوْمًا بُورًا ١٦  
 فَقَدْ كَذَّبُكُمْ بَمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا  
 وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ فَنُكْرُ نُدْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٧  
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ  
 الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ  
 لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ١٨ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ١٩

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا أَلْهَاتِهِمْ نَدْوَةً﴾ كالغضببان إذا غلَى صُدُورُهُ مِنَ الغضب ﴿وَرَئِيكَ﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التعيظ رؤيته وعلمه<sup>(١)</sup>.

[١٣] ﴿وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup>؛ بَأَن يَضِيقَ عَلَيْهِمْ، وَ﴿مِنْهَا﴾ حَالٌ مِنْ ﴿مَكَانًا﴾ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ لَهُ ﴿مُقَرَّبِينَ﴾ مصفدين قد قرنت - أي: مجيعة - أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ﴾ هَا ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه - تعالى - ﴿جَزَاءً﴾ ثَوَابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وَغَدُهُمْ مَا ذَكَرَ ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ يسأله من وُعد به: ﴿رَبَّنَا وَآيَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ﴾<sup>(٣)</sup> أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ - تعالى - بالتحتانية والنون<sup>(٦)</sup> - للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿أَسْأَلُكُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْبَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفًا وَتَسْهِيلِهَا وَادْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِهِ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿أَسْأَلُكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أوقعتهم في الضلال بأمرهم بإيادهم بعبادتهم ﴿أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿وَمَا كَانَ يَنْبَغِي﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول، و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني<sup>(٨)</sup> فكيف تأمر بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا آلَ الَّذِينَ رَكِبُوا﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى.

[١٩] قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين ﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية<sup>(٩)</sup>، أنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية<sup>(١٠)</sup>؛ أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يظْلِمِ﴾ يشرك ﴿وَنُكْرُ نُدْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ تَلِيَّةً؛ أَتْلِي الغني بالفقير، والصحيح بالمرضى والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كُلِّ: ما لي لا أكون كالأول في كُلِّ؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون من ابتليتكم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر ومن يجزع.

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التعيظ وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحتانية؛ يعني: الباء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ قاتلون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقيّة السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: بتألف العشرة.

(١٠) بالياء قراءة السبعة عدا حفص.

لخير؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يُرى في الكوى التي عليها الشمس؛ كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم؛ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث<sup>(٢)</sup>.

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَسْهَاءُ﴾ أي: كل سماء ﴿وَالْغَمَمُ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَرَيْنَ الْمَلَكِئَةِ﴾ من كل سماء ﴿تَزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشْقَى﴾<sup>(٣)</sup> بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿تَنْزِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> بنونين الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الْمَلَكِئَةِ﴾.

[٢٦] ﴿الَّذِينَ يَوْمِئِذٍ لَّحَقَّ لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاءً لإيماني بن خلف<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتبعية ﴿لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَقُولُنَّ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: وبلتي؛ ومعناه: هلكني ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا﴾ أي: أُنثى<sup>(٦)</sup> ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَصْلَانِي مِنَ الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن ردني عن الإيمان به، قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَدُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَدْرِبَ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريباً ﴿أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً.

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قلبك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصراً لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ حُمْلَةً﴾ كالنورة والإنجيل والربور، قال - تعالى -: نزلناه ﴿كَذَلِكَ﴾ متفرقاً ﴿لِنُنْزِلَ﴾ به ﴿فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَنُزِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أُنثى به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤددة؛ لتيسير فهمه وحفظه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ \* ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيُقُولُونَ جَبْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَرْتِيلًا﴾ ﴿الَّذِينَ يَوْمِئِذٍ لَّحَقَّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَقُولُنَّ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَصْلَانِي مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرِبَ إِنَّ قَوْمِي أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلهم رؤية الله - تعالى - في الدنيا، و﴿عَتَوْا﴾ بالواو على أصله، بخلاف ﴿عَتَبًا﴾ بالإبدال في مريم<sup>(١)</sup>.

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلاق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيُقُولُونَ جَبْرًا مَحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عوداً معاداً؛ يستعبدون من الملائكة<sup>(٢)</sup>.

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من

(١) يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَشَدَّ عَلَىٰ أَرْعَافِنَا عِتِيًّا﴾.

(٢) هذا قول ابن جرير كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه، واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة، أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(٣) الظاهر أن المراد المناظرة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغ في المعنى والأقرب في الفرق بين حال الفريقين؛ فلزمون مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فإلى من وعد دياراً من وعيد. وأما قوله: ﴿عَتَوْهُمْ﴾، فهو من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(٤) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٥) نافع وابن كثير وابن عامر.

(٦) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أي بن خلف رجع إرضاءً لعقبة، روى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأممية بن خلف. [الدبر المشهور (١٢٥/٥ - ١٢٧)]. وضعها كلها في الاستيعاب (٩/٣ - ١٥).

(٨) يعني أي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسبق بيان ضعف هذا القول وغيره.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جُنَاحٌ أَلْحَقَ﴾  
الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ يئانا.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾  
أَوْثَانًا سَكَنًا مَّكَانًا هو جهنم ﴿وَأَصْلُ سَيِّلًا﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم؛  
وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ﴾  
هَارُونَ وَزِيرًا مُعِينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط  
فرعون وقومه، فذهب إليهم بالرسالة؛ فكذبوهم ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ﴾ ندمركم  
أهلكناهم إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ﴾ قَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ بتكذيبهم نوحاً  
لطول لبثه فيهم؛ فكانه رُسلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرُّسل لاشترآهم  
في المجيء بالتوحيد ﴿أَعْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾  
بعدهم ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ الكافرين  
﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَذَكَرْ﴾ أذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَمُؤَدَّةَ﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ﴾  
الرَّسِّ اسم بحر<sup>(١)</sup>، ونيهم قيل: شعب، وقيل: غيره، كانوا قعوداً حولها؛  
فانهارت بهم وبمنارلهم ﴿وَقَوْمًا﴾ أقواماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ كثيرًا أي: بين عاد  
وأصحاب الرِّس.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم  
إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ أي: مَرَّ كُفَّارٍ مكة ﴿عَلَىٰ أَقْرَبَةٍ﴾ أَيُّ أَقْرَبَةٍ مَطَرٌ  
السَّوْدُ مصدر ساء؛ أي: بالبحجارة؛ وهي: غططى قَرَى قَوْمِ لُوطٍ؛ فأهلك الله  
أهلها لفسادهم الفاحشة ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِرَبِّهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام؛  
فيحتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا﴾  
بعثاً؛ فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ إن ﴿مَا﴾ ﴿يَسْخَرُونَكَ﴾ [هَرُؤًا]<sup>(٢)</sup> مَهْزُوءًا بِهِ،  
يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محقرين له عن  
الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ﴾

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَاحٌ أَلْحَقَ وَاحْسَنَ تَقْسِيرًا  
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ  
سَكَنًا مَّكَانًا وَأَصْلُ سَيِّلًا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا أَهْبَا  
إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا  
وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَعْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ  
ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَثَمُودًا  
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكُلًّا  
ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا وَلَقَدْ أَنزَلْنَا  
أَقْرَبَ إِلَيْنَا أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْدًا أَفَلَا يَكْفُرُونَ بِرَبِّهِمْ  
بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَسْخَرُونَكَ  
إِلَّا هَرُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ  
لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ  
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْجُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا أَرَأَيْتَ  
مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

لِيُضِلَّنَا يصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها،  
قال - تعالى -: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْجُونَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة  
﴿مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا﴾ أخطأ طريقاً، أهم أم المؤمنون؟  
[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويه، قدم  
المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنْ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول ﴿أَرَأَيْتَ﴾، والثاني:  
﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(٥) فائدة: أخرجه البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحسن الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أشبه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»، قال قتادة: بلى وعرة ربنا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرِّس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرِّس» فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك بن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورة في سورة «يس». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحزمة، وقرأ حمزة: ﴿هَرُؤًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هَرُؤًا﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٧﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِيَأْسَاوُا النَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٠﴾ لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْ آسَى كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٣﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٧﴾

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ خفيًا بطلوع الشمس.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِيَأْسَا﴾ سأتوا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للبدان؛ بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منشورًا فيه لا ابتغاء الرزق وغيره.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة: ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفًا<sup>(١)</sup>، وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر<sup>(٢)</sup>، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون<sup>(٣)</sup>؛ أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول، والأخيرة: بشير ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرًا.

[٤٩] ﴿لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ إبلًا وبقرة وغنمًا ﴿وَأَنْ آسَى كَثِيرًا﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ أصله: يذكروا؛ أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾<sup>(٤)</sup> بسكون الذال وضم الكاف؛ أي: نعمة الله به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للنعمة؛ حيث قالوا: مطرنا ينوء كذا.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرًا؛ ليعظم أجرك.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ سترًا ممنوعًا به اختلاطهما.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبًا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرًا على ما يشاء<sup>(٥)</sup>.

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ للشیطان بطاعته.

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتبعها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيمًا لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلول الشمس ما عرف الظل.

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي حمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) حمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه - سبحانه - ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى.



[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَخِدْ﴾ ربه. سبيلًا ﴿طَرِيقًا يَنْفَاقُ﴾ ماله في مرضاته تعالى. فلا أمتعته من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الذي لا يموت ﴿وَسَمِعَ﴾ متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: قل: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُوبًا عِادُوهُ﴾ خيرًا ﴿عَالِمًا﴾ تعلق ﴿بِهِ﴾. يذُوبُ ﴿بِهِ﴾.

[٥٩] هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خللقهن في لحظة، والعدل عنه لتعليم خلقه الثبوت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرى الملك ﴿الْعَرْشُ﴾ بدل من ضمير ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: استواء يليق به ﴿فَسَخَّلَ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِ﴾ بالرحمن ﴿خَيْرًا﴾ يخبرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والاحتانية<sup>(١)</sup>، والأمر محمد ولا نعرفه؛ لا ﴿وَرَأَاهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿فَقُولُوا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال - تعالى -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث؛ وهي منازل الكواكب السبعة اسبارة: المريخ وله الحمى والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوث، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضًا ﴿سُبُحًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُبِينًا﴾، وفي قراءة: ﴿سُجُجًا﴾<sup>(٢)</sup> بالجمع؛ أي: نيرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ بالشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup> - كما تقدم -: ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوَّارَادَ شُكْرًا﴾ أي: شكرًا لنعمة ربه عليه فيها.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾<sup>(٤)</sup> غير المعرض فيه<sup>(٥)</sup> ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَمًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الذي لا يموت ﴿وَسَمِعَ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُوبٌ عِبَادُهُ خَيْرٌ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ ﴿فَسَخَّلَ بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُبِينًا﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوَّارَادَ شُكْرًا﴾ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

بمعنى: قاتمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازمًا.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي: أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ عن عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه<sup>(٦)</sup>؛ أي: يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿يَبْتَكَ﴾ ذلك ﴿الإسراف﴾ والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطًا.

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فهم السلف وقدرهم.

(٢) بآلاء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو - أعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ - خبر المبتدأ، على اختيار المفسر، وبحتم أن يكون الخبر قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الحمل الاعتراضية؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَقَعْلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية (الفرقان: ٦٨)، إلى قوله: ﴿مَتَابًا﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر الناء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الباء فمع كسر الناء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقى السبعة.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك<sup>(١)</sup>.

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَرِذَاءُ رُشْدًا﴾ باللفظ من الكلام القبيح وغيره ﴿مُتَرَاتِبًا كَرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوْا﴾ يستقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد<sup>(٢)</sup> ﴿فَشَرًّا أَغْنَيْ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الحير.

[٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿يَمًا صَبْرًا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء<sup>(٣)</sup> ﴿فِيهَا﴾ في الغرة ﴿حَبِيبَةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿خَلِيدِينَ﴾ فيها حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا موضع إقامة لهم، و﴿أُولَٰئِكَ﴾ وما بعده خير: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعْبُدُونَ﴾ يكثر ﴿يَكْفُرُ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعابكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِرِئَاءِ﴾<sup>(٤)</sup> ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

\*\*\*

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوَامِرِ وَكِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا غَيْرَ وَلَٰعِنًا لِلْمُتَّقِينَ ۖ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ۖ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

## سورة الشجر

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحدًا من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بالتشديد<sup>(١)</sup> ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلًا، وبرفعهما<sup>(٢)</sup>: استئنافًا ﴿مُهَانًا﴾ حال.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ - ٧٠): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناشأ من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؛ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَكِبَاؤِ الَّذِينَ آمَنُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْبَلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله بذا وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حلية جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(٥٥) فائدة: أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقر، والروم، والبطشة، والارام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكت. البخاري - كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لاس كثير وابن عامر.

(٢) بالرفع فيهما لشدة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر - كما سبق بيانه.

(٣) بالإفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

## سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مكية إلا: «وَالشُّعَرَاءُ» إلى آخرها فمديني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة(\*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَمَ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات «يَكْتُبُ الْكِتَابَ» القرآن، والإضافة بمعنى: من «الْبَلِيَيْنِ» المظهر الحق من الباطل.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد «تَجْعُ نُفْسَكَ» قاتلها غما من أجل «أَلَّا يَكُونُوا» أي: أهل مكة «مُؤْمِنِينَ» و«لعل» هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٤] ﴿إِنْ تَشَاءُ نَزِلَ عَلَيْنَا مِنْ أَلَمَاءَ﴾ أي: فطَلَّتْ بمعنى المضارع؛ أي: تطل؛ أي: تدوم «أَعْنَتُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ» فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها؛ جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

[٥] «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ» قرآن «مِنَ الرَّحْمَنِ مُخْتَصِرٌ» صفة كاشفة<sup>(١)</sup> «إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ».

[٦] «فَقَدْ كَذَّبُوا» به «فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا» عواقب «مَا كَانُوا يَوَّيَّسُونَ».

[٧] «وَلَمْ يَرَوْا» ينظروا «إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا» أي: كثير؛ «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» نوع حسن.

[٨] «إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ» دلالة على كمال قدرته - تعالى - «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» في علم الله، و«كَانَ» قال سيبويه: زائدة.

[٩] «وَلَنْ نَرْكَبَ لَهْوَ الْعَزِيزِ» ذو العزة ينتقم من الكافرين «الرَّجِيمِ» يرحم المؤمنين.

[١٠] «ذِكْرٌ» اذكر يا محمد لقومك «إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى» ليلة رأى النار والشجرة «أَنْ» أي: بأن «أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» رسولاً.

[١١] «قَوْمٌ فَرَعَوْنُ» معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم «أَلَّا» الهمة للاستفهام الإنكاري «يَقْنُوءُ» الله بطاعته فيوجدونه؟

[١٢] «قَالَ» موسى: «رَبِّ إِنِّْي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ».

[١٣] «وَنَضِيقُ صَدْرِي» من تكذيبهم لي «وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي» بأداء الرسالة للعقدة التي فيه «فَأَرْسِلْ إِلَيَّ أَخِي» هَسْرُونَ معي.

[١٤] «وَقَتْمٌ عَلَى ذَنْبٍ» بقتل القبطي منهم «فَأَمَّا أَنْ يَقْتُلُونِ» به.

[١٥] «قَالَ» - تعالى - «كَلَّا» لا يقتلونك «فَادْهَبَا» أي: أنت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ تِلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ لَعَلَّكَ بَنِعْ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ تَشَاءُ نَزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةٌ فَطَلَّتْ أَعْنَتُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ أُولَئِكَ رَوَّاءُ إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فَرَعُونَ أَلَا يَتَقَوُّونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَنَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَدًى وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ فَادْهَبَا بِأَيَّتِنَا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ فَأَتَيَا فَرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالَ أَلَمْ نَرْبِكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكَ سَيْنِينَ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

وأعورك، فيه تغليب الحاضر على الغائب «وَيَايُنَّتَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة.

[١٦] «فَأَتَيَا فَرَعُونَ قَوْلًا إِنَّا» كَلَامًا «رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» إليك.

[١٧] «أَنْ» أي: بأن «أَرْسِلْ مَعَنَا» إلى الشام «بَنِي إِسْرَءِيلَ» فأتياه فقالا له ما ذكر.

[١٨] «قَالَ» فرعون لموسى: «أَلَمْ نَرْبِكَ فِيْنَا» في منازلنا «وَلِيدًا» صغيرًا قريبًا من الولادة بعد قطامه «وَلِئْتَ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكَ سَيْنِينَ» ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه، وكان يسمى ابنه.

[١٩] «وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ» هي قتله القبطي «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» الجاحدين لنعمتي عليك بالترية وعدم الاستعداد.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن معديكر قال: ثبنا عبد الله أن يقرأ علينا: «طَسَمَ» الماتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ: خباب بن الأرت. قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: «طَسَمَ» الماتين؛ بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣/٣٦٦).

(١) وهذا جريا على مذهب الحفسر أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه «شخانة» لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ موسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؛ أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ﴿وَلَا يَكُن سَبِيلَ الْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ﴾ - تعالى - وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه موسى - عليه الصلاة والسلام - ببعضها: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بأنه - تعالى - خالقه؛ فأمنوا به وخذوه.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا - وإن كان داخلاً فيما قبله - يغيظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم تتقون؛ أنه كذلك فأمنوا به وخذوه.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلَكَ مِنَ السَّجُونِ﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وخذله لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أنفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ بوهان بين على رسالتي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءَ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّظِيرِ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(١)</sup>.

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إن هذا لَسِحْرٌ عَلَيْكَ فائق في علم السحر.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾

[٣٦] ﴿قَالُوا أَزِجُّهُمَا وَنَكْرِهُمَا أَهْوَىٰ مِنْكَ بَلْ تُدْرِكُهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ لَا يُخْلَوْنَ﴾ جامعين.

[٣٧] ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيَلْقَىٰ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٣﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ أُولَوْجِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٥﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءَ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا أَزِجُّهُمَا وَنَكْرِهُمَا أَهْوَىٰ مِنْكَ بَلْ تُدْرِكُهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ لَا يُخْلَوْنَ ﴿٣٩﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٤٠﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤١﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وقدّر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار<sup>(١)</sup>.

(١) أي: «أوتلك».

(٢) أي: السحرة.



ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَنفَلْنَا﴾ قربنا ﴿نَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلخوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَنفَلْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطابق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَايَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «آسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف <sup>(١)</sup>.

[٦٨] ﴿وَلَرَبَّكَ لَهُمُ الْعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الْجِيمُ﴾ بالمؤمنين؛ فأناهم في الغرق.

[٦٩] ﴿وَأَنزَلْنَا عَذَابَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأًا﴾ خبر ﴿إِذْ هُمْ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنُظَلُّ هَا عَذَابَيْنِ﴾ نقم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يُسْمِعُونَكَ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ؟﴾

[٧٣] ﴿أَوْ يَسْمَعُونَكَ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَصْرُخُونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟﴾

[٧٦] ﴿أَنشُرْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَنشُرْ عَذْرَ لِي﴾ لا أعبدكم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإني أعبد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُبْرِئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ النبين.

فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦٤﴾  
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ  
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾  
وَأَرْفَلْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَنفَلْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٨﴾  
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧١﴾  
وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٣﴾  
قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَظَلُّ لَهَا عَيْنٌ قَالُوا هَلْ  
يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا  
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ أَنشُرْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَذْرَ لِي  
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي  
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي  
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي  
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٤﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ يدركننا جفجف فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره<sup>(١)</sup> ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

[٦٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سكوها لم يبتل منها سرج الراكب

(١) هذا من لوازم معيته . شجاعته . الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته . شجاعته . مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتها الصلبة اللافة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستوثاً على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصححه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً، وفيه أن موسى <sup>(عليه السلام)</sup> في قصة خروجه من مصر وسؤاله عن قبر يوسف لينقشه معه فدلته عجوز بشرط أن تكون معه في الحنة... وأخرجه أيضاً أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١٠): «رجل أبي يعلى رجلاً الصحيح».

[٨٤] ﴿وَأَعِزِّلِي لِسَانَ صِدِّيقٍ ثَنَاءً حَسَنًا﴾ فِي الْآخِرِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ  
بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ﴿مَنْ يَعْطَاهَا.

[٨٦] ﴿وَأَنفِرْ لَأَيِّ إِنَّا كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ بأن تتوب عليه؛ فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ <sup>(٩)</sup> تَفْضَحْنِي ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الناس.

[٨٨] قَالَ - تَعَالَى - فِيهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أَحَدًا.

[٨٩] ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ مَن آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَمِيمٍ ﴿٨٩﴾ من الشرك والنفاق؛ وهو: قلب المؤمن؛ فإنه ينفعه ذلك.

[۹۰] ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾ ﴿فِيرونها﴾.

[٩١] ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[۹۲] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾؟

[٩٣] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكَ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.

[٩٤] ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ﴿أَلْقُوا﴾ ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ .

[٩٥] ﴿وَجُنُودَ إِبْلِيسَ﴾ أَتْبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ .

[٩٦] ﴿قَالُوا﴾ أي: الغاؤون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم:

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنَّا﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كُنَّا﴾  
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿يَسِّنْ﴾.

[٩٨] ﴿إِذْ﴾ ﴿حَيْثُ﴾ ﴿تُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فِي الْعِبَادَةِ﴾.

[٩٩] ﴿وَمَا أَضَلَّتْ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا الْعَجَمُونَ﴾ أي: الشياطين، أو: أولونا الذين اقتدينا بهم.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

[۱۰۱] ﴿وَلَا صَدِيقَ حَمِيمٍ﴾ يهمه أمرنا.

[١٠٢] ﴿فَلَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لَوْ﴾ هنا للتمني، و«نكون» جوابه.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ .

[١٠٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له؛ لاشتراكهم في الجبيء بالتوحيد؛ أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيت ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار معناه،

وتذکیرہ باعتبار لفظہ.

[۱۰۶] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ﴾ نسباً ﴿نُوحٌ أَلَا نُنْقِوْنَ﴾ الله؟

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَادَ أَرْضِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ أَرْضُ قَرَّةٍ وَغَبَرَةٌ، يَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْتَصِي؟» يَقُولُ أَبُوهُ: فَايُمُ لَا أَعْصِيكَ. يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: بَارِبْ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَحْزَنِي يَوْمَ يَمُوتُونَ؛ فَأَمَّا خِزْيُ أَحْزَمَى مِنْ أَبِي الْأَعْدَا؟» يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْحَنَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رَجْلِكَ، فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ مُطْلَقٍ فَيُحِذُّ بِقَوَائِمِهِ يَلْقَى فِي النَّارِ. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨)، وأخرجه مختصراً في كتاب التفسير (٦٥) سورة الشعراء (٧٦) باب (١) ﴿وَلَا تُخْفِ بِمَن يَعْتَكِرُ﴾.

قال الحافظ: «وصف نفسه بالأبعد عن طريق الغرض إذا لم يُعَمِل شغافته في أيّهم، وقيل: «الأبعد الصفة أيّهم، أي إنه شديد البعد من رحمة الله...» وقيل: «الأبعد» بمعنى البعيد، والمراد الهالك...»  
قال الحافظ: ويؤيد الأول رواية: «إن أُعْزِيتْ أُمِّي فَقَدْ أُعْزِيتِ الْأَبْدَةَ، الفتح (٣٥٨/٨)، (٣٥٩) بتصرف يسير.

و«البَيْخُ»: ذكر الضباع. وقيل: لا يقال له: «ذبيح» إلا إذا كان كثير الشعر.

وبله (ملطوع): أي في رجيته؛ فبتمرغ في تنه. وذكر الحافظ أن اللحم من مسخ: زر تفسيره نفس إبراهيم منه؛ ثلاثا يعني في النار على صورته فيحل فيه عضاضه على إبراهيم. الفتح

(٣٥٩/٨) بتصرف.

(١) وهي عشرية ليعقوب، لا سبعة.

قَالَ وَمَا عَلِيٌّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي  
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ  
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ  
رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبِخْتِي وَمَنْ  
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ  
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ  
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ  
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ  
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾  
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾  
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ  
﴿١٣٣﴾ وَحَتَّى وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلِيٌّ﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

تعلمون ذلك ما يجذموهم.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشمع.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ أي: احكم ﴿وَبِخْتِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناءً علماً للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمر بهم وتسبحون منهم، والجملة حال من ضمير «تنبون».

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ﴾ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَضْرِبٍ أَوْ قَتْلٍ﴾ بضم طاء ﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير رافة.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَحَتَّى وَعُيُونٍ﴾ بساتين ﴿وَبُيُوتٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مشقو عذابنا ﴿أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً؛ أي: لا نرعو لوعظك.



[١٣٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي نَحْنُفَتْنَا بِهِ ﴿إِلَّا﴾ [خَلَقُ] <sup>(١)</sup> الْأَوَّلِينَ ﴿أَي﴾: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الحاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعاداتهم.

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنْ﴾ في ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ كَذَبَتْ نُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي أَلْعَالَمِينَ ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلَعَهَا هُضَيْمٌ﴾ وَتَنَجَّيُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتَا فَرِهَيْنِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي رِهَيْنِ ﴿حَاقِقِينَ﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

[١٤٠] ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ كَذَبَتْ نُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي أَلْعَالَمِينَ.

[١٤١] ﴿كَذَبَتْ نُمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي أَلْعَالَمِينَ.

[١٤٣] ﴿إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي أَلْعَالَمِينَ﴾ [١٤٦] ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ من الخيرات ﴿وَأَمِينٌ﴾.

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٤٨] ﴿وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلَعَهَا هُضَيْمٌ﴾ لطيف لين. [١٤٩] ﴿وَتَنَجَّيُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتَا﴾ [قرهين] <sup>(٢)</sup> بطيرين، وفي قراءة: ﴿فَرِهَيْنِ﴾ حاققين.

[١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به. [١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم.

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ بظلم العذاب.

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا بَعَثْتُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيبِينَ﴾ على عَقَرَهَا.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنْ﴾ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٥٩] ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [١٦٠] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ بظلم العذاب.

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ كَذَبَتْ نُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي أَلْعَالَمِينَ ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلَعَهَا هُضَيْمٌ﴾ وَتَنَجَّيُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتَا فَرِهَيْنِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيبِينَ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا بَعَثْتُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيبِينَ﴾ على عَقَرَهَا.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنْ﴾ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٥٩] ﴿وَأِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلَقُ﴾ بضم الحاء واللام.

(٢) لتافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿فَرِهَيْنِ﴾.

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦٠﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ النَّاسُ؟

﴿١٦١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَيُّ أَقْبَالِهِمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٢﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿١٦٣﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَتَنَزَّ عَلَيْنَا لَأْتَكُنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٤﴾ من بلدنا.

﴿١٦٥﴾ قَالَ لُوطُ: إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٦﴾ المبغضين.

﴿١٦٧﴾ رَبِّ يَخْنِي وَأَهْلِي وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ أي: من عذابه.

﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧١﴾ إِلَّا عَجُوزًا ﴿١٧٢﴾ امرأته ﴿١٧٣﴾ فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٧٤﴾ الباقين أهلكتها.

﴿١٧٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٦﴾ أهلكتهم.

﴿١٧٧﴾ وَانْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿١٧٨﴾ حجارة، من جملة الإهلاك (١) ﴿١٧٩﴾ فَفَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٨٠﴾ مطرهم.

﴿١٨١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿١٨٣﴾ وَلَوْ رَدُّكَ لَهُمُ الْعَذَابُ الرَّجِيمُ ﴿١٨٤﴾

﴿١٨٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٨٦﴾ وفي قراءة (٢): بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتح الهاء، هي: غيضة شجر قُوبٌ مَدِينٌ ﴿١٨٧﴾ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٨﴾

﴿١٨٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: لِمَ يَاقُوتَ أَخَوَاهُ؟ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ: أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٩٠﴾

﴿١٩١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٩٢﴾

﴿١٩٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٩٤﴾

﴿١٩٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا ﴿١٩٦﴾ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٧﴾

﴿١٩٨﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴿١٩٩﴾ أتموه ﴿٢٠٠﴾ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٢٠١﴾ الناقصين.

﴿٢٠٢﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ ﴿٢٠٣﴾ الميزان السوي.

﴿٢٠٤﴾ وَلَا يَبْحَسُوا أَلْسِنَهُمْ ﴿٢٠٥﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿٢٠٦﴾ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٠٧﴾ بالقتل وغيره، من «عشي» بكسر المثلثة: أفسد، و«مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها.

كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَتَنَزَّ عَلَيْنَا لَأْتَكُنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ لُوطُ إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ يَخْنِي وَأَهْلِي وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّجِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْحَسُوا أَلْسِنَةً هُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

﴿١٦٠﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾

﴿١٦٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٧﴾

﴿١٦٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا ﴿١٦٩﴾ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ

(١) أي: لم يهلكهم بامطار الحجارة فقط، بل جعل عالي قراها سافلها.

(٢) لتافع وابن كثير وابن عامر. وقوله: وفتح الهاء، يعني به فتح تاء التانيث، في حالة الوصل؛ أي: «ليكة».

[١٨٤] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ﴾ الحليقة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١٨٥] ﴿فَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾.

[١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿تُفْثَنُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

[١٨٧] ﴿فَأَنْذِرْ عَالِيَةَ كَثُفًا﴾ بسكون السين وضحا<sup>(١)</sup>؛ قطعاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ﴾ هي سحابة أظلمتهم بعد حرق شديد أصابهم؛ فامطرت عليهم نازاً؛ فاحترقوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَلَمَّا رَأَى رَبُّكَ أَنَّهُ عَصَى الرَّجِيمُ﴾.

[١٩٢] ﴿وَأَنذِرْ﴾ أي: القرآن ﴿لنَّزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل.

[١٩٤] ﴿عَلَّ قَلْبَكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بِتَشْدِيدٍ ﴿نَزَلَ﴾ وَتَضْبِ الرُّوحِ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ.

[١٩٦] ﴿وَأَنذِرْ﴾ ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لنَّزِيلِ رَبِّكَ كِتَابَ الْآزُولِينَ﴾ كالنور والإخميل.

[١٩٧] ﴿أَوْ لَرَّ يَكُنْ هُمْ﴾ لكفار مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ على ذلك ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كعبدالله بن سلام، وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك ﴿وَيَكُنْ﴾ بالتحانية وَتَضْبِ ﴿بِآيَةٍ﴾ وبالفوقانية وَرَفَعَ ﴿بِآيَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

[١٩٨] ﴿وَلَوْ فَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ كفار مكة ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنفَقَ مِنْ اتِّبَاعِهِ.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مكة بقراءة النبي.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ فَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ تُفْثَنُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَنْذِرْ عَالِيَةَ كَثُفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَلَمَّا رَأَى رَبُّكَ أَنَّهُ عَصَى الرَّجِيمِ ﴿١٩١﴾ وَأَنذِرْ أَيُّ الْقُرْآنِ لَنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَّ قَلْبَكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ بَيِّن، وَفِي قِرَاءَةٍ<sup>(٢)</sup>: بِتَشْدِيدٍ ﴿نَزَلَ﴾ وَتَضْبِ الرُّوحِ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ. ﴿١٩٦﴾ وَأَنذِرْ كِتَابَ الْآزُولِينَ ﴿١٩٧﴾ كَالنُّورِ وَالْإِخْمِيلِ. ﴿١٩٨﴾ وَأَنذِرْ لَنَزِيلِ رَبِّكَ كِتَابَ الْآزُولِينَ ﴿١٩٩﴾ كَالنُّورِ وَالْإِخْمِيلِ. ﴿٢٠٠﴾ وَأَنذِرْ لَنَزِيلِ رَبِّكَ كِتَابَ الْآزُولِينَ ﴿٢٠١﴾ كَالنُّورِ وَالْإِخْمِيلِ. ﴿٢٠٢﴾ وَأَنذِرْ لَنَزِيلِ رَبِّكَ كِتَابَ الْآزُولِينَ ﴿٢٠٣﴾ كَالنُّورِ وَالْإِخْمِيلِ.

[٢٠٣] ﴿فَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فقال لهم: «لا»، فقالوا: متى

هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال - تعالى -: ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿فَتُجَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) باتاء مع رفع «آية» لابن عامر.

الذي دعوك إليه.

[٢١٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً. [رواه البخاري ومسلم].<sup>(١)</sup>

[٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلِنْ جَانِبَكَ ﴿لِمَنِ الْأَمْرُ مِنَّا﴾ للموحدين.

[٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عَشِيرَتَكَ ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَى الْغَرِيبِ الرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة.

[٢١٩] ﴿وَتَقْلُبُ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي السُّجُودِ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَذَا أَنبَأُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ - بحذف إحدى التاءين من الأصل؟

[٢٢٢] ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ كَذَابٍ﴾ كذاب ﴿أَتَمِرُ﴾ فاجر، مثل «مُتَمِلِمَةٌ» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجت الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاوُونَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنْ أودية الكلام وفنونه﴾ يهيمون ﴿بمضون﴾ فيجازون الحد مدحاً وهجاءً.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَّا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

[٢٢٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَانصَرَفُوا﴾ بهجواهم الكفار ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بهجوا الكفار لهم في جملة المؤمنين؛ فليسوا مذمومين، قال الله - تعالى -: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال - تعالى -: ﴿فَمَن آفَضَكُنَّ عَلَيْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ فَإِذَا تَوَلَّىٰ مَخَلَّفًا عَلَىٰ رَأْسِهِ مَن لَّمْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَقْلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

\*\*\*

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَنُونَ ﴿٢١٤﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا لَهَا مِذْرَوْنٌ ﴿٢١٥﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّ نَاطِلِينَ ﴿٢١٦﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٧﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٩﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٢٠﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢١﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ الْأَمْرُ مِنَّا ﴿٢٢٢﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَرِيبِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢٤﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٥﴾ وَتَقْلُبُ فِي السُّجُودِ ﴿٢٢٦﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ ﴿٢٢٧﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٨﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٩﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُ كَذِبُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَالشَّعْرَاءُ يَبْنِعُهُمُ الْفَاوُونَ ﴿٢٣١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٤﴾

سورة الشعراء

[٢٠٧] ﴿مَّا﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَنُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا هَا مِذْرَوْنُ﴾ رسل تنذر أهلها.

[٢٠٩] ﴿ذَكَرْنِي﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنبائهم.

[٢١٠] ﴿وَنَزَّلَ رَدًّا لِّقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ﴾: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمْعَزُولُونَ﴾ بالشُّبُه.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاوُونَ﴾ فسبح من ذلك واستثنى فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾. أبو داود. كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل يادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون من قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أبحرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: «ثألك سائر اليوم، ألهذا جمعتم؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا أُنَّى لَهَا﴾». البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

## سُورَةُ النَّارِ

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية،  
نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وهم بالآخرة هم يؤمنون يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿وَهُمْ﴾ لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَمَهِّوْنَ﴾ يتحiron فيها لقبها عندنا.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَىٰ الْقُرْآنَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ﴿لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ﴾ يلتقى عليك بشدة ﴿مِنْ لَدُنِّهِ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] اذْكُرْ: إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ: زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّي أَنَا نَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿كَأَنَّكَ سَتَيتُكِ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ آتَيْتُكِ﴾ [بشهاب] قيس: بالإضافة للبيان، وتركها<sup>(١)</sup> أي: شلعة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَتَكُونَنَّ تَصْطَلُونَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفئون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، وبارك) يعبدى بنفسه وبالخرف، ويقدر بعد: في مكان<sup>(٢)</sup> ﴿وَسُبْحَنَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي<sup>(٣)</sup> ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ فآلقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَنْ مُدْبِرًا وَلَنْ يُعْقَبَ﴾ يرجع؛ قال - تعالى -: ﴿يُؤْمِنُونَ لَا تَخَفْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى  
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ  
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ  
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ  
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي أَنَا نَسْتُ نَارًا سَتَيتُكِ  
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتَيْتُكِ بِشَهَابٍ فَيَسَّ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا  
نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَّ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَوْمَئِذٍ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ  
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَانٌّ وَلَنْ مُدْبِرًا وَلَنْ يُعْقَبَ يَوْمَئِذٍ لَا تَخَفْ  
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ  
سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ  
غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ من حية وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا﴾ أنه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف لونها من الأدمة<sup>(٤)</sup> ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص، لها شعاع يُعْشَى<sup>(٥)</sup> البصر، آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾<sup>(٦)</sup> مرسلًا بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضئية واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يبين ظاهرو.

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون: لتقدير: أن بورك من في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات؛ بل هو الأحد احد المزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي الشمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الطلح.

(٥) أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى»، وفي بعض النسخ: «يُعْشَى» بالعين المعجمة، وهو تصحيح.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا  
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْقَلُ  
الْطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾  
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ  
يُورَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا  
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي  
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ  
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ  
﴿١٩﴾ وَتَقَفَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ  
مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ  
أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ  
أَحْطْتُ بِمَا لَهُمُ خُطْبٌ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ وَجَحَدُوا بِهَا: لم يقرؤا ﴿١٥﴾ قَدْ: أَسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ: أي: تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾: تكبروا عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد ﴿فَانْظُرْ﴾: يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: التي علمتها من إهلاكهم. ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ: بالفضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَ﴾: شكروا لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا

بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿١٦﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ: النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْقَلُ الطَّيْرِ﴾: أي: فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: توتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: هو الفضل المبين ﴿الْيُسُورُ الظاهر﴾. ﴿١٧﴾ وَحُشِرَ: جميع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾: في مسير له ﴿فَهُمْ يُورَعُونَ﴾: يجمعون ثم يساقون.

﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ: هو بالطائف أو بالشام، غله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: يكسرنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

﴿١٩﴾ فَتَبَسَّمَ: سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾: انتهاء ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾: وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فبسم جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبًا ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾: بها ﴿عَلَىٰ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: الأنبياء والأولياء.

﴿٢٠﴾ وَتَقَفَ الطَّيْرُ: ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بقره فيها؛ فستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾: أي: أعرض لي ما منعي من رؤيته ﴿أَمْ كُنَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

﴿٢١﴾ قَالَ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا﴾: تعذيبًا ﴿سَكِينًا﴾: بنصف ريشه وذنبه ورميه في الشمس؛ فلا يمنع من الهوام ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾: يقطع حلقومه ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ﴾: بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بمرهان بين ظاهري على عذره.

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَثَ﴾: بضم الكاف وفتحها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: يسيرًا من الزمن، وحضر لسليمان متواضعًا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه؛ فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحْطْتُ بِمَا لَهُمُ خُطْبٌ بِهِ﴾: أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَحِثُّكَ مِنْ سَبَإٍ﴾: بالصرف وتركه ﴿قَبِيلَةَ الْيَمِينِ﴾: سميت باسم جد لهم باعتبارها ضُرِفَ ﴿بَنِيَّ﴾: خبر ﴿يَقِينٍ﴾.

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالبًا ما تكون من الإسرائيليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان الهدهد هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت لعذاب ووصفته بالشدة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبزري بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبل إساكانها.

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلَبُّكُمْ﴾ أي: هي ملكة لهم اسمها «تلبقيس» وأوتيت من كُتُبِ شَعْوٍ، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَمَا عَرِشٌ سُرِيرٌ عَظِيمٌ﴾ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مَكْلَلٌ بِالذَّوِّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوامه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق<sup>(١)</sup>.

[٢٤] ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ صُدُّهُمْ عَنِ النَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له، فريدت «لا» وأدغم فيها نون «أن» كما في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> والجملة في محل مفعول ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بإسقاط «إلى» ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ﴾ مصدر بمعنى: المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> في قلوبهم ﴿وَمَا يُغْلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> بالسنتهم.

[٢٦] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ استئناف، جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ سليمان للبهدهد: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: أم كذبت فيه، ثم دَلَّهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا ووصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تلعوا علي وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه<sup>(٥)</sup> ثم قال للبهدهد:

[٢٨] ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّى انصرفت عنهم﴾ وقفت قريباً منهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردون من الجواب؛ فأخذها وأتاها وحولها جندها وألقاها في حجرها، فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه.

[٢٩] ﴿ثُمَّ﴾ لَأَشْرَافِ قَوْمِهَا: ﴿يَأْتِيَا الْمَلُوكَ﴾ أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها وإوازا مكسورة<sup>(٦)</sup> ﴿الَّذِي إِلَيْكَ يَكُنَّ كَرِيمٌ﴾ مخنوم.

[٣٠] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ﴾ أي: مضمونه: ﴿يَسِيرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٣١] ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ يَأْتِيَا الْمَلُوكَ أَقْنُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها وإوازا<sup>(٧)</sup> أي: أشيروا علي ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾ تحضرون.

[٣٣] ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ تَأْمُرِينَ تَطْلَعُ.

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلَبُّكُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ صُدُّهُمْ عَنِ النَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى تَوَلَّى انصرفت عَنْهُمْ ﴿٢٨﴾ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِي الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفَسَدُوا أَمْ جَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾

[٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالخراب ﴿وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب<sup>(٨)</sup>.

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ قَطَاطَرٌ﴾ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ من قبول الهدية أو ردّها؛ إن كان ملكاً قبلها، أو نبيّاً لم يقبلها؛ فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مَكْلَلًا بالجواهر ومسكاً وغيره وغير ذلك مع رسول بكتاب؛ فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر؛ فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تيسط من موضعه إلى تسعة فراسخ مبدئاً، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن من يمين الميدان وشماله<sup>(٩)</sup>.

(١) لا دليل على مثل هذه التفاصيل ولا فائدة في ذكرها، وسبق التعليق على مثل هذه الإسرائيليات. وأن الأولى في تفسير كلام الله ﷻ أن لا يعتمد إلا ما هو قطعي وأن يترك المفسر تفصيل ما أجمله الله ﷻ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفص والكسائي: «تخفون» بالتاء، والياقوت بالياء: «يخفون».

(٤) قرأ حفص والكسائي: «تعلنون» بالتاء، والياقوت بالياء: «يعلون».

(٥) هذه التفاصيل والدقائق لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها.

(٦) التسهيل لنفع وابن كثير وأبي عمرو.

(٨) اختار المصنف أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من تمام كلام المرأة. وقد ذهب غيره إلى أنه من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها، وأن الوقف على ﴿وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ وقف تام.

(٩) لا دليل صحيح على ذلك أيضاً، والأولى ترك حشو التفسير بذكره.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ: «أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ قَتَلُكَ أَنْتُمْ مِّنْ مِّثْلَيْهِ» الَّذِي تَجْلِسُ فِيهِ لِلْقَضَاءِ وَهُوَ: مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى نِصْفِ النَّهْرِ ﴿وَأَنَّى عَلَيْهِ لَقَوًى﴾ أَي: عَلَى حِمْلِهِ ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا، قَالَ سُلَيْمَانُ: أَرِيدَ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ الْمَرْبُوعُ: «أَصْفَافُ بَنِي إِسْرَءِيلَ» كَانَ صَدِيقًا يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجِيبَ ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ﴾ قِيلَ: أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إِذَا نَظَرْتَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ» فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ رَدَّ بَطْرَفَهُ فَوَجَدَهُ مَوْضِعًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَفِي نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ دَعَا «أَصْفَافُ» بِالْأَسْمَاءِ الْأَعْظَمِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ؛ فَحَصَلَ أَنَّ جَرَى تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى نَبَعَ تَحْتَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا﴾ سَاكِنًا ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أَي: الْإِنْسَانُ لِي بِهِ ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ لِيَبْتَلِيَنِي ﴿عَشْرًا﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ، وَابْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفًا وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ فِي الْمُسْهَلَةِ الْآخَرَى وَتَرْكِهِ<sup>(٢)</sup> ﴿ثُمَّ أَكْثَرُ﴾ النِّعْمَةُ ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ لَهُ أَكْثَرَ﴾ أَي: لِأَجْلِهَا؛ لِأَنَّ ثَوَابَ شُكْرِهِ لَهُ ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النِّعْمَةُ ﴿فَإِنَّ رَبِّي عَذِيبٌ عَنِ الشُّكْرِ﴾ بِالْأَضْغَالِ عَلَى مَنْ يَكْفُرُهَا.

[٤١] ﴿قَالَ نَكُّرًا لَهَا عَرِشُهَا﴾ أَي: غَيْرُهُ إِلَى حَالِ تَنَكُّرِهِ إِذَا رَأَتْهُ ﴿تَنْظُرُ أَتَهْدِي﴾ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَا يَغِيرُ عَلَيْهِمْ، قَصِدَ بِذَلِكَ اخْتِبَارَ عَقْلِهَا لِمَا قِيلَ: إِنَّ فِيهِ شَيْقًا. وَغَيْرُهُ بِزِيَادَةِ أَوْ نَقْصٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ: «هَٰذَا كَذَّابٌ عَرِشُكَ﴾ أَي: امْتَلِ هَذَا عَرِشَكَ؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ مَعْرِفَتُهُ وَشَبَّهَتْ عَلَيْهِمْ كَمَا شَبَّهُوا عَلَيْهِمَا؛ إِذْ لَمْ يَقُلْ: هَٰذَا عَرِشُكَ، وَلَوْ قِيلَ: هَٰذَا. قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ سُلَيْمَانُ لِمَا رَأَى لَهَا مَعْرِفَةً وَعِلْمًا: ﴿وَأَوْبَيْنَا إِلَيْهَا مِنَ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْتَبِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿فَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿وَإِنَّمَا كُنْتَ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أَيْضًا: ﴿أَذْخُلِي الصَّرْحَ﴾ هُوَ سَطْحٌ مِنْ زَجَاجٍ أَيْضًا شَفَافٌ تَحْتَهُ مَاءٌ عَذِبٌ جَارٌ فِيهِ سَمَكٌ، اصْطَنَعَهُ سُلَيْمَانُ لِمَا قِيلَ لَهُ: «إِنْ سَاقِيهَا وَقَدَمِيهَا قَدَمِي الْحِمَارِ»<sup>(٣)</sup> ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِطَتْ لُجَّةٌ﴾ مِنَ الْمَاءِ ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لِتَحْضُوهِ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ فِي صَدْرِ الصَّرْحِ فَرَأَى سَاقِيهَا وَقَدَمِيهَا حَسَنًا ﴿قَالَ لَهَا: «إِنَّمَا صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مِلْسٌ ﴿مِنْ فَوَارِسٍ﴾ مِنْ زَجَاجٍ، وَدَعَاَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كَاتِمَةً ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَأَرَادَ نَزْوِجَهَا فَكَّرَهُ شُغْرُ سَاقِيهَا؛ فَعَمِلَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ الثُّورَةَ فَأَزَالَتْهُ بِهَا؛ فَتَزَوَّجَهَا وَأَحْبَبَهَا وَأَقْرَبَهَا عَلَى مَلِكُهَا، وَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، وَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَانْقَضَى مَلِكُهَا بِانْقِضَاءِ مَلِكِ سُلَيْمَانَ<sup>(٤)</sup> - رَوَى أَنَّهُ مَلِكٌ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَخَمْسِينَ سَنَةً - فَسَبَّحَانَ مَنْ لَا انْقِضَاءَ لِدَوَامِ مَلِكِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَمِدُّونِي بِمَالِ مَاءِ آتَيْنِ إِلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٩﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَأْتِيَهَا الْمَلَكُ الْيَمِينُ يَأْتِيَنِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسَلِّمِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوًى أَمِينٌ ﴿٤٢﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرْنَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَذِيبٌ كَرِيمٌ ﴿٤٣﴾ قَالَ نَكُّرًا لَهَا عَرِشُهَا تَنْظُرُ أَتَهْدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ هَٰذَا كَذَّابٌ عَرِشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْبَيْنَا إِلَيْهَا وَكُنَّا مُسَلِّمِينَ ﴿٤٥﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ فَوَارِسٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرُّسُولُ بِالْهَدِيَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ ﴿سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي مِنَ التَّوْبَةِ وَالْمَلِكُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ مِنَ الدُّنْيَا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لِفَخْرِكُمْ بِزَخَرِ الدُّنْيَا.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بِمَا آتَيْتَ مِنَ الْهَدِيَةِ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ طَاقَةٌ لِّهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ مِنْ بِلَدِ سَبَأٍ، سَمِيَتْ بِاسْمِ أَبِي قَبِيلَتِهِمْ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إِنْ لَمْ يَأْتُوَنِي مُسَلِّمِينَ؛ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا الرُّسُولُ بِالْهَدِيَةِ جَعَلَتْ سَرِيرَهَا دَاخِلَ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ دَاخِلَ قَصْرِهَا، وَقَصْرُهَا دَاخِلُ سَبْعَةِ قُصُورٍ، وَغُلِقَتْ الْأَبْوَابُ وَجَعَلَتْ عَلَيْهَا حُرَّاشًا، وَتَجَهَّزَتْ لِلْمَسِيرِ إِلَى سُلَيْمَانَ لِتَنْظُرَ مَا يَأْمُرُهَا بِهِ، فَارْتَحَلَتْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلٍ، مَعَ كُلِّ قَبِيلٍ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ إِلَى أَنْ قَرِبَتْ مِنْهُ عَلَى فَرَسٍ شَعْرُهَا<sup>(١)</sup>.

[٣٨] ﴿قَالَ يَأْتِيَهَا الْمَلَكُ الْيَمِينُ﴾ فِي الْهَمَزَيْنِ مَا تَقَدَّمَ<sup>(٢)</sup> ﴿يَأْتِيَنِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسَلِّمِينَ﴾ مُتَقَادِينَ طَائِعِينَ<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَا بَعْدَهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق التعليل على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات. (٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بقلبها واوًا مكسورة، وهي ثلاث قراءات سبعة.

(٣) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان معيها هديتها ووردها إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، والمعنى أنهم متى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يربها ملكًا أعظم من ملكها ليكون حاملاً لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك فإسرائيليات لا تثبت ولا تليق بمقام البوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها مُتَّكَأَةٌ عَنْ أَمَلِ الْكِتَابِ مَا بُوَدَّ فِي صَفْهِهِمْ، كَرَوَايَاتِ كُتُبِ وَهْبٍ، فِيمَا تَقَلَّأَ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْأَرَادِ وَلِغَرِّبِ الْعَجَائِبِ، مِمَّا كَانَ وَمَا لَمْ يَكُنْ، وَمِمَّا خُوفٌ وَتَذَلُّلٌ وَتَضْيِيقٌ، وَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ - شَيْخَانَةٌ - عَنْ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَصَحُّ مِنْهُ وَأَوْضَحُّ وَأَبْلَغُ.





الْعَذَابِ ﴿٥٨﴾ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكهم

﴿فَسَاءَ﴾ يس ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الْحَسْبُ إِلَهُ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية

﴿وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ هم ﴿عَالَمُهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال

الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup> ﴿خَيْرٌ﴾

من يعبدُه ﴿أَمَّا﴾ [تُشْرِكُونَ] ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾<sup>(٢)</sup> أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة

خير لعبديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِ﴾ حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة؛

وهو: البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حُشْنٍ﴾ مَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُخْبِتُوا

شَجَرَهُ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَوَّلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة<sup>(٣)</sup> ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه

على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ فيما

بينها ﴿أَنْهَارًا﴾ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبلاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَوَّلَهُ﴾ مَعَ

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الإضافة

بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَوَّلَهُ﴾ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا

[تَذَكَّرُونَ] ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية<sup>(٤)</sup>، وفيه إدغام التاء في الذال،

و﴿مَا﴾ زائدة لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ﴾

وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ﴾ بُشْرًا

بَيِّنَ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَوَّلَهُ﴾ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

به غيره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَاهَا مِنَ الْعَذَابِ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ﴾ أهله ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ من أذبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَاهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنْ

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مثلاً لازماً.

(٢) بالناء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركه، وقوله: «في مواضع السبعة» أي: موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم للمكسورة، وهي لفظ (أله) خمس مرات (وأثنا) و(أثنا). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحتانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقيين بالناء لكن مع التشديد لافع وابن كثير وابن ذكوان وشعبة، ومن غير تشديد لخص وحزمة والكسائي.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُبْعِدُهُ﴾ الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْفُقْ مِنْ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ﴾ والنبات ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ﴾ أي: لا يفعل شيئاً ما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً ما ذكر، وسألوهُ عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كثر مكة كثيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿قُلْ﴾ بمعنى: هل ﴿أَذْرَكَ﴾<sup>(١)</sup> وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿أَذْرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واحتجبت همزة الوصل؛ أي: بلغ للحق، أو تنابع وتلاحق ﴿عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوا عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿قُلْ هُمْ فِي شَيْءٍ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ يَنْهَا عَمُوْنَ﴾ من عمي القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استقلت الضمة على الباء فقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَتَيْنَا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة بالضم؛ أي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم<sup>(٢)</sup>؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسليية للنبي ﷺ أي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرك عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ﴾ قرب ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأنسنتهم.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُبْعِدُهُ وَمَنْ يَرْفُقْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قُلْ هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ  
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ  
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلَّ هُمْ فِي  
شَيْءٍ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ مَقْتَلًا عَمَوْْنَ قُلْ اللَّهُ يَبْعَثُ الْفَرَسَ  
كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَتَيْنَا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا  
نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ قُلْ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ  
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى  
أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَإِنَّ  
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ  
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
يَفْصُلُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمباغاة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يبين؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون<sup>(٣)</sup> علمه - تعالى -، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصُلُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بيان ما ذكر على وجهه الراجع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي فراعة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿أَذْرَكَ﴾.

(٢) في نسخة: «إنكاره».

(٣) وهذا تفسير ثان، قالوا هنا بمعنى (أول).

بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعبودية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كُفَرَاءٌ﴾ (١) وعلى قراءة: فتح همزة ﴿[إِنَّ]﴾ (٢) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا يَتْلَوْنَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر (٣)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من قومك إلا من قد آمن (٤).

[٨٣] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تُخْشَرُ مِنْ كُلِّ مَنَةٍ قَوْمًا﴾ جماعة ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ يَكَلِّبْنَا﴾ وهم رؤسائهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُؤْزَعُونَ﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿يَتَّبِعُوا وَيَكُفُّوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عَلَمًا﴾ أمًا، فيه إدغام «ما» الاستفهامية (١) ﴿ذَلِكَ﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿أَلِيلَ لَيْسَكُنَّا فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى: يصير فيه ليصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصُوعِقُ﴾ والتعبير فيه بالماضي؛ لتحقيق وقوعه. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه؛ أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنْزَوْهُ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل (١) ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقيق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسِبَهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لمعلمها ﴿وَجِيءَ نَعْرُ السَّحَابِ﴾ المطر (٢) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبهوثة، ثم تصير كالعجن، ثم تصير هباء منثورًا (٣) ﴿سُحْبَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ صنعهم ﴿إِنَّهُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالباء والتاء (٤) أي:

وَأَنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا أُولُوا مَذْبِئِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَدَى الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تُخْشَرُ مِنْ كُلِّ مَنَةٍ قَوْمًا وَمَنْ يَكْذِبْ يَكَلِّبْنَا فَهُمْ يُؤْزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَكْذَبْتُمْ يَتَّبِعُوا وَلَمْ يَخْشَوْا فَعَمِلُوا فِعْلَهُمْ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَفَأَصْحَابُ الْمَوْتِ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ ذَاخِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ لَهْدَى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب. [٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الغالب ﴿أَلَيْسَ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدًا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفق به ﴿وَأَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالًا لهم بالموتى وبالصم وبالعُمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء (١) ﴿وَلَوْ أُولُوا مَذْبِئِينَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَا أَنتَ بِهَدَى الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفعال وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) وغيرهم.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها حرجًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٦) أي: إدغام ميم «أه» في ميم «ما» الاستفهامية.

(٧) فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو، أي: «عائوه»، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحزمة.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسرون من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتهويل، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصى عند إهلاك جميع الخلق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، اعتراضًا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ أَجْرٌ لَا يُولَى إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: (لا إله إلا الله) يوم القيامة ﴿فَلَمْ يَخِرْ﴾ ثواب ﴿يَنْهَا﴾ أي: بسببها، وليس للفضل، إذ لا فعل خير منها<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَهُمْ﴾ الجاهلون بها ﴿بَيْنَ﴾ [فَرْجَ يَوْمَيْنِ] بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَرْجَ﴾ منوناً وفتح الميم<sup>(٣)</sup> ﴿مَا يَمُونُ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبِئَةِ﴾ أي: الشر ﴿فَكَبَّتْ﴾ وجرهم في النار بأن وثقتها، وذكرت الوجوه؛ لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تنكبنا: هلك ما ﴿يَجُزُونَ إِلَّا﴾ جزء ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشر والمعاصي.

[٩١] قل لهم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنَّ أَتَى رَبَّكَ هَكَذَا الْبَلَدُ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حراماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلي خلها<sup>(٤)</sup>، وذلك من النعم على قريش - أهلها - في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿كُنْ شَيْءٌ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَأَمْرُهُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله توحيد.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتَوْا الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ له ﴿فَلَنَمَّا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿تَقُلْ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ فآراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَلَيْهِ﴾ [يَعْمَلُونَ] بالياء والتاء<sup>(٥)</sup>، وإنما يجهلهم لوقفهم.

### سُورَةُ الْقَصَصِ

[مكية إلا: ﴿إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية، نزلت بالجحفة، وإلى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى: ﴿لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.  
[٢] ﴿يَلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿مَا يَنْتِ الْكِتَابِ﴾ بالإضافة بمعنى: من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المظهر الحق من الباطل.  
[٣] ﴿تَتْلُوا﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ﴾ خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُوَ مَنْ فَرَجَ يَوْمَئِذٍ أَمُورَ<sup>(١)</sup> وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبِئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَتَى رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ<sup>(٣)</sup> الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٤)</sup> وَأَنْ أَتَوْا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ<sup>(٥)</sup> وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ<sup>(٦)</sup> وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ<sup>(٧)</sup> فَتَعَرَّفُوا لَهَا وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ<sup>(٨)</sup>

### سُورَةُ الْقَصَصِ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ<sup>(١)</sup> تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ<sup>(٢)</sup> نَسُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>(٣)</sup> إِبْرَ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هُتَ وَتَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ<sup>(٤)</sup> وَرَبِّدْ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ<sup>(٥)</sup>

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل ﴿يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هُتَ﴾ المولودين ﴿وَتَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾ يستنقبهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: ﴿إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَرَبِّدْ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(٢)</sup> ﴿يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ مثلت فرعون.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للفضل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجع أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا لأقل الفضل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثالها.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الميم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منوناً وفتح الميم [فَرْجَ يَوْمَيْنِ].

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿فَالْقَلْبَ يَوْمَ﴾ بالتأنيب صبيحة الليل ﴿ءَالِ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصير من إبهامه لبناً<sup>(١)</sup> ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عقبه الأمر ﴿عَذَابًا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَمَنْ كُنَّ﴾ وزيره ﴿وَيُؤَدُّهُمَا﴾ كانوا خطيبين من الخطيئة؛ أي: عاصين، فعوقبوا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هم مع أعوانه بقتله هو: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي﴾ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه<sup>(٣)</sup> ولذا: فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيغًا﴾ مما سواه ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿وَلَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَّمَهَا﴾ بالصبر، أي: شكواه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿وَلَوْ﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّهُ﴾ مريم: ﴿فَقَصِيصًا﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُثِيٍّ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها اخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿بِكُفُلَيْنِ﴾ لكُم بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نِصْحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالملك، جواباً لهم<sup>(٤)</sup>، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ﴾ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾ حينئذٍ ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ﴾ وَعَدَ اللَّهُ بِرُؤُوسِهِمَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ يَكُنْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَالْقَلْبَ يَوْمَ ءَالِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَلْمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَوْلَاكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ وَلَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَّمَهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَلَأُخْبِتَنَّهُ فِقْصِيصَهُ بِصَرْتِ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نِصْحُونَ ﴿٢٠﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

[٦] ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَلْمَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: ﴿وَنَرِي﴾ بفتح النحائية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا يمنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نِصْحُونَ﴾ أي لطف؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف بشر إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصيحهم له وشققهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة<sup>(١)</sup> ﴿وَأَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ ففها في الدين قبل أن يبعث نبيًا<sup>(٢)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَرَدَّعَل﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ غَمَلٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإِسْرَائِيلِي لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبَخِ فِرْعَوْنَ ﴿فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: خَلِّ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله»<sup>(٣)</sup> عليك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديدة القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله<sup>(٤)</sup>، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتَنِي﴾ من عمل الشيطان، المهيج غضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِّابْنِ آدَمَ مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُبِينٌ﴾ بين الإضلال.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادما: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ فغفر له ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: المتصف بهما أرلا وأبدا.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ﴾ بحق إنعامك<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَّيَّ﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ عونًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِنَّا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَّمْ يُؤْمَرْ بِكَ لِقَائِي﴾ أي: زائدة ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الَّذِي قَتَلْتَهُ الْأَمْسَ وَالْيَوْمَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ موسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظانًا أنه يبطش به لما قال له: ﴿يَتُوسَّى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ إن: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الدباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَتُوسَّى إِنَّكَ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى بَيْنِ غَمَلٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى فَلَئِنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَتُوسَّى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَتُوسَّى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكِّنٌ لِّكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

الْمَلَكُ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمُرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فأخرج من المدينة ﴿إِنِّي لَمَكِّنٌ لِّكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ حوَّط طالب، أو غوث اللو إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأطهر أن يبع الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عمرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأطهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى﴾ فقد فسرها. أي النعمة. هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى الخطيئة بذلك إلا بالوحي. وأما ائقتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سب خطئه الخطيئة هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بكانته كني، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لئبي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الخطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإن الفتنة تجي من هاهنا. وأومأ بيده نحو المشرق. من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإما قال موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قاله عنده للقس، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فالأب عحيث سببية.

وفي قراءة<sup>(٦)</sup>: ﴿يُضَيِّرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأُولَئِكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربيهما، رَفَعَ حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لَشَرْطِ<sup>(٧)</sup> من شدة حر الشمس، وهو جامع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْلٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتا به من سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعي لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي: واضعة كُمٍ دُزِيعِها على وجهها حياة منه ﴿وَقَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِجَعْرَتِكَ﴾ أي: ما سَمِعْتِ لَنَا ﴿فَأَجَابَهَا مُنْكَرًا فِي نَفْسِهِ أَخَذَ الْأُخْرَى﴾ كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريد بها، فمشى بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي واديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام<sup>(٨)</sup> - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال:

أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً. قال: لا، عادي وعادة آبائي تُقْرَى الضيف وتُطْوَمُ الطعام. فأكل وأخبره بحاله<sup>(٩)</sup>، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَكُنَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ﴾ مصدر بمعنى: المقصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدهم قُتِلَ، وخوفه من فرعون ﴿وَقَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿وَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى: ﴿يَأْتِيَنَّكَ اسْتِجْرَاءُ﴾ اتخذها أجيراً يرعى غنمنا بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَخْيَرِينَ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»<sup>(١٠)</sup> وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعها؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿وَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ﴾ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتْتَيْنِ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيراً لي في رعي غنمي ﴿تَمْنِيَّ جِجَعٍ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشرط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّيْمَنِ﴾ للتبرك<sup>(١١)</sup> ﴿بِرَبِّكَ الْكَافِرِينَ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿وَقَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قتله ﴿يَبْنِي وَيَنْبُدُ﴾ أَيْمًا الْأَجْلَيْنِ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَقَضَيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب<sup>(١٢)</sup>.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلْعَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُتُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٣٠﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٣١﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِجَعْرَتِكَ أَجْرًا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتِجْرَاءُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٣٣﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتْتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمْنِيَّ جِجَعٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٥﴾

[٢٩] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿بَلْعَاءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين بن إبراهيم»، ولم يكن يعرف طريقها ﴿فَقَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكاً بيده عِزَّةٌ فانطلق به إليها<sup>(١٣)</sup>.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه لتفصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، ونخبر إرسال الملك إلى موسى ﷺ ليدله على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضَيِّرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزء بأنه شعيب - عليه السلام. نظر؛ وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح وما إلى به كثير كونه غيره؛ لأن شعيباً النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قوم المؤمنين به بذته يعملن ويسقين ولا يقوما عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقي موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) روي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبرز، وفي إسناد الطبراني عديد بن أبي عمران الجوني؛ ضعه ابن معين وغيره، ووقفه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي ﷺ؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره.

(٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأولى الانحصار على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المراءين ليس شعيب النبي على الراجح.



﴿٢٩﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِيٍّ لَوَادٍ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ إِلَى آتَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ آتَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَمْ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣٢﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَسَقِيتَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا بِإِذْنِنَا أَنْتَا مِنَ التَّوَكِّلِينَ ﴿٣٦﴾

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ زوجته ياذن أيها نحو مصر ﴿وَأَنَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿كَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بثلاث الجيم<sup>(١)</sup>؛ قطعة وشعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِيٍّ﴾ جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ موسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿شَلْطِيٍّ﴾ بإعادة الجار لبيانها فيه؛ وهي: شجرة غائب أو علق أو غوسج<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنْ﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يَمْوِسُ﴾ يَمْوِسُ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَنْ آتَى عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ﴾ تتحرك ﴿كَانَتْهَا جَانٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَنْ تُدْرِكَ﴾ هاربا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يَمْوِسُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾.

[٣٢] ﴿أَسْلَكَ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(٣)</sup> ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس ثقيبي<sup>(٤)</sup> البصر ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه<sup>(٥)</sup>؛ أي: الخوف الحاصل من إضاعة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وتغير عنها بالجنح؛ لأنها للإنسان كالجنح للطائر ﴿فَذَانِكَ﴾ بالشديد والتخفيف<sup>(٦)</sup>؛ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المثنى به إليهما «المثدأ» لذكور خبره ﴿بُرْهَتَانِ﴾ مرسلان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَسَقِيتَ.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أثبت ﴿فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينا، وفي قراءة<sup>(٧)</sup>: بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالجرم:

(١) أي: بفتحها وضمتها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.

(٣) الشمرة.

(٤) أي: يجعل بصر ناظرها ضعيفا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «تقش» بالمعجمة وهو تصحيح.

(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نفع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٦) بتشديد اللون مع المد المشيع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: «رداء» لنافع.

(٨) والقراءة المذكورة أولا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

جواب الدعاء، وفي قراءة<sup>(٨)</sup>: بالرفع، وجملته صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهب ﴿بِإِذْنِنَا أَنْتَا وَمِنْ أَتْبَعَكُمَا﴾ ألقينهم ﴿لَهُمْ﴾.

﴿عَابَتْنَا الْأُولَىٰ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها<sup>(١)</sup> ﴿مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ﴾ عطف على «من» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالقوافية والتحتانية<sup>(٢)</sup> ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمُنُ عَلَى الظِّلِينِ﴾ فاطبع لي الآجر ﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿أَلَعَلِّيَ أُلْقِي إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَأِنِّي لأظننهم يرث الأكربيين﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ فآخذته وجُودُهُ فنبذتهم في آية فأنظر كيف كان عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ قَوْمَ نوح وعاد وحمود وغيرهم ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿أَلَكُنَّ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

[٤٠] ﴿فَأَعَذَّتْهُ وَجُودُهُ فَسَبَّحْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا آيَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(٤)</sup>؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿أَلَكُنَّ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿٣٧﴾

وَقَالَ مُوسَى رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمُنُ عَلَى الظِّلِينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظننهم من الكاذبين ﴿٣٩﴾

وَأَسْتَكَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَال ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ مخلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ كائنًا ﴿فِي﴾ أيام

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمُنُ عَلَى الظِّلِينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظننهم من الكاذبين﴾

﴿وَأَسْتَكَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾

﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾

﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالياء للفاعل قراءة نفع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء للمفعول.

(٤) راجع التعليل على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي أَوْ الْمَكَانِ الْغَرِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا أَوْحِينَا إِلَيْكَ مُوسَى الْآثَرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فعله تخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أما من بعد موسى ﴿فَنَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ طالت أعمارهم؛ فسوا اليهود، واندurst العلوم، وانقطع الوحي؛ فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم تخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك<sup>(١)</sup> بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ الْجَبَلِ إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا مُوسَى أَنْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَلَكِنْ﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُصِيبَةً﴾ عقوبة ﴿يَمَّا فَدَمْتُمُ الْأَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ والمعنى: لولا الإصابة المسببة عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِّنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ من الآيات، كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿سَاجِرَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿سِخْرَانِ﴾ أي: القرآن والفررة ﴿نَظْهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْكَاتِبِينَ﴾ كفرون.

[٤٩] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَاتَّوُوا بِكِتَابِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك بالإيمان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وَلَا كُنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُصِيبَةً يَمَّا فَدَمْتُمُ الْأَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِخْرَانِ تَظْهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاةٌ مِّن قَوْمٍ هَدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٢٠﴾

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقراءة السبعة: ﴿سِخْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره<sup>(١)</sup>، ومن النصارى قدموا من الحبشة<sup>(٢)</sup>، ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْسَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ قالوا: آمناً بيه، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين﴾ موحدين.

[٥٤] ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكناين<sup>(٣)</sup> ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلم عليكم، سلام مباركة؛ أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا يَنْتَعِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نصحبهم.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حَرْصِهِ﴾ على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو أعلم بالمهمتين<sup>(٤)</sup> ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ يَتَّبِعُونَ﴾

[٥٧] ﴿وَقَالُوا﴾ قومهم: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا﴾ ننتزع منها بسرعة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿[نَجْبِي]﴾ بالفوقانية والنحنانية<sup>(٥)</sup> ﴿إِلَيْهِ نَمُرُّ كُلُّ مَيِّتٍ﴾ من كل أوب ﴿وَرِزْقًا﴾ لهم ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ أن ما نقوله حق.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَوِصَّتُهُمَا﴾ عيشهما، وأريد بالقرية: أهلها ﴿فَبِأَنَّىٰ سَكَتَهُمْ لَمْ تَشْكَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا عَنْ الْوَرِثَةِ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ يظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا﴾ أي: أعظمها ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴿وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ

ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ

مُسْلِمِينَ﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمُوا

عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا

مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهُمَا فَبِأَنَّىٰ سَكَتَهُمْ لَمْ تَشْكَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا عَنْ الْوَرِثَةِ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ

مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمري: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجرح، لأفرت بها عنك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن خزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة القصص (٢٨) باب (١).

(٢) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسى ضعيف. وأخرج الطبري أيضاً في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعه الفرطلي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة... أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ووجهه ثقافت... وعزه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «يسند جيدة. وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣).

(٣) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبير، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٤) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنيه، وأدرك النبي فآمن به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٥) بالناء فراعة نافع.

[٦٠] ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١) ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالباء والياء (٢)؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيْفٌ﴾ وهو مُصِيفٌ؛ وهو: الجنة ﴿كَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَبَادِيهِمُ اللَّهُ﴾ ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لهم شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم، مبتدأ، وصفة (١)، ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبره، فغوا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرهم على الغي ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْعُثُونَ﴾ ما، نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿الْعَذَابَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَبَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم.

[٦٦] ﴿فَعَبَّيْتَ عَلَيْهِمُ الْآلِهَةَ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ عنه، فيسكتون.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَأَمَّنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الناجين بوعده الله.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُخْلِفُونَ﴾ بالسننهم من ذلك.

[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِحْدَادُ﴾ في الأولي الدنيا

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيْفٌ فَهُوَ لَئِيْفٌ كَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْعُثُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يَبَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَبَّيْتَ عَلَيْهِمُ الْآلِهَةَ يَوْمَئِذٍ فَهَمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُخْلِفُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِحْدَادُ ﴿٧٠﴾ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧١﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَالْإِلَهَ﴾ تُرْجَعُونَ بالنشور.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: جملة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: خبره.

سماع تفهم فترجعون عن الإشراك؟

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾  
تستريحون ﴿وَبَصِيرَةٌ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عسى ما قلتم من الإشراك ﴿فَقُلُوا أِنْ الْحَقُّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلِّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿إِنْ قَرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته<sup>(١)</sup> وأمن به ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ بالكثير والعلو وكثرة المال ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الكون ما إن مَفَاحِهِمْ لَسَوْا تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فَرَحَ بَطَرٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

[٧٧] ﴿وَأَتْبَعَ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الذَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَتَسَنَّ﴾ تترك ﴿تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنَ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمير المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٢)</sup>.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيِلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْكُرُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ إِنْ قَرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ وَعَاتَبْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاحِهِمْ وَلَسَوْا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٨] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيِلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ بزعمةكم ﴿يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصيغة المحبة وانتقالها لبعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: الْمَالُ ﴿عَلَىٰ عِبَادِي﴾ أَيْ: فِي مَقَابِلَتِهِ، وَكَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّوْرَةِ بَعْدَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُمَمَ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلْمَالِ، أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ دُونِهِمْ الْمُتَجَرِّمُونَ﴾ لِعِلْمِهِ - تَعَالَىٰ - بِهِ؛ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ بِلَا حِسَابٍ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونَ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾، بِاتِّبَاعِهِ الْكَثِيرِينَ رُكْبَانًا مُتَخَلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَىٰ خِيُولٍ وَبَعَالٍ مَتَحْلِيَةٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ لِلنَّبِيِّ ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِنَّمَا لَهُمْ لُذُو حَظٍّ﴾ نَصِيبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ وَافٍ فِيهَا.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْفَيْهِ ﴿مَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ كَلِمَةُ زَجَرٍ ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مَا أُوتِيَ قَارُونَ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ الْمُنَابَ بِهَا ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بِقَارُونَ ﴿وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غَيْرِهِ بِأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصِفِينَ﴾ مِنْهُ.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أَيْ: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ يَوْسَعَ﴾ الْزَرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ يَضِيقُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَ«يَوْي» اسْمُ فَعْلٍ، بِمَعْنَى: أَعْجَبَ؛ أَيْ: أَنَا، وَ«الْكَافُ» بِمَعْنَى الْإِلَامِ <sup>(١)</sup> ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ <sup>(٢)</sup> ﴿وَيَكُنَّا لَهُ لَا يُلْقِي الْكَافِرُونَ﴾ لِنِعْمَةِ اللَّهِ، كَقَارُونَ.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ ﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْبَغْيِ ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْحَمْدَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا؛ وَهُوَ: عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جَزَاءُ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مِثْلُهُ.

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «يَكُنَّا» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَّلَ مَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْتَلْ عَنْ دُونِهِمْ الْمُتَجَرِّمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصِفِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ الزَّرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكُنَّا لَهُ لَا يُلْقِي الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

أَلْقَى إِلَيْكَ ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعِينًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي دَعَوْكَ إِلَيْهِ.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أَصْلُهُ: يَصُدُّكَ؛ حَذَفَتْ نُونُ الرَّفْعِ لِلْجَازِمِ، وَالْوَاوُ الْفَاعِلُ؛ لِاتِّفَاقِهَا مَعَ النُّونِ السَّائِكَةِ ﴿عَنْ مَا كُنْتَ اللَّهُ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أَي: لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ﴿وَأَذَعُ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بِإِعَانَتِهِمْ، وَلَمْ يُؤْزَرْ الْجَازِمُ فِي الْفِعْلِ لِبَنَاتِهِ.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تَغْيِثُ ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ الْقَضَاءُ النَّافِذُ ﴿وَالْيَوْمَ تَرْتَعُونَ﴾ بِالْشُّعُورِ مِنْ قُبُورِكُمْ.

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادٍ بِذَلِكَ. [٢] ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا﴾ أَي: بِقَوْلِهِمْ: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾ يَخْبِرُونَ بِمَا يَبِينُ بِهِ حَقِيقَةُ إِيمَانِهِمْ؟ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ آمَنُوا فَأَذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ<sup>(١)</sup>.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيمَانِهِمْ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فِيهِ.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يَفُوتُونَا فَلَا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ؟ ﴿سَاءَ﴾ بِئْسَ ﴿مَا﴾ الَّذِي يَتَكَبَّرُونَ فِي حُكْمِهِمْ هَذَا.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يَخَافُ ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِهِ ﴿لَا تَأْتِي﴾ فَلَيْسَتْ لَهُ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ جِهَادَ حَرْبٍ أَوْ نَفْسٍ ﴿فَانْصَبْ﴾ لِنَفْسِهِ ﴿فَإِنْ مَنَعَهُ﴾ جِهَادُهُ لَا لِلَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَذَعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَنْكَبُوتِ ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا﴾ أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أُنْزِلَ ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إِلَى مَكَّةَ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ قَدْ اسْتَفَاهَا<sup>(٢)</sup> ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نَزَلَ جَوَابًا لِقَوْلِ كُفَّارِ مَكَّةَ لَهُ: إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ. أَي: فَهُوَ الْجَانِي بِالْهُدَى، وَهُمْ فِي ضَلَالٍ، وَ﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعْنَى: عَالِمٌ.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالمراد يوم القيامة. قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة. كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسَّرْ لَكُمُ اللَّهُ الْفَيْحَ وَأَرْسِلْ رُوحَهُ مِنْ رَبِّهِمْ وَلْيَسَّرْ لَكُمُ اللَّهُ الْفَيْحَ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جدًا في الاستيعاب (٤٠/٣).

(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نشأتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به، ولا شك أن الوجه يستلزم الذات. ولكن لا يجوز إرادة اللزوم ونفي اللزوم؛ بل يجب إثباتها معًا.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).



[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ﴿٧﴾ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يبرَّهُمَا، ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: وإن جاهدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراف (١) ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿يَقُولُونَ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء السالكين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنيمة، قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخير (١) قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ أَوْزَارَهُمْ﴾ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴿بِقَوْلِهِمْ﴾ للمؤمنين: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين (٢) لام قسم، ولحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَتَّخِذْ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوههم إلى توحيد الله؛ فكذبوا ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي نضجوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥١٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وليعلمن﴾، و﴿ليسانن﴾.

[١٦] ﴿وَإِذْ ذَكَرَ ﴿١٦﴾ إِبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴿١٦﴾ خافوا عقابه ﴿١٦﴾ ذَلِكُمْ حَبْرٌ لَكُمْ ﴿١٦﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿١٦﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غيره ﴿١٧﴾ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾ يَقُولُونَ كَذِابًا ﴿١٧﴾ إِنْ الْأَوثَانُ شُرَكَاءُ لِلَّهِ ﴿١٧﴾ إِنْكَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١٧﴾ لَا يقدرون أَنْ يرزقوكم ﴿١٧﴾ فَأَتَيْنُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴿١٧﴾ اطلبوه منه ﴿١٧﴾ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾.

[١٨] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوا ﴿١٨﴾ أَيْ: تكذبوني يا أهل مكة ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبَ أُمُّرٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴿١٨﴾ مِّن قَبْلِي ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ الْأُمِّيَّةِ ﴿١٨﴾ إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ، فِي هَاتَيْنِ الْقَصَتَيْنِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

[١٩] ﴿وَقَالَ - تَعَالَى - فِي قَوْمِهِ: ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴿١٩﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ (١)؛ يَنْظُرُوا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴿١٩﴾ هُوَ بَضْمُ أَوَّلِهِ، وَقَرَأَ بَفَتْحِهِ (٢)؛ مِنْ بَدَأٍ وَأَبْدَأَ؛ بِمَعْنَى: أَيِ يَخْلُقُهُمْ ابْتِدَاءً ﴿١٩﴾ ثُمَّ هُوَ يُعِيدُهُ ﴿١٩﴾ أَيْ: الْخَلْقَ كَمَا بَدَأَهُمْ ﴿١٩﴾ إِنَّ ذَلِكَ ﴿١٩﴾ الْمَذْكُورُ مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ﴿١٩﴾ عَلَى اللَّهِ يُسِيرُ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ يَنْكُرُونَ الثَّانِي؟!

[٢٠] ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿٢٠﴾ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَمَاتَهُمْ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿٢٠﴾ مَذًا، وَقَصُرًا مَعَ سَكُونِ الشَّيْنِ (٣) ﴿٢٠﴾ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الْبَدءِ وَالْإِعَادَةِ.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢١﴾ تَعْدِيهِ ﴿٢١﴾ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢١﴾ رَحْمَتُهُ ﴿٢١﴾ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ﴿٢١﴾ تَرْدُونَ.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٢﴾ رَبِّكُمْ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ ﴿٢٢﴾ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾ لَوْ كُنْتُمْ فِيهَا أَيْ: لَا تَفُوتُونَهُ ﴿٢٢﴾ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غَيْرِهِ ﴿٢٢﴾ مِمَّنْ وَلِيَ ﴿٢٢﴾ يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ ﴿٢٢﴾ وَلَا نَصِيرَ ﴿٢٢﴾ يَنْصَرِكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيْتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ﴿٢٣﴾ أَيْ: الْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي ﴿٢٣﴾ أَيْ: جَنَّتِي (٤) ﴿٢٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ مُؤْلَمٌ.

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمُّمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ الْأُمِّيَّةِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أَيْ: نُوْحًا ﴿١٥﴾ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِيهَا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً ﴿١٥﴾ عِبْرَةً ﴿١٥﴾ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ النَّاسِ إِنْ عَصَوْا رَسُولَهُمْ، وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ (١) حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ.

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تحوّلها أصنامًا. واختاره ابن جرير.

(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.

(٤) بالناء قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أي: شذوذاً.

(٦) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد نوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - شيخانته - على الوجه اللائق به كما سبق مراراً.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ  
فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾  
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَىٰ كُمُ النَّارُ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ  
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾  
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ  
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَآتَيْنَاهُ  
فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ  
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ  
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ  
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي إِزَالِ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ عَلَى الْقَوْمِ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ العاصين بإتيان الرجال؛ فاستجاب الله دعاه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ  
إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قَذَفُوهُ فيها؛ بأن  
جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: إجنائه منه ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي  
عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإحمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير  
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنفعون بها.

[٢٥] وقال إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها،  
و«ما» مصدرية ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب (١):  
مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يترأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ مصيركم جميعًا  
﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَتَأْمَنَ لَهُ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران  
وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني  
ربي، وهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في  
ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنع.

[٢٧] ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق  
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته  
﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ  
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الشاء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ  
لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ بتحقيق الهمزتين  
وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (٢) ﴿لَتَأْتُونَ  
الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أديار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾  
الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم  
الفاحشة بمن ير بكم؛ فترك الناشء المرء بكم (٣) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾  
أي: مُتَحَدِّثِكُمُ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿فَمَا كَانَ  
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولاً بالرفع والإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بالفتح والإضافة. وقرأ الباقون: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة وراهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا  
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾  
 قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ  
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا  
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا  
 وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا  
 أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ  
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُكُونَ  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾  
 وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ  
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾  
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جِثِيمِينَ ﴿٣٦﴾ وَعَادَ آوْتَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ  
 مِنْ مِّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى لِيُاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ بعده

﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

﴿٣٢﴾ قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [لِنُجِيبَهُ] ﴿بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ﴾ (١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿٣٣﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراء؛ لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ﴾ بالشديد والتخفيف (٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ ونصب «أهلك» عطف على محل الكاف.

﴿٣٤﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف والشديد (٣) ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾ عذابا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: بسبب فسقهم.

﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

﴿٣٦﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عنتي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

﴿٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿٣٨﴾ وَأَهْلَكْنَا﴾ عَادًا ﴿وَأُتْمُودًا﴾ بالصرف وتركه (٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة (٥) ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿وَمِنَ مِّسْكِنِهِمْ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عند حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف «نموده» إذا كان بمعنى: الحي، ويمنع من الصرف إذا كان اسما للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.

﴿٣٩﴾ **وَأَهلَكْنَا قُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَزٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٤٠﴾ فَكُنَّا لَا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَتْ أَلْفُ لَهُمْ لِيُظْلِمَهُمْ فَابْعِذْهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَذَلِكَ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْأَصْنَامِ لَا تَنْفَعُ عَابِدِيهَا ﴿٤٢﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ يَعْزَمُ مَا فِي الدُّنْيَا وَمَا فِي الْآخِرَةِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾**

﴿٣٩﴾ **وَأَهلَكْنَا قُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَزٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ** الحجج الظاهرات **﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ﴾** فالتين عذابتنا.

﴿٤٠﴾ **﴿فَكُنَّا لَا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾** ريحا عاصفة فيها حصاباء قوم لوط **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ﴾** كمود **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾** كفارون **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾** قوم نوح، وفرعون وقومه **﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفُ لَهُمْ لِيُظْلِمَهُمْ﴾** فيعذبهم بغير ذنب **﴿وَذَلِكَ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** بارتكاب الذنب.

﴿٤١﴾ **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾** أي: أصناما يرجون نفعها **﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾** لنفسها تأوي إليه **﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْأَصْنَامِ لَا تَنْفَعُ عَابِدِيهَا﴾** لا يدفع عنها حزا ولا يزداد كذلك الأصنام لا تنفع عابديها **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** ذلك ما عبدوها.

﴿٤٢﴾ **﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا اللَّهُ يَعْزَمُ مَا فِي الدُّنْيَا وَمَا فِي الْآخِرَةِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** بالياء والثاء <sup>(١)</sup> **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ﴾** من شئ وهو العنكبوت في ملكه **﴿الْحَكِيمُ﴾** في صنعه.

﴿٤٣﴾ **﴿وَذَلِكَ الْأَمَثَلُ﴾** في القرآن **﴿يَضْرِبُهَا﴾** نجعلها **﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾** أي: يفهمها **﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** المتدبرون.

﴿٤٤﴾ **﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾** أي: محققا **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** دالة على قدرته - تعالى - **﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** حصوا بالذكر؛ لأنهم المنفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

﴿٤٥﴾ **﴿أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾** القرآن **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾** **﴿لِيُذَكَّرَ اللَّهُ أَكْبَرُ﴾** شرعا أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها **﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** من غيره من الطاعات **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** فيجازيكم به.

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وما يجحد ياتينها بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أي: اليهود<sup>(٢)</sup>، وظهر لهم أن القرآن حق والجاني به محق، وجحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُبُ يَسْمِعُكَ إِذًا﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَآزَنَاتٍ﴾ شك ﴿الْمُتَبِيلُونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿بِآيَاتٍ يَبَيِّنُ فِي صُورِ اللَّيْلِ أَوْثَارَ الْبَاقِرِ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْقَلِيلُونَ﴾ أي: اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة: ﴿بِآيَاتٍ﴾ كنافه صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا آيَاتِي عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَعِبْرَةً وَذِكْرًا﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا﴾ بصديقي ﴿يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا إِلَهُكُمْ وَجِدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين ءاتينهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلآء من يؤمن به وما يجحد ياتينها إلا الكفرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لآزتاب المتطولون بل هو ءاتيت يبينت في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد ياتينها إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه ءآيت من ربه قل إنما الآيت عند الله وإنما أنا نذير مبين أولئك كفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

[٤٦] ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والنسبة على حججه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يفرضوا بالجزية؛ فجادلهم بالسيف حتى

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصلفوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وما أنزل إليكم الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... قال الحافظ: «وصنع البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) تصريف يسير.

(٢) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاللهد وغيرهم. فالآية تشتمل هؤلاء جميعاً، ولا فائدة في حصرها في اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهِ ﴿١﴾ لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٢﴾ وَإِلَىٰ آلِهِمْ يُنْفَخُ وَهْمُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا ﴿١﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْفُخُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿١﴾ وَنَقُولُ ﴿٢﴾ فيه؛ بالنون: أي: نأمر بالقرول، وبالباء<sup>(١)</sup>: ﴿يَقُولُ﴾ أي: الموكل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تغوتونا.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي بِرِيشَةٍ فَائِزٌ فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾ فِي أَيِّ أَرْضٍ تَبَشَّرْتُ فِيهَا الْعِبَادَةَ؛ بَأَن تَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَرْضٍ لَمْ تَبَشِّرْ فِيهَا، نَزَلَ فِي ضِعْفَاءٍ مُسْلِمِي مَكَّةَ كَانُوا فِي ضَيْقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ بِهَا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ<sup>(٢)</sup>؛ بَعْدُ الْبُعْثِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴿١﴾ وَنَزَلْنَاهُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٣)</sup>؛ بِالثَّلَاثَةِ بَعْدَ النُّونِ؛ مِنَ الثَّوَاءِ؛ الْإِقَامَةِ، وَتَعْدِيتهُ إِلَى ﴿عُرْفًا﴾ بِحَذْفِ «فِي» ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مُقَدِّرِينَ الْخُلُودَ ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هَذَا الْأَجْرُ.

[٥٩] هُمُ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أَي: عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْهَجْرَةِ لِإِظْهَارِ الدِّينِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فَيَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

[٦٠] ﴿وَكَايُنَ﴾ كَمْ ﴿مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لَضَعْفِهَا ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ لَأَعْيُنُكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ زَادٌ وَلَا نَفَقَةٌ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِضَمَائِكُمْ.

[٦١] ﴿وَلَّيْنِ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ أَي: الْكَفَّارَ ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ﴾ بِصُرْفِهِ عَنْ تَوْحِيدِهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يَوْسَعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امْتَحَنًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يَضِيقُ ﴿لَهُ﴾ بَعْدَ التَّبْطِيطِ؛ أَي: لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيمٌ﴾ وَمِنْهُ مَحَلُّ الْبَسْطِ وَالتَّضْيِيقِ.

[٦٣] ﴿وَلَّيْنِ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي بِرِيشَةٍ فَائِزٌ فَاعْبُدُونِ ﴿٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٧﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ لَأَعْيُنُكُمْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيمٌ ﴿٩﴾ وَلَيَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿١٠﴾ فَكَيْفَ يَشْرِكُونَ بِهِ! ﴿١١﴾ قُلِ ﴿١٢﴾ لَهُمْ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تَنَاقُضُهُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمه والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شَيْخَانَةٍ - واختياره.

(٣) قرأ شعبة بالباء وفيه السبعة بالناء.

(٤) أي: وبالباء بدل الهمزة فتكون ﴿لننؤمنهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

[٦٧] ﴿وَأَنْتُمْ يَرَوْنَ﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلًا وسيئا دونهم ﴿أَفَأَبْأُتِلُ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعِمُ اللَّهُ بِكَفَرُونَ﴾ بإشراكهم.

[٦٨] ﴿وَمِنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَفَلَمْ يَنْتَفِقْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: فيها ذلك، وهو منهم.

[٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون<sup>(١)</sup>.

## سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكة، وهي: ستون، أو: تسع وخسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ فِي ذَلِكَ﴾.

[٢] ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ وفرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.

[٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿يَنْتَوُونَ عَنْهُمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول؛ أي: غلبة فارس لإياهم ﴿سَيَقُولُونَ﴾ فارس.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿وَلِيَّ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غلب الروم ومن بعده؛ المعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانيًا بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ لإياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزل جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه<sup>(٣)</sup> ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب.

﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِأَبْطُلِ بُرْهُؤُنْ وَيَنْعَمَ اللَّهُ بِكَفَرُونَ ﴿٧١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٣﴾

## سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَلَمُ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٦٧﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٦٨﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٠﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ﴾ وأما القِرْبُ فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَالَّذِينَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما أتوا الدنيا عليها.

[٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿أَلَيْسَ فِي الدَّعَاِ﴾ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة<sup>(١)</sup>: يسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيقتلوا ﴿٦٨﴾ في بضع سنين... خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في نواحي مكة: ﴿الَّذِينَ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيقتلوا ﴿٦٨﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بينا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا نراهناك على ذلك؟ قال: بلى. وذلك قبل تحريم الرهان. فارتفع أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل؟ البض: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمي بينا وبينك وسطاً تنتهي إليه. قال: فمضوا بينهم ست سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فغاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢١٢) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).

(٢) ما جاء في برول الآيات (١-٥). أخرج الترمذي عن أبي سعيد الحديري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين؛ فنزلت: ﴿الَّذِينَ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ينصر الله. قال: فرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(١) لحزة والكسائي وابن كثير وقالوا.

(٢) وهذا من لوازم معيته. شيخنا. الخاصة بعبادة المؤمنين، وحققتها الصعبة اللافقة كما سبق؛ ولا تنافي بينها وبين كونه مستويًا على عرشه باثنا من خلقه.



وَعَذَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ تَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت ﴿٨﴾ أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْآرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٤﴾

والكافرون.

[١٥] «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ جنة يُحْبَرُونَ» يسرون.

[٦] «وَعَذَّ اللَّهُ» مصدر، بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ «لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ» به «وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ» أي: كفار مكة<sup>(١)</sup> «لَا يَعْلَمُونَ» وعده. تعالى - بنصرهم.

[٧] «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: معاشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك «وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» إعادة «هُمْ» تأكيد.

[٨] «أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ» ليرجعوا عن غفلتهم «مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» لذلك نفى عند انتهائه، ويعد البعث «وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ» أي: كفار مكة «بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت» أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] «أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم «كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» كعاد وثمود «وَأَنَارُوا الْآرْضَ» حرقوها وقلبوها للزرع والغرس «وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا» أي: كفار مكة «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ» بالحجج الظاهرات «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» إهلاكهم بغير جرم «وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بتكذيبهم رسلهم.

[١٠] «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا» تأنيث الأسوأ: الأقيح، خبر «كَانَ» على رفع «عَاقِبَةُ»<sup>(٢)</sup> واسم «كَانَ» على نصب «عَاقِبَةُ» والمراد بها جهنم وإساءتهم «أَنَّ» أي: بأن «كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» القرآن «وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ».

[١١] «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ» أي: ينشئ خلق الناس «ثُمَّ يُعِيدُهُ» أي: خلقهم بعد موتهم «ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» بالباء والتاء<sup>(٣)</sup>.

[١٢] «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» يسكت المشركون؛ لانقطاع حجتهم.

[١٣] «وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ شُرَكَائِهِمْ» أي: لا يكون «لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ» ممن أشركوهم بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم «شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا» أي: يكونون «بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» أي: متبرئين منهم.

[١٤] «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ» تأكيد «يَتَفَكَّرُونَ» المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلها ﴿وَعِشْيَا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ﴾ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بِالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسهها ﴿وَكَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ﴾ [تُخْرِجُونَ] من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(١)</sup>.

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَايَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله - تعالى ..

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاجْتَلَفَ الْأَسْبَابَ﴾ أي: لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوُيُكْرَ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها<sup>(٢)</sup>؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ﴾ أي: إراءتكم ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؛ أي: يسهها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تُطْهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاجْتَلَفَ الْأَسْبَابَ وَالْوُيُكْرَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.





[٤٢] ﴿قُلْ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فَأَهْلَكُوا بِإِشْرَاكِهِمْ، وَمَسَاكِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ خَاوِيَةً.

[٤٣] ﴿فَأَقْرَعْ وَجْهَكَ لِلزَّيْنِ الْقَتِيمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ ينفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار.

[٤٤] ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفرة؛ وهو: النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُونَهُ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدَعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يشبههم ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يعاقبهم<sup>(١)</sup>.

[٤٦] ﴿وَمَنْ ءَاتَيْنَاهُ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَسْتَعْمُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم يا أهل مكة؛ فتوحدوه.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُمْ بِآيَاتِنَا أَكْفَرُوا﴾ والواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم؛ فكذبوهم ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِائِدًا﴾ أهلكتنا الذين كذبوهم ﴿وَوَكَاتَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين يهلكهم وإنجاء المؤمنين.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسَ سَحَابًا﴾ ترعجه ﴿فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَعْلَمُ كَيْفًا﴾ بفتح السين وسكونها<sup>(٢)</sup>؛ قطعًا متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنَ خِلَالِهِ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوذك ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إذا هم يستشيرون ﴿يَفْرَحُونَ﴾ بالمطر.

[٤٩] ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يُزَالَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آسين من إنزاله.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَى [أَثَرِ]﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة: ﴿ءَاثَرِ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَأَقْرَعْ وَجْهَكَ لِلزَّيْنِ الْقَتِيمِ ﴿٢﴾ مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُونَهُ ﴿٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَمَنْ ءَاتَيْنَاهُ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنَ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَعْمُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسَ سَحَابًا فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٩﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يُزَالَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿١٠﴾ فَانظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾

نعمته<sup>(٤)</sup> بالمطر ﴿كَفَيْتَ يَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿وَإِن ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحية بلازمتها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) يسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراءة بقية السبعة: ﴿ءَاثَرِ﴾.

(٤) نعمته - شيعته - بالمطر أثر من آثار رحمته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنَّا مَا نَسْمَعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشاب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصفرون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة البعث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِنْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿يَجْتَهُمُ﴾ يا محمد ﴿يَاكُذِّبُ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للنفاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصره عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملئك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركه.

\*\*\*

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً لِّظُلُمٍ مِّنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٤﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا وَلُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنَّا نَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٧﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيْقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٦١﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ

[٥١] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رَحْمَةً﴾ مصرة على نبات ﴿فَرَأَاهُ مُصْفَرًّا لِّظُلُمٍ﴾ صاروا، جواب القسم ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد اصفراه ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجهلون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا وَلُوا مُدِيرِينَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الباء <sup>(١)</sup> ﴿وَلَوْ أَنَّ مُدِيرِينَ﴾.

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوحيين، والوجه الآخر لحفص بخف عه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضعف﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

## سُورَةُ الْقَمَانَ

## سُورَةُ الْقَمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَانَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ١ هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٤ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ  
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥ وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا  
كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّاقِبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٦  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٧  
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَن يَقِيدَ  
بِكُوفَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا  
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٩ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا  
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٠

جبالاً مرتفعة لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَقِيدُ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَتَ﴾ فيها من كُلِّ دَابَّةٍ  
وَأَنْزَلْنَا فِيهِ الْغِيَاثَ عَنْ الْغَيْبَةِ ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
كَرِيمٍ﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة  
﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره؛ أي: ألهتكم حتى أشركتموها به - تعالى - ؟  
و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي يصلِّيهِ خَيْرُهُ، و«أروني» معلق  
عن العمل، وما يتقدّمه سُدَّ مَسَدَ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿يَسِ﴾ بإشراكهم وأنتم منهم.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبعوا الفئتان، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، ومنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣).  
قال ابن الأثير: «الفئتان: الأمة؛ عُتُوا لَمْ تُفْعَلْ... وجمعها: فئتان...» (لنهاية ٤ / ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: «الفناء وأشباهه». صحيح  
الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) قرأ حفص: ﴿هَزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هَزَاءً﴾؛ بسكون الزاي مهموزًا، ووقفاً: ﴿هَزَا، هَزُوًا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هَزُوًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما منهما بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٤) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي  
عن أبي صالح، وثلاثتهم ميمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٥٩/٣، ٦٠).

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَدْتُ﴾ الآيةين؛ فمدنيتان،  
وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصفات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَمَانَ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات  
﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.

[٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة:  
بالنصب<sup>(١)</sup>، حالاً من الآيات العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.

[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد.

[٥] ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني  
﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها<sup>(٢)</sup> ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع<sup>(٣)</sup>: عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾،  
﴿هَزُوًا﴾<sup>(٤)</sup> مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(٥)</sup> ذواهانة.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا  
﴿كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّ﴾ صمًا، وجملنا التشبه حالان من  
ضمير: ﴿وَلَّى﴾، أو: الثانية ياءٌ للأولى ﴿فَبَسَّرَهُ﴾ أغْلَمَهُ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾  
مؤلم، ذكر الإشارة تهكم به؛ وهو: النظر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتجر  
فيشتري كتب أخبار الأعاجيب ويحدث بها أهل مكة<sup>(٦)</sup>، ويقول: إن محمدًا  
يحدثكم أحاديث عاد ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم.

فيستملحون حديثه ويترون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها  
﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَخَفَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الذي لا يضع  
شيئًا إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ أي: العمدة، جمع عماد؛  
وهو: الأسطوانات، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَبْنِي لَكَ الشَّرَكَ إِنْ شَرِكٌ لَطَمَ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِي إِلَهُهَا إِنَّكَ مُنْقَلَبٌ حَبِطٌ مِمَّنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِي أَقْدِمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَقْسِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسْجِدِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوْتُ لَصُوتَ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمته كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كتفت؟ (١). وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً» (٢). أي: أي: وقلنا له: أن

﴿أَشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ بَنِي﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ ﴿لَطَمَ عَظِيمٌ﴾ فرج إليه وأسلم.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرؤهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوهدت ﴿وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَفَضَّلَهُ﴾ أي: فطامه ﴿فِي عَمَلَيْنِ﴾ وقلنا له: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ موافقة لواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ أي: بالمعروف، البر والصلة ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون ﴿فَأُجَارِيكُمْ عَلَيْهِ﴾ وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٦] ﴿يَبْنِي إِلَهُهَا﴾ أي: الخصلة السيفة ﴿إِنْ تَكُ مُنْقَلَبٌ حَبِطٌ مِمَّنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

[١٧] ﴿يَبْنِي أَقْدِمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أي: ما أصابك بسبب الأمر والنهي ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة (١): ﴿لُصَاعِرٌ﴾ ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تغل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَقْسِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ أي: خيلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْجِدِكَ﴾ توسط فيه بين الديب والإسراع، وعليك السكنية والوقار ﴿وَاعْظُضْ﴾ اخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ إن أنكر الأصوت أقبحها ﴿لَصُوتَ الْحَمِيرِ﴾ أوله زفير وأخيره شهيق.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات. فذكر قصة... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدنيه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصاك بالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: فسكنت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ بَنِي﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ ﴿لَطَمَ عَظِيمٌ﴾ فرج إليه وأسلم. وفيها: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ذكر الاختلاف في قصة سعد والآية التي نزلت فيها، وترجيح أنها آية لقمان، والله أعلم.

(١) هذه الأخبار عن لقمان رضي الله عنه وابنه ما لم تثبت بدليل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله تعالى وأن يقتصر على موضع العبارة والفائدة من القصة.

(٢) لحزمة والكسائي ونافع وأبي عمرو.



[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الشمس والقمر والنجوم؛ لتستفوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ﴾ وهي: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، وغير ذلك ﴿وَبَابِطَهُ﴾ هي: المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْنِيعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿أَي: موجهاته لا.﴾

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يُقْبِلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَالِلَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ مرجعها.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿أَي: بما فيها كغيره﴾ فمحاز عليه.

[٢٤] ﴿لَنُيَمِّتَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فَلْيَلَا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو: عذاب النار لا يجدون عنه محيصا.

[٢٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، و«واو» الضمير لانتقاء الساكنين ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وجوب عليهم.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبدا؛ فلا يستحق العبادة فيها غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود في صناعته.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [وَالْبَحْرِ] ﴿عُطْفٌ عَلَى اسْمِ﴾ «أَنْ» ﴿يَمْدُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مداذا ﴿مَا يَفِدَتْ كِلْتَا الْأَعْيُنِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بكثيرها بتلك الأقلام، بذلك اللام، ولا بأكثر من ذلك؛ لأن معلوماته ﴿تَعَالَى﴾ غير متناهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَابِطَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْنِيعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ كُفْرُهُ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ لَنُيَمِّتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقا وبعثا؛ لأنه بكلمة «كن» فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مُبْصَر، لا يشغله شيء عن شيء.

(١) أي: كغير ما في الصدور، فلا تخفى عليه - شَيْخَانَهُ - خافية.

(٢) بالنصب، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَالْبَحْرِ﴾ بالضم.

(٣) تفسير كلمات الله بمعلوماته عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف منها، وكلماته - شَيْخَانَهُ - هي: كلامه وقوله الذي لا نفاذ له؛ فهو - شَيْخَانَهُ - لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء. وما ذهب إليه المفسر راجع إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم أن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس قديم لا يوصف بالعدد، وهذا خلاف مذهب السلف وطريقتهم.

أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿٢٠﴾ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾.

[٢٠] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المذکور ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ على خلقه بالقهر ﴿٢١﴾ ﴿الْكَافِرُ﴾ العظيم.

[٢١] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ السفن ﴿يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ﴾ عبدا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿مُشْكِرٍ﴾ لنعمته.

[٢٢] ﴿وَلِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَاطِلٌ﴾ كالجال التي تظلم من تحتها ﴿دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا يَخْلَسُ مِنْهُمْ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَخْلَسُ مِنْهُمْ﴾ ومنه الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ﴾ غدار ﴿كُفُورٍ﴾ ليعلم الله تعالى.

[٢٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورَاتٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَتْفُورَاتٍ رَبِّكُمْ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾ يعني ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فيه شيئا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا بالبعث ﴿فَلَا تَعْرَتُكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جلبي وإمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

[٢٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزَّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْفَيْتُ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذْكَوْ أَمْ أَثْنَى، ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله - تعالى - ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ عَدَاً من خير أو شر، ويعلمه الله - تعالى - ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَيْرٌ﴾ بإطلته كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مَقَاتِلُ الْعَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة» (١).

\*\*\*

الَّتِي تَرَى اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورَاتٍ كَمْ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾

### سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يدخله ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من الآخر

(١) بالنسبة لقراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا، من قصر العلم على بعض أفرادهم، والله ﷻ له العلم المطلق ذاتا وشأنًا وقهرا.

(٣) الخطاب لأهل مكة وغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفاتيح» وخبرجه أيضا في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

## سُورَةُ التَّحْوَةِ

[مكية، ثلاثون آية (\*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثانٍ.

[٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمداً لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إشْدَرُ بِهِ ﴿قَوْمًا مَّا﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق به<sup>(٢)</sup> ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ وَلِيِّ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا تُفِجْ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

[٥] ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ يرجع الأمر والتدبير<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل» ﴿حَسْبَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا، كما جاء في الحديث<sup>(٥)</sup>.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدير ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالنَّهْدَةُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها<sup>(٦)</sup>؛ بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلَالَةً﴾ ذريته ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾ علقه ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماح ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ والأَفْقِدَةَ ﴿الْقُلُوبَ﴾ قلوب ﴿وَلَقَبَا مَا تُشْكُرُونَ﴾

﴿مَا﴾ زائدة مؤكدة للقلّة.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنَّمَا ضَلَّلَنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غيَّبَا فِيهَا بَأْنَ صِيْرًا تَرَابًا مَخْطَلًا بِتَرَابِهَا ﴿إِنَّمَا لَنِي خَلْقٌ جَدِيدٌ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين<sup>(٧)</sup>، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٢) سبق التعليق مراراً على هذا الضمير، وذكرنا الفارق بين نفويض الكيفية والذي هو حق، وبين نفويض المعنى وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو. (٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وَأَوَّلَى الْأَوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلٌ مِنْ قَالَ: مَعْنَاهُ يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي عُرُوجِ ذَلِكَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَنَزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ مِنْ أَيَّامِكُمْ، خَمْسَمِائَةِ فِي النَّزُولِ وَخَمْسَمِائَةِ فِي الصُّعُودِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرَ مَعَانِيهِ وَأَشْبَهَهَا بِظَاهِرِ النَّزِيلِ». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله - تعالى - على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً [الدر المنثور (٤١٧/٦)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢).

(٦) بسكونها قراءة أكثر وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿كُذِّبُوا﴾: لرأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى -: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ فهندي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الجنة (١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿يَسِيرًا﴾ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿أَيُّ﴾ بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته (٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتُ﴾ لُحِيَّتُ ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٣) ما تقر به أعينهم، وفي قراءة (٤) بسكون الباء؛ مضارع ﴿جَزَاءَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسفون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بعد للضيف ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ ﴿١٦﴾ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٨﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿٢١﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٣﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَبِّرِينَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطؤها خياء يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أُنْكَرْنَا من البعث

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة. ابراهيمي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٥٥) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلس وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم أقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فلا تعلم نفس مِمَّا أُخِيتُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. مسلم - كتاب الجنة وصفة عبيدها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخرقة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٢) أي: «أخفئ»، وهي حمزة.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ  
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ  
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا  
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ  
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٢٦﴾ أَي: بتبين لكفار مكة  
إهلاكنا كثيرا ﴿٢٧﴾ مِنَ الْقُرُونِ الْأَمِّ بِكفرهم ﴿٢٨﴾ يَمْشُونَ ﴿٢٩﴾ حال من ضمير  
﴿لَهُمْ﴾ ﴿٣٠﴾ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴿٣١﴾ فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ فَيَعْتَبِرُوا ﴿٣٢﴾ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿٣٣﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِنَا ﴿٣٤﴾ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٥﴾ سَمَاعٌ تَدِيرُ وَتَعَاظِي؟  
﴿٣٦﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ  
بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٧﴾  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾  
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ  
يُنْظَرُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٤٠﴾

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿٢١﴾ وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ ﴿٢٢﴾ عَذَابُ الدُّنْيَا؛ بِالْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ،  
وَالْجُدْبِ سَيْنٍ، وَالْأَمْرَاضِ ﴿٢٣﴾ دُونَ ﴿٢٤﴾ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴿٢٥﴾ عَذَابُ الْآخِرَةِ  
﴿٢٦﴾ أَي: مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ﴿٢٧﴾ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَى الْإِيمَانِ.  
﴿٢٩﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴿٣٠﴾ الْقُرْآنَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴿٣٢﴾ أَي:  
لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْهُ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٥﴾ مُنْقِمُونَ ﴿٣٦﴾.  
﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿٢٤﴾ التَّوْرَةَ ﴿٢٥﴾ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ ﴿٢٦﴾ شَكٍّ  
مِنْ لِقَائِهِ ﴿٢٧﴾ وَقَدْ تَقَبَّلْنَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلْنَاهُ ﴿٢٩﴾ أَي: مُوسَى أَوْ الْكُتَابَ  
هُدًى ﴿٣٠﴾ هَادِيًا ﴿٣١﴾ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٢﴾.  
﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً ﴿٢٥﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَتَيْنِ وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ يَاءً (١)؛ قَادَةَ  
﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسِ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيَانَا لَمَّا صَبَرُوا ﴿٢٧﴾ عَلَى دِينِهِمْ، وَعَلَى الْبَلَاءِ مِنْ  
عُلُوبِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةِ (٢)؛ بِكسر اللام وتخفيف الميم ﴿٢٨﴾ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا ﴿٢٩﴾ الدَّالَّةِ  
عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا ﴿٣٠﴾ يُوقِنُونَ ﴿٣١﴾.  
﴿٢٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٣٢﴾ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٣﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.  
﴿٢٦﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٢٧﴾ أَي: بتبين لكفار مكة  
إهلاكنا كثيرا ﴿٢٨﴾ مِنَ الْقُرُونِ ﴿٢٩﴾ الْأَمِّ بِكفرهم ﴿٣٠﴾ يَمْشُونَ ﴿٣١﴾ حال من ضمير  
﴿لَهُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴿٣٣﴾ فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ فَيَعْتَبِرُوا ﴿٣٤﴾ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿٣٥﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِنَا ﴿٣٦﴾ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٧﴾ سَمَاعٌ تَدِيرُ وَتَعَاظِي؟  
﴿٢٧﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴿٢٨﴾ الْيَابِسَةِ الَّتِي لَا  
نَبَاتُ فِيهَا ﴿٢٩﴾ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٠﴾  
هَذَا، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ نَقْدَرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ.  
﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ ﴿٢٩﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿٣٠﴾ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ﴿٣١﴾ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ ﴿٣٣﴾  
﴿٢٩﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴿٣٠﴾ يَنْزَالُ الْعَذَابُ بِهِمْ ﴿٣١﴾ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣٢﴾ يَهْلُونَ لِنُوبَةٍ أَوْ مَعْدَرَةٍ.  
﴿٣٠﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ﴿٣١﴾ إِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٣﴾  
بِكَ حَادِثٍ مَوْتٍ أَوْ قَتْلِ فَيَسْتَرْجِعُونَ مِنْكَ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ.

\*\*\*

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

وَالْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ فيما يخالف شريعته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَأَنبِئْ مَا يُوْحِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿رَبَّكَ اللَّهُ كَاتِبُ مَا تَعْمَلُونَ حَسِبًا﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: بالتحانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمنه تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ رُداً على من قال من الكفار: «إن له قلبين يعقل بكل منهما، أفضل من عقل محمد»<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ أَلْفًا﴾ بهمة وبلاء وبلاء ياء<sup>(٣)</sup> ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها<sup>(٤)</sup>، والباء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: «أنت علي كظهر أمي» ﴿أَتَهْتِكُنَّ﴾ أي: كالأهيات في تحميمها بذلك، المد في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه؛ كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعوي؛ وهو: من يدعي لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَلِكَمُ قولكم﴾ يأفوكم<sup>(٥)</sup> أي: اليهود والمنافقين، قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي نبأه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه. فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك<sup>(٦)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ عدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَاذْهَبْكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ بنو عمكم<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَكِنْ﴾ في ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه: أي: بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَبِّكُمْ﴾ بكم في ذلك<sup>(٨)</sup>.

[٦] ﴿أَتَى أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أَمْتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ﴾ ذوو القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ<sup>(٩)</sup> ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَوْلَىٰ بِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وأريد به<sup>(١٠)</sup> الكتاب في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من ثبتي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فليس لهم يعلم له أب كان مولى وأماً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في إnder المنتور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٩، ٧٨/٣).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة من المد المشع، وقرأ ورش بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وباء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاته على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم غدر في دعوتهم إلى من تنهائم.

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالدُّرِّ: جمع ذرة؛ وهي: أصغر النمل ﴿وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه؛ وهو: اليمين بالله - تعالى -، ثم أخذ الميثاق.

[٨] ﴿لَيْسَ لَكَ اللَّهُ﴾ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴿فِي تَلْفِيفِ الرِّسَالَةِ﴾ تَبَكُّيًا للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ - تعالى - ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، هو عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء: من حفر الخندق، وبالياء<sup>(١)</sup>: من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَرَ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة؛ وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَطَّوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة بالنصر والباس.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿ضَعُفٌ اعْتِقَادٍ﴾ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَسَّلَهُمْ ﴿بِالنَّصْرِ﴾ إِلَّا غُرُورًا ﴿بَاطِلًا﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: المنافقون: ﴿يَتَأَلَّاهُ بَنَرٌ﴾ هي: أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّا بِيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يُحْشَى عليها، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَرَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطَّوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الَّذِينَ دَاخِلُونَ الْفِتْنَةَ الشَّرْكَ أَتَوْنَا بِالْمَقْصَرِ<sup>(٣)</sup>؛ أي: أعطوها وفعلوها<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْعًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبْرَ وَكَانَ عَاهَدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) بالفتح قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) بالنقص قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالترتيب على القراءتين.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا  
لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ  
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ  
لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ يَنْتَصِرُونَ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْجَحَ  
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ  
كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ  
بِالْأَيْسَةِ جِدَادٍ أَشْجَحَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبِطْ  
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ  
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ  
بَادُؤْنَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ  
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ  
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾  
وَلِمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾

فَرَرْتُمْ ﴿لَا تَنْتَعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية أجالكم.  
[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يجيركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ  
سُوءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾  
خيرًا؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا  
نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ﴾ المضطربين ﴿مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ  
هَلْ يَنْتَصِرُونَ﴾ قالوا ﴿لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وسمعة.

[١٩] ﴿أَشْجَحَ عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير  
﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي  
كَنْظَرُ أَوْ كدوران الذي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿إِذَا ذَهَبَ  
الْخَوْفُ﴾ وجيزت الغنائم ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ أدركتم أو ضربوكم ﴿بِالْأَيْسَةِ﴾ جِدَادٍ  
أَيْسَةً عَلَى الْخَيْرِ ﴿أَي: الْغَنِيمَةَ يَطْلُبُونَهَا﴾ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿حَقِيقَةً  
فَاحْبِطْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لحوفهم  
منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ كَرَّةٍ أُخْرَى ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ  
بَادُؤْنَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾  
أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكثرة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا  
قَلِيلًا﴾ رياء وخوفًا من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إِسْوَةٌ] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾  
﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والفتاب في مواطنه ﴿لِمَنْ﴾ بدل من  
﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا  
بخلاف من ليس كذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا  
زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقًا بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.



مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَبِهِمْ مَن قَضَىٰ تَحِبُّهُ، وَوَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴿٢٤﴾ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ سَأَلَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا كَثِيرًا ﴿٢٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَيْدِيهِمْ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِ سَبْعًا مِّنْ أَجْزَالِهِمْ لَمَّا نَذَرُوا لَئِنْ لَمْ يَنَالُوا الْيَوْمَ الْأَوَّلَ لَكُنَّ أَهْلَ عَذَابٍ وَاسِعٍ ﴿٢٦﴾ وَنَالُوا الْيَوْمَ الْأَوَّلَ وَاللَّيْلِ طَبَرْهُمُ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ أَيْ: قَرِيبَةً مِنْ صِبْيَانِهِمْ حُصُونُهُمْ، جَمْعُ صَيْصَةٍ؛ وَهُوَ: مَا يَتَحَصَّنُ بِهِ «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» الْخَوْفَ «فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» مِنْهُمْ؛ وَهُمْ: الْمُقَاتِلَةُ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ؛ أَيْ: الذَّرَارِي. ﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَنْصَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا» بَعْدَ؛ وَهِيَ: خَيْرٌ أُخِذَتْ بَعْدَ قَرِيبَةٍ «وَكَلَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» ﴿٢٨﴾ «يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ» وَهِيَ: تَسْعُ، وَطَلَبُ مِنْهُ مِنْ رِزْقِ الدُّنْيَا مَا لَيْسَ عَنْدهُ: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّنَا لِمَا تَحِبُّونَ فَمَا لَكُمْ أَلْتَمَعْتُمْ» أَيْ: مَتَعَةَ الطَّلَاقِ «وَأَسْرَعْتُمْ سَرَكَ جِيلًا» أَطْلَقْتُمْ مِنْ غَيْرِ ضَرَارٍ. ﴿٢٩﴾ «وَلَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» أَيْ: الْجَنَّةَ «فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْجَنَّةِ الْآخِرَةِ» أَيْ: الْجَنَّةَ؛ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>. ﴿٣٠﴾ «يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِيهِ مِنْكُمُ الْفِتْنَةُ» بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكسرها<sup>(٢)</sup>؛ أَيْ: يَنْتَقِلُ، أَوْ هِيَ: يَنْتَقِلُ «وَفِي قِرَاءَةٍ»<sup>(٣)</sup>: «يَضَعُفُ» بِالشَّدِيدِ، وَفِي أُخْرَى<sup>(٤)</sup>: «يُضَعَّفُ» بِاللَّوْنِ مَعَهُ وَتَضَبُّ «الْعَذَابُ» «لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» ضِعْفِي عَذَابٍ غَيْرِهِنَّ، أَيْ: مِثْلِيهِ «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» ﴿٣١﴾

﴿٢٣﴾ «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» مِنَ الثَّبَاتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ «فَبِهِمْ مَن قَضَىٰ تَحِبُّهُ» مَاتَ أَوْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ «وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ» ذَلِكَ «وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» فِي الْعَهْدِ، وَهُمْ بِخِلَافِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ<sup>(٥)</sup>. ﴿٢٤﴾ «لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا لِّمَن تَابَ «رِجَالًا» بِهِ.

﴿٢٥﴾ «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أَيْ: الْأَحْزَابَ «يَغِطُّهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا» مُرَادُهُمْ مِنَ الظَّفَرِ بِالْمُؤْمِنِينَ «وَكَلَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتْنَةَ» بِالرَّيْحِ وَالْمَلَائِكَةِ «وَكَلَّ اللَّهُ قُوْبًا» عَلَى إِيجَادِ مَا يَرِيدُهُ «عَزِيزًا» غَالِبًا عَلَى أَمْرِهِ.

﴿٢٦﴾ «وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَهَرَهُمْ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ» أَيْ: قَرِيبَةً مِنْ صِبْيَانِهِمْ «حُصُونَهُمْ، جَمْعُ صَيْصَةٍ؛ وَهُوَ: مَا يَتَحَصَّنُ بِهِ «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» الْخَوْفَ «فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» مِنْهُمْ؛ وَهُمْ: الْمُقَاتِلَةُ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ؛ أَيْ: الذَّرَارِي.

﴿٢٧﴾ «وَأَوْرَثَكُمْ أَنْصَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا» بَعْدَ؛ وَهِيَ: خَيْرٌ أُخِذَتْ بَعْدَ قَرِيبَةٍ «وَكَلَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا».

﴿٢٨﴾ «يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ» وَهِيَ: تَسْعُ، وَطَلَبُ مِنْهُ مِنْ رِزْقِ الدُّنْيَا مَا لَيْسَ عَنْدهُ: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّنَا لِمَا تَحِبُّونَ فَمَا لَكُمْ أَلْتَمَعْتُمْ» أَيْ: مَتَعَةَ الطَّلَاقِ «وَأَسْرَعْتُمْ سَرَكَ جِيلًا» أَطْلَقْتُمْ مِنْ غَيْرِ ضَرَارٍ.

﴿٢٩﴾ «وَلَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» أَيْ: الْجَنَّةَ «فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْجَنَّةِ الْآخِرَةِ» أَيْ: الْجَنَّةَ؛ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا<sup>(٦)</sup>.

﴿٣٠﴾ «يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِيهِ مِنْكُمُ الْفِتْنَةُ» بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكسرها<sup>(٧)</sup>؛ أَيْ: يَنْتَقِلُ، أَوْ هِيَ: يَنْتَقِلُ «وَفِي قِرَاءَةٍ»<sup>(٨)</sup>: «يَضَعُفُ» بِالشَّدِيدِ، وَفِي أُخْرَى<sup>(٩)</sup>: «يُضَعَّفُ» بِاللَّوْنِ مَعَهُ وَتَضَبُّ «الْعَذَابُ» «لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» ضِعْفِي عَذَابٍ غَيْرِهِنَّ، أَيْ: مِثْلِيهِ «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا».

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتمت المشركين، لكن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد واكتشف المسلمون، قال: اللهم إني اعتذرت إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابي - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مَثَلُ به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بيناته. قال أنس: كما نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. البخاري - كتاب الجهاد والسير (٥٦) باب (١٢).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٨، ٢٩): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا يباه له يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا. قال: فقال: لأقولن شيئا أضحكك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمعت إليها فوجأت عفتها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، قلن: والله لا تسألن رسول الله ﷺ شيئا أبداً ليس عنده، ثم اعترلن شهرا أو تسعا وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبأشدة فقال: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبوك». قالت: وما هو يا رسول الله؟

فقال عليها الآية قالت: أنيك يا رسول الله أمستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «لا تسألني امرأة منهم إلا أخبرتها؛ إن الله لم يعطني معنقا ولا معنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا». مسلم - كتاب الطلاق (١٨) باب (٤) بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بية.

(١) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة.

(٢) لأي عمرو.

(٣) لابن كثير وابن عامر.

[٣٢] ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِي لَسَدْتَ كَاٰمِرًا كَجَمَاعَةٍ مِّنَ النَّسَاءِ اِنْ اَتَيْتَنِيْ اَللّٰهَ فَاِنْكَرَ اَعْظَمُ ۚ فَلَآ تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ ۙ لِلرَّجَالِ ۚ فَيُطَمِّعَ اَلَّذِيْ فِيْ قَلْبِهِ مَرْمًۢىً ۚ نَفَاۡقًا ۚ وَكُنْ فَوَلًا مَّرْهُوۡفًا ۚ﴾ من غير خضوع.

[٣٣] ﴿وَقَدْ﴾ بكسر القاف وفتحها<sup>(١)</sup> ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار، وأصله: «أقرن» بكسر الراء وفتحها، من قررت، بفتح الراء وكسرهما، نُقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ بترك إحدى التائين من أصله ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿وَلَا يُبَيِّنُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَاطْعِنِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الْإِثْمَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُظْهِرَ﴾ منه ﴿ظَهْرَكَ﴾<sup>(٣)</sup>

[٣٤] ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْكُرُ فِي يَوْمِئِذٍ مِّنْ مَّآثِرِ اللَّهِ﴾ القرآن  
﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ الشُّعْبَةُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿حَبِيرًا﴾ بجميع  
خلقه.

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْغَائِبِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي الْإِيمَانِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْعَاصِيِينَ وَالْعَاصِيَاتِ فِي الْمَوَاضِعِ وَالْخَائِفِينَ وَالْخَائِفَاتِ وَالْمُضْطَرِّقِينَ وَالْمُضْطَرِّقَاتِ وَالصَّائِبِينَ وَالصَّائِبَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ عَنِ الْحَرَامِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لِّلْعَاصِيِ وَالْأَجْرَ عَظِيمًا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ<sup>(٥٥)</sup>.

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفِّرْهَا  
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ  
لَسْنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ تَقْتَتِينَ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ  
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٢﴾ وَقرَنَ  
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ  
الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا  
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيرًا ﴿٢٣﴾ وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ  
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٤﴾  
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ  
وَالصَّادِقَاتِ وَالشَّاهِدِينَ وَالشَّاهِدَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ  
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ  
فُرُوجَهُمُ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا  
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾

[٣١] ﴿رَمَن يَفْعَلْ﴾ بَطَعَ ﴿مَنْكُرٌ لِلَّهِ وَّرَسُولِهِ، وَنَعْمَلْ صَلَاحًا نُّؤَدِّهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة (١): بالتحانية في ﴿تَعْمَلْ﴾ و﴿نُؤَدِّهَا﴾ و﴿وَأَعَدَّنا لَها رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج أحمد عن أم سلمة -رضي الله عنها- ذكر أن النبي ﷺ كان في بيته، فاتته فاطمة -رضي الله عنها- بمرمة في خبزها، فدخلت بها عليه فقال لها: «أدعي زوجك وابنيك». قالت: ف جاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخبز، وهو على مناعة لم على ذلك الخبز، فساء له خبيري، قالت: وأنا أصلي في الحجر، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاه به، ثم أخرج يده فأولئ بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أملي بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أملي بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله. قال: «إنك إلى خير، إنك إلى خير». أحمد - المسند (٢٩٦/٦)، وصححه الأرنؤوط بمجموع طرقه في تخريجه على المسند (١١٧/٤٤)، وأخرجه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة بنحو مختصر. (صحیح)، صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢). والخزينة: لم يقطع صفرا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذو الصلة النقي، فإن كان لم يكن فيه لحم فهي عصيد. ولعل غير ذلك. البزامة: القدر مطلقا، وجهها: إرام. النمامة: هنا القطيفة. والدكان: الدكة الجلوس عليها. النهاية (١٢١/١)، (١١٣/٢، ١١٣/١).

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٣٥): أخرجه الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقال: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء. فترلت: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٥). وأخرج أيضاً عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: **﴿وَلَا تَمْنُنَ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** (النساء: ٣٢). قال مجاهد: فأنزل فيها: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾**. سبق تخريجه في سورة النساء آية (٣٢).

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) النور: ٣١.

﴿وَمَا كَانَ يُثْمِنُ وَلَا يُؤْمِنُ إِذَا فَضَى اللَّهُ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ﴾ [٣٦] بالناء والياء (١) ﴿هُمْ خَيْرٌ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب خطبها النبي لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضا (٢) لآية: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حبها (٣)، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها. فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَنْصَبَ لَكُمُ الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الْوُحُوشِ قَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا بَلْ أَنْتُمْ أَهْلُ لَحْظٍ أَمْ أَنْصَبَ لَكُمْ مِنْ تَحْتِ الْوُحُوشِ مَاءً شَايِبًا وَمَنْ يَتَذَكَّرْ فَلْيَذَكَّرْ بِآيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُ يَرَى صَوْرَةَ يَوْمِهِ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ الصَّاعِقُ وَهُمْ يَرْجُونَ لَحْظًا طَوِيلًا﴾ [٣٧] ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإتصاف؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبأه ﴿أَسْبَغَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَى اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَشَفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ بِبَدِيدٍ﴾ مظهره؛ من محبتها (٤)، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَنَحْنُ النَّاسُ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه. والله أعلم أن تحبته في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا فَضَى زَيْدٌ مَتَاهَا وَطَرَا حَاجَةً زَوْجَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبراً ولحماً ﴿لِيَكُنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي تَزْوِجِ أَعْيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ مقضيه ﴿مَفْعُولًا﴾ (٥).

[٣٨] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فُرِضَ﴾ أحل ﴿اللَّهُ لَكُمْ سِتَةَ اللَّهِ﴾ أي: كسنة الله، فنصب نزع الحافض ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله <sup>(٥)</sup> ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ مقضيًا. [٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لـ ﴿الَّذِينَ﴾ قبله ﴿يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيُخَوِّشُونَ أَعْيُنَ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يُحْذَرُونَ﴾ فلا يخشون عقاب الله في ما رسل الله إليهم ﴿وَكُنْ بِأَمْرِهِ حَسِيمًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبتها.

[٤٠] ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أباً زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه الزواج بزوجته زيب ﴿وَلَكِن كَانَ رَسُولُ اللَّهِ [وَحَاتِمٌ]﴾ <sup>(٦)</sup> **الْبَيْتِ**؛ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً، وفي قراءة: بفتح التاء؛ كآلة الختم؛ أي: به ختموا ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته <sup>(٧)</sup>.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣١﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِلْكِ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٢﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُرُونَهُ وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانَ بِاللَّهِ حُسْبِيًّا ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿٣٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٣٧﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٣٩﴾

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًاۖ

[٤٢] ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره.

[٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم ﴿وَمَنَّكُمْ﴾ يستغفروا لكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ ليدم إخراجهم إليكم ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿وَنُحْيِي فِي نَقَائِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِي﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرج الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: ﴿يُحْيِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَيَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ فِي شَأْنِ زَيْبِ بِنْتِ حُحْشٍ، جَاءَ زَيْدٌ بِشَكْوَى، فَهَمُّ بِطَلَاهَا، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحیح) صحیح من الترمذي (٢٥٦٧).

(١) بالباء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو لم يروى عن ابن عباس ومجاهد وقادة أنها نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه من لى. وذكر بعض المفسرين. كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره. أن عبد الله بن جحش أنزب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضا وسلاما. ورواية المصنف هي المنقولة عن قتادة دون ذكر عبد الله بن جحش، أخرجه الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبري في الكبير (٣٧/٣٦٤، ٣٧/٣٦٥، ٣٧/٣٦٦) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضهم رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥٣). (٣) هكذا: "ورد عن أحمد بن مسعود في تفسيره هذا الكلام في أن القسوس لم يلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنا هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسبقوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الصواب في ذلك أن الله تعالى أعلم بنبيه ﷺ ذلك مخافة أن يقول الناس: كيف يتزوج محمد زوجة أبيه؟" كما يقول لزيد: "أفلمست عليك زوجك."

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - وحتمه، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعِ أَتْرَكَ﴾ أَذْنَهُمْ لَا تَجَازِهمْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تُؤْمَرُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مَوْضُوعًا إِلَيْهِ.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١) ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجماعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ تحصونها بالإفراء وغيرها ﴿فَتَمْسُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِيقَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسي؛ كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا يطلب نكاحها بغير صدق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صدق ﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بَأَن لَا يَزِيدُوا عَلَى أَرْبَعِ نِسَاءٍ، وَلَا يَتَزَوَّجُوا إِلَّا بِوَلِيِّ وَشُهُودٍ وَمَهْرٍ ﴿وَفِي مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء بشراء وغيره؛ بَأَن تَكُونَ الْأَمَةُ مِمَّنْ تَحِلُّ لِمَالِكِهَا كَالْكَتَابِيَّةِ بخلاف المجوسية والوثنية، وَأَنْ تَسْتَبْرَأَ قَبْلَ الْوِطْءِ ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿وَنَذِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بَأَن لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وَدَعِ أَتْرَكَ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ فَتَمْسُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

[٤٤] ﴿يَحْيِيهِمْ﴾ مِنْهُ - تَعَالَى - ﴿يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ﴾ بِلِسَانِ الْمَلَائِكَةِ (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

(١) إذا قلنا: إن النحية منه - شَيْخَانَهُ - بمعنى أَنَّهُ يَسْلَمُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ - شَيْخَانَهُ -: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، فسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الدين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أَنَّهُمْ يَحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ يَوْمَ يَقُوتُ اللَّهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) حمزة والكسائي، وهي بضم التاء وإشباع المد بعد السين.



اللَّهُ ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَأَنَّمَا تُحِبُّنَّ﴾ بيتًا.

﴿٥٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِمَّا كَتَبْتُ لَهُنَّ﴾ جمع جلاب، وهي: الملاعة التي تشتمل بها المرأة؛ أي: برحين بعضها على الوجه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينًا واحدة ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يُعْرِضَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَنُ﴾ بالتعرض لهن بخلاف الإمام فلا يغلطن وجوههن، فكان المناقضون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك السر ﴿حَسْبًا﴾ بهن إذ سترهن.

﴿٦٠﴾ ﴿لَنْ﴾ لام قسم ﴿لَنْ يَنْتَهِ الْمُتَفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ بالزنا (١) ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم (٢) ﴿قَدْ أَتَاكُمْ الْعَدُوُّ وَسَرَاكُمْ قَتَلُوا أَوْ هَزَمُوا﴾ لَنُغْرِبَنَّ بِهِمْ ﴿لَنَسْلُطَنَّهُ عَلَيْهِنَّ﴾ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ ﴿يَسَاكُونُكَ﴾ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿ثُمَّ يَخْرُجُونَ﴾.

﴿٦١﴾ ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿إِنَّ مَا تُفْعَلُونَ﴾ وجدوا ﴿أُجْدُوا وَفُتِلُوا فَرَسِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

﴿٦٢﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سنَّ الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في مناقبيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٥٨) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ (٥٩) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِمَّا كَتَبْتُ لَهُنَّ أَنْ يُعْرِضَ فَلَا يُؤْذَنُ﴾ (٦٠) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٦١) ﴿لَنْ يَنْتَهِ الْمُتَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾ (٦٣) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٤)

﴿٥٥﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يؤذوهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾

(٥) فائدة: أخرجه أحمد عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٢٤/٤)، وصححه الألباني (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٦) فائدة: أخرجه أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِمَّا كَتَبْتُ لَهُنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِمَّا كَتَبْتُ لَهُنَّ﴾ وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرجفون المؤمنين بقولهم.







أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَلَيْسَ  
أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا  
يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَنَالَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ  
سَبْعَ نَجْعٍ وَفَدَّرَ فِي السَّيِّدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْتَ تَمَكِّنُ الرِّيحَ عُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ  
وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ  
رَبُّهُ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَدَفَهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾  
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ  
وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ  
الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ  
إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ وَقَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ  
أَنْ لُّوكُلُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قائما على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضه عضاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أَرْضَت الحَشْبَةَ بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ بالهمز وتركه باللف (٤)؛ عصاه؛ لأنها تُنْشَأُ بَطَرْدٍ (٥) ويُزجر بها ﴿قَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، بخلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحته ﴿يَرَوْنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا﴾؛ قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (٦) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يَجِبَالُ أَوْبَى﴾ رجعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال؛ أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَمَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ منه ﴿سَبْعَ نَجْعٍ﴾ دروعاً كوامل، يجوها لابسها على الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سراد؛ أي: اجعله بحيث تتناسب جلقه ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازكم به.

[١٢] ﴿وَوُكِّلَ﴾ سخرنا ﴿لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقراءة الرفع (٧) بتقدير: تسخير ﴿عُدُوهَا﴾ مسيرها من الغدوة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسْلَمْنَا﴾ أذننا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لباليهين كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ياذن بأمر ﴿رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿يُدْفَعُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تمزقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج وورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ أي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿أَعْمَلُوا﴾ يا ﴿أَل دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ العامل بطاعتي شكرًا للنعمة.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿يُشَاهِدُ﴾، و﴿يُحْصِفُ﴾، و﴿يُسْقِطُ﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو باللف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لأنها تُنْشَأُ بنظره﴾، وفي نسخة أخرى: ﴿لأنها تُنْشَأُ ببطره﴾.

وأديهم المسوك بما ذكره؛ فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَدَلَّاهُمْ يَجْتَنِبْنَ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حِمَاطٍ﴾<sup>(١)</sup> مؤن بشع، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها يعطف عليه ﴿وَأَتْلُ وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ يُجَازِلُ﴾ إلّا [الكفور] بالبلاء<sup>(٢)</sup>، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكُفُورُ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر؛ وهي: قرى الشام التي يسبرون إليها للتجارة ﴿فَرَىٰ ظَهْرَهُ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدُ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة: ﴿بَعْدُ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاور ليطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ فرقانهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شُكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِلَيْسَ ظَنُّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَأَتَّبَعُوهُ﴾ فـ ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَّهُمُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلًا منها ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ وزن ﴿ذَرَرٌ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مَنْ ظَهَرَ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ مِّن مَّسْكِينَةٍ آيَةٌ جَنَّانٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأُتْلُ وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْعَ وَاتِّبَاءً مِّن بَيْنِ أَصْحَابِهَا فَفَعَلْنَا لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْنَا فِيهَا لُطُوفًا لِّقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَيْسَ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُم مِّنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه<sup>(١)</sup>؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِينَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّانٍ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين وأديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباح<sup>(٣)</sup>، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيسوت لطيب هوائها<sup>(٤)</sup> ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع غرقة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهزرة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكان الهزرة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَسْكِينَةٍ﴾ بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مَسْكِينِهِمْ﴾ بالإفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام. وقرأ بقية السبعة: ﴿بَاعِدُ﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تَعَالَى - رَدًّا لِقَوْلِهِمْ: إِنْ أَلْهَمْتُمْ تَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْكَلَ﴾ بفتح الهمة وضمها<sup>(١)</sup> ﴿كَلِمَةً﴾ فِيهَا ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ بِالنَّاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ<sup>(٢)</sup> ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كَشَفَ عَنْهَا الْفَرْعَ بِالْإِذْنِ فِيهَا ﴿قَالُوا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ اسْتَخَارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فِيهَا؟ ﴿قَالُوا﴾: الْقَوْلُ ﴿الْحَقُّ﴾ أَي: قَدْ أَذِنَ فِيهَا<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فَوْقَ خَلْقِهِ بِالْقَهْرِ<sup>(٤)</sup> ﴿الْعَظِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّاتِ؟﴾ قُلْ اللَّهُ! إِنْ لَمْ يَقُولِهِ، لَا جَوَابَ غَيْرِهِ ﴿وَيَا أَيُّهَا كُمْ﴾ أَي: أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يَتَّبِعْنَ، فِي الْإِيْهَامِ تَلَفُفَ بِهِمْ دَاخٍ إِلَى الْإِيْمَانِ إِذَا وَقَفُوا لَهُ.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا أَذْنِبْنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لَأَنَّا نَبْرِئُونَ مِنْكُمْ.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يَحْكُمُ ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فَيَدْخُلُ الْحَقِيقُ الْجَنَّةَ وَالْمُبْطِلِينَ النَّارَ ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الْحَاكِمُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أَعْلَمُونِي ﴿الَّذِينَ أَحَقَّشْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ فِي الْعِبَادَةِ ﴿كَلَّا﴾ رَذَخَ لَهُمْ عَنْ اعْتِقَادِ شَرِيكَ لَهُ ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ لَخَلْقِهِ؛ فَلَا يَكُونُ لَهُ شَرِيكَ فِي مَلَكِهِ.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حَالٍ مِنَ «النَّاسِ»، قَدَّمَ لَلْاهْتِمَامِ ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مَبْشَرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ مُنْذِرًا لِلْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَي: كَفَّارِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ؟. [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَي: تَقَدَّمَ؛ كَالْتَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، الدَّالِّينَ عَلَى الْبَعثِ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ. قَالَ - تَعَالَى - فِيهِمْ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقَّشْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ

الظَّالِمُونَ﴾ الْكَافِرُونَ ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الْأَتْبَاعُ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرُّؤَسَاءُ: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صَدَقْتُمُونَا عَنِ الْإِيْمَانِ ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بِالنَّبِيِّ.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٣) بالياء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٤) أي في الشفاعة.

(٥) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو - شَيْخَانَةٌ - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ  
عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرَ الْبَلِّ وَالنَّهَارِ إِذْ  
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ  
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْمَلُ فِي عَتَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ  
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾  
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلِي تَقَرُّكُمْ  
عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءُ  
الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ  
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٩﴾  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ  
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟﴾ لَا ﴿بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.  
[٣٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرَ الْبَلِّ وَالنَّهَارِ﴾  
أي: مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾  
شركاء ﴿وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ﴾ أي: الفريضة ﴿عَلَىٰ تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ﴾ ﴿لَمَّا رَأَوُا  
الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْمَلُ فِي  
عَتَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُخْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزء ﴿مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها  
المتنعون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ من آمن ﴿وَمَا نَحْنُ  
بِمُعَذِّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحانا  
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار  
مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلِي تَقَرُّكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ قُوتى؛ أي:  
تقرئنا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءُ﴾ الضَّعِيفِ بِمَا  
عَمِلُوا ﴿أَي:﴾ جزء العمل: الحسنة - مثلاً - بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ﴾  
من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿الْعُرْفَةِ﴾<sup>(١)</sup> بمعنى  
الجمع.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿بِالْمُعْجِزِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لنا  
مقدرين عجزنا، وأنهم يفوتونا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانا  
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لِمَنْ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ  
شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان  
يرزق عائلته؛ أي: من رزق<sup>(٣)</sup> الله.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿بِالْمُعْجِزِينَ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».

[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْلَآءٍ إِنَّا كُنْهُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً وَإِسْقَاطِهَا﴾ (٣) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ؟﴾

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ تَرْبِيهَا لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ﴾ وَأَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴿أَي: لَا مَوَالِدَ بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ جِهَتِنَا﴾ ﴿بَلْ لِلانْتِقَالِ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ﴾ الشَّيَاطِينِ؛ أَيْ: يَطْعُونَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِإِنَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَمُومُونَ﴾ مُصَلِّونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَهُمْ.

[٤٢] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أَيْ: بَعْضُ الْمَعْبُودِينَ لِبَعْضِ الْعَابِدِينَ ﴿تُعَاذُ﴾ شَفَاعَةُ ﴿وَلَا ضَرَّ﴾ تَعَذُّيًّا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا﴾ كَفَرُوا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿يَسْتَنبِذُ﴾ وَاضْحَابَ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنْ الْأَصْنَامِ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا أَفْكٌ﴾ كَذَبٌ ﴿مُفْتَرًى﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ﴾ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

[٤٤] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا ءَايَتُهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فَمَنْ أَيْنَ كَذِبُكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَوْا﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ ﴿وَمَعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ مِنْ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ﴿وَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ وَالْإِهْلَاكَ؛ أَيْ: هُوَ وَاقِعٌ مَوْفَعُهُ.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أَيْ: لِأَجَلِهِ ﴿مَتًى﴾ أَيْ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿وَفَرَدَيْ﴾ وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّوْا﴾ فَعَلِمُوا ﴿وَمَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جَنُونَ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أَيْ: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ مَا سَأَلْتُمْكُمْ عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ ﴿مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ﴿إِنْ أَجَرِي﴾ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ بِغَلْمِ صِدْقِي.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَحْمُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: ﴿وإدبال الأولى باء﴾، هذا سبق فلم من المفسر - رحمه الله - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقراءة أبي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقراءة ورش، وعكسه قالون والبرقي، ولورش أيضًا إدبال الثانية باء ساكنة معدومة مع تحقيق الأولى.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِيَّ إِنَّا كُنَّا كُأُولَا يَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كُأُولَا يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَّبِعُونَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعَسَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتًى وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْذُوقُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْعُيُوبِ﴾

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْذُوقُ بِالْحَقِّ﴾ يَلْقَاهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿عَلَّمَ الْعُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ وبالهزيمة بدلها<sup>(١)</sup>؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْدِرُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ﴾ اشتباههم في الكفر ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿وَلَهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ موقف في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

## سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]<sup>(\*)</sup>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ خجد - تعالى - نفسه بذلك كما بُيِّنَ في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَجْمَعُونَ مَثْنٍ وَثُلَّةً وَرُبْعَ زَيْدٍ﴾ في الخلق في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُمْنِكُمْ لَهَا وَمَا يُمْنِكُمْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تُرْمِيكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة<sup>(٢)</sup> ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ من: زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزُّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر<sup>(٣)</sup>: نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ و﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ النبات؟ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورٌ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ<sup>(٤)</sup> قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ<sup>(٥)</sup> وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُتُورَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ<sup>(٦)</sup> وَقَالُوا لَأَمْتًا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(٧)</sup> وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(٨)</sup> وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ<sup>(٩)</sup>

## سورة فاطر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْمَعُونَ مَثْنٍ وَثُلَّةً وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(١)</sup> مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٢)</sup> يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُونَ<sup>(٣)</sup>

[٤٩] ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فُتُورَ﴾ لهم ميثاً؛ أي: لا يفتوتونا ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(١) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(١) بالهمزة بدل الواو: ﴿التَّنَاقُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٢) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصيص.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبن وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَتَابَعُ النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَفْرَحَنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جليلة وإمهاله ﴿الْعَزُورُ﴾ الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان ما يوافق الشيطان وما يخالفه.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وغيره﴾: ﴿أَقَمَ رَبُّنَا لَكُمْ سُوءَ عَمَلِكُمْ﴾ بالتمويه ﴿قَرَأَهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ﴾ على المزني لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ يا غيتاميك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه<sup>(١)</sup>.

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزعجه ﴿فَسُقْنَهَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup>؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسسها؛ أي: أنبتنا به الزرع والكأ<sup>(٤)</sup> ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ﴾ يغلفه<sup>(٥)</sup>؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكِرَاتِ﴾ السَّكِرَاتِ ﴿بِالنَّارِ﴾ في دار الندوة؛ من تقيده، أو قتله، أو إخراجها. كما ذكر في الأنفال<sup>(٦)</sup>. - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يهلك.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أئكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ

وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَتَابَعُ النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَنْ رَّبُّنَا لَهُ سُوءُ عَمَلٍ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهَا إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

يَنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هيئت.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر السيوطي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحمة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله تعالى جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى بُنْيَامُ بِكَ الْآيَةَ كَذَرًا يُنْفِرُكَ أَوْ يُصْرَفُكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ عني الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعرل بل على غيره؛ لأن الطويل المعمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه»، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية على هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف. عند نسخ الروح وكتب الأجل. من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من السيلح، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَأَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشَقُّقُ بِحَزْبِهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْبِتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُمُتُمْ شَكَرْتُمْ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد<sup>(١)</sup> ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْيَلِّ﴾ فيزيد<sup>(٢)</sup> ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ﴾ منهما ﴿يَجْزِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لفاقة النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَكَرَّ سَعُوا﴾ فرضا ﴿مَا اسْتَحَبُّوا لَكُمْ﴾ ما أحببواكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يبرعون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِالْحَمْدِ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ غالم؛ هو: الله تعالى.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾

الحميد ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ لا يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿بَدَلَكُمْ﴾

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَأَزْرَهُ﴾ أتمة؛ أي: لا تحمل ﴿وَزْرَهُ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحدا ليحمل بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابته؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين<sup>(٣)</sup> ﴿حَكَمَ﴾ من الله ﴿إِنَّمَا نُزِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَمَسُّهُ﴾ يَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴿فَضْلًا مِّمَّا مَخْتَصَّ بِهِ﴾ رَزَقَ اللَّهُ الْمُصِيرُ ﴿المرجع؛ فيجزى بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْزِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَابِغٌ شَرَابُهُ﴾ شؤنه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ منهما

(١) أي: الليل يطول.

(٢) أي: النهار يطول.

(٣) أي في الحمل القهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.



[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ﴾ ولا الأثوماء ﴿المؤمنون ولا الكفار، وزيادة﴾ (لا) في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيجيئون.

[٢٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات ﴿وَالَّذِينَ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالَّذِينَ﴾ التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بكذبهم ﴿كَذِيفَ﴾ كان نكير ﴿إِنْكَارِي﴾ عليهم بالقوية والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه انتفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره (١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفَرٌ﴾ و﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَعَرِيبٌ﴾ سُدٌّ ﴿عَطَفَ﴾ على ﴿جُدَدٌ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾ كذلك ﴿كَاخْتِلَافِ الثَّمَرِ وَالْجِبَالِ﴾ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴿بِخِلَافِ الْجِهَالِ﴾ ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرءون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَتَرَجَّوْنَ يَجُورُوا﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَثَمَاءُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَارِيبٌ سُوْدٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تَجَرَّةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

لَّن تَكُورَ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ لَنَّهُم غَفُورٌ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

(١) قال القاضي كعبان في قرة العينين ص (٥٧٥): «يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخلطة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال لخطوط وطرائق مختلفة الألوان...».

بالوابع والظواهر<sup>(١)</sup>.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنُ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ليراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُوهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول<sup>(٣)</sup>؛ خبر ﴿جَنَّتٌ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرْصَع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شُكْرٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسنا فيها نصيب ﴿ثُمَّ﴾ ولا يمسنا فيها لغوب ﴿إِغْيَاءً مِنَ التَّعَبِ﴾ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿[يُجْزَىٰ]﴾<sup>(٤)</sup> ﴿كُلُّ كَافٍ﴾ كافٍ، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ نعمل صليحا غير الذي كنّا نعمل ﴿يَقَالُ لَهُمْ﴾: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا﴾ وقتا ﴿بَنَدَّكُمْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَحَاءَكُمْ التَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتم ﴿فَذُوقُوا﴾ فما للظالمين ﴿الْكَافِرِينَ﴾ الكافرين ﴿وَمِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس<sup>(٥)</sup>.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَا ذُنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا تَدَّكَّرْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَأْذُنُ اللَّهِ قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة فاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وتال كُفْرُهُ ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿وَمِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شِرْكٌ مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿بَيِّنَةٍ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُّ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَنْهُمَا﴾ بمسكهما ﴿بَيْنَ أَعْدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: سواء ﴿إِنْ﴾ كان حليماً غفوراً ﴿فِي تَأْخِيرِ عِقَابِ الْكَافِرِ﴾.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ السَّيِّئِ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسَّيِّئِ أصل<sup>(٣)</sup>، وإضافته إليه قبل<sup>(٤)</sup> استعمال آخر، فُلِّزَ فيه مضاف<sup>(٥)</sup>؛ حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿أَي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَّلَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ كَفَرَفَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ لَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَّلَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ عَالِمًا ﴿٤٤﴾

وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأمياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: «مكر العمل السيئ».

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التلظي وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿لَنْتَنَالَنكَ مِثْلَ النُّجُومِ﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلُ﴾<sup>(١)</sup> التمرير في ملكه ﴿الرَّحِيمَ﴾ بخلقه، خير مبتداء مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلُ﴾ ﴿مَا أَنذَرْنَا أَبَآؤَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿وَإِن جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً﴾ بأن نضّم إليها الأيدي؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن؛ وهي: مجتمع اللحيين ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ والمراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين<sup>(٢)</sup> ﴿فَاعْشَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ كَمْ تُنذِرُ﴾ لا يؤمنون.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنْ أَتَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَيُثِرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَاجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ الْمُغْنِيَّوْنَ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصيبه بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ<sup>(٤)</sup>.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ يَسٍ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنذَرْنَا أَبَآؤَهُمْ فَهُمْ عَقِيلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ قَلِيلٌ مِّمَّا يَعْفِرُونَ ﴿١١﴾ وَاجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِ وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرُهَا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نَسَمَةٍ تُدْبُ عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

### سُورَةُ يَسٍ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الآية، أو: مدنية<sup>(١)</sup>، ثنتان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِ وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرُهَا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب؛ فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراء بنية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلُ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.

[١٣] ﴿وَأَضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَبَ﴾ مفعول ثانٍ ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره؛ بدل اشتمال من ﴿أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: رسل عيسى<sup>(١)</sup>.

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره؛ بدل من ﴿إِذْ الْأُولَى﴾ ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ قَوَّيْنَا الاثنين ﴿يَسَارِلِي فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْبُدُ جَارَ مَجْرَى الْقَسَمِ، وَزَيْدَ النَّأْكِيَّةِ بِهِ وَالْبَلَامِ، عَلَى مَا قَفَا، لِرِيَاذَةِ الْإِنكَارِ فِي﴾ ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراء الأئمة والأبرص والمريض وإحياء الميت<sup>(٣)</sup>.

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ﴾ تشاءمنا ﴿بَكُمْ﴾ لانقطاع المطر عننا بسبيكم<sup>(٤)</sup> ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَسْئَلَنَّكُمْ﴾ ﴿يَتَا عَذَابَ إِلَهٍ﴾ مؤلم.

[١٩] ﴿قَالُوا صَلِّ عَلَيْكُمْ﴾ شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَيْنَ هِمْرَةِ اسْتِفْهَامٍ دَخَلَتْ عَلَى﴾ ﴿إِنَّ﴾ الشرطية، وفي همرتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى<sup>(٥)</sup> ﴿ذُكِّرَتْ﴾ وُعْظُمْ وَخُوفُكُمْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بشيؤكم.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْتَعِذُّ﴾ يشتد عذوا لما سمع بكذب القوم الرسول ﴿قَالَ يَقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿أَتَّبِعُوا﴾ تأكيد للأول ﴿مَنْ لَا يَسْتَكْبِرْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فقبل له: أنت على دينهم. فقال: [٢٢] ﴿وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني؛ أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيهما، وأنتم كذلك ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّكُمْ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم<sup>(٦)</sup>.

[٢٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup> وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِنْ دُونِهِ﴾؛ أي: غيره ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أصناما ﴿إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْكَ شَفَعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿سَيِّئًا وَلَا يُؤْقِدُونَ﴾ صفة ﴿ءَالِهَةٍ﴾.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَقَالُوا

إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا

رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ

الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ

وَلَيَسْئَلَنَّكُمْ يَتَا عَذَابَ إِلَهٍ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَبَّيَّرْنَاكُمْ بِكُمْ

دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا

مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ

الَّذِي فَطَرَنِي وَالْإِلَهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً

إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْكَ شَفَعَتُهُمْ سَيِّئًا

وَلَا يُنْقِدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٌ مُّبِينٌ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمِنْتُ

بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ يَمَّا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[٢٤] ﴿إِنِّي إِذَاكَ﴾ أي: إن عذبك غير الله ﴿لَفِيَ ضَلَالٌ مُّبِينٌ﴾ بين.

[٢٥] ﴿إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ﴾ أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه فمات.

[٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: دخلها حيا ﴿قَالَ﴾ يا، حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَمَّا عَفَّرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣)، (٤) تفسير الأدلة بهذه الآيات، والشاؤم بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على شئوه، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقصاء على موضع الفائدة والعبارة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يعتمدون في إيضاح مبهات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كبريكم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

والاستفهام للتقرير؛ أي: علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة ما قبلها عن العمل<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى: إنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كثيراً ﴿بِالْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنْتَهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿بِالْيَمِّ﴾ أي: المكذبن ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و﴿أَنْتَهُمْ﴾ إلخ، بدل ميثا قبله، يرعاية المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِنْ نَافِيَةٌ أَوْ مَخْفِيَةٌ ﴿كُلُّ﴾ أي: كل اخلائق، مبتدأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلا، أو بالتخفيف<sup>(٤)</sup>، فـ «اللام» فارقة و«ما» مزيدة ﴿بِجَمْعٍ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان.

[٣٣] ﴿وَأَيُّهَا هُمْ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿الْأَرْضُ أَلَيْسَتْهُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالخطة ﴿فَلَيْسَتْ بِأَكُنُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ تَحْتِهَا نَاقُورٌ وَأَعْنَبٌ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ أي: بعضها.

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ بفتحين وضمين<sup>(٦)</sup>؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر<sup>(٧)</sup> ﴿أَفَلَا يَسْكُرُونَ﴾ أنعمه تعالى عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

[٣٧] ﴿وَأَيُّهَا هُمْ﴾ على القدرة العظيمة: ﴿أَلَيْسَ نَسْلُخُ﴾ فصل ﴿وَمِنَهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِيُسْقَرَّ لَهَا﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ﴿ذَلِكَ﴾ أي: جبرها ﴿تَقْدِيرَ الرَّحْمَنِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلْبُ﴾ بخلقه.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب<sup>(٨)</sup>، وهو منصوب بفعل يُسْقَرُّ ما بغداه ﴿فَدَرَكْنَاهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنْزِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَأَلَمْ يَجِدْ أَلْفَافِيرَ﴾ أي: كعود الشماريح إذا عثق فإنه يرقق ويتفوقس ويتصفرو.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يسهر ويصح ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقَ النَّهَارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ - توينه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَاكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسIRON، نُزِّلُوا مُنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ إن كنت إلا صيحة واحدة فإذا هم خميدون ﴿يَحْشُرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَلَيْسَ زُكْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنْتَهُمُ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا يَأْكُلُونَ وَاعْنَبٌ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنْزِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَاكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[٢٨] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: حبيب<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد موته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ ساكنون ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْشُرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم من كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مسوق لبيان سببها<sup>(٢)</sup>؛ لاشتغالها على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾،

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتسأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّحْمَنِ الْعَلِيمِ» البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(٢) أي: سبب الحسرة.

(٣) راجع ما تقدم في التعليق من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى حبيبا.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٥) بالتشديد قراءة نافع.

(٦) بضمين قراءة حمزة والكسائي.

(٧) باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأقوال، والقول الثاني - وهو الأظهر - أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: وما عملته أيديهم، وهو ما يتخذ من القمر الكعصير والذهب ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالفرس، والسقي، والآبار.

(٨) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[٤١] ﴿رَبَّاهُ هُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي: آباءهم الأصول<sup>(٢)</sup> ﴿فِي الْفُلِّ﴾ أي: سفينة نوح ﴿الْمُسْحُونِ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَحَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكار يتعليم الله - تعالى - ﴿مَا يَكُونُ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَلِنْ دُشَّا نَعْرِفُهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحٌ﴾ مُعِيثٌ هُمْ وَلَا هُمْ يُنْفِدُونَ. ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجمهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَحَنَّنُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا الصَّحَابَةَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ غُلَّتَا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ ﴿مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿اسْتَهْزَأُ بِهِمْ﴾ ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يَبِينُ، وللصريح بكفرهم<sup>(٤)</sup> موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ وهي: نفخة إسرئيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد، أصله: يَخِصِّمُونَ؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يَخِصِّمُونَ وَتَبَائِعُ وَأَكْلٍ وَشَرْبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وفي قراءة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> كـ «يضر بون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة<sup>(٦)</sup> ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: المقبورون ﴿وَمِنَ الْأَكْدَانِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا لَئِن لَّنَّيْهِ وَوَلَّانَا﴾ هلاكنا، وهو مصدّر لا يفعل له من لفظه ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اطَّعِمُوا لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَكْدَانِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّانَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أَتَوْا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِفْرَارُ، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا عِنْدَنَا مُحْضَرُونَ.

[٥٤] ﴿فَأَلْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمجاهدين من المسلمين... إلخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: التشيع عليهم.

(٥) لحزمة، والقراءة المفسرة أولاً، لورث وهشام وابن كثير، وقرأوا بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ الْيَوْمَ أُزِيلُ الْبُجُورَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكْتُمْ كُفْرُوكَ ﴿٦٢﴾ وَتَنْجِسُ آيَاتِي الْيَوْمَ نَجِّسُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا وَخَسِرُوا ﴿٦٤﴾ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَعْمَنَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٧﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٥﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي [شُغْلٍ] بسكون الغين وضمها<sup>(١)</sup>، نَمَّا فيه أهل النار ما يتلذذون به، كافيتضاض الأبيكار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن لجنة لا تَصَب فيها ﴿فَاكِهُونَ﴾ ناعمون، خبر ثانٍ لـ ﴿إِنَّ﴾ والأول ﴿فِي شُغْلٍ﴾.

﴿٥٦﴾ هُمْ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ﴾ جمع ظِلَّة أو ظل؛ خبره؛ أي: تصيبهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة؛ وهو: السرير في الحجرة<sup>(٢)</sup>، أو الفُرش فيها ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ خبر ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾.

﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ فِيهَا ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ يتمنون.

﴿٥٨﴾ سَلَامٌ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿وَمِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

بهم؛ أي: يقول لهم: سلام عليكم.

﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ الْبُجُورَ؟ أي: انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

﴿٦٠﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ آمُرُكُمْ ﴿بَنِي آدَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

﴿٦١﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي وحدوني وأطيعوني ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا خَلْقًا، جمع جبل؛ كقدم، وفي قراءة: بضم الباء<sup>(٣)</sup> ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكْتُمُوا تَعْلُونَ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما خلَّ بهم من العذاب فتؤمنون؟.

﴿٦٣﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

﴿٦٤﴾ أَفَلَمْ تَكْتُمُوا كُفْرَكُمْ؟

﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَجِّسُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ أي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ لَأَعْمَيْنَاهَا طَمَسًا ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾ ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذ؟ أي: لا يبصرون.

﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> جمع مكانة؛ بمعنى: مكان؛ أي: في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدرُوا على الذهاب ولا مجيء.

﴿٦٨﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ بِإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة: بالتشديد<sup>(٦)</sup>؛ من النكيس ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفًا وهرمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث فيؤمنون؟ وفي قراءة: بالناء<sup>(٧)</sup>.

﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ أي: النبي ﴿الشَّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعرٌ ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهُ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.

﴿٧٠﴾ لِيُنذِرَ بالبلاء والتاء<sup>(٨)</sup>؛ به ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به؛ وهم: المؤمنون ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.

(١) بالسكون لتافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بفتحين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

(٣) أي: مع ضم الجيم وهي لحمة والكسائي وابن كثير.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) لشعبة.

(٦) وهي قراءة عاصم وحمرة، وقرأ الباقون ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بالتخفيف.

(٧) لنافع وابن ذكوان.



أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّى مِمَّا رَكَّبُوا قُلُوبَهُمْ قَلِيلًا يُشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَنَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُفُّ نَارًا أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَكُنِيَ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ بَعَثَ الْإِذَا هُوَ خَصِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

## سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[٨٢] ﴿يَمَّا أَمْرُهُ﴾ شأنه <sup>(١)</sup> ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة <sup>(٢)</sup>: بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

\*\*\*

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للنقير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا﴾ عملنا بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون <sup>(١)</sup>.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّى﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَسَارِبٌ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المتعجب عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَنَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهًا﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ينجون من عذاب الله تعالى - بشفاعته الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار معهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتُ مُرْسَلًا﴾ <sup>(٢)</sup> وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُفُّ نَارًا﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفٍ﴾ مني، إلى أن صيرناه شديدًا قويًا ﴿وَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ شَدِيدٌ﴾ الخصومة لنا ﴿شُبِينٌ﴾ يشها، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَكُنِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنج، وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَنْ بَعَثَ الْإِذَا هُوَ خَصِيمٌ شَدِيدٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رمية - بالناء؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا رميما فقتله، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال ﷺ: نعم، ويؤيد خيلك الثار <sup>(٣)</sup>.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ مخلوق مجملًا ومفصلًا، قبل خلقه وبعد خلقه.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ في جملة الناس ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخ والغفار <sup>(٤)</sup>، أو كل شجر إلا الغائب <sup>(٥)</sup> ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار واخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿وَأَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿سَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

(١) أي قاهرهم مذلون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تأسيسًا لنعمة أخرى لا تنميها لما قبله.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضبط في المختارة عن ابن عباس [الدر المنثور (٢٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعا القدر.

(٥) لم يذكر الجلال المحلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغائب» من جملة شجر الثار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغائب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

بفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ صُكْلٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ تَارِدٍ﴾** غاب خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَتَسَمَّعُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> أي: الشياطين، مستأنف<sup>(٤)</sup>، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه<sup>(٥)</sup> **﴿إِلَى آلَاءِ الْآخِلَاءِ﴾** الملائكة في السماء، وُعِدِّي السماع **﴿إِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من آفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَه؛ أي: طَرَدَه وَأَفْعَدَه، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خُفِيَ لُطْفُهُ﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَتَسَمَّعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَاتَّبَعَهُ يَنْهَابٌ﴾** كوكب مضيء<sup>(٦)</sup> **﴿ثَائِقٌ﴾** ثقيبه، أو يحرقه، أو يحمله<sup>(٧)</sup>. [١١] **﴿فَأَنسَفَيْنَاهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توكيلاً: **﴿أَمْ أَشَدُّ حَلْفًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العقلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿وَمِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يلصق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا<sup>(٨)</sup> لإنكار النبي والقرآن، المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِكُلِّ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء<sup>(٩)</sup> خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَتَسَخَّرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَلَوْ أَنَّا دَعَّرْنَا﴾** وُعِظُوا بالقرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتعلمون. [١٤] **﴿وَلَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ الْقَمَرَ﴾** **﴿يَتَسَخَّرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِنْ﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** يتين. وقالوا منكبين للبحث: [١٦] **﴿لَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ النَّوْأَ﴾** ونُزِّلُ النَّوْأَ لَمَنَعُوا عَلَى الْوُجْهِينِ<sup>(١٠)</sup>. [١٧] **﴿وَإِنَّا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾** بسكون الواو عطفًا **﴿بِأَوَّلٍ﴾** وفتحها<sup>(١١)</sup>، والهزمة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه مح **﴿إِن﴾** واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَنَعُوا﴾**، والفواصل: هزمة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تبعون **﴿وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿فَوَيْلًا لِّمَن كَانَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾** ضهير مبهم يفسره **﴿زَجَرٌ﴾** أي: صبيحة **﴿وَجِدَّةٌ﴾** فِدَاةٌ **﴿أَيُّ﴾** الخلائق أحياء **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا﴾** للتنبيه **﴿وَلَوْ أَنَّا﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِينَ كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزَوَّجَهُمْ﴾** قراءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَعْدَوْهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفُّوهُمْ﴾** احبسوهم عند الصراط **﴿إِنِّي سَمِعْتُ لَوْ أَنَّ﴾** عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۖ فَالْزَجَرِ زَجْرًا ۖ فَالتَّيَاتِ زَكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِينَ الْكُوكَبِ ۖ وَحَفَظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدَّرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۖ إِلَّا مَنْ خُفِيَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ ۖ وَشَهَابٌ ثَائِقٌ ۖ فَاسْتَفْتَيْنَاهُمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ۖ لَّيْلَ دَامِسَا وَكَانَا تَرَابًا وَعَظَمًا ۖ أَلَمْ نَأْمَعْهُنَّ ۖ أَوَ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَزِّلُ هَذَا يَوْمَ الْبَرِّ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ ۖ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزَوَّجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَعْدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَاجِيمِ ۖ وَقَفُّوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ قَسَمُوا لَوْ

### سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾** الملائكة، تُصَفُّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تومر به. [٢] **﴿فَالْزَجَرِ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَالَّتَّيَاتِ﴾** أي: قراء القرآن يتلوونه<sup>(١)</sup> **﴿وَذَكَّرًا﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوَاحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾** أي: والمغرب للشمس، ولها كل يوم مشرق ومغرب. [٦] **﴿إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾** [برينة] الكوكب؛ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين «زينة» المبيّنة بالكواكب<sup>(٢)</sup>. [٧] **﴿وَحَفَظَا﴾** منصوب

- (١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
- (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء حفص وحزمة والكسائي: «يَتَسَمَّعُونَ» بتشديد السين والميم من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
- (٣) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.
- (٤) المقصود بشهب تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقوس».
- (٥) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
- (٦) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقراء ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقراء نافع والكسائي عكسه.
- (٧) فراء ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقراء الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضهم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَقْبِرُونَ﴾ مفادون أدلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنبَأُكُمْ كُنْهَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: الأنباغ منهم للمتبعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَ عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها: لجليفكم أنكم على الحق؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾ أي: المؤمنون لهم: ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يصدق الإضلال وإن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَنَذِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْبَرَتَكُمْ﴾ الملل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غُيُوبِينَ﴾.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَأَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا اشتراكهم في العوابة.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما نعمل بهؤلاء ﴿تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (٢) ﴿لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَايعِ تَجْنُونَ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَنَذِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيقاً.

[٤٢] ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله - سبحانه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّازِيَةِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿بِكَايٍ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿مِنْ مَّيْنٍ﴾ من خمير يجري على وجه الأرض كأنهار الماء.

مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَقْبِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنبَأُكُمْ كُنْهَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ ﴿٣٠﴾ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣١﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَعْوَبْنَا كُنَّا غُيُوبِينَ ﴿٣٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَايعِ تَجْنُونَ ﴿٣٧﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا كُنَّا غُيُوبِينَ ﴿٣٩﴾ لَنَذِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٠﴾ وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٢﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَايٍ مِنْ مَّيْنٍ ﴿٤٥﴾ وَنُفُوسُهُمْ فِيهَا رَاحَةٌ ﴿٤٦﴾ وَنُفُوسُهُمْ فِيهَا رَاحَةٌ ﴿٤٧﴾ وَنُفُوسُهُمْ فِيهَا رَاحَةٌ ﴿٤٨﴾ وَنُفُوسُهُمْ فِيهَا رَاحَةٌ ﴿٤٩﴾ وَنُفُوسُهُمْ فِيهَا رَاحَةٌ ﴿٥٠﴾ وَنُفُوسُهُمْ فِيهَا رَاحَةٌ ﴿٥١﴾

[٤٦] ﴿يَبْصَاءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّرْبِ﴾ بخلاف خمير الدنيا؛ فإنها كرهية عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذْخَرُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرهما (٣)؛ من نُرِفَ الشارب، وأُزِفَ؛ أي: يسكرون بخلاف خمير الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهم، لا يُنْظَرُونَ إلى غيرهم لحسنهم عندهم ﴿عَيْنٍ﴾ ضخام الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في اللون ﴿يَبِينُ﴾ للنعام ﴿مَكُونُونَ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه - وهو البياض في صفة - أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب يتيكز البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى - من تأييد الحياة وعدم التعذيب<sup>(١)</sup>.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْغُلَاظُ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نَزْلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿وَأَمْ سَجَرَةُ الزُّرْقُمِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرء بقهامة، يُثِقُّهَا اللهُ فِي الْجَحِيمِ؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذُرِّكَانِهَا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات<sup>(٢)</sup> القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَالْيَهُودُ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يَكُونُ مِنْهَا﴾ مع فبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ مِنْهَا الْظُّلُمُ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا بِزَنِّ حَيْمَرٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالماكول منها؛ فيصير شوتاً<sup>(٣)</sup> له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِلَّهِ لِلْحَيْمَرِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها<sup>(٤)</sup>.

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْفَرَاخُ﴾ وجدوا ﴿ءَايَاتَهُمْ صَالِينَ﴾.

[٧٠] ﴿ثُمَّ عَلَى أَتْرُمٍ يَرْمِعُونَ﴾ يرمعون إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بَعْلُهُمْ أَكْثَرَ الْأُولَى﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الْمُخْلِصِينَ]<sup>(٥)</sup> أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أحلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مغلوب فأنصِر»<sup>(٦)</sup> ﴿فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قوم، فأهلكناهم بالغرق.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ ﴿٥٩﴾ إِذْ أَمَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا لَمَذِبُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٦١﴾ فَأَطْلَعُ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِينَ ﴿٦٤﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٥﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَذَا الْهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٨﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرْقُمِ ﴿٦٩﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٧١﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٧٢﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا لَوْحٌ وَنَصَ الْبُطُونِ ﴿٧٣﴾ تُوْنٌ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا مِنْ حَيْمَرٍ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِلَّهِ لِلْحَيْمَرِ ﴿٧٥﴾ إِنَّهُمْ الْفَرَاخُ أَتَابَهُمْ صَالِينَ ﴿٧٦﴾ فَهُمْ عَلَى أَتْرُمٍ يَرْمِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ صَلَّ بَعْلُهُمْ أَكْثَرَ الْأُولَى ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٩﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ ﴿٨٢﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٣﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيًا: ﴿أَهْ نَك لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْ أَنَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم<sup>(١)</sup> ﴿لَمَذِبُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَأَطْلَعُ﴾ ذلك القائل من بعض كُؤَى الجنة ﴿فَرَأَاهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تسميًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينَ﴾ لتهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين ذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: لمرد بذلك ضرب من الحيات، رهوسها بشعة، واختار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رهوس الشياطين حقيقة، وإن سم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شوتاً؛ أي: خليطاً للزرقم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِخَيْرٍ مِنْ أَلْثَارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.



فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمَا ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتْ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكَهَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرَتْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ إِسْحَاقُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَتَصَرَّفْنَاهُمَا فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى ﴿١٢٠﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّنَا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّا إِلَاسٌ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خَضَعَا وَأَقَادَا لأمر الله - تعالى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صَرَعَهُ عَلَيْهِ، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك يعني، وأمر السكين على خلقه فلم تعمل شيئاً مانع من القدرة الإلهية.

[١٠٤] ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمَا﴾ [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقَتْ الرُّعْيَا﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي: بكفبك ذلك، فجملة ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ﴾

جواب «لما» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّا هَذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الاختبار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ أي: المأمور بذبحه؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان<sup>(١)</sup> ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قُوت به هابيل<sup>(٢)</sup>، جاء به جبريل الطائفة، فذبحه السيد إبراهيم مكبواً. [١٠٨] ﴿وَتَرَكَنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً. [١٠٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١١٢] ﴿وَبَشَّرَتْهُ بِإِسْحَاقَ﴾ استدلت بذلك على أن الذبح غيره ﴿بِئْسَ﴾ حال مقدرة؛ أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿مِنْ الصَّالِحِينَ﴾. [١١٣] ﴿وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ولديه؛ جعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَوَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ بين الكفر.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بالبوّة. [١١٥] ﴿وَآتَيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون لإياهم. [١١٦] ﴿وَتَصَرَّفْنَاهُمَا﴾ على القبط ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾. [١١٧] ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها، وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾. [١١٩] ﴿وَتَرَكَنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً.

[١٢٠] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٢٣] ﴿وَإِنَّا إِلَاسٌ﴾ بالهمزة أوله وتركه<sup>(٣)</sup> ﴿لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابن أخي<sup>(٤)</sup> هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعلبك ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أَلَا تَدْعُونَ الله؟ [١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى «بك» أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة على إضمار «هو»، ونصبها<sup>(٥)</sup> على البدل من «أحسن».

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضاً (٨٧/٢٣) أنه كبش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لأن أي شية وابن النذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كبش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصلاً - فإذا ابتدأ فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إيلاس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

[١٢٧] ﴿كَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها.

[١٢٩] ﴿وَرَزَّكَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِينَ﴾ ثناء حسنا.

[١٣٠] ﴿سَلَّمَ﴾ مينا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: هو إيلياس المتقدم ذكره. وقيل: هو ومن آمن معه؛ فجمعوا معه تغليبا؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بالمد<sup>(١)</sup>؛ أي: أهله، المراد به إيلياس أيضا.

[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ﴾ كما جزئناه ﴿بِغَيْرِ الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٣٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا النَّاسِ خَلْقٌ كَذِبٌ ۖ وَالْآخَرُونَ لِمَنْ أَلْمُسِلِينَ﴾. اذكر [١٣٤] ﴿إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾. [١٣٥] ﴿وَلَا عِزُّوا فِي الْفَتَرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. [١٣٦] ﴿فَنُمِّدْنَاهُمْ أَهْلَكْنَا﴾. اذكر قومه. [١٣٧] ﴿وَيَذْكُرُ لَكُمْ وَلَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُضْجِعِينَ﴾ أي: وقت الصباح؛ يعني: بالنهار. [١٣٨] ﴿وَيَأْتِيهِمْ أَفْلاكٌ ثَقِيلَةٌ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به؟! [١٣٩] ﴿وَلَا يَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مِنَ اللَّيْلِ﴾. [١٤٠] ﴿إِذْ أَتَىٰ الْفُلَّكَ الْشَّحُونُ﴾ السفينة المملوءة حين غاضبت قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به؛ فركب السفينة، فوفقت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة<sup>(٢)</sup>.

[١٤١] ﴿فَسَأَلَهُمْ﴾ فَأَزَّعَ أَهْلَ السَّفِينَةِ ﴿فَكَانَ مِنَ الدَّاخِعِينَ﴾ المغلوتين بالقرعة؛ فألقوه في البحر. [١٤٢] ﴿فَالْقَمْعُ الْخَوْثُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آت بما يلائم عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه.

[١٤٣] ﴿فَقُلْنَا إِنَّكَ كَان مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [١٤٤] ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوت قفرا له إلى يوم القيامة. [١٤٥] ﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعُرْكِ﴾ بوجه الأرض؛ أي: بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يوما<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُوَ سَيِّئٌ﴾ غليل كالفرخ المغطى<sup>(٤)</sup>.

[١٤٦] ﴿وَأَلْبَسْنَاهُ عَلَيْهِ سَجْرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ وهي: القَرْع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وعلة<sup>(٥)</sup> صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك كَقَبِيلِهِ إِلَى قَوْمِ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ﴿إِنَّا بِأَمْرِ آلِ الْفُؤَادِ﴾ بل ﴿يُرِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا. [١٤٨] ﴿فَأَمَّا نُونُ﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أبقيناهم متمعين بما لهم ﴿إِن جِئَ﴾ تنقضي آجالهم فيه. [١٤٩] ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ استخبر كفار مكة نوبيحا لهم: ﴿أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ﴾

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَرَزَّكَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ ﴿١٣٠﴾ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣١﴾ إِنَّا كَذَّبُكَ ﴿١٣٢﴾ كَمَا جَزَيْنَاهُ بِغَيْرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا النَّاسِ خَلْقٌ كَذِبٌ ۖ وَالْآخَرُونَ لِمَنْ أَلْمُسِلِينَ ﴿١٣٤﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٥﴾ وَلَا عِزُّوا فِي الْفَتَرِينَ ﴿١٣٦﴾ فَنُمِّدْنَاهُمْ أَهْلَكْنَا ﴿١٣٧﴾ وَيَذْكُرُ لَكُمْ وَلَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ مُضْجِعِينَ ﴿١٣٨﴾ أَيُّهَا أَهْلُ مَكَّةَ مَا حَلَّ بِهَمْ فَتَعْتَبِرُونَ بِهِ؟ ﴿١٣٩﴾ وَلَا يَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مِنَ اللَّيْلِ ﴿١٤٠﴾ إِذْ أَتَى الْفُلَّكَ الشَّحُونُ ﴿١٤١﴾ السَّفِينَةُ الْمَمْلُوءَةُ حِينَ غَاضَبَتْ قَوْمَهُ لَمَّا لَمْ يَنْزِلْ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ بِهِ؛ فَرَكِبَ السَّفِينَةَ، فَوَفَّقَتْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ، فَقَالَ الْمَلَاخُونَ: هُنَا عَبْدُ أَبِيقَ مِنْ سَيِّدِهِ تَظْهَرُ الْقُرْعَةُ<sup>(٢)</sup>. [١٤١] ﴿فَسَأَلَهُمْ﴾ فَأَزَّعَ أَهْلَ السَّفِينَةِ ﴿فَكَانَ مِنَ الدَّاخِعِينَ﴾ الْمَغْلُوبِينَ بِالْقُرْعَةِ؛ فَأَلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ. [١٤٢] ﴿فَالْقَمْعُ الْخَوْثُ﴾ ابْتَلَعَهُ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أَيُّهَا أَهْلُ مَكَّةَ مَا يَلَائِمُ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَرُكُوبِهِ السَّفِينَةَ بِلا إِذْنٍ مِنْ رَبِّهِ. [١٤٣] ﴿فَقُلْنَا إِنَّكَ كَان مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ بِقَوْلِهِ كَثِيرًا فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [١٤٤] ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لِصَارَ بَطْنُ الْحَوْتِ قَفْرًا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. [١٤٥] ﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ أَيُّهُ لَقَيْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ ﴿بِالْعُرْكِ﴾ بِوَجْهِ الْأَرْضِ؛ أَيُّهُ بِالسَّاحِلِ مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ، أَوْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، أَوْ عَشْرِينَ، أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُوَ سَيِّئٌ﴾ غَلِيلٌ كَالْفَرْخِ الْمُغَطَّى<sup>(٤)</sup>. [١٤٦] ﴿وَأَلْبَسْنَاهُ عَلَيْهِ سَجْرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ هِيَ الْقَرْعُ تَظْلُهُ بِسَاقٍ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ فِي الْقَرْعِ مَعْجَزَةٌ لَهُ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ وَعِلَّةٌ<sup>(٥)</sup> صَبَاحًا وَمَسَاءً يَشْرَبُ مِنْ لَبْنِهَا حَتَّى قَوِيَ. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ كَقَبِيلِهِ إِلَى قَوْمِ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ﴿إِنَّا بِأَمْرِ آلِ الْفُؤَادِ﴾ بَلَّ ﴿يُرِيدُونَ﴾ عَشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا. [١٤٨] ﴿فَأَمَّا نُونُ﴾ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ الْمَوْعُودِينَ بِهِ ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أَبْقَيْنَاهُمْ مُتَمَعِّينَ بِمَا لَهُمْ ﴿إِن جِئَ﴾ تَنْقَضِي أَجَالُهُمْ فِيهِ. [١٤٩] ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ اسْتَخْبَرْتُ كُفَّارَ مَكَّةَ نَوْبِيحًا لَهُمْ: ﴿أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ﴾

برعهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُنَّ الْبُتُونَ﴾ فيختصون بالأنس؟

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسًا وَهُمْ شُهُودٌ﴾ خَلَقْنَا؛ وَهُمْ يَضْنُونَ؟

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمَ﴾ كَذِبِهِمْ ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ يَقُولُهُم: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. ﴿وَلَهُنَّ لَكِبُوتٌ﴾ فِيهِ.

[١٥٣] ﴿أَسَطَّلُوا﴾ بَفَتْ الْهَمَزَ لِلِاسْتِفْهَامِ، وَاسْتَغْنَى بِهَا عَنْ هَمَزَةِ الْوَصْلِ فَحَذَفَتْ؛ أَيُّهُ اخْتَارَ ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾؟

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) ذكر ابن كثير وأكبر المفسرين أن السفينة ما أشرفت على الفرق ساهموا على من تقع عليه القرعة ليلقى به في البحر لتخف السفينة، فوفقت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات، وهم بضنون به أن يلقي من بينهم.

(٣) ولا دليل على شيء من تلك الأقوال.

(٤) المغطى: أي: المتوفى الشعر.

(٥) وهي أمي الزعبل؛ ذكر الأروى، وهو الشاة الجبلية.

فإنهم ينزهون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَإِنَّكَ وَمَا رَبُّكَ مِنْ الْأَصْنَامِ﴾ [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحدًا<sup>(١)</sup>. [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَتَّبَعُ مَعْتَرِ الْمَلَائِكَةِ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوزها.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة. [١٦٦] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الْمُسَيِّئُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. [١٦٧] ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا كَمَا كُنَّا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له. [١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكُنَّا بِرَبِّهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانَا﴾ بالنصر ﴿لِإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ وهي: ﴿لَاخِلَاتٌ أَنَا وَرُسُلِي﴾<sup>(٢)</sup>. أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَلَوْ جُنْدَانَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الكفار، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. [١٧٤] ﴿وَنُفِّلَ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ تومر فيه بقائلهم.

[١٧٥] ﴿وَأَنْصُرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾. [١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكلفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بفس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمير.

[١٧٨] ﴿وَنُفِّلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾. [١٧٩] ﴿وَأَنْصُرْ سَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسلية له ﷺ. [١٨٠] ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن له ولدا. [١٨١] ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع. [١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

\*\*\*

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ<sup>(١)</sup> أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup> أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ<sup>(٣)</sup> فَأَنْتُمْ بِكُنُوتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ<sup>(٤)</sup> وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ<sup>(٥)</sup> سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ<sup>(٦)</sup> إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٧)</sup> فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ<sup>(٨)</sup> مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَاتِلِينَ<sup>(٩)</sup> إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ<sup>(١٠)</sup> وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ<sup>(١١)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ<sup>(١٢)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ<sup>(١٣)</sup> وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ<sup>(١٤)</sup> لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ<sup>(١٥)</sup> لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(١٦)</sup> فَكُفِّرْ وَابْدُءْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ<sup>(١٧)</sup> وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ<sup>(١٨)</sup> إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ<sup>(١٩)</sup> وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ<sup>(٢٠)</sup> وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ<sup>(٢١)</sup> وَأَنْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ<sup>(٢٢)</sup> أَفَعِدَّائِنَا لِيَسْتَعْجِلُونَ<sup>(٢٣)</sup> فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ<sup>(٢٤)</sup> وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ<sup>(٢٥)</sup> وَأَنْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ<sup>(٢٦)</sup> سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ<sup>(٢٧)</sup> وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ<sup>(٢٨)</sup> وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(٢٩)</sup>

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الدال<sup>(١)</sup>، أنه - سبحانه - وتعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأَنْتُمْ بِكُنُوتِكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لاجتماعهم<sup>(٢)</sup> عن الأبصار ﴿نِجَابًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قائل ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الدال.

(٢) أي: استشارهم.

(٣) أي: بمضلين أحدا.

(٤) المجادلة: ٢١.





[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَمَا يَنْتُهِ أَلْحِكْمَةُ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَضَّلَ الْخُطَابَ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَنُوَ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْخِرَابَ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿خَصَمَانِ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما مكان جاءا في صورة خصمين وقع بهما ما ذكرها على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها<sup>(١)</sup> ﴿بَنَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَالْحُكْمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ﴾ تبر ﴿وَأَعِدْنَا﴾ أرشدنا ﴿إِلَى سَوَاءِ الْفِتْرِ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَمْ يَسْغُ وَتَسْعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخُطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ يُسْأَلُ بَعْثُكَ لِيُضْمَمَ﴾ إلى يفاعيه ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ الشركاء ﴿لَيَبْتَغِيَنَّهُمْ عَلَى بَعْضِ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّ هُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية بمجته تلك المرأة<sup>(٢)</sup> ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَكَ عِندَنَا لُزْفَةً﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَلَحِمَّ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوهُ﴾ ينسبانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِدْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ ﴿١٨﴾ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخُطَابَ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصَمَانِ بَنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَعِدْنَا إِلَى سَوَاءِ الْفِتْرِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاضِيٍّ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمَةِ لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَكَ عِندَنَا لُزْفَةً وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوهُ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِدْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوما ويفطر يوما، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالطُّيُورَ﴾ سخرنا ﴿الطُّيُورَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِّنَ الْجِبَالِ وَالطُّيْرِ﴾ ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) حاشا لله أن ينسب لبي كرم من أنبياء الله عليه السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البئس، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيلية المقترة على صفوة خلق الله عليه السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة عبي القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعمة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا أنشأ الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبيانها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام وفرق بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والمعنى وبسط الدنيا.



[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالإضافة، وهي للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل<sup>(٤)</sup> ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثنية.

[٤٩] ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَرِثَ السُّيُوفِ﴾ الشاملين لهم ﴿لِئْسَ مَنَاقِبُ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّتْ عَذْبٌ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ ﴿حَسَنَ مَّاءٍ﴾ ﴿فُتِحَتْ لَهُمُ الْأَكْبُورُ﴾ منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَذَوُّونَ فِيهَا يَنُفِّكُهُمُ كَثِيرٌ وَشَرَّابٌ﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْظُرَى﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أَرْبَابٌ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع رَبٍّ.

[٥٣] ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مِنَ الْبُوعِ﴾ بالغبية<sup>(٥)</sup>، وبالخطاب، الثقات ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَمْ يَنْفَدِ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من رزقناه، أو خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَرِثَ السُّيُوفِ﴾ مستأنف ﴿لَنُثَرِّقَنَّ﴾.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ﴿يُنْفِثُ إِلَيْهَا﴾ الفرائس.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاقٌ﴾ بالتخفيف<sup>(٦)</sup>، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأُخْرٍ﴾ بالجمع<sup>(٧)</sup> والإفراد ﴿مِنْ شَجَلَةٍ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَرْوَجُ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأنابهم: ﴿هَذَا قَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُنْجِمٌ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المُنْجِمُونَ<sup>(٨)</sup>: ﴿لَا مَرْجَا بِكُمْ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّمَا صَلَّوْا النَّارَ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَشْرَ قَدَمْتُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمٌ الْقَرَارُ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ، وَشَاطَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ وَحَدَّ بِكَ ضَعْفًا فَضْرِبَ بِهِ وَلَا تَحْتِثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّمَا عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَلِنُتِمِّتِينَ لِحُسْنِ مَنَاقِبِ ﴿٥٢﴾ جَنَّتْ عَذْبٌ مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَكْبُورُ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَتَذَوُّونَ فِيهَا يَنُفِّكُهُمُ كَثِيرٌ وَشَرَّابٌ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْظُرَى أَرْبَابٌ ﴿٥٥﴾ هَذَا مَا تَوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٧﴾ هَذَا وَإِنَّا لِلظَّالِمِينَ لَنُثَرِّقَنَّ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنُفِثَ إِلَيْهَا هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٩﴾ وَآخِرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَزْوَاجٌ ﴿٦٠﴾ هَذَا قَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّمَا صَلَّوْا النَّارَ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَشْرَ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا قِيَمٌ الْقَرَارُ ﴿٦٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضَعِيفًا فِي النَّارِ ﴿٦٣﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة<sup>(١)</sup> ﴿مِنَّا وَذَكَرَى﴾ عظة ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَحَدَّ بِكَ ضَعْفًا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْتِثُ﴾ ترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجأ إلى الله - تعالى -.

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿عِبْدَنَا﴾، و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بيان له، وما بعده عطف على ﴿عِبْدَنَا﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نسيها الله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مراراً.

(٢) لابن كثير.

(٣) لنافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالياء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهم: قراءة أبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالإفراد.

[٦٢] ﴿وَقَالُوا ۖ أَيَّ كَفَّارٍ هُمْ فِي النَّارِ ۖ هَلَّا لَا تَرَىٰ رَجُلًا مِّمَّنْ تَدْعُهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ يَبْنَؤُا الشَّرَارَ ۖ﴾.

[٦٣] ﴿أَتَدْعُهُمْ [شَخْرِيًّا] ۖ بَضْمَ السَّيْنِ وَكِسْرَهَا<sup>(١)</sup> ۖ كُنَّا نَسْخَرُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْيَاءُ لِلنَّسَبِ، أَيُّ أَمْفُقُونَ هُمْ؟ ۖ ﴿أَمْ رَأَيْتَ ۖ﴾ مَالَتْ ۖ عَنْهُمْ الْآيَةُ ۖ فَلَمْ تَرَهُمْ؟! ۖ هُمْ قُرَاءُ الْمُسْلِمِينَ؛ كَعْمَارُ وَبِلَالُ وَصَهْبُ وَسُلْمَانُ.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ ۖ وَاجِبٌ وَقُوعُهُ، وَهُوَ: ۖ ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ۖ﴾ كَمَا تَقْدُم. [٦٥] ﴿فَلَنْ ۖ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَكِفَارُ مَكَّةَ: ۖ ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ ۖ﴾ مَخُوفٌ بِالنَّارِ ۖ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ﴾ لِحُلُقِهِ.

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْغَزِيُّزُ ۖ﴾ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ ۖ ﴿الْفَقْرُ ۖ﴾ لِأَوَّلِيَّاتِهِ.

[٦٧] ﴿فَلَنْ ۖ﴾ لَهُمْ: ۖ ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۖ﴾.

[٦٨] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۖ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْبَأْتُمْ بِهِ، وَجِئْتُمْ بِهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: [٦٩] ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَوَّلِ ۖ﴾ أَيُّ: الْمَلَائِكَةِ ۖ ﴿إِنْ يَخْفِيُونَ ۖ﴾ فِي شَأْنِ آدَمَ حِينَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>(٢)</sup> ۖ﴾ إلخ.

[٧٠] ﴿إِنْ ۖ﴾ مَا ۖ ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا ۖ﴾ أَيُّ: أَنِّي ۖ ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ﴾ يُبَيِّنُ الْإِنذَارَ.

[٧١] أَذْكَرُ ۖ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ﴾ هُوَ آدَمُ.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ۖ﴾ أَتَمَمْتَهُ ۖ ﴿وَنَفَخْتُ ۖ﴾ أَجْرَيْتُ ۖ ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي ۖ﴾ فَصَارَ حَيًّا، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِّآدَمَ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ بِنَفْثِهِ فِيهِ ۖ ﴿فَفَعُولًا لَمْ سَجِدِينَ ۖ﴾ سَجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحِنَاءِ<sup>(٣)</sup>.

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ﴾ فِيهِ تَأْكِيدَانِ.

[٧٤] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ﴾ هُوَ أَبُو الْجَنِّ، كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ۖ ﴿أَسْتَكْبَرُ ۖ﴾ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - ..

[٧٥] ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ۖ﴾ أَيُّ: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِّآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ ۖ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ ۖ﴾ الْآنَ عَنِ السَّجُودِ، اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ۖ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۖ﴾ الْمُتَكَبِّرِينَ فَتَكَبَّرْتَ عَنِ السَّجُودِ لِكُونِكَ مِنْهُمْ؟.

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۖ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا ۖ﴾ أَيُّ: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ ۖ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ﴾ مَطْرُودٌ.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجُلًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۖ ﴿٦٢﴾ أَتَدْعُهُمْ شَخْرِيًّا أَمْ رَأَيْتَ عَنْهُمْ الْآيَةَ ۖ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ۖ ﴿٦٤﴾ فَلْإِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقْرُ ۖ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۖ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۖ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَوَّلِ ۖ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ ﴿٧٠﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ ﴿٧١﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ ﴿٧٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴿٧٣﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ۖ ﴿٧٤﴾ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۖ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْنَا لُعْنَةُ إِبْلِيسَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۖ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۖ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۖ ﴿٨١﴾ وَقَتِ الْنفْثَةِ الْأُولَى ۖ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۖ ﴿٨٤﴾

[٧٨] ﴿وَإِنْ عَلَيْنَا لُعْنَةُ إِبْلِيسَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۖ﴾ الْحِزَاءُ.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ﴾ أَيُّ: النَّاسِ.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۖ﴾.

[٨١] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۖ﴾ وَقْتُ النْفْثَةِ الْأُولَى.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۖ﴾ أَيُّ: الْمُؤْمِنِينَ.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) راجع التعليق على الآية رقم (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) وهذا الذي ذهب إليه المفسر، هو تعطيل لفظة الدين التي أنشأها الله ﷻ لنفسه، وهو عدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والمفسر يرد على نفسه حيث قال بعدها: وهذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولى الله خلقه. فما وجه اختصاصه بذلك إذن؟!

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأُهُ﴾ خبر صدقه ﴿يَعْدُ جِزِينَ﴾ أي: يوم القيامة، و«عَلِمَ» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

## سورة الزمر

أمكية إلا: ﴿ثُلَّ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ<sup>(\*)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿وَمِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«أنزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحدًا له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا عْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قريب، مصدر بمعنى تفرينا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الحجة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذوه ولدًا، غير من قالوا من<sup>(١)</sup>: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ خلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«خلق» ﴿يُكْوِّرُ﴾ يدخل<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَنِ الْإَيْلِ﴾ فيزيد ﴿رَسَخَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمُنْتَقِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٨﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٢﴾

## سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ الْإَيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى الْإَيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦﴾

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني<sup>(١)</sup>، فصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَبَدْرِكَ﴾ بدريتك ﴿وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿وَمِنْ أَجْرٍ﴾ لجعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما القرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة للإِنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

(٥) فائدة: أخرج الزمزمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كعنا: «إن بدلًا من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كعنى الإيلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يغشى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقبه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمَعْزَ وَتَكْنِيَةُ أَزْوَاجٍ﴾ من كل زوجان<sup>(١)</sup> ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَدَنٍ خَلْقًا﴾ أي: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَتْ تَصَرُّفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟! [٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَذَابَكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿بِرِضَتِهِ﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه<sup>(٣)</sup>؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾ ولا تَزُرُ نفس ﴿وَالزُّرَّةَ وَزِدَّ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحملها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿وَلَا تَسْأَلِ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضَرْبَ دَعَا رَبِّهِ﴾ تصرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِسْمَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿فِيَنَّهُ لَبِئْسَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾ ينصرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها<sup>(٤)</sup> ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَمْنَعْ بِكَذْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾<sup>(٥)</sup> بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَتِيلٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿إِنَّمَا أَكْبَلُ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿بِحَدَرِ الْأَجْرَةِ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةً﴾ جنة<sup>(٦)</sup> ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، ف«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَهْلِكْ بِسُوءِ الظَّنِّ يَمُنُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمُنُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ بتعطف ﴿أُولَآئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطيعوه ﴿لِيَلْبِثَ أَحْسَنًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «يرضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحزمة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة، وقرأ بقية السبعة: «أَمَّنْ» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ فمفسر الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أتيتها ربنا ﷻ لنفسه، ونيتها له على الوجه اللائق به.

الْصَّادِقُونَ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرُهُمْ يَبْغِي حِسَابًا﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ  
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
﴿٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ  
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ  
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُونَ فَاتَّقُوا  
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى  
فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾  
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا مِنَ النَّارِ ﴿٨﴾  
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَخْرُجُ  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ الرَّتَرُ  
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ  
يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ  
يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.  
[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.  
[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك.  
[١٥] ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، ولإذنان بأنهم لا  
يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في  
الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين.  
[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ﴾ من  
النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين، لينقوه، يدل عليه: ﴿يَتَّقُونَ﴾.  
[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا﴾ أقبلوا  
﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.  
[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم  
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.  
[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية  
﴿أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا﴾ تخرج ﴿مِنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام  
المضمر، والهجرة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فتنبذته من النار.  
[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ  
مُبِينَةٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية  
﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.  
[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾  
أدخله أمكنة ينبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ﴾  
يبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا﴾ فثاقلاً  
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِكُلِّ كَارِهٍ﴾ تذكيراً ﴿لِلأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ بتذكرون به؛ لدلالته<sup>(١)</sup>  
على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

(١) هود: ١١٩.

(٢) في نسخة مطبوعة: «دلالته».



[٢٢] ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ﴾ يبين.

[٢٣] ﴿اللَّهُ ذَكَرَ أَحْسَنَ لِّلذِّبِ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرأتها ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ ثني فيه الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَشْعُرُ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾.

[٢٤] ﴿أَمَّنْ يَتَّقِي﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أشدّه، بأن يلقى في النار مغلوله يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَلَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر بالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يتعطلون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَّبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون، سبقة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن لأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تخير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ؛ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ قِيلَ ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ﴾ ﴿اللَّهُ ذَكَرَ أَحْسَنَ لِّلذِّبِ كِتَابًا مَُّتَشَبِّهًا مَّثَانِي تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾ ﴿أَمَّنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَابِلًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شامة بالموت، نزلت لما استبطلوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: ما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديدي. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ قال: «نعم»، ليكرر عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديدي». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكلذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراً بقية السبعة: ﴿سَلَمًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَأْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ بلى.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فـ«الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم يأمنونهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أَسْوَأَ» وأحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي (١)؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أليس الله يعزير ﴿عَظِيمٌ﴾ أمره ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ الله ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، وفي قراءة (٢) بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقْوَىٰ أَعْمَالُكُمْ عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخرجهم الله بيدر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾  
 إِذْ جَاءَهُ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾  
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ  
 فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾  
 اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ  
 قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿قُلْ يَقْوَىٰ أَعْمَالُكُمْ عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾  
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١﴾

[٣٢] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لخمزة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضره» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ إِلَى قَضَايَا الْمَوْتِ ۖ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَيُّ وَتِهَا، والمرسله نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظُهُورًا﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريب لم يتفكروا في ذلك.

[٤٢] ﴿أَيُّ﴾ بل ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ أَيُّ الْأَصْنَامِ آلِهَةٌ شُفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ ۖ قُلْ لَهُمْ ۖ﴾ أي: يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ۖ مِنْ الشَّفَاعَةِ ۖ وَغَيْرِهَا ۖ وَلَا يَعْقِلُونَ ۖ أَنْكُمْ تَعْبُدُونَهُمْ ۖ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ؟﴾ لا.

[٤٣] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ أَيُّ هُوَ مَخْتَصٍ بِهَا، فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۖ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ۖ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۖ﴾

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «أنزل» ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ اهتداه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾ وما أنت عليهم بوكيل.

[٤٢] ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ أَيُّ ۖ﴾ يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَيُّ ۖ﴾ وقت موتها، والمرسله نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظُهُورًا﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريب لم يتفكروا في ذلك.

[٤٣] ﴿أَيُّ﴾ بل ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ أَيُّ الْأَصْنَامِ آلِهَةٌ شُفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ ۖ قُلْ لَهُمْ ۖ﴾ أي: يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ۖ مِنْ الشَّفَاعَةِ ۖ وَغَيْرِهَا ۖ وَلَا يَعْقِلُونَ ۖ أَنْكُمْ تَعْبُدُونَهُمْ ۖ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ؟﴾ لا.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ أَيُّ هُوَ مَخْتَصٍ بِهَا، فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ أَيُّ دُونِ إِلَهِتِهِمْ ۖ اشْمَأَزَّتْ ۖ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۖ أَيُّ الْأَصْنَامِ ۖ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ ۖ بمعنى يا الله ۖ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مُبْدِعُهُمَا ۖ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ مَا غَابَ وَمَا شُهِدَ ۖ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ۖ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَبَدَا ۖ ظهر ﴿لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ يظنون.

(١) أي: فمضى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقيق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٩﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ ﴿٤٩﴾ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إِنَّمَا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٤٩﴾ من الله بآتي به أهل ﴿٤٩﴾ بل هي ﴿٤٩﴾ أي: القولة ﴿فَتَنَّهُ﴾ بليته، يبتلى بها العبد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٥٠﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراضين بها ﴿قَالَ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جازاها ﴿وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾؛ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاوتين عذابنا، ففجحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴿٥٢﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لَمَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ لَمَنْ يَشَاءُ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تأسا ﴿وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ﴾ من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ بمنعه إن لم تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقت.

[٥٦] فبادروا قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي﴾ أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: وني ﴿كُنْتُ لِمَنِ اسْتَحْزِينَ﴾ بدينه وكتابه.

وَيَذَّاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً وَمَا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ اسْتَحْزِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَيَذَّاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي نقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتُوا بِغُرُوحٍ وَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ غُرُوحٍ كَالْفُحُولِ﴾ (٥٣)؛ ونزل: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمر (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين أسرفوا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (١) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْتَفِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَارِفِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَسْمُهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ منصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزانتهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ «غير» منصوب بـ «أعبد» المعمول لـ «تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك (١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَيْنٌ أُنزِلَتْ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لِيَحْطَبَ عَلَيْكَ وَلِتَكُونَ مِنَ الْخَائِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلَى اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه

حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبَضَتْهُ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه ونصرته (٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ مجموعات ﴿بِإِيمَانِهِ﴾ (٣) بقدرته (٤) ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

(١) قوله: «فأعبد» أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: «وفك» أي مع سكون الباء لا غيراً فقرأ ابن عامر بنونين وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لو أن الله هداني فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِإِيمَانِهِ﴾ قالت: فإين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. ووضح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (إدغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غيراً فقرأ ابن عامر بنونين وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير.

(٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣).

من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات يمينه ثم يقول: أنا الملك». فلواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَوُجِّعَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسل بالبلاغ<sup>(١)</sup> ﴿وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. [٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا﴾ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم؟ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بُنَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا كنا جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup> الآية<sup>(٣)</sup> ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود لهم ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكِبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير: قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا﴾ سلم عليكم طيبته ﴿حَالًا﴾ ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسؤفهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريماً لهم، وسؤق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة<sup>(٤)</sup> ﴿نَتَّبِعُ﴾ نزل ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بُنَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكِبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ أَمْرَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ينظرون ما يفعل بهم.

(١) فائقة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا وادي اسطفي موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده نصك بها وجهه. قال: تقول هذا وبقينا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آنحد بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله...ه. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(٢) قيل: كالشهداء، أو حواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بفتنته، إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب وبعيد، ولا تخصيص الشهداء بأمة عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فحين بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هناك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وبيست أرض الجنة، والله أعلم.



[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْنَا وَكَرِهْنَا﴾ وذلك هو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

[١٠] ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِي كَفَرُوا بِمَا دُرُّوا﴾ من قبل الملائكة، وهم يفتنون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إذ دُعِيتُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إِمَاتَيْنِ ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إِحْيَاءَتَيْنِ؛ لأنهم نطفًا<sup>(١)</sup> أَمْوَاتٌ، فَأَحْيَا، ثُمَّ أَمَاتُوا، ثُمَّ أَحْيَا لِلْبَعثِ ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بِذُنُوبِنَا ﴿بَكْرًا بِالْبَعثِ﴾ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنَ النَّارِ، وَالرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا، لِنَطْلُعَ رِبَاً مِنْ سَبِيلٍ طَرِيقٍ، وَجَوَابِهِمْ: لَا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنعم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَلِإِنْ يَشْرِكْ بِهِ﴾ يُجْعَلْ لَهُ شَرِيكٌ ﴿تَوَيْمُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ﴾ في تعذيبكم ﴿بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُرِيكُمْ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يَعْظُ ﴿إِلَّا مَنْ يَنْسِيَ﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَفَرُوا لَكُنْتُمْ إِخْلَاصًا مِنْهُ﴾.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه<sup>(٢)</sup> ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنْذِرُ بِخَوْفِ الْمَلَقَى عَلَيْهِ النَّاسِ ﴿يَوْمَ النَّفَاقِ﴾ بحذف الياء وإثباتها<sup>(٣)</sup> ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لتلاقي أهل السماء والأرض، والمعبدين والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخَوُّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْئٌ﴾ لِمَنْ أَلْمَأُتُ الْيَوْمَ يَقُولُ - تعالى - ويجب نفسه: ﴿لَهُ الْوَجْدُ الْفَهَّارُ﴾ أي: لخلقته.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِي كَفَرُوا بِمَا دُرُّوا لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِإِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَوَيْمُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُرِيكُمْ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنْسِي ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَفَرُوا لَكُنْتُمْ إِخْلَاصًا ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخَفُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وأدخلهم»، أو: في: «وعدتهم» ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(١) كذا في بعض النسخ نصب «نطفًا» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطفًا... اهد. من حاشية الصوري.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر احتص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواءه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصلًا فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.



[١١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

[١١٨] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفَعُ خَوْفًا لَّدَى﴾ عند ﴿الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولت بالجمع بالياء والتون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢) أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعا؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿عَاقِبَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تَحْفَى الضُّدُورُ﴾ القلوب.

[١٢٠] ﴿وَأَنَّهُ يَفْقَى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَقَى﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم. [١٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة (٤) «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ وما كان لهم من الله من وافي عذابه.

[١٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[١٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[١٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك.

الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٧﴾ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١١٨﴾ يَعْلَمُ عَاقِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُحْفَى الضُّدُورُ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ يَفْقَى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٢٥﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قسم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالناء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتنبهوه ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الباء والهاء وضم الدال<sup>(١)</sup>.

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وإن يك كذباً فعليه كذبه، أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً فيصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تُكَلِّمُوا الْمَلِكَ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غاليين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب<sup>(٢)</sup>.

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله، أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الباء وإثباتها<sup>(٣)</sup>، أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشفقة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾  
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾  
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْلَمِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْلَمِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْلَمِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْلَمِهِ كَذِبُهُ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ كَذَابٌ ﴿٢٩﴾ يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تُكَلِّمُوا الْمَلِكَ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾ وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتك

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ شعبة وحمره والكسايني: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قومه: ﴿يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع، أي أبائهم؛ حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين؛ كقوم نوح وغيرهم ممن كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلاً ووقفاً، وأثبتها ورش وصلاً فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.



[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْرُ﴾ لن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة<sup>(١)</sup> ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَارْتَبِ الْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي﴾ إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ﴿ثُمَّ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً<sup>(٢)</sup> ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ يقال: ﴿(ادْخُلُوا)<sup>(٣)</sup>﴾ يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِي النَّارِ﴾ فيقول ﴿الضُّعْفَتَانِ لِلَّذَيْنِ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبُ﴾ جزاء ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا إِلَىٰ ادْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ لا جرم أنما تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتَبِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَانِ لِلَّذَيْنِ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ

[٤١] ﴿وَيَقُولُ مَا إِلَىٰ ادْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾.

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجح له الألوهية، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزنة تهكماً: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تُأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَمِّمُ آلَهُمْ﴾ جمع شامد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ أَلْفَنَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْفَيْنَا بِنِعْ إِسْرَءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْكِتَابِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ تذكراً لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ ليسكن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِنْكَارِ﴾ الصلوات الخمس <sup>(٢)</sup>.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَغْيِرُ سُلْطَنَ﴾ يبرهان ﴿أَنَّهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعملوا عليك ﴿مَّا هُمْ بِيَلْبِغُوا فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مُكْرِي الْبَحْثِ﴾ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ابْتِدَاءً﴾ أَكْثَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تُأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ آلُ الْمُشْهَدِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْفَيْنَا بِنِعْ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابِ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنَ أَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغُوا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُنَى﴾ فيه زيادة «لا» <sup>(٣)</sup> ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالياء والتاء <sup>(٤)</sup>؛ أي: تذكروهم قليل جداً.

(١) بالتاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسيب في هذين الوقتين يرد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية. والأقرب أن المراد بالتسيب أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تنزيهه - شُبْحَانَهُ - بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلاة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَوْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٥) أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الحاء وبالعكس (١) ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يَبْصُرُ فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَوْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. [٦٣] ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾. [٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) قائدة: أخرج الترمذي عن العثمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالعكس.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أبيضكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَتَّى ﴿ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ يَبْقِيَكُمْ﴾ لِتَسْلُبُوا أَشْدَّكُمْ ﴿تَكَامِلُ قَوَاتِكُمْ﴾ من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرهما <sup>(١)</sup> ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِيَسْلُبُوا أَجْلاً مُسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَلَنَبَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بضم النون وفتحها <sup>(٢)</sup> بتقدير «أن» أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور <sup>(٣)</sup>.

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَبٍ﴾ بالقرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فنكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُجْرُونَ بها.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تَبَكَّيْثًا: ﴿أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا صَلُّوا﴾ غابرا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَلْ لَوْ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت <sup>(٤)</sup> قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ <sup>(٥)</sup>؛ أي: وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضًا: ﴿ذَلِّكُمْ﴾ العذاب ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِئْسٌ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَسْلُبُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَسْلُبُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْرًا لَنَبَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَبٍ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٣﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٤﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِئْسٌ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٥﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْتَا نُزِيلُكَ فِيهِ ﴿٧٦﴾

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بعدابهم ﴿حَقٌّ فَكَيْتَا نُزِيلُكَ فِيهِ﴾ «إن» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضُ الَّذِي يُؤْتِيكُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك ﴿أَوْ نُؤْتِيكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَلْيَأْتِنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط <sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ ورش وحقق وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحمزة وابن كثير وابن ذكوان والكساوي بالكسر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول عبر الإرادة، وهذا الكلام مباه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أحاب به المفسر عما يغفل إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهًا وَرِدْوَةً﴾ (الأنبياء: ٩٨) فأجاب بأنهم أولاً تضلل عنهم الهتهم ويبتارون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: لنقول: ﴿نُؤْفِكُ﴾؛ لأن جواب ﴿نُؤْفِكُ﴾ محذوف كما تقدم.

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿فُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿يُلَاقِي وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا<sup>(١)</sup>، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِكُلِّ فِيهَا مَنَفْعٌ﴾ من الدَّر والنسل والوَر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ قَائِءَ آيَاتِ اللَّهِ؛ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُشْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيبه<sup>(٢)</sup>.

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض ﴿من مصانع وقصور﴾ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرَحُوا﴾ أي: الكفار ﴿يَمَّا عِنْدَهُمْ﴾ أي: الرسل<sup>(٣)</sup> ﴿بَيْنَ الْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكرين له<sup>(٤)</sup> ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يهتبرون<sup>(٥)</sup> أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه<sup>(٦)</sup> ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾ تبين خسارهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

\*\*\*

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨١﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ قَائِءَ آيَاتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا يَمَاجًا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ بِسَهْرَةٍ وَن ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من تأنيبه.

(٣) الراجح أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا أفره على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجح؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: مثل الله بهم شئاً من قبلهم.



## سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبَ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ  
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ نَبِيًّا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ  
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نِفَاكُكُمْ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ  
وَفِي عَادَانَا وَفَرْوَمِنَّا وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ  
﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ  
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ  
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا نُحَذِّرُكُمُ  
لِنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا  
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ مِنْ تَحْتِهَا  
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِ أَنْبَاءِ أَيْامٍ سَوَاءٍ  
لِلنَّاسِ يَلِدِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ  
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠﴾

﴿لِلنَّاسِ يَلِدِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ﴾ قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ  
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال؛  
أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتْ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر  
العاقب، أو: نُزِّلْنَا لخطأ بهما منزلته.

## سُورَةُ فَصَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمجده به.  
[٢] ﴿تَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.  
[٣] ﴿كَتَبَ﴾ خبره ﴿فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾ بُنْتُ بِالْأحكام والقصاص  
المواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته <sup>(١)</sup> ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق  
بـ«فصلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.  
[٤] ﴿نَبِيًّا﴾ صفة «قرآنًا» ﴿وَنَذِيرًا﴾ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ  
سماع قبول.  
[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي: ﴿فَلَوْلَا فِي آيَاتِكُمْ﴾ أعطية ﴿وَمِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ  
وَفِي عَادَانَا وَفَرْوَمِنَّا وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين  
﴿فَأَعْمَلْنَا﴾ عى دينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ على ديننا.  
[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ  
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب  
﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾.  
[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾.  
[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.  
[٩] ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ﴾ بتحقيق الهمة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف  
بينها بوجهها وبين الأولى <sup>(٢)</sup> ﴿لِنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾  
الأحد والاثنتين <sup>(٣)</sup> ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّهُ﴾ أي: مالك  
﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء  
والنون؛ تغليظاً للعلاقة.

- [١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل  
الأجنبي <sup>(٤)</sup> ﴿فِيهَا رِوْاسٍ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِنْ تَحْتِهَا وَبَرَكَ﴾ بكثره المياه  
والزروع والضرع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾  
تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء <sup>(٥)</sup>  
﴿سَوَاءٍ﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمْدُ الشَّجْدَةِ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعد أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمسمى أن المسوغ لشيء الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: ﴿فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾.

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمة الثانية بين يين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبقية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦)، تعين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: (من أيام الدنيا؛ أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس).

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ» قال في حاشية الصاوي: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغترف في التابع ما لا يغترف في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَدِّحٍ﴾ بنجوم ﴿وَحَفَظًا﴾ منصوب بفعله المقدر؛ أي: حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه. [١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَيْنَا ﴿مَلَكًا﴾ فَإِنَّا بِمَا نُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَى زَعَمِكُمْ ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَنْ، أَي: بَأْسٌ﴾ لَأُتْبَدُوا إِلَّا اللَّهُ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴿مَلَكًا﴾ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَى زَعَمِكُمْ ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَلْقَ وَقَالُوا إِنَّا بِالْعِظَمِ بِالْعِظَمِ﴾ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَي: لا أحد، كان واحدكم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَاءْنَا أَلْوَيْ﴾ خَلَقْنَاهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ مَحْصُورَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها<sup>(٢)</sup>؛ مشغومات عليهم ﴿لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيَانِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أشد ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بمنع عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يثًا لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْكُفْرِ فَخَذْنَا مِنْهُمُ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ المهين ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَنَبِّينَا﴾ منها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله.

[١٩] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ﴾ يَوْمَ يُحْشَرُ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ الْمَفْتُوحَةِ، وضم الشين وفتح الهمزة<sup>(٤)</sup> ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ بساقون.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَقَضَيْنَا سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَدِّحٍ وَحَفَظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٣ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٤ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ كَافِرُونَ ١٥ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَلْقَ وَقَالُوا إِنَّا بِالْعِظَمِ بِالْعِظَمِ ١٦ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَاءْنَا أَلْوَىٰ ١٧ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٨ وَنَبِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ١٩ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٢٠ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢١

[٢٢] ﴿فَقَضَيْنَاهُمْ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه؛ أي: صيرها ﴿سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة<sup>(١)</sup>، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم<sup>(٢)</sup>، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وحلقها آلافاً من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما

تقول: ولد محمد يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) يسكنونها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: الأخيرة من (أعداء)، وهي قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالياء، ورفع (أعداء).

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا أَهْلَكُمُ الْقَارِئُ مَمُوتٌ وَلَنْ نَسْتَعْتِبُوا فِتْنَاهُمْ مِنْ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٤﴾ \* وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرِيقًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَسْمَعُوا هَذَا الضُّرَاءَ وَاعْتَوَفِهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿١٦﴾ فَلَنْذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرُؤُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ عَادَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَبْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٩﴾

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿١٩﴾ أي: إبليس وقايل (٢٠) سَأَا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿يَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذاباً منا.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ولكن ظننتم عند استناركم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَإِنْ يَصِيرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالْقَارِئُ مَمُوتٌ﴾ ماوى ﴿لَهُمْ﴾ وإن يستعْتَبُوا ﴿يَطْلُبُوا الْعَتَى﴾ أي: الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرضيين (٢٥).

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ سبباً ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾ من الشياطين ﴿فَرِيقًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَأَنلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية (١) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ ملكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الضُّرَاءَ﴾ ﴿وَالْقَارِئُ فِيهِ﴾ اتوا باللعط ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

﴿٢٧﴾ قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلَنْذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرُؤُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفصح جزاء عملهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأشوأ الجزاء ﴿جَزَاءُ عَادَاءِ اللَّهِ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها وارزاقاً ﴿النَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءُ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا أَرَبْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾.

(٢٠) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستنيراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة غرة تقضي وختاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه بلوهم. قال: فحدثوا بينهم حديث، قال: فقال أحدهم: أرى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعنا، وما خفطنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئاً فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٢٧٣/٧). وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(١٩) هود: ١١٩.

(٢) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها واوا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب ؓ، وتعب بأنه لا يصح عن علي ؓ، فإن قيس مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقي شاططي النوعين المقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين.

تَقَاوُا ﴿٣٠﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلقتكم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿تَحْنُ أُولَآئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُزَلَّ﴾ رزقا مهيشا، منصوب بالـ «جعل» مقدرا ﴿وَمِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السيفة ﴿يَأْتِي﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ «الذي» مبتدأ، و «كانه» الخبر، و «إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمَنْ ءَاتِيَهُ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَسْبُحُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْتَحْجُونَ﴾ يصلون ﴿لَمْ يَأْتِلِ وَالنَّهَارُ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تُجَاهِرُوا وَلَا تَشْرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ تَحْنُ أُولَآئِكَ وَكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٢﴾ تَزَلَّ مِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ ءَاتِيهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُنَّ بَانَ﴾ لا

(د) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ورضعهم لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الحلد ولحد<sup>(١)</sup> ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب<sup>(٢)</sup> ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ تَنْ يَأْتِي بِنُورٍ مِمَّا يَشْتُمُونَ مَا يُبَشِّرُكُمْ بِهَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد بهم.

[٤١] ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ بنجازيهم ﴿وَلَهُمْ لَكِنُوبٌ عَرِيضٌ﴾ منيع.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله الحمود في أمره.

[٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا هَؤُلَاءِ نَبِيٌّ﴾ أي: نبي ﴿عَرَبِيٌّ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً، بإشباع ودونه<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ نقل فلا يسمعونهُ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادي من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَرْبَهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لِنُيِّسَ شَرِّكَ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ موقع في الرية.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ أي: بذئ ظلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَدُّهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ فِي آيَاتِنَا ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ تَنْ يَأْتِي بِنُورٍ مِمَّا يَشْتُمُونَ مَا يُبَشِّرُكُمْ بِهَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴿وَلَهُمْ لَكِنُوبٌ عَرِيضٌ﴾

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ إِلَّا مَثَلٌ ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

﴿عَرَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ

﴿وَأَرْبَهُمْ لِنُيِّسَ شَرِّكَ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ

﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾

(١) يشير إلى الفرائض، فيفتح الياء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من «لَحَدَ الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تحريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كقولهم، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين الحقة والسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق الهمزة الثانية، وقرأ قبل وهشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَوَطَّنُوا﴾ أبقوا ﴿مَّا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين<sup>(٢)</sup> معلق عن العمل، وحيلة النفي<sup>(٣)</sup> سُدَّت مسد المفعولين.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَذَقْنَاهُ آتِنَاهُ رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿وَبَنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي﴾ أي: بعلمي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿لُجِئْتُ إِلَيَّ رَبِّي﴾ أي: عند الحسنى ﴿أَي: الجنة﴾ ﴿لَتُنْفِثَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَتُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

[٥١] ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَوَنَاءَ﴾<sup>(٤)</sup> يحايروا ﴿ثَنَى عَظْفُهُ مَتَبَخَّرًا﴾ وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَّ دُعَاءَ عَرِيضٍ﴾ كثير.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق، أوقع هذا<sup>(٥)</sup>، موقع: «منكم» بياناً لحالهم.

[٥٣] ﴿سُرِّيهِمْ﴾ أَلَيْتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴿أَقْطَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من البُيُوتِ، والنبات، والأشجار ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجمالي به ﴿أَوَلَمْ يَكُفْ بِرَبِّكَ﴾ فاعل «يكف» ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه؛ أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما؟!.

[٥٤] ﴿آلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارهم البعث ﴿آلَا إِنَّهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطٌ﴾ علما وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

\*\*\*

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنَ نَجِيصٍ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ لُجِئْتُ إِلَيَّ رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنُفِثَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بَاجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدَّو دُعَاءَ عَرِيضٍ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿سُرِّيهِمْ﴾ أَلَيْتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿آلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١٣)</sup> ﴿آلَا إِنَّهُمْ﴾<sup>(١٤)</sup> ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطٌ﴾<sup>(١٥)</sup>

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع «كم» بكسر الكاف، إلا يعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَّا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكاً.

(١) حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: «ثمرات».

(٢) أي في قوله: «وما منا»، وقوله: «وما لهم»؛ فالنفي فيهما معلق لكل من: «أذن»، و«ظن» عن العمل لفظاً لا محلاً.

(٣) أي: في الموضعين؛ في قوله: «وما لهم من محيص»، وقوله: «وما منا من شهيد»؛ فالجملة الأولى سُدَّت مسد مفعولي «وظنوا»، والثانية. سُدَّت مسد المفعول الثاني لـ «أذن»، وما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في «أذنناك».

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان. وقرأ بقية السبعة: «وونائي».

(٥) أي: قوله: «ومن أضل ممن هو في شِقَاقٍ بَعِيدٍ».

## سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ  
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا  
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ  
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ  
 حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي  
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ  
 يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ  
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ  
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ فَحُكْمُهُ  
 إِلَى اللَّهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

أُولَى ۝ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ۝ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝.

[١٠] وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ۝ مع الكفار ۝ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ من الدين وغيره ۝ فَحُكْمُهُ ۝ مردود ۝ إِلَى اللَّهِ ۝ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ۝ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ أَرْجِعْ.

## سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ۝ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۝ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ۝ حَمَّ ۝.

[٢] ۝ عَسَقَ ۝ الله أعلم بمراحه به.

[٣] ۝ كَذَلِكَ ۝ أي: مثل ذلك الإحياء ۝ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ ۝ أَوْحَى ۝ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۝ فاعل الإحياء ۝ الْعَزِيزُ ۝ في ملكه ۝ لَتَكُونَنَّ ۝ في صنعه.

[٤] ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝ ملكاً وخلقاً وعبداً ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ ۝ عسى خلقه ۝ الْعَظِيمُ ۝ الكبير.

[٥] ۝ تَكَادُ ۝ بالناء والياء <sup>(١)</sup> ۝ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ ۝ بالنون <sup>(٢)</sup>، وفي قراءة بالناء والتشديد ۝ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۝ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ۝ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۝ أي: ملاسین للحمد ۝ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ من المؤمنين ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ۝ لأوليائه ۝ الرَّحِيمُ ۝ بهم.

[٦] ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ أي: الأصنام ۝ أَوْلِيَاءَ ۝ اللَّهُ حَفِيفٌ ۝ مُخَصَّصٌ ۝ عَلَيْهِمْ ۝ ليجازيهم ۝ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] ۝ وَكَذَلِكَ ۝ مثل ذلك الإحياء ۝ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ ۝ تَخْوْفَ ۝ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝ أي: أهل مكة وسائر الناس ۝ وَتُنْذِرَ ۝ النَّاسَ ۝ يَوْمَ الْجُمُعِ ۝ يوم القيامة، تجتمع فيه الخلائق ۝ لَا رَيْبَ ۝ شك ۝ فِيهِ ۝ فَرِيقٌ ۝ منهم ۝ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝ النار.

[٨] ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ۝ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ۝ وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ ۝ وَالظَّالِمُونَ ۝ الكافرون ۝ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ يدفع عنهم العذاب.

[٩] ۝ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ أي: الأصنام ۝ أَوْلِيَاءَ ۝ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار <sup>(٣)</sup>؛ أي: ليس المتخذون أولياء ۝ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ۝ يَتَفَطَّرْنَ ۝.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمرة الإنكار»؛ أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذَرُوكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلفكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالوولد، والضمير للأناسي والأنعام بالغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة<sup>(١)</sup> ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به، والموصى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَرَّ﴾ عظم ﴿عَنِ الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْنَا﴾ من التوحيد ﴿أَنَّهُ يَجْتُنِي إِلَيْنَا﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْنَا مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن ومحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مِمَّن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَيْدُكَ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ فإذ ذلك قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ فَكُنْ بِجَارِي عَمَلِهِ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

[١٥] ﴿فَإِذْ لَقِيَ﴾ التوحيد ﴿قَادَعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقَمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿أَنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾ فكُنْ بِجَارِي عَمَلِهِ ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَالِئِنَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْنَا اللَّهُ يَجْتُنِي إِلَيْنَا مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْنَا مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَيْدُكَ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اتوا نوحا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأم آدم فإنه أول نبي.



[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالإنسان، لظهور معجزته <sup>(١)</sup> وهم اليهود ﴿وَجَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَتَيْتُمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْحَقُّ﴾ متعلق به ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ والعل، معلق للفعل <sup>(٢)</sup> عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ضلّا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مَنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الْآلَاءُ إِنَّ الَّذِينَ يُحَارُونَ ﴿يَجَادِلُونَ﴾ فِي السَّاعَةِ لِيَصْلَحَ بَعِيدٌ.

[١٩] ﴿إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرَّهُمْ وَفَاجَرَهُمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿زِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ﴾ منها؛ بلا تضعيف، ما قسم له ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَلِلَّهِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَقْعَمَ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ﴾ الْجَنَّاتِ ﴿أَنْزَهَا﴾ بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدريك».

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مَنَّا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الَّذِينَ مَالٌ يَأْذُنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

بَيْتِهِ بِكَلِمَتِهِ<sup>(٢)</sup> الْمُنَزَّلَةَ عَلَى نَبِيِّهِ **إِنَّمَا عَلَيْهِ يُدَاتِ الصُّدُورُ** بما في القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾  
الْمُتَّابِ عَنْهَا ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ بآلاء والتاء<sup>(٣)</sup>.

[٢٦] ﴿وَسَجِّبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون<sup>(٤)</sup> ﴿وَنَزِيدْهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الزَّكَّاءَ لِيَابِدُوا﴾ جميعهم ﴿بَعَثُوا﴾ جميعهم: أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ﴾ [يُنْزِلُ] بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup>؛ من الأرزاق ﴿يَقْدِرُ مَا شَاءَ﴾ فيسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُ يَهْدِي خَيْرَ بَصِيرٍ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تَرْفُلًا لِّغَيْثٍ ﴿٢٩﴾ مِّنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴿٣٠﴾ يَكْسِبُوا مِنْ فَزْلِهِ ﴿٣١﴾ وَلِيَشْرَبَ شَرْبَهُ ﴿٣٢﴾﴾ يسقط مطره<sup>(١)</sup> ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الحسن للمؤمنين ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلَقَ مَا بَيْنَهُمْ قُرْآنًا﴾ ونشر ﴿فِيهَا مِنْ دَابَّوْنَ﴾ هي ما يدب على الأرض<sup>(٧)</sup> من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ لَاحِظٌ﴾ إذا نَسَا<sup>(٨)</sup> قَدِيرٌ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

[٣٠] ﴿رَمَّا أَصَبَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين<sup>(٨)</sup> ﴿تَن مَّيْكَةً﴾ بـلغة وشدّة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَوَعُودًا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو تعالى - أكرم من أن ينشي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا مُشْرِكُونَ ﴿يَمْجُرُونَ﴾ اللَّهُ هَرَبًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يَدْفَعُ لَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ اللَّهِ ﴿أَي: غَيْرِهِ﴾ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿عَذَابُهُ عَنِكُمْ﴾

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَلَا تَحْسَبُ لَهُمْ عُقْبًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْرِفْ  
حَسَنَةَ نَّزْدَةٍ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٦٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ  
آفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا بِمَا يَصِفُونَ عَلِيمٌ عَلَىٰ قَلِيلٍ وَيَمَحُ اللَّهُ  
الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ؕ إِنَّهُ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ  
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ  
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ ﴿٦٣﴾ \* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ  
وَلَٰكِن يُّنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّآيَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٦٤﴾ وَهُوَ  
الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَضَوْا أَتَشْكُرُونَ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْخَلِيدُ  
﴿٦٥﴾ وَمِنَ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن دَأْبٍ  
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَمَا  
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٦٧﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ  
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦٨﴾

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ من البشارة مخففاً ومثقلاً <sup>(١)</sup> به ﴿اللَّهُ عِيَادَةُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ لَأَسْأَلَنَّ عَنْهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا أَلَمَدَهُ﴾ والفريق استثناء منقطع؛ أي: لكن أسألكم أن تؤدوا قرباتي، التي هي قرباتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَنْ يَتَرَفَّ﴾ يكسب ﴿حَسَنَةً طَاعَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿بِنِسْبَةِ الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ﴾ - تَعَالَى - ﴿فَإِنْ يَسْأَلِ اللَّهُ بِخَيْرٍ﴾ يَرْبُطُ ﴿عَلَيْكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

(١) ﴿يُسْرَ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُسْرَ﴾.

(٧) والراجع عليه أكثر المفسرين إن هذه الآية كقولہ - تَعَالَى : ﴿ وَنَزَّلْنَا ذُوقُوا عَذَابَ بَعْضِ الْأَقْوَامِ ﴿١٠٠﴾ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿١٠١﴾ ثُمَّ لَعَلْنَا مِنْهُ لَوْمَةً لِّلَّذِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا بأنَّه **الْفَاسِقُ** لو افترى على الله كذباً لئنه من ذلك قطعاً فحزم على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الأخرى من مثله **الْفَاسِقُ**.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٤) **فَإِذَا دُعِيَ إِلَيْكَ فِي مَوْضِعٍ نَفْسٍ**، في موضع نصب، وقيل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبيون لربهم فينادون له ويلبّون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم رزادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - ، وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.

(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولو ارم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعده غيهم من أهل العلم.

(٨) الظاهر أن الخطاب عام للمؤمنين وغيرهم.

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كَالْجَمَالِ فِي الْعِظَمِ.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يَصْرَنَ ﴿رَوَاكِدٌ﴾ ثَوَابِتٌ لَا تَجْرِي ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿هُوَ الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ فِي الشَّدَةِ، وَيَشْكُرُ فِي الرِّخَاءِ﴾.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِعْهُنَّ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿يُسْكِنُ﴾؛ أَي: يَفْرَقُهُنَّ بِغَضَبِ الرِّيحِ بِأَمَلُهُنَّ ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ أَي: أَمَلَهُنَّ مِنَ الذَّنُوبِ ﴿وَيَعُفُّ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنْهَا، فَلَا يَفْرُقُ أَهْلَهُ.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بِالرَّفْعِ مُسْتَأْنَفٌ، وَبِالنَّصْبِ <sup>(١)</sup> مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: يَفْرَقُهُمْ لِتَقَرُّبِهِمْ مِنْهُمْ، وَيَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ﴾ مَهْرَبٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَجَمَلَةُ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَ مَفْعُولِي «يَعْلَمُ»، وَالتَّنْفِي مَعْلُوقٌ عَنِ الْعَمَلِ.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوَيْتُمْ﴾ خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَثَاتِ الدُّنْيَا ﴿فَمَتَّعَ الْآيَاتِ الدُّنْيَا﴾ يَمْتَنِعُ بِهِ فِيهَا، ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿خَيْرٌ وَبَاقِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٣٧] وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup>، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرَهُمْ﴾ وَالْفَوْجِشَ مُوجِبَاتِ الْحُدُودِ، مِنْ عَطَفِ الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يَتَجَاوَزُونَ.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أَدَامُوهَا ﴿وَأَنفَقُوا﴾ الَّذِي يَبْدُو لَهُمْ ﴿شُرَىٰ﴾ يَتَّبِعُهُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ عَطَيْنَاهُمْ ﴿يَتَفَقَّهُونَ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَمِمَّنْ ذَكَرَ صَف.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَ﴾ الظُّلْمُ ﴿هُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ صَنَفٌ؛ أَي: يَنْتَقِمُونَ مِنَ ظُلْمِهِمْ بِمَشْ ظَلَمِهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: [٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سَمِيتِ الثَّانِيَةَ سَيِّئَةً لِمِثْلِيَّتِهَا لِلأُولَى فِي الصُّورَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِيمَا يَقْتَضِي فِيهِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِذَا قَالَ لَهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ؛ فَيَجِيبُهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ عَنْ ظُلْمِهِ ﴿وَأَسْلَحَ﴾ الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْفُو عَنْهُ ﴿فَإَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي: إِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُهُ لَا مُحَالَةَ ﴿إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْبَادِيْنَ بِالظُّلْمِ، فَيَتَرْتَبُ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ <sup>(٤)</sup>.

[٤١] ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمْ أَعْوَابُ النَّارِ﴾ ظَلَمَ الظَّالِمُ إِيَّاهُ ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ﴾ مَوَاحِدَةٌ.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظُهُورِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعْهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَبَاقِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرَهُمْ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَضَبُ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِفُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتََضَرَّعُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا أَتَتْهُمُ أَعْوَابُ النَّارِ فَيُؤْمِنُونَ بِهَا نَجْيًا مِنْ غَمَصِهَا فَهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا أَتَتْهُمُ أَعْوَابُ النَّارِ فَيُؤْمِنُونَ بِهَا نَجْيًا مِنْ غَمَصِهَا فَهُمْ يُعَذِّبُ اللَّهُ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ ﴿٤١﴾

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يَعْمَلُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ يُعَذِّبُهُمُ الْحَقُّ﴾ بِالْمَعَاصِي ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلِمٌ.

[٤٣] ﴿وَلَمَّا صَبَرَ﴾ فَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿وَعَفَرَ﴾ تَجَاوَزَ ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ الصَّبْرُ وَالتَّجَاوُزُ ﴿لَمَّا عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ أَي: مَعَزَمَاتُهَا؛ بِمَعْنَى الْمَطْلُوبَاتِ شَرْعًا.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: أَحَدٌ بَلِي هُدَايَتِهِ، بَعْدَ إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَفٍّ﴾ إِلَى الدُّنْيَا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طَرِيقٌ؟

(١) بِالرَّفْعِ قِرَاءَةٌ نَافِعٌ وَابْنُ عَامَرٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالنَّصْبِ؛ «وَيَعْلَمُ».

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ: «عَلَيْهِمْ»، وَالصَّوَابُ الْمَثْبُتُ؛ أَي: عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(٣) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي: «فَيَتَرْتَبُ».

(٤) هَذَا مِنْ أَكْثَرِ عَدَمِ مَجْنَبِ كَلِمَاتِ الظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ هَذَا تَفْسِيرٌ مُقَابِلَ الْحَقِيقَةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمَفْسَرِ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ، فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِأَثَرِهَا وَلِوَازِمِهَا.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى ..

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَصُورُهُمْ بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ قَدْ لَمَّ مِنْ سَبِيلِ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردده ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ إنكار للنزوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَيَا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة<sup>(١)</sup>؛ كالغنى والصحة ﴿فَرَحَ﴾ بآ وإن نصيبهم ﴿الضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ سَيِّئَةً﴾ بلاء ﴿يَمَّا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: قدّموه، وغير بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنْ الْإِنْسَانُ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿يَلَهُ مِثْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنشَاءً وَنَهَبَ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرَ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يَرْزُقُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُرِّيَّةً وَإِنشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿ذَبِيرٌ﴾ على ما يشاء<sup>(٢)</sup>.

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحَيًّا﴾ في المنام أو بالهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿رُسُلًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: يكلمه ﴿بِأَذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿وَمَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾ عن صفات المحدثين<sup>(٣)</sup> ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرف خفي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ألا إن الظالمين في عذابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٨﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٩﴾ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَاقِدَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٥١﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرَ ﴿٥٢﴾ أَوْ يَرْزُقُهُمْ ذُرِّيَّةً وَإِنشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٤﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ خافقين متواضعين ﴿مِنْ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبت المفسر كقولهم إنما هو منه جرياً على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفرادها؛ فضلاً عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الناجية لله تعالى، والآية من أدلة إثبات صفة العلم التام لله تعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا  
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

### سُورَةُ الزُّحْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَعْيُنِ  
لَعَلَى حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا  
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي  
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾  
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾  
وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ  
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

- [٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق  
في آيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.  
[٩] ﴿وَلَكِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾  
حذف منه نون الرفع؛ لتوالي التورات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين  
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.  
[١٠] زاد - تعالى :: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالْمَهْدِ  
للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى  
مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿وَمِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي  
نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن  
﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعامله، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده  
سدّ مسدّ المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾  
من نشاء من عبادنا ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق  
﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.  
[٥٣] ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا  
وعبيدا ﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

### سُورَةُ الزُّحْرِ

[مكة، وقيل: إلا: ﴿وَسَلَّ مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،  
تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.  
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه  
من الشريعة.  
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا<sup>(١)</sup> الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب  
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.  
[٤] ﴿وَأَنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُولَى الْأَعْيُنِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح  
المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلَى﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٍ﴾ ذو  
حكمة بالغة.  
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ نمسك ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾  
إمساکًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾  
مشركين؟ لا.  
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.  
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾  
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجمل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإزلال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبهري وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعلِّقًا إلى مفعولين، فلا  
يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وهو مجرور في الأول<sup>(١)</sup>، أي: فيه، منصوب في الثاني<sup>(٢)</sup>.

[١٣] ﴿لِيَسْتَوِيَا﴾ لتستويا ﴿وَعَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظرا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُقْرِنِينَ﴾ مطبقين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لمنصرفون.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الوالد، والملائكة من عبادته - تعالى - ﴿إِنَّا إِلَهُكُمْ﴾ القائل ما تقدم ﴿لِكُفُّورِ سُبُوحِ رَبِّكَ﴾ يبين ظاهر الكفر.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أقولون ﴿أَتَتَّخِذُ يَمَانًا﴾ يتخلى بآيات نفسه ﴿وَأَصْفَكَمُ﴾ أحلصكم ﴿يَاللَّيْلِ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الوالد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنات تولد له ﴿ظَلًّا﴾ صار ﴿وَجَعَلُوا مَسْوِدًا﴾ متغيرا تغير معتمدا ﴿وَهُوَ كَلِيمٌ﴾ عتسى غمًا، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة<sup>(٤)</sup>؛ أي: يجعلون لله ﴿مَنْ يُنْشَأُ فِي الْجَنَّةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة<sup>(٥)</sup>؛ لضعفه عنها بالأثوة!

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ لَهُنَّ شَهِدَاتٍ﴾ حضروا ﴿خَلَقَهُمْ سَكَنًا﴾ شهادتهم ﴿بأنهم إنا﴾ ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيرتب عليهم العقاب.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿وَمِنْ عِلْمِنَا﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْضَعُونَ﴾ يكذبون فيه، فيرتب عليهم العقاب به.

[٢١] ﴿أَمْ أَنَبَّيْنَاهُمْ سَكَنًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ سَمْتَمِسُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٤﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُقْرِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَم بِالْبَنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٩﴾ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُ مُهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفانا ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ أحيينا ﴿بِهِ﴾ بِلَدَةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ ﴿أَي: مثل هذا الإحياء﴾ تُخْرَجُونَ ﴿من قبوركم أحياء﴾.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ تحذف العائد اختصارًا،

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا، ثم قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُقْرِنِينَ﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ ﴿١٥﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «جعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «جعل لكم من الأنعام ما تركبونها».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) هي نسخة القاصي كنعان: «الحجة».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا أَتَسْمَعُونَ﴾ متبعون.

[٢٤] ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا قَوْمٌ مَلِكٌ﴾ لهم: ﴿أَنْتُمْ تَعْبُونَ ذَلِكَ﴾ وَلَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتَهُ قَالَ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ أَكْفَرُونَ ﴿كُفْرُونَ﴾.

[٢٥] قال - تعالى - تخوفنا لهم: ﴿فَأَنقَضْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ أي: من المكذبين للرسول فبلك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَإِنَّمَا سَيِّدُنِي﴾ يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد<sup>(١)</sup> المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ المشركين ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ ولم أعجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا رَبٌّ هَلَّا﴾ هلاً ﴿نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِثْلِكَ﴾ أهل ﴿الْقُرَيْشِينَ﴾ من أمة منها ﴿عَظِيمٌ﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

[٣٢] ﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَقِيشَتُهُمْ فِي الْخَيْرِ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بالغنى ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ الْغَنَىٰ بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخرًا في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ<sup>(٤)</sup> بكسر السين ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة<sup>(٥)</sup> ﴿حَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِآيَاتِي وَمِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا كُفْرًا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَاثْقَلْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا رَبٌّ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِثْلِكَ الْقُرَيْشِينَ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَقِيشَتُهُمْ فِي الْخَيْرِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُضِلَّهُمْ

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُضِلَّهُمْ ﴿٣٣﴾ بدل من «لمن» ﴿سُقْفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما<sup>(١)</sup>؛ جمعاً ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ﴾ يعلون إلى السطح.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَالَ﴾.

(٢) المراد بقوله: (وجعلناها) يحتمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ فوالان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَيْبًا وَتَقَوَّبَ﴾ الآية.

(٣) الصفات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾» لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالإنفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعْشُ يَعْرِضْ﴾ يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: القرآن ﴿تَفْقِضْ﴾ نسب ﴿كَلِمَ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿يَكْذِبُونَ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ النَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ في الجمع رعاية معنى «من».

[٣٨] ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَنَا﴾ أي: العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ لَهُ﴾ أي: للتنبية ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَسِّرُ الْفَرِيقَ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ﴾ أي: العاشين، تَمَكِّمُكُمْ وَتَذَكُّمُكُمْ ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنكُمُ﴾ مع قرنائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و«إذ» بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْغَمَىٰ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فإِذَا نَذَرْنَا بِكَ ﴿فَأَنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: فهم لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فَأَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذَرْنَا بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَأَنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ زَيْنًا﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَأَنَّا عَلَيْنَاهُمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَأَسْمِئِكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّشَرِّ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تَنْتَلُونَ﴾ عن القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَمَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة

الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ بِمَصْعُورٍ﴾.

وَيُؤَيِّنُهُمْ أُنُوبًا وَسُرَرَاءً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٦﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلَّ ذَلِكَ لَمَأْمَعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسِّرُ الْفَرِيقَ ﴿٤٠﴾ وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتُحْكَمُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤١﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْغَمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾ فِيمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٣﴾ أَوْ زَيْنًا أَلَّذِي وَعَدْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ بِمَصْعُورٍ ﴿٤٦﴾

[٣٤] ﴿وَيُؤَيِّنُهُمْ أُنُوبًا﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سُرَرًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا لحوف الكفر على المؤمنين من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطياه ذلك؛ لقلة خطر الدنيا عندها، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلَّ ذَلِكَ﴾ [الما] بالتخفيف، ف«ما» زائدة، وبالتشديد (١) بمعنى «إلا» ف«إِنْ» نافية ﴿مَتَكَبَّرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة، وهشام بخلاف عه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جَاءَنَا﴾.



وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا هَذَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ عَنِ الْإِمْنَانِ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥١﴾ أَيُّ مَوْفُورٍ قَالَ يَقُومُ الْيَسَّى لِي مُلْكٌ مُضِرٌّ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾ إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿٥٥﴾ أَسَافُونَ أَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَاعْرِضْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٩﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦١﴾

خَصِمُونَ<sup>(١)</sup> شديدا والخصومة.

[٥٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرته يستدل به على قدرة الله - تعالى - على ما يشاء.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بأن نهلككم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب؛ كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى خلق الجالسين، سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قريبها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر. [٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ موسى لما رآوا العذاب: ﴿يَا هَذَا هَذَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكاسر؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾ إذا هم يَكُونُونَ ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ افتخارا ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ قَالَ يَقُومُ الْيَسَّى لِي مُلْكٌ مُضِرٌّ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴿أَيُّ مَوْفُورٍ﴾ أي: تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي؟

[٥٢] ﴿أَنْتُمْ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أي: موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يُظْهِرُ كَلَامَهُ لِللُّغَةِ بِالْحُمْرَةِ الَّتِي تَنَالُهَا فِي صَغَرِهِ<sup>(١)</sup>.

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَلْقَى عَلَيْهِ﴾ إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿أَسَافُونَ﴾ مِنْ ذَهَبٍ ﴿جَمْعُ أَسُورَةٍ﴾ كـ «أَغْرِبَةٌ» جمع سوار، كعادتهم فيمن يسودونه، أَنْ يلبسوه أسورة ذهب، ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

[٥٤] ﴿فَأَسْتَحَفَّ﴾ استغفر فرعون ﴿قَوْمَهُ فَاطْعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿أَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَاعْرِضْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم؛ أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ بعدهم، يمثّلون بحالهم، فلا يُقدّمون على مثل أفعالهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كُنْتُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾<sup>(٢)</sup> فقال المشركون: رضينا أن تكون الهتنا مع عيسى؛ لأنه عُبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ أي: المشركون ﴿يَصِدُّونَ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحا بما سمعوا<sup>(٣)</sup>.

[٥٨] ﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى، فترضى أن تكون الهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي: المثل ﴿إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل، لعلمهم أن «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عيسى ﷺ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لفرش: «ما معشر فرش، إنه ليس أحد بعد من دون الله فيه خير»، وقد علمت فرش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، أنت تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدًا من عباد الله صالحًا؛ فلن كنت صادقًا؛ فإن الهتهم لكما تقولون. قال: فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ إِنَّا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. أحمد - المسند (١ - ٣١٨)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٨٦/٥، ٨٧).

(٢) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجمل»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزخرف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣).

(١) سبق بيان ذلك في تفسير سورة «آه» آية (٢٧).

(٢) أي: جمع الجمع، وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿أَسُورَةٌ﴾.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ يَسَّ الْعَادَاةَ.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ بعضهم لبعض عدوٌّ ﴿إِلَّا الْمُسْتَقِيمَ﴾ يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْرَشُومُهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لكم فيها فلكه كثيرة منها تأكلون ﴿٧٢﴾

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجانكم ﴿تَحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلَذُّوا﴾ وتلذذوا ﴿وَلِلَّذِينَ الْأَعْيُنُ﴾ نظروا ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٧٢] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْرَشُومُهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَأِنَّهُ وَلِعَلَّ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٧٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُسْتَقِيمَ ﴿٧٧﴾ يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٨١﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ النَّارُ أَوْرَشُومُهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٤﴾

[٦١] ﴿وَأَيُّكُمْ﴾ أي: عيسى ﴿لِعَلَّ لِّلْسَاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرْنَ﴾ أي: تشكركم فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَتَتُونِي﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) هائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تقوتوا أبداً، وإن لكم أن تحبوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْرَشُومُهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

[٧٥] ﴿لَا يَغُفِّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوُونَ﴾ ساكنون سكوت يأس.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٧٧] ﴿وَنَادُوا بِبَنِيكَ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمنتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّكُمْ تَكِيدُونَ﴾ مقيمون في العذاب دائماً.

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَكِنْ أَكْذَرْتُمْ لِحَقِّي كَرِهْتُمْ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَمْرُؤُا﴾ أي: كفار مكة، أحمكو ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا أَمْرُؤُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ذلك.

[٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له - تعالى - فانتفت عبادته.

[٨٢] ﴿سَبِّحْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي<sup>(٢)</sup> ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ مَبْجُوءًا﴾ في باطلهم ﴿وَلْيَعْلَمُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، واسقاط الأولى وتسهيلها كالياء<sup>(٣)</sup>؛ أي: معبود ﴿وَنَاقِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ انتسبت ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَالَّذِي [يُجْعَلُونَ]﴾ بالياء والتاء<sup>(٤)</sup>.

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: الكفار ﴿وَيَوْمَ دُوبِيعَ﴾ أي: من دون الله ﴿الشَّفْعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بالسننهم، وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

[٨٧] ﴿وَلَكِنْ﴾ لا قسم ﴿سَأَلْنَهُمْ مَنْ حَقَّهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير<sup>(٥)</sup> ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادة الهة؟

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَغُفِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا بِبَنِيكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْذَرْتُمْ لِحَقِّي كَرِهْتُمْ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَمْرُؤُا أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ أَمْرُؤُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ سَبِّحْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨١﴾ فَذَرَهُمْ مَبْجُوءًا وَلْيَعْلَمُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٨٢﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ وَقِيلَ يَا أُولَ الْأُذُنِ اعْبُدُونَنِي ﴿٨٦﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ سَبِّحْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٤﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٩٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾

[٨٨] ﴿وَقِيلَ﴾ أي: قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر<sup>(٦)</sup>؛ أي: وقال: ﴿يَكْرِبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٨٩] قال - تعالى -: ﴿فَاصْفَحْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء<sup>(٧)</sup>؛ تهديد لهم.

\*\*\*

(١) وهذا مروي عن ابن عباس كما عند الحاكم وغيره وصححه، ولا حجة فيه لأنه إن صح عه فقد خالفه غيره من الصحابة، وهو عبد الله بن عمرو، فروي عنه أنه - تعالى - يجيبهم بعد أربعين سنة وكلاهما - رضي الله عنهما - معروف بالتحدث عن بني إسرائيل؛ فالأولى ترك ذلك.

(٢) سبق التنبيه على أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه، وبدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقمة ملقاة في فلاة» الصحيحة (١٠٩).

(٣) سهل الأولى مع اند القصر قانون والبري، وأسقط مع القصر والد أبو عمر، وسهل الثانية ورش وقيل، ولورش وقيل إبدالها ألفاً مع القصر لتحرك ما بعدها، وحققها بقية السبعة.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير، وقراً بقية السبعة بالياء.

(٥) حذف نون الرفع لتوالي التونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين.

(٦) أي: وقال: «قوله»، وهي قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وقراً عاصم وحمزة: «وقيله» بالجر عطفاً على «لساعة» في قوله: «وعنده علم الساعة»؛ أي: ويعلم وقت قيامها، ويعلم وقت تضرعه وقيله.

(٧) بالتاء قراءة نافع وابن عباس، وقراً بقية السبعة بالياء.

## سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝  
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَفَمَنْ أَتَاكُمْ  
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝  
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
 وَرَبَّ عَابِدِكُمْ ۝ الْأَوَّلِ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝  
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ  
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝  
 أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ نُمِرَ  
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا  
 إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝  
 وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝  
 أَنِ ادْعُوا إِلَىٰ عِبَادَتِي إِلَهِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

## سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان<sup>(١)</sup>، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان<sup>(٢)</sup> ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَفَمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمداً ومَنْ قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿وَرَبَّكَ رَبَّنَا﴾ هو السميع ﴿لَهُمُ الْعَلِيمُ﴾ بأعمالهم.

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برفع «رب» خبر ثالث، وبجره<sup>(٣)</sup> بدل من «ربك» ﴿يُنْزِلُ﴾ ينزل مكة ﴿تُؤْتِيهِمْ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبَّ عَابِدِكُمْ الْأَوَّلِ﴾ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف»<sup>(٤)</sup>.

[٩] ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[١٠] ﴿يَغْشى النَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١١] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبك.

[١٢] ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان<sup>(٥)</sup> عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١٣] ﴿نُمِرَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْحُونٌ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٥] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة<sup>(٦)</sup>.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا بِلُوطٍ﴾ بلوطا ﴿فَتَلَهَّى قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى السليط ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٧] ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: بأن ﴿أَدْعُوا إِلَهِي﴾ ما أدعوك إليه من الإيمان؛ أي: أظهروا إيمانكم لي<sup>(٧)</sup> يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ إني لكم رسول أمين ﴿على ما أرسلت به﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرجه البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما به وبها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿يُدْخِلُكُمْ فِيهِ﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك حرىء» فاستسقى فسقوا، فنزلت. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فلبس أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ إنا مُنْتَقِمُونَ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن النبي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحق بهم من عذاب الدنيا، لأن أن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف واشعراء.

[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾ تصبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي أَنَا نَكِرٌ يُضِلُّنِي﴾ برهان ﴿ثُبِين﴾ بين على رسالتي، فتوعده بالرجم.  
[٢٠] فقال: ﴿وَلَايَ عُدَّتْ بَرَى رَزِيكَرْ أَلْ تَجْمُونُ﴾ بالحجارة.  
[٢١] ﴿وَلَنْ لَرُ نُؤْمِنُوا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَاعَزْلُونُ﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَشْرُكُونَ﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿مُشْرِكُونَ﴾.  
[٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَنزِلْهُم بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَوَصِلْهَا﴾<sup>(١)</sup> ﴿يَعْبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لِيَلَا إِلَهُكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.  
[٢٤] ﴿وَأَنزِلْ آلَ الْيَحْيَى إِذَا قُطِعَتْهُنَّ أَصْحَابُكُم﴾ رَهْوًا ﴿سَاكِنًا﴾ منفرجًا، حتى يدخله القبط ﴿إِنَّمَا جُنْدٌ مُّقْرَفُونَ﴾ فاطمان بذلك فأغرقوا.  
[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ وَغُيُوبٍ﴾ تجري.  
[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن.  
[٢٧] ﴿وَنَعْمٌ مُّتَعَةٌ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهٍ﴾ ناعمين.  
[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿يَوْمًا﴾ مَآخِرِينَ ﴿أَي:﴾ بني إسرائيل.  
[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.  
[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مَنْ فِرْعَوْنُ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَاءً مِنَ الشَّرِيفِينَ﴾.  
[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْبٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَىٰ الْفَلَكِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم؛ أي: العقلاء.  
[٣٣] ﴿وَوَلَّيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَيْدِي مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من قلق البحر والموت والسُلُوى وغيرها.  
[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ [٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نُطِفَتْ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.  
[٣٦] ﴿فَأَنزِلْ بِآيَاتِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نبعت بعد موتنا؛ أي: نحيا.  
[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُجِّ﴾ هو نبي، أو رجل صالح<sup>(٣)</sup>

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وفراً بقية السبعة بقطع الهمزة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعاً عن أنس بن مالك عن الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾» وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبيا، وقومه هم «سبأ» وكانوا يستمون ملكهم «ثبعا» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قيصر» لمن ملك الروم. وقيل: إنه كان كافرا ثم أسلم وتابع دين موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل بعثة عيسى عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: محقين في ذلك؛ لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الْبُطُونِ بالفوقانية خبر ثالث، وبالاحتانية<sup>(١)</sup> حال من «المهل». [٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَعَسَلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها<sup>(٢)</sup>؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار. [٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَكِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني<sup>(٤)</sup>. [٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ مجلس «آمين» يؤمن فيه الخوف. [٥٢] ﴿فِي جَنَّتٍ بَسَاتِينَ﴾ بساتين ﴿وَشُجُورٍ﴾. [٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رق من الدياج، وما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأبروة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ يَقدر قبله الأمر﴾ ﴿وَوُجِّنَهُمْ﴾ من التزويج، أو قرناهم ﴿يُحَوَّرُ عَيْنٍ﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. [٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ﴾ منها ﴿ءَامِينَةٍ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها<sup>(٥)</sup>، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضَلَا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«تفضل» مقدراً ﴿مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَالَمَّا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِيكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَبَّتْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبِّتُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

\*\*\*

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتٌ عَنْ مَوْتٍ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَكِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٨﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ ءَامِينَةٍ ﴿٥٩﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ فَضَلَا عَنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ فَاَلَمْ يَسِّرْنَاهُ لِبَلْسَانِكَ ﴿٦٢﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ فَاَرْتَبَّتْ إِلَيْهِمُ مَرْجَبُوتٌ ﴿٦٤﴾

سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، بفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعداب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتٌ عَنْ مَوْتٍ﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ هي من أخبت الشجر المر بشهامة، ينبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي: جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) ببناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) المحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

## سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،  
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَدَّثَ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الرَّحِيمِ﴾ في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿وَلِ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَلِ فِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نقطة، ثم علقه، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿وَلِ فِي خَلْقِ مَا بَيْنَ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم<sup>(١)</sup> ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالبعث.

[٥] ﴿وَلِ فِي أَمْثَلِ ظِلِّ النَّهَارِ﴾ ذهابها ومجيئها ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فَلَا يَذَكَّرُ﴾ بعد موتها وتَصْرِيفِ الرِّيحِ، تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالدليل فيؤمنون.

[٦] ﴿يَتْلُوكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهُمَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بدلتلو ﴿وَيَأْتِي حَاشِيَةً﴾ بعد الله، أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَلَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بالباء.

[٧] ﴿وَلِ فِي كَلِمَةِ عَذَابٍ﴾ كذاب ﴿أَيُّهَا﴾ كثير الإثم.

[٨] ﴿يَسْمَعُ﴾ آيات الله، القرآن ﴿تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِيرُ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّهُ يَسْمَعُ فَيَتَرَدَّدُ بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم.

[٩] ﴿وَلِ إِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْئًا أَخَذَهَا﴾ ﴿أَهْرَآءًا﴾<sup>(٣)</sup> أي: مهزوزاً بها ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٠] ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم<sup>(٤)</sup> في الدنيا ﴿جَهَنَّمَ﴾ ولا يغنى عنهم ما كسبوا من المال والفعال ﴿سَيِّئًا﴾ ولا ما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ، أي: الأصنام ﴿أُولَئِكَ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَاشِيَةً بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَلِ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِنَّ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَ هَاهُنَا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨﴾ مَن ذَرَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذِهِ هُدًى لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَإِذَا يَتْلَوْنَ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ \* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْلَ هَذَا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

[١١] ﴿هَذِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُونَ رِجْزَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِنَ رِجْزِهِ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ موجه.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِنَ فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لحمة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) بضم الزاي وبالحذف، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقراء حمزة: ﴿هَزْؤًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقراء حفص: ﴿هَزْؤًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية (٣٦).

(٤) في نسخة إمامي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ءَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثُبَّةَ وَزَفَنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَ مَن الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ بِقَضَىٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿ءَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون<sup>(١)</sup> ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من العقر للكفار أذاهم<sup>(٢)</sup>.

[١٥] ﴿مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالْثُبَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَزَفَنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَ مَن الْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبهتة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعته ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسدا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِقَضَىٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ طريقه ﴿وَمَن الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من عذابه ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتصورون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سواء]<sup>(٣)</sup> خبر ﴿نَجْعَلُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير

كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن نبعثنا لنفطى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق

إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك،

و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

(١) حمزة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيبيهم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم للمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿سواء﴾ بالفتح، على الحال.



﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَفَلَبِهَ وَحَلَ عَلَى بُصْرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿وَإِذَا نُنَادِيَنَا عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِتِلْكَ مَآكِنَ حُجَّتِهِمْ إِلَّا نَسُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ إِنَّ كُنُوزَ صَدِيقِينَ ﴿فَلِإِنَّ اللَّهَ يُخَيِّكُم مِّمَّنْ يُؤْمِنُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُ كُومُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ ﴿وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِيَنَا عَلَيْنَا فَاستَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَنْ نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ ﴿

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُ: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بِالْبَيْتِ ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ﴿٣﴾ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شَكٌّ ﴿وَمَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ إِنَّا مَا ﴿نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قَالَ الْمُرَدُّ: أَصْلُهُ: إِنَّا نَحْنُ إِلَّا نَظَنُّ ظَنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ﴾ أَنَّهُ آتِيَةٌ.

﴿٢٣﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أَخْبَرَنِي ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ مَا يَهْوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يَرَاهُ أَحْسَنَ ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنْهُ: تَعَالَى: أَيُّ: عَلِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ قَبْلَ خَلْقِهِ ﴿وَوَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾ فَلَمْ يَسْمَعْ الْهَدَى وَلَمْ يَعْقِلْهُ ﴿وَجَعَلَ عَلَى بُصْرِهِ غِشْوَةً﴾ ظُلْمَةً، فَلَمْ يَبْصُرِ الْهَدَى، وَيَقْدَرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِدِرَأَيْتَ: «أَيُّهْتَدِي؟» ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِيَّاهُ؛ أَيُّ: لَا يَهْتَدِي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تَتَعَطَّوْنَ؟ فِيهِ إِدْغَامٌ إِحْدَى الثَّانِيْنَ فِي الْإِذَالِ<sup>(١)</sup>.

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أَيُّ: مَنَكَرُوا الْبَيْتَ: ﴿مَا هِيَ﴾ أَيُّ: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الَّتِي فِي «الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا» أَيُّ: يَمُوتُ بَعْضٌ، وَيَحْيَا بَعْضٌ بِأَنَّهُ يُولَدُوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أَيُّ: مُرُورُ الزَّمَانِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِذَا نُتِلُّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَيْتِ ﴿يُنشِئُونَ﴾ وَأَضْحَاجَاتٍ، حَالٌ: ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتْلُو بَيِّنَاتٍ أَحْيَاءُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَا بُعِثُ.

﴿٢٦﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم﴾ حِينَ كُنْتُمْ نَظَفًا ﴿ثُمَّ يُؤْمِنُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ﴾ أَحْيَاءُ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شَكٌّ ﴿فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُبْدِلُ مِنْهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الْكَافِرُونَ؛ أَيُّ: يَظْهَرُ خَسْرَانُهُمْ، بِأَنَّهُ يَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أَيُّ: أَهْلُ دِينٍ ﴿جَائِئَةً﴾ عَلَى الرِّكْبِ، أَوْ: مُجْتَمِعَةً ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ كِتَابُ أَعْمَالِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: جَزَاءَهُ.

﴿٢٩﴾ ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ دِيوَانُ الْحِفْظَةِ ﴿يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَتَبَّعُ وَنَحْفَظُ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِهِ<sup>(٢)</sup> ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الْبَيِّنُ الْظَاهِرُ.

﴿٣١﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِيَنَا الْقُرْآنَ﴾ تَتْلُو عَلَيْكُمْ ﴿فَاستَكْبَرْتُمْ﴾ تَكْبَرْتُمْ ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كَافِرِينَ.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بنخفيف الدال.

(٢) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ صفة له قائمة بذاته، ونسبها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٣) بالنصب قراءة حمزة.

[٣٦] ﴿فَلْيَلْزَمُوا اللَّهَ﴾ الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين<sup>(١)</sup> ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، «رب» بدل.  
[٣٧] ﴿وَاللهُ الْكَرِيمُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنه فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم<sup>(٢)</sup>.

### سورة الأحقاف

[مكية، إلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صبر أولوا العزيم من الرسل﴾ الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدُ﴾ الله أعلم بمراده به.  
[٢] ﴿تَبَوُّلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صناعه.  
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿وَالْحَقُّ﴾ لبذل على قدرتنا ووجدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئانهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عما أُذِّعُوا ﴿خَوْفُوا﴾ من العذاب ﴿مُعْرَضُونَ﴾.  
[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿بِغَيْرِ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرْوِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة<sup>(٥)</sup> ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَشْرَكُ﴾ بقية ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.  
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَصْلُ وَمَنْ يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿بِغَيْرِ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عِثَّةً مِنَ اللَّهِ هُزُوا وَعَزَّزُوا الْحَبِوَةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٨﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

### سورة الأحقاف

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدُ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣٦﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرْوِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.  
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركتم العمل لقلائه ﴿وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ مانعين منه.

[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عِثَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُوا﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَعَزَّزُوا الْحَبِوَةَ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ بالبناء للفاعل ولللمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يرضوا بهم بالوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) بالبناء للفاعل فراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.

(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.

(٤) أي: «العزيم» في ملكه، «الحكيم» في صناعه. كما تقدم في أكثر من موضع.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكن أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لَعَابِيهِمْ﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَاءُ وَكَانُوا يُعَادِبُهُمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَفِيرِينَ﴾ حاحدين.

[٧] ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿يَبْسُتُونَ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لَا يَخُفُّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا يَسْحَرُونَ﴾ يَبْسُتُونَ ظاهر.

[٨] ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل، وهمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ﴾ فَرُوضًا ﴿فَلَا تَسْلُكُونِ لِي مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرُونَ على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَهْلُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَلَىٰ يَوْمَ﴾ تعالى ﴿شَهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا﴾ بدعيًا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا<sup>(١)</sup>؛ أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؟ أو نُرْمَوْ بِالْحِجَارَةِ، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئًا ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يُنْذِرُ الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانُ﴾ أي: القرآن ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَتَأْمَنُ﴾ الشاهد ﴿وَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما<sup>(٢)</sup> عطف عليه: أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ<sup>(٣)</sup> دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانُ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَبِقُوا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكَ﴾ كذب ﴿قَوِيْرٌ﴾.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مصدق» ﴿يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من مشركي مكة ﴿وَوُ﴾ هو ﴿يُنْشِرُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لَعَابِيهِمْ كَفِيرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَبْسُتُونَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ بِهِ شَهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَأْمَنُ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْبِقُونَا هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كُتِبَ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنْشِرُ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجْزَوْنَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكًا يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ الآية. البخاري. كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبد الله ابن سلام.

(١) قوله: «في الدنيا» هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول - كما قال ابن كثير -: هو الذي عُوِّل عليه ابن جرير. وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة حارم أنه يصير إلى الحلة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي معذوف تقديره: وألستم ظالمين؟.

وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق<sup>(١)</sup> لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من بعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزَعَنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ يَمُنْتُكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بها ﴿عَلَى وَعَلَى وَلَدَيْكَ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَدِيقًا رَاضِيًا﴾ فأعنت تسعة من المؤمنين<sup>(٢)</sup>، يُعَذِّبُونَ في الله ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي دِينِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿فِي ثَبْتِ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ نَقَلَتْ عَنْهُمْ أَمْرًا﴾ بمعنى حسن ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كاثنتين في جملتهم ﴿وَعَدَ الْصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ﴾ وفي قراءة بالإدغام<sup>(٥)</sup>؛ أريد به الجنس ﴿أَنِّي﴾ بكسر الفاء وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ بمعنى مصدر؛ أي: نلتا وفجعا ﴿لَكُمْ﴾ أنضجر منكما ﴿أَعِدَانِي﴾ وفي قراءة<sup>(٧)</sup> بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ الْأُمُّ﴾ ومن قبلي ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه العوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَبِكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هلكت ﴿مِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين

[١٨] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُهَا﴾ وهو لا يظلمون ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّبَتْ طَبَقًا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعَتْ بِهَا فَاذْكُرُوا يَوْمَ تُخْرَجُونَ مِنْهَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَقْسِفُونَ﴾

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَةٍ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَيُؤْتَوْنَهُمْ﴾ أي: الله، وفي قراءة<sup>(٨)</sup> بالنون ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئا، يُنْقَصُ للمؤمنين ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهزة، وبهزتين، وبهزة ومدة<sup>(٩)</sup>، وبهما وتسهيل الثانية<sup>(١٠)</sup> ﴿طَبَقًا﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴿أَي: الهوان﴾ ﴿مِمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَقْسِفُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي إِنِّي ثَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَأْعَمَلًا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَقِي لَكُمَا أَتْعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ وَذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّبَتْ طَبَقًا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعَتْ بِهَا فَاذْكُرُوا يَوْمَ تُخْرَجُونَ مِنْهَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَقْسِفُونَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فَنَصَّبَ ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر بفعله المقدّر، ومثله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سنة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة ارضاع، وقيل: إن حملت به سنة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّى﴾ غاية لجملة مقدرة؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها،

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِحْسَانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والنسوطي في الدر المنثور (٤٤٣/٧) عن عطاء عن ابن عباس، وعراه السيوطي لابن مردويه. وذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقول: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا تحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عمرو أبي بكر وقتها تسعا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) النوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام قال: مع إسكانها، مع لام ولوالديه، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الروحيين من روايتي الدوري والنوسي جميعا.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقرين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أَف﴾.

(٧) من اللد للشعب؛ ﴿أَتْعِدَانِي﴾، وهي قراءة سبعة لهشام.

(٨) لحمة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: (وبهزتين محققين ومدة).

(١٠) قرأ بهزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّجُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكُمْ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَجَهُلُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْمَرٌّ أَمْ هُوَ أَرْسِلَ بَعْثًا فِيهِمَا بِرُوحٍ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَتَجَسَّعُوا لَهُمْ هُومًا فَاصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا سَمُوكَهُمْ كَذَلِكَ تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِي مَكَانٍ مَكْتُومٍ فِيهِ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَتَحَدَّوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الْآيَاتِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٧﴾

من دُوبِ اللَّهِ: أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متفرقا بهم إلى الله ﴿الْآلِهَةِ﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و﴿قُرْبَانًا﴾ الثاني، و﴿الْآلِهَةِ﴾ بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قُرْبَانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يكذبون، و﴿ما﴾ مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

[٢١] ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ بل اشتغال ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾ خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتْ النُّجُورُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿وَأَنْهَى﴾ أي: بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكَ﴾ لنصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُكَ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتيها. [٢٣] ﴿قَالَ هُودٌ﴾: إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ، هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَجَهُلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْمَرٌّ﴾ أي: مطمر إسانا<sup>(١)</sup>، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> مؤلم.

[٢٥] ﴿تُدْرِكُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته<sup>(٣)</sup>؛ أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقه، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَاصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا سَمُوكَهُمْ كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيهَا﴾ في الذي ﴿إِنْ﴾ نافية أو رائدة ﴿مَكَنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَبِهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَافْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: شيئا من الإغناء، و«من» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة ل«أغنى» واشترت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَتَحَدَّوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أَيُّ﴾ العذاب.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها؛ كشمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ﴾ كرنا الحجج البينات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) فائدة: أخرج البحاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مجيئة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء شوي عنه، فوفوه عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري بعل كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ الآية. البخاري. كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) - سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾.

(٢) في نسخة القاضي: «مطر أتانا».

(٣) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أَوْ لَوْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْفَهُنَّ يُقَدِّرُ عَلَىٰ أَن يَحْجِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَٰ يَتْلَبُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغْ فَبَلَّغْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

### سورة الأحقاف

[٢٩] ﴿١﴾ اذكر ﴿٢﴾ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ جن نصيبين<sup>(١)</sup> باليمن، أو جن «ينوي»<sup>(٢)</sup>، وكانوا سبعة<sup>(٣)</sup> أو تسعة<sup>(٤)</sup>، وكان يصلي بطن نخلة<sup>(٥)</sup> يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان] ﴿٦﴾ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالطهارة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾

الإسلام ﴿وَالِى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريقه.

[٣١] ﴿١﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴿٢﴾ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿٣﴾ وَاعْمُوا بِهِ يَغْفِرَ اللَّهُ ﴿٤﴾ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ أَي: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٢] ﴿١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ أَي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِمَّنْ دُونِهِ﴾ لمن لا يجيب ﴿وَمِن دُونِهِ﴾ أَي: الله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين ظاهر.

[٣٣] ﴿١﴾ أَوْ لَوْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْفَهُنَّ لَمْ يَغْفِرْ لَهُنَّ خَيْرٌ ﴿٢﴾ أَنَّهُنَّ وَزِيدَتْ لَهُنَّ فِيهِ، لأن الكلام في قوة<sup>(٦)</sup>: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ﴾ ﴿عَلَىٰ أَن يَحْجِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿يَوْمَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿١﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ بَأَن يَعَذِّبُوا بها، يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِالْحَقِّ﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ.

[٣٥] ﴿١﴾ فَاصْبِرْ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ ذوو الشبث والصبر على الشدائد ﴿وَمِن الرُّسُلِ﴾ قبلك فنكون ذا عزم، و«من» لليبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض<sup>(٨)</sup> فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا﴾<sup>(٩)</sup> ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُن كَصَالِحٍ ثَمُودَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة، لظوله ﴿لَمْ يَلْبِسُوا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، هذا القرآن ﴿بَلَّغْ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فَبَلَّغْ﴾ أي: لا ﴿يُهْلِكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

\*\*\*

(١) «نصيبين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

(٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).

(٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).

(٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نخل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلته» هي نخلة البمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.

(٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.

(٧) قوله: «في قوة»: «أليس الله بقادر؟»: جواب عما يقال: إن الباء لا تُزاد إلا في خبر «ليس» و«ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر الباء الخبر.

(٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. اهـ. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكما؛ ماكلهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) ط: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

## سُورَةُ الْقِتَالِ

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْلَ﴾ أحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يبرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزون بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) -

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿أَي: القرآن﴾ وَهُوَ لَقَدْ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ ﴿غُفِرَ لَهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ كَالَهُمْ ﴿حَالَهُمْ﴾، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴿الشَّيْطَانَ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا لِقَافَ ﴿القرآن﴾ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ ﴿أَي: مثل ذلك البيان﴾ بَضُرِبَ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلُهُمْ ﴿يَبِينُ أحوالهم﴾ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن لا يغفر له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوه، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَرَقْتُمُوهُ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ فأسسكوا عنهم وأسيروهم، وشدُّوا ﴿الْأَوْتَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مَتَّأ بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: ثمَّنُون عليهم، بإطلاقهم غير شيء ﴿وَأَمَّا ذِيئَهُ﴾ فقادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّى تَضَعَ لُرَبِّي﴾ أي: أهلها ﴿أَوْرَاقَهَا﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم به ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتِلَ منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتِلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (١)، وقد فُتِحَا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْذِلَ﴾ يحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيَسْجِدُ لَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصْبِحُ لَهُمْ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقْتَلْ، وأُدرجوا في «قتلوا» تغليبا.

[٦] ﴿وَرَجُلُهُمْ لِحَنَةٍ عَنْهُ﴾ تَكْنِيهَا ﴿لَهُمْ﴾ فيهدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدلال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۚ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَرَقْتُمُوهُ فَشُدُّوا الْوَتَاكُ فَإِمَّا مِمَّا بَعْدَ وَءَامِنَآ فَهَٰذَا حَتَّىٰ تَضَعَ لُرَبِّي أَوْرَاقَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَآتَتْخَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۚ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۚ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ عَرْضُهَا لَهُمْ ۚ تَبَٰئِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن سَخَّرَهَا اللَّهُ يُصْرُوا ۚ وَيُنَبِّتُ أَقْدَامَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَعَسَا لَهُمْ ءَاصِلُ أَعْمَالِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّهُمْ آمَنُوا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۚ

[٧] ﴿تَبَٰئِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ﴾ أي: دينه ورسوله ﴿يَضْرِبْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَنُنَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ يثبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تَعِشُوا» (٢)، يدل عليه: ﴿فَعَسَا لَهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف على «تَعِشُوا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكليف ﴿فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلَكِنَّهُمْ آمَنُوا﴾ أي: أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ﴾ ونصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

(١) وتسمى أيضاً: سورة «محمّد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للبيعة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هنا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه البيهقي لقاعدة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/٢١٨).

(٥) أي: تقديره: «تَعِشُوا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلُ أَي: صفة ﴿الْحَنَّةِ﴾ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ بالمد والقصر<sup>(١)</sup>؛ كضارب وخبره؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِقٌ﴾ لذينة ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخرجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: أمَّن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أديارهم، وهو جمع معنى بالقصر، وألفه عن باء؛ لقولهم: معيان<sup>(٣)</sup>.

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْتَعِزُّ بِكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس<sup>(٤)</sup>، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ بالمد والقصر<sup>(٥)</sup>؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هَٰذِي وَآٰتِيهِمْ نَقُوبُهُمْ﴾ أي: ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ بدن اشتغال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم «بِقَتَّةٍ» فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنَّىٰ لَمَّا إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْنَهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم.

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصيته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»<sup>(٦)</sup> ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ في النهار ﴿وَمَوَٰكِدُكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَيَا كَلُونَ كَمَا نَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَىٰ لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْحَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمَهُ وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِيقٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ أَهْدَا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ نَقُوبُهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٩﴾ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾

[١٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَا كَلُونَ كَمَا نَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي: ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَشْوَىٰ لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَايَنَ﴾ وكم ﴿مِنْ قُرَيْشٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَهُمْ﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسنا، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «آسن»، قراءة ابن كثير.

(٢) هي نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تشبيه.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «أنفا» فراءة البري بخلاف عنه.

(٦) أخرجه نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأعر بن يسار مرفوعا.



[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿وَنَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَوَدَّكَ فِيهَا الْفِتْنَالُ﴾ أي: طلبه ﴿وَنَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْعَيْنِ عَلَى مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها<sup>(١)</sup>، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال<sup>(٢)</sup>.

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْبِرْ لَهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعِمْ أَبْصَرَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْصَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾ باللفاق ﴿عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وأغلى] ﴿لَهُمْ﴾ بضم أوله ويفتحه واللام<sup>(٤)</sup>، والمملي الشيطان بإرادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سبواً، فأظهره الله - تعالى - ﴿وَأَنَّهُ يَعْلَمُ أَشْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سيرة»، وبكسرهما<sup>(٥)</sup> مصدر.

[٢٧] ﴿كَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرِيَّتُ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرِيَّتُ ۚ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۚ فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ۚ

اسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ: أي: العمل بما يرضيه ﴿فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ﴾. [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت أرحم قطيعة، هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرعوا إن شئتم»: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْمَعْهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ أثر على قلوبهم ﴿أَفْصَالُهَا﴾. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٢) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٣) في نسخة القاضي: «القتل».

(٤) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَمْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون<sup>(١)</sup> في الأفعال الثلاثة<sup>(٢)</sup>.

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَسَأَوْا الرُّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ الْمُنْكَرَ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصْرَوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ يبطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر<sup>(٣)</sup> أو: في قريظة والنضير<sup>(٤)</sup>.

[٣٣] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ بالمعاصي<sup>(٥)</sup> مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَمَتَّ كَفَرًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب<sup>(٦)</sup>.

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(٧)</sup>؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر<sup>(٨)</sup> ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَوَبٌّ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا وَيَخْرُجْ﴾ البخل ﴿أَصْعَدَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِيُفْسَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَيَنْكُم مِّنْ يَّبْخَلُ وَمَن يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ يقال: بخن عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْعَنَى﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلاً لكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾<sup>(٩)</sup> في التولي عن طاعته، بل مطيعين له <sup>(١٠)</sup>.

\*\*\*

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ وَتَبْلُوُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدًى لَّنْ يَصْرَوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ فَيَخْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيَخْرُجْ أَصْعَدَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِيُفْسَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَنْكُم مِّنْ يَّبْخَلُ وَمَن يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَنَى وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ﴾ عَرَفْنَا كَهْمُ، وكررت اللام في: ﴿فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسَمْعِهِمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يَمُوضُوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُوُوا أَخْبَارَكُمْ﴾

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(٢) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «للبلوونكم»، و«لبلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٣) في نسخة: «في ثلاثتهم»، والأفعال الثلاثة هي: «للبلوونكم»، و«لبلو»، و«لبلو»، من هذه الآية.

(٤) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٥) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٦) ليست كل معصية مبذلة للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعها كالعردة، ومنها ما يبطل بعضها كالرياء في أصل العبد، ومنها ما لا يبطل شيئاً.

(٧) «القليب»: هو بئر في «بدر»، ألقي فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٨) بالكسر قراءة شعبة وحيدة.

(٩) وهذا من لوازم معيته. شبهته. الخاصة بعاده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللاتقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوثاً على عرشه بأثماً من خلقه، فكلها حق.

## سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية\*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة<sup>(١)</sup> وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا ظاهرًا. [٢] ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه، لتغرب أمثك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب<sup>(٢)</sup> ﴿وَيُنَبِّئُكَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِغَمَمٍ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرُّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا غَيْرَ بَرٍّ﴾ ذا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٥] ﴿لِيُذِلَّ﴾ متملق محذوف، أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا<sup>(٣)</sup>. [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَشَكِّكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالظَّالِمِينَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ بِالْبِغَاةِ وَالْمُسْرِفِينَ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة<sup>(٤)</sup>؛ ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذلل والعذاب ﴿وَعَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ جُحُودًا﴾ مرجعًا. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيبًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلهم رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: تكلمت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشيت أن سمعت صرخاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجلت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: «لقد أنزل علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أبها الناس اتهموا أنفسهم، فانا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتالنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نطعمي الدنيا؟ أترجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً»، فانتظر عمر إلى أني بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم. البخاري - كتاب الجزية والمواذعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافيل، قد ليسوا جلود النمرور يماهدون الله أن لا تدخلها عليهم غنة أبداً... فأناه سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٣٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله... أ... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠)).

(٢) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى سبغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بانفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إغلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابدة مشاق الحروب، وإقحام موارد الخطوب. مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل.

(٣) هذا سبق قلم من انصف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ لَكَ الْأَسْوَءُ؟﴾ يس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء. وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلَوْنَا فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قَوْلٌ مَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُتَّيْقُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلَوْنَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا بهم: ﴿يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿تَنَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴿بِفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا﴾ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿أَي: بِمَ يَزِلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ﴾.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُسْتَأْصَلُونَ بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَطَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نَارًا شديدة.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ﴾ هي مغامير خيبر ﴿لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة (٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَمُتَّيْقُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلَوْنَا فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قَوْلٌ مَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُتَّيْقُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.

[٩] ﴿إِنِّيُؤْمِنُ﴾ يَأْتِيهِ وَرَسُولُهُ ﴿بِالْبَيِّاتِ وَالتَّاءِ﴾، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُغْفِرُ لَهُ﴾ ينصروه، وقرئ (٦) براين مع الفوقانية ﴿وَيُؤَقِّدُ لَهُ﴾ يعظمه، وضميرها لله أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُ لَهُ﴾ أي: لله ﴿بُحْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذًا.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللازم، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﴿يُفْقَهُ﴾ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسَنِ شَدِيدٍ﴾ أصحاب ﴿بِأَسَنِ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو خنيفة أصحاب البمامة، وقيل: فارس والروم ﴿فَقَبِلُوا نَهْمًا﴾ حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يَسْلُبُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِيَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعَذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿مَوْلَا﴾.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالباء والنون <sup>(١)</sup> ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعَذِبْهُ﴾ بالباء والنون <sup>(٢)</sup> ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحدادية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يبايخوا قريبًا وأن لا يفروا من الموت ﴿فَقِيلَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿كَأَنَّهُمُ اتَّسَكُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَتَتْهُمْ فِتْنَةٌ قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحدادية.

[١٩] ﴿وَمَعَانِهِ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فغذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ أي: المعجلة، عطف على مقدره: أي: لتشكروه ﴿عَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتقويض الأمر إليه - تعالى ..

[٢١] ﴿وَأَنْتَرَيْنَا﴾ صفة «معانم» مقدراً، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿فَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحدادية ﴿لَوَلَوْ أَلَاذْبَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسَنِ شَدِيدٍ  
تَقَبِلُونَهُمْ أَوْ يُسَامَوْنَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِيَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا  
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعَذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ  
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعَذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي  
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِهِ  
كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ  
مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ  
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا  
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا لَوَلَوْ أَلَاذْبَرْتُمْ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ  
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الكاشرين ونصر المؤمنين؛ أي: سن الله ذلك سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

﴿مَعَكُمْ﴾ محبوباً حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من ﴿هم﴾ ﴿فَتَضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً﴾ أي: إثم ﴿يَغِيرُ عَلَيْهِمْ﴾ منكم به، وضمان الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف؛ أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لَيَدْخُلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كل المؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ﴿عَذَابًا﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةً لِّجَاهِهِ﴾ بدل من «الحمية»، وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وَالزَّكَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةً تَلْقَوْنَ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكُلَّوْا أَهْلَ بَيْتِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلُهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِي شَيْءٌ عَظِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ آتِياً بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمين ويحلون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الآتِياً﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للترك ﴿وَأَمِينَتِ نَحْلَيْنَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أي: أعلمكم في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿وَنَجَمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتَمَّا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُمْ فَأَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتْضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً يَغِيرُ عَلَيْهِمْ لَيَدْخُلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءُوسَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامَيْنِ مِنْهُ لَمُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُوتَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿وَمِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم، ليصيبوا منكم فأجذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فغفا عنهم وحلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالباء والفاء (١) أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدَى﴾ معطوف على «كم» (٢).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون عرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلفاً فاستباحهم، فأرسل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا ببعض، أثبت شجرة فكسخت [أي كسخت] شوكتها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يبعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلفوا سلاحهم واضطجعتوا، بينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قل ابن زعيم. قال: فاخرطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم. فجعلته صيفاً [خرمة] في يدي. قال: ثم قتلت. والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا صربت الذي فيه عينه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثأفه» فغفا عنهم رسول الله ﷺ، وأرسل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربسه ومن آوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية - وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها. فُرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأرسل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ... الآية. البخاري. كتاب الشروط (٥٤) - باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظايرها أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك الفتح (٤١٤/٥).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ  
تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُونَ فَضْلًا إِنَّ اللَّهَ وَرِضْوَانًا سَمِيحًا  
فِي وَجْهِهِمْ مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي  
الْإِنْحِيلِ كَرَنَجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ فَفَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّنَاجَ لَعْنَةُ اللَّهِ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾

## سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا إِيَّايَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَأَنْقُوا  
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا  
أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ  
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنْ الَّذِينَ  
يَعْصُونَ أَمْرَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ  
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنْ الَّذِينَ  
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿٤﴾ أي: لتظهر منهم ﴿٥﴾ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة  
والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾  
حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط  
ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي  
حجرة - مناداة الأعراب بعلظة وجفاء<sup>(١)</sup> ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ - فيما  
فعلوه - محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

[٢٩] كما قال الله - تعالى -: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبره  
﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ  
﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون  
متوادون، كالوالد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا﴾ حالان  
﴿يُسَبِّحُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَمِيحًا﴾ علامتهم،  
مبتدأ ﴿فِي وَجْهِهِمْ﴾ خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم  
سجدوا في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه،  
وأعرب حالاً من ضميره المنقول إلى الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور  
﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي التَّوْبَةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْحِيلِ﴾  
مبتدأ، خبره: ﴿كَرَنَجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ﴾ بسكون الطاء وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ فراحه<sup>(٣)</sup>  
﴿فَازَرَهُ﴾ بالمد وانقصر<sup>(٤)</sup>؛ قواه وأعانه ﴿فَأَسْتَغْلَطَ﴾ غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾  
قوي واستقام ﴿عَلَى سَوْفِهِ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يَعْجِبُ الزُّنَاجَ﴾ أي: زُواعه؛  
لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدلوا في قلة وضعف،  
فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَخِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(٥)</sup> متعلق بمحذوف دل  
عليه ما قبله؛ أي: شهبوا بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾  
الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة  
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، وهما<sup>(٦)</sup> لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

## سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

[مدينة، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من قَدَمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا  
تقدموا يقول ولا فعل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما  
﴿وَأَنْقُوا﴾ لا ترفعوا أصواتكم ﴿لِلتَّقْوَى﴾ لتقوى، بفتح التاء، نزلت في مجادلة أبي  
بكر وعمر - رضي الله عنهما - على<sup>(١)</sup> النبي ﷺ في تأمير الأعرع بن حابس أو  
القعقاع بن معبد<sup>(٢)</sup>، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا  
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيته ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك  
إجلالاً له ﴿أَنْ تَحْطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر  
المذكورين<sup>(٤)</sup>، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأي بكر  
وعمر<sup>(٥)</sup> وغيرهما<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَمْرَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه قدم ركب من بني قحيم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زبيرة، فقال عمر: بل أمر الأعرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافتك، فصاريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا إِيَّايَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾ حتى انقضت -

(١) الظاهر أن المراد بالسببية ما علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمرء المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطئهم استنارت بجلال طواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) الشطط: فرخ النخل. (٤) بانقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يُعصون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يخطونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للأرمني. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصاروي: «الأولى أن يقول: «عد النبي، وفي نسخة القاضي: «عده». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصاروا بخفض أصواتهم عند النبي ﷺ، كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع لبيان (٧٥/٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، والهيتمي في الجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأعرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد، إن حدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله؛ فأقر الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

عنهم: ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ خبر ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة: ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ من الثبات، ﴿أَنْ تُصَيَّبُوا قَوْمًا﴾ مفعول له؛ أي: خشية ذلك ﴿بِمَهْلَكَةٍ﴾ حال من الفاعل؛ أي: جاهلين ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ تصيروا ﴿عَلَى مَا كُنْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿وَنَذِيرِينَ﴾ وأرسل ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك<sup>(٥)</sup>.

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالخال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لأنتم دونهم؛ إنتم التَّصَيَّبُ إلى المرتب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْدِينَ وَرَزَقَكُمْ﴾ حسنة ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حُب إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الرَّاشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.

[٨] ﴿فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل ﴿وَيُضَمُّ مِنْهُ﴾ والله عليه بهم ﴿حِكْمَةً﴾ في إنعامه عليهم.

[٩] ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمازاً، ومر على ابن أبي، فبال حمازاً، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حمازة أطيب ريحاً من مسكك؛ فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف<sup>(٦)</sup> ﴿أَفْتَنَّاكُمَا﴾ جمع؛ نظراً إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ: ﴿فَتَنَّاكُمَا﴾ ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَعَثَ﴾ تعدت ﴿يَحْدِثُهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلُوا﴾ التي تَبَيَّ حَقَّ قِيَّةٍ ﴿تَرْجِعَ﴾ إلى أمر الله ﴿الْحَقُّ﴾ ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْقَدْلِ﴾ بالإِنْصَافِ ﴿وَأَقِطُوا﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا، وقرئ: ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَأَقْرَبُوا اللَّهَ لَمَلَكُكُمْ رُحُومًا﴾.

[١١] ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا بَخْرَ﴾ الآية، نزلت في وفد تميم حين سخروا من قراء المسلمين؛ كعمار، وصهيب<sup>(٨)</sup>، والسخرية: الإزدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿وَمِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا يَسَاءُ﴾ منكم ﴿وَمِنْ يَسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا قتلها؛ أي: لا يعب بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَرُوا﴾

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصَيَّبُوا قَوْمًا بِمَهْلَكَةٍ فَتَصَيَّبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ لَا يُعْنِيهِ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ وَفِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَبَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبَيَّنَ مِنَ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْقَدْلِ وَأَقِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا بَخْرَ وَلَا يَسَاءُ عَسَى أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَنْسُ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر؛ أي: ثبت<sup>(١)</sup> ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم. [٦] ونزل في الوليد بن عتبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُضِدِّقًا، فخافهم؛ لثرة<sup>(٢)</sup> كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهما يقتله، فهم النبي ﷺ بغزوهم<sup>(٣)</sup>، فجاؤوا منكرين ما قاله

الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات (٤٩) باب (٢) وأخرج البخاري أيضاً عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الحيران أن يهلكا؛ رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم؛ فأشار أحدهما بالأفزع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمازاً، فانطلق المسلمون يمشون معه. وهي أرض سخنة. فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمازك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لعمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشمته، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجرید والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَلَنْ تُلَاقِيَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَبَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾. البخاري. كتاب الصلح (٥٢) باب (١) ما جاء في الإصلاح بين الناس.

(١) أي: ثبت صبرهم.

(٢) روي ذلك من حديث جابر بن عبد الله، كما عند الطبراني في الأوسط (١٣٣/٤) ١٣٤ رقم (٣٧٩٧)، والهيثمي في الجمع (١١٠/٧) وقال: «وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي، وقد صغفه الجمهور وولفه ابن حبان، وبقي رجاله ثقات». وضعفه في الاستيعاب (٢٧٦/٣). وقد جاء من عدة طرق ذكرها الطبري والسيوطي وغيرهما، حين بعضها صاحب الاستيعاب (٢٧٥/٣).

(٣) لحزمة والكسائي. (٥) روي ذلك عن قتادة، ذكره الطبري في جامعه (٧٩/٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٨/٧)، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٢٧٧/٣).

(٦) أخرج نحوه البخاري (٢٩٩١) ومسلم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك. وليس فيه ذكر البول ولا اسك.

(٧) أي: شذوذاً.

(٩) روي ذلك عن مقاتل، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإعضائه، كما في الاستيعاب (٢٨٢/٣).



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ  
إِنَّمَا ظَنَنُّوهُ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ  
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ  
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْتُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا  
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ  
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ  
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

[١٧] ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم من أسلم  
بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾ منصوب بنزع خافض «الباء»،  
ويقدر قبل «أن» في الموضعين<sup>(٤)</sup> ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: أمانة.  
[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيها «والله  
بصيرٌ بما [تعملون]» بالياء والتاء<sup>(٥)</sup> لا يخفى عليه شيء منه.

\*\*\*

يَا أَتَقَبُّ ﴿لا يَدْخُجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا يَكْرَهُهُ؛ وَمِنْهُ: يَا فَاسِقُ، يَا كَافِرُ  
﴿يَسْأَلُ الْإِيْمَنُ﴾ أي: المذكور من السخرية<sup>(١)</sup> واللزم والتنازع ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ  
الْإِيْمَنِ﴾ بدل من الاسم، لإفادة أنه فسق، لتكرره عادة ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ  
ذَلِكَ﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>(٢)</sup>.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي:  
مؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه  
بالفسق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حذف  
منه إحدى التائين؛ لا تتبعوا عورات المسلمين ومعانيهم، بالبحث عنها ﴿وَلَا  
يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه ﴿أَيُّحِبُّ  
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup>، أي: لا  
يحسب به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاعتباه في حياته كأكل لحمة بعد مماته، وقد  
عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فآكروها الأول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: عقابه في  
الاعتباب، بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.  
[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا﴾ جمع شعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي  
دون الشعوب، وبعدها: العماثر، ثم البطون، ثم الأخخاذ، ثم الفصائل آخرها.  
مثاله: خزمية: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عمارة - بكسر العين -، قصي:  
بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛  
ليعرف بعضكم بعضاً، لا لتفاحروا بعلو النسب، وإنما للفخر بالتقوى ﴿إِنَّ  
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ أي: بكم ﴿خَيْرٌ﴾ بيوافقكم.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿آمَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا  
﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم  
﴿يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وَلِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾ بالهمز، وتركه، وبإبداله ألفاً<sup>(٣)</sup> لا  
ينقصكم ﴿وَلِنْ أَعْمَلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ  
رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْيُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعد  
﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاهدوهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُولَئِكَ  
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: أمانة، ولم يوجد منهم غير الإسلام.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مُضَعَّفٌ عَلِيمٌ بمعنى شعر؛  
أي: أنشعروا بما أنتم عليه في قولكم: أمانة؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا  
فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١): أخرج أبو داود عن أبي جبرية عن لضعاح قال: فبنا نزلت هذه الآية؛ في بني سلمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ يَسْأَلُ الْإِيْمَنُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ﴾. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله! إنه بغضب من هذا الاسم، فانزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحیح) صحیح سنن أبي داود (٤١٥١).

(١) في نسخة القاضي: «الشخرة».

(٢) بالتشديد قراءة نافع.

(٣) قرأ أبو عمرو بهززة ساكنة بين الياء واللام، ويبدل منها ألفاً إذا سهل كل همزة ساكنة، وقرأ بقية السبعة: ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾.

(٤) أي: في «أن أسلموا»، وأن هذا كما.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

## سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ لَوْ دَامَتْ سَاءَ وَكُنَّا آبَاءً ذَلِكُمْ رَجَعُ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِیْظٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ ۝ أَفَأَمَرَ بَظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبِیْجٍ ۝ تَبَصَّرُوا وَذَكَّرُوا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِیْبٍ ۝ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

## سورة ق

[مكية، إلا: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «ق» الله أعلم بمراده به «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.  
[٢] «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار

بعد البعث «فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا» الإنذار «شَيْءٌ عَجِيبٌ».

[٣] «لَوْ دَامَتْ سَاءَ وَكُنَّا آبَاءَ ذَلِكُمْ رَجَعُ بَعِيدٌ» في غاية البعد. الوجهين (١) «وَسَاءَ وَكُنَّا زُرَابًا» نرجع «ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ» في غاية البعد. [٤] «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ» تأكل «مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِیْظٌ» هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» بالقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ» في شأن النبي ﷺ والقرآن «فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ» مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] «أَفَأَمَرَ بَظُرُوا» يعيرونهم، معتبرين بقولهم، حين أنكروا البعث «إِلَى السَّمَاءِ» كائنة «فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا» بلا عمد «وَزَيَّنَّهَا» بالكواكب «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» شقوق نعيمها؟.

[٧] «وَالْأَرْضِ» معطوف على موضع «إِلَى السماء»، كيف «مَدَدْنَاهَا» دحونها على وجه الماء (١) «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» جبالاً بنتبتها «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبِیْجٍ» صنف «نَبِیْجٍ» يُفْقِجُ به؛ لحسنه.

[٨] «تَبَصَّرُوا» مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصروا منا «وَذَكَّرُوا» تذكروا «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِیْبٍ» راجع إلى طاعتنا.

[٩] «وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» كثير البركة «فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ» بساتين «وَحَبَّ» الزرع «الْحَصِيدِ» المحصول.

[١٠] «وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ» طوالاً، حال مقدرة «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» متراكب بعضه فوق بعض.

[١١] «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مفعول له «وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا» يستوي فيه المذكر والمؤنث «كَذَلِكَ» أي: مثل هذا الإحياء «الْخُرُوجُ» من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] «كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» تأنيث الفعل لمعنى «قوم» «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبههم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره «وَتَمُودُ» قوم صالح.

[١٣] «وَعَادٌ» قوم هود «وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ».

[١٤] «وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ» الغيضة، قوم شعب «وَقَوْمُ تَبَّعٍ» هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه «كُلٌّ» من المذكورين «كَذَّبَ الرُّسُلَ» كفرش «وَحَقَّ وَعِيدُ» وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] «أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أي: لم نغي به، فلا نعياء بالإعادة «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ» شك «مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل المهمة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلا من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها نقيعة السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطناها.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ حَالَهُ بِتَقْدِيرٍ﴾ «نحن» «ما» مصدرية «نُؤَسِّسُ» نحدث «يُدْ» الباء زائدة، أو للتعدي، والضمير للإنسان «نَفْسُهُ» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ» بالعلم «بَيْنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ» الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ «اذكر» مقدراً «يَتْلَى» يأخذ ويثبت «الْمُتَّقِينَ» المملكان الموكلان بالإنسان، ما يعملهما «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ» منه «فِيهِ» أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ «عَيْنُهُ» حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ غَمْرَةً وَسَدَتْ﴾ «بِالْحَقِّ» من أمر الآخرة، حتى يراه المكر لها عياناً، وهو نفس الشدة «ذَلِكَ» أي: الموت «مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ» تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث «ذَلِكَ» أي: يوم النفخ «يَوْمَ الْوَعْدِ» للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ» فيه «كُلُّ نَفْسٍ» إلى المحشر «مَعَهَا سَائِقٌ» ملك يسوقها إليه «وَنَهْيٌ» يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: [٢٢] «لَقَدْ كُنْتُ» في الدنيا «فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا» النازل بك اليوم «فَكُنْغْنَا عَنْكَ غِطَاءً» أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم «فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ» حادّ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ فِرْعُونُ﴾ الملك الموكل به: «هَذَا مَا» أي: الذي «لَدَى عَيْنِي» حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: «أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ» أي: أُلْهِني، أو «الْفَيْحُ»، وبه قرأ الحسن<sup>(١)</sup>، فأبدلت النون ألفاً «كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ» معاند للحق. [٢٥] ﴿مَنْعَ لِلنَّارِ» كالركاة «مُعْتَدٍ» ظالم «مُرِيبٍ» شاك في دينه.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرٌ» مبتدأ ضَمَّنَ معنى الشرط، خبره: «فَالْأَيُّاءُ فِي الْمَذَابِ الْكَذِبِيِّ» تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعُونُ﴾ الشيطان: «رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ» أضلته «وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ» فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ» تعالى: «لَا تَخْصِمُوا لَدَى» أي: ما ينفع الخصام هنا «وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ» في الدنيا «بِالْوَعْدِ» بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ يُغَيِّرُ﴾ «الْقَوْلَ لَدَى» في ذلك «وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ» فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: «لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ»<sup>(٢)</sup>.

[٣٠] ﴿يَوْمَ» ناصبه «ظلام» «نَقُولُ» بالنون والياء<sup>(٣)</sup> «لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ» استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها «وَنَقُولُ» بصورة الاستفهام كالسؤال: «هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ» أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢١﴾ وَقَالَ فِرْعُونُ هَذَا مَا الَّذِي عَيْنِي ﴿٢٢﴾ أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٣﴾ مَنْعَ لِلنَّارِ حَرِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَافِعَ الْحَرِّ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا ﴿٢٦﴾ فَأَلْقَيْنَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٧﴾ قَالَ فِرْعُونُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٢٩﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ ﴿٣٠﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ ﴿٣١﴾ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٢﴾ هَذَا مَا نُوَعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٣﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ يَأْتِهِ رِجَاءٌ ﴿٣٤﴾ أَذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ الْوَعْدِ بِسَلَامٍ ذَلِكِ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٦﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٧﴾

امتلأت<sup>(٤)</sup>. [٣١] «وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ» قُرِبَتْ «لِلْمُتَّقِينَ» مكاناً «غَيْرَ بَعِيدٍ» منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: «هَذَا» المرئي «مَا تُوَعِدُونَ» بالناء والياء<sup>(٥)</sup>؛ في الدنيا، ويبدل من «لِلْمُتَّقِينَ» قوله: «لِكُلِّ أَوَّابٍ» رَجَاعٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ «حَفِيفٌ» حافظ لحدوده. [٣٣] «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ» خافه ولم يره «وَجَاءَ يَقْبَلُ مُنِيبٌ» مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين - أيضاً -: «أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» سالمين من كل محوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوها «ذَلِكَ» اليوم الذي حصل فيه الدخول «يَوْمَ الْخُلُودِ» الدوام في الجنة. [٣٥] «كُلَّمَا نَشَاءُ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرة العينين: هذا سهو من الجلال الخليلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف مدودة بعد القاف، وهمة منصوبة منونة؛ أي: «إلقاء» مصدر «ألقى»-أه.

(٢) عافر: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاة ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروي عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. أه. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ» «وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ» حتى يضع قدمه، فنقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضاً: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فنقول قط قط وعزَّتْك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندهما مرفوعة: «... فأتى فتلَّى حتى يضع رجليه؛ فنقول: قط؛ فهناك تلتلى...».

البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ صل حامدا ﴿فَقُلْ طُلُوعُ الشُّمُسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلُ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَذْكُرِ الشُّجُورَ﴾ بفتح الهزمة: جمع ذُرٍّ، وكسرهما<sup>(١)</sup>: مصدر أذبر؛ أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائسا للحمد.

[٤١] ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يَنَادُ السَّمَاءُ﴾ هو إسرائيل ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ قَرِيبٍ﴾ من السماء<sup>(٢)</sup>، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المقطعة، واللحم المتشقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الْصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ تُخْرَجُونَ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم<sup>(٣)</sup>.

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: يوم ﴿يَوْمَ﴾ قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشْفَقُ﴾

بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها<sup>(٤)</sup> ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرَاءُ﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿تَحْنُ أَعْمَى﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِبَارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ من يخاف وعيدهم وهم المؤمنون.

### سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذرره ذرًّا؛ تَهَبُّ به. [٢] ﴿فَالْمَلَكُوتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلاً، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَلَدُورَاتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿بَشِيرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّكَ مَا تُوعِدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّ الْآلِينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْكُرِ الشُّجُورَ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْنَا الْصَّابِرِ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمَى يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِافٍ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

### سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْمَلَكُوتُ وَقَرَارًا ﴿٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٤﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْكُرِ الشُّجُورَ ﴿٥﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٦﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْنَا الْصَّابِرِ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٩﴾ تَحْنُ أَعْمَى يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِافٍ وَعِيدٍ ﴿١٠﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أهلنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشَّوْا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ لهم أو لغيرهم من الموت؛ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تعب، نزل رذاً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت<sup>(٢)</sup>، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين<sup>(٣)</sup>، ولعدم المماثلة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>.

[٣٩] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدركه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعبه الذهبي، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره اسيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاته - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحجرة.

(٦) روي هذا عن كعب الأحبار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: «ذلك يوم الخروج» من جملة الاعتراض «آتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» يقدر قبله» اهـ.

(٨) بالشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْخُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَبِىْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ  
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُلْ الْخَرُصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ  
أَيَّانَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يُمْسِقُونَ ﴿١٢﴾ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ  
هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ  
﴿١٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مِمَّا اشْتَرَوْهُمْ بِهِنِّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾  
كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْإِنْسِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَإِلَّا لَشَرَّاهُمْ يُسَعْفُونَ ﴿١٧﴾  
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٨﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ  
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ  
وَمَا تَوْعَدُونَ ﴿٢١﴾ قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ  
تَنْطِقُونَ ﴿٢٢﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٣﴾ إِذْ  
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَرَأَى إِلَهُ  
أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٥﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَتَّكِلُونَ  
﴿٢٦﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٧﴾  
فَأَقْبَلَ بَعْثَ أَمْرَانِهِ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ  
﴿٢٨﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٩﴾

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَتَّكِلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل. فلم يجيبوا  
[٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قَالُوا لَا تَحْزَنْ ﴿إِنَّا رَسَلُ﴾  
ربك ﴿وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في  
«هود».

[٢٩] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْثَ أَمْرَانِهِ﴾ سارة ﴿فِي صَرَقٍ﴾ صبيحة، حال؛ أي: جاءت  
صاحبة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وعمرها  
تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو: عمره مائة وعشرون سنة،  
وعمرها تسعون سنة.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ  
الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلفه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْخُبُكِ﴾ جمع «حبيكة»؛ كطريقة و«طرق»؛ أي: صاحبة  
الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن  
النبي ﷺ والقرآن ﴿لَبِىْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر،  
كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن  
الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله - تعالى .. [١٠] ﴿يَسْتَلُونَ﴾  
الْخَرُصُونَ ﴿لَعَنَ الْكَذَّابُونَ﴾ أصحاب القول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ﴾  
جهن بغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. [١٢] ﴿يَسْتَعِجِلُونَ﴾ النبي استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: متى  
مجئهم؟ وجوابهم: يحيي [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُنْفَخُونَ﴾ أي: يعدون  
فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾  
التعذيب ﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾  
بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿مِمَّا اشْتَرَوْهُم بِهِنِّ﴾ من الضمير في خبر «إن» ﴿مِمَّا مَا اشْتَرَوْهُم﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْإِنْسِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و«ما» زائدة، ويهجعون «خير «كان»»، و«قليلًا» ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ حَقٌّ لِّلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل لتعففه. [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله - سبحانه وتعالى - ووحديته ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات - أيضًا - من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صناعته وقدرته؟ [٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا تَوْعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما تواعدون ﴿لَحَقٌّ﴾ [مِثْلُ] مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿يرفع «مثل»﴾: صفة، و«ما» مزيدة، ويفتح اللام: مركبة مع «ما»<sup>(١)</sup>، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدور عنيكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة؛ اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «حدث ضيف» ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هذا اللفظ<sup>(٢)</sup> ﴿قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر؛ أي: هؤلاء.

[٢٦] ﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِيهِ﴾ سَرَّ ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ وفي سورة هود ﴿بِعِجْلِ حَمِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> أي: مشوي.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقراءة بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلاماً»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمرة.

(٣) هود: ٦٩.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَاطِلَيْ ثِيْبَيْنِ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْبِهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُكَلِّمٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الذُّبُورُ<sup>(١)</sup>.

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْآبِرِ﴾ كالباقي المنفت.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٤٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمِينٍ﴾ أي: ما قادروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ على من أهلهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ ثُوْجٌ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في<sup>(٣)</sup> السماء والأرض آية، وبالنصب<sup>(٤)</sup>؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿وَبَيْنَ مَا كَانُوا قَوْمًا فَتَقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالنَّامَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ بَقْرَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَأَنَّا لَمُؤَيَّدُونَ﴾ قادرون، يقال: أد الرجل يئد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَوَيْعَ الْمُهْدُونِ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿رُومٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا رُومَيْنِ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ ففعلهم أن خالق الأزواج فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَتَيَوَّلُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ يَمِينٌ ذَكِيرٌ مُبِينٌ﴾ يمين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إِنِّي لَكُمْ يَمِينٌ ذَكِيرٌ مُبِينٌ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ﴾ ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْآبِرِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ ﴿وَقَوْمٌ ثُوْجٌ مِنْ قَبْلٍ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَتَقِينَ﴾ ﴿وَالنَّامَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ وَالْمُوسِعُونَ﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَوَيْعَ الْمُهْدُونِ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُومَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار. [٣٤] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم قوم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البحاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالضُّبَا، وَأَهْلِكْتَ عَادَ بِالذُّبُورِ». والضبُّ: أي: هي الرياح التي تهب من مطلع الشمس، والذُّبُورُ: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والنكاسي بالحفص، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر أد؛ وليس بجمع ليد، فليس في الآية تأويل، ومن ثم فليس فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ يُدْرِكُ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوبًا مِثْلَ ذُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

### سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ لِيَوْمٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَبْعُوثُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

### سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالطُّورِ ﴿١﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

[٢] وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ في رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ أي: التوراة أو القرآن.

[٤] وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ هو في السماء الثالثة<sup>(١)</sup> أو السادسة<sup>(٢)</sup> أو السابعة<sup>(٣)</sup>، بحيال الكعبة<sup>(٤)</sup>، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا<sup>(٥)</sup>. [٥] وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ أي: السماء.

[٦] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ أي: المملوء<sup>(٦)</sup>. [٧] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفِعٌ ﴿٧﴾ لنازل بمستحقه. [٨] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ عنه.

(١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعاً أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.

(٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أُتِلَ من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبيلة إيليس، ثم لا يرجع إليه أحد يوماً واحداً أبداً» [الدر المنثور (١٤٤/٦)].

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.

(٤) أخرج ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦). وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسلط عليها... الحديث».

وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: «الله ورسوله أعلم». قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها... الحديث. وهناك آثار وأحاديث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦، ١٤٥)]، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: «وحيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...، الصحيحة (١٧٨١/١).

(٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) عن أنس بن مالك وفيه «فرغ لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...». وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «... ثم خرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فتفتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ ساجداً طهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...».

(٦) هنا قول قتادة والحسن وجمهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» الحامي؛ بمنزلة النور. أي القرن. المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

[٩] يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ تتحرك وتدور.

[١٠] وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ تصير هباء منثوراً، وذلك في يوم القيامة.

[١١] قَوْلٌ لِيَوْمٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ للرمس.

[١٢] الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَبْعُوثُ ﴿١٢﴾ باطل ﴿يَبْعُوثُ﴾ أي: يتشاعلون بكفرهم.

[١٣] يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ يدفعون بعنف، بدل من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾، ويقال لهم تبيكيتاً: [١٤] هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسانها<sup>(١)</sup>.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَنبَغْتَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿وَأَنبَغْتَهُمْ﴾ معطوف على ﴿آمَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الصغار والكبار ﴿يَايَمُنَ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار<sup>(٤)</sup>، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكملة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكُنْتُمْ لَآلِئًا﴾ كسرهما<sup>(٥)</sup>: نقصناهم ﴿مِّنْ عَلَيْهِمْ مِّنْ رَّائِدَةٍ﴾ بزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِيْنٌ﴾ رهون؛ يؤخذ بالشر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَنبَغْتَهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿فِيكَهْرُومٍ﴾ وكنزهم ﴿وَمَا يَنْتَرِعُونَ﴾ وإن لم يصبروا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَنْتَرِعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ خَمْرٌ﴾ ﴿لَا أَعُو فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء<sup>(٦)</sup> ﴿فَهُمْ كَانَتْ لَهُمْ حِسَابًا وَّلَطَافًا﴾ ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فَاعِلُونَ﴾ مصون في الصدف؛ لأنه فيها حسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذا واعترافا بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِيْنَا﴾ في الدنيا ﴿مُتَشَفِّقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّظَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ لدخولها في المسام.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضا -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّمَا﴾ بالكسر استئناف؛ وإن كان تعليلا معنى، وبالفتح<sup>(٧)</sup> تعليلا لفظا ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَّرْنَا﴾ ذم على تذكر المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبير «ما» ﴿وَلَا يَحْشُرُ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْيِضُ يَوْمَ رَبِّهِ الْمُنُونُ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿فَقُلْ تَرَوْهُمْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُنْتَهَى﴾ هلاككم، فغذبوا بالسيف يوم بدر، والريض: الانتظار.

أَقْبَسَ حَرْهَذَا أَمْ أَتَشْرُ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٥﴾ أَصْلَوْهَا قَاصِرُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْ لَا تُصْبِرُونَ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أُنْزِلَتْ لَهُمْ وَوَقْنَهُمْ رِيْهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٩﴾ كُؤُوفًا وَشُرُوبًا هَيْثَا يَمَآ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْلُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ إِنَّمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٣٢﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْرُومًا وَخَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٣﴾ يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَا غُوفَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَهُمْ ﴿٣٤﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانٌ لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّقِينَ ﴿٣٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ فَذَكَّرْنَا أَنْتِ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْيِضُ بِهِ رَبِّ أَلْمُونٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ تَرَوْهُمْ فَأِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُنْتَهَى ﴿٤١﴾

[١٥] ﴿أَقْبَسَ حَرْهَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَتَشْرُ لَا تُبْصِرُونَ؟﴾

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا قَاصِرُونَ﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تُصْبِرُونَ﴾ صبركم وجزعكم ﴿سَوَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾.

[١٨] ﴿فَكِهِينَ﴾ متلذذين ﴿بِمَاءٍ﴾ مصدرية ﴿أُنْزِلَتْ لَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رِيْهِمْ وَوَقْنَهُمْ رِيْهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾ عطفًا على ﴿أُنْزِلَتْ لَهُمْ﴾ أي: إلتانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كُؤُوفًا وَشُرُوبًا هَيْثَا﴾ حال؛ أي: مهنئين ﴿بِمَاءٍ﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾

(١) هذا المذكور تفسير «عين» ومفردها عيناء. وأما معنى «حور» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت الفحل، أي اشتد بياض بياضها، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَنبَغْتَهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٤) أي: وبايمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمتهن.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.



[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَانُ﴾ عقولهم ﴿هَذَا﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعبادهم.  
[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ اختلق القرآن؟ لم يخلقه ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿مِثْلِهِ﴾ إن كانوا صديقين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُغْنَى مخلوق بغير خالق، ولا معلوم بتخلق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا آمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسبوا من شأؤوا بما شأؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: يطر ويقر<sup>(١)</sup>.

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ مدعي الاستماع عيه ﴿بِشَاطِطٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَآ﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلَّبُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوا في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المعلومون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ شَبَّحَ اللَّهُ عَنَّا يُشْرِكُونَ؟ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أَمْ» في مواضعها للتقريب والتوبيخ.

[٤٤] ﴿وَيَا زُرَّارُ كَسِفًا﴾ بعضاً ﴿وَيَا أَسْمَاءُ سَاطِطًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كَسِفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: تعذبتنا لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ متراكب ترتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُنْفَى بَدَلٌ مِنْ: يَوْمِهِمْ﴾ عنهم كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿يَمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَا لَذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ  
بَل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ  
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ  
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٨﴾  
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ  
فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤١﴾  
أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا  
مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا  
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا  
وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِلَّا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ  
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٧﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٨﴾

## سُورَةُ النَّجْمِ

موتهم، فَعَذَّبُوا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك<sup>(٣)</sup> ﴿وَسَبِّحْ﴾ متبشراً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَادْبِرَ النُّجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحانه أيضاً، أو: صل في الأول العشاءين، وفي الثاني: الفجر<sup>(٤)</sup>، وقيل: الصبح<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أي في الوزن «مفعِل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتَبَيَّنٌ: من: يقر أي فسد هلك، ومشى مشية التفكير.

(٢) الشعراء: ١٨٧، و﴿كَسِفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات سنة العيون له - سبحانه - على الوجه اللائق بجلاله، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعهم في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يمر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفقها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

يريه نفسه، على صورته التي خلق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة آدميين<sup>(١)</sup>. [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿كَذَلِكَ﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابٌ﴾ قدر ﴿فَوْسَيْنٍ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى؛ تفخيماً لشأنه. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ باستخفاف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ أنكر ﴿الْفُؤَادَ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَى﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفَتَضَرُّوهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزَّلَهُ﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾. [١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة تنبثق عن بين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ تأوي إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمؤمنين<sup>(٣)</sup>. [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَقْنَىٰ السِّدْرَةَ﴾ مَا يَقْنَىٰ من طير وغيره، «إذ» معمولة لدرأه». [١٧] ﴿مَا رَأَىٰ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصره عن مرثيه المقصود له، ولا جازوه تلك الليلة. [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ العظام، أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت رفراً أخضر سدأ أفق السماء<sup>(٤)</sup>، وجبريل له ستمائة جناح<sup>(٥)</sup>. [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنْزِلَةَ آلِ لُحْيٍ﴾ قبلها ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويؤمنون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرايتم» الأول: «اللات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ﴿وَمَا زَعَمُوا﴾ أيضاً: أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت: ﴿الْكَلِمَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ جائرة، من ضازه يضيروها: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ﴾ أي: سميتم بها ﴿أُنثًى وَمَا يَأْكُلُهُمْ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِنَ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما يعبدون ﴿فِي عِبَادَتِهَا﴾ ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَىٰ﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريد - تعالى - .. [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٧)</sup>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَضَرُّوهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْزِلَةَ آلِ لُحْيٍ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْكَلِمَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَانِعَتٌ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

## سورة النجم

[مكية، اثنتان وستون آية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ النُّجُومُ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد - عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْقُوَىٰ﴾ ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. [٥] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: جبريل عليه السلام. [٦] ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ استقر. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خلق عليها، فرأه لنبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشياً عليه<sup>(١)</sup>، وكان قد سألَهُ أن

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى بهبط، فوديت فظفرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحشنت مه رعباً...» البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فمدأ رثي. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينتشر. قال: فلما رآه النبي ﷺ ضيق. فأناده فعضه، ومسح اللزاق عن شفيقه. وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١١)، والبيهقي في الجمع (٢٥٧/٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (المسند ٣٤٨/٤) حديث رقم (٢٩٦٧)، وضعف الأثرناؤوط إسناده في تحريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: فأو: أرواح الشهداء، أن: المفقودة. (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤). والرفوف: كساء، أو ثوب رفيع. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) لقرة: ٢٥٥.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنَّ﴾ ما ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ بُرِّدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ الْأَذْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَلَمُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالْمُسْتَىٰ﴾ الجنة.

[٣٢] وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقبلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صياما حجنا<sup>(١)</sup>، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَكُونُ إِذْ أَنشَأَ مِثْرَ الْآنثَىٰ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَأَن تَأْتِيَّ أَجَنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِي بَطْنٍ أُمَهَتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن آمَنَ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما غيّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع<sup>(٢)</sup>.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْذَىٰ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرِي﴾ يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَلْبَثَا إِلَّا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَصَّ﴾ صحف إبراهيم الذي وصى ﴿تَمَّ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْوُ﴾ ﴿وَأِذْ أَنشَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ يُكَلِّمُهُ فَأَنشَأَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿لَا تُرْزَ وَارِزَةٌ وَرَدَّ أُخْرَىٰ﴾ إلخ، وأن «مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ أَنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ بُرِّدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ

الْأَذْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْدَىٰ ﴿٣٠﴾

وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ

إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا تُنْفَخُ أَجَنَّةٌ فِي بَطْنٍ أُمَهَتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَن آمَنَ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْذَىٰ

أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرِي ﴿٣٤﴾ أَمْ لَمْ يَلْبَثَا إِلَّا فِي صُحُفٍ

مُوسَىٰ ﴿٣٥﴾ وَوَصَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَصَّى ﴿٣٦﴾ تَمَّ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْوُ

﴿وَأِذْ أَنشَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ يُكَلِّمُهُ فَأَنشَأَهُ﴾ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآدِنِي ﴿٣٨﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَيٰ

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٠﴾

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنَّ﴾ أي: أنه ﴿يَلْقَىٰ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ يصر في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآدِنِي﴾ الأكم، يقال: جزئته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ<sup>(١)</sup> بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَيٰ

المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ أَظْلَمٍ وَأَلَمَى﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبث نوح فيهم ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلَفَ سَكَةٍ إِلَّا خَسِيتَ عَامَا﴾<sup>(١)</sup> وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَالَّذِي نَفِكَهُ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك.

[٥٤] ﴿فَنَفَّسْنَاهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أبهم توبلها، وفي هود: ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا جِسَارَةً يَنْ سِجِيلٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٥٥] ﴿فَبَآئٍ آلَآ رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَسْمَانِي﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ قرب القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ كَانِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقوله: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُهَا إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup>. [٥٩] ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذبا. [٦٠] ﴿وَتَقْسِمُونَ﴾ استهزاء ﴿لَا يَكُونُ﴾ لسماع وعده ووعيده.

[٦١] ﴿وَأَنَّمْ سَيِّدُونَ﴾ لاهوت غافلون عما يُطلب منكم؟

[٦٢] ﴿فَاتَّبَعُوا آلَهُ﴾<sup>(٤)</sup> الذي خلقكم ﴿وَأَعْبَدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

### سُورَةُ الْقَبْرِ

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَذَرَيْتَ النَّسَاءَ﴾ قرب القيامة ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلقين، على أبي قبيس وقَعَقَفَان، آية له ﷺ، وقد سئلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان]<sup>(١)</sup>. [٢] ﴿وَلَنْ يَرَوُا﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائِيَّةَ﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾: هذا «يسخر سخر» قوي، من المنة: القوة، أو دامت<sup>(٢)</sup>.

[٣] ﴿وَكَذَبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيُّمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَوْرٍ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من ناء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿جَعَلَهُ خَيْرِ مَبْدَأٍ﴾ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مزدجر» تامة ﴿فَمَا تَعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿النَّذْرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم.

[٦] ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» بقُدْ ﴿إِلَىٰ قَعْنٍ تُكْسِرُ﴾ بضم

وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٦﴾ مِّنْ تُطْفِئَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿٥٧﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخَرَى ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى ﴿٦٠﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٦١﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٦٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٦٣﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٦٤﴾ فَغَشَّيْنَاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٦٦﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴿٦٧﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٦٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٩﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴿٧٠﴾ تَعْجَبُونَ ﴿٧١﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَكُونُونَ ﴿٧٢﴾ وَأَنَّمْ سَلِمِدُونَ ﴿٧٣﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٧٤﴾

### سُورَةُ الْفَيْتَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَفَرَيْتَ الْبَسَاءَ وَالنَّشَقَ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَمْشُرُوا ﴿٢﴾ سِحْرَ مُّسْتَسْمِرٍ ﴿٣﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٥﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُعِنُّ أَلْتُدْرِكُ ﴿٦﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٧﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ عَلَقَ الرُّوحَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾.

[٤٦] ﴿مِنْ تُطْفِئَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ تصب في الرحم.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ﴾ بالمد والقصر<sup>(١)</sup> ﴿الْآخَرَى﴾ الخلقة الأخرى للبعث، بعد الخلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ بالناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أعطى المال المتخذ فنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف<sup>(٣)</sup> للقبيلة، وهو معطوف على «عاد» ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَيْتَ النَّشَاءَ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْعُرُ مُّسْتَسْمِرٌ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(٢) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالقصر: ﴿النَّشَاءَ﴾ (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قالون كذلك، لكنه يأتي بهمة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتنوين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالجمعة، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرانيق الباطلة، والتي سبق التنبية على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة، فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧/٦].

الكاف وسكونها<sup>(١)</sup>؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حَشَعَا﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿حُشَعَا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَجْزُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْجَبَدَاتِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّثِيرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُّوحٌ﴾ تأييد الفعل لمعنى قوم ﴿مَكَذِبُوا عِبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾.

[١١] ﴿فَنَنْصِبُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿إِنزَابَ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا مِنْ مَّاءٍ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ حال ﴿فَدَفِرَ﴾ قضى به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٢] ﴿وَحَمَلْنَا﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذات أُلُوجٍ وَدُسُرٍ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحداً وشار؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَجَرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا<sup>(٥)</sup>؛ أي: محفوظة ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انتصاراً ﴿لِمَنْ كَانَ كُفْرٌ﴾ وهو نوح التَّكْفِيلِ، وقري<sup>(٦)</sup>:

﴿كَفَرٌ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَكَنَهَا﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَقِيلَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ معتبر ومتعظ بها؛ وأصله: مذكرة؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارني؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حثل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لنوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحْفَظُ من كتب الله عن ظهر القلب غيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذارني لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] ﴿وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِقَوْلِهِ﴾: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْنِهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ تَحِيرُ﴾ شوم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشوم، أو: قويته، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر<sup>(٧)</sup>. [٢٠] ﴿نَزِجُ النَّاسِ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فيبني الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَصْبَارٌ﴾ أصول ﴿تُخَلِّجُ مُنْفَعِرٌ﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذُكِرَ هنا وأُنْتُ في الحاقه ﴿تُخَلِّجُ حَاوِيَةٌ﴾<sup>(٨)</sup>؛ مراعاة للفواصل في الموضعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟ [٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذروهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾

حُشَعَا أَبْصَرَهُمْ يَجْزُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْشَرٌّ ﴿١﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ ﴿٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿٤﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٥﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسُرٍ ﴿٧﴾ تَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٣﴾ نَزِجُ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ تُخَلِّجُ مُنْفَعِرٌ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٦﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٧﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَى فَوَاقِلٍ وَسُعُرٍ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَلَقْنَا أَلْزَكْرَ عَلَيْهِ مِن بَيْنَيْنَا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ أَشْرٌ ﴿١٩﴾ سَمِعْنَا مِنْكَ كَلِمَةَ عَادٍ أَنَّ الْكُذَّابَ الْأَشْرَارَ ﴿٢٠﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢١﴾

منصوب على الاشتغال ﴿مِنَّا وَجَدًا﴾ صفات له «بشراً» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف تتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا تتبعه ﴿إِنَّا إِدْأَى﴾ إن اتبعناه ﴿أَلَمْ تَلَقْنَا﴾ ذهب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَلَمْ تَلَقْنَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه<sup>(٩)</sup> ﴿الذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَيْنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَشْرٌ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَمِعْنَا مِنْكَ كَلِمَةَ عَادٍ﴾ في الآخرة ﴿مِنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرَارِ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٢) المدثر: ٩، ١٠.

(٣) وفيها إثبات صفة العين له - شيخاً - على الوجه اللائق به.

(٤) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح بثبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٥) الحاقه: ٧.

(٦) رجع التلخيص على الآية (٨) من سورة ص.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرا حمزة والكسائي وأبو عمرو: «حاشعاً» وهي القراءة المنسرة.

(٨) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٩) أي شدوداً.

بِالنُّذُرِ أَي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصى، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لنزع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بال، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجها. [٣٥] ﴿يَعْتَمِدُ مَصَدَرُ﴾ أَي: إنعاماً ﴿وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَابٌ﴾ أَي: مثل ذلك الخواء ﴿يَجْرِي مِنْ شَكْرٍ﴾ أتعنتا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله <sup>(١)</sup> وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ خَوْفَهُمْ لُوطٌ﴾ بَطَشْتَنَّا أَخَذْنَا إِيَّاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴿فَتَكَارَرُوا﴾ تَجَادَلُوا وكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف؛ لِيُخَيِّبُوا بِهِمْ، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناها، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا﴾ قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أَي: إنذاري وتخويفي؛ أَي: ثمرته وفائدته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُمْ﴾ قومه معه ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ أَي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَلَنَنْزِلُنَّهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَحَدٌ عَزِيزٌ﴾ قوي ﴿مُقَدِّرٌ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعَذِّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشٌ مُبْرَأَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى لنفي؛ أَي: ليس لأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَصِرُونَ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ <sup>(٢)</sup> فهزموا يديهم، ونصير رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿بَلِ الْآثَاةُ مُوعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أَي: عذابها ﴿أَذْنٌ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ الشَّجَرَيْنِ فِي سُلَيْلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٍ﴾ نار مسقرة بالتشديد؛ أَي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ أَي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير: حال من «كل»؛ أَي: مقدراً، وقرئ: <sup>(٣)</sup> ﴿كُلُّ﴾ بالرفع؛ مبتدأ خبره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وَيَبْهَرُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصَرٌ ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ فَتَعَاطَى فَقَعَرٌ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا هُمْ شَرُّ الْمَحْظَرِ ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ أَنَّ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْرِي مِنْ شَكْرٍ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ أَنَّ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ سَيَبْرَهُمُ الْجَمْعُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرَ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾

[٢٨] ﴿وَيَبْهَرُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُخْتَصَرٌ﴾ يحضره <sup>(١)</sup> القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملوه، فهملوا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ فَنَادُوا؛ لِيَقْتُلَهَا ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَقَعَرٌ﴾ به الناقة؛ أَي: قتلها موافقة لهم.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أَي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أَي: وقع موقعه. [٣١] ﴿وَيَبْهَرُهُمْ﴾ بَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْمَخْطَرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسياب، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ أَنَّ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾

(٥) ما جاء في رول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. مسم. كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوي: «ورسوله»، والمثلث من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قاتل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإنني لحارية العلب: ﴿بَلِ الْآثَاةُ مُوعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ مما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: هوفي رواية أبيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ تثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن ينزلها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقل: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما يدير، والله أعلم. (٤) أي: شذوذاً.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا لشيء نريد وجوده﴾ ﴿إِلَّا أَفْرَةً﴾ ﴿وَجَدَّةٌ كَلْبَجٌ﴾ بِالْبَصْرِ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب، أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ﴾ بسايتين ﴿وَنَهْرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ<sup>(٢)</sup>: بضم النون والهاء جمعاً؛ كأشد وأشد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ<sup>(٣)</sup>: ﴿مَقْعِدٌ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً، وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض، وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقَدِّرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى -، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله - تعالى<sup>(٥)</sup>.

### سُورَةُ الرَّحْمَنِ

[مكية، إلا: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْفُرَّانَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنْسَارِ﴾ للخلق؛ الإنس

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الخناث مشتملة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العندية مما استدل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرجه نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وأبو مرويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، وللسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا الْوَاحِدُ كَلْبَجٌ بِالْبَصْرِ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

### سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ ﴿٩﴾ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالزَّيْتَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ رَبُّ الْمُسْرِفِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلوعها. [١٢] ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التين ﴿وَالزَّيْتَانُ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكْذِبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتعريض؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجن كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»<sup>(١)</sup>. [١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نفثه ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

للمفعول والفاعل <sup>(١)</sup> ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الْوَلُّوْا وَالْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال عظمًا وارْتِفَاعًا. [٢٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهِ﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنَّ هَالِكًا﴾، وغيره ﴿مَنَ﴾ تغليبا للعقلاء [٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذَاةُ﴾ ذاته <sup>(٢)</sup> ﴿ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ﴾ والإكرام ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>، بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَتَذَكَّرُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال <sup>(٤)</sup>، ما يحتاجون إليه، من القرة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَنْفِخُ لَكُمُ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿آيَةَ الْفُلْكَانِ﴾ الإنسان والجن. [٣٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَنْفِخُ الْمَلَكُ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنَ أَقْطَارِ نَوَاحِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاقْضُوا﴾ أمر تعجز ﴿لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه <sup>(٥)</sup> ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ <sup>(٦)</sup>، والجنان هنا وفيما سيأتي <sup>(٧)</sup> بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ هَالِكًا ﴿٢٥﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَنْفِخُ لَكُمُ آيَةَ الْفُلْكَانِ ﴿٣٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِمَّنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاقْضُوا مَا نْتَفِدُونَ ﴿٣٢﴾ الْإِبْرَاطِينَ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾

[١٧] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَمَشْرِقِ الشَّمْسِ﴾ مشرق الشمس ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْمَرْجَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجٌ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتل به.

[٢١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: (من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كرتا، ويرفع قوما، ويضع آخرين). ابن ماجه. المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحمية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول. وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهنا له حقيقة على الوجه اللاتق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».

(٢) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه، وليس لهرب، كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو التحاسن المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَنُيَبِّئَنَّ مِنْ قِبَلِكُمْ وَلَا جَانًا﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.



[٤١] ﴿يُعْرِضُ الْمُجْرِمُونَ لِمِصْرَتِهِمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾. [٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَآ وَبَيْنَ جَحِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانِ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاض».

[٤٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلَمَّا خَذَفُ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامٌ رَّيْبٌ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَرَاكَ﴾ تنبيه «ذوات» على الأصل<sup>(١)</sup>، ولامها باء<sup>(٢)</sup> ﴿أَفَنَآنِ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان؛ رطب ويابس، والمر بهما في الدنيا كالخنظل حلوا.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غنط من الديباج وخشن، والظواهر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿ءَانِ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنتين، وما اشتملنا عليه من الملالي والقصور ﴿فَقَصْرَتْ أَلْفَارِفُ﴾ العُتَيْنِ، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا﴾ يفتضون، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت<sup>(٣)</sup> ﴿إِشْرَاقَهُنَّ وَلَا جَارَ﴾.

[٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ آبَاءُ قُوتٍ﴾ صفاء ﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضا.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤﴾ وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦﴾ ذَوَاتَا أَفْنَآنِ ﴿٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿١١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿١٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ فِيهِمَا قَصْرٌ قَصِيرٌ ﴿١٥﴾ لَمْ يَطْمِئْنُوا عَلَىٰ فُرُشٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَارَ ﴿١٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ كَأَنَّهُنَّ آبَاءُ قُوتٍ وَالْمَرْجَاتُ ﴿١٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ تَكْذِبَانِ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾<sup>(٤)</sup> أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدْهَمَمَتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنجان من فصة آيتيها وما فيها؛ وجنتان من ذهب آيتيها وما فيها. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٢) أي: على ما قبل حذف «واو» وبعد حذف تصبح «دات» فتلى على «ذاتان». والفصح في تنبيها: «ذوات»، كما في الآية.

(٣) أي لأن أصلها: «هذي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلت ألفًا، فأصبحت: «هذوي»؛ كـ «هني».

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا هَٰذَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا تَتْلُوهُنَّ أَكْبَارًا﴾ (الواقعة: ٣٥، ٣٦) أي: يجعلهن بعد الثبوتية «أكبارًا».

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجهم، وإعراجه كما تقدم ﴿عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُشَط، أو: وسائد ﴿وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

### سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

[مكية، إلا أَنَّهُذَا الْحَدِيثُ] الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَفَعَتْ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَذِبَةٌ﴾ نفس تُكذَّب، بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَحَّتْ الْأَرْضُ رَحًا﴾ تحركت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غبارًا ﴿مُبْتَثًّا﴾ منتشرًا، و﴿إِذَا﴾ الثانية بدل من الأولى. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْيَوْمِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَبُ الْمُئِمَّنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتَوْنَ كتبهم بأيامانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُئِمَّنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَبُ الْمُتَفَعِفَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُتَفَعِفَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّاعِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّاعِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ أَلْوْنٍ﴾ [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة<sup>(٢)</sup>. [١٥] والخير: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرَّبِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَا جَأْنَ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

### سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِذَا وَفَعَتْ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَحَّتْ الْأَرْضُ رَحًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَبُ الْمُئِمَّنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَبُ الْمُئِمَّنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَبُ الْمُتَفَعِفَةِ ﴿١٠﴾ مَا أَصْحَبُ الْمُتَفَعِفَةِ ﴿١١﴾ وَالسَّاعِقُونَ السَّاعِقُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٣﴾ فِي جَنَّاتٍ أَلْوْنٍ ﴿١٤﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٧﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرَّبِينَ ﴿١٨﴾

[٦٨] ﴿فِيهَا فَكَّهٌ﴾ وَعَلَى رُفُوفٍ ﴿١٩﴾ هما منها<sup>(٣)</sup>، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنة وما فيها<sup>(٤)</sup> ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُج مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَأْنَ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شئت؟ قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا انشَقَّتْ كُرْسِيُّ﴾». وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل والزئبان من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلًا من: «وما فيها». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: «فِيهِنَّ» يعني في الجنات الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين: البحاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة؛ آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ آتيتهما وما فيهما».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكي غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر؛ بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقربون في غيرهما أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ. ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الأرجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل».

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿يَا كُؤَابَ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَالْبَارِقَ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكُؤَابِينَ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

[١٩] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها<sup>(١)</sup>، من نرف الشارب وأنزف: أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةً مِمَّا يَنْتَعِرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَنَقِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبِهُونَ﴾. [٢٢] ﴿ذِي﴾ لهم للاستمتاع ﴿حَرَّ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها<sup>(٢)</sup> ﴿عَيْنَ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ تجانسة الياء<sup>(٣)</sup>، ومفرده: عيناء؛ كحمراء، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بحر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءَ﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزئناهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿قَوًّا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ ما يؤثم. [٢٦] ﴿لَا﴾ لكن ﴿يَلَا﴾ قولاً ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ بدل من: ﴿يَلَا﴾ فإنهم يسمعون. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِي يَدَيِ﴾ شجر التيق ﴿تَنْضُرُونَ﴾ لا شك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلِحَ﴾ شجر الموز ﴿تَنْضُرُونَ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَطَلِحَ تَمْدُورٍ﴾<sup>(٥)</sup> دائم. [٣١] ﴿وَمَاءٌ مَشْكُوبٌ﴾ جار دافئ. [٣٢] ﴿وَفَكَهَةً كَثِيرَةً﴾. [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بمن. [٣٤] ﴿وَفَرِشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِسَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرْبًا﴾ بضم الراء وسكونها<sup>(٥)</sup>؛ جمع غزوب، وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَرْبَابًا﴾ جمع تزوب؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن». [٣٩] وهم ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَكَبِيرٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَطَلِحَ مِنَ يَمِينٍ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتَرَفِفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتبعون في الطاعة.

[٤٦] ﴿وَكَاوُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيُسْنِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤَابَ وَالْبَارِقَ وَكُؤَابِينَ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَأَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةً مِمَّا يَنْتَعِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبِهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٍ عِينٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْقَوَّا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ لَأَلَّا لَكِنْ يَلَا قَوْلًا سَلَكْنَا سَلَكًا بَدَلْ مِنْ: يَلَا فَإِنْهُمْ يَسْمَعُونَ. ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي يَدَيِ شَجَرِ التَّيْقِ تَنْضُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَطَلِحَ شَجَرِ الْمَوْزِ تَنْضُرُونَ بِالْحَمْلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ. ﴿٢٩﴾ وَطَلِحَ تَمْدُورٍ ﴿٣٠﴾ دَائِمٌ. ﴿٣١﴾ وَمَاءٌ مَشْكُوبٌ جَارٍ دَائِمًا. ﴿٣٢﴾ وَفَكَهَةً كَثِيرَةً. ﴿٣٣﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ فِي زَمَنِ وَلَا مَمْنُوعَةٍ بِمَنْ. ﴿٣٤﴾ وَفَرِشٌ مَرْفُوعَةٌ عَلَى السَّرْرِ. ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً أَي: الْحُورُ الْعَيْنُ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ.

[٤٧] ﴿وَكَاوُوا يَقُولُونَ أَيْدَا مِنَّا رُكَّاءًا وَعِظَمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضوعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٧)</sup>.

[٤٨] ﴿أَوَّابًا تَأْتُوا الْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة<sup>(٨)</sup> بسكون الواو، عطفاً به أو، والمعطوف عليه: محل «إن» واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرهوا إن شقتم: ﴿وَطَلِحَ تَمْدُورٍ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَطَلِحَ تَمْدُورٍ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿لَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: «أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونها نصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجيه على المسند (١٣٢/١٧) رقم (٩٠٦٩).

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الخدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عُيْن» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لخمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإحار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

خَفَقْنَكُمْ ﴿٥٨﴾ أَوْ جَدْنَاكُمْ مِنْ عَدَمٍ ﴿٥٩﴾ فَلَوْلَا ﴿٦٠﴾ هَلَّا ﴿٦١﴾ تَصَدَّقُونَ ﴿٦٢﴾ بِالْبُعْثِ إِذِ الْقَادِرِ عَلَى الْإِنشَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ تَرِيقُونَ مِنَ الْمُنَى فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ. [٥٩] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَفَاءً، وَتَسْهِيلَهَا، وَإِدْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَ الْمُسَهَّلَةِ وَالْأُخْرَى، وَتَرْكُهَا <sup>(٦)</sup> فِي الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أَي: الْمُنَى بِشَرَاهُ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْخَالِقِينَ﴾. [٦٠] ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ <sup>(٧)</sup> ﴿يَبْنِكُمُ الدَّوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقِينَ﴾ بِعَاجِزِينَ.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عَنْ ﴿أَنْ تُبَدِّلَ﴾ نَحْمَلُ ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ﴾ مَكَانَكُمْ ﴿وَنُشِئَكُمْ﴾ نَخْلُقْكُمْ ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنَ الصُّورِ؛ كَالْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ﴾ <sup>(٨)</sup> الْأُولَى ﴿وَفِي قِرَاءَةِ بَسْكَوْنِ الشَّيْنِ﴾ فَلَوْلَا [تَذَكُّرُونَ] فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الدَّالِّ <sup>(٩)</sup>. [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تَتَبَرَّثُونَ فِي الْأَرْضِ، وَتَلْقُونَ الْبَلَدَ فِيهَا؟ [٦٤] ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ﴾ تَنْبِتُونَهُ ﴿أَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾ نَابِثًا يَابِثًا، لَا حَبَّ فِيهِ ﴿فَلَنْتُمْ﴾ أَصْلُهُ: ظَلَلْتُمْ بِكسر اللام، حَذَفَتْ تَخْفِيفًا؛ أَي: أَقْسَمْتُ نَهَارًا ﴿تَعْمَهُونَ﴾ حَذَفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِيْنِ فِي الْأَصْلِ؛ تَعْجِبُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَقُولُونَ: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْمُورُونَ﴾ نَفَقَةُ زُرْعَتَا. [٦٧] ﴿بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ مَمْنُوعُونَ زَرْعًا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السَّحَابِ، جَمْعُ «مُزْنَةٍ» ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا﴾ مَلْحًا لَا يُمْكِنُ شَرْبُهُ ﴿فَلَوْلَا﴾ فَهَلَّا ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تَخْرُجُونَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ. [٧٢] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ تَحْرُثُونَ﴾ كَالْمَرْخِ وَالْعَقَّارِ وَالْكَلْبَخِ <sup>(١٠)</sup> ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾. [٧٣] ﴿تَحْنُ لَجَعَلْنَاهُ تَذْكِرَةً﴾ لِنَارِ جَهَنَّمَ ﴿وَمَتَّعًا﴾ بِلُغَةٍ ﴿لِلْمُفَوِّينَ﴾ لِلْمَسَافِرِينَ؛ مِنْ: أَقْوَى الْقَوْمِ؛ أَي: صَارُوا بِالْقَوَا، بِالْفَصْرِ وَالْمَدِّ؛ أَي: الْقَفْرِ، وَهُوَ: مِفَازَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا مَاءَ. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زُرَّةً ﴿يَاسْمُ﴾ زَائِدَةٌ <sup>(١١)</sup>

﴿زَيْكُ الْعَظِيمِ﴾ أَي: اللَّهُ. [٧٥] ﴿فَلَا أَفْسَرُ﴾ «لَا» زَائِدَةٌ ﴿بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ﴾ بِمَسَاقِطِهَا لَغَوْبِهَا <sup>(١٢)</sup> [٧٦] ﴿وَأَيُّهُ﴾ أَي: الْقِسْمِ بِهَا ﴿لَفَسَّرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ﴾ لَوْ كُنْتُمْ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ لَعَلِمْتُمْ عَظَمَ هَذَا الْقِسْمِ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾ [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفْرٍ﴾ ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونُ﴾ [٥٣] ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ [٥٤] ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ﴾ أَي: الرُّقُومَ الْمَأْكُولَ ﴿بَيْنَ اللَّيْمِ﴾ [٥٥] ﴿فَتَشْرَبُونَ﴾ [شَرْبٌ] بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَضَمِّهَا <sup>(١٣)</sup> مَصْدَرٌ ﴿الْمِيمِ﴾ الْإِبِلُ الْعَطَاشُ، جَمْعُ هَيْبَانَ لِلذَّكْرِ، وَهَيْمَى لِلْأُنثَى؛ كَعِطْشَانَ وَعِطْشَى. [٥٦] ﴿هَذَا نُزْلُكُمْ﴾ مَا أَعَدَّ لَهُمْ ﴿يَوْمَ الْبَاقِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [٥٧] ﴿تَحْنُ

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾ [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفْرٍ﴾ بَيَانٌ لِلشَّجَرِ. [٥٣] ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونُ﴾ مِنَ الشَّجَرِ ﴿الْبَطُونُ﴾.

[٥٤] ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ﴾ أَي: الرُّقُومَ الْمَأْكُولَ ﴿بَيْنَ اللَّيْمِ﴾.

[٥٥] ﴿فَتَشْرَبُونَ﴾ [شَرْبٌ] بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَضَمِّهَا <sup>(١٣)</sup> مَصْدَرٌ ﴿الْمِيمِ﴾ الْإِبِلُ الْعَطَاشُ، جَمْعُ هَيْبَانَ لِلذَّكْرِ، وَهَيْمَى لِلْأُنثَى؛ كَعِطْشَانَ وَعِطْشَى.

[٥٦] ﴿هَذَا نُزْلُكُمْ﴾ مَا أَعَدَّ لَهُمْ ﴿يَوْمَ الْبَاقِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. [٥٧] ﴿تَحْنُ

(١) بالفتح قراءة الكسائي وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «النَّشْأَةُ» بِسُكُونِ الشَّيْنِ.

(٥) وهي قراءة نافع وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: «تَذَكُّرُونَ».

(٦) أنواع من الشجر سريعة القدح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظاً (اسم)؛ كما قال تعالى: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ» [الأعلى: ١]. وكما يجب تزييه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُشْرَهُ أَسْمَاؤُهُ الَّتِي سُمِيَ بِهَا نَفْسُهُ، أَوْ سَمَاءُهَا

رَسُولُهُ ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطاء: مواقع النجوم: منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

إِنَّهُ لَفَرُّغَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا  
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِي هَذَا الْحَدِيثِ  
أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا  
إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ  
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ  
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ  
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ  
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ  
الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزُلُ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ  
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْحَارِثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَا دُونَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَحْيِي وَيُحْيِي ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ  
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وَجِءَ بِمَا دُونَ «مَنْ» تَغْلِيظًا لِلْأَكْثَرِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مَلِكِهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ فِي صِنْعِهِ <sup>(٥)</sup>.

[٢] لَمْ تَكُنْ الْمَسْكُوتَ وَالْأَرْصَ بْنِي بِالْإِنْشَاءِ وَتُبِيْثِ بَعْدَهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ تَقْوٍ قَدِيرٌ .

[٣] هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، بِلَا بَدَايَةِ وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، بِلَا نِهَايَةِ وَالظَّاهِرُ بِالْأَدْلَةِ عَلَيْهِ وَالْبَاطِنُ <sup>(١)</sup> عَنْ إِدْرَاكِ الْحَوَاسِ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

سُورَةُ الْحَٰكِمِ

[مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نزهه كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكرو ومهملو وكافرو. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق بوء كذا وكذا. قال: فمرت هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْعِدِي أَتُمْذَرُونَ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَعْمَلُونَ رُزُقَكُمْ أَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾. مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كفر من قال مطرنا بالوعد.

(١) أكثر المفسرين أن المراد لكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ. والمطهرون هم الملائكة، ولا يمشه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي : عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي. وجواب (إن) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيراً.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلم عليه الملائكة وتخره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: مسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين، ففيه التفات من التنية إلى الخطاب؛ تعظيماً لصاحب اليمين.

(٥) سبق التنبيه في سورة البقرة (١٢٩) على أن الأولى التعميم في مُتَعَلِّقِ الحِكْمَةِ؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه؛ أي صُنعُه، وقدرُه، وتشريعُه، وجرائُه، وهُزْلُ رسله، وإزالة كُتبه... إلخ. وبعده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَئِنْ شِئْتَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ﴾ جميعها.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ يَدْخُلُ فِي النَّهَارِ﴾ فيزد ويقتص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزد ويقتص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوا﴾ دأبوا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وأنفقوا في سبيل الله ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك<sup>(١)</sup> ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان <sup>(٢)</sup> ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يدعوكم ليؤمنوا بربكم ﴿وَقَدْ أُخْبِرُوا﴾ بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده<sup>(٣)</sup> ﴿﴿مِثَاقُكُمْ﴾﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنْى حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى<sup>(٤)</sup> ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: مريدن الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْيِّنُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَكْرِهُ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿أَنْ﴾ في لام ﴿لَا﴾ ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَنْ يَكْرَهُ اللَّهُ مِمَّنْ جَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَخْرَجًا﴾ بما فيها؛ فنصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتخرجون ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ منكم من أنفق من قبل الفتح، ملكة ﴿وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا﴾ من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلاً من الفريقين، وفي قراءة<sup>(٥)</sup>: بالرفع، مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ﴾ اجنبة ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ يَأْتِيَهُ مَالُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرضاً حسناً، بأن ينفقه لله ﴿يُقَضِّعُهُمْ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup> ﴿يُقَضِّعُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضاء وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَئِنْ شِئْتَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ﴿٢﴾ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ ۝ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ ۝ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْيِّنُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَلَئِنْ اللَّهُ يَكْرَهُ لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ ﴿٦﴾ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧﴾ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٨﴾

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي<sup>(٢)</sup> استواء<sup>(٣)</sup> يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة<sup>(٤)</sup> ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه<sup>(٥)</sup> ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) سبق الرد على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحي ها، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون بن معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه، لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي لمعة انعام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أقف على أحد من المفسرين غير المحي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان <sup>(٨)</sup>.

(٨) بالنظم قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿أَخْذَهُ﴾، ونصب: ﴿مِثَاقُكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.

[١٢] اذْكُرْ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَجِدُ فِيهِمَا ذُنُوبَكُمْ أَلَمْ نَكُنْ لَكَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ عَاصِدًا مَّتَّعًا ۚ وَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿يُنْزَلُكُمْ إِلَيْكُمْ يَوْمَ جَنَّتْ﴾ أَي: ادخلوها ﴿تَعْرَى مِنْ عَمَّا أَتَتْهُمُ حُلِيِّنَ﴾ فِيهَا ذَلِكُ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ.

[١٣] يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِيَلْزِمُنَّكَ اللَّهُ لِيَصْطَبَّ عَلَيْكَ الْوَقْرُ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ أُبْصِرُوا، وَفِي قِرَاءَةِ (١) يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَكَسَرَ الطَّاءَ، أَهْلَوْلُنَا ﴿نَقِيسُ﴾ نَأْخُذُ الْقَبْسَ وَالْإِضَاعَةَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ لَهُمْ اسْتَغْنَاءُ بِهِمْ: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فَارْجِعُوا ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ﴾ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يُسَوِّرُ﴾ قِيلَ: هُوَ سُورُ الْأَعْرَافِ ﴿لَمْ يَأْبَ﴾ بِاطْنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَطَلَّهِمْ﴾ مِنْ جِهَةِ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَمِنْ قِيلِهِ﴾ الْعَذَابُ.

[١٤] يَتَادَوْهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ عَلَى اطِّعَاءٍ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْإِغْوَاءِ وَتَرْتَضُونَ أَلَمَّا نَكُنْ مَعَكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَابِّ وَأَرْتَضُونَ شَكْكُمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ الْأَطْمَاعُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ الْمَوْتُ وَغَرَّتْكُمْ بِإِلَهِ الْعَرُوفِ الشَّيْطَانُ.

[١٥] فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ (٢) مِنْكُمْ يَذِبَةٌ وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ أَنْتَارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ أُولَىٰ بِكُمْ وَيُسَّ الْمَصِيرُ هِيَ.

[١٦] أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا نَزَلَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ، لَمَّا أَكْثَرُوا الْمَزَاحَ (٣) أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا [نَزَلَ] بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ (٤) مِنْ الْحَقِّ الْقُرْآنِ؟ وَلَا يَكُونُوا مَعْلُوفٌ عَلَى «تَخْشَعُ» كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى «فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ» الزَّمَنُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِمْ «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ» لَمْ تَلْنِ لَذِكْرِ اللَّهِ «وَكَبُرَتْ مِنْهُمْ فَسِيفُوتُ».

[١٧] «اعْلَمُوا» خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَذْكُورِينَ «أَنَّ اللَّهَ يَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» بِالْبَنَاتِ، فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِقُلُوبِكُمْ؛ يَرُدُّهَا إِلَى الْخُشُوعِ «فَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَتِنَا بِهَذَا وَغَيْرِهِ «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

[١٨] «إِنَّ الْأَمْضِيَّ قَدْ قَدْ» مِنَ الصَّدَقِ، أَدْعَمَتِ النَّاءُ فِي الصَّادِ أَي: الَّذِينَ تَصَدَّقُوا «وَالْمُضَيَّقُ» اللَّاتِي تَصَدَّقُونَ، وَفِي قِرَاءَةِ (٥) تَخْفِيفُ الصَّادِ فِيهِمَا؛ مِنَ التَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» رَاجِعٌ إِلَى الذِّكْرِ وَالْإِنَانِ

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ أَلْيَوْمَ جَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلَيْنِ فِيهَا ذَلِكُ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ (١) يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرْوْنَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورِلَهُ رَبَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَطَلَّهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ (٢) يَتَادَوْهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَضُونَ أَلَمَّا نَكُنْ مَعَكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَابِّ وَأَرْتَضُونَ شَكْكُمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَغَرَّتْكُمْ بِإِلَهِ الْعَرُوفِ الشَّيْطَانُ (٣) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ (٤) مِنْكُمْ يَذِبَةٌ وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ أَنْتَارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ أُولَىٰ بِكُمْ وَيُسَّ الْمَصِيرُ (٥) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا نَزَلَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ، لَمَّا أَكْثَرُوا الْمَزَاحَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيفُونَ (٦) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧) إِنَّ الْأَمْضِيَّ قَدْ قَدْ وَالْمُضَيَّقُ وَالْمُضَيَّقُ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (٨)

بِالتَّغْلِبِ، وَغُطِفَ الْفِعْلُ عَلَى الْأَسْمِ فِي صَلَةِ «أَلْ»؛ لِأَنَّهُ فِيهَا حُلٌّ مَحَلُّ الْفِعْلِ، وَذَكَرَ الْقُرْضَ بِوَصْفِهِ بَعْدَ التَّصَدِيقِ تَقْيِيدٌ لَهُ «يُضَعَّفُ» وَفِي قِرَاءَةِ (١): «يُضَعَّفُ» بِالتَّشْدِيدِ، أَي: قَرْضُهُمْ «لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ»

(١) لحزبه؛ أي: «أَنْظُرُونَا».

(٢) بالناء قراءة ابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالناء.

(٣) يشير إلى ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٠/١٤) رقم (١٧٥٦٤) عن ابن أبي رواد، وضعفه في الاستيعاب (٣٢٠/٣) لإعضائه. وأخرج مسلم في صحيحه (٣٠٢٧) عن ابن مسعود ؓ قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية» «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» إلا أربع سنين.

(٤) بالتشديد قراءة السبعة علنا نفع وحفص.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وشعبة.

(٦) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر بغير ألف مع تشديد العين، وقرأ بقية السبعة بالألف وتخفيف العين.

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢٠﴾ الدالة على وحدانيته وأولئك أصحاب الحجير النار.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغَبٌ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿عَيْتٍ﴾ مطر ﴿أَعَجَبَ الْكُفَّارُ﴾ الزراع<sup>(١)</sup> ﴿بَنَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبيس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ فنانا يضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداها بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر<sup>(٣)</sup>: جاءكم منه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بسقوطه ﴿الْفَقِيءُ﴾ عن غيره ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأوليائه.

وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢١﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغَبٌ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْتٍ أَعَجَبَ الْكُفَّارُ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ ﴿٢٢﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٤﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله ﷻ؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزيينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولي: أن يقول: كالجدب؛ ليكون ذلك على سبيل التشثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.



[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿يَأْتِيَنَّهُمُ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُفْ﴾ بَأْسَ يَصْرُفُ مِنْ هَاءٍ ﴿يَصْرُفُ﴾ أَي: غَالِبًا عَنْهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ ﴿وَرُسُلُهُمُ بِالْقَيْبِ﴾ حال من هاء ﴿يَصْرُفُ﴾ بَأْسَ يَصْرُفُ مِنْ هَاءٍ ﴿يَصْرُفُ﴾ أَي: غَالِبًا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَصْرُفُونَهُ وَلَا يَصْرِفُونَهُ ﴿يَا اللَّهُ قُوَى عَزِيزٌ﴾ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى النَّصْرَةِ، لَكِنَّا نَتَنَفَعُ مِنْ بَأْسِهِ بِهَا.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، فإنها في ذرية إِبْرَاهِيمَ ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ عِبَادِهِمُ الرَّسُولَ وَفَعَيْنَا يُعْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآدَمُتَيْنَا الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿اتَّبَعُوهُمَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كُنَّيْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ مَا أَمْرُنَاهُمْ بِهَا ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ فَعَلُوهُمَا ﴿آيَةً رَضَوْنَ﴾ مرضاة ﴿اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إِذْ تَرَكَهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَكَفَرُوا بِدِينِ عِيسَى، وَدَخَلُوا فِي دِينِ مُلْكِهِمْ، وَبَقِيَ عَلَى دِينِ عِيسَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَأَمْنُوا بِبَنِيهَا ﴿فَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهِ ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِعِيسَى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ﴾ مُحَمَّد ﷺ وَعِيسَى ﴿يُؤْتِكُمْ كَقُلُوبِ﴾ نَصِيحِينَ ﴿بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ لِإِيمَانِكُمُ بِالنَّبِيِّينَ ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ عَلَى الصِّرَاطِ ﴿وَيُغْفِرُ لَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ﴾ أَي: أَعْلَمَكُمْ بِذَلِكَ، لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بِمُحَمَّد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مَخْفِقَةً مِنَ التَّجَلُّلِ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ النَّسَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلَافَ مَا فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَحِبَّاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ رِضْوَانِهِ ﴿وَأَنَّ أَفْضَلَ بَيْدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يَعْطِيهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فَاتَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، كَمَا تَقْدِمُ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ الْعَظِيمِ﴾.<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(٥) مَا جَاءَ فِي نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أُنْزِلَ النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ مَلُوكٌ حُدَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَدَلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ، قِيلَ لِمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِدُ شَيْئًا أَشَدَّ مِنْ شَيْءٍ يَشْمُونَهُ هَؤُلَاءِ؛ إِنَّهُمْ يَقْرَءُونَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَرْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْآيَاتُ، مَعَ مَا يَعْبُونَهَا فِي أَعْمَالِنَا فِي قِرَائَتِهِمْ، فَادْعَهُمْ فَلْيَقْرَأُوا كَمَا نَقْرَأُ، وَلِيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا، فَدَعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَوْ يَرَكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مَا بَدَلُوا مِنْهَا. فَقَالُوا: مَا تَرِيدُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ، دَعَوْنَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا أَسْطُورَةً ثُمَّ اقْرَأُوا لَهَا ثُمَّ اعْطُوا شَيْئًا نَرَفَعُ بِهِ طَاعَتَنَا وَشَرَابَنَا فَلَا نَرُدَّ عَلَيْكُمْ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: دَعَوْنَا نَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَنَهَيْهِمْ وَنَشْرِبُ كَمَا يَشْرَبُ الْوَحْشُ، فَإِنْ قَدَرْنَا عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْبَلُوا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الْفَيَافِي، وَنَحْتَفِزُ الْآيَارَ وَنَحْتَرِثُ الْبِقُولَ فَلَا نَرُدَّ عَلَيْكُمْ وَلَا نَمُرُّ بِكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَّا وَلَهُ حَمِيمٌ فِيهِمْ. قَالَ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَبْرَأَ اللَّهُ ﷻ عَنْ شَرِكِهِمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ نَحِطَ رَجُلٌ مِنْ صُومَعَتِهِ، وَجَاءَ سَالِحٌ مِنْ سِيحَاتِهِ، وَصَاحِبُ الدِّبْرِ مِنْ دِيرِهِ، فَأَمَّا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَقَالَ اللَّهُ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَتَقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ. يُؤْتِكُمْ كَقُلُوبِ بَيْنَ رَحْمَتِهِ. أَجْرَيْنَ: لِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى وَبِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّد ﷺ وَتَصَدِّقِهِمْ. قَالَ: ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ الْفَرَانُ وَالتَّابِعُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يَشْفَهُونَ بِكُمْ: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ. النَّسَائِيُّ. كِتَابُ آدَابِ الْقَضَاءِ (٤٩) بَابُ (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

## سُورَةُ التَّجَادُلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ  
مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنَّ أُمَمَهُنَّ إِنَّ أُمَمَهُنَّهُمْ إِلَّا الَّتِي  
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ  
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ  
لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ نَسَاءُ ذَلِكَ تَوْعَظُونَ  
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ  
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ نَسَاءُ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ  
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
كَيْتُوكُمْ كَأَكْبِتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ  
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئِلَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

## سُورَةُ التَّجَادُلِ

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿١﴾ فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ تُرَاجِعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار مؤجبه فُرقة مؤبدة، وهي خولة<sup>(١)</sup> بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحدتها وافتقارها وصبية، صغارا؛ إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجمكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم<sup>(٢)</sup>.

[٢] ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أصله يظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى<sup>(٥)</sup>: ﴿كَيَقَاتِلُونَ﴾، والموضع الثاني<sup>(٦)</sup> كذلك ﴿مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنَّ﴾ نَسَاهُمْ مَاهُنَّ أُمَمَهُنَّ إِنَّ أُمَمَهُنَّهُمْ إِلَّا الَّتِي بَهْمَزَ وَيَاءَ وَيَلَا يَاءَ<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾ من نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا؛ أي: فيه؛ بأن يخالفوه بامسك المظاهر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعاقها عليه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ نَسَاءُ﴾ بالوعدة ﴿ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقة ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ نَسَاءُ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصيام ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه؛ أي: من قبل أن يتم نساء؛ حملا للمطلق على المقيد؛ لكل مسكين مئذ من غالب قوت البلد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَتِلْكَ الْآيَاتُ الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم<sup>(٨)</sup>.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كَيْتُوكُمْ كَأَكْبِتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في مخالفتهم رسوله ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئِلَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن حويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعتق رقبة». قالت: لا يجد. قال: «فيصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينا» قالت: ما عنده شيء يتصدق به. قالت: فأنتي ساعطة بعزقي من تمر. قلت: يا رسول الله، فأنتي أعينه بعزقي آخر. قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عتق ستين مسكينا» وارجعي إلى ابن عمك». قال: والعزق ستون صاعا. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والعزق ستون صاعا». صحيح سنن أبي داود (١٩٣٤).

(١) ويقال لها أيضا: «خويلة» بالنصغير.

(٢) العلم عبر السمع والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المراتب، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - شيخنا ..

(٣) أي: ﴿يَظْهَرُونَ﴾، وهي قراءة نافع وإسكندر وعمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللاتي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بَعْلَمُهُ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿وَلَا حُمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا يَتَشَاوَرُونَ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَؤُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْتَجِبُونَ بِالْإِنْفِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم؛ أي: تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ﴾ أيها النبي ﴿يَمَّا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ يَمَّا نَقُولُ﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيا؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي <sup>(٢)</sup>.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنْتَجِبُوا بِالْإِنْفِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنْجِبُوا بِالْبِرِّ وَالْقَوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ بالإنم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغروره ﴿لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ هُوَ﴾ يضاروهم شيئا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ <sup>(٣)</sup> مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَتَسْأَلُوا يَسْأَلُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وإِذَا قِيلَ﴾ [انثروا] ﴿قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات﴾ [فانثروا] <sup>(٤)</sup>، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ دَرَجَتٍ﴾ في الجنة ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حُمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا يَتَشَاوَرُونَ يَمَّا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَؤُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْتَجِبُونَ بِالْإِنْفِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ يَمَّا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ يَمَّا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنْتَجِبُوا بِالْإِنْفِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنْجِبُوا بِالْبِرِّ وَالْقَوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاسْأَلُوا بَسْخَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ دَرَجَتٍ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «ألو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم»، فأقول الله ﷻ: ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ يَمَّا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسمم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) الهني عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بداته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَانْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبداء الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup> أي: خفتم من أن تقدموا بين يدي نوح نوح صدقت لفقركم ﴿لَإِذَا لَرْتُمْ تَقْعَلُوا﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: داوموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هم المنافقون ﴿قَوْمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَتُوبُ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه<sup>(٢)</sup>.

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَتَخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّوْا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَكُنْ﴾ من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ استخوذوا عليهم الشيطان ﴿فَأَسَدُّهُمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إن الذين يخادون الله ورسوله وأولئك في الآذنين ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنَا وَرُسُلِي﴾ الله قوي عزيز<sup>(٣)</sup>.

[١٩] ﴿أَسْتَعِذُّ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسَدُّهُمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخَادُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْدَانِ﴾ المغلوبين.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَا تُطِيعُكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدْ مُوَابِّينَ يَدَى جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَرْتُمْ تَقْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمُ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ اتَّخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَالَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧﴾ لَنْ تَنفَعِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾ اسْتَحْذَوْا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَاسَدُّهُمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْدَانِ ﴿٢١﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٌ﴾ ذلك خير لكم وأطهر ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَرْتُمْ تَقْعَلُوا﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني: تجدوا.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيئك رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أزرى، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في المسند (١٧/٤، ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٤٨/٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعاً.

[١٢٢] ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَوْ أُنْسَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿أَي: الْحَادُّونَ: مَن يَصَادِقُونَ بِالسُّوءِ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا وَقَعَ لِمَجَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١) - .  
﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ لَا يُوَادُّونَهُمْ ﴿كَتَبَ﴾ أُنْتُبْتُ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ بِدُورٍ ﴿فَمَنْهُ﴾ نَعَالِي ﴿وَيَدْعُلَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَتَهُ (٢)﴾ وَرَضُوا عَنْهُ بِثَوَابِهِ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الْفَائِزُونَ.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾

## سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٣﴾

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ قَضَى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الْخُرُوجَ مِنَ الْوِطَنِ (٣) ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّ، كَمَا فَعَلَ بِقَرِيظَةَ مِنَ الْيَهُودِ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

## سُورَةُ الْحَشْرِ

[مدنية، أربع وعشرون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: نَزَّهَهُ، فَالْإِلَهِ الْمَزِيدُ، وَفِي الْإِتْيَانِ بِ«مَا» تَغْلِيظٌ لِلْأَكْثَرِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي مَلِكِهِ وَصَعْدِهِ.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هُم: بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مَسَاكِنُهُمْ بِالْمَدِينَةِ ﴿لِلأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هُو: حَشْرُهُمْ إِلَى الشَّامِ (٣)، وَأَعْرَضَهُ: أَنْ أَجْلَاهُمْ عَمْرٍ فِي خِلَافَتِهِ إِلَى خَيْبَرَ (٤) ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾ خَيْرٌ (أَنْ) ﴿حُصُونُهُمْ﴾ فَاعْلَمْ، بِهِ تَمَّ الْخَيْرُ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ﴾ أَي: أَمْرُهُ وَعَذَابُهُ ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لَمْ يَخْطُرْ بِأَلْفِهِمْ، مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَقَذَفَ﴾ أَلْقَى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا (٥): الْخَوْفُ؛ بِقَتْلِ سَيِّدِهِمْ كَعَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ (٦) مِنْ: «الْخَرْبُ» ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لِيَنْقُلُوا مَا اسْتَحْسَنُوا مِنْهَا، مِنْ خَشَبٍ وَغَيْرِهِ ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَعْرَجَ الْبَحَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ حَبِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ... سُورَةُ الْحَشْرِ. قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ. الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ الْحَشْرِ (٥٦) بَابُ (١).

(١) كَاتِبِي عَيْلَةٍ بِنِ الْجَرَّاحِ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ أَحُدَ، وَمَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ قَتَلَ أَخَاهُ عَيْيِدَ بْنِ عَمِيرٍ يَوْمَ أَحُدَ، وَعَمْرٌ قَتَلَ خَالَهَ الْعَاصِيَّ بْنَ هِشَامٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وَعَلِيٌّ وَحِمْرَةُ قَتَلَا عَتَبَةَ وَشَيْعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ.

(٢) كَانَ الْمُفْسِّرُ يَرِيدُ تَأْوِيلَ رِضَا اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوُفُوقِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَهَذَا خِلَافُ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَغَيْرِهَا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَلَاقِ.

(٣) اتَّفَقَ الْمُفْسِّرُونَ عَلَى أَنَّ «أَوَّلَ الْحَشْرِ» هُو: إِخْرَاجُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ.

(٤) هَذَا سَبَقَ قَلَمُ أَوْ سَهْوٌ مِنَ الْمُصَنِّفِ كَمَا لَمْ يَذْكُرْهُ، وَصَوَابُهُ: «مِنْ خَيْبَرَ» حَيْثُ إِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَجْلَاهُمْ مِنْ خَيْبَرَ وَجَمِيعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، إِلَى أَذْرَعَاتِ وَأَرْبَعَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ. وَتَفْسِيرُ الْحَشْرِ الثَّانِي بِذَلِكَ هُوَ قَوْلُ مَرَّةٍ الْهَشْدَانِي. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُو: إِلَى أَرْضِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَبْلَ ذَلِكَ.

(٥) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ الْكَسَايَ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٦) بِالتَّشْدِيدِ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو.

(٧) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي (الْمُؤَاطَنِ).

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ إيل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار<sup>(١)</sup> لفقيرهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» ﴿فَلْيَلْزِمُوا﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَالرُّسُولَ﴾ ولذي ﴿وَالَّذِينَ﴾ قرابة النبي، من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَأَنْ تَكُونُوا﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس، وله الباقي ﴿كُنْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونُ﴾ الفيء؛ علة لنفسه كذلك ﴿دَوْلَةً﴾ متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ينقسمون ﴿وَمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿الرُّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَحْذَرُوا﴾ فحذروا ﴿وَمَا تَنْهَكُمْ عَنْهُ فَأْتُوا﴾ وَأَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا<sup>(٢)</sup> ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: الفداء، وهم الأنصار ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يَجْعَلُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسداً ﴿وَمِمَّا أَرْثَوْا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ عَلَى أَصُولِهَا فَيَاذَنْ اللَّهُ وَلِيخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجْعَلُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَرْثَوْا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[٤٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥٦] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لَبَنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ نَزَعْتُمْهَا﴾ قايمة على أصولها فيأذن الله، أي: خيركم في ذلك ﴿وَلِيخْزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر الشمر فساد.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا قايمة على أصولها فيأذن الله﴾ قال: البينة: النخلة. ﴿وَلِيخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتر كنا بعضاً، فلنسال رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا قايمة على أصولها﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يصفيه الليلة بريحه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فومئيم، وتعالى فأطعني السراج ونظوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله ﷻ. أو ضحك. من فلان وفلانة، فأثّر الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري. التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يملك بن حرسة، وشهبل بن حنيفة، والحاتر بن الضمعة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلاً.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿هَذَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، فالعنى: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.



﴿كَانَ﴾ أي: «أَنَّهَا» فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَوَ لَيْسَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَرَأَيْتُمْ خَشِيعَةً مُنْصَدِعَةً﴾ منثقفا ﴿وَمِنْ خَشِيعَةٍ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الْمَذْكُورَةُ﴾ نصريها للناس لعلهم يتفكرون ﴿فِيُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿مُورِثُ الثَّرَى الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿الْقَلَمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة لهم<sup>(١)</sup> ﴿الْمُهَيِّمُ﴾ من هيمن بهيمن؛ إذا كان رقيبا على الشيء؛ أي: الشهيد على عبادته بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُنْكَرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث<sup>(٢)</sup>، و«الحسنى» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

\*\*\*

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ أَوَ لَيْسَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتُمْ خَشِيعَةً مُنْصَدِعَةً مِّنْ خَشِيعَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الْمَذْكُورَةُ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْحُسْرِ

[١٧] ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ<sup>(١)</sup>: بالرفع؛ اسم

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسماً منها.





﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وَتُقْسَطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ العادلين<sup>(١)</sup>.

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَثَامٌ إِنَّ جَنَّتْكُمْ أَلْعُورُ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ الْمُنَافِقُونَ﴾ بالسنتهن ﴿مُهَاجِرِينَ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فَأَمْتَحِنُوهُمْ﴾ بالخلف على أنهم ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأرواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يُحْلِفُهُنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْنُيْنَ﴾ فَإِنْ عَمَسُوهُنَّ ظَنَّتْهُنَّ بِالْخَلْفِ ﴿مُؤَيَّنَاتٍ مَلَّ تَرْجُوهُنَّ﴾ تردوهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وَأَتَوْهُنَّ مِنْ الْمَهْرِ ﴿وَمَا أَنْفَقُوا﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن<sup>(٢)</sup> ﴿مَّا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بِشْرَطِهِ﴾ إِذَا عَمَسُوهُنَّ مُجْرِمَاتٍ ﴿وَمَا أَنْفَقُوا﴾ بالشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup> ﴿بِعِصْمِ الْكَافِرِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَّا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد. من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَهُنَّ مَآ أَنْفَقُوا﴾ على المهورات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَرَنْ فَاذْكُرْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ فغزوهم وغنمهم ﴿فَمَا تَوَلَّوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْزَاقُهُمْ﴾ من الغنيمة ﴿مَثَلُ مَا أَنْفَقُوا﴾ لغوائه عليهم من جهة الكفار ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَشْرَبَهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم<sup>(٥)</sup>.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْنُيْنَ فَإِنْ عَمَسُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوا مَّا أَنْفَقُوا وَلَيْسَ لَهُنَّ مَآ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابِتُ قَاتِلُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْزَاقُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ﴾ إشارة ﴿حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ بدل اشتمال من «كم»<sup>(١)</sup> بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أتني أمي وهي رغبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلهما؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأُتِيَ رسول الله ﷺ. فقال: فيها: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان والمصور بن مخزومة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم ما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُنَافِقُونَ﴾ فَمَتَّحِنُوهُنَّ مَهْجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْنُيْنَ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى - أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجه، وحكم على المسلمين أن لا يسكروا بعصم الكافر - أن عمر طلق امرأتين: قريظة بنت أبي أمية، وابنة جرو. فزوج قريظة مدوية، وتزوج الأخرى أبو جهل، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهن أنزل الله - تعالى -: ﴿وَرَنْ فَاذْكُرْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ مِمَّا كُنْتُمْ﴾. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللائي هاجرن. وما تعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «لكنهم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾

## سُورَةُ الصَّافِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ لِي تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

صَفًّا: حال؛ أي: صافين ﴿كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾: ملزق بعضهم إلى بعض، ثابت.

[٥] ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ لِي تُوذُونِي﴾: قالوا: إنه آدر؛ أي: منتفخ الحصية، وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَدْ﴾: للتحقيق (٥) ﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: الجملة حال، والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين في علمه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيتنا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؛ وهبنا أن يقوم أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، حتى جمعنا، فجعل بعضنا يشير إلى بعض، فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾. قال: ففلاها من أولها إلى آخرها. أحمد. المسند (٥/٤٥٢)، والترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦).

(١) كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ... فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات؛ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلاماً، ولا والله، ما شئت بذه يد امرأة قط في المبايع؛ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦). وعند النسائي وغيره من حديث أمية بنت رقيقة: «إني لا أصافح النساء»، وهو في صحيح سنن الترمذي. (٣٨٩٧). فهذا الحديث دليل صريح على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية؛ لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول ﷺ في قوله. تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ عِزًّا» [الأحزاب: ٢١].

(٢) سبق التعليل على ذلك بأن الأولى التعميم في متعلق الحكمة، وليس تخصيصها بصنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٣) يشير إلى ما جاء عن محمد بن كعب في سبب نزول الآية، قول طائفة من الصحابة بعد ما سمعوا مدح الجهاد؛ فقالوا: «ولئن لقينا قتالاً لثغر عرق فيه وسعنا» ففروا يوم أحد؛ فعظمهم الله بعباده الآفة.

(٤) تفسير محبة الله لعباده بالحرص والإكرام والإلانة ونحو ذلك، من التأويل المذموم وصرف للفظ عن ظاهره، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ على الوجه اللائي به، ومن لا رمها نصرة وإكرام وثابة من يحبهم.

(٥) راسع التعليق على آية [١٠٣] من سورة النحل، في دخول «قد» على الفعل المضارع.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾: كما كان يفعل في الجاهلية، من وأد البنات؛ أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: بولد ملفوط، ينسبه إلى الزوج، ووُصِفَ بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾: هو ما وافق طاعة الله؛ كترك النجاسة، وتزويق الشباب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعَهُنَّ﴾: فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يضاف واحدة منهن (١١) ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود ﴿قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾: من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ﴾: الكائنون ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: أي: المقبورين، من خير الآخرة؛ إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

## سُورَةُ الصَّافِيَةِ

مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: نزهه، فاللام مزيدة، وجيء بـ«ما» دون «مَنْ» تغنيًا لأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه (٢).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: إذ انهزمتم بأحد (٣).

[٣] ﴿كَبُرَ عَظَمَ مَقْتًا﴾: تمييز ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: فاعل «كَبُرَ» ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾: ينصر ويكرم (٤) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾.

الْإِنشَاءَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

[٨] ﴿يُرِيدُنَّ يُطْفِئُوا﴾ منصوب بـ«أن» مقدرة، واللام مزيدة ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿يَأْفُوهُمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ مُنِمْ﴾<sup>(١)</sup> مظهر ﴿نُورِهِ﴾ وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يُطَهِّرُهُ﴾ عليه ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك<sup>(٢)</sup>.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَمٍ تُجِيعُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، فكانهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَمٍ تُجِيعُكُمْ﴾ تأفكروا أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فافعلوه.

[١٢] ﴿تَقَرُّوْا﴾ جواب شرط مقدّر أي: إن تفعلوه يغفر لكم ذنوبكم ويُدخلكم جنّ تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنّ عدن ذلك أفقر العظم.

[١٣] ﴿وَمَا يَكْفُرُ الْكَافِرُ﴾ يؤمنون بالنعمة ﴿أُخْرَىٰ تَحْتَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ﴾

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> لديه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كَأَنَّ قَالَهُ﴾ الخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ للحواريين من أنصاره إلى الله<sup>(٥)</sup> أي: من الأنصار الذين يكونون معي، متوجّها إلى نصرته الله؟ ﴿فَالِكُ الْخَوَارِئُونَ﴾ نحن أنصار الله والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الخوَر، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى<sup>(٦)</sup>، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدَانَا﴾ فوينا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمُ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَسْبَحُوا طَاهِرِينَ﴾ غاليين.

\*\*\*

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَنْ ظَلَمَ مِنْ أَقْرَبَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مُمِيتُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدَانَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة<sup>(١)</sup> ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا﴾ هذا: أي: الحجة به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجاني به ﴿مُبِينٌ﴾ تبيين.

[٧] ﴿وَمَنْ ظَلَمَ﴾ أي: لا أحد ﴿أَشَدَّ ظُلْمًا﴾ ممن أقرّب على الله الكذب بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر وهو يدعى إلى

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأهن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك ناسأ. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم بعث الله ريحا طيبة فزفني كل من في قلبه متقال حية خرجد من إيمان، فبقي من لا خير فيه، فخرجوا إلى دين أبيهم. مسلم - كتاب الفتن وأشراف الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس دا الحليصة.

(١) قال الشيخ عبد الزواق عفيفي رحمه الله في تعليقه على الجلالين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكيرا لهم بأبيهم يعقوب، ليستعمل بذلك قلوبهم إلى سلوك منهج أبيهم...

(٢) لحزمة والكسائي.

(٣) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعثة، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «ممن نوره».

(٤) بالنشدان قراءة ابن عامر.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «أنصار الله».

(٦) في نسخة القاضي: «يعيسى ابن مريم».



[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مألوفهم دون الله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿يَقَالُ﴾ كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١٢) (١٣).

### سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[مدنية، إحدى عشرة آية] (\*\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بالسنتهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.

[٢] ﴿أَتَقْبَلُونَهُمْ﴾ ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم (١) ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿يَأْتِيهِمْ ءَامِنًا﴾ باللسان ﴿شُرَّ كُفْرًا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُغِيَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَلَا يَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿[خُشِبَتْ]﴾ بسكون الشين وضمها (٢) ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تضاع؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيع دماءهم ﴿هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾ فكذبوا ﴿فَنُكِّلَ لَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿أَنْتَ يَوْمَ تَكُونُ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان!؟

يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

### سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنُشْهَدَنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَتَأْمَنُّهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ ءَامِنًا ثُمَّ يَنْكُرُوا عَلَيْهِمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَلَا يَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكَذَبُوا فَكَذَبَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يَكُونُ

[٩] ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوا عهده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكروا ﴿كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير وضرب لقدميها الطبل (١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة.

(٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عبد رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولكن رجعنا من عنده ليخرجنا الأعرس منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو بعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فإصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره الغوي في تفسيره عن مقاتل، وفسر مجاهد الله بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.

(٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل الجواز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.

(٣) في نسخة القاسمي: «فيه».

(٤) يسكنونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿خُشِبَتْ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا﴾ معتذرين ﴿سَتَقْبِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْأُ﴾ بالتشديد والتخفيف (١) عطفوا ﴿رُئُوسُهُمْ وَرَأَتْهُمْ يُصْذُونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستغفار عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُبْعَثُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق (٢) للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَهْلُهَا مِنَ الدِّينِ﴾ عتوا به أنفسهم ﴿وَمِنَ الْأَذَلِّ﴾ عتوا به المؤمنين (٣) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ﴾ تشلكنكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ﴾ عن ذِكْرِ اللَّهِ ﴿الصلوات الخمس﴾ (٤) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مِمَّا رَزَقَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصداق؛ تصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحجج؛ قال ابن عباس (٥) ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (٦).

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والياء (٧).

\*\*\*

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُبْعَثُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضاً: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمنت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعَثُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم سياقاً أتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) هي نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قتل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عني بالأعر نفسه الحبيطة ومن معه من المنافقين، وبالألذ رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين. والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومسايقه، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمثل. والنتيجة للمطلوب بأهم حرياته؛ لأن ذكر الله أهم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أهم من الزكاة، والصلاح أهم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفْسَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يبيّنكم ويبيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْهِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿يَأْتِيهمْ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَتْ قُلُوبُهُمْ رُشْلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَكُذِّبُ﴾ أريد به الجنس ﴿عَبَدُونَا فَكُفَرُوا وَقُولُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْتَفْتَى اللَّهَ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿أَنْ يَغْتَوُوا قُلُوبَ بَنِي وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَتَنُوبَنَّ﴾ بما علمتم وذلك على الله يسير.

[٨] ﴿فَتَأْتُوا اللَّهَ وَرُسُلِهِمُ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ أَرْسَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾ يعني المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يَجْعَلِ لَهُمُ اللَّهُ مَخْرَجًا وَسَعَةً﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> بالنون في الفعلين ﴿جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفْسَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْهِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا فَكُفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَلَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَتَنُوبَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَعَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمُ وَالنُّورَ الَّذِي أَرْسَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

### سُورَةُ النَّجْمِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان عشرة آية]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ«ما» دون «من» تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) لنافع وابن عامر؛ أي «نكفر»، و«ندخله».



[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فِي قَوْلِهِ﴾ إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ البين.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَمَقُّوهُمْ﴾ عنهم في تنبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٥)</sup>.

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرت به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لَّأَنفُسِكُمْ﴾ خير «يكن» مقدرة؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تُقِرُّوهُ لَاقِرًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَوِّقُهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿يَضَعُفُهُ﴾ بالثبديد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهِدَةُ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

\*\*\*

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا لَئِنْ نَفْسُكُمْ مِنْ يَوْقِ شُحِّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقِرُّوهُ لَاقِرًا حَسَنًا يَضَعُفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهِدَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

### سُورَةُ الطَّلَافِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أناس قد فقهوا في الدين عموماً أن يعاقبهم، فأقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التائِبِ. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لآمين كثير وابن عمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ فَمَسْكُوهُنَّ بَعْرُوفٍ أَوْ قَارُوهُنَّ بَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي تَرِيحُضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظَمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان<sup>(١)</sup> ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ زنا ﴿فَتَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ بفتح الياء وكسرها<sup>(٢)</sup>؛

يُسْتَأْذَنُ أَوْ يُبَيَّنُ، فَيُخْرِجْنَ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِنَّ ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ﴾ قارب انقضاء عدتهن ﴿فَمَسْكُوهُنَّ بَعْرُوفٍ﴾ أتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه، أو له ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [بالغ أمره]<sup>(٣)</sup> مراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾ ميقانًا.

[٤] ﴿وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين<sup>(٤)</sup> ﴿يَسْتَنْ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي تَرِيحُضْنَ﴾ لصغرهن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أمّا هُنَّ فعدتهن ما في آية: ﴿يَرِيحُضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظَمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عبد البخاري: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فنهيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «ليراجعها، ثم يكسها حتى تطهر، ثم تحيض فطهر؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسيها؛ ففلك الدعة كما أمر الله ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بالغ أمره».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر بهمزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمزة منهم قالون وقبيل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالسالكين البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَقِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَتِمُّوا بَيْتَكُمْ بِمَعْرِفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ دُونَ سَعْيِهِ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكِلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۚ وَكَانَ مِنْ قَرَبَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَاسْتَبَنَّا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا ۚ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا ۚ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۚ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرًا لِمُخْرَجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

\*\*\*

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيِّقُوا عَلَيْهِمْ﴾ المساكن فيحتجج إلى الخروج؛ أو: النفقة، فيفتد منكم ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَقِمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَاتُّوهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ على الإرضاع ﴿وَأَتِمُّوا بَيْتَكُمْ﴾ وبهين ﴿بِمَعْرِفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتن في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَرِّضْ لَهُمْ﴾ للأب ﴿أُخْرَى﴾ ولا تكرر الأم على إرضاعه.

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمريضات ﴿دُونَ سَعْيِهِ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يَكِلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتح.

[٨] ﴿وَكَانَ﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿مِنْ قَرَبَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَنَّتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فاستبنتها في الآخرة، وإن لم تجز؛ لتحقق وقوعها ﴿حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا﴾ يسكون الكاف وضمها<sup>(١)</sup>؛ فظلياً، وهو عذاب النار.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا﴾ خساراً وهلاكاً.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدرة؛ أي: وأرسل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرًا﴾ بفتح الياء وكسرها<sup>(٢)</sup> كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعمها.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

## سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَى مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَلْبَسْنَ عِيْدَاتٍ سِيَّحَاتٍ تَحِيطُ بِثَبِيتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧﴾

## سورة التحريم

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من أميتك مارية القبطية؛ لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام عليّ» ﴿تَبَتَّغَى﴾ بتحرّجها ﴿مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكُمْ﴾ أي: رضاهن ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تخليها؛ بالكفارة المذكورة في سورة «المائدة»<sup>(١)</sup>، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفر؟ قال مقاتل: أعنت رقية في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفر؛ لأنه مَغْفُورٌ له ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

[٣] ﴿وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ هي حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: «لا تفشي» ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ﴾ عايشة؛ ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ على المنبأ به ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ حفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرر منه ﴿لَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ﴾ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمِ الْحَبِيرُ ﴿أَي: الله﴾.

[٤] ﴿إِنْ تَوْبَا﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى تحريم مارية؛ أي: سرّكما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلُ، وأطلق «قلوب» على قلبين ولم يعبر به؛ لاستفحال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ يادغام التاء الثانية في الأصل في الطاء<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة بدونها؛ تعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل ﴿مَوْلَاهُ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنهما - معطوف على محل اسم «إن»، فيكونون ناصريه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَاهِرٌ﴾ ظهوره؛ أعوان له في نصره عليهما<sup>(٤)</sup> [٥] ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿وَأَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ بالشدّيد والتخفيف<sup>(٥)</sup> ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ خبر «عسى»، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل؛ لعدم وقوع الشرط ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ مقرات بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات ﴿قَنَاطَاتٍ﴾ مطيعات ﴿تَلْبَسْنَ عِيْدَاتٍ سِيَّحَاتٍ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿تَحِيطُ بِثَبِيتٍ﴾.

[٦] ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرًى أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها؛ أي: أنها مفرطة الحرارة تنقد، بما ذكر، لا كبار الدنيا، تنقد بالحطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ خزنتها، عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في «المذثر» ﴿غِلَاطٌ﴾ من: غَلَطَ القنب «شِدَادٌ» في البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ بدل من لفظ الجلالة؛ أي: لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بالاستئتمار دون قبولهم.

[٧] ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار؛ أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عدها غلاً، فواصبت أنا وحفصة أن أئتنا دخن عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت غلاً عند زينب ابنة جحش، ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ حديثاً. قوله: شربت غلاً. البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).

وأخرج النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرما على نفسه، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى آخر الآية. السائي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن النسائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: «وهدد خلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحرّجه ... والراجع من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن». انظر: [الزائغ (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجري ما جرى، فحلف ألا يشربه وأمر بذلك إلهما، ونزلت الآية في الجميع. اهـ. (٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيراً منكن» فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(١) الآية (٨٩).

(٢) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنبه بفضل الصاحبين خاصة، والله أعلم.

(٣) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف. ﴿وتظاهرا﴾.

(٤) بالشدّيد قراءة نافع وأبي عمرو.

[٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة<sup>(١)</sup> صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُرْجِيَ تَقَعُ﴾ أَنْ يُكَبِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ ﴿بَسَاتِينَ﴾ يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ بِإِدْخَالِ النَّارِ ﴿الَّتِي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ﴾ أَمَامَهُمْ ﴿وَرُ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والمقت ﴿وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين؛ إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح واسمها «واهلة» تقول لقومه: إنه مجنون. وامرأة لوط واسمها «واعلة» تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً؛ بإيقاد النار ونهاها بالتدخين ﴿فَلَزَّ يَغِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهَا مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿وَسَيِّئًا وَقِيلَ﴾ لهما: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ أمنت بموسى، واسمها (آسية)، فعذبها فرعون، بأن أودت يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحي عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها من وُكِّل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكُثِفَ لها فرأته، فنهَل عليها التعذيب ﴿وَنَجَّيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتعبه ﴿وَنَجَّيْ مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب<sup>(٢)</sup>.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ﴿أَبْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل، حيث نفخ في نجيب درعها، بخلق الله - تعالى<sup>(٣)</sup> - فعله الواصل إلى فرجها، فحملت بعمسى ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شراعه ﴿وَكُتِبَ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْآفَنِينَ﴾ من القوم المطيعين.

\*\*\*

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَزَّ يَغِيَا عَنْهَا مِنَ اللَّهِ وَنَجَّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْآفَنِينَ ﴿١٢﴾

(١) بالضم قراءة شعة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: «بخلق الله تعالى»: متعلق بـ «فننفخنا»، وكان المقام للإضمار بأن يقول: «بخلقنا»، وفعله: أي: فعل جبريل، وهو: النفخ. ومعنى: خلقه: إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

## سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقْوَىٰ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَا نَاجِمَاتٍ لِلشَّيْطَانِ وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرُ ۝ إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝

## سُورَةُ الْمَلِكِ

[مكية، ثلاثون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ تنزهه عن صفات المحدثين<sup>(١)</sup> ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) هائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة مرهقة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل - كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، وتباركه؛ على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاضم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل بصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وحلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانها ناذف فيما أمره وقضاؤه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده أي»: «في تصرفه» يكون مضطرباً كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تنزهه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، وهما يسا في التصرف. فتؤس بهذه الصفة لله ﷻ وتنبها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوحده، وهو ضد الحياة، وذهب آخرون إلى أنه أمر عدمي؛ أي ليس شيئاً يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالحق؛ يخقه الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) بعضها قراءة الكسائي.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا؛ فالنطفة تعرض لها الحياة؛ وهي ما به الإحساس، والموت؛ ضدها، أو: عديمها<sup>(١)</sup>؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿يَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْقُدُورُ﴾ لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض، من غير مماسة ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لهن: أو: لغيرهن ﴿مِنْ تَقْوَىٰ﴾ تباین وعدم تناسب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق؟ [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرة بعد كرة ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً؛ لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع عن رؤية خلل.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصْبِيحٍ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَا نَاجِمَاتٍ﴾ مراجم ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن يفصل شهاب عن الكوكب، كالقيس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخيله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار الموقدة.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرِ هي.

[٧] ﴿إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً منكراً كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرئ: «تَتَمَيَّزُ» على الأصل تنقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضباً على الكافر ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ينذركم عذاب الله - تعالى؟.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب، وأن يكون من كلام الكفار للثائر.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكون الحاء وضمها<sup>(٢)</sup> ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبته عن أعين الناس؛ فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجنة.

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُ أَزْوَاجَهُمْ﴾ إِنَّهُ تَعَالَى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد<sup>(١)</sup>.

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون، أي: أيتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للشيء فيها ﴿فَاتَشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَلِلَّهِ الشُّكْرُ﴾ من القبور للجزء.

[١٦] ﴿وَأَمِنُوا﴾ بتحقيق الهزئين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً<sup>(٢)</sup> ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته<sup>(٣)</sup> ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميكم بالحصىاء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاناة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذارى بالعذاب؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرًا﴾ المعنى: ألم يستدلوا بنبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟.

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من «هَذَا» ﴿هُوَ جُدُّكُمْ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ إِلَّا فِي غُرُورٍ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَكُمْ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرفعكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿وَبَلَّ لُجُوجًا﴾ تهادوا ﴿فِي غُرٍّ﴾ تكبر ﴿وَيَقُورُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَبْشَى مُبْكَيًا﴾ واقفا ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَبْشَى سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى؛ أي: أهدى، والممثل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة العو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شبحاته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسِرُّوا قُلُوبَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۚ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُدُّكُمْ يَضْرِبُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُورٍ ۝ أَفَنْ يَبْشَى مُبْكَيًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَبْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

بعض المتجربين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الحراة على الله وعلى آياته.

### سُورَةُ الْقَائِرَةِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنْ لَّكَ لَآخِرًا عَذَابٌ مَّتُونٌ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنْ لَّكَ لَمَلٌ خُلِيٌّ﴾ دين ﴿عَظِيمٌ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصِرْ وَبَصِرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أهلك أم بهم؟

[٧] ﴿وَأَنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وَأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَاؤُكُمْ﴾ نغما ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» فدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مُهَيِّجٍ﴾ حثير ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب؛ أي: مغتاب ﴿مُتَّسِمٍ بِنَيْمٍ﴾ ساج بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَّخِرٍ﴾ ظالم ﴿أَيْمٍ﴾ آثم. [١٣] ﴿عَتَلٌ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ﴾ ذم في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين سنة، قال ابن عباس<sup>(٤)</sup>: لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارا لا يفارقه أبداً، وتعلق بـ«رنيم» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه. [١٥] ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَبْنَانَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطَى الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كذب بها لإلغائها عليه بما ذكر، وفي قراءة<sup>(٥)</sup>: ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾

### سُورَةُ الْقَائِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَ وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَخْرًا عَذَابًا مَّتُونًا ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسْتَصِرْ وَبَصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُواؤُكُمْ تَدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَيْمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ مُتَعَدِّ أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ عَابِدَانَا ﴿١٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ تَنْكُرُونَ أَنْ يَعْبُدُكُمْ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي الْخُلُوفِ ﴿٢٠﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً ﴿سَيِّئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي: قال الحزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقيق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(١)</sup>، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟ [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارية؛ تسالها<sup>(٢)</sup> الأيدي والدلاء كماحكم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يعبدكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث<sup>(٣)</sup>، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تسال» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ﴾، قال: رجل من قريش، له زمة مثل زمة الشاة. والزمة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشو كما تعرف الشاة برنمها.

(٥) لحزمة وشعة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهزلة الثانية.



[١٦] ﴿سَمِعْنَا عَلَى الْآرْتُورِ﴾ سنجعل على أنفه علامة، يُعَرِّبُهَا مَا عَاشَ، فَخُطِمَ أَنْفُهُ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

[١٧] ﴿إِنَّا بِأَلْوُنُهُمْ﴾ امتحننا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَّوْنَا أَهْلَ الْبَلَدِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْبَرُوا قِصْرَهُنَّ﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُضْمِجِينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَوُونَ﴾ في يمينهم بمشيئة الله - تعالى -، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَمْسَبَتِ كَالضَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[۲۱] ﴿فَنَادُوا مُصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ اعْبُدُونِي﴾ غَلَبَكُمْ، تفسير لـ«تنادوا» أو «أَنْ» مصدرية؛ أي: بَأَنْ كُنْتُمْ صَرِيحِينَ ﴿مَرِيدِينَ الْقَطْعَ﴾، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[۲۳] ﴿فَانْطَلِقُوا فِيهِ يَنْخَفُون﴾ يتسارون.

[٢٤] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مُنْكَرِينَ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْبٍ﴾ منع للفقراء ﴿قَدَرِينَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُمَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لما علموها: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثمرتها، بمنعنا لفقراء منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم.

[۳۰] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ﴾.

[۳۱] ﴿قَالُوا يَا﴾ للتنبیه ﴿وَيَلَنَّا﴾ هلاکنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَغِين﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا﴾ بالتشديد والاختفيف <sup>(١)</sup> ﴿خَيْرًا مِّنَّا إِنَّا لَك رَبَّاتٌ رَّغِيذُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيرا من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيرا منها.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ونزل لما قالوا: إِنْ بُعِثْنَا نُعْطَى أَفْضَلَ مِنْكُمْ: ﴿إِنْ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٣٥] ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء.

[۳۶] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[۳۷] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ﴿لَكُمْ﴾ كِتَابٌ ﴿مَنْزِلَ﴾ ﴿فِيهِ تَذَرُوسُونَ﴾ أي: تقرؤون؟.

[۳۸] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْنَا بَلْعَةً﴾ وثيقة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسنة الصحيحة، وإنما يبتزئونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - مُبْتَحَاةً -، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...»

الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

- [٥٠] ﴿فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.  
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿بِأَصْبَرِهِ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّهُمْ لَمُتُونَ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.  
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

## سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أتت من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك.  
 [٢] ﴿مَا لَهَا قَدَرٌ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الحاقة» <sup>(٢)</sup>.  
 [٣] ﴿وَمَا أَزِيدُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا لَهَا قَدَرٌ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لدأدرى.  
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.  
 [٥] ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالْقَارِعَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة.  
 [٦] ﴿وَأَنَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَائِيَةً﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.  
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسها بالقهقير ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَكْنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء <sup>(٣)</sup> ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شُبَّهَتْ بتتابع فِعل الحاسم، في إعادة الكي على الداء كزة بعد أخرى، حتى ينحسم.  
 ﴿فَزَيَّ الْقَوْمَ فِيهِ صَرْيَ﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَصْنَارٌ﴾ أصول ﴿تَعَلَّيَ حَاوِيَةً﴾ ساقطة فارعة.  
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدرة <sup>(٤)</sup>، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقٍ؟ لا.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّيَ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا لَهَا قَدَرٌ ﴿٢﴾ وَمَا أَزِيدُكَ مَا لَهَا قَدَرٌ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَائِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَكْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ لَخَالِ بَلَخٌ ذَرْأَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرَهَّقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق. [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟ [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَعَمَّ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟ [٤٨] ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس <sup>(١)</sup> ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا في بطن الحوت.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّيَ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أدركه ﴿رَحْمَةً﴾ لكنه رُجِمَ فليذ غير مذموم. [٥٠] ﴿وَالْعَرَاءُ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُجِمَ فليذ غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والحبر: خبر «الحاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يُصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

[٩] ﴿وَيْلٌ مِّنْ فَتْرَةٍ مِّنْ فَتْرَةٍ﴾ أي: أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِالْقَابِلِينَ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.  
[١٠] ﴿مَقْصُورٌ رَّسُولٌ رَّبِّهِمْ﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَلَنَضَعُهمْ لِنُذْرَةٍ رَّابِيَةٍ﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا نَلْقَى الْآلَمَةَ﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿مَحْمُكٌ﴾ يعني أباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي الْبَارِيَةِ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لَنُذَكِّرَ﴾ أي: هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَنُذَكِّرَ﴾ عظة ﴿وَنُنَبِّئُ﴾ ولت حفظها ﴿أَذُنٌ وَدِيعةٌ﴾ حافظه لما تسمع.  
[١٣] ﴿فَإِذَا نُبِّئُ فِي الْقُصُورِ نَفْثَةً وَجِدَةً﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.  
[١٤] ﴿وَنُحِلَّتْ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مَذْكُومًا﴾ دقا ﴿وَجِدَةً﴾.

[١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.  
[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَيْ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً﴾ ضعيفة.  
[١٧] ﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّتَنِيَةً﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لَا تَحْفَظُ ﴿بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ﴾ ﴿يَسْكُرُ حَافِيَةً﴾ من السرار.

[١٩] ﴿فَأَذِّنْ مِّنْ أَوْتٍ كَيْدَمٌ يَّسِيرٌ﴾ يَقُولُ ﴿خَطَابًا لِّجَمَاعَتِهِ لِمَا شَرُّ بِهِ: هَؤُلَاءِ﴾ خذوا ﴿أَفَرَأَوْ كَيْدِيَّةً﴾ تنازع فيه «هَؤُلَاءِ» و«أَفَرَأَوْ»<sup>(٢)</sup>.

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُنْجِيٌّ حَسِيَّةً﴾ تَقْنُتُ ﴿أَنِّي مُنْجِيٌّ حَسِيَّةً﴾.  
[٢١] ﴿فَهَرُّ فِي عَيْشَةٍ رَّاسِيَةٍ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

[٢٣] ﴿فَقُطِّعَتْ لَهَا شَآئِرُهَا﴾ دَانِيَةً ﴿قَرِيْبَةً﴾ يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثَا﴾ حال؛ أي: منتهين ﴿بِمَا أَشْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَا ﴿لِلنَّبِيِّ﴾ لَتُنْتَبِي لَرَأَوْتُ كَيْدِيَّةً.

[٢٦] ﴿وَلَرَأَوْتُ مَا حَسِيَّةً﴾.

[٢٧] ﴿يَلْتَنِي﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتْ أَلْقَاضِيَّةً﴾ القاطعة لحياتي، بَأَن لَا أَبْعَثُ.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ فوتي وحجتي، وهاء «كتابه» و«حسابه» و«ماله» و«سلطانيته» للسكرت تثبت وقتاً ووصلاً؛ اتباعاً للمصحف الإمام

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة: ﴿قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معمول واحد. والعاملان هنا هما: «هَؤُلَاءِ» و«أَفَرَأَوْ»، والمعمول هو: «كتابه»؛ فأيهما أعلمت، فيقدر للآخر مفعوله، وقد أعمل الثاني عند البصريين، والأول عند

الكوفيين، وأضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والمشرقة، وهو يعقوب.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤَيَّنَاتُ بِالْحَاطَةِ ﴿نَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَآخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أَذُنٌ وَدِيعةٌ﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْثَةٌ وَجِدَةٌ ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَجِدَةً﴾ ﴿فِيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَيْ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّتَنِيَةً﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ أَكْيَادِي ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُنْجِيٌّ حَسِيَّةً﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاسِيَةٍ ﴿فِي حَتَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ قُطِّعَتْهَا دَانِيَةً ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَشْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَلْتَنِي لَرَأَوْتُ كَيْدِيَّةً ﴿وَلَرَأَوْتُ مَا حَسِيَّةً﴾ يَلْتَنِيهَا كَانَتْ أَلْقَاضِيَّةً ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ

والنقل<sup>(٤)</sup>، ومنهم<sup>(٥)</sup> من حذفها وصلاً.

[٣٠] ﴿خُذْرُهُ﴾ خطاب لخرنة جهنم ﴿فَعْلُوهُ﴾ اجتمعوا يديه إلى عنقه في الغُل.

[٣١] ﴿قُرُ الْمَجِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿سَلُّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿قُرُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الضِّلَك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

يَنْ أَحَدٍ هُوَ اسْمُ «مَا»، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النْفِي، وَ«مِنْكُمْ» حَالٌ مِنْ «أَحَدٍ»  
 «عَنْهُ حَاجِرِينَ» مَانِعِينَ، خَيْرُ «مَا»، وَجُمِعَ؛ لِأَنَّهُ «أَحَدٌ» فِي سِيَاقِ النْفِي بِمَعْنَى  
 الْجَمْعِ، وَضَمِيرُ «عَنْهُ» لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَيُّ لَا مَانِعَ لَنَا عَنْهُ، مِنْ حَيْثُ الْعِقَابُ.  
 [٤٨] «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَذْكُرَنَّ لِمَنْ تَقِيَنَّ». [٤٩] «وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ  
 مِنْكُمْ» أَيُّهَا النَّاسُ «شُكَّائِينَ» بِالْقُرْآنِ، وَمُصَدِّقِينَ. [٥٠] «وَإِنَّهُ» أَيُّ:  
 الْقُرْآنُ «لَنَحْصِرَنَّ عَلَى الْكَافِرِينَ» إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمُصَدِّقِينَ، وَعِقَابَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ  
 «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَحْقُقَنَّ الْيَقِينَ» أَيُّ: لِلْيَقِينِ الْحَقَّ. [٥١] «فَسَبِّحْ» نَزْهُ  
 «وَاسْمُ» زَائِدَةٌ (٧) «رَبِّكَ الْعَظِيمِ» سُبْحَانَهُ.

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «سَأَلَ سَائِلٌ» دَعَا دَاعٍ «بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».  
 [٢] «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ» هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ (٤)، قَالَ: «اللَّهُمَّ  
 إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» الْآيَةُ (٥).  
 [٣] «مِنْ» اللَّهُ مُتَّصِلٌ بِوَقَائِعِ «ذِي الْمَعَارِجِ» مُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ  
 السَّمَاوَاتُ.  
 [٤] «تَنْزِيلُ» بَالِئُ الْبَاءِ (٦) «الْمَلَكُ وَالرُّوحُ» جِبْرِيلُ «إِلَيْهِ» إِلَى  
 مَهْبِطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٧) «فِي يَوْمٍ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَيُّ: يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ  
 فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ «كَأَنَّهُ يَفْجَرُهُمْ حَمِيمِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، لَمَا يَلْقَى  
 فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَحْفَظَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يَصْلِيهَا فِي  
 الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (٨).  
 [٥] «فَاصْبِرْ» وَهَذَا قَبْلُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ «صَبْرًا جَبِيلًا» أَيُّ: لَا جَزَعٍ  
 فِيهِ.  
 [٦] «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ» أَيُّ: الْعَذَابَ «بَعِيدًا» غَيْرَ وَاقِعٍ.  
 [٧] «وَرَنَّهُ قَرِيبًا» وَاقِعًا لَا مُحَالَةً.  
 [٨] «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ أَيُّ: يَقَعُ «كَالْنَهْلِ» كَذَابُ  
 الْفُضَّةِ.  
 [٩] «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» كَالصُّوفِ؛ فِي الْخِفَةِ وَالطَّرِيانِ بِالرَّيْحِ.  
 [١٠] «وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا» قَرِيبٌ قَرِيبَهُ؛ لِاشْتِغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ (١) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٢) فَلَا أَقْسَرُ  
 بِمَا تُبْصِرُونَ (٣) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٤) إِنَّهُ يُقُولُ رَسُولٌ كَرِيمٌ (٥) وَمَا هُوَ  
 يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ (٦) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ (٧)  
 (٨) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (١٠)  
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١١) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١٢) فَمَا مِنْكُمْ  
 مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ (١٣) وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِمَنْ تَقِيَنَّ (١٤) وَإِنَّا  
 لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (١٥) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٦)  
 (١٧) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (١٨) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (١٩)

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)  
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ  
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا  
 (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَرَنَّهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ  
 كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا (١٠)

[٣٥] «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ» قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ. [٣٦] «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ»  
 صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرُ فِيهَا. [٣٧] «لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ»  
 الْكَافِرُونَ. [٣٨] «فَلَا» «لَا» زَائِدَةٌ «أَقْسَرُ» بِمَا تُبْصِرُونَ. مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.  
 [٣٩] «وَمَا لَا تُبْصِرُونَ» مِنْهَا؛ أَيُّ: بِكُلِّ مَخْلُوقٍ [٤٠] «إِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ  
 «لَقَدْ رُسِلَ رَسُولٌ كَرِيمٌ» أَيُّ: قَالَهُ رَسُولُهُ عَنْ اللَّهِ - تَعَالَى - [٤١] «وَمَا هُوَ يَقُولُ»  
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ. [٤٢] «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ» بَالِئُ  
 الْبَاءِ (٦) فِي الْفَعْلَيْنِ، وَ«مَا» مُزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ بَسِيرَةٍ  
 وَتَدَّكُرُوهَا، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْعَقَابِ فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ  
 شَيْئًا. [٤٣] «بَر» هُوَ «نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ». [٤٤] «وَلَوْ تَقَوَّلَ» أَيُّ: النَّبِيُّ  
 «عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ» بَأَن قَالَتْ عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ. [٤٥] «لَأَخَذْنَا مِنْهُ لُيْلًا»  
 «مِنْهُ» عَقَابًا «بِالْيَمِينِ» بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (٧). [٤٦] «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»  
 نَبَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ عَرَقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. [٤٧] «فَمَا مِنْكُمْ

(١) بَالِئُ الْقِرَاعَةِ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامَرٍ فِي الْفَعْلَيْنِ: «يُؤْمِنُونَ»، وَ«يَدَّكُرُونَ».

(٢) تَفْسِيرُ الْيَمِينِ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خِلَافَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَعَدُولٌ بِهِ عَنْهُ، وَلَوْ قَالَ: لِأَنَّهُ أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، أَوْ أَقْوَى، لَكَانَ أَوْضَحَ وَأَظْهَرَ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَمِينِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِي بِهِ، وَكَلَّمَا يَدِيهِ سُبْحَانَهُ يَمِينٌ. كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

(٣) أَيُّ: الْبَاءُ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَيْسَ لَفْظُهُ «اسْمُ».

(٤) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

(٥) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

(٦) بَالِئُ الْقِرَاعَةِ الْكَسَائِي.

(٧) وَهَذَا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُعْطَلَةِ الَّتِي يَنْفُونَ عَنْهُ عَلَى اللَّهِ - شُبْحَانَهُ - بِذَاتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَفِي الْآيَةِ إِثْبَاتُ عُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى اللَّهِ - شُبْحَانَهُ -

(٨) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، وَضَعْفُهُ الْأَلْفَانِي، وَانْظُرِ التَّعْلِيلَ عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٥) مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ.

يُصْرَوْنَهُمْ<sup>(١)</sup> أَي: يبصر الأجناء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يُؤَذِّمُ الْمَكْفَرُ<sup>(٢)</sup>﴾ بمعنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَمِّدُ﴾ بكسر الميم وفتحها<sup>(٣)</sup> ﴿يَنْبِيهِ<sup>(٤)</sup>﴾.  
 [١٢] ﴿وَصَحْبِيَّتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَلِيَّتِهِ<sup>(٥)</sup>﴾.  
 [١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿أَلَى تَوْبَةٍ﴾ تضمه.  
 [١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يقندي».  
 [١٥] ﴿كَلَّا﴾ رد لما يؤذيه ﴿إِنَّمَا﴾ أي: النار ﴿لَطْفِي﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تلطفي؛ أي: تلهب على الكفار.  
 [١٦] ﴿نَزَاعَةُ لِلشَّيْءِ﴾ جمع «شواة»، وهي جلدة الرأس.  
 [١٧] ﴿تَقْوَا مَنْ أَدْرَأَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إلى إلي.  
 [١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَرْعَى﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.  
 [١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدره، وتفسيره:  
 [٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت ممل الشر.  
 [٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت ممل الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.  
 [٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.  
 [٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مواظبون.  
 [٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.  
 [٢٥] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيحرم.  
 [٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ﴾ الجزاء.  
 [٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.  
 [٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله.  
 [٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لَوْمَةٍ رَبِّهِمْ حَافِظُونَ﴾.  
 [٣٠] ﴿إِلَّا عَلَى آذَانِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَلَا تَنْهَى غَيْرَ مُلَوِّينَ﴾.  
 [٣١] ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَرَأَى ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.  
 [٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup> بالإفراد؛ ما اتسموا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَعُونَ﴾ حافظون.  
 [٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ﴾<sup>(٧)</sup> وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.  
 [٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.  
 [٣٥] ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمَةٍ﴾.

[٣٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَّغْ﴾ نحوك ﴿مُطْعِمِينَ﴾ حال؛ أي: مدعي النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَزِينَ﴾ حال - أيضاً؛ أي: جماعات جلقاً جلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لمن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

[٣٨] قال - تعالى: ﴿أَيُّطْعَمُ كُلُّ تَمْرٍ يَنْهَى أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَبِيٍّ﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نطف، فلا يُطمع بذلك في الجنة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لاين كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

## سُورَةُ نُوحٍ

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْهُمْ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُم دَلِيلٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار.
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾
- [٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو: تبعضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَوَخِّرْكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ بعدابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يَخِرُّ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ﴾ «عَازَاهُمْ» لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَأَسْتَغْشَوْا يُتَابِعُهُمْ﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَكَبرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَكَبرَا﴾.
- [٨] ﴿فَدَعَا إِلَىٰ دَعْوَتِهِمْ جِهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا﴾.

## سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ إِنِّي كُنتُ مِنْكُمْ مُّزْمِيًا ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِدْجَاءَ لَا يُخِرُّ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ فِي عَازَاهُمْ ﴿٧﴾ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكَبرُوا اسْتَكَبرَا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١١﴾

[٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيمْ رَبِّكَ الْغَرْبَ وَالْمَغْرِبَ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدْرَدُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿غَيْرًا نَفْعًا وَمَا تَحْتَنُّ يَسْتَبِينَ﴾ معاجزين عن ذلك.

[٤٢] ﴿فَدَرَهُمْ﴾ أتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمِزُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَرَكَنًا﴾ إلى الحشر ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُورِضُونَ﴾ يسرعون.

[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُ رَهَقَهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

\*\*\*

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نَصَبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يصروني».

[١١] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وكانوا قد مُنِغَوْهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدور.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئْكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية.

[١٣] ﴿لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تأمّنون وقار الله إياكم بأن تؤمّنوا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطَوْرًا: علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ تَرَوَاهُمْ﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أبائكم آدم منها ﴿تِبَاقًا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُبْعِدُكُمُ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسطة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِي جِبَالٍ﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَرَّ رِزْدَهُ مَالَهُ﴾ [وَوَلَدَهُ<sup>(١)</sup>] ﴿وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ﴾ المتكلم عليهم بذلك، و«ولده» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولده» بفتحهما ك«خشب»، و«خشب»، وقيل: بمعنى ك«بخل»، و«بخل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الرُّؤَسَاءُ ﴿مَكْرًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا جدًّا، بأن كذبوا نوحًا وأذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة: ﴿لَا تَدْرُءُ الْهَيْكَلُ﴾ وَلَا تَدْرُءُ وَكَا ﴿بِفَتْحِ الْوَاوِ وَضَمِّهَا<sup>(٢)</sup>﴾ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كِبِيرًا﴾ من الناس، بأن أمرهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ<sup>(٣)</sup>﴾.

[٢٥] ﴿مِمَّا﴾ «ما» صلة ﴿[خَطَايَاهُمْ]<sup>(٤)</sup>﴾ وفي قراءة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أَغْرَقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء<sup>(٥)</sup>.

﴿فَلَمَّا يَجِدُوا هُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يمتنعون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ أي: نازل دار،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئْكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ الْتَرَوَاهُمْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ثُمَّ يُبْعِدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَرَّ رِزْدَهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ الْكَابِرُ﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ الْهَيْكَلُ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كِبِيرًا وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمَّا يَجِدُوا هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَدْرُءُ إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

والمعنى: أحذرا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَدْرُءُ إِلَّا فَاجِرًا كَفَرًا﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيعاء إليه.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

\*\*\*

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «وَوَلَدَهُ» بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «[خَطِيئَتِهِمْ]» بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من الجانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نازًا؛ فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

## سورة الجين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝  
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ  
وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ  
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ  
اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَا مِلْكًا حَرَسًا  
شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن  
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْهُ شَهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ  
بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ  
وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ  
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى  
آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ ۖ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ۝

## سورة الجين

[مكية، ثمان وعشرون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أنخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل<sup>(١)</sup> (موضع بين مكة والطائف)،

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ اليوم ﴿بِرَبِّنَا﴾ أسأ.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزهه جلالة وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ﴾ يستعذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُفْنَا استراق السمع ﴿فَوَجدْنَا مِلْكًا حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ نجومًا مخرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾ أُرْصِد له ليرى به.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا﴾ فرقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ؛ بتقدير: ﴿هو﴾ بعد الفاء ﴿بَحْسًا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا؛ بالزيادة في سيئاته.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حين بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما بكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعو إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبت يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩). و«بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليشتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.



[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ يَهْتَمُّونَ بِحُطْبَاتِ﴾ وقودا، وأَنَّهُمْ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ في اثني عشر موضعا؛ هي: ﴿وَأَنَّهُمْ عَنَّا﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استنثاء، وبفتحها<sup>(١)</sup> بما يوجه به.

[١٦] قال - تعالى - في كفار مكة: ﴿وَأَنَّهُمْ لَمُخْفَفَةٌ مِنَ الْغَبِيلَةِ﴾، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أَنَّهُ استمع» ﴿لَوْ اسْتَقْبَلُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ كثيرا من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لِنُفْيِتَنَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علم ظهور ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ القرآن ﴿تَنسَلْهُ﴾ بالنون والياء<sup>(٢)</sup>؛ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقا.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبمعهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ بالفتح، والكسر<sup>(٣)</sup> استنثاء، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبد، يبطن نخل<sup>(٤)</sup> ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها<sup>(٥)</sup>؛ جمع لبدة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحامًا، حرصًا على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿إِنَّا﴾ ﴿مَجِئِينَ بِالْكَافِرِ فِي قَوْلِهِمْ﴾ أرجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي إِلَهًا﴾ ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غيا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيرا.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَصِدًا﴾ ملتجئا.

[٢٣] ﴿وَلَا بَلَاغًا﴾ استثناء من مفعول «أَمْلِكُ»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرَسُولِي﴾ عطف على «بَلَاغًا»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَإِنْ تَنَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلَيْنِ﴾ حال من ضمير «مَنْ» في: «لَهُ»؛ رعاية لمنها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَقًّا﴾ إذا رَأَوْا فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَنَسْتَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَن أضعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعوانًا، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ أي: ما أَذْرِي أَقْرَبَ مَّا تُوعَدُونَ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَّهِ رَبًّا أَمَدًا﴾ غاية وأجلا لا

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب به<sup>(٦)</sup> عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَن أَرْزَقْنِ مِن رَّسُولِي فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ رصدا ﴿مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ﴾ حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿وَرَسَلْنَا رُسُلَهُمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدَّر؛ أي: فعلنا ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محمول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

\*\*\*

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الصواب: «تَحْلَةً» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿فَوَيْلٌ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسبات حذف «به».

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَسَدٌ﴾ [وَطَاءٌ] <sup>(١)</sup> موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أبين قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَاجِدًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تنفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك <sup>(٢)</sup> ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبَيَّلًا﴾ مصدر «تبَّلت»، جيء به رعاية للفاصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] ﴿هُوَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلِكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقتلوا بعد يسير منه بيد.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيودًا ثقلاً؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة.

[١٣] ﴿وَكَلَّمَآذَا غَضَبًا﴾ يغضب في به الخلق، وهو: الرُّقُوم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسلين، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجُلُ الْأَرْضَ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مَهِيلاً﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: تهؤول؛ استقبلت الضمة على الياء فقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنُ الْأَرْسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيبًا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرٌ﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِوَاءٍ﴾ بذلك اليرم لشدة ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفية ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالآيمان والطاعة.

## سُورَةُ الْمَرْيَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَرْيَمُ ﴿١﴾ قَرِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفُهُ وَأَوْفَضْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَزَلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْرَبُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَاجِدًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذُعْبًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَصَصَّى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴿١٧﴾ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾

## سُورَةُ الْمَرْيَمِ

[مكية: أو: إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْيَمُ﴾ النبي، وأصله: «المرزمل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المتلفف بشباه حين مجيء الوحي له؛ خوفاً منه لهيبته.

[٢] ﴿قَرِ اللَّيْلُ﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نَضْفُهُ﴾ بدل من «قليلًا»، وقتته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَوْفَضْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثالث، و«أو» للتخيير ﴿وَرَزَلِ الْقُرْآنَ﴾ ثبتت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرآنًا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيبًا، أو: شديدًا؛ لما فيه من

(١) هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (ووطئ) يفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وطيئاً.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.

[٢٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ أَقْلٍ ﴿١﴾ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَيُبْضِيهِ وُتَيْدٌ﴾ بالجر عطف على «ثلاثي»، والنصب (١) على «أدنى»، وقامه كذلك، نحو ما أورد به أول السورة ﴿وَمَا كُنَّا بِمِنكَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل، وكـم بقي منه؛ فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر؛ فخفف عنهم قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْذُرُ﴾ يحصي «الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه «أَنْ تَحْضُوهُ» أي: الليل؛ لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَقَابَ عَلَيْهِ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَقَرُّوا مَا نَبِّئُكَ مِنَ الْفُرْقَانِ﴾ في الصلاة، بأن تصلوا ما تبسر ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه «سَيَكُونُ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» يطلبون من رزقه؛ بالتجارة وغيرها ﴿وَأُخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تبسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (٢) ﴿فَقَرُّوا مَا تَبْسُرُ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرِضًا فَحَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ مما خلفتم، وهو «فصل، وما بعده» (٣) وإن لم يكن معرفة؛ يشبهها؛ لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَعْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

[مكية، خمس (٤) وخمسون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ النبي ﷺ، وأصله المدثر، أدغمت لئلا في الباء، أي: المتلف بشيابه، عند نزول الوحي عليه. [٢] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ خوف أهل مكة النار، إن لم يؤموا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظم عن إشراك المشركين. [٤] ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم بخيلاء؛ فرما أصابتها نجاسة. [٥] ﴿وَالْزَّيِّغُ﴾ فسر النبي ﷺ بالأوثان (٥). ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: دم على هجره. [٦] ﴿وَلَا تَسْأَلْ سُبْحَةَكَ﴾ بالرفع حال؛ أي: لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأحمل الأخلاق وأشرف الآداب. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على الأوامر ولنوحي. [٨] ﴿فَإِذَا يُقِرُّ فِي الْتَوَارُفِ﴾ نفع في الصور، وهو: القرن، النسخة الثانية. [٩] ﴿فَذَلِكِ﴾ أي:

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرففت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذرني، فأقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْزَّيِّغُ فَاهْجُرْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان» البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما: «نصفه وثلثه».

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: أليست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقدم النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها التي عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

(٣) وهو قول تعالى: (خير)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إما جاز الإتيان به هنا بين معرفة وكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين. إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أفعال التفضيل «خير» يشبه المعرفة.

(٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢٧٥/٢) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦١) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) أي: إلى مؤثون تنوين عوض عن الجملة، وهو: «إذ» في: «يومئذ».

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلَاثِيَّةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تَبَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوٌّ وَأُخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تَبَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَعْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ فَرَأَيْدِرُ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾ وَالْزَّيِّغُ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَسْأَلْ سُبْحَةَكَ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ وَإِذَا يُقِرُّ فِي الْتَوَارُفِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَزِيسٌ ﴿١٠﴾ ذَرِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهْمِيدًا ﴿١٤﴾ تَرْضَعُ أَنْ أَرِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَا يَلِيتُنَا عَيْنِدَا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

وقت النحر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله؛ المبتدأ، ويأتي لإضافته إلى غير متمكن (١)، وخبر المبتدأ: ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ والعامل في «إذا» ما دلت عليه الجملة؛ أي: اشتد الأمر. [١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَزِيسٌ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين؛ أي: في عسره. [١١] ﴿ذَرِي﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من «مَنْ»، أو: من ضميره المحذوف، من «خلقت»؛ أي منفرداً بلا أهل ولا مال، هو: الوليد بن المغيرة المخزومي. [١٢] ﴿وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا﴾ واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة. [١٣] ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المخالف، وتسمع شهاداتهم. [١٤] ﴿وَمَهْدَتْ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعمر

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٣﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ﴿٤﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٥﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴿٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٧﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٩﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تُنذَرُ ﴿١٠﴾ وَأَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿١١﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿١٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْدهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٣﴾ لَيْسَتِ الْيَقِينُ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا إِزَابًا ﴿١٤﴾ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿١٥﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿١٦﴾ وَإِنِّي إِذَا أَدْبَرْتُ فَأَلْصِقُ إِذَا أَسْفَرْتُ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا أَخَذَى الْكُفْرَ نَبِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿١٨﴾ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿١٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٢٠﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسْتَبْشِرُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَوْلَا نُنْزِلُكَ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَوْلَا نُنْزِلُكَ نُنْطَعِمُ الْمُسْكِينِ ﴿٢٥﴾ وَكُنَّا نَحْضُوعٌ مَعَ الْحَافِظِينَ ﴿٢٦﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٧﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٢٨﴾

والولد ﴿١٥﴾ وَهَيْجًا ﴿١٦﴾. ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٧﴾. كَلَّا ﴿١٨﴾ لا أزيدُه على ذلك ﴿١٩﴾ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا الْقُرْآنَ عِندًا ﴿٢٠﴾ معاندا ﴿٢١﴾ سَأُرْهِقُهُمْ أَكَلْفَهُ صَعُودًا ﴿٢٢﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلا من نار، يصعد فيه ثم يهوي أبداً.

[١٨] إِنَّهُ فَكَّرَ ﴿١٩﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿٢٠﴾ وَفَدَّرَ ﴿٢١﴾ في نفسه ذلك. [١٩] فَقِيلَ لَعَنَ وَعَذِبَ ﴿٢٢﴾ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢٣﴾ على أي حال كان تقديره. [٢٠] ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢١﴾. ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢٢﴾ في وجهه قومه، أو فيما يقدح به فيه. [٢٢] ثُمَّ عَبَسَ ﴿٢٣﴾ قبض وجهه وكَلَجَهُ ﴿٢٤﴾ ضيقاً بما يقول ﴿٢٥﴾ وَوَسَّوَسَ ﴿٢٦﴾ زاد في القبض والكُلُوح. [٢٣] ثُمَّ أَدْبَرَ ﴿٢٤﴾ عن

الإيمان ﴿٢٥﴾ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٦﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] فَقَالَ ﴿٢٥﴾. فيما جاء به: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿٢٦﴾ هَذَا إِلَّا بَغْزٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٧﴾ ينقل عن السحرة. [٢٥] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿٢٦﴾ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٧﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُهُمُ الشَّرُّ﴾ (١). [٢٦] سَأَصْلِيهِ ﴿٢٧﴾ أدخله ﴿٢٨﴾ سَقَرٍ ﴿٢٩﴾ جهنم. [٢٧] وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٨﴾ تعظيم لشأنها. [٢٨] لَا تُبْقَى وَلَا تُنذَرُ ﴿٢٩﴾ شيقاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. [٢٩] وَأَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿٣٠﴾ مُحَرَّقة لظاهر الجلد. [٣٠] عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿٣١﴾ ملكاً خزنتها؛ قال بعض الكفار وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين (٢).

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَنْدهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لَيْسَتِ الْيَقِينُ﴾ لَيْسَتِ الْيَقِينُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يُزِيلُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك بالمدينة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته بذلك، وأعرب حالاً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكبر هذا العدد، وهدى مُصَدِّقُهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة؛ في قوتهم وأعمالهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾.

[٣٢] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾. [٣٣] ﴿وَإِنِّي إِذَا أَسْفَرْتُ﴾ بفتح الذال ﴿إِذَا أَدْبَرْتُ﴾ جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إِذَا أَدْبَرْتُ﴾ بسكون الدال بعدها همزة، أي: مضى. [٣٤] ﴿وَأَلْصِقُ إِذَا أَسْفَرْتُ﴾ ظهر.

[٣٥] ﴿إِنَّمَا﴾ أي: سقر ﴿لَا أَخَذَى الْكُفْرَ﴾ البلاء العظيم. [٣٦] ﴿نَبِيرًا﴾ حال من «إحدى»، وذكرُ لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلْبَشَرِ﴾. [٣٧] ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدل من «البشر» ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. [٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. [٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون، فنانجون منها. [٤٠] كانوا ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بينهم. [٤١] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. [٤٢] ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾. [٤٣] ﴿قَالُوا لَوْلَا نُنْزِلُكَ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْلَا نُنْزِلُكَ نُنْطَعِمُ الْمُسْكِينِ﴾. [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَحْضُوعٌ﴾ في الباطل ﴿مَعَ الْخَافِضِينَ﴾. [٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ البعث والجزاء [٤٧] ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ الموت.

وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سمة: أي اقتران أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّازِعَةُ﴾. فقلت: أينبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾، فقال أبو سمة: سألت حابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّازِعَةُ﴾. فقلت: أينبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾. فقال: لا أجرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الم نشر (٧٤) باب (١). قال الحافظ: «المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة الم نشر» الأولية مخصوصة بما بعد فرة الوحي، أو مخصوصة بالآمر والإندار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة». [الفتح ٥٤٨/ ٨]. وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ﴾. كما صرح به في حديث عائشة.

(١) المحل. ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأشد أسيد بن كلبه بن خلف الجمحي. كما في تفسير البخري وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قرينة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقيعة السبعة: ﴿إِذَا أَدْبَرْتُ﴾ بسكون الدال بعدها همزة.

[٤٨] ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه<sup>(١)</sup> ﴿عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن التذكرة؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَوْ كُنَّا نُؤْمِنُ لِرُفُوكَ حَتَّى نُنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذَكَّرُ﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والفاء<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

### سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمْ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: ليتعن، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿أَنَّ تَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ للبعث والإحياء؛ [٤] ﴿بَلْ﴾ نفي جماعها ﴿فَدِيرُ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿يَسْتَلْ أَثَانَ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِنَّا يَرَى الْقَهْرُ﴾ بكسر الراء وفتحها<sup>(٤)</sup>؛ ذهش وتغير، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَهْرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. [٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضؤوهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْ﴾ لا ملجأ ينجصن به. [١٢] ﴿إِنِّي رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرَّ﴾ المستقر الخلاق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يَبْنُو الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يَمًا قَدَمٌ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. [١٤] ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرَهُ﴾ جمع

فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴿فَاللَّهُمَّ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿كَلَّا لَإِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿٥٥﴾

### سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَعَلَ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرَ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَهْرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرْ ﴿١١﴾ إِلَى رَيْكُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْنُو الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يَمًا قَدَمٌ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ رُفُوءُهُ أَنَّهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَعَ فَأُنَافَهُ ﴿١٨﴾ فَوَيْلٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾

«معذرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - لنبية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانُكَ لَتَعَجَلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَرُفُوءُهُ أَنَّهُ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَوَيْلٌ قَرَأْتَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَأَتَعَ قَرَأْتَهُ﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿فَوَيْلٌ لَّنْ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها<sup>(٥)</sup>.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٦ - ١٩): أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه الوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأقول الله الآلة التي في ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَلَ بِهِ﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: علينا أن نجتمع في صدرك وقراءته أن تقرأه ﴿فَوَيْلٌ قَرَأْتَهُ فَأَتَعَ فَأُنَافَهُ﴾ فإذا أنزهه فاستمع ﴿فَوَيْلٌ لَّنْ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ علي أن نبيه بلسانك، قال: فكأن أنه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً، حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.

(٢) الإسراء: ٩٣.

(٣) نالء قراءة نافع.

(٤) بالنفتح قراءة نافع.





[٣١] ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ﴾ جنته<sup>(٣)</sup>، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، بفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

### سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرف الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالْمُنْزِلَاتُ نَزْرًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتُ فَزًّا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمُنْيَتُ ذَكْرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى - وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: بضم ذال «تذراً»، وقرئ<sup>(٥)</sup>: بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُعْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب لا شيء. كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا الْجُحُمُ طُمَسَتْ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْبُيُوتُ تَبَيَّنَتْ﴾ فُتَّتْ وَشُيِّرَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا أَرْتُلُّوا تُؤْتَتْ﴾ بالواو، وبالهمزة<sup>(٦)</sup> بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿لِيَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: ليوم عظيم ﴿أُجِلَّتْ﴾ للشهادة على أمتهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ تَنْهَ الْأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؛ أي: أهلكتناهم.

[١٧] ﴿وَتُمْنِمُ تَبِعَهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ممن كذبوا ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمَنْ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣٢﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أُمُرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمَثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٦﴾

### سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالْمُنْزِلَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتُ فَزًّا ﴿٤﴾ فَالْمُنْيَتُ ذَكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ﴿٧﴾ فَإِذَا الْجُحُمُ طُمَسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتُ ﴿١١﴾ لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَنْهَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبِّعْهُمْ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَيَنْ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَهُمْ﴾ قوتنا ﴿أَمَرْنَاهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا﴾ جعلنا ﴿أَمَثَلَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ»<sup>(١)</sup>، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء<sup>(٢)</sup>، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها واني لأتلقها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أكلوها» فابتلناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنه.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فثبتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لدافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بغيره السبعة: «أقنت» بالهمزة.



- [٢٠] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿١٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعَفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِزَّةً رُزْنَ ﴿٢٦﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ أَلْمُتِّقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كَلُوا وَتَتَعَوَّأُ قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزِيُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾
- [٢١] ﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ كَتَبَ يَظْلَهُمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يَرُدُّ عَنْهُمْ شَيْئًا ﴿بِشَرِّ اللَّهَبِ﴾ النَّارِ.
- [٢٢] ﴿بِشَرِّ النَّارِ﴾ تَجْزِي بِشَرِّهَا هُوَ مَا تَطَارَى مِنْهَا ﴿كَالْقَصْرِ﴾ مِنَ الْبِنَاءِ فِي عَظَمَةِ وَارْتِفَاعِهِ [٢٣] ﴿كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعَفٌ﴾ جَمْعُ: «جَمَالَةٌ» جَمْعُ: «جَمَل»، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿رَجُلٌ ضَعَفٌ﴾ فِي هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَفِيرِ»<sup>(١)</sup>، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الْإِبِلِ: صُفْرًا؛ لِشُوبِ سَوَادِهَا بِصَفْرَةٍ، فَقِيلَ: «صَفْرٌ» فِي آيَةِ بَعْضِ سُودٍ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ: وَقِيلَ: لَا، وَ«الشَّرُّ» جَمْعُ: «شَرٌّ»، وَ«الشَّرَارُ» جَمْعُ «شَرَارَةٍ»، وَالْقِفَرُ: الْقَارُ»<sup>(٢)</sup>.
- [٢٤] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٢٥] ﴿هَذَا﴾ أَيُّ: يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فِيهِ بَشْيٌ.
- [٢٦] ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ﴾ فِي الْعَذْرِ ﴿فَعِزَّةً رُزْنَ﴾ عَظْفٌ عَلَى «يُؤَدِّنُ»، مِنْ غَيْرِ تَسْبِيغٍ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حِيزِ النَّفْيِ؛ أَيُّ: لَا إِذْنَ فَلَا اعْتِدَارَ.
- [٢٧] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٢٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمَكْذِبُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْمَكْذِبِينَ قَبْلَكُمْ، فَتَحَاسِبُونَ وَتُعَذِّبُونَ جَمِيعًا.
- [٢٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿فَكِيدُوا﴾ فَافْعَلُوا.
- [٤٠] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٤١] ﴿إِنْ أَلْمُتِّقِينَ فِي ظُلُلٍ﴾ أَيُّ: تَكَاثُفِ أَشْجَارٍ، إِذْ لَا شَمْسٌ يُظِلُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُؤْمِنُونَ نَابِعَةٌ مِنَ الْمَاءِ.
- [٤٢] ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فِيهِ إِعْلَامُ بِأَنَّ الْمَأْكُلَ وَالْمَشْرَبَ فِي الْجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَيَحْسَبُ مَا يَجِدُ النَّاسَ فِي الْأَغْلَبِ.
- [٤٣] وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حَالٌ؛ أَيُّ: مَتْنَتِينَ ﴿بِمَا كُنتُمْ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿١١﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿١٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعَفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِزَّةً رُزْنَ ﴿٢٦﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ أَلْمُتِّقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كَلُوا وَتَتَعَوَّأُ قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزِيُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾

تَعْمَلُونَ» مِنَ الطَّاعَةِ.

- [٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- [٤٥] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٤٦] ﴿كَلُوا وَتَتَعَوَّأُ﴾ خُصَابُ لِلْكَفَارِ فِي الدُّنْيَا ﴿قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وَغَايَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ تُجْزَوْنَ﴾.
- [٤٧] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾ صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لَا يَصَلُّونَ.
- [٤٩] ﴿وَيَلُومُنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٥٠] ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أَيُّ: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَسْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

\*\*\*

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «جَعَلَتْ». (٢) ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ شَرَّ بَارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كَالْقَفْرِ (٣٠٧/٨)، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللفظ. (٣) وَهُوَ الزَّفْتُ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْوُوعًا: عِنْدَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ مَخْصُصًا: «أَتَرُونَهَا حَرَاءً كَنَارِكُمْ هَذِهِ! لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ وَالْقَارِ: الزَّفْتُ». وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيدِ (٣٦٧٠).

(٤) أَيُّ: لَيْسَتْ الْغَاةُ فِي «فَيَحْذَرُونَ» فَاءَ السَّبَبِيَّةِ؛ لِقُدْرَةِ بَعْدِهَا «وَأَل»، وَيَنْصَبُ بِهَا الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ؛ نَحْوُ: ﴿لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا﴾ [فَاطِرُ: ٣٦].

## سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّاسَةٌ لَّنْ ۝ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝  
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ۝ أَلَمْ نجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۝  
 وَالجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝  
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَدَيْنَا  
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ  
 الْمُعْصِرِ مَاءً ثَمَجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا  
 الْأَفْقَا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۝ يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ  
 فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ  
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلظَّالِمِينَ  
 مَعَابًا ۝ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝  
 إِلَّا لِأَحْمِيقٍ مَّوْءَسَا ۝ جَزَاءً وَفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا  
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ  
 أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ فَذُقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝

## سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «عَمَّ» عن أي شيء «بَسَّاسَةٌ لَّنْ» يسأل بعض قريش بعضًا.  
 [٢] «عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ» بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتغل على البعث وغيره. [٣] «الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» فالؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. [٤] «كَلَّا» ردع «سَيَعْمُونَ» ما يحل بهم على إنكارهم له. [٥] «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ» تأكيد، وجيء فيه «ثُمَّ» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. [٦] «نَمُ أَوْمًا» تعالى - إلى القدرة على البعث فقال: «أَلَمْ نجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا» فראشًا كالمهد.  
 [٧] «وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» ثبتت بها الأرض، كما ثبتت الخيام بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

[٨] «وَمَخْلَقَتَكُمْ أَزْوَاجًا» ذكورا وإناثًا.  
 [٩] «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا» راحة لأبدانكم.  
 [١٠] «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» ساترًا بسواده.  
 [١١] «وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا» وقتًا للعمايش.  
 [١٢] «وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا» سبع سماوات «شِدَادًا» جمع «شديدة» أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.  
 [١٣] «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا» منيرًا «وَهَّاجًا» وقادًا، يعني: الشمس.  
 [١٤] «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرِ» السحابات التي حان لها أن تمطر؛ كالمُعْصِرِ: الحارية التي دنت من الحيض «مَاءً ثَمَجًا» صابًا.  
 [١٥] «لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا» كالحنطة «وَنَبَاتًا» كالنبن.  
 [١٦] «وَجَعَلْنَا» بساتين «أَفْقَا» ملتفة؛ جمع: «الفيف»؛ ك«شريف» و«أشراف».

[١٧] «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ» بين الخلائق «كَانَ مِيقَتًا» وقتًا للنواب والعقاب.  
 [١٨] «يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ» القرن، بدل من «يوم الفصل»، أو: بيان له، والنافع إسرافيل «فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» من قبوركم إلى الموقف «أَفْوَاجًا» جماعات مختلفة.

[١٩] «وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ» بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup>، شققت؛ لنزول الملائكة «فَكَانَتْ أَبْوَابًا» ذات أبواب.  
 [٢٠] «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ» دُهب بها عن أماكنها «فَكَانَتْ سَرَابًا» هباءً؛ أي: ينثله في خفة سيرها.

[٢١] «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» راصدة، أو: مرصدة.  
 [٢٢] «لِلظَّالِمِينَ» الكافرين فلا يتجاوزونها «مَعَابًا» مرجعًا لهم فيدخلونها.

[٢٣] «لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا» حال مقدرة؛ أي: مقدارًا لبيهم «يَبَا أَحْقَابًا» دهورًا لا نهاية لها، جمع: «خُفْب» بضم أوله.  
 [٢٤] «لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا» نومة<sup>(٢)</sup>، فإنهم لا يدقونهم «وَلَا شَرَابًا» ما يشرب تلذذًا.

[٢٥] «إِلَّا» لكن «حَيْمًا» ماء حارًا غاية الحرارة «وَعَسَا» بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup>؛ ما يسيل عن صديد أهل النار، فإنهم يدقونهم.

[٢٦] «لَجُوزُوا بِذَلِكَ جَزَاءً وَفَاقًا» موافقًا لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

[٢٧] «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ» يخافون «حِسَابًا» لإنكارهم البعث.  
 [٢٨] «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» القرآن «كِذَابًا» تكذيبًا. [٢٩] «وَكُلُّ شَيْءٍ» من الأعمال «أَحْصَيْنَاهُ» ضبطناه «كِتَابًا» كُتِبَ في اللوح المحفوظ؛ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

[٣٠] «فَذُوقُوا» أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم «فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» فوق عذابكم.

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) وتسمى سورة الشُّبُلِ.

(٣) شُعْبُ النِّوَمِ بردًا؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدقون فيها برد ربح، ولا ظل نَوْمٍ. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين، بدل من: «مَفَازًا»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عطف على «مَفَازًا». [٣٣] ﴿وَوَاعِصَ﴾ جوارى تكعبت ثدييهن، جمع «كاعب» ﴿أَرْبَابًا﴾ على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكُنُوسًا﴾ خمرًا مائلة محالها، وفي سورة «الفتح»: ﴿وَأَكْثَرُ مِنْ حَرِّ﴾. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَقَوْلًا﴾ باطلا من القول ﴿وَلَا [كِدَابًا]﴾<sup>(١)</sup> بالتخفيف؛ أي: كذبا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءَ مَن رَّبَّيَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَلَهُ﴾ بدل من «جزاء» ﴿جَسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حشبي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا يَبْنِيهَا الرَّحْمَنُ﴾ كذلك<sup>(٣)</sup>، ويرفعه مع جر «رب»<sup>(٤)</sup> ﴿لَا يَبْنِيهَا﴾ أي: الخلق ومنه تعالى ﴿خَطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَوْمَ الزُّلْغِ﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَالْمَلَكَةُ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿لَا مَن أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. [٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ لَحُوقُ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ مرجعًا؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّا أُنْذَرْتُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «عذابًا» بصفته ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿يَلْبِثِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى: للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها البعض: كوني ترابًا<sup>(٥)</sup>.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ إِنَّا لَا مَرَدُّونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَذْكَأَ كُنَّا نَحْنُ ﴿١١﴾ قَالُوا بَلْ أَهْمُ بِالْأَشْهَرَةِ ﴿١٢﴾ تِلْكَ إِذْ أَدْرَاكَ حَاسِرَةٌ ﴿١٣﴾ فَالْمَاهِي نَجْرَةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٥﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٦﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٧﴾

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ نزغًا بشدة. [٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا﴾ الملائكة تَشَاطُفُ أرواح المؤمنين؛ أي: تَشْلُهَا برفق. [٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى؛ أي: تنزل. [٤] ﴿فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. [٥] ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة<sup>(١)</sup>.

(١) محمد: ١٥.

(٢) بالتخفيف قراءة الكسائي.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وهي قراءة ثالثة سبعة. حمزة والكسائي.

(٥) كما في حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه: الجن والإنس والبهائم، وأنه يُقْبِدُ يومئذٍ الجماء من الفرائض، حتى إذا لم يبق نعمة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا». أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/٣٠، ١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤).

(٦) الأولى عدم التنصيص؛ وإنما يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث.

(٧) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ۖ وَلَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٨﴾ فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٩﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ نَجْوَى ﴿١١﴾ فِخْرَفَادَى ﴿١٢﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٣﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿١٥﴾ أَأَنُتِمَّ اشْدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿١٦﴾ رَفَعَ سَمَاهَا فَمَسَوْنَهَا ﴿١٧﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١٩﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢٠﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٢١﴾ فَتَجَعَلْنَا لِكُلِّ مَنَاعِلُكُمْ ﴿٢٢﴾ فَلَا تَعْمَكُمُ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ لِمَن يَرَى ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا مَنَ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَا نَرَى وَنَكْتُمُهَا ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَمِّتُهَا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٣٥﴾ كَذَّبُوا بِفِئَتٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ يَوْرَوْهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْرَاحُهَا ﴿٣٦﴾

## سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ طَوًى﴾ اسم الوادي، بالتثنية وتركة<sup>(١)</sup>، فقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر. [١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله. [١٩] ﴿وَأَعْيَدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان ﴿فَتَحْشَى﴾ فتخافه. [٢٠] ﴿فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا. [٢١] ﴿فَكَذَّبَ وَكَذَّبَ﴾ فروع موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله - تعالى. [٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض بالفساد. [٢٣] ﴿فَصَحَّرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَادَى﴾. [٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقي. [٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾<sup>(٣)</sup>، وكان بينهما أربعون سنة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ الله - تعالى .. [٢٧] ﴿أَنُتِمَّ اشْدُّ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركة<sup>(٤)</sup>؛ أي: منكمو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ أشد خلقاً؟ ﴿بَنَاهَا﴾ بيان لكيفية خلقها. [٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَاهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمته في جهة العلو رفيعاً، وقيل: سَمَّيْنَاهَا سَمَاءً ﴿فَمَسَوْنَهَا﴾ فَمَسَوْنَهَا جعلها مستوية بلا عيب. [٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها. [٣٠] ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحوي. [٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة. [٣٢] ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن. [٣٣] ﴿مَنَاعِلُ﴾ مفعول له لمقدّر؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي: تمتيعاً ﴿لِكُلِّ وَتَمَنِيكُ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم. [٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ الفخة الثانية. [٢٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر. [٢٦] ﴿وَبُورَّتِ﴾ أظهرت ﴿الْجَنَّةُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾ لكل راء. وجواب «إذا»: [٢٧] ﴿فَلَمَّا مَنَ طَغَى﴾ كفر. [٢٨] ﴿وَأَثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ باتباع الشهوات. [٢٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه. [٣٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ المؤدي باتباع الشهوات. [٣١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة. [٣٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها وقيامها؟ [٣٣] ﴿فِيمَا نَرَى فِي أَيِّ شَيْءٍ﴾ أُنْتُ مِن دُرْهَانٍ ﴿أَي: ليس عندك علمها حتى تذكرها. [٣٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَمِّتُهَا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره. [٣٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَاهَا﴾ يخافها. [٣٦] ﴿كَذَّبُوا بِفِئَتٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ يَوْرَوْهَا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ في قبورهم ﴿وَلَا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما طرفا النهار، وحسّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

\*\*\*

(١) بترك التثنية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.



فُرت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيْلَتْ﴾ تبيكت لغالتها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الْصُّحُفُ انشُفَّتْ﴾ صف الأعمال ﴿نُشِرتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجند عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ النار [سُيِّرَتْ] بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُججَت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ أَزْلَفَتْ﴾ قُربت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرْتَ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِسُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَيِّسِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد تُخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكسب بكسر النون: تدخل في كتابها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَالْأَيْلِ إِذَا سَمَسَتْ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدير. [١٨] ﴿وَالْفُجَّيْ إِذَا تَفَنَسَتْ﴾ امتد حتى يصير نهراً يتأ. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله. تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله. تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿شُعَاعٌ ثُمَّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا سَاجِدٌ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَسْجُدُ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء [بِطِينٍ] (٦)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: ببخيل، فيتنقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لَسَنَّا يَكْفُرُ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق، استقامتكم عَلَيْهِ (٧).

\*\*\*

تَرَاهُمْ قَاتِرَةً ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ

## سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ وَإِذَا الْصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ۖ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ۖ فَلَا أَفْسِسُ بِالْحَيِّسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۖ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٌ ثَوَّامِينَ ۖ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْجُونٍ ۖ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۖ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ

## سورة التكاثر

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انقضت وتساقت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباء منبهاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حلب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت بعد البعث؛ ليقص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت نارا. [٧] ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تصافق على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بُضْنِينَ﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الخلاين ص (٢٦١): «التعظيم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل

في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله التكوينية خلافاً للمعتزلة».

## سُورَةُ الْاِنْطِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت.
- [٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ انقضت ونساقطت.
- [٣] ﴿وَلِذَا الْيَمَامُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِح بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.
- [٤] ﴿وَإِذَا الْآبُقُورُ بُعِثَتْ﴾ قُلِب ترابها، وبُعث موتاها.
- [٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ» كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة «مَّا قَدَّمَتْ» من الأعمال ﴿وَمَا أَخَّرَتْ﴾ منها، فلم تعمله.
- [٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ الكافر ﴿مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ حتى عصيته.
- [٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوْفَكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة، سالم الأعضاء ﴿فَعَذْلَكَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup>، جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.
- [٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شِئْتَ رَكَّبَكَ﴾.
- [٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاعتزاز بكرم الله - تعالى<sup>(٢)</sup> - ﴿بَلْ تَكَذِّبُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِالَّذِينَ﴾ بالجزاء على الأعمال.
- [١٠] ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفَظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم.
- [١١] ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَبِيرِينَ﴾ لها.
- [١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه.
- [١٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَنُيَبِّرَنَّ﴾ جنه.
- [١٤] ﴿وَلَنْ أَلْفَجَّرَ﴾ الكفار ﴿لَنُيَبِّرَنَّ﴾ نار محرقه.
- [١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقامشون عِوَاهُ ﴿يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ الجزاء.
- [١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بمخرجين.
- [١٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَّا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾.
- [١٨] ﴿ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَّا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ تعظيم لشأنه.
- [١٩] ﴿[يَوْمَ]﴾ بالرفع<sup>(٣)</sup>؛ أي: هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه؛ أي: لم يمكن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

\*\*\*

## سُورَةُ الْاِنْطِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْآبُقُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوْفَكَ ﴿٧﴾ فَأَنَّى صُورَةَ مَآشَاءَ رَبِّكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِن عَلَيْكُمْ لحَفَظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتَبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَأَلْفَجَّرَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

## سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُهُمْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

## سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية<sup>(\*)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.
- [٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل.
- [٣] ﴿وَإِذَا كَالُهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.
- [٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
- [٥] ﴿يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة.
- [٦] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل «اليوم»؛ فناصبه: «مَبْعُوثُونَ» ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كبرًا، فأمر الله - سبحانه - : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه - كتاب الصناعات (١٢) باب (٣٥) التوفي في الكيل والوزن. (حس) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠٨).

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) قول الخليلي: «ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى» بعيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: ﴿مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ في الآية السادسة هو: غره كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غره جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقلل من حمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي، لكن الخطأ في الآية للكافر.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَوْمَ﴾ بالفتح.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ  
الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرِكْ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿٩﴾  
وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ وَمَا كَذَّبَ  
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيرٍ ﴿١١﴾ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِثِرُ الْأَوَّلِينَ  
﴿١٢﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ  
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا  
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٧﴾  
وَمَا أَذْرِكْ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٨﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿١٩﴾ يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٠﴾  
إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢١﴾ عَلَى الْأَرْيَافِ يُنْظَرُونَ ﴿٢٢﴾ تَعْرِفُ فِي  
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٤﴾ خِشْمُهُ  
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ رِجْلِهِ مِنْ  
تَسْنِيمٍ ﴿٢٦﴾ عَيْنَايَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا  
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِصَحْحُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٩﴾  
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا  
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٢﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.  
[٨] ﴿وَمَا أَذْرِكْ مَا سِجِّينَ﴾ ما كتاب سجين.  
[٩] ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾ مختم.  
[١٠] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾  
[١١] ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الجزء، بدل، أو: بيان «للمكذبين».  
[١٢] ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيرٍ﴾ صيغة مبالغة.  
[١٣] ﴿إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسْطِثِرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديمًا، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.  
[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلَّ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

فنغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.  
[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ يبرونه.  
[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لدخول النار المحرقة.  
[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.  
[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.  
[١٩] ﴿وَمَا أَذْرِكْ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أعلمكم ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟  
[٢٠] ﴿هو﴾ ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾ مختم.  
[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ﴾ من الملائكة.  
[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.  
[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ الشُّرُفُ في الهَيْجَالِ <sup>(١)</sup> ﴿يُنْظَرُونَ﴾ ما أعطوا من النعيم.  
[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة النعم وحشنة.  
[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَخْمُومٍ﴾ مَحْمُومٌ على إنائها، لا يُفَكُّ خَشْمُهُ إِلَّا هُمْ.  
[٢٦] ﴿يَخِشْمُهُمْ مِسْكٌ﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.  
[٢٧] ﴿وَمِنْ رِجْلِهِ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي: ما يخرج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بقوله:  
[٢٨] ﴿عَيْنَايَا﴾ فنصبه بـ«أمدح» مقدراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ﴾ منها، أو: ضُغْنٌ «بشرب» معنى: يلتذ.  
[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كعشار وبلال ونحوهما ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ استهزاء بهم.  
[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين، بالهجن والحاجب استهزاء.  
[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا﴾ فَاكِهِينَ ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿فَاكِهِينَ﴾ معجبين بذكرهم المؤمنين.  
[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.  
[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.  
[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

(١) جمع: «هَيْجَلَةٌ»، وهي: القبة فوق السرى.

(٢) للبيعة عدا خصص وابن عامر بخلاف عنه.



[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ﴾ في الجنة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعبدون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.  
[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ جوزي ﴿الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ؟﴾ نعم.

### سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَخُقَّتْ﴾ أي: وخفق لها أن تسمع وطعيع.  
[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سمعتها، كما تمدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَنُفِثَتْ﴾ عنه.  
[٥] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَخُقَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.

[٦] ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذَٰكَ فَلْيَقْدِرْ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيسْمِينِهِ﴾ هو المؤمن.  
[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصالحين، وفيه: «مَنْ تَوَقَّشَ الْحِسَابَ هَلَكَ» (١) وبعد العرض يُجَاوِزُ عنه.

[٩] ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.  
[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، تُعَلُّ مِنَاهُ إلى عنقه وتُجَعَلُ يساره وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة (٢) بضم الباء وفتح الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه.  
[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿كُنَّ﴾ يَجُورُ ﴿يَرْجِعُ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾.

[١٥] ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ يَدُّ بِصِيرَةٍ ﴿عَالِمًا بِرُجُوعِهِ إِلَيْهِ﴾ (٣).  
[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالسَّفْقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَعَ ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.  
[١٨] ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنَ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) من سورة ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُوِّرَتْ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكسائي؛ «يُصَلَّى».

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه - ..

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٥﴾

## سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾  
قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا  
فُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا  
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَا يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ  
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ  
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾  
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ  
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ  
وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

## سورة البروج

[مكية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿٢﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في  
الفرقان (١).  
﴿٣﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٤﴾ يوم القيامة.  
﴿٥﴾ وَشَاهِدٍ ﴿٦﴾ يوم الجمعة ﴿٧﴾ ومَشْهُودٍ ﴿٨﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في  
الحديث (٢)، فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهد  
الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صَدْرُهُ، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) الله يخلق خلق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استوائه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجر في قراءة حمزة والكسائي.

(٦) وهي قراءة السبعة غير نافع.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المعصوم عليه السلام.

﴿٤﴾ قِيلَ لَعَنَ ﴿٥﴾ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿٦﴾ الشق في الأرض.

﴿٥﴾ النَّارِ ﴿٦﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ الْوُفُودِ﴾ ما توفد به.

﴿٦﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا ﴿٧﴾ حولها على جانب الأعدود على الكراسي ﴿فُعُودٌ﴾.

﴿٧﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نَمَّ فأحرقهم (٣).

﴿٨﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ ﴿٩﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدُ﴾

المحمود.

﴿٩﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٠﴾ أي: ما

أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١١﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُوا فَلَهُمْ  
عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أي: عذاب إحراقهم للمؤمنين  
في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقهم، كما تقدم.

﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَلَّوْا الصَّلَاحَ لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾.

﴿١٢﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴿١٣﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته.

﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ الْخَلْقِ ﴿١٤﴾ وبَدِئُ فلا يعجزه ما يريد.

﴿١٤﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴿١٥﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿الْوَدُودُ﴾ المتوَدِّد إلى أوليائه  
بالكرامة.

﴿١٥﴾ ذُو الْعَرْشِ ﴿١٦﴾ خالقه ومالكة (١) ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع؛ المستحق  
لكمال صفات العلو (٢).

﴿١٦﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ لا يعجزه شيء.

﴿١٧﴾ هَلْ أَتَاكَ بِمَا مُحَمَّدٌ ﴿١٨﴾ حَدِيثُ الْجُنُودِ.

﴿١٨﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٩﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن  
أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ  
والقرآن؛ ليتعظروا.

﴿١٩﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٢٠﴾ بما ذكر.

﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢١﴾ لا عاصم لهم منه.

﴿٢١﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢٢﴾ عظيم.

﴿٢٢﴾ فِي لَوْحٍ ﴿٢٣﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿مَحْفُوظٍ﴾ بالجر (٣)،  
من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما  
بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس عليه السلام (٤).

\*\*\*

## سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّذِي أَدْرَكَهُ﴾ أصله: كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني لـ «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿الَّذِي﴾ أي: الثريا، أو: كل نجم ﴿الَّذِي﴾ الماضي، لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [لَمَّا] عَلَيَّا حَافِظٌ يتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وتشديدها<sup>(١)</sup> فـ«إن» نافية، و«لَمَّا» بمعنى «إلا»، والحافظ من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ شَاءِ ذَاقٍ﴾ ذي الذِّقَاقِ من الرُّجُلِ وَالْمَرَاةِ، في رجمها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالْأَرْبَابِ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى رَجَبٍ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿تَقَادَرُ﴾ فإذا اعتبر أصله عليم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ تختبر وتكشف ﴿السَّيِّئُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿مَا لَمْ﴾ لشكر البعث ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يتمتع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالَّذِي ذَاتَ الرَّجْجِ﴾ المطر؛ لعوده كل حين. [١٢] ﴿وَالَّذِينَ ذَاتَ أَلْجَمِ﴾ الشق عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٍ فَصْلٍ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نَفْسٌ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكَاذِبِينَ أَمْهُمْ﴾ تأكيد، حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظرهم ﴿رَوْدًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: «رودا»، أو: «روداد» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيدر، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[مكية، تسع عشرة آية<sup>(\*)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة لـ«ربك»<sup>(٣)</sup>. [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿عُثَاةً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنَفَرْنَاكَ﴾ القرن ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ ما تقرأه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ن نساها بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

له: لا تجعل بها، إنك لا تنسى ولا تُعْبِ نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَنُفِثَ الْبَسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكَّرَ﴾ عِظَ بالقرآن ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ مَنْ ذَكَّرَهُ، المذكور في: «سيدكر»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَرُكَ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْفَى﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكَّرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ﴾<sup>(٤)</sup>. [١١] ﴿وَبَنَجْنَهُ﴾ أي: الذكري؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَنْثَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مَنْ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ تَرَكَّى﴾ تَطَهَّرَ بالإيمان. [١٥] ﴿وَوَكَّرَ اسْمَ رَبِّكَ﴾ مكبراً ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة مُعْرَضُونَ عنها.

(\*) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٤) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتغل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً.

(٤) ق: ٤٥.

بأهلها.

- [٢] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.  
 [٣] ﴿عَالِيَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.  
 [٤] ﴿تَضَلَّى﴾ بفتح التاء وضعا<sup>(١)</sup> ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.  
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.  
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحبيته.  
 [٧] ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ﴾ لا يتبينون ولا يتنبئون من جوع.  
 [٨] ﴿وَجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَيْسَ فِيهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.  
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جَشَاءَ﴾ جشأ ومعنى.  
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء<sup>(٢)</sup> ﴿فِيهَا﴾ لا غيبة<sup>(٣)</sup> أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

- [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنى: عيون.  
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.  
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائل ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.  
 [١٦] ﴿وَرِزْقٌ﴾ بسطط طافس لها غسل<sup>(٤)</sup> ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة.  
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ﴾ كيف خلقت.

- [١٨] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. [١٩] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.  
 [٢٠] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بسطت، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووجدانيته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطوح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع<sup>(٥)</sup>.

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ لهم نعم الله ودلائل توبيخه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.  
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾<sup>(٦)</sup> وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿وَلَا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكُفِّرْ﴾ بالقرآن.  
 [٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.  
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

\*\*\*

وَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنْتَقَى ﴿٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾

### سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَالِيَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغْوَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرُرٌ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

- [١٦] ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ﴾ بالثحنانة والفوقانية<sup>(١)</sup> ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَنْتَقَى﴾.  
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.  
 [١٩] ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

### سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية]<sup>(\*)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأبي عمرو.  
 (٢) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالتاء مع ضمها؛ مبيهاً لمجهول، ﴿تُسْمَعُ﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَسْمَعُ﴾ فيها لغة للامع مع نصب ﴿لَاغِيَةً﴾.  
 (٣) ﴿وَرِزْقٌ﴾؛ جمع: ﴿رِزْقَةٌ﴾ تظليل الزاي. و﴿طَافَسٌ﴾؛ جمع: ﴿طَافَسَةٌ﴾ تظليل الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجدة. وال (تخل): لا (دهذب).  
 (٤) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينة ثقت من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لابعاد أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَسَمَةٌ﴾.  
 (٦) ليهشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني خلاد.

## سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

[٢] ﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ الرَّوْحِ﴾ و﴿وَالْوَتْرِ﴾ يفتح الواو وكسرها<sup>(١)</sup>؛ لغتان: الفرد.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ مقيلاً ومدبراً.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ﴾ وقسمٌ يُرَى جَمْرٌ عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتعذُّبكم يا كفار مكة.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِنَّمَا﴾ هي عاد الأولى، فدارم عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث ﴿كَذَاتِ الْيَوْمَادِ﴾ أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعمئة ذراع<sup>(٢)</sup>.

[٨] ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

[٩] ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ كان يتخذ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

[١١] ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْيَلْدِ﴾.

[١٢] ﴿فَأَنكَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره.

[١٣] ﴿فَضَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّا رَبُّكَ كَالْمِرْصَادِ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ الْكَافِرُ﴾ إذا ما ابتلته ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَمَ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَ﴾.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنَ﴾.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَلْ لَا يُكْرَمُونَ﴾ أَلَيْسَ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] ﴿وَلَا يَمْشُؤْنَ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَى طَعَارٍ﴾ أي: إطعام أَلَيْسَ.

[١٩] ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ الْثَرَاتِ الْمِيرَاثِ ﴿أَكْثَرَ لَمَّا﴾ أي: شديداً، لَلْمُهم نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع ما لهم.

[٢٠] ﴿وَيُجِبُونَ﴾ أَلْمَالَ حُبًا جَمًّا أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذان الإسرائيليات التي لا تصح، وتتأني مع ما صح عنه ﷺ من تناقض الخلق من لدن آدم ﷺ والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى ﴿كَذَاتِ الْيَوْمَادِ﴾ أي: ذات الأبنية المرفوعة على العتد، أو: البناء المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، ووافقه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالياء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿تَمْشُونَ﴾. وقرأ بقتهم: ﴿تَمْشُونَ﴾.

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل الثانية لله ﷻ على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «يؤتى بهن يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». والزمام: هو: الحطام الذي يقاد به البعير.

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ

إِنَّ الْإِنْسَانَ آيَاتٍ لَهُمْ ۚ نَعْنُنَ عَيْنًا حِسَابُهُمْ ۚ

## سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ لَيْلٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ۝

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلَادِ ۝ وَتَمُودَ الَّذِينَ

جَاءُوا الصَّخَرَ ۝ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي

الْيَلْدِ ۝ فَأَنكَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَضَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

رَبَّهُ فَأَكْرَمَهُ ۚ وَنَعَمَ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنَ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ

الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ

الْثَرَاتِ أَكْثَرَ لَمَّا ۝ وَتُجِبُونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا

دُكِيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

بالفوقانية في الأفعال الأربعة<sup>(٣)</sup>.

[٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكِيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] ﴿وَسَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره<sup>(٤)</sup> ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك<sup>(٥)</sup> لها زفير وتغيظ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها:

﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

\*\*\*

## سورة البقرة

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ أَقِيمُ بَيْتَ الْبَيْتِ﴾ مكية.  
 [٢] ﴿وَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿حَلَالٌ﴾ بَيْتُ الْبَيْتِ ﴿بَانَ يُخَلِّ لَكَ﴾  
 فنقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين القسم  
 به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٌ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «من».

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نَصَبٌ وشدة؛ يكابد  
 مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كندة،  
 بقوته ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾  
 أَحَدٌ ﴿وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ﴾.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَا لَا لُبَ﴾ كثيرا بعضه على  
 بعض. [٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟  
 والله عالم<sup>(١)</sup> بقدره، وأنه ليس بما يكثر به، ومجازه به فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾.

[٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيانا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا﴾ فهلا ﴿أَقْنَحَ الْعَقَبَةَ﴾ جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيما لشأنها،  
 والجملة اعتراض.

[١٣] وَيَتَنَسَّبُ سبب جوازها بقوله: ﴿فَكُ رَقِيَّةٌ﴾<sup>(٢)</sup> من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ﴾ [أَطْعَمَ]<sup>(٣)</sup> في يومٍ ذِي مَسْغَرٍ مجاعة.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ﴾ [مَشِيكًا ذَا مَقْرَبَةٍ] لُصُوقٍ بالتراب؛ لفقره، وفي قراءة بدل  
 الفعلين<sup>(٤)</sup> مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة<sup>(٥)</sup>، وبنون الثاني<sup>(٦)</sup>، فيقدر  
 قبل العقبة: اقتحام<sup>(٧)</sup>، والقراءة المذكورة<sup>(٨)</sup> بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «اقتحم»، و«ثم» للترتيب الذكري،  
 والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضا  
 ﴿بِالْقَسْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ الرحمة عسى  
 الخلق. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَتَابِعُونَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَسَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله<sup>(٩)</sup>، مُطَبَّقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى  
 لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾  
 لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿وَلَا يُؤْتِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾ يَتَابِعُهَا  
 النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً﴾  
 فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴿وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي﴾

## سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿وَأَنْتَ حَلُّهُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَالْوَلَدِ وَمَا وَلَدَ  
 ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾  
 أَحَدٌ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَ﴾ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾  
 ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾  
 النَّجْدَيْنِ ﴿فَلَا أَقْنَحَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكُ رَقِيَّةٌ﴾  
 أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَرٍ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾  
 أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا﴾  
 بِالْقَسْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان  
 ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا﴾  
 يُعَذِّبُ بِكسر الذال ﴿عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يكله إلى غيره.  
 [٢٦] ﴿وَلَا يُؤْتِقُ﴾ بكسر التاء ﴿وَتَاقُهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> بفتح  
 الذال والتاء، فضمير «عذابه» و«وثاقه» للكافر، والمعنى: لا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مِثْلَ  
 تُعَذِّبُهُ، ولا يُؤْتِقُ مِثْلَ يُتَاقُهُ. [٢٧] ﴿يَتَابِعُهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ الآمنة، وهي  
 المؤمنة. [٢٨] ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: أرجعي إلى  
 أمره وإرادته<sup>(٢)</sup> ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَةً﴾ عند الله بعملك؛ أي: جامعة  
 بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة  
 ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

\*\*\*

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات يزعم تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: نقاؤه. شبهة. يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وصحيح المفسر جرأ على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤) (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) أي: قوله: «فك» وأطعم.

(٧) أي: «وما أدراك ما اقتحام العقبة».

(٨) أي: بالمصدرين المرفوعين: «فك»، و«أطعم». وقوله: «بيانه» أي هذه القراءة بيان معنى الاقتحام المقدر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فك رقية أو إطعام.

(٩) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.



﴿وَنَقُورُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ نَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> فيكون المراد الضُّحَى المؤبد. [١٧]  
 ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يعيد عنها ﴿الْأَلْفَى﴾ بمعنى التقي. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤَقِّي مَالَهُ  
 يَرْزُقُ﴾ من كتبها به عند الله - تعالى - بأن يخرجها لله - تعالى - لا رياء ولا سمعة؛  
 فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً المذنب  
 على إيمانه واعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كان له عنده فنزلت:  
 [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك  
 ﴿أَتَيْعَةً وَتَوْبَةً لِنَفْسِهِ﴾ أي: طلب ثواب الله<sup>(٢)</sup>. [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما  
 يُعطاه من الثواب في الجنة<sup>(٣)</sup>، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله -  
 تعالى - عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

### سُورَةُ الضُّحَى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها فسُنَّ التكبير آخرها<sup>(٤)</sup>. وروي<sup>(٥)</sup>  
 الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو:  
 لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ غطي  
 بظلامه أو سكن. [٣] ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ تركك يا محمد ﴿وَمَا قَلَّ﴾  
 أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن  
 ربه ودعه وقلاه<sup>(٦)</sup>. [٤] ﴿وَالْآخِرَةَ حَبَرٌ لَكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك  
 ﴿وَمِنَ الْأُولَى﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من  
 الخيرات عطاءً جزيلاً ﴿فَرَحَصٌ﴾ به، فقال ﷺ: [إذن لا أرضى وواحد من  
 أمتي في النار]<sup>(٧)</sup> إلى هنا تم جواب القسم بمشتتين بعد متفيتين. [٦] ﴿أَلَمْ  
 يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو:  
 بعدها ﴿فَتَآوَى﴾ بأن ضُمَّكَ إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾  
 عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَى﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

### سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝  
 وَالْآخِرَةُ حَبَرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ  
 فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝  
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝  
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

### سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ۝

[١٥] ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْإِنشَى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي  
 كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر موزون لقوله - تعالى -:

(٥) ما جاء في برول الآيات (٣١): أخرجه البخاري عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق له ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد  
 تركك؛ لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأقول الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿اللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف  
 نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إنبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمأن في أن يحصل  
 له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرجه نحوه الواحد في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً الآجري في الشريعة (٣/ ٥٤ رقم ١٣٥١)، وإسناده ضعيف لا يقطع به الاستيعاب (٥١٨/٣)،  
 ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٠) عن عبد الله بن الربيع رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام. دون ذكر قصة بلال وإعناقه له، ولا  
 قول الكفار عن ذلك. وقال البيهقي في المجمع (١٣٨/٧): فروه البرار، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ البزار لم يسمعه. وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه  
 على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن  
 كثير رحمه الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.  
 (٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/٦)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥)  
 (١٤٥) ثم قال: (هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره)، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمة كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢١) في معرض الرد على  
 من يحتج ويتكلم مثل ذلك؛ قال: «وهمهم من يعتز بفهم فاسد، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فأتكلوا عليه؛ كاتكلوا بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾  
 قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمة، وهذا من أفق الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمسرئين =



عَالِيًّا فَقِيرًا ﴿فَأَعْنَى﴾ أُنْعَمَ بِمَا قَعَمَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تَزْجِرْهُ لِفَقْرِهِ. [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتَةِ وَغَيْرِهِ ﴿فَوَحِّشْهُ﴾ أَخْغِرْهُ، وَحَدَفَ ضَمِيرُهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رِيعَانَةً لِلْفَرِاضِ.

### سُورَةُ الشُّرَحِ

[مكية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ اسْتَفْهَمَ تَقْرِيرَ؛ أَي: شَرَحْنَا ﴿لَكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿صَدْرَكَ﴾ بِالْبُيُوتَةِ وَغَيْرِهَا. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حَطَطْنَا ﴿عَنْكَ﴾ وَزَرَكْ. [٣] ﴿الَّذِي أَنْصَبَ﴾ أَثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وَهَذَا كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ (٢). [٤] ﴿وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بَانَ تُذَكَّرُ مَعَ ذِكْرِي، فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالشَّهَادَةِ وَالْحُطْبَةِ، وَغَيْرِهَا. [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الشَّدَّةُ ﴿يُسْرًا﴾ سَهْلَةً. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وَالْبُيُوتَةُ قَاتَسَى مِنَ الْكُفَارِ شَدَّةً، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ الْيُسْرُ بِبَصَرِهِ عَلَيْهِمْ. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنَ الصَّلَاةِ ﴿فَانصَبْ﴾ اتَّعَبَ فِي الدَّعَاءِ. [٨] ﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاوْزَعُ﴾ تَضَرَّعَ.

### سُورَةُ التِّينِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾؛ أَي: الْمَأْكُولِينَ، أَوْ: جَبَلَيْنِ بِالشَّامِ، يُتَبَيَّنُ الْمَأْكُولِينَ. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ مُوسَى، وَمَعْنَى: «سِينِينَ»: الْمُبَارَكِ، أَوْ: الْحَسَنِ بِالشَّجَارِ الْمُشْمَرَةِ. [٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مَكَّةُ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تَعْدِيلَ لُصُورَتِهِ. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِ ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كَنَاءَةً عَنِ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ، فَيَنْقُصُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ عَنْ زَمَنِ الشَّبَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لَكِنَّ الْآلِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وَمَقْطُوعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يُعْمَلُ» (٣). [٧] ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أَيُّهَا الْكَافِرُ ﴿بَعْدَ﴾ بَعْدَ مَا ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رُدُّهُ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ، الدَّالُّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَيْعِ ﴿بِالذِّبِ﴾ بِالْجُزْءِ الْمَسْبُوقِ بِالْبَيْعِ وَالْحَسَابِ؛ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مَكْذُوبًا بِذَلِكَ، وَلَا جَاعِلَ لَهُ! [٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ لِمُحْكِمِينَ﴾ أَي: هُوَ أَفْضَى الْقَاضِينَ، وَحُكْمُهُ بِالْجُزْءِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ وَالتِّينَ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿وَالِلَّهِ رَبِّكَ فَاوْزَعُ﴾

### سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّبِ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ لِمُحْكِمِينَ﴾

### سُورَةُ الْعَنَّاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَى﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْصَى ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّكَ لَارْجِعُ﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَبْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَقَالِيدَ الْأَنْبِيَاءِ﴾

ذلك من الشاهدين» (٤).

### سُورَةُ الْحَاقِقَةِ

[مكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: ﴿مَا لَوْ يَتَمُّ﴾ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بَغَارُ حَرَاءٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠).]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَأْ﴾ أَوْجَدَ الْقِرَاءَةَ، مَبْدَأًا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الْخَلَائِقَ. [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جَمْعُ عِلْقَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْيَسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ. [٣] ﴿أَقْرَأْ﴾ تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي لَا يُوَازِيهِ كَرِيمٌ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «أَقْرَأْ». [٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ الْخَطَّ﴾ بِالْقَلَمِ وَأَوَّلَ مِنْ خَطِّهِ بِهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١). [٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿مَا لَوْ يَتَمُّ﴾ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ، مِنَ الْهُدَى وَالْكِتَابَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِهَا. [٦] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كبير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ فقال: لا أحرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. سبق تحريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

- على الكبا، فحاشا رسول له أن يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن موله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَى مَا صَدَرَ مِنْهُ أَي: يعلمه<sup>(٣)</sup> فيجازيه عليه أَي: اعجب منه يا مخاطب؛ مِنْ حيث نهيهِ عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متولٍ عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَنَتْهُ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿وَلَنَسْتَفْتِيَنَّ﴾ بِالنَّاصِيَةِ لَنَجُوزَ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبِيَّ حَاطِيَةٍ﴾ وَضَفَّهَا بِذَلِكَ مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أَي: أهل ناديه، وهو المجلس يُتَنَادَى، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجزواً ورجالاً مُرْداً. [١٨] ﴿سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً»<sup>(٤)</sup>. [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِيعُكَ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَأَقْرَبْ﴾ منه بطاعته<sup>(٥)</sup>.

## سُورَةُ الْقَدَرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أَي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ﴾ أعلمتك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَالرُّوحُ﴾ أَي: جبريل ﴿ذِيهَا﴾ في الليلة ﴿يَاذِنُ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كُلِّي آمَرَ﴾ قضاء الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و«مِنْ» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْ جَنِّ﴾ خبر مقدم ومبتدأ<sup>(٦)</sup> ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها<sup>(٧)</sup>، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً؛ لكثرة السلام فيها من الملائكة، لَا تَشْرُؤُ بِمُؤْمِنٍ وَلَا بِمُؤْمِنَةٍ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ.

## سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفِيكَ الْيَدَيْنِ كَفَرُوا مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِي الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أَي:

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ أَرَيْعَلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَيْنَ لَرَبِّهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٨﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّ حَاطَةً ﴿١٩﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٢٠﴾ سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ ﴿٢١﴾ كَلَّا لَا تُطِيعُكَ وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبْ ﴿٢٢﴾

## سُورَةُ الْقَدَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَبَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ جَنِّ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

## سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفِيكَ الْيَدَيْنِ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

يَتْلُو ﴿٧﴾ ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ أَي: نفسه ﴿اشْتَقَى﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و«رَأَى» علمية<sup>(١)</sup>، و«اشتقَى»: مفعول ثان، و«أَنْ رَأَاهُ» مفعول له. [٨] ﴿إِنْ يَكُ رَيْكَ﴾ يا إنسان ﴿الْحَقُّ﴾ أَي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا سَأَلَ﴾ [١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَلَى الْمَلَأِكَةِ﴾ [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم<sup>(٢)</sup> ﴿أَمَرَ بِالْفَقْرِ﴾. [١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ ﴿عَنِ الْإِيمَانِ﴾ [١٤] ﴿أَرَى﴾

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (١٩، ٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقبل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكسر على عقبه ويثني يديه. قال: فقبل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأخطفه للملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْتَ إِلَّا كَلْبٌ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِيعُكَ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فنهده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ عبداً إِذَا سَأَلَ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَلَأِكَةِ﴾ ﴿لَوْ أَمَرَ بِالْفَقْرِ﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد - المسند (١/ ٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأقول الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِيعُكَ﴾ يا محمد، إن ربك يأمر أن تقرأ هذه السورة أي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أي، إن ربي ﷻ أمرني أن أقرأك هذه السورة فبكي وقال: ذكرت ثمة؟ قال: فنعيم. أحمد - المسند (٣/ ٤٨٩)، وصححه الأرنؤوط في تخريجها على المسند (٣٨١/٢٥) رقم (١٦٠٠٠).

(٢) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو». فهو ﷺ على الهدى وأمر بالتقوى.

(٣) العلم غير الرؤية إن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مرازا. (٤) أخرج نحوه الترمذي (٢٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) موفقاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٥٧).

(٥) أي: مبتدأ مؤخر.

(٦) بالكسر قراءة الكسائي.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنِ حُشِيَ رَبُّهُ ۝

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ

## سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۚ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۚ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۚ فَأَنْزَلَ بِهِنَّ فُتُوحًا ۚ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝

## سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

[مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «وَالْعَادِيَّاتِ» الخيل تعدو في الغزو، وتضبح «ضَبْحًا» هو صوت أحوافها إذا عذت. [٢] «وَالْمُورِيَّاتِ» الخيل، توري النار «قَدْحًا» بحوافرها؛ إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل. [٣] «وَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها. [٤] «فَأَنْزَلَ» هَيَّجَنَ «يَدَ» بمكان عذوهر، أو: بذلك الوقت «فُتُوحًا» غبارًا، بشدة حركتهن. [٥] «فَوَسَطْنَ بِهِ» بالنقع «جَمْعًا» من الغدو؛ أي: صرن وسطه، وغطف الفعل على الاسم؛ لأنه في تأويل الفعل؛ أي: واللاتي عذون فأوزين فأغزون. [٦] «وَالْعَادِيَّاتِ» الكافر «رَبَّكَ» لَكُونُوكَ لِكُفْرِهِ؛ يمجده نعمته - تعالى.. [٧] «وَأَنْزَلَ عَلَى ذَٰلِكَ» أي: كنوده «لِتَشْهَدَ» يشهد على نفسه بصنعه. [٨] «وَأَنْزَلَ لِحَبِّ الْحَيْرِ» أي: المال «لِتَشْهَدَ» الحب له، فيسخر به. [٩] «فَأَنْزَلَ يَعْلَمُ» إذا بغض «أَثِير» وأخرج «مَا فِي الْقُيُورِ» من الموتى؛ أي:

عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ، عطف على «أهل» «مُنْفَكِينَ» خبر «يكن»؛ أي: زائلين عما هم عليه «حَقَّقْ تَأْيِيدَهُمْ» أي: أتيهم «أَلْبِنَهُ» أي: الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ. [٢] «رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ» بدل من «الينة»، وهو النبي ﷺ «يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً» من الباطل. [٣] «وَبِهَا كُتِبَ» أحكام مكتوبة «قِيَمَةً» مستقيمة؛ أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. [٤] «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» في الإيمان به ﷺ «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاءه، فحسده من كفر به منهم. [٥] «وَمَا أَسْرَوْا» في كتابهم التوراة والإنجيل «إِلَّا لِيُعَذِّبُوا اللَّهَ» أي: أن يعبدوه، فحذفت «أَنْ» وزيدت اللام «وَلِيُحْصِرَ لَهَ الَّذِينَ» من الشرك «حُفَاءً» مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به! «وَيُتِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ» الملة «الْقِيَمَةُ» المستقيمة. [٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» حال مقدرة؛ أي: مقدرا خلودهم فيها من الله - تعالى - «أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ». [٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» الخليفة. [٨] «جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ» إقامة «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» فيها أبدًا رضى الله عنهم «بطاعته» «وَرَضُوا عَنْهُ» بثوابه «ذَٰلِكَ لِمَنِ حُشِيَ رَبُّهُ» خاف عقابه فانتهى عن معصيته - تعالى.

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» حُرُوت لقيام الساعة «زِلْزَالَهَا» تحريكها الشديد المناسب لعظمتها. [٢] «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» كنوزها وموتاهها، فألقتها على ظهرها. [٢] «وَقَالَ الْإِنْسَانُ» الكافر بالبعث: «مَا لَهَا» إنكارًا لتلك الحالة. [٤] «يَوْمَئِذٍ» بدل من «إذا»، وجوابها: «تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا» تخبر بما عمل عليها من خير وشر. [٥] «يَاذُ» بسبب أن «رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» أي: أمرها بذلك، وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»<sup>(١)</sup>. [٦] «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ» ينصرفون من موقف الحساب «أَشْتَاتًا» متفرقين؛ فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار «يُسْرَوُا أَعْمَالَهُمْ» أي: جزاءها؛ من الجنة أو النار. [٧] «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» رتبة نعمة صغيرة «خَيْرًا يَرَهُ» ير ثوابه. [٨] «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» ير جزاءه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فائدة: سمي الرسول ﷺ هذه الآية: «الجامعة الفأدة» كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الجامعة الفأدة» «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (٧) «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ». ومعنى «الفأدة»: الوحيدة الفريدة في أحكامها. البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

(٢) إن كان مراد المفسر أن أرضا حصل لهم بسبب طاعتهم لله - سبحانه - فهذا حق، وإن كان يقصد تفسير الرضا بالتوفيق إلى الطاعة فيكون من تأويل صفة الرضا لله ﷻ ببعض لوزمها، ومذهب السلف إلباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه -.. (٢) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣) وأحمد (٨٦٥٠) عن أبي هريرة مرفوعًا، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٣٤).

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري». [٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة»، أي: تقرر ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يوح بعضهم في بعض للخيبة، إلى أن يدعوا للحساب.

[٥] ﴿وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمَّهُمْ﴾ فمسكه ﴿هَاسِيَةً﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾

أي: ما هاربة؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة (٢) تحذف وصلاً.

### سورة التكاثر

[مكية، ثمان آيات] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلهم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم دفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثراً.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النزاع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، وخذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ﴾ خذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْيُسُوبِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والنمر، وسبوا على رقابنا والعدو حاضر، مع أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(٢) كلما في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٣) وهي قراءة حمزة.

(٤) أي من: «النرون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «تفعلون»؛ فحذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزرة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم أُلقيت حركة الهزرة، وهي الفتحة، على لراء قبلها، فسقطت الهزرة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً؛ فالتقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لترؤن».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

### سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَاسِيَةٌ ﴿٩﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٠﴾

### سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بُعْثُوا. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾ يُنَّ وأُفْرز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم» أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» بـ«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائماً؛ لأنه يوم المجازة.

### سورة القنطرة

[مكية، ثمان آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تقرر القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر: خبر القارعة.

## سُورَةُ الْغَصَةِ

[مكية: أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِذَا الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿لَنِي خُسْرٍ﴾ في تجارته<sup>(١)</sup>.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَصَّوْا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿يَالْحَقُّ﴾ الإيمان ﴿وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

## سُورَةُ الْهُمَزِ

[مكية، أو: مدنية، وأبانتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿مَا لَا وَعَدَدُ﴾ أحصاه وجعله عدّة حوادث الدهر<sup>(٣)</sup>.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ﴾ جعله خالداً لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليطرحن في الحطمة التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿وَمَا أَزِيدُ﴾ أعلمك ﴿مَا لُحِطَةٌ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسفرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرّفها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله<sup>(٤)</sup>: مطبقة.[٩] ﴿فِي﴾ [عند] بضم الحرفين، وبفتحهما<sup>(٥)</sup> ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقد.

## سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بنى بصنعاء كنيسة؛ ليضرب إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

(١) أي في مناجرتهم ومسايعهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخسران: ذهب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدّه مرة بعد أخرى حتّى له وشقاً به. وقيل: جعله أصنافاً وأنواعاً؛ كمقار، ومناج، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

ولطخ فبأنفها بالغدرة احتقاراً بها؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضَلُّلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير. وقيل: واحده «أبؤل»، أو: «إبأل»، أو: «أبيل»؛ كعُجول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفتته؛ أي: أهلكتهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض<sup>(٦)</sup>، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

## سُورَةُ الْمَاعُونِ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّكْرِ﴾ بالجزء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.
- [٣] ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.
- [٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.
- [٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقشعة.

## سُورَةُ الْكَوثرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوثرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.
- [٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.
- [٣] ﴿إِنَّا شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل<sup>(١)</sup>؛ سَمَّى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

\*\*\*

## سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد.
- [٢] ﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد.
- [٣] ﴿رَحَلَةَ اللَّيْلِ﴾ إلى اليمن ﴿وَرَحَلَةَ النَّهَارِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة.
- [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لـ «إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرجه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوثرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدى بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان ص (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السداة، وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لميل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

## سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ فِي الْحَالِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبَادُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبَادُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وفقاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب<sup>(١)</sup> في الحالين.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مدنية، ثلاث آيات]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَبَنِيَّ عَلَى الْأَعْدَاءِ﴾. [٢] ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد وواحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّمَا كَانَ نَوَابِغًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه<sup>(٢)</sup>، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

## سُورَةُ الْمَسَدِ

[مكية، خمس آيات]\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا يَذِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>. فقال عمه أبو لهب: تبا لك ألهذا دعوتنا؟<sup>(٤)</sup> نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. [٢] ﴿وَلَا خَوْفُ النَّبِيِّ بِالْعَذَابِ﴾ قال: إن كان

## سُورَةُ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾. [٣] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا أَعْبُدُ﴾. [٤] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ﴾. [٥] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. [٢] ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّمَا كَانَ نَوَابِغًا﴾.

## سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. [٢] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. [٤] ﴿وَأَمْرُهُ خَمَالَةٌ﴾. [٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

ما يقول ابن أخي حقاً؛ فإني أفندي منه بمالي وولدي، نزل: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكسبه؛ أي: ولده، وأغنى: «بغني». [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهب وتوقد، فهي مال تكسبه؛ للتلهب وجهه إشراقاً وحمرة. [٤] ﴿وَأَمْرُهُ خَمَالَةٌ﴾ عطف على ضمير «يُضَلَّىٰ»، سوَّغه الفصل بالمفعول وصفته، وهي: أم جميل ﴿خَمَالَةٌ﴾ بالرفع والنصب<sup>(٥)</sup> ﴿الْحَطْبِ﴾ الشوك والشعدهان، تلقفه في طريق النبي ﷺ. [٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: ليف، وهذه الجملة حال من «خماله الحطب» الذي هو نعت لـ «أمرته»، أو: خبر مبتدأ مقدر.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «أناكم أهل البين هم أرق قلوباً، والإيمان يان، والفقه يان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الاس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عِبْرَتَكَ الْأُولَىٰ﴾» صدق النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨). (٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) سبأ: ٤٦.

## سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝  
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

## سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝  
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

## سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ  
النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي  
يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝  
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

## سُورَةُ الْإِنشَاءِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فَنَزَلَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَاَللَّهُ خَبِيرُهُ،  
و«أحد» بدل منه، أو: خير ثاب. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لانتهاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتهاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئًا ومماثلًا، والله «متعلق بـ» كُفُوًا» وقُدِّم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

## سُورَةُ الْفَلَقِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (\*\*)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحملة<sup>(١)</sup>، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفقة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما تُثبِط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبح. [٢] ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقولونه من غير ريق، وقال الزمخشري معه<sup>(٢)</sup> كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

## سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرِّ الموشوس في صدورهم.  
[٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.  
[٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، ففاجأ أبو لهب وقريش، فقال: «رَأَيْتُكُمْ لَوْ أُنْصِرْتُمْ أَنْ خِيَلًا بِالْوَادِي تَزِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَلِّينَ؟» قالوا: نعم، ما حربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا إِلَىٰ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ مَالُكَ وَمَا كَسَبَ ﴿١﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه الترمذي عن أبي بن كعب ؓ أن المشركين قالوا رسول الله ﷺ: انسب لنا نزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرجه الترمذي عن عقة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُرَ مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، وإلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الحان وعين الإنسان حتى نزلت الموعودتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعوذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجس من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فأثام جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: «إن رجلاً من اليهود سحر، والسحر في يقر فلان»، قال: فأرسل عليًّا ففاجأ به. قال: فأمره أن يحس العقد ويقرأ آية، فجس يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعوذتين - النسائي في المجتبى (٤٠٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣). وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيّتان؛ يُعَدُّ أن يكون سحر الرسول ﷺ سبب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول لآية. أو السورة، أو السور» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النفث قولان.



[٤] ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَاسٍ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث<sup>(١)</sup> لكثرة ملاسته له ﴿الْخَنَاسِ﴾ لأنه يَخْنُسُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكر الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾<sup>(٢)</sup>، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كل يشمل شَرُّ لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ العلي العظيم]<sup>(٣)</sup>.



## خاتمة

(نسأل الله حسنها)

يقول مُراجعُه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجبيل ستره وحسن لقاءه

أبو عبد الرحمن هُشَيْرُ الْحَمْدِ سَيِّدُ بَيْتِ بَكْرِ بْنِ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

\*\*\*

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملاسته له»؛ أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بتعين؛ فإن الوَسْوَاسَ - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المقوفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانفضائه، ويبدو جدًا أنها من كلام المحلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اختتمته المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، وبدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

## فهرس الكتاب

٢٨٥	سُورَةُ الْقَصَصِ	(ا)	تقريط فضيلة الشيخ الدكتور/ احمد عيسى المعصراوي
٣٩٦	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي
٤٠٤	سُورَةُ الرُّومِ	(هـ)	مقدمة المحقق
٤١١	سُورَةُ لُقْمَانَ	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين
٤١٥	سُورَةُ الشُّجَرَةِ	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به
٤١٨	سُورَةُ الْأَخْرَافِ	(ي)	منهج العمل في الكتاب
٤٢٨	سُورَةُ سَبَأٍ	١	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٤٣٤	سُورَةُ هَاجِرٍ	٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٤٠	سُورَةُ يَسٍ	٥٠٠	سورة آل عمران
٤٤٦	سُورَةُ الصَّافَّاتِ	٧٧	سُورَةُ النِّسَاءِ
٤٥٣	سُورَةُ ص	١٠٦	سورة المائدة
٤٥٨	سُورَةُ الزُّمَرِ	١٢٨	سورة الانعام
٤٦٧	سُورَةُ غَافِرٍ أَوْ الْمُؤْمِنِ	١٥١	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٤٧٧	سُورَةُ حَمِ الشُّجَرَةِ	١٧٧	سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٤٨٣	سُورَةُ الشُّورَى	١٨٧	سُورَةُ التَّوْبَةِ
٤٨٩	سُورَةُ الزُّخْرِفِ	٢٠٨	سُورَةُ يُوسُفَ
٤٩٦	سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٢١	سُورَةُ هُودٍ
٤٩٩	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٢٢٥	سُورَةُ يُوسُفَ
٥٠٢	سُورَةُ الْأَعْقَابِ	٢٤٩	سُورَةُ الرَّعْدِ
٥٠٧	سُورَةُ الْوَيْتَالِ (مُحَمَّد)	٢٥٥	سُورَةُ إِبْرَاهِيْمَ
٥١١	سُورَةُ الْفَتْحِ	٢٦٢	سُورَةُ الْحُجُرِ
٥١٥	سُورَةُ الْحَجَرَاتِ	٢٦٧	سُورَةُ النَّحْلِ
٥١٨	سُورَةُ قَ	٢٨٢	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ
٥٢٠	سُورَةُ الدَّارِيَاتِ	٢٩٣	سُورَةُ الْكَهْفِ
٥٢٣	سُورَةُ الطُّورِ	٣٠٥	سُورَةُ مَرْيَمَ
٥٢٦	سُورَةُ النَّجْمِ	٣١٢	سُورَةُ طه
٥٢٨	سُورَةُ الْقَمَرِ	٣٢٢	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٥٣١	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٣٣٢	سُورَةُ الْحَجِّ
٥٣٤	سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	٣٤٢	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٥٣٧	سُورَةُ الْخَبِيْدِ	٣٥٠	سُورَةُ النَّوْرِ
٥٤٢	سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ	٣٥٩	سُورَةُ الْفُرْقَانِ
٥٤٥	سُورَةُ الْحَشْرِ	٣٦٧	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٥٤٩	سُورَةُ الْمُمُتَحِنَةِ	٣٧٧	سُورَةُ النَّمْلِ

٥٩٢ .	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٥١ .	سُورَةُ الصَّفِّ
٥٩٣ .	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٥٢ .	سُورَةُ الْجُمُعَةِ
٥٩٤ .	سُورَةُ الْبَلَدِ	٥٥٤ .	سُورَةُ الْمُتَفِقُونَ
٥٩٥ .	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٥٦ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٥ .	سُورَةُ اللَّيْلِ	٥٥٨ .	سُورَةُ الطَّلَاقِ
٥٩٦ .	سُورَةُ الضُّحَى	٥٦٠ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٧ .	سُورَةُ الشَّرْحِ	٥٦٢ .	سُورَةُ الْمُثَنِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ التِّينِ	٥٦٤ .	سُورَةُ الْحَقِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ الْعَلَقِ	٥٦٦ .	سُورَةُ الْحَاقَّةِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْقَمْرِ	٥٦٨ .	سُورَةُ الْمُعَارِجِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْبَيِّنَةِ	٥٧٠ .	سُورَةُ نُوحٍ
٥٩٩ .	سُورَةُ الزُّزُرَةِ	٥٧٢ .	سُورَةُ الْجِنِّ
٥٩٩ .	سُورَةُ الْغَايَاتِ	٥٧٤ .	سُورَةُ الْمُرْمَلِ
٦٠٠ .	سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٥٧٥ .	سُورَةُ الْمُذْذَرِ
٦٠٠ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ	٥٧٧ .	سُورَةُ الْقِيَامَةِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْقَصْرِ	٥٧٨ .	سُورَةُ الْإِنشَانِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٥٨٠ .	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْفِيلِ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّبَاِ (النَّسْأُولِ)
٦٠٢ .	سُورَةُ هُرَيْشٍ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْمَاعُونِ	٥٨٥ .	سُورَةُ عَبَسَ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٥٨٦ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْكَافُرُونَ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاطِ
٦٠٣ .	سُورَةُ النَّصْرِ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْمَسَدِ	٥٨٩ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	٥٩٠ .	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْفَلَقِ	٥٩١ .	سُورَةُ الطَّارِقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ النَّاسِ	٥٩١ .	سُورَةُ الْأَعْلَى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com